

مصر القديمة

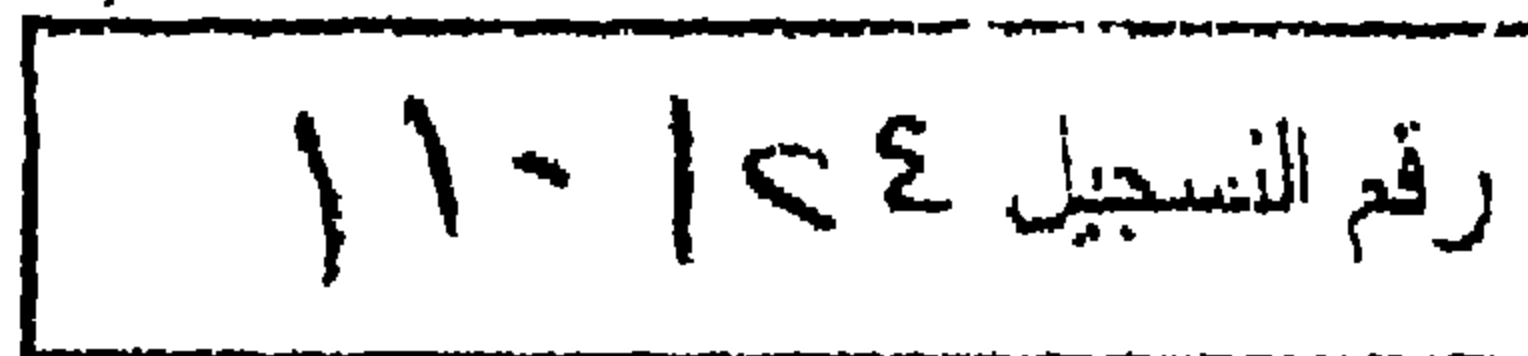
تأليف

بنيامين حسن

الجزء العاشر

تاريخ السودان المقارن

إلى أوائل عهد "بيعنخي"



مطبعة جامعة القاهرة

١٩٥٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَهْنِئَةٌ

روابط الوحدة بين مصر والسودان

منذ عصر ما قبل التاريخ

إن الموقف المجيد الذي وقفته مصر أخيراً بجانب بلاد السودان لتحريرها من يبر الاستعمار الإنجليزي يعد أمراً طبعياً إذا ما وقف المرء على ما كان ولا يزال بين القطرين من الروابط السلالية والثقافية والدينية والاجتماعية التي تضرب بأعراقها إلى عهد ما قبل التاريخ ، أى منذ حوالى خمسة آلاف سنة أو يزيد .

والواقع أن البحوث العلمية والكشوف الأثرية الحديثة قد دلت دلالة واضحة لا لبس فيها ولا لبهام على أن بلاد النوبة حتى الشلال الرابع كانت منذ عصر ما قبل التاريخ أمة واحدة من حيث السلالة والحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية . فقد أثبتت بحوث علماء علم الإنسان الذين فحصوا عن الجماجم البشرية في كلا القطرين أن كل من المصرى والسودانى ينسب إلى سلالة واحدة هى السلالة الحامية . وقد ظلت هذه السلالة نقية حتى عهد الأسرة الثامنة عشرة حوالى ١٥٨٠ ق . م . وذلك عندما أخذت السلالة الزنجرية الجنوبية تختلط بالسلالة الحامية فى الشمال بعض الشيء . كما دلت أحدث الكشوف التى عملت عند ما أقيم الخزان عام ١٩٠٢ وعند ما بدأت التعلية الأولى حوالى عام ١٩٠٧ على أن الحياة فى كل من بلاد النوبة ومصر كانت موحدة فى عصور ما قبل التاريخ ، فقد وجد أن محتويات القبور وأشكالها

في كلا البلدين من حيث الأواني المنزلية والمأكل والملبس وعادات الدفن واحدة وليس هناك أية فروق قط . وقد ظلت الأحوال على هذا المنوال حتى جاء عهد الملك مينا (حوالى ٣٢٠٠ ق . م) وكان على يده توحيد بلاد القطر المصرى وسار بقطره الموحد قدما نحو العلا ، وهنا يلحظ للمرة الأولى من الآثار أن بلاد النوبة قد تخلفت عن ركب الحضارة المصرية فترة من الزمن ، غير أنه لم يمض طويل زمن حتى أخذت مصر تستعيد علاقتها بالقطر الشقيق - بلاد النوبة ، وقد ظهرت بوادر هذه العلاقة ثانية منذ عهد الأسرة الثانية . فقد وجدت في مقابر بلاد النوبة من هذا العهد أشياء مصنوعة في مصر ، كما وجدت في المقابر المصرية أدوات مصنوعة من مواد لا تأتي إلا من بلاد النوبة كالأبنوس والعاج ، وهذا يدل على تبادل التجارة بين القطرين . وكان أول ملك مصرى سار بحملة منظمة إلى بلاد النوبة هو الفرعون « سنفرو » أول ملوك الأسرة الرابعة وقد عاد منها بمغانم كثيرة . ومنذ ذلك العهد بدأت العلاقة بين القطرين تأخذ مظهراً جديداً ، إذ بدأ المصريون يرسلون سلعهم دون طائق إلى الجنوب ، كما أخذ ملوك مصر يستغلون محاجر الديوريت التى تقع في الصحراء على مسافة ٨٥ كيلو متراً من بلدة « توشكى » الحالية .

وتدل شواهد الأحوال على أن الحدود الجنوبية في عهد الدولة القديمة (من حوالى عام ٣٢٠٠ - ٢٤٢٠ ق . م) كانت عند بلدة الفنتين (أسوان الحالية) . وقد عين لها حاكم خاص . والظاهر أن بلاد النوبة في تلك الفترة كان يحكمها عدة أمراء مستقلين ، غير أن علاقتهم بمصر كانت على أحسن ما يكون من الود والمصافاة ، يدل على ذلك استمرار قيام التجارة بين البلدين بلا انقطاع ، فكانت مصر ترسل مقادير عظيمة من الحبوب إلى بلاد النوبة التى تقتصر الزراعة فيها على الأماكن الخصبية ، كما كانت بلاد النوبة بدورها ترسل إلى مصر مقابل ذلك البخور والأبنوس والزيت وشن الفيل والذهب وغير ذلك مما كانت تنتجه هذه البلاد في ذلك العهد . ولا غرابة إذاً في أن نرى ملوك الأسرة السادسة المصريين قد أخذوا يهتمون ببلاد النوبة ومتجاتها فأرسلوا إليها

البعوث العدة لارتياح مجاهليها والكشف عن خيانتها ، ونخص بالذكر من هذه البعث تلك التي قام بها الكاشف العظيم « حرخوف » الذي يعد أول كاشف لمجاهل أفريقيا . والظاهر أنه أوغل في الجهات الجنوبية إلى مسافات بعيدة حتى أنه أخضر قوماً إلى ملكه الفتى الفرعون بيبي الثاني ليرفه عنه وليقوم برقصات دينية خاصة تؤدي عند تأدية الشعائر . هذا وتدل الوثائق على أن « حرخوف » هذا قد تحالف مع الأمراء الذين كانوا يحكمون الأقاليم التي ارتادها . ويعد هذا أول حلف عقد بين مصر وشقيقتها بلاد النوبة . وتدل الوثائق على أن ملوك الأسرة السادسة قد أرسلوا القائد « وني » لقطع أحجار الجرانيت من المحاجر الواقعة وراء الحدود المصرية ولقطع الأشجار لبناء السفن التي كانت تصنع في بلاد النوبة نفسها وتشحن فيها الأحجار اللازمة . وقد أسهم في ذلك أمراء بلاد النوبة عن طيب خاطر ، وحضروا إلى الشلال الأول ليقدموا ولاءهم للفرعون « بيبي » الأول عند ما زار هذه المنطقة ، وفضلاً عن ذلك تحدثنا النقوش أن جيش القائد « وني » هذا كان يضم بين جنوده فرقة من الجنود النوبيين وقد ناضلوا معه لصد قبائل البدو المجاورة للحدود . ومما يطيب ذكره هنا أن هؤلاء الجنود النوبيين كانوا قد وفدوا إلى مصر وانضموا إلى الجيش المصري من تلقاء أنفسهم طلباً للرزق ، وقد ظلوا منذ ذلك العهد يقدون إلى مصر ويخدمون في الجيش المصري حتى الآن ، وهم الذين يعرفون الآن باسم الهجانة .

وتدل الظواهر على أن الحدود المصرية قد امتدت حتى وصلت إلى الشلال الثاني في عهد الملك « بيبي الثاني » ، غير أنه في أواخر حكمه أخذ شمل البلاد المصرية يتفرق وتمزقت البلاد وأصبحت إقطاعات مستقلة ، ومن ثم انقطعت العلاقات بين مصر وبلاد النوبة فترة وجيزة كانت فيها مصر مسرحاً للفتن والغزو الآسيوي ، في حين أخذت بلاد النوبة تفتق من رقتها وتخطو نحو الرقي ، فكانت لها ثقافة خاصة إذ هبط عليها من الجنوب قوم من أهل السودان يقال إنهم وفدوا من جهة النيل الأزرق وعطبره وتخطوا في زحفهم أسوان وقد كونوا لأنفسهم حضارة خاصة بهم

يدل على مقدار نموها ما تركوه في مقابرهم من الآثار التي تختلف اختلافاً بيناً عن آثار بلاد النوبة في العصور السابقة ، وهذه الثقافة رمز لها عند رجال الآثار بحرف « م » (C) . وقد ظلت هذه الثقافة مزدهرة منذ العهد المتوسط الأول ، أى بعد الأسرة السادسة ، حتى أوائل الأسرة الثانية عشرة عند ما غزت مصر بلاد النوبة كزة أخرى .

والواقع أن العلاقات بين مصر وبلاد النوبة كانت ضامضة وقتئذ ويقال إن قوماً من النوبيين غزوا مصر نفسها ، وقد ظلت الحال مبهمه في مصر حتى أخذت تنمش ثانية من سباتها العميق ، وتفريق من الثورات الاجتماعية التي مزقتها كل ممزق . والتي أثارها الحروب بين شمال مصر وجنوبها ، وكان يقوم فيها الجنود النوبيون بدور الجنود المرتزقين .

ولما توحدت البلاد ثانية في عهد الأسرة الحادية عشرة حوالى ٢١٤٠ ق . م . أخذ ملوكها يعملون على إعادة علاقتهم ببلاد النوبة مرة أخرى .

وفي خلال الأسرة الثانية عشرة بدأت صفحة جديدة بين ملوك مصر وبلاد النوبة التي أصبحت منذ تلك الفترة مقسمة قسمين مميزين : الأول من أسوان حتى الشلال الثانى ويسمى إقليم واوات ، والآخر من الشلال الثانى حتى مشارف الشلال الرابع ويدعى بلاد كوش ، أى السودان . وتدل شواهد الأحوال على أن أم « منمحات الأول » مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وموحد البلاد المصرية ، كانت من أصل نوبى ، ومن أجل هذا وجه عنايته بصورة خاصة إلى بلاد الجنوب وعمل على ضمها لمصر . والواقع أن الولايات الصغيرة المستقلة التي كانت تتألف منها بلاد النوبة وقتئذ أخذ أهلها يهددون الطرق التجارية التي بين مصر وبلاد النوبة بالسلب والنهب ، وقد شجع على ذلك عدم اكتراث أمراء هذه البلاد بمصر فرأى المنمحات الأول لى يؤمن تجارة مصر مع الجنوب أن يفتح هذه البلاد ويضمها لتاج مصر فقام بحملة على بلاد كوش وفتحها وأمن طرق المواصلات بعض الشيء ، وفى عهد أخلافه .

أقيمت المعاقل المزودة بالجنود في طول بلاد النوبة وعرضها ، كما أسس مستودع تجارى في بلدة « كرمه » القريبة من دنقلة وعين فيها حاكم خاص من عظماء رجالات مصر . وقتئذ وهو « حيزافى » الذى لا يزال قبره قائماً في جبل أسيوط حتى الآن ، وبعد أكبر قبر عرف لأمر في الدولة الوسطى ، هذا وقد أرسل ملوك مصر إلى كرمه الصناع وأصحاب الحرف فأنشئوا صناعات وثقافة جديدة تعد خليطاً من الثقافة المصرية والثقافة النوبية لتلائم أحوال البلاد .

وقد ازدهرت هذه الثقافة ونمت في كرمه حتى أصبحت هذه البلدة مركزاً هاماً للتجارة بين الشمال والجنوب . والواقع أن أهل كوش قد تعلموا من المصريين صناعاتهم وحرفهم ومزجوها بحضارتهم وألقوا منها حضارة عظيمة تدعى ثقافة كرمه . وقد أرسل « سنوسرت الأول » ابن « أمنمحات الأول » بعض الحملات لإخضاع القبائل المغيرة الخارجة عن النظام في تلك البلاد وبذلك وطد أركان ملكه في كل البلاد الجنوبية حتى الشلال الثانى الذى كان يحد الحد الفاصل الطبيعى للبلاد المصرية ، ومنذ ذلك العهد أخذت مصر تفيد من تجارتها مع بلاد « واوات » وكوش وبخاصة من تثير مناجم الذهب التى أصبحت منذ ذلك العهد مورداً يفيض بالثروة على ملوك مصر ، وقد ظل الأمن مستتباً والسلام سائداً في ربوع بلاد النوبة وكوش حتى عهد الملك سنوسرت الثالث إذ نقض بعض القبائل النوبية العهد في زمنه وهددوا التجارة فسار إليهم بجيش من المصريين وقضى على الفتنة في مكنها ، ولم يلبث أهل كوش أن أخذوا إلى السكينة وساد السلام بين البلدين وجعل « سنوسرت » الثالث الحد الفاصل بين ممتلكاته الأصلية وبين بلاد كوش الشلال الثانى عند قلعتى « صمنة » « وقمة » اللتين أقامهما لذلك وفي هذه البقعة تقع بلدة « صرص » التى تعد حذاً فاصلاً بين مصر والسودان ، ونصب « سنوسرت » هناك لوحته المشهورة التى يتحدث فيها للمصريين عن الكفاح عن الوطن والمحافظة على حدود البلاد فاستمع إليه وهو يقول : « لقد جعلت نخوم بلادى أبعد مما وصل إليه أجدادى ، ولقد زدت في مساحة بلادى على ما ورثته ، وإنى ملك يقول وينفذ ، وما ينتلج في صدرى تفعله يدي ، وإنى

طموح إلى السيطرة وقوى لأحرز الفوز ، ولست بالرجل الذى يرضى ليه بالتقاعس عند ما يعتدى عليه ، أهاجم من يهاجمنى حسبما تقتضيه الأحوال ، وإن الرجل الذى يركن إلى الدعة بعد الهجوم عليه يقوى قلب العدو . والشجاعة هى مضاء العزيمة ، والجن هو التخاذل ، وإن من يرتد وهو على الحدود جبان حقاً ، ولما كان الأسود يحكم بكلمة تخرج من الفم فإن الجواب الحاسم يردعه ، وعند ما يكون الإنسان ماضى العزيمة فى وجه العدو فإنه يولى الأدبار ، أما إذا تخاذل أمامه فإنه يأخذ فى مهاجمته . ثم يقول : « وكل ولد أنجبه ويحافظ على هذه الحدود التى وصل إليها جلالتي يكون ابني وولد جلالتي ، أما من يتخلى عنها ولا يحارب دفاعاً عن سلامتها فليس ابني ولم يولد من ظهري . والآن تأمل فإن جلالتي قد أمر بإقامة تمثال لى عند هذه الحدود التى وصل إليها جلالتي حتى تنبعث فيكم الشجاعة من أجلها فتحاربوا للحفاظ عليها » .

وقد كان لسنوسرت الثالث منزلة عظيمة فى نفوس المصريين بعامة ، وفى نفوس الكوشيين بخاصة ، حتى أنه أصبح مؤلفاً عند الكوشيين كما صار يعد ضمن آلهتهم فى كل أزمان التاريخ القديم ، وفضلاً عن ذلك كان موضع تقديس عند الملوك المصريين المحاربين العظماء الذين أتوا بعده أمثال تحتمس الثالث و « تهرقا » الكوشى المنبت . ولا غرابة فى ذلك فقد كان مثلهم الأعلى فى فنون الحرب .

وبعد سقوط الدولة الوسطى حوالى عام ١٧٣٠ ق . م . عادت مصر إلى فترة من الفوضى والانحلال فاحتلها الهكسوس نحو قرن ونصف قرن من الزمان ، وتدل الوثائق التى فى متناولنا على أن الهكسوس قد مدوا حكمهم إلى بلاد كوش حتى كرمه مدة من الزمن انسحبوا بعدها إلى مصر السفلى وانحصر سلطانهم فى بلاد الدلتا . وتدل الكشف الحديثة على أن بلاد النوبة كانت فى عهد الهكسوس الأخير مستقلة ، وبعبارة أخرى كان وادى النيل فى تلك الفترة مقسماً ثلاثة أقسام : فكان الملك « كاموسى » آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة يحكم مصر الوسطى ومصر العليا ، وكان يحكم بلاد النوبة فى الجنوب حاكم مستقل ، أما الدلتا فكانت فى قبضة الهكسوس .

والظاهر أن الكوشيين لم يكونوا معادين للصريين إذ وجد في جيش التحرير الذي قام على رأسه « كاموسى » لطرده الهكسوس جنود من الكوشيين ، ومن ثم نجد أن الصلات بين البلدين كانت متصلة ، والظاهر أن حاكم بلاد النوبة لم يصنع إلى إغراء الهكسوس عند ما طلبوا إليه التحالف على « كاموسى » الذى أراد أن يخلص البلاد بجملة من حكم الهكسوس الطغاة ، بل كان ضالماً مع ملك طيبة كاموسى .

وقد تم طرد الهكسوس وإجلاؤهم عن البلاد كلية على يد الفاتح العظيم « أحمس الأول » مؤسس الأسرة الثامنة عشرة حوالى عام ١٥٨٠ ق . م . وقد حدث فى خلال حرب « أحمس » مع الهكسوس أن انتفض عليه بعض الأمراء من بلاد كوش وزحفوا على البلاد المصرية فلحق بهم أحمس وهزمهم وأخذ بعد ذلك فى بسط سلطانه على بلادهم ، غير أن المناوشات كانت بين ملوك مصر وبعض الأمراء النوبيين قد استمرت حتى عهد الملك تحتمس الأول ، وهو الذى هدأ الأحوال تماماً فى بلاد النوبة وقسمها خمسة أقسام على رأس كل قسم منها أمير وطنى من النوبيين .

وكانت فتوحاته قد امتدت فى الجنوب حتى الشلال الرابع الذى أصبح الحد الفاصل بين مصر والقبائل المجاورة من السود . وقد ظلت هذه الحدود موضع عناية الفراعنة حتى نهاية الأسرة الثانية والعشرين ، وقد غمضت الصلات بعدها بين القطرين حتى ظهرت فى صورة جديدة فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين حوالى ٧٥٠ ق . م . أى عندما انتهز الكوشيون الفوضى السائدة فى البلاد المصرية وغزوها واستولوا عليها ولقبوا أنفسهم فراعنة مصر .

ولا نزاع فى أن بلاد كوش (أو السودان) كانت موضع عناية فراعنة مصر وروايتهم فى عهد الدولة الحديثة المصرية (١٥٨٠ - ١١٠٠ ق . م) فقد كان حاكم بلاد كوش فى أول الأمر ابن الملك فعلاً ، ثم أخذ هذا اللقب يطلق على كل حاكم يتولى شئون هذه البلاد ، فكان يسمى « ابن الملك صاحب كوش » . وقد كان نفوذه يمتد من المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه القبلى حتى الشلال الرابع ، أى من بلدة « أدفو »

حتى مدينة « نباتا » ، وهذا يدل دلالة واضحة على أنه لم يكن هناك أية فروق بين البلاد المصرية والبلاد الكوشية في نوع الحكم ، بل كان المصري والنوبي سواسية في المعاملة ، وذلك لأن ملوك مصر كانوا يعتبرون الحد النهائي للبلاد المصرية من جهة الجنوب هو الشلال الرابع .

وقد كان نائب الملك بوصفه أعلى موظف في بلاد كوش هو المسئول قبل كل فرد عن توريد جزية إقليم بلاد النوبة . وهذه الجزية كان يتوقف عليها عظمة الفرعون وسلطانه ونفوذه ، وكانت تعد أكبر مصدر للخزانة المصرية وبخاصة الذهب . ولا نزاع في أن هذه الجزية كانت تتطلب إدارة حازمة من ابن الملك حاكم كوش ، وعلى الرغم من ذلك لم نجد من بين أبناء الملك الذين تولوا هذا المنصب الخطير من كان صاحب قدرة ممتازة في الإدارة ، إذ كان كثير منهم يشغل وظائف خاصة في القصر الملكي مثل مدير الاصطبل الملكي أو سائق عربة الفرعون ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن ابن الملك صاحب كوش كان ينتخب من المقربين لدى الفرعون ، وذلك لميثاق العلاقة بين بلاد كوش وبين الأسرة المالكة . وتدل الوثائق التي لدينا على أنه كان حراً في وظيفته وأنه لم يكن مسئولاً أمام أحد غير الفرعون .

وعندما كانت جزية بلاد النوبة تحمل إلى مصر بوساطة موظف آخر يراقب توريدها للخزانة فلا يعنى ذلك بأية حال أن نائب الملك كان تحت إدارة هذا الموظف أو أنه كان مسئولاً أمامه ، فقد كان ابن الملك هو المسئول الوحيد أمام الملك وحسب . وتدل النقوش على أن هذه الجزية كانت تقدم للفرعون عادة في حفل عظيم يستعرض فيه كل مواد الجزية .

وكانت حكومة ابن الملك صاحب كوش تشمل طائفة من الموظفين استطاع جمعوتهم تادية مهام وظيفته وتنفيذ سياسته على الوجه الأكمل . وأهم هؤلاء الموظفين قائد جيش الرماة في كوش ، وكان يقود الجنود الذين في خدمة نائب الملك . وكان له كذلك وكيلان يقوم واحد منهما على إدارة بلاد « واوات » أما الآخر فكان

يدير بلاد كوش . والمعروف وقتئذ أن إقليم واوات كان كما ذكرنا من قبل يمتد من أسوان حتى الشلال الثانى ، والإقليم الآخر أى بلاد كوش ، يمتد من الشلال الثانى حتى الشلال الرابع عند بلدة « كراى » القريبة من « نباتا » . وهذا آخر ما وصل إليه الفتح المصرى على حسب المعلومات التى وصلت إلينا حتى الآن .

وكان يوجد فضلا عن ثلاثة الموظفين الكبار الذين ذكرناهم هنا عدد عظيم من صغار الموظفين . وتدل الظواهر على أن الإدارة فى هذه البلاد كانت تشبه كثيراً فى تأليفها الإدارة المصرية فى تلك الفترة .

وعندما يريد الفرعون إنجاز عمل خاص فى بلاد السودان يرسل رسولا مجهزاً بسلطات خاصة منعاً من التصادم مع ولاية الأمور هناك ، ومن ثم كان على الفرعون أن يزوده بخطاب من عنده لثائب كوش ليعاونه فى قضاء مأموريته .

هذا وكان معظم رجال الإدارة فى حكومة ابن الملك صاحب كوش من المصريين ، كما كان من بينهم سودانيون قد تمصروا وتسموا بأسماء مصرية بحتة ، ويلفت النظر أن بعض أبناء الملك حكام كوش كانوا من السودانيين أنفسهم ، نذكر منهم على سبيل المثال ابن الملك « نحسى » (معنى كلمة نحسى الأسود) الذى كان يشغل هذه الوظيفة فى عهد رمسيس التاسع وهذا دليل على ما كان بين القطرين من حسن تفاهم وتقدير . على أنه من جهة أخرى كان يوجد بجانب نظام الوظائف هذه والإدارة الأمراء الكوشيون الذين كانوا يسكنون فى بقاع مختلفة من بلاد كوش ، وهؤلاء كانوا يقومون بتمثيل دورهم فى حكم البلاد ، فمثلاً فى عهد الملك توت عنخ آمون شاهدنا كيف أن أمير « معام » (صنيبه الحالية) والأمراء الآخرين من « واوات » قد ظهروا على رأس أتباعهم فى بلاط الفرعون يقدمون فروض الطاعة والولاء . والواقع أن الدور الذى كان يلعبه هؤلاء الأمراء لم يعرف بعد على وجه التأكيد ، غير أن مجرد وجودهم يدل على أن المصرى كان يحرص على العلاقة الودية بينه وبين هؤلاء الأمراء . والظاهر أن الأمير الذى كان يدين بالولاء للفرعون يبقى فى إمارته على شرط أن يقدم

ما عليه من جزية . ولا نزاع في أن هؤلاء الأمراء كانوا بطبيعة الحال تحت سلطان ابن الملك حاكم كوش وناثليه فيراقبونهم مراقبة حازمة . ولما كان كل أمير منهم يسعى للحصول على استقلاله السياسى بقدر المستطاع ، فإنهم من أجل ذلك كانوا يقومون بالثورات في عهد الدولة الحديثة ، ولكن ملوك مصر قد استعملوا وقتئذ سياسة ماكرة لإخضاع الحكام النافرين ، وذلك أن الفرعون كان يحضر من غزواته أولاد الأمير وأخوته - كما حدث في عهد تحتمس الثالث - ويضعهم في مكان أمين ، وعند موت الأمير كان يولى الفرعون ابنه أو أخاه الذى كان في مصر مكانه ، وكان الفرعون ينشئ هؤلاء الأولاد أو الأخوة تنشئة مصرية خالصة حتى إذا ما عادوا إلى بلادهم عملوا على ما فيه خير مصر ، ولكن هذه السياسة برهنت على فشلها في الأزمان القديمة ، كما برهنت على خيبتها في الأزمان الحديثة عندما أراد الانجليز تطبيقها في بلاد الهند . والواقع أن التعليم في مصر كان يقودهم إلى عكس ما ذهب اليه الفراعنة ، ولكن من جهة أخرى نجد أن الفرعون كان يربى أطفال هؤلاء الأمراء مع أمراء البيت المالك ، وكان كل واحد منهم يحمل لقب « غلام » (أو مملوك) ، وكان هذا اللقب يبقى طالقاً بهم حتى وهم متقدمون في السن ومتقلدون أعظم وظائف الدولة . وقد وجدنا أن أحد أبناء الملك صاحب كوش وهو المسمى « ورسانت » كان يلقب بالمملوك أو الغلام ، وكان على ما يظهر نوبى الأصل ، ومع ذلك نجد أنه قد تولى منصباً من أعظم مناصب الدولة في عهد أمنحتب الثانى أى منصب ابن الملك صاحب كوش . وتدل النقوش التى فى متناولنا الآن على أن هذا الحاكم كان صديقاً حميماً للفرعون أمنحتب الثانى وأنه كان يرغب فى محابة صغار الموظفين من أهل كوش ووضعهم فى المناصب العالية ، وقد أرسل اليه الفرعون أمنحتب رسالة شخصية تعد إلى الآن الأولى من نوعها يذكره فيها بالحملات التى قاما بها سوياً فى بلاد آسيا وما ضمنه « ورسانت » من غنائم وما جلبه معه من جوار وخادومات ، وكذلك حذره أمنحتب فى هذا الخطاب أن يستخدم صغار النوبيين فى الوظائف الكبيرة إلا عند الضرورة القصوى .

ولا نزاع في أن تنشئة أولاد الأمراء الكوشيين في البلاط المصري مع من سيكونون رؤسائهم تدل على أن المصري لم يسلك مع أهل كوش مسلك سياسة الاستغلال والسلب والنهب بل كانت سياسة مهادنة ووثام . والواقع أن المصري لم يحاول قط أن يقضى على شخصية الكوشى إذ لم نجد أى فرعون أجلى أسرة من أسر الأمراء الوطنيين عن موطنها الأصلي ، مع أن ذلك كان من الأمور السهلة الهينة لدى الفراعنة ؛ وقد كان من نتائج هذه السياسة المنطوية على التسامح أن وجدنا سكان بلاد كوش قد خطوا خطوات واسعة نحو التمسير ، ولذلك كان معظم الموظفين الإداريين في كل مرافق الحكومة من أهل البلاد . والواقع أن المصري كان يكره الاقتراب ومن أجل ذلك كان لا يحب الهجرة إلى بلاد كوش ، ومن ثم كان المصريون حتى كبار الموظفين منهم ، لا يرغبون في أن يدفنوا في بلاد غير مصر ، فكان الموظف بعد انتهاء مدة حكمه يعود ليدفن في موطنه الأصلي .

وعلى الرغم من يقظة حكام بلاد كوش وما كان بين القطرين من حسن تفاهم أقام الفراعنة بالقرب من النيل عدة معصون في بلاد النوبة في عهد الدولة الحديثة لحماية التجارة من غارات بدو الصحراء الذين حاربهم فراعنة الدولة الحديثة وأخضعوهم في عهد تحتمس الأول وتحتمس الثالث ورعمسيس الثانى وغيرهم

والديانة التى سادت بلاد كوش في عهد الدولة الحديثة هي الديانة المصرية القديمة ، ويدل على ما كان بين القطرين من ارتباط دينى وثيق أن بعض الآلهة الذين كانوا في الأصل آلهة كوشيين قد أصبحوا يعبدون في مصر أيضا ؛ فالإله « ددون » الذى كان معبوداً كوشياً أصبح يعبد في مصر كذلك منذ عهد الدولة القديمة ، فأصبحت الديانة في كل من مصر وكوش ديانة مشتركة كما هي الحال الآن . والواقع أنه لم يكن هناك إله يعبد في مصر إلا كان يعبد في بلاد كوش ، ومن ثم نرى أن الوحدة بين البلدين كانت تامة من نواحي السلالة والدين واللغة جميعاً .

وقد ساعد على توحيد الديانة في البلدين ما كان بينهما من اختلاط كبير ، فقد كان

النوبي منذ أقدم العهود ينزح إلى مصر ويعمل كادحاً بطرق مختلفة ، على أن هذا النزوح وإن كان محدوداً في بادئ الأمر ، غير أنه أخذ يعظم شيئاً فشيئاً حتى بلغ درجة عظيمة في نهاية الدولة الحديثة ، إذ كان السودانيون يتدفقون على مصر ويعمل الرجال منهم في زرع الأرض وغسل الذهب ، أما النساء فكانت يعملن في الغزل والنسج وغير ذلك من الأمور المنزلية . يضاف إلى ذلك أن الفرعون كان يصطفى من النوبيين أفراداً لخدمته الخاصة لا يلبثون أن يتقلدوا وظائف عالية في مرافق الدولة . وأكثر ما يستخدم فيه النوبي الجندية والشرطة ، ويرجع تاريخ ذلك إلى أواخر عهد الدولة القديمة . فقد كان ينحدر بوجه عام في فرق الرماة ، كما كان يستعمل جندياً يحمل الدرع ويسوق العربة ، ولم يكن بينه وبين المصري في غالب الأحيان في عهد الدولة الحديثة أى فرق في الملبس ، وكان رئيس الشرطة من الكوشيين أنفسهم ، هذا إلى أنه قد اندمج في الجيش المصري فرقة كوشية كاملة لها من الحقوق ما للفرق المصرية تقريباً .

وكانت تحتل المرأة النوبية في تلك الفترة أحياناً مكانة عظيمة عند عظماء القوم ، كما تدل على ذلك نقوش بعض المقابر التي وصلت إلينا من عهد الأسرة الثامنة عشرة .

كما تدل النقوش على أن بلاد كوش كانت تلعب دوراً هاماً في سياسة مصر الداخلية في عهد الدولة الحديثة فقد حدث في عهد الأسرة التاسعة عشرة أنه بعد موت الفرعون مرنبتاح بن رعمسيس الثاني خلفه سلسلة من الملوك الذين اغتصبوا عرش البلاد دون حق شرعى ، وقد ظهرت بلاد كوش في ذلك العهد بوصفها عاملاً قوياً في سياسة البلاد الداخلية بسبب ما حيك فيها من دسائس تدور حول تولى عرش مصر . فنجد وقتئذ أن الملك «رعمسيس سبتاح» قد قام بنفسه برحلة إلى بلاد النوبة لينصب ابن الملك حاكم كوش بنفسه في وظيفته ، غير أنه على ما يظهر لم يذهب في سفره إلى أكثر من «بهين» (وادی حلفه الحالية) ، وهذا أمر لم يسبق له مثيل ويدل دلالة واضحة على ما كان لابن الملك نائب كوش ، وبلاد كوش نفسها من أهمية بالغة عند الفراعنة ، فضلاً عن ذلك نعرف من جهة أخرى أن أحد أبناء الملك أصحاب

كوش قد اعتلى عرش ملك مصر في هذه الفترة مما يدل على قوة بلاد كوش في توجيه سياسة الدولة الداخلية . ولدينا برهان قاطع على صدق هذا الرأي فقد دبرت في أواخر عهد الملك رمسيس الثالث مؤامرة على قتله ، دبرتها إحدى حظيات هذا الملك رغبة منها في أن تجعل ابنها الوارث للعرش بدلا من ابن رمسيس الشرعى الذى تولى الحكم فيما بعد باسم رمسيس الرابع ؛ والدور الذى لعبته بلاد كوش في هذه المؤامرة أن قائد الرماة هناك كانت له أخت في خدر رمسيس الثالث وكانت في جانب المتآمرين على قتل الفرعون وكان المتفق عليه هو أنه إذا نجحت المؤامرة انضمت كوش للغتصب للعرش وأعلنت الولاء لله ، غير أن المؤامرة قد كشف أمرها في النهاية على الرغم من أن الفرعون قد توفى بعد الاعتداء عليه بزمان قصير جداً .

وقد ظل الفراغة في عهد الدولة الحديثة يهتمون بأمر السودان وأهله لدرجة أن « بانحسى » النبى قد عين في عهد الملك رمسيس الحادى عشر في وظيفة « ابن ملك » إرضاء لأهل كوش ، وقد لعب هذا النائب دوراً عظيماً في حرب التحرير أو بعبارة أخرى ، عصر النهضة التى قامت في مصر في تلك الفترة لإصلاح ما أفسده الفراغة الضعفاء .

والواقع أن الذى كان يتولى وظيفة ابن الملك حاكم كوش في تلك الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة الحديثة كان في يده سلطان عظيم ، ولذلك فإن « حريحور » عندما عين كاهنا أكبر للبلاد وقائدا للجيش ضم إليه وظيفة ابن الملك صاحب كوش وبذلك أمكنه بعد موت رمسيس الحادى عشر أن يقفز إلى عرش الملك بيسر وسهولة وقد سلم لابنه بيعنخى هذه الوظيفة بعد إعلان نفسه فرعوناً على مصر ، فكان بذلك آخر من قبض على زمام الأمور في بلاد كوش ، ولم يتول هذه الوظيفة بعد « بيعنخى » هذا إلا امرأة تدعى « نسنخسو » وهى زوج الفرعون « بينوزم الثانى » أحد ملوك الأسرة الواحدة والعشرين ، والظاهر أنه كان لقباً فخرياً إشباعاً لرغبة هذه الأميرة ، ومنذ الانقلاب السياسى الذى حدث في أواخر الأسرة العشرين اعتنقت سياسة جديدة

أصبحت بمقتضاها الإدارات الهامة متجمعة في يد الوارث للعرش بما في ذلك وظيفة ابن الملك صاحب كوش . وقد كان ذلك هو الحل المنطقي الوحيد لمجابهة المصاعب الداخلية التي سببتها ديماس طبقة الموظفين البيروقراطية وطبقة الكهنة الأغنياء في حكومة كل ميولها مع الحكم الديني . وقد كان هذا المبدأ سليماً لدرجة أن ملوك الأسرة الثانية والعشرين التي أسسها « شيشنق » اللوبي الأصل قد استمروا في نفس السياسة التي أصبحت سياسة تقليدية وهي تهيئة أمراء البيت المسالك المصري ليكونوا على رأس الإدارات الحكومية في مصر والسودان . غير أنه قد لوحظ عدم استعمال لقب ابن الملك صاحب كوش ، ولكن ذلك لا يعنى أن إدارة حكومة كوش لم تكن في يد أكبر أولاد حكام طيبة . ومن البدهى أن لقب ابن الملك صاحب كوش في نظراًى واحد من هؤلاء الملوك الذين كانوا فعلاً أولاد ملوك لم يكن له قيمة في نظره بجانب ولاية العهد وقيادة الجيش والكهانة العظمى التي يشغلها . وهكذا نرى مما سبق أن وظيفة ابن الملك حاكم كوش التي استمرت نحو أربعة قرون ونصف القرن ، أى حتى حوالي عام ١١٠٠ ق.م ، قد كانت همزة الوصل بين القطرين ولعب حاملوها دوراً هاماً في توثيق عرا الوحدة السياسية والدينية والاجتماعية بين شمالي الوادي وجنوبه .

وأخيراً يلحظ أن العلاقات بين كوش ومصر منذ عام ١١٠٠ إلى ٧٥٠ ق.م كانت غامضة . وكل ما نعلمه عن هذه الفترة لا يخرج عن الحدس والتخمين ؛ ولكن المؤكد هو أنه كان هناك اتصال روحى بين البلدين ، ولا أدل على ذلك من أنه عندما تحدثنا الآثار بفأة عن ملك كوشى يدعى « كشتا » قد تولى عرش الملك في طيبة وحكم الوجه القبلى ، نلاحظ أنه كان يعتنق مذهب ديانة الإله آمون وهي الديانة التي كانت سائدة في مصر في تلك الفترة ، وبذلك لم يجد صعوبة في جذب الشعب المصرى إليه واستمالته ، وقد دلت البحوث الحديثة على أن « كشتا » هذا هو مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين في مصر ، وأنه قد هبط إلى مصر من « نباتا » عاصمة ملكه

(ص)

الواقعة عند الشلال الرابع. وقد كشفت حديثاً جديداً ملوك الأسرة الخامسة والعشرين هذه في « الكورو » القريبة من نباتا ، وبذلك ظهرت أمامنا صفحة كانت غامضة عن ملوك هذه الأسرة حتى زمن قريب جداً . وهذه الأسرة الكوشية كانت معاصرة للأسرة الثالثة والعشرين المصرية التي كان مقرها في الوجه البحري . وسنترك الكلام عن الأسرة الكوشية وحكمها لمصر جملة إلى الجزء التالي من هذه الموسوعة إن شاء الله .

• • •

ولمى أقدم هنا بعظيم شكرى لصديق الأستاذ محمد النجار المفتش بوزارة التربية والتعليم لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة . كما أقدم بوافر الشكر إلى السيد محمد زكى خليل مدير مطبعة جامعة القاهرة ومعاونيه لما بذلوه من جهد مشكور وعناية ملحوظة في إخراج هذا الكتاب .

وكذلك أقدم عظيم شكرى للسيد أحمد عزت بجامعة ابراهيم لما بذله من مجهود عظيم في قراءة التجارب وعمل فهرس الأعلام والمصادر الأفريقية بكل دقة وعناية ، وفي الختام أشكر السيد الأستاذ الشاطر بصيلي بمعهد السودان كل الشكر على ملاحظاته عن الأسماء النوبية وقراءة بعض التجارب ما

علاقة بلاد النوبة (كوش) بمصر منذ أقدم العصور حتى نهاية الفتح الكوشى

مقدمة

في باكورة القرن العشرين قامت نهضة مباركة في البلاد المصرية لتحسين حال الفلاح وإسعاد أهل البلاد بعامة ، وكان من مقتضياتها تعلية خزان أسوان في ١٩٠٧ وكان لابد من عمل حفائر في الجهات الأثرية التي ينتظر أن تغمرها المياه بعد التعلية وراء الخزان أى في أراضي بلاد النوبة السفلى

وقد دلت الحفائر التي عملت في بلاد النوبة في هذه الفترة على أن العلاقات الثقافية والتجارية بين هذه البلاد ومصر كانت متصلة الحلقات منذ عهد ما قبل التاريخ ، ولا تزال البحوث التي تعمل حتى الآن تؤكد هذه الصلات الوثيقة بين القطرين . ويرجع الفضل في كشف النقاب عن هذه الثقافة للحفائر التي قام بها الأستاذ « ريزنر »^(١) حوالى عام ١٩٠٧ م . أولا ، ثم لحفائر جماعة الأثريين الذين قفوه في هذا المضمار ونخص بالذكر منهم الأثرى « فوث »^(٢) والأستاذ « جرفث »^(٣) والعلامة « ينكر »^(٤) وغيرهم ممن أسهموا في هذه الكشف .

(١) راجع Reisner, The Archæological Survey of Nubia for 1907—1908, Cairo, 1910

(٢) راجع Firth, The Archæological Survey of Nubia. Report for 1908-1909, Cairo, 1912

— Firth I.—Report for 1909—1910, Ib. 1915.

— Firth II.—Report for 1910—1911, Ib. 1927.

— Firth III.

(٣) راجع Griffith, Oxford Excavations in Nubia ; Annals of Archæology, Liverpool, 1908 ff

(٤) راجع Junker, Bericht über die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in

Wien auf den Friedhöfen von Ermenne (Nubien) im Winter 1911—12 ; Ibid von El Kubaneih=

ولما كانت هذه الكشف الأثرية قد دلت على علاقات بين البلدين يرجع عهدها إلى عصر ما قبل التاريخ حتى نهاية الأسرة الثانية عشرة وما بعدها فقد قسمها الأستاذ « ريزنر » على حسب ترتيبها التاريخي قسمين كبيرين بالنسبة لبلاد النوبة :

(١) القسم الأول : ويشمل عصر ما قبل التاريخ النوبي ويحتوى على مجموعتين ثقافيتين مميزتين ، رمز للأولى بحرفى (أ) A و (ب) B (وقد اعتنق علماء الآثار جميعاً تلك الرموز التى وضعها « ريزنر ») . وهاتان المجموعتان يقابلان فى التاريخ المصرى عصر ما قبل التاريخ وعصر الأسرات الأولى وعصر بناة الأهرام حتى بداية الأسرة السادسة .

(٢) القسم الثانى : ويشمل العصر النوبى المتوسط ويرمز له الأستاذ « ريزنر » بالمجموعة الثقافية (ج) C ، وهذا مايقابل فى التاريخ المصرى القديم العصر المتوسط الأول أى العهد الذى وقع بعد سقوط الدولة القديمة حتى قيام الدولة الوسطى ، ثم الدولة الوسطى وعصر الهكسوس ، وأخيراً العصر المتوسط الثانى من التاريخ المصرى الذى حاصر عهد الهكسوس .

عصر ما قبل التاريخ فى بلاد النوبة السفلى

المجموعة الثقافية (أ) A (وتؤرخ من حوالى ٤٠٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م)
والمجموعة (ب) B (من حوالى ٣٠٠٠ — ٢٤٠٠ ق . م)

دلت الكشف الأثرية التى قامت فى بلاد النوبة السفلى على أنه كانت توجد سلسلة مراكز للسكان يقع كل منها عند فم واد أو خور من التى ألفت فيها رواسب النهر مساحات مختلفة الحجم صالحة للزراعة ، وقد كان عماد هؤلاء السكان الذين

= Nord. Winter 1910—1911. Ibid, von El Kubanieh-Süd. Winter 1910—1911. Ibid, von Tuschke (Nubien) in Winter 1911—12.

يسكنون هذه المساحات في حياتهم هو الزراعة يؤازرها الصيد البرى والمائى ونقل السلع من مكان لآخر . وقد بقيت حياة هذه الجماعات مستمرة ما بقيت الأرض صالحة للزراعة . وفى بعض الأحيان كانت تتكون طبقات جديدة من الغرين يرسبها النهر ، كما كان النيل ينحسر عن طبقات أخرى فتصبح جافة قاحلة . ولقد دلت الحفائر التى عملت فى هذه الجهات على أن مدافن كل جماعة من السكان قد استمرت ممثلة منذ عهد ما قبل التاريخ حتى يومنا هذا على الرغم مما أصاب تلك المدافن من نهب وتعمية . أما عدد هذه الجماعات ومقدار ما كان عليه أهلها من سعادة فكان يختلف كثيراً من عصر لعصر . وهذا الاختلاف يرجع أحياناً إلى التغيرات التى كانت تحدث فى منسوب النيل ، وبعضه يرجع إلى الأحوال الإدارية والتجارية فى البلاد . فيلاحظ مثلاً أن ارتداد الزراعة من طبقات عليا إلى أخرى سفلى من الأرض بين عهد ما قبل الأسرات وعهد الدولة القديمة يرجع سببه إلى انخفاض فى منسوب النيل العالى ، فى حين أن الزيادة العظيمة فى عدد السكان فى عهد الدولة الحديثة ثم فى عهد البطالمة والرومان قد يرجع إلى إقامة المؤسسات الدينية التى كانت تعتمد فى تمويلها على الضرائب التى تجبى من نقل السلع من السودان إلى مصر وبالعكس ، وهذه المؤسسات لا تزال آثارها باقية حتى الآن .

وقد دلت نتائج الفحص عن الهياكل البشرية التى وجدت فى أقدم الجبانات النوبية من عهد المجموعتين الثقافيتين (أ) A و (ب) B على أن أقدم سكان شرع عليهم كانوا موحدين مع أقدم سكان ظهوروا فى مصر ، أى مع القوم الذين يسمون مصريي عهد ما قبل الأسرات . فقد وجد أن هؤلاء القوم أنفسهم — بعد فحص هياكلهم الباقية — من نفس سلالة المصريين الذين سكنوا مصر قبل ظهور الأسرات المصرية ؛ كما أن فخارهم وآلاتهم المصنوعة من الطران ومدخراتهم من المواد الغفل ومصنوعاتهم

(١) والظاهر أن أول سكان وادى النيل قد سكنوا فى سفح التلال وقد دخلوا مصر من الجنوب .

من المعدن وأوانيتهم الحجرية وجلودهم المدبوغة ونسبجهم وحصيرهم وحليهم وتعاويذهم المصنوعة من الحجر والعاج والخزف المطلق كانت كلها مطابقة في مادتها وشكلها وصناعتها للأشياء التي وجدت من نفس العهد المصري . وبعبارة أخرى لم يكن مصريو عصر ما قبل التاريخ يحتلون وادي النيل من إقليم القاهرة حتى الشلال الأول وحسب ، بل كانوا يمتدون حتى منطقة الشلال الثاني على ما يظهر^(١) . وكانت الحيوانات الأليفة والبرية المعروفة للسلالة النوبية القديمة تشبه كثيراً الحيوانات التي في عصر هؤلاء . ولا نزاع في أن الزراعة كانت شائعة في النوبة كما كانت في مصر ، يضاف إلى ذلك أن التعامل الدائم بين القبائل القاطنة على امتداد النهر كان موجوداً ، يدل على ذلك ما نجده من وحدة في أشكال ومادة وصناعة كل الأشياء التي كان يستعملها الأهليون وقتئذ ، هذا إلى أن الأشياء التي وجدناها مصنوعة من مواد مستخرجة من مساحة واحدة فقط من الوادي كانت توجد بنفس الكثرة في سائر جهات الوادي الأخرى . مثال ذلك السكاكين المصنوعة من الظران . هذا وكانت طرق النقل هي السفن التي تجرى في النيل منذ القدم .

وقد دل الفحص على أن سكان بلاد النوبة ومصر كانوا ينسبون إلى الجنس الحامى^(٢) ، وكذلك ثبتت نسبتهم على وجه التأكيد للوبي شمالي أفريقية والأجناس الذين يقطنون في شرقها وهم سكان الصحراء الشرقية الواقعة بين النيل والبحر الأحمر وبلاد الصومال .

ولا نعرف حتى الآن إذا كان سكان وادي النيل قد نشثوا من طبيعة تربتهم الأصلية أو وفدوا إلى البلاد عن طريق الهجرة . وإذا كانوا من المهاجرين فرضاً فمن أى طريق أتوا إلى وادي النيل ؟ . ومن جهة أخرى لا نعرف إذا كان المصريون

(١) راجع Junker, (Kubanieh-Nord), II f., 34

(٢) راجع Junker, The First Appearance of the Negroes in History, J. E. A., vol. 7,

p. 121 ff.

(٣) راجع Steindorff, Aniba I, p. 2 : The Cultures of Prehistoric Egypt, p. 48

والنوبيون في الأصل ينسبون إلى ثقافة حامية مشتركة أو لا ينسبون ، وذلك لأن كل الطبقة الأثرية التي بعد شلال «أسوان» قد اختفت ، غير أن الأستاذ «ينكر»^(١) يعتقد أن الوحدة التي توجد بين الأواني المصنوعة من الفخار ، وكذلك تشابه العادات الجنائزية مثل دفن الجسم مقرفصاً تعد من الثقافة الحامية . وعلى ذلك يظن أن مركز هذه الثقافة هو شمالى بلاد أسوان ، وأن هذا الجنس من الناس قد زحف في استعماره نحو الشمال حتى الوجه القبلى . ومع ذلك نجد أن الأستاذ «ينكر»^(٢) لا يقطع برأى فيما إذا كان هؤلاء القوم هم أول جماعة وفدوا على وادى النيل أو أنه كان يوجد قبلهم سكان أصليون خضعوا للسكان الوافدين الجدد . وعلى أية حال فإن رأيه النهائى هو أن الثقافة الحامية هي أصل ثقافة الوجه القبلى . ومن جهة أخرى لانعرف إذا كانت ثقافة «البدارى» التي تؤرخ بحوالى ٤٠٠٠ ق . م . وتقع في مصر الوسطى لها ارتباط بالثقافة النوبية أيضاً أو لا ترتبط بها . ولا مرء في أنه توجد علامات في الفخار الذي وجد في «البدارى» وبخاصة أواني الفخار الأحمر المصقول ذى الفوحة السوداء ، فإن هذه الأواني تمتاز بخفة الوزن كما يمتاز سطحها بتموجات ، وقد وجدت مثيلاتها في الفخار النوبى الذي يرجع إلى عهد المجموعه الثقافية A الأولى والثانية ، غير أن هذا التوافق يوجد بجانبه تخالف من نواح كثيرة ، فلا يعد برهاناً كافياً لإثبات الرأى الذى اشترك فيه كل من «ينكر» والأستاذ «شارف» ، وهو القائل بأن منطقة «البدارى» الثقافية تمتد حتى بلاد النوبة القديمة ، أى أن ثقافة البدارى بنيت عليها ثقافة المجموعة A . هذا ويعتقد الأثرى «برنتون» أن ثقافة البدارى قد امتدت إلى بلاد النوبة حيث تطورت هناك كثيراً وانحطت إلى درجة محسنة^(٣) إذ يقول : إن كثيراً من الأمثلة المقابلة للأشياء التي ترجع إلى عهد

(١) راجع The Cultures of Prehistoric Egypt, p. 78

حيث تقول المؤلثة : إن السلالة الثانية من سكان «قادة» قد أتوا من «آسيا» عن طريق «وادي حمامات» في حين أن السكان الذين كانوا موجودين قد وفدوا من الجنوب .

(٢) راجع Kubanieh-Nord, II f; 34

(٣) راجع Brunton, Badarian Civilisation, p. 40

ما قبل الأسرات المبكر المستخرجة من حفائر « البدارى » ، وبخاصة الصوفان والمخارز المصنوعة من العظم وما أشبه ذلك قد وجدت في بلاد النوبة . وقد استمر استعمال الأواني الفخارية ذات السطح المموج في صور مختلفة إلى أزمان متأخرة (حتى الألف الأولى ق . م .) . وأهم ما يلفت النظر بين هذه الأشياء أشكال الفخار المستعملة في كل من المنطقتين فنجد أن الكأس التي كانت أكثر الأشكال شيوعاً واستعمالاً في « البدارى » كانت توجد كذلك بكثرة في بلاد النوبة حيث استمرت عدة قرون مستعملة في أنحاء هذه البلاد . وهذا التشابه في المواد المستعملة وهو الذي يدعى هؤلاء العلماء أنه جاء عن أصل ثقافة حامية عتيقة لا يقدم لنا أى برهان على وجود أى اتصال ثقافى بين ثقافة « البدارى » وثقافة بلاد النوبة القديمة في عصر ما قبل التاريخ .

ومن جهة أخرى نرى أن ثقافة « البدارى » التي ترجع إلى حوالى ٤٠٠٠ ق . م . قد أعقبتها أول حضارة قامت في الوجه القبلى في مدينة « أمبوس » (نبتى) وموقعها الآن البلدة المعروفة باسم « نقادة » وهي التي يطلق على حضارتها « ثقافة نقادة الأولى » ، غير أن هذه الثقافة الأخيرة لم تؤسس بدورها على غرار الحضارة النوبية . والغريب أنه لم يوجد لهذه الثقافة الأخيرة أثر في بلاد النوبة إلا في جبانة واحدة وهي جبانة « بهان » الواقعة على مسافة قريبة جنوب شلال أسوان ، أى في أقصى الحد الشمالى لبلاد النوبة . وبذلك يكون من الجائز وجود محطة في عهد « نقادة » الأول يرجع تاريخها إلى عصر ما قبل التاريخ ، ويحتمل أنه قد أقيم فيها مستودع تجارى وكان لعمال هذا المستودع الجبانة رقم ١٧ ، وعلى أية حال فإن هذه الجبانة تشمل عدداً من المقابر يلفت ما عثر عليه فيها النظر ، إذ يدل ما وجد فيها من أشياء على أنها تنتمى إلى حضارة « نقادة » الأولى ، ونخص بالذكر من بينها أواني أسطوانية وسطها مفرطح وذات قاعدة مصنوعة من حجر البازلت أو البرشيا ، وأواني من الفخار الأملس لها حافة عريضة سوداء (Black-topped) ، وأواني حمراء مصقولة وأخرى سوداء

مصقولة أيضا وأطباقا مدهونة باللون الأبيض^(١) وأطباقا على هيئة المقمعة من أحجار ذات ألوان متنوعة ومكاحل من الأردواز على شكل معين^(٢). وعلى أية حال فإن موقع « بهان » لا يعتبر دليلا مقبولا^(٣) على أن أول ثقافة نوبية قد أسست في الوجه القبلي كما أسست في بلاد النوبة السفلى. هذا ويظن الأستاذ « ستيندورف » أنه في هذا العهد العتيق لم يكن أهالي النوبة من الأقوام المتحضرين بل كانوا لا يزالون يعيشون عيشة البدو الجائلين وكانوا رعاة أكثر منهم مزارعين ، ومن أجل ذلك لم يكن لديهم ضرورة ملحة لتذوق عيشة الاستقرار الثقافية والاشتغال بالتجارة .

وكشفت أعمال الحفر للمرة الأولى في أديم بلاد النوبة عن عدد عظيم من المقابر تحتوي على أشياء ثقافية ترجع إلى الألف الرابعة قبل الميلاد ، وهذه الأشياء تنسب بلا شك إلى « ثقافة نقادة الثانية » التي نبعت من « ثقافة نقادة الأولى » وقد ظهر فيها عناصر جديدة كثيرة وبخاصة الفخار ذا المقابض المموجة . وهذا الفخار يضرب بأعراقه إلى فلسطين وسوريا اللتين نقل عنهما . وقد انتقل إلى بلاد النوبة عن طريق الحدود المصرية وقد وجد هذا الفخار مستعملا في بلاد النوبة حتى الشلال الثاني في « جمى » الواقعة على مسافة خمسة عشر ميلا جنوب « وادى حلفا » .^(٥)

وعلى ذلك نجد أنه قد أصبح لدينا في عصر ما قبل التاريخ ما يمكن أن نطلق عليه اسم « مصر الكبيرة » الموحدة من حيث الجنس والثقافة وتمتد من أول « وادى حلفا » حتى « الدلتا » .

(١) راجع Reisner, Ibid, Pl. 60 a, b

(٢) راجع Reisner, Ibid, Pl. 63 a

(٣) راجع Scharff, Vorgeschichte, p. 38-9

(٤) تقول « الزبوجارتل » أن السلالة الثانية من سكان « نقادة » بقدر غزوا وادى النيل

وهم أسويون وحضارتهم أرقى من حضارة قوم نقادة الأول . راجع The Cultures of Prehistoric
eto., p. 50.

(٥) J.E.A., vol. 3, p. 219

ولدينا بجانب المواد الثقافية المصرية البعثة التي انتقلت من مصر إلى بلاد النوبة مواد ثقافية أخرى من أصل نوبى لا توجد مثيلاتها في مصر ، ونخص بالذكر من بين هذه أواني الفخار الدقيقة الصنع المصقولة ذات اللون الأحمر والتي يزين حافتها شريط ضيق أسود . وهذه الأواني تعد نتاجا خاصا ببلاد النوبة . وقد لاحظ الأستاذ « ينكر »^(١) أن هذه العلامة ليست المميز الرئيسي لهذا النوع من الفخار بل تعد المادة واللون والطلاء الأسود الداخلى وخفة وزن الفخار بوجه خاص هى الأسس القوية التى تميز هذه الأواني عن الأواني المصرية . وقد اختلفت الآراء فى أصل هذه الأواني ذات الحافة السوداء فيقول الأثرى « فرث » إنها تقليد للأواني الفخارية ذات الشريط الأسود ، ويعنى بذلك أن صانع الفخار النوبى قد عمل تجريبته الأولى من فخار مستورد من مصر . ويرى الأستاذ « ينكر »^(٢) أن هذه الأواني من صناعة مصرية نوبية مشتركة فى عصر ما قبل التاريخ المبكر . وقد أخذت تتغير فى مصر شيئا فشيئا ولكنها بقيت ثابتة فى بلاد النوبة ، ويوافق على هذا رأى الأستاذ « ستيندورف » ويقول إن أقدم فخار مما له مقبض قد جلب إلى بلاد النوبة من مصر غير أنه لم يستعمل وحده باستمرار ، إذ نجد منذ العصور القديمة أن الأواني الفخارية المهداة للتوفى كانت تصنع فى البلاد نفسها دون مشقة على أنها تقليد للأواني ذات الشريط الأسود ، ولا نزاع فى أنها كانت متأثرة بها وماخوذة عنها .

بدء الخلاف فى حضارة القطرين :

وقد تم اتحاد البلاد المصرية سياسياً كما هو معلوم على يد « مينا »^(٣) حوالى عام ٣٢٠٠ ق . م . ، ومن ثم بدأ العصر التاريخى فى الجزء الأسفل من النيل ، وعندئذ نشأت مصر الحقيقية . وقد ولدت مصر ذات كيان جديد قوى لم يتغير مدة

(١) راجع . Kubanich-Süd, p. 54.

(٢) راجع . Kubanich-Süd, p. 59.

(٣) يميل بعض المشتغلين بمسائل التاريخ إلى جعل بداية حكم مينا حوالى ٣٠٠٠ ق . م .

ألف سنة من الزمان . ومن ثم خلق في مصر فن جديد واخترعت الكتابة المصرية ، وبذلك ختم العصر البدائي المعروف بعصر الثقافة النحاسية الحجرية التي يميز بها عهد ما قبل التاريخ أو ما قبل الأسرات .

وهذا التطور العجيب الذي حدث في مصر في مدة قرن أو بضع عشرات من السنين لم تسهم فيه بلاد النوبة بنصيب ما ، إذ لم يمتد الروح المصري الحديد الذي دب في أرض الكنانة إلى ما وراء الشلال الأول بعد « أسوان » بل ظلت تلك البلاد في سباتها العميق متخلفة عن ركب الحضارة ، ومن أجل ذلك نجد هوة صحيحة بين الثقافة النوبية التي تنسب إلى العصر الحجري والثقافة التي ازدهرت في مصر الحديدية على يد « مينا » . وهذه الهوة قد ازداد عمقها ولم تسد قط طوال العصور التاريخية . وقد زاد في شقة التباعد في المدينة في البلدين ظهور العنصر الزنجي الجنوبي بكثرة محسنة . وهؤلاء من جنس مختلف عن سكان بلاد النوبة وعن المصريين أنفسهم في الوقت ذاته . وسنتحدث فيما بعد عما أسفرت عنه نتائج أعمال الحفر من الوجهة الثقافية والاجتماعية .

وتنقسم الثقافة A إلى عصرين مميزين أحدهما قديم ويرجع إلى عصر ما قبل التاريخ أو ما قبل الأسرات ، والآخر أحدث منه ويقابل العصر التاريخي المبكر الأسري ، وهو يقابل عهد ملوك الأسرتين الأولى والثانية في التاريخ المصري .

المجموعة الثقافية A (رقم ١) :

وجدت مقابر من عهد هذه المجموعة ومن المجموعة B وكثير غيرها من العصور التي تلتها وبخاصة المجموعة الثقافية C في الأماكن التالية من بلاد النوبة :
(١) « الكوبانية » وتقع شمال « أسوان » على الشاطئ الأيسر للنيل : (٢) وبلة

« رزق الله » الواقعة بالقرب من « دبود » في الجبانة رقم (٣٠)^(١) (٣) وكذلك في جبانة « مريس » و « مرقص » رقم ٤١ في مستعمرة قريبة تابعة لها^(٢) . (٤) وفي بلدة « دهميت » في الجبانة الشرقية رقم ٤٣^(٣) . (٥) وفي « جرف حسين » بالجبانتين رقم ٧٣ و ٧٩^(٤) (٦) وفي جبانات « دكة » ١٠١ إلى ١٠٣^(٥) وتحتوى على أكثر من ستمائة مقبرة وتعد من أعظم المدافن النوبية من عهد ما قبل التاريخ حتى العهد النوبى المتوسط أى المجموعة الثقافية C . وأقدم مقابر هذه الجبانة تقع في مستعمرة عتيقة في الجنوب وتمتد منها الجبانة نحو الشمال ، وقد أقيم على الجبانة الجنوبية التى في هذه الجهة مقابر جديدة^(٦) . (٧) وكذلك في « كوبان — العلاق » في الجبانة رقم ١١١^(٧) و (٨) وفي « السيلة » بالجبانة رقم ١٣٤^(٨) .

وفي هذه الجبانات السالفة الذكر نجد أن القبر كان صغيراً ومسطحاً وأن الجسم قد وضع فيه مضطجماً ومقرفصاً على الجانب الأيسر والرأس متجه نحو الجنوب وكان في العادة يغطى الجسم بحصير ، أو جلد حيوان .

أما الأثاث الذى وضع مع المتوفى فيحتوى على أوان من الفخار صناعتها مصرية نذكر منها القعاب الحمراء اللون المصقولة التى يحيط بها شريط أسود ، والأواني ذات الحافة السوداء والفخار الأسود المصقول ، والفخار ذا العروة الموجة والأطباق الصلبة

(١) راجع Reisner, p. 191 ff

(٢) راجع Reisner, pp. 208-211, 215 ff

(٣) راجع Reisner, p. 246

(٤) راجع Firth, The Archaeological Survey of Nubia Report for 1908—1909, [vol. I, p. 6 f, 99 ff.

(٥) راجع Ibid, pp. 101-103

(٦) راجع Firth, II, pp. 51-104

(٧) راجع Firth, III, p. 98 ff

(٨) راجع Firth, III, p. 192 ff

ذات اللون الأحمر الداكن وهي التي يرسم عليها أشكال هندسية أو صور^(١)، هذا إلى أوان من الحجر مخططة تشبه الأواني المصرية التي من عصر ما قبل التاريخ . وقد جىء من مصر بأوان للكحل من الاردواز الأخضر بعضها مستطيل الشكل وبعضها شكله معين أو ممثلة في هيئة حيوانات أو بيضبة الشكل برأس طائر، هذا إلى قلائد من الخرز^(٢)، كما وجدت أطباق ورءوس مقامع كثرة الشكل مصنوعة من أحجار مختلفة الألوان، وقد وجد كذلك مع المتوفى سكاكين مصنوعة صنعاً جميلاً وأسلحة كالحراب ورءوس سهام مصنوعة من حجر الظران، ويلاحظ هنا أن النحاس كان نادر الوجود في هذه المقابر.

المجموعة الثقافية A (رقم ٢) وتقابل في التاريخ المصري العصر الأسري المبكر :

وجدت آثار لهذه المجموعة في فيرالما كن التي ذكرناها فيما سبق في جباتي «السيالة» رقم ١٣٦ و ١٣٧ وفيهما وجدت مدافن الأمراء النوبيين وقد قام بأعمال الحفر فيها الأثرى «ثوث»^(٣) . وفي «بجع وادي» بمركز «السيالة» بالجبانة رقم ١٤٢^(٤) . وفي «السبوع» بالجبانة رقم ١٤٨^(٥) وفي جبانة «عينية»^(٦) وأخيراً في «فرص»^(٧) .

ويلاحظ في مقابر هذا العهد أن المتوفى كان يدفن في حفرة مكسوة بالحجر الرمل كما كانت توجد أحياناً مقابر على هيئة خلية النحل^(٨)، ووجدت الجثة موضوعة نفس الوضع الذي وجدت عليه في مقابر مجموعة A (رقم ١) وكان يدفن في غالب الأحيان شخصان أو أكثر في قبر واحد .

(١) راجع مصر القديمة جزء ثان ص ٨٣

(٢) راجع Reisner, The Archaeological Survey of Nubia Report for 1907—1908, Pl. 67, 1-7, 10-13.

(٣) راجع Firth, III, pp. 199, 204 ff

(٤) راجع Firth, III, p. 213

(٥) راجع Firth, III, p. 220 ff

(٦) راجع Steindorff, Aniba I, p. 24 ff

(٧) راجع Faras, Proto-Dynastic Settlement and Cemetery, p. 4 ff

(٨) راجع Firth, I, p. 197 ; III, p. 127

أما الأثاث الذى كان يوضع مع جثة المتوفى فيحتوى على أوان من الفخار المصرى كالتى وجدت فى مقابر المجموعة A (رقم ١) ، هذا إلى وجود فخار نوبى مصنوع فى معامل محلية يضاف إلى ذلك أوان من الفخار الأحمر المصقول ذات فوهة سوداء (Black-mouthed) وأشكال جديدة أخرى مثل الفخار المدبب من أسفل وعلى سطحه أشكال مطبوعة ، وأوان جميلة دقيقة السمك لونها أحمر^(١) . وأوان من الحجر كالتى ذكرناها فى المجموعة A (رقم ١) وأطباق للزينة من الاردواز المائل للخضرة ذى الشكل المستطيل ، هذا إلى أوان من هذا النوع لكل منها رأس طائر^(٢) . أما الأشياء الحديدية التى عثر عليها فى مقابر هذا العصر فهى أطباق للزينة مستطيلة الشكل وبعضها على شكل معين مصنوعة من حجر الكوارتز الأبيض وأحجار أخرى صلبة ، وكذلك عثر فيها على قلائد للزينة ومقامع كثرية الشكل وآلات من النحاس كالخراز والبلطة والمنقاش وهذه الأشياء قد وجدت بكية تفوق التى وجدت فى مقابر المجموعة A (رقم ١)^(٤) .

علاقة مصر ببلاد النوبة فى العصر الطينى^(٥) :

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن المجموعة الثقافية B وهى التى تقابل « عصر

(١) راجع Firth, I, Pl. 46 a,b ; II, Pl. 128 d; III, Pl. 19 a,b

(٢) راجع Firth, III, Pl. 21 c

(٣) راجع Reisner, Pl 67, and 68 a

(٤) راجع Firth, III, Pl. 226

(٥) راجع The Origin and Development of Trade and Cultural Relations of Ancient

Egypt with Neighbouring Countries. (Papers presented by the Soviet Delegation at the 23rd International, Congress of Orientalists (Egyptology by V. Avdief.), p. 25 :

حيث يقول : منذ العهد العتيق أو بعبارة أدق منذ عهد ما قبل الأسرات عندما ظهرت لأول مرة مساكن الفالخين للأرض فى وادى النيل ، أخذ المصريون يوطدون التجارة والعلاقات الثقافية مع الأقوام والقبائل المجاورة ، يؤكد ذلك أنواع المواد المختلفة التى جلبت إلى مصر من البلاد المجاورة وبخاصة الذهب والعاج والنحاس وحجر الأبيديان فقد تسلم المصريون الذهب من الصحراء الشرقية الواقعة بين النيل والبحر الأحمر . وكانوا يجلبونه غالباً من الجزء الجنوبي من هذا الاقليم الواقع =

الأهرام » أن نتحدث عن العلاقات السياسية والتجارية التي كانت بين مصر وبلاد النوبة في العهد الطيني لنعرف مدى الاتصال بين البلدين في تلك الفترة التي أخذت فيها مصر في أسباب التطور ووقفت فيها بلاد النوبة جامدة لم تتحرك في سبيل الحضارة والعمران .

لقد كان المظنون من الثقافة النوبية ، وهي من نوع الثقافة المصرية في عصر ما قبل التاريخ ، أن تسير بخطى واسعة مثلها ولكنها تأخرت عنها وقد وجدت فعلا كما ذكرنا في مجموعة A الثقافية في بلاد النوبة أوان من الفخار والحجر مصرية الأصل مما يدل على تبادل التجارة بين البلدين . هذا وقد وجدت في مقابر مصرية معاصرة

= جنوبى طريق فقط — القصير . والواقع أن المركز الرئيسى على أية حال للذهب هو النوبة الواقعة على الحدود الجنوبية لمصر . وقد أرسل المصريون إلى بلاد الجنوب في أثناء طلبهم الذهب منذ الأزمان القديمة ، وقد اجتهدوا أولا في اختراق مجاهل هذه الأقاليم ثم عملوا على الاستيلاء عليها وفي الوقت نفسه عملوا على إيجاد روابط تجارية مع القبائل المتوطنة هناك . ومن الجائز أن هذا السبب نفسه هو الذى من أجله سميت العاصمة الجديدة لمصر العليا المدينة الذهبية (نبتى) . ومن هذه العاصمة كانت تخرج الطرق التجارية ممتدة شرقا وجنوبا ، والواقع أنه هنا في المقاطعة الخامسة من مقاطعات الوجه القبلى قد عثر على أغنى مقابر عصر ما قبل الأسرات وعصر الأسرات المبكر . وتبرهن الكميات الكبيرة من أدوات الزينة المصنوعة صنعا فائرا والقلائد الذهبية والأسوار ومقابض السكاكين الذهبية المحلاة بالصور والنقوش على مهارة صائغى هذا العهد . ولا غرابة إذا في أن الكلمة المصرية الدالة على « الذهب » كانت تكتب بإشارة هيرغليفية تدل على قطعة من المجوهرات ويدل شكلها الظاهرى على أنها قلادة محلاة بالخرز .

وقد أحضر المصريون العاج بكميات مماثلة من الأراضى الجنوبية . ففي العهد العتيق استعملوا العاج لصناعة مختلف الأشياء مثل الأساور والخواتم والملاحق ومقابض السكاكين والأمشاط ، والقلائد والدبابيس وقطع الأثاث والأختام الاسطوانية ، والآلات السحرية والتماثيل الصغيرة وأدوات الكتابة الخ . وقد وجد كثير من هذه الأشياء في مقابر العهد العتيق ويوجد على تماثيل للاله مين في فقط المثل بعضو التذكير منتشرا صورة فيل . وقد بقيت صناعة الحفر والعاج بمنازة الصنع حتى الأسرة الرابعة ، ومنها تماثيل الملك خوفو ، وليس لدينا من الأسباب ما يجعلنا على الظن أن القبيلة كانت في مصر القديمة كما زعم « برستد » . ولا نزاع في أن سن الفيل كان يجلب من أقاليم جنوبية نائية ، والمكان الذى كان يخزن فيه العاج هو المدينة الرئيسية للمقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى ، وكان موقعها على الحدود الجنوبية لمصر بجوار الجزيرة التي سميت لهذا السبب : جزيرة الفيلة . وتدل شواهد الأحوال على أن المصريين قد أحضروا من الأقاليم الجنوبية النعام وربشه وبيضه وقد عثر على صور نعام على أوان من الطين من العهد العتيق .

محاصيل نذل على اتصال التجارة بين البلدين . ففي بعض المقابر المقامة من اللبنة بـ « العرابة المدفونة » وجدت أشياء من خشب الأبنوس^(١) والمفهوم بوجه عام أن خشب الأبنوس من شجرة هندية الأصل (Diospyros) ، ولكن برهن كل من الأثرى «لوريه» و «بوريفاج» على أن هذا النوع من الشجر كان ينمو في السودان ، وعلى ذلك كان يتجر فيه مع مصر .

ومن جهة أخرى وجد العاج بكثرة في مقابر هذا العهد وغيره من مقابر العصر الطيني وهذا يدعونا إلى التساؤل عن سبب وجوده والواقع أن الفيل كان ينتقل من مكان لآخر فمثلاً نعلم أن ملوك البطالمة كانوا يصطادون هذا الحيوان من البحيرات الواقعة على الساحل الغربى للبحر الأحمر^(٢) ويدل وجود عدد كبير من الآلات المصنوعة من سنّ الفيل في عهد « ثقافة نقادة الأولى » ، ووجود صور للفيل على الآثار المصرية في عصر ما قبل الأسرات وما بعده على أن هذا الحيوان كان على الأقل موجوداً حتى الحدود المصرية^(٣) ، ويحتمل جداً أن اسم بلدة « الفنتين » (أبو^(٤)) فيه إشارة تدل على ذلك . وقد كتب الأستاذ « زيتة » عن « الفنتين » التى يكتب اسمها بصورة فيل أنها المكان الوحيد في وادى النيل السفلى الذى وجد فيه الانسان الفيل . أما التفسير القديم الذى يقول إن « الفنتين » قد سميت بهذا الاسم لتبادل تجارة سنّ الفيل فيها فلا يؤخذ به .

وتدل شواهد الأحوال على أن الحدود بين مصر وبلاد النوبة السفلى من حيث المجلس لم تكن قط في كل العصور هى الشلال الأول بل كانت أبعد من ذلك شمالاً عند مضيق النيل الذى يشاهد عند بلدة « السلسلة » الحالية وكانت بلدة « الفنتين »

(١) راجع Petrie, Royal Tombs 1, 11, 22, 40 : II, 22

(٢) راجع Kortenbeutel, Der Ag., Sud.-und osthandel in der Politik der Ptolemäer und

Römischen Kaiser Diss, Berlin 1931, p. 27, 36 ff.

(٣) راجع Sethe, Urgeschichte, p. 125

(٤) كلمة « أبو » بالمصرية معناها الفيل وترسم بخصص هذا الحيوان .

تعد دائماً أرضاً مصرية تفصل بلاد النوبة عن مصر ، ومن أجل ذلك كانت تسمى أقصى مقاطعة مصرية في الجنوب « تاسى » أى أرض النوبة^(١) . وليس لنا علم بالوقت الذى وسعت فيه للمرة الأولى مصر حدودها نحو الجنوب . ولكن المحقق أن هذا التوسع قد حدث فى وقت مبكر إذ فى عهد الأسرة الثالثة كانت توجد على ما يظهر بعض حصون فى « الفتين » فقد وجد اسم الملك « حونى » على قطعة من الجرانيت يحتمل أنها من حصن قديم هناك . غير أن ذلك مجرد تخمين^(٢) . ويقول « ينكر » من جهة أخرى إن تأسيس هذا الحصن كان فى عصر ما قبل الأسرات مباشرة^(٣) . وقد يكون ذلك فرضاً صحيحاً غير أنه ليس لدينا ما يؤيد هذا الفرض .

وجاء على لوحة للملك « عحا » عبارة « ضرب ستى » غير أننا لا نعرف إذا كان المقصود هنا بكلمة « ستى » هو بلاد النوبة أو مقاطعة « تاسى » أولى مقاطعات الوجه القبلى من الجنوب .

ونجد فى قبر الملك « ودمو » أحد ملوك الأسرة الأولى « بالعبارة المدفونة » أنه استعمل فيه قطعاً من الجرانيت الأسود مما يدل على أن « الفتين » كانت على ما يظن فى يد المصريين لأن هذا الحجر كان يستخرج منها^(٤) .

وفى عهد الأسرة الثانية نرى نشاطاً سياسياً مصرية خارج حدود مصر ضد بلاد « تاسى » يدل على ذلك لوحة النصر التى أقامها الملك « خع سخم » وقد عثر عليها فى بلدة « هيراكنبوليس »^(٥) (الكاب^(٦) الحالية) . ولكن مما يؤسف له جدّ الأسف

(١) راجع كتاب أقسام مصر الجغرافية للؤلف ص ٣٣ الخ .

(٢) راجع Borchardt, Altägyptische Festungen, etc., p. 41 ; A.Z., 46 p. 12 ff

(٣) راجع Kubanieh-Süd, p. 5

(٤) راجع Petrie, Royal Tombs, II, p. 9 f

(٥) راجع كتاب أقسام مصر الجغرافية للؤلف ص ٣٩

(٦) راجع Quibell, Hierakonpolis, II, Pl. LVIII

أن هذا الأثر قد وجد مهشما ولكن بقيت منه صورة العدو المقهور على أمره ظاهرة وعلى رأسه العلامة الدالة على لفظة « ستي » أى النوبة . وقد ظن الأستاذ « نيوبرى » أن أسطورة الآله « حور » التى وضعت فى العصور المتأخرة فى معبد « أدفو » توجد فيها نواة تاريخية وأنها تعكس أماننا الحرب التى شنها هذا الملك على أعدائه النوبيين^(١) . ففى نقش « أدفو » هذا ذكر كيف أن الملك المؤله « حور أختى » عند عودته من حملة مظفرة على بلاد النوبة كشف عن مؤامرة ثورية فى مصر ، وبعد أن قضى على الثوار واقتفى أثرهم حتى « ثاروا » على الحدود الشمالية للدلتا رجع إلى الجنوب وهزم البقية الباقية من الأعداء فى بلاد « واوات » فى « شاسحرت » . وقد تناول الأستاذ « كيس » هذه الخرافة بالنقد مقننا^(٢) إياها ، وقال عنها إنها تشير إلى حرب متأخرة ، هذا إلى أن اسم « شاسحرت » من عنصر طرازه متأخر وضعت فى عصر حديث نسبياً^(٣) ، فهذا المكان موقعه هام كما يدل على ذلك نقش فى متحف « اللوفر » من عهد الأسرة السادسة والعشرين إذ جاء فى هذا النقش أن الجنود المرتزقة فى عهد الملك « ابريز » (٥٨٨ — ٥٦٨ ق . م .) قد هاجروا إليه وقد منعهم من ذلك المشرف على فتح باب الجنوب للبلاد الأجنبية^(٤) . ومن أجل هذا يجب ألا نجعل لما جاء فى هذه الخرافة الديلية صلة بسياسة الملك « خع سنخم » .

هذا وقد نسب كل من « أمرى » و « كروان » سقوط مجموعة A وهى التى وجدت آثارها فى هذا الوقت فى المقابر النوبية إلى الحروب التى شنها « خع سنخم »^(٥) . غير أنه يصعب البرهنة على صدق هذه النظرية .

(١) راجع Newberry, Ancient Egypt, (1922), p. 40 ff

(٢) راجع Kees, Kultur und Urgesch., p. 345 ff

(٣) راجع Dic. Geogr., V, p. 107

(٤) Louvre A. 90

(٥) Schafer, Kriegerauswanderungen Unter Psammetik und Soldneraufstand unter

Apries. Lehmann Kornemann, Beitrage zur Alten Geschichte, IV, 152 ff, Leipzig, 1904.

(٦) Emry-Kirwan, The Excavation and Survey between Wadi Es-Subua and Adindan. p. 2

ولدينا نقش آخر عثر عليه في « جزيرة سهيل » يرجع عهده لعصر البطالمة جاء فيه أن الملك « زوسر » يهدى للإله « خنوم » رب « الفنتين » إقليم « دودكاشوينوس »^(١) النوبي . وحقيقة الأمر في ذلك أن كهنة الإله « خنوم » إله « الفنتين » أرادوا أن يحمو حقوق هذا الإله القديمة من جور الإلهة « أزيس » التي أدخلت عبادتها حديثاً على شعائر القوم في معبد « الفيلة » (أنس الوجود) ، وقد لعبت دوراً هاماً في تاريخ مصر في هذا العهد ، وكان لها مكانة عظيمة بقيت حتى نهاية العهد الوثني ، فلجأ كهنة « خنوم » كما كانت الحال دائماً إلى الخرافات القديمة لتجديد حقوقهم وتمسحوا بملك قديم ذائع الصيت كان مؤلهاً ولا تزال ذكرياته في أذهان القوم . ولا خرابة في أن انتخب هؤلاء الكهنة « زوسر » فإن وزيره « المحتب » كان في الأزمان المتأخرة يعد لها أو بطلا من أبطال التاريخ المصري . وليس في التجاء كهنة « خنوم » إلى وثائق قديمة أى دليل على أن أرض « الدودكاشوينوس » كانت ملكاً للفرعون « زوسر » فعلاً وأنه كان مستولياً عليها — كما ادعى بعضهم ذلك — فإنه لم توجد لدينا أية وثيقة أصلية تدل على أن هذا الملك كان ذا نشاط سياسي في البلاد الواقعة جنوب مصر أى في بلاد النوبة .

أما أول حملة رسمية تاريخية على بلاد النوبة فكانت في عهد الملك « سنفرو » أول ملوك الأسرة الرابعة وقد جاء ذكرها على حجر « بلمو » . وهذا الحجر الذي وجدنا قصفاً يحتمل أنه نقش حوالى نهاية الدولة القديمة . وقد جاء فيه ذكر أسماء ملوك المصريين من أول الأسرة الأولى وما بعدها بالترتيب التاريخي ، وكذلك الحوادث الهامة لكل سنة من حكمهم . ولما كانت الوثائق في عهد العصر المبكر تؤرخ على حسب هذه الحوادث الهامة فإن مثل هذه القائمة كانت ضرورية للرجوع إليها . وقد وجدنا واحدة من سنى الملك « سنفرو » (حوالى ٢٩٠٠ ق . م) قد جاء فيها : سنة بناء ال . . . سفناً طولها مائة ذراع من خشب مر ، وتخریب أرض السود وإحضار ٧٠٠٠ أسير من الرجال

(١) أى إقليم الاثنى عشر ميلاً الواقعة خلف الشلال .

والنساء و ٢٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية الكبيرة والصغيرة ،^(١) ألخ. ولكن في هذا الوقت كانت ثقافة مجموعة A في بلاد النوبة السفلى قد انقرضت وظهرت في مقابر الثقافة التي خلفتها ، (أى ثقافة مجموعة B) علامات الفقر المدقع. ومن ثم يميل الإنسان إلى الاعتقاد بأن ثقافة مجموعة A قد لاقت ضربتها القاضية في هذه الحروب التي شنها « ستفرو »^(٢). وهذه السياسة التي ظهر نشاطها في بلاد النوبة يحتمل أنها السبب الموضح لذكر إله النوبة « ددون » في متون الأهرام . ومما يجدر ذكره هنا أن الإله « ددون » هذا قد جاء ذكره في متون الأهرام بوصفه جالب البخور الذي يعد من محاصيل البلاد الجنوبية^(٣) .

ثقافة المجموعة B في بلاد النوبة :

بعد هذه اللحة عن علاقات مصر ببلاد النوبة في العهد الطيني حتى أوائل الأسرة الرابعة نعود إلى التحدث عن ثقافة المجموعة B كما نستنبطها من مقابر بلاد النوبة . وثقافة هذا العصر تقابل من حيث الزمن عصر بناء الأهرام حتى الأسرة السادسة ، غير أنه لم يوجد فيها أى تأثير مصرى بارز ، فلم نجد في مقابر القوم أى نوع من الكتابة ، هذا إلى أن الفخار الذى وجد في مصر في عصر الأسرة الثالثة لم ينقل إلى بلاد النوبة . والواقع أن الحضارة النوبية لهذا العصر ليست إلا صورة منحطة من ثقافة المجموعة A التي على ما يظهر تختلف عنها .

وقد أثر على آثار لهذه الثقافة في جبانة « الشلال » رقم ٧^(٤) وفي خور « أمبو كول » بالجبانة رقم ١٤^(٥) وفي « جرف حسين » بالجبانة رقم ٧٧ المقابر ١٠٠ ألخ. وهذه الجبانة هامة

(١) راجع Urk. I., p. 236

(٢) راجع Emery—Kirwan, Ibid, p. 2

(٣) راجع Pyr., 1017, 1718, A.Z., 50 p. 74

(٤) راجع Reisner; Ibid p. 33 ff.

(٥) راجع Ibid, p. 141 ff.

لأنها تبين لنا الانتقال من الثقافة A رقم (٢) إلى الثقافة A رقم ^(١) ٣ هذا إلى مدافن صغيرة جداً عن المدافن السابقة كالتى فى الجبانتيـن رقم ٤١ و ٤٥ ^(٢)

ويلحظ أن مقابر هذا العصر كانت بيضية أو مستطيلة الشكل ذات أركان مستديرة والجسم فيها وضع مضطجعا ومقرفصا على جانبه الأيمن أو على الجانب الأيسر فى اتجاهات غير منتظمة ، وغالبا ما نجد الجسم ملفوفا فى جلد ماعز أو فى حصير . أما الأثاث الذى كان موضوعا مع الجسم فكان فى العادة يتألف من أوان من الفخار ، غير أنها لم تكن كثيرة العدد، وأهم نوع هو فخار سميك مصقول لونه أحمر وفخار ذو شريط أسود يشبه فخار ثقافة مجموعة A (١ - ٢) ، غير أنه أكبر منه وأقبح شكلا ، هذا إلى أطباق ساذجة نصف مستديرة ولم يوجد فى مقابر هذا العهد أوان من الحجر. وكذلك كان الخز والكرنالين والأشياء المصنوعة من المحار أو الميناء الزرقاء نادرة الوجود . ولم يعثر بين الآلات النحاسية إلا على المخراز . أما الأدوات المصنوعة من العظم مثل أطراف السهام والإبر ومقابض السكاكين والملاعق فكانت توجد بكثرة فى مقابر هذه الثقافة .

علاقات مصر ببلاد النوبة فى عهد ثقافة المجموعة B :

وصلت بلاد النوبة فى عهد ثقافة المجموعة B إلى درجة عظيمة من الفقر ، ولذلك كان فى استطاعة المصريين أن يرسلوا بضائهم بدون عائق إلى الجنوب . وقد كان من جراء تهديئة الأحوال فى بلاد النوبة السفلى تهديئة واسعة النطاق أن أخذ المصريون يستغلون محاجر الديوريت التى تقع على مسافة تتراوح ما بين ٦٥ إلى ٨٥ كيلو مترا فى الصحراء فى الشمال الغربى من بلدة « توشكى » فكانت الأحجار تجلب إلى « توشكى » هذه ، ومن ثم ترسل إلى مصر على ظهر النيل ، وقد صر فى هذه المحاجر على أسماء الملوك « خوفو » و « ددفرع » و « ساحورع » و « زدكارع » و « أسسى » ^(٣) . وهذا المكان الذى كانت

(١) راجع Firth, I, p. 123 ff

(٢) راجع Reisner, p. 211 ff and 262 ff

(٣) راجع A. S., T. 33, p. 65 ff; T. 38, p. 369 ff and 678 ff.

تقطع منه الأحجار يسمى في النقوش المصرية « حامت » ولا يبعد كثيراً عن طريق واحة « النخيلة » و « دنقلة » . وتدل شواهد الأحوال على أن ملوك الأسرة الرابعة كانوا يقطعون تماثيلهم من حجر الديوريت من هذه الجهة . ولا نزاع في أن استغلال هذه المحاجر الواقعة في صحراء بلاد النوبة وجلبها إلى « توشكى » ثم إلى مصر يدل على أن أهالي بلاد النوبة لم يكونوا محاربين ، ولا غرابة فإن أهل النوبة الفقراء لم يكن لديهم القوة ليقفوا أمام المصريين الأقوياء ، ولذلك كان من صالحهم أن يعيشوا في سلام ومهادنة مع مصر وأن يعملوا على تنمية العلاقات الودية بينهم وبين المصريين .

وهذا النشاط السلمى الذى كانت تسلكه مصر في بلاد النوبة السفلى تدل عليه النقوش التى عثر عليها في « توماس » في عهد الملوك « ساحورع » و « أسى » و « تيتى » و « بيبى الأول »^(١) . يضاف إلى ذلك أنه وجد اسم الملك « خوفو »^(٢) في « جزيرة سهيل » . هذا وقد نقش عدد عظيم من الموظفين أسماءهم وألقابهم على صخور « توماس » ، وبعض هؤلاء الموظفين كانوا يعملون في عهد الأسرة السادسة ومن المحتمل أنهم كانوا معروفين في « الفتين » . وتلقى ألقاب هؤلاء الموظفين ضوئاً على ما كان لهم من نشاط في بلاد النوبة ، فنجد بعضهم كان يحمل لقب « المشرف على السفينة » أو « كاتب السفينة » مما يدل على قيام السياحات في النيل من مصر إلى بلاد النوبة ، هذا إلى أن عدداً كبيراً من هؤلاء الموظفين كان يحمل لقب « المشرف على التراجمة » ، ولدينا اثنان من هؤلاء يحمل كل منهما لقب « المشرف على الجنود »^(٣) ومن المحتمل أن عملهما كان متصلاً بالنشاط الحربى في الصحراء .

وفي عهد الأسرة السادسة أسعفتنا النقوش الأثرية بمعلومات ثمينة تكشف لنا النقاب عن صفحة جديدة في تاريخ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد النوبة ، وذلك

(١) راجع Weigall, Report, pl. 57, 58

(٢) راجع A. S., II, p. 171

(٣) راجع P. S. B. A., 37, 117 ff; Bull. Inst. Fr., 13, 141 ff.

أنه في هذا العهد أخذ الموظفون الذين قاموا ببعوث تجارية مع الجنوب يتحدثون عن رحلاتهم في الجنوب ويوضحون علاقة بلاد النوبة بمصر. ولا بد لنا عند التحدث عن المادة التي لدينا من هذا العهد أن نكون على بصيرة من أن حدود مصر بقيت حتى العهد الروماني عند « الشلال الأول » وأن المصري لم يبحث يوماً من الأيام — على قدر ما نعلم — وراء ضم الجزء الجنوبي من هذه النقطة إلى بلاده ، ويبرهن على ذلك نقشان هامان خلفهما لنا الملك « مرنرع » أحد ملوك الأسرة السادسة في منطقة « الشلال » . والنقش الأول حفر في الصخور الواقعة على الشاطئ الشرقي قبالة « جزيرة هيس » والثاني نقش على الصخور التي في الشارع القديم لمدينة « أسوان » المؤدى إلى « الفيلة ^(١) » . والنقشان موحدان في كلماتهما وهي : « ملك الوجه القبلي والوجه البحري » « مرنرع » محبوب « خنوم » رب « الشلال » السنة الخامسة الشهر الثاني من فصل الصيف اليوم الثامن والعشرون . لقد أتى الملك بنفسه وعاد وقد وقف على ظهر الجبل وقبل أمراء « وارث » و « واوات » الأرض بين يديه ومدحوه كثيراً .

وهذا النقش يدل صراحة على تفتيش للحدود الجنوبية التي أتى إليها من بعيد الأمراء الأجانب من مختلف أنحاء البلاد النوبية ليقدموا لجلالة الملك خضوعهم وولاءهم . ولا نزاع في أن هذا النقش خاص بالحدود، ومن المحتمل أنه كان من نوع النقش البالغ القصر الذي نقشه الملك « وناس » آخر ملوك الأسرة الخامسة في « الفنتين » وقد جاء فيه : « حور — واز — قاوى » ملك الوجه القبلي والوجه البحري « وناس » سيد البلاد الأجنبية معطى الحياة والصحة إلى الأبد محبوب « خنوم » معطى الحياة أبدياً ^(٢) .

ومما يدل كذلك على أن الحدود السياسية لمصر كانت بالقرب من « الفنتين »

(١) راجع Sethe, Urk., I, 110, III.

(٢) راجع Urk., I, p. 69

أنه عندما أنشئت وظيفة « المشرف على الوجه القبلى » فى النصف الثانى من الأسرة الخامسة كانت « الفنتين » أو بعبارة أخرى المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى تعد الحد الجنوبى لنفوذ حامل هذه الوظيفة . ففى كل مرة ذكرت فيها على النقوش كانت تعتبر حدود الدولة منتهية عند الشلال .

وقد أخذت تظهر الأهمية البالغة لمراقبة الحدود عند « الفنتين » فى منتصف الأسرة السادسة، وذلك عندما ظهرت أمامنا وظيفة « حارس باب الجنوب » فى ألقاب أمير المقاطعة فقد سُمى « كار » فى نقش عثر عليه فى « ادفو » من عهد الملك « مرنرع الأول » : « السمر الوحيد وكاتم السر الأول لكل كلمة سرية تأتى من باب « الفنتين » وكاتم السر لكل كلمة تأتى من الباب الضيق للبلاد الأجنبية ، ومن البلاد الجنوبية^(١) . ومثل هذه الألقاب لم يكن يحملها أمراء الجزء الجنوبى من مصر وحدهم بل نجد كذلك أن حاكم مقاطعة (القصر والصيد) (Chenobsokion) المسمى « ثاوتى » فى نقش له ببلدة « القصر والصيد^(٢) » يحمل لقب « المشرف على الوجه القبلى » وينعت بلقب « الذى يملأ قلب الملك (أى ثقته) فى الباب الضيق للجنوب وكاتم سر الباب الضيق للجنوب » ، مما يدل على أن هذه الوظيفة كانت عظيمة الخطر .

وكان الوزير « بيو » فى « منف » فى نهاية عهد الملك « بيبى الثانى » يلقب « المشرف على الباب الجنوبى والمشرق على الباب الشمالى لمصر^(٣) » . ومن مدلول هذه الألقاب نعلم أن الوظيفة التى نتحدث عنها الآن كان لها مكانة عظيمة فى شمالى البلاد كما كان لها خطرهما فى الجنوب ، وأن مراقبة الحدود الجنوبية كانت تلعب دوراً هاماً فى سياسة البلاد كما سيتضح ذلك جلياً عند التحدث عن الحدود المصرية الجنوبية فى عهد الدولة الوسطى .

(١) راجع Urk., I, 253-4

(٢) راجع Urk., I, 257

(٣) راجع Kees, Beiträge zur Gesch. des Vezirats im Alten Reich ; p. 52

وبهذه المناسبة عثر على قطعة بردى لها علاقة بمراقبة الحدود وجدت في نفس « الفنتين » ، غير أنها بكل أسف ممزقة ولم يمكن أن نستخلص منها نتيجة حاسمة .

والظاهر أنها خاصة بمنازعات قضائية وقد جاء فيها ما يأتى : « عندما سار النوبي نحو الشمال إلى المكان الذى كان فيه كبار الموظفين . . . لم تحضر إلى أى نسخة من القائمة (٩) » وعلى الرغم من عدم إمكاننا استخلاص نتيجة من هذه الورقة فإن الظواهر تدل على أن الكاتب المسئول عن مراقبة الحدود يأسف لعدم إرسال القائد المصرى للنوبيين أية صورة من القائمة الخاصة بأسماء المهاجرين ، على أنه من جهة أخرى يجوز أن المتن ليس له علاقة بالحدود .^(١)

وتدل الأحوال على أن محط الحدود كان الوافد على مصر يراقب عنده ، وكذلك يراقب ما يدخل من سلع إلى بلاد النوبة كما كان يعد المكان الرئيسى للتجارة الذهبية إلى الجنوب ، أما الإقليم الذى خلفه فكان يعتبر مسرحاً للتجارة . ولا نزاع فى أن هذا هو السبب الطبيعى الذى جعل أمراء « الفنتين » يقيمون مقابرهم فى هذه البلدة . ومن المحتمل أن الأفراد الذين نقشوا كتابات على الصخور فى هذه الجهة قد لعبوا دوراً رئيسياً فى سياسة مصر الجنوبية فى هذا الوقت^(٢) . والسواد الأعظم من كبار رجالة القوم الذين قاموا بجملات إلى بلاد السودان كانوا من مواطنى « الفنتين » هذه . وسنورد هنا إتماماً للفائدة ما يمكن إيراده من أسماء هؤلاء الموظفين :

- (١) « نيسوخو » (٢) « خرخوف » (٣) « بليي نخت » (٤) « سبنى »
(٥) « ونى » (٦) « خوى »^(٣) (٧) « ثيى »^(٤) (٨) « نوفر »^(٥) (٩)

(١) وراجع Hierat. pap. Berlin, III, pl. VII

(٢) وراجع Weigall, Report, Pl. 57.

(٣) وراجع نقوش « خوى » فى Sethe, Urk., II n. 29 p. 140 وقبره قبالة « الفنتين » .

(٤) وراجع نقوش « ثيى » Sethe, Urk. I. No. 30. p. 141 وهو حاكم مقاطعة « الفنتين »

ويعلم فى نقوشه أنه جمع محاصيل الأقاليم الجنوبية للكل وعاد بها وقبره قبالة « الفنتين » .

(٥) وراجع قائمة هذه الأسماء فى : Reisner, Kerma, V, ; p., 537

(٩) «سابي» (١٠) «أقب» (١١) «تيتي عنخ»^(١) (١٢) «أري» «والد حرخوف»
(١٣) «حابي»^(٢) (١٤) «عاوو» (١٥) «حمتحب» . ولدينا غير هؤلاء أسماء عدد
من قواد السفن دونت أسماءهم على الآثار ، فلدينا قائد سفينة يدعى «حتي» ذكر اسمه
على لوحة جنازية وكذلك لدينا عدد من أسماء قواد السفن نقشت أسماءهم
على الصخور النوبية نخص بالذكر منهم «أحي» و «خنوم حتب» و «حني»
وبعض أسماء لم يمكن قراءتها وسنورد فيما يلي أعمال بعض هؤلاء الموظفين :

(١) «نيسوخو» : حاش في عهد الملك «ببى الأول» وقبره في «الفتين»^(٣)
ويحتمل كذلك أن النقش الذى وجد على صخر «توماس» من عمله . و «نيسوخو»
هذا يحمل كذلك اسم «شمأى» ويلقب السمير الوحيد وحامل خاتم الوجه البحرى
والكاهن المرتل والمبجل عند الإله العظيم . ونقش «توماس» يقص علينا أنه
في عهد «ببى الأول» وأن هذا الفرعون أرسله ليخترق بلاد «ارث» الخ .

(٢) «حرخوف» : حاش في عهد كل من الملك «مرنرع» و «ببى الثانى»
وقبره في «الفتين» وهالك ترجمة نقوشه : «قربان يقدمه الملك لانوبيس الذى
على جبله والذى على رأس محرابه الذى فى الواحة وسيد البلاد المشرقة (الجبانة) ،
لأجل أن يدفن «حرخوف» فى الجبل الغربى (بعد) أن يصل إلى شيخوخة
جميلة جداً بوصفه مبجلاً أمام الإله العظيم . . . الإله العظيم . الأمير الوراثنى حاكم
الجنوب وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد والكاهن المرتل والمشرف
على التراجمة والمبجل عند الإله «بتاح سكر» «حرخوف» .

(١) تيتي عنخ المسمى المحنب Davies, Rock Tombs of Sheikh Sald, p. 31 .

(٢) حابي Ibid, p. 34 .

(٣) راجع De Morgan., Cat. I, p. 158 ff.; Eleph- Pap, 10523; Urk. I, p. 208

(٤) راجع Urkunden des Alten Reichs, p. 120 ff

« قربان يقدمه الملك و « أوزير » سيد « ددو » (بوصير) لأجل أن يسير (أى « حر خوف ») فى سلام على الطرق الجميلة للغرب ، وهى التى سار عليها الميجلون ، ولأجل أن يصعد نحو الإله رب السماء بوصفه ميجلا أمام . . . الأمير الوراثى (والتشريفاتى) ونائب الملك فى « نحن » ، ورئيس الشعائر فى نخب (الكاب الحالية) والسمير الوحيد والكاهن المرتل الميجل عند « أوزير » « حر خوف » .

« قربان يقدمه الملك لأجل أن يحدث خروج الصوت من أجله فى الجبانة والكاهن المرتل يقوم بتأدية الشعائر فى كل أعياد رأس السنة وعيد « تحوت » وفى كل الأيام . . . حامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد والكاهن المرتل والمشراف على التراجمة « حر خوف » .

ترجمة حيانه : « لقد أتيت اليوم من ضيعتى ، ونزلت من مقاطعتى ، وبنيت بيتى وأقيمت له أبوابا ، وحفرت بحيرة وغرست أشجار (حمير) وقد مدحنى الملك وقد عمل والدى وصية فى صالحى لأنى كنت ممتازاً . . . ومحبوباً من والدى ممدوحاً من والدتى ومحبوباً من كل أخوتى وأعطيته الجوعان خبزاً وكسوت العريان وصبرت النهر بمن لا يملك قارباً (فى قاربى) » .

« وأنتم يا أيها الأحياء الذين يسرون على الأرض وسميرون بالقرب من هذا القبر فى أثناء انحذاركم فى النهر أو صعودكم إذا قلتم : ألفا من الخبز وألفا من جزار الجعة لأجل صاحب هذا القبر فإنى سأدخل من أجلكم فى عالم الآخرة لأنى روح ممتاز مجهز وكاهن مرتل ذو فم مثقف » .

« على أن كل من سيدخل هذا القبر وهو نجس فإنى سأقبض عليه كالطائر الخارج وسيحاكم على ذلك أمام الإله العظيم » (يقصد هنا المحاكمة أمام الإله « رع » أو أمام الإله « أوزير » الذى أصبح منذ نهاية الدولة القديمة إله الموتى الذى سيحاكم فى عالم الآخرة) .

« ولانى رجل يقول ما هو حسن ويعيد ما يحب (لا ينم) ، ولم أقل قط ما هو خيىث لرجل قوى أو لآى إنسان لآنى رغبت فى أن تكون الأشياء طيبة من أجل أمام الإله العظيم » .

« ولانى لم (أفصل بين الأخوين) بطريقة تجعل الابن يحرم ميراث والده » .
« قربان يقدمه الملك و « أنوبيس » الذى على جبله والمشرف على الساحة المقدسة ليخرج الصوت بالقربان له فى الجبانة لأجل المبجل عند « أنوبيس » رئيس جبله والمشرف على الساحة المقدسة . . . » .

« الأمير الوراى والسمير الوحيد والكاهن المرتل (والتشريفاتى) ، نائب الملك فى « نحن » ، ومدير الملك فى « نخب » وحامل الخاتم الملكى فى الوجه البحرى والسمير الوحيد والمرتل والمشرف على التراجمة ، ورئيس الأسرار لكل الأوامر الخاصة بالحدود الجنوبية وصاحب الخطوة عند مليكه « حرخوف » ، حامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد والمرتل والمشرف على التراجمة الذى يحمل الضرائب المستحقة للزينة الملكية ، والمشرف على كل البلاد الأجنبية الجنوبية ، والذى ينشر الفزع من حور فى البلاد الأجنبية والذى يفعل كل ما يرغب فيه سيده ، وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد والمرتل والمشرف على التراجمة المبجل عند « بتاح سكر » « حرخوف » يقول :

الحملة الأولى إلى بلاد « يام » :

« إن جلالة « مرزوع » سيدى قد أرسلنى فى الوقت نفسه مع والدى السمير الوحيد والمرتل « آرى » إلى إقليم « يام » (مكان مجهول) لنكشف عن الطريق المؤدية إلى هذا الإقليم الأجنبى . وقد قمت بذلك فى مدة سبعة أشهر وقد أحضرت كل الهدايا من هناك . . . وقد مدحت من أجل ذلك كثيراً جداً » .

الحملة الثانية :

« لقد أرسلني جلالته مرة ثانية وكنت وحدي . وقد خرجت على طريق «الفتين»^(١) وانحدرت نحو «أرثت» و «نخو» و «ترس» و «أرثت» في ثمانية أشهر . وقد انحدرت حاملا محاصيل هذا البلد الأجنبي بكميات عظيمة جداً . ولم يحدث مرة أن شيئاً مماثلاً قد حمل من هذه البلاد من قبل . وقد انحدرت من نخيم رئيس «ستو» و «أرثت» بعد أن اقتحمت مجاهل هذه البلاد الأجنبية . »

« ولم يشهد من قبل أن أي سمير مشرف على التراجمة قد فعل ذلك موقلاً في إقليم «يام» من قبل . »

الحملة الثالثة إلى إقليم «يام» :

« لقد أرسلني جلالته مرة ثالثة إلى بلاد «يام» فخرجت من (منف) متجها نحو العرابة المدفونة عن طريق إقليم الواحة (؟) وقد وجدت رئيس «يام» الذي كان ذاهباً ضد بلاد نخو (لوبيا) لمحاربتها ؟ حتى حدود غرب السماء ، وقد سرت معه خلفه حتى بلاد «لوبيا» (نخو) وقد أخضعته إلى أن عبد كل آلهة مليكي . . . وبعد أن أخضعت رئيس «يام» انحدرت ثانية . . . حتى «أرثت» ، وعند حدود «ستو» وجدت رؤساء «أرثت» و «ستو» و «واوات» . . . وعدت مع ثلاثمائة حمار محملة بالبخور والأبنوس وزيت حنكو وزيت ثاث وجلود الفهد وشن الفيل (؟) وكل محاصيل جميلة . »

«وعندما رأى رؤساء «أرثت» و «ستو» و «واوات» مقدار عظم جنود «يام» وقوتهم وهم الذين انحدروا معي نحو البلاط ، بالإضافة إلى الجنود الذين كانوا قد أرسلوا معي فإن هؤلاء الرؤساء قد جلبوا إلى هدايا : ثيرانا وماشية صغيرة وقادوني

(١) تدل شواهد الأحوال على أن «حرخوف» قد بدأ رحلته من عاصمة الملك متخذاً طريقه إلى الفتين ومن ثم إلى الجهات التي كان يقصدها . وهذا هو الرأي المعقول إذ كان عليه أن يذهب أولاً إلى عاصمة الملك ليتجهز ويأخذ التعليمات من مليكه وأصحاب الشأن هناك .

بطريق جبال « أرثت » وكانت يقظتى بالغة أكثر من أى سمير ومشرف على التراجمة من الذين أرسلوا إلى « يام » قبل ، وعلى ذلك فإن الخادم « حر خوف » (يقصد نفسه) انحدر في النهر نحو البلاط وقد أرسل (أى الملك) إلى الأمير الوراثى والسمتر الوحيد والمشرف على حجرة المرطبات المزبوجة لاستقبالى ومعه السفن المحملة بنبيذ البلح (العرق) والفطير والخبز والجمعة . الأمير الوراثى وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد والكاهن المرتل وحامل الخاتم الإلهى ورئيس أسرار كل الأوامر لحدود الجنوب ، المبجل « حر خوف » .

خطاب الملك « بيبى الثانى » « لحر خوف » :

« مختم بالملك نفسه في السنة الثانية للشهر الثالث من فصل الفيضان اليوم الخامس عشر . مرسوم ملكى للسمير الوحيد ، الكاهن المرتل ، ومدير التراجمة (القافلة) « حر خوف » . لقد فهمت المقصود من خطابك هذا الذى أرسلته إلى الملك في القصر لتنبيهه بأنك قد عدت سالماً معافى من بلاد « يام » بالجيش الذى كان معك . ولقد ذكرت في هذا الخطاب أنك أحضرت معك كل المنتجات العظيمة والطيبة التى منحتها « حتحور » سيدة « أماو » حضرة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نفر كارع » (بيبى الثانى) الذى يحيا أبدياً ومخلداً . وقد ذكرت في هذا الخطاب أنك أحضرت قوماً (دنج) يرقص رقصاً مقدساً من أرض الأرواح (تا أخو) مثل القزم الذى أحضره حامل خاتم المقدس « باوردد » من بلاد « بنت » في عهد الملك « أسمى » . وقد قلت لجلالتى : « لم يحدث قط من قبل أن واحداً مثله قد أحضر ممن زاروا « يام » . حقاً إنك فعلت ما يحبه ويمدحه سيدك ، حقاً إنك تضى النهار والليل في عمل ما يرغب سيدك فيه ويحب ويأمر به . وجلالته يرغب في أن يمنحك كثيراً من الشرف العظيم حتى تصبح زينة لابن ابنك أبدياً لدرجة أن كل إنسان سيقول عندما يسمع ما فعلته لجلالتى : « هل هناك شئ مماثل لما عمل للسمير الوحيد « حر خوف » عندما عاد من بلاد « يام » وذلك بسبب اليقظة

التي أظهرها لعمل ما يرغب فيه سيده ، وما يحبه وما يأمر به » .

« عد حينئذ في الحال إلى البلاط منحدراً في النهر واترك كل شيء آخر (٩)
ولتحضر معك هذا القزم الذي جلبته معك من بلاد الأرواح حياً وسلياً معافى حتى يقوم
بالرقص المقدس وليسرى عن القلب وليسرفؤاد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى
« نفر كارع » عاش أبدياً » .

« وأعمل عندما ينزل معك في السفينة على أن يكون رجالك اليقظون حوله
من ناحيتى السفينة ، وأعمل على ألا يسقط في الماء ، وعندما ينام في الليل يكون
رجالك اليقظون نائمين حوله في حجرته وقتش عليه عشر مرات كل ليلة لأن جلالتي
يريد أن يرى هذا القزم أكثر من كل منتجات بلاد « بنت » وكنوزها » .

« وإذا وصلت إلى البلاط وبصحبتك هذا القزم حياً سليماً معافى فإن جلالتي
سيقوم بعمل أشياء عظيمة لك ، تفوق التي عملت لحامل الخاتم الإلهى « باوردد »
في عهد الملك « إسمى » وذلك لرغبة قلب جلالتي في رؤية القزم ، وقد أعطيت
الأوامر حاكم إقليم البلاد الجديدة ، السمير ، مدير الكهنة ليأمر بإعداد المأكولات
في كل قصر بيت المحراث (ضياع ملكية) وفي كل معبد دون استثناء » .^(١)

(٣) « بيبى نخت » : موظف كبير في عهد الملك « بيبى الثانى » يحمل
ألقاباً عدة منها أنه كان السمير الوحيد ، نائب الملك في « نحن » ورئيس عبادة « نخب »
ومدير كل القوافل والمحترمين من الإله العظيم « بيبى نخت » يقول : « كنت رجلاً
يقول ما هو حسن ، ويكرر ما يجب ، ولم أقل قط شيئاً يسئ إلى رجل قوى ذماً
في أى شخص ، لأنى كنت أرغب في أن تعرض الأشياء من جهتي حسنة في حضرة
الإله العظيم . لقد أعطيت خبزاً للجائع وكسوت العريان ولم أقض قط بين أخوين
بحيث يحرم ابن متاع والده ، ولقد كنت محبوباً من والدى ، ممدوحاً من والدتى

ومحبوبا من أخوتي ذكورا وإناثا . لقد أرسلنى جلالة سيدى لأنحرب بلاد « إرثت » فعملت ما مدحنى عليه سيدى ، ولقد ذبحت منهم عددا عظيما . ومن بينهم أولاد الرؤساء والضباط المتفوقين من المحاربين (؟) لأننى كنت بطلا على رأس جيش عظيم من الجنود الأقوياء . وقد سر قلب سيدى منى لكل البعوث التى وكل أمرها لى .

« وعقب ذلك أرسلنى جلالة سيدى لتهدئة الأحوال فى هذه الممالك . وقد قمت بذلك حتى أن سيدى أثنى على كثير أ أكثر من أى إنسان آخر . ولقد أحضرت معى رئيسى هاتين المملكتين سالمين معافين إلى البلاط ، ومعهما ثيران وماعر حية إلى البلاط ، وكذلك أحضرت أطفال الرئيسين وضابطى المحاربين الذين كانوا معهما » .

(٤) « سبنى »^(١) : من حكام « أسوان » فى عهد الملك « بيبى الثانى » قد قام بجملة إلى بلاد النوبة لإحضار جثة والده « نخو » الذى سطت عليه قبائل السود وذبحوه ، ونقوش « سبنى » مهشمة فى البداية غير أنه فى إمكاننا أن نفهم منها المعنى المقصود بجملة ؛ ولم يكن « سبنى » عند قيامه بهذه الجملة جاهلا بأحوال هذه البلاد التى قتل فيها والده ، بل يظهر أنه كان مدربا على ارتيادها ، وكان لا بد له من ذلك ، لأن وظيفة قيادة القوافل على ما نعلم كانت وراثية فى حكام هذه المنطقة كما شاهدنا ذلك فى « حرخوف » ووالده ، فكان الوالد يعلم ولده الأعمال التى كانت تتطلبها وظيفته .

قام « نخو » والد « سبنى » برحلة ولكنه مات فى خلالها فى جهة ما فى قلب مجاهل أفريقيا فقام ابنه بالبحث عن جثة والده فكتب على مقبرته التى لا تزال إلى الآن بـ « ألفتين » مع قبر والده : « يقول الأمير حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، مدير الجنوب ، السмир الوحيد ، الكاهن المرتل « سبنى » :

« وعندئذ ذهب ضابط السفينة « أنتف » ومدير . . . « بهكسى » ليحملوا الجبر ،

أن السمير الوحيد والكاهن المرتل « نخو » قد مات وعندئذ صحبت معى جنوداً من ضيعتى ومائة حمار وأخذت كذلك عطورا وشهدا ، وملابس وزيتا و... لأقدمها هدايا فى هذه الأقطار ، وسرت نحو بلاد النحسى (السود) هذه ... وقد أرسلت أنا سانا كانوا عند بوابة الفتين وكتبت خطابات لأخبر الملك بأنى سافرت لأحضر والدى من « واوات » و « ارثت » ولقد هدأت الأحوال فى هذه الأقطار الأجنبية ... وفى الأقطار ... التى تسمى « عا » ثم « ثر » ثم حملت جثة هذا السمير الوحيد على ظهر حمار ثم أرسلته مع فصيلة من جنود أوقافى . وصنعت له تابوتا ... وأحضرت معى ... لأجل أن أنقله من هذه الأقطار الأجنبية . ولم أرسل قط إلى أية بلاد سود . للبلاط ... وقد مدحت كثيرا على هذا العمل ثم عدت نحو « واوات » و « ووثك » ، وأرسلت الشريف الملكى « إرى » مع اثنين من ملاك الفلاحين من ضياعى طليعة ومعهما الروائح العطرية ... وحاجز من العاج لأعلم ... أنى حملت جثة والدى وكل أنواع هدايا هذه الأقطار . ثم عدت لأضع والدى ... أما من جهة « أرى » الذى كان فى البلاط فإنه أحضر أمراً بتحنيط الأمير ، حامل خاتم الوجه البحرى ، السمير الوحيد ، الكاهن المرتل « نخو » وقد أحضر ... محنطين ، والكاهن المطهر الأعلى والتشريفى ، والكاهن الأعلى للأوقاف الجنازية والبكائين وكل قربان بيت التحنيط . وأحضر زيت الشعائر الخاص ببيت التحنيط ، والأشياء السرية لبيت التطهير المزدوج والخاصة ببيت السلاح وملابس من بيت المال ، وكل الملحقات الجنازية أتت من البلاط كما كانت الحال فى أمر الأمير « مرو » . وعندما وصل « أرى » أحضر معه مرسوما ليثنى على ما فعلته وقد ذكر فى هذا المرسوم : « لقد فعلت لك كل الأشياء الممتازة تذكرا لهذا العمل العظيم لأنك أحضرت والدك ... ولم يحدث مثل هذا من قبل » .

« ودفنت والدى فى هذا القبر من الجبابة ، على أنه لم يدفن رجل فى هذه الدرجة

(١) الظاهر أن « أرى » هذا هو والد « حو خوف » الساف الذكر .

بالطريقة التي دفن بها . ثم نزلت في النهر نحو « منف » حاملا معي منتجات هذه الأقطار الأجنبية وكذلك ما كان والدي قد جمعه . . . جيشي والنحسى (السود) . . . والخدام « سبني » قد أثنى عليه في البلاط ؛ ووجه الملك له مدحا لأنه كان صاحب خطوة عظيمة عند الملك . . . وقد أعطيت صندوقا من خشب الخروب يحتوي على عطور وزيوت ، وكذلك منحت حقيبة من الكتان . . . وملابس . وكذلك أعطيت ذهب الجدارة ، وكذلك تسلمت قرابين من اللحم والطيور . . . وعند ما كانت تقرب الذبائح كان يذكر ما فعله لي سيدي .

وقد قيل للخدام « سبني » (أى له نفسه) : لقد وصل مرسوم من القاضي الأعظم والوزير . بلدة « نخب » الكاهن الأعظم « أني » الذي كان وقتئذ في « برحتحور رسييت » قائلا : « أنه يمكنني أن أحضر والدي في الحال ويمكنني أن أدفنه في قبره شمال « نخب » . ولقد منحت ٣٠ أرورا من الأرض في الشمال والجنوب وقفا من الهرم المسمى « من صنع نفر كارع » تقديرا لي .

(٥) « وني » أو « أوني »^(١) : أحد كبار الموظفين الذي عاصر ملوكا كثيرين ابتداء من الملك « تيتي »^(٢) وقد دفن في « العرابة » .

نقوش « وني » : الأمير الوراثي ، مدير الوجه القبلي (والتشريفاتي) ونائب « نخن » والرئيس الأعظم « لنخب » (الكاب) والسمير الوحيد والمبجل عند « أوزير » أول أهل الغرب « وني » .

عند ما كنت طفلا ممنطقا بالحزام في عهد جلالة الملك « تيتي » كانت وظيفتي هي مدير المخازن والمشرف على القصر الملكي وملاحظ المزارع ؟؟ . والمرتل للقصر في عهد جلالة « بيبى » . وقد رفعتي جلالته إلى مرتبة سمير وحيد وكاهن مشرف على ضيعته الجنازية (أى هرمه) .

(١) راجع Urkunden, I., p. 98 ff.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٧٧

تنصيبه قاضيا : « وعند ما كانت وظيفتى وهى ... نصبنى جلالة قاضى .
فم نحن (أى نائب عن نحن) وكان قلبه مفعما بى (أى يحببنى) أكثر من أى خادم آخر .
وقد سمعت الأحوال منفردا مع الوزير عن كل الأشياء السرية وكنت أحقق باسم
الملك فيما يتعلق بالحدود الملكى فى محكمة الستة العظام العليا وذلك لأننى كنت ملء قلب
جلالته أكثر من أى واحد من أشرفه ، وأكثر من أى واحد من عظمائه ، وأكثر
من أى واحد من خدامه » .

إقامة إقبره بوساطة الملك : « لقد رجوت جلالة سيدى أن يحضر لى تابوتا
من حجر « طره » الأبيض ، وقد سمح جلالة أن يقلع حامل خاتم ملك الوجه البحرى .
مع طائفة من البحارة تحت إدارته لأجل أن يحضر لى هذا التابوت من « طره » .
وقد حضر به فى سفينة كبيرة من سفن القصر ومعه غطاؤه واللوحه والصدغان والقاصدة .
ولم يعمل قط مثل ذلك لخادم آخر ، لأننى كنت ممتازاً فى قلب جلالته ، ولأننى كنت
محبيا لقلب جلالته ، ولأننى كنت فى قلب جلالته (يحببنى) » .

تنصيب « ونى » المشرف على مزارع البلاط : « وعند ما كنت قاضى
ونائب « نحن » (فم نحن) لقبنى جلالة السمير الوحيد والمشرف على مزارعى القصر ،
وقد حلت بذلك محل أربعة المشرفين على مزارع القصر هناك . وقد عملت حتى نلت
مديح جلالته ، عند ما كنت أجهز القصر ، وعند ما كنت أنظم طريق الملك ،
وعند ما كنت أنسق المحاط ، وقد عملت كل ذلك بطريقة جعلت جلالة يمدحنى .
من أجل ذلك أكثر من أى شئ » .

تعاليم صريحة ضدّ الملكة « ورت حنس » : وبمناسبة قضيته فى الحدرد
الملكى ضد الزوجة الملكية « ورت حنس » التى أقيمت سرّاً فإن جلالته جعلنى أدخل
لأجل أن أسمع القضية ، وقد كنت وحدى دون أن يكون معى وزير أو شريف
بل كنت وحدى . وقد كنت كاملا ومحبياً لقلب جلالته ، وذلك لأننى كنت ملء قلب

جلالته . وكنت أنا الذى أعمل كاتباً ، وكنت وحدى مع القاضى نائب « نحن » ، وذلك لأنى كنت أشغل وظيفة المشرف على مزارع القصر . ولم يحدث قط أن حقق واحد مثلى فى قضية سرية فى الحدر الملكى ، ولكن جلالته جعلنى أحققها لأنى كنت ماهراً فى قلب جلالته أكثر من أى شريف آخر وأكثر من أى عظيم آخر وأكثر من أى خادم آخر .

الاستعداد لمحاربة أهل الرمال : « وقد شرع جلالته فى القيام بحملة تأديبية على الآسيويين أسياذ الرمال . وقد ألف جلالته جيشاً من عشرات الآلاف العديدة من الرجال من كل الوجه القبلى من أول « الفنتين » فى الجنوب حتى « أطفيح » فى الشمال ومن الوجه البحرى جندتهم إدارة الجيش المرتزقة ، وجميعهم فى القلعة فى داخل الحصون (٩) بن نوبى « أرث » و « المزوى » و « يام » و « واوات » و « كاو » و بلاد « تمحو » (لوبيا) .

مسير الجيش تحت أمرة « ونى » : وقد أرسلنى جلالته على رأس هذا الجيش فى حين أن الأمراء الوراثةيين وحاملى خاتم ملك الوجه البحرى ، والسماز الوحيديين أصحاب القصور العظيمة (أى الحصون) والرؤساء المشرفين على القلاع فى الوجهين القبلى والبحرى ، والسماز المشرفين على القوافل ، والمشرفين على الكهنة خدام الإله للوجهين القبلى والبحرى ، والمشرفين على جيش الجنود المرتزقة وكان كل واحد منهم على رأس فرقة من المعافل واقطاعيات الوجهين القبلى والبحرى التى كانوا يحكمونها ، وكذلك « نحسيو » (السود) هذه الممالك الأجنبية ، وكنت أنا الذى سهرت على نظامهم وذلك بوصفى صاحب وظيفة المشرف على مزارعى قصر الملك وبسبب مكانتى لدرجة أنه لم يوضع فرد مكان قرينه ، ولم يسرق من إنسان خبز أو حذاء فى أثناء الطريق ولم يسرق نسيج من أى بلد ولم يغتصب ماعز من أى شخص .

(١) هذا اللقب يذكرنا بوظيفة وكيل الخاصة الملكية فقد كان يشرف على مزارع الملك كلها وكان له نفوذ عظيم فى مصالح الحكومة بعامه .

« وقد قدت هؤلاء الجنود عن طريق جزيرة الشمال وبوابة « المحتب » وإقليم « سنفرو » وذلك بوصفى أنى كنت فى هذه الوظيفة وقد استعرضت كل واحدة من هذه الفرق ولم يحدث قط أن خادماً قد استعرض جنوداً من قبل » .

عودة الجيش منتصراً : « إن هذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن حطم أرض أهل الرمال ، وهذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن محا معاقلمهم ، إن هذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن اجتثت أشجار تينهم وكرومهم ، إن هذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن صب النيران فى كل جنودهم . إن هذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن ذبح كل جنودهم بعشرات الآلاف العدة ، أن هذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن ساق جنوداً عديدين من الأسرى . وقد مدحنى من أجل ذلك أكثر من أى شئ » .

إخضاع ثورة الأقوام المقهورين : « وقد أرسلنى جلالتة خمس مرات قائداً لهذا الجيش لأجل أن أنرب بلاد سكان الرمال فى كل مرة يشورون بفصائل من الجنود ، وقد قمت بواجبى حتى أن الملك مدحنى من أجل ذلك » .

حملة بحرية وبرية على بلاد « أنف الغزال » : وعندما قيل إن ثورة قامت لأمر من الأمور بين المتوحشين المجاورين لجهة « الكرمل » (بلاد « أنف الغزال ») نزلت فى سفن البحر مع فصائل من الجنود ورسوت خلف المرتفعات الجبلية فى شمالى بلاد سكان الرمال . وعندما قيد هذا الجيش على المرتفعات ذهبت وقبضت (على العصاة) بأجمعهم وكل واحد من الثوار هزم » .

« ونى » ينصب حاكماً على « الوجه القبلى » : « ولما كنت ضابطاً حاملاً للهداء فى القصر العظيم ، فإن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيدى « مرنوع » قد نصبنى أميراً حاكماً للجنوب من أول « الفتيين » فى الجنوب حتى « أطفيح » فى الشمال لأننى كنت كاملاً فى قلب جلالتة ، بقدر ما كان قلب جلالتة مبهجاً بى ، وبقدر ما كان قلب جلالتة مفعماً بى » .

«ولما كنت ضابطاً حامل الحذاء فإن جلالته مدحنى من أجل يقظتى ومن أجل الحراسة التى قمت بها فى القصر . وقد مدحنى أكثر من أى شريف أو عظيم أو خادم» .

«ولم يُمنح قط هذه الوظيفة خادم من قبل . وقد عملت للملك بوصفى حاكماً للجنوب بما يرضيه لدرجة أنه لم يوضع إنسان فى مكان جاره ، ولقد مارست كل عمل ، وقد عملت حساب كل شئ حمل لحساب الخزانة فى الوجه القبلى هذا مرتين ، وكل سامة عمل (سخرة) وضعت فى الحساب لأجل البلاط فى الوجه القبلى هذا مرتين . وقد ملأت وظيفة حاكم بصفة مثالية فى الوجه القبلى ، هذا وقد عملت كله لأجل أن أمدح من جلالته » .

رحلة إلى محاجر « إيهات » فى بلاد النوبة وإلى محاجر « الفنتين » :
« وقد أرسلنى جلالته إلى « إيهات » لأحضر تابوتاً (صندوق الحى) مع غطاء بالإضافة إلى هرم صغيرين وفانر لأجل هرم « مرزوع » (الذى يسمى « خع — نفر — مرزوع » .

وبعد ذلك أرسلنى جلالته إلى « الفنتين » لأجل أن أحضر باباً وهمياً من الجرانيت بقاعدته وعارضتيه لأجل الحجر العليا الخاصة بهرم « مرزوع » « خع — نفر — مرزوع » .
وقد سحبت نحو الشمال من هذا المكان حتى هرم « مرزوع » « خع — نفر — مرزوع » ومعى ست سفن ثقل وخمس سفن جريها ثمانية أزواج فى حملة واحدة . ولم تعمل حملة واحدة قط إلى « إيهات » و « الفنتين » دفعة واحدة فى حكم أى ملك وقد تم كل شئ أمر به جلالته بأكمله كما أمرنى به جلالته » .

حملة إلى محاجر مرمر « حتنوب » فى مصر الوسطى : « أرسلنى جلالته إلى محاجر « حتنوب » لأحضر منها مائة قربان عظيمة من المرمر . وقد انحدرت

(١) يقصد بالحى هنا المتوفى وذلك لأن المصرى كان يمقت ذكر الموت .

في النهر من أجل الملك مع هذه المائدة المقطوعة من محاجر « حتنوب » في سبعة عشر يوماً ، وجعلتها تحمل في النهر (نحو الشمال) في سفينة نقل . والواقع أنى صنعت لهذا الغرض سفينة نقل من الخشب السنط طولها خمسون ذراعاً وعرضها ثلاثون ذراعاً وقد ركبت في سبعة عشر يوماً في أثناء الشهر الثالث من فصل الصيف . وعلى الرغم من أنه لم يكن ماء في قعر النهر فلم يرسو سليا عند هرم « مرزوع » (المسمى) : « خع — نفر — مرزوع » . وقد أنجزت كل شيء بشخصي على حسب الأمر الذي أعطانيه جلالة سيدي .

الحملة الثانية إلى الشلال : « وقد أرسلني جلالته لتعميق خمس قنوات في الجنوب ولأجل أن أصنع ثلاث سفن واسعة وخمس سفن نقل مصنوعة من سنط بلاد « واوات » في حين أن زعماء بلاد « أرنت » و « واوات » و « يام » « والمزاوي » كانوا يوردون الخشب لهذا الغرض ، وقد أنجزت كل ذلك في سنة واحدة (أى في بعث) وأنزلت (السفن) في الماء محملة بالجرانيت بكثرة لأجل هرم « مرزوع » المسمى « خع — نفر — مرزوع » (« مرزوع » جميل عندما يظهر) .

« وفضلاً عن ذلك حققت اقتصاداً بذلك في الوقت لأجل القصر بفضل هذه القنوات الخمس في مجموعها (وكل ذلك) بسبب احترامى وصفاتى الشخصية والتقديس الذى عندي لقوة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « مرزوع » العائش إلى الأبد ، أكثر من كل الآلهة ، وذلك لأن كل شيء كان قد أنجز على حسب الأمر الذى أعطانيه الملك . ولانى أنا المحبوب من والده والممدوح من أمه وإخوته ، أنا الأمير الوراثى حاكم الوجه القبلى المبجل عند « أوزير » « ونى » .

ولانزاع في أن وجود هؤلاء العظماء في « الفنتين » قد أكسبها ثروة طائلة وأضفى عليها بهاء ورواقاً وعظمة حافظت عليها في كل عصور التاريخ ، ولانزال من أجل ذلك حتى يومنا هذا مهبط الزوار من كل أقطار العالم لما فيها من آثار جميلة وجو ممتع في أثناء الشتاء .

(١) راجع Jaques Pierrenne, Histoire des Institutions et du droit Privé de l'ancienne Egypte, Tom. III, p. 262 ; Sethe Unkunden, I, p. 98.

وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء العظماء كانوا يقومون بلا شك بهذه البعث لحساب الحكومة التي كانت مسيطرة على كل شئ . ولكن مما يؤسف له أن النقوش التي تركها لنا هؤلاء الموظفون الكبار على نحو ما رأى القارئ لم تصف لنا رحلاتهم في الجنوب إلا باختصار وهذه هي الحال في كل كتابات الدولة القديمة ، إذ لا تعبر عن الوقائع إلا باختصار في كل النقوش التي وصلت إلينا ، ولذلك ينبغي علينا ألا ننظر تفاصيل ضافية عن هذه البعث كما يرى القارئ في المتون التي أوردناها خاصة هؤلاء العظماء .

على أن أكبر صعوبة تعترضنا في تقدير هذه النقوش هي الصعوبة الجغرافية التي تصادفنا في تعرف أسماء البلدان التي وردت في بلاد النوبة ، فقد أصبح من العسير علينا تحديد مواقع الأماكن التي ذكرت في هذه النقوش ، فنرى أولاً أن سرد أسماء الأماكن الجنوبية الواحدة تلو الأخرى كما جاءت في النقوش المختلفة لا يمكن أن يؤدي إلى نتيجة حاسمة ، وذلك لأننا نجد أن هذا الترتيب في النقوش المختلفة بل وفي النقش الواحد يتغير فمثلاً نجد في نقوش « وني » أولاً أن البلاد « أرنت » و « المزاوى » و « يام » و « واوات » ذكرت على هذا الترتيب وبعد ذلك نجد في النقش نفسه الترتيب التالي « أرنت » و « واوات » و « يام » ثم « المزاوى » .

وكذلك نجد في القوائم المتأخرة مثل قائمة « الكرنك » التي يرجع عهدا لحكم « تحتمس الثالث » أن بعض الأسماء التي ذكرت في الدولة القديمة وحفظت لنا في هذه القائمة لا تقدم لنا مادة كافية لتحديد موقع هذه الأماكن . والواقع أن معظم هذه الأسماء غير معروف لنا كلية ولذلك لا يمكن تحديد موقعها . ولا يمكن أحداً أن يصل إلى نتيجة من ترتيب هذه الأسماء لأن هذا الترتيب يختلف في القوائم المتعددة التي جاءت في النقوش الأخرى المعاصرة .

ولكن إذا جمع الإنسان بين نقوش المقابر والنقوش التي على الصخور فإنه من المستطاع

أن يحدد موقع بعض الأماكن بشئ قد يقرب من الحقيقة . ففي «توماس» حيث تخرج الطريق التي تنعطف عند منحني النيل في كرسكو ، وكذلك طريق القوافل التي تخرج من «واحة كركر» والتي ينتهي عند «واحة دنقلة» ، قد وجد الأثرى ^(١) «ويجول» عدداً عظيماً من النقوش التي على الصخور من أزمان مختلفة ، ومن عهد الدولة القديمة بخاصة . ففي إحداها يقول «نيسوخو» السالف الذكر : «لقد أرسلت لأفتح «أرثت» للملك «بيبي الأول» العائش أبدياً ، المشرف على مزارع البيت والمشرف على الترابحة «نيسوخو» ومن ذلك يظهر أن أرض «أرثت» كانت بالقرب من «توماس» ^(٢) وكذلك بلاد «واوات» . يمكن أن يحدد مكانها بهذه الكيفية ، ولا شك في أن «واوات» في عهد الدولة القديمة كانت غير «واوات» في عهد الدولة الحديثة . فقد كانت في الأخيرة اسماً عاماً لكل بلاد النوبة السفلى ولا يدل استعمالها في الدولة القديمة على ذلك حيث كانت تقابل تماماً الأسماء الأخرى الدالة على أنها جزء من بلاد النوبة ، أما في الدولة الوسطى فلا نعلم على وجه التأكيد التوسع الذي أحرزته «واوات» وكل ما نعرفه أن «كرسكو» كانت ضمنها على ما يظهر . هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن كلام «ليونز» و «بركش» قد أشار إلى نقش لم نعث عليه بعد للملك «امنمحات الأول» . وهو : «لقد أتينا لاختضاع «واوات» ^(٣) .

وبجد في نقوش «خرخوف» في رحلته الثانية أن «ستو» و «أرثت» كانتا متجاورتين ويدل على ذلك أن «خرخوف» هذا قد جعل هذين البلدين تحت حكم أمير واحد كما رأينا ذلك في نقوش «خرخوف» التي ذكرت سالفاً ويجب أن تكون «واوات» مجاورة لهذين البلدين لأن «خرخوف» في رحلته الثالثة وجد نفس الأمير يحكم «أرثت» و «ستو» و «واوات» والأخيرة أصبحت تحت حكم هذا الأمير

(١) راجع Weigall Report, Pl. 56 ff.

(٢) راجع Ed. Meyer, Gesch. Alt., I, 2, p. 231; Weigall Report, p. 9; Daressy, A. S., 20, p. 135 ff.

(٣) راجع A.Z., 20, p. 30

فما بعد ، ولا يمكن أن تكون واقعة بين « سثو » و « أرث » وأخيراً يجب أن تكون « يام » جنوب هذه البلاد لأن « حر خوف » اخترق « أرث » و « سثو » و « واوات » عند عودته من رحلته إلى « يام » . فإذا كانت « أرث » على ما يظهر تقع عند « توماس » كما يحتمل أن « واوات » تقع عند « كرسكو » فإنه لابد أن تقع « سثو » إما بين « توماس » و « كرسكو » أو جنوبى « توماس » ، والرأى الأخير هو المرجح ، وعلى ذلك تكون « يام » على مقربة من الشلال الثانى فى الجنوب منه . هذا هو رأى الأستاذ « تورجنى سيف زودر برج »^(١) . ويميل الانسان إلى جعل موقع « يام » فى الجنوب وذلك لأن وارداتها كانت لا تأتى على ما يظن إلا من بلاد فى داخل افريقية مثل خشب الأبنوس والعاج والبخور ، ولكن من جهة أخرى لا نعلم إلى أى حد كانت هذه المحاصيل بعينها موجودة فى الشمال فى الأزمان القديمة . ومن المحتمل أن الأستاذ « ينكر » كان على حق عندما وحد هذه البلاد بالبقعة التى تسمى « المحس »^(٢) ، هذا إلى أن توحيد الأثرى « دارسى » « يام » بجبل « أمام » رأى يستحق التفكير^(٣) . ولكن بعد ذلك طلع علينا الأثرى « جان يويوت » برأى آخر وهو أن « يام » هى نفس واحة دنقلة^(٤) .

ومن الأمور التى تناولها البحث كثيرا موضوع إحصار « حر خوف » فى رحلته الرابعة قزما للملك « مرنرع » . وهذا الأمر قد أدى إلى الظن بأن « حر خوف » قد أوغل فى رحلته نحو الجنوب حتى وصل إلى أواسط افريقية موطن هؤلاء الأقزام^(٥) . وهذا الرأى لا يستند على مصادر أصلية تؤكد هذا الزعم . فلا بد من فحص هذا

(١) راجع Agypten und Nubien, p. 15. ff.

(٢) راجع Junker, Ermenne, p. 39

(٣) راجع A S., 20, p. 184

(٤) راجع ماكتب فى هذا الموضوع Bulletin De L'Institut Francais D'archeologie

Orientale Tome LII, p. 173 ff. وهذا رأى فيه شك كبير

(٥) راجع Budge, The Egyptian Sudan, I, p. 52 ff.; Moret, L'Egypte Pharaonique, p. 164

Keunz, Bull. Inst., 17, pp. 128, 146 f.

الموضوع هنا على ضوء الحقائق العلمية التي أوردها علماء الآثار في هذا الصدد^(١). ولا بد لنا من التفرقة بين الأقزام الذين ورد ذكرهم في النقوش المصرية، ونوع من الرجال يولد قبيثا من أصل مصرى. ولكن اللغة المصرية القديمة قد عبرت عن نوعي هذين القزمين بكلمة واحدة وهي كلمة « دنج^(٢) » أو كما جاء ذلك في متون الأهرام بلفظة « داج^(٣) ». وقوم الأقزام يسكنون الآن في منطقة معينة في داخل إفريقيا وقد كان أول من كشف عن موقع بلاد هؤلاء القوم هو العالم الرحالة « شفينفورت » وهو إقليم تابع لمملكة « المانجباتو » التي تقع في أعالي منابع النيل. وتتحصر مساكن كل الأقزام في الأحراج والغابات. وكانوا في الأصل منتشرين في أماكن أخرى غير أنهم انحصروا الآن في تلك الغابات ثانية. وكذلك لدينا سكان آخرون قد تفهقروا أمام الفاتحين إلى الأماكن الجبلية التي يصعب السير فيها مثل أهل جبال النوبيا في « كردفان ». ومن المحتمل أن انتشار جنس الأقزام كان عظيما في عهد الدولة القديمة ويدل على ذلك أن مساكنهم فيما مضى قد امتدت نحو الشمال. أما المعلومات القائلة بأنهم أحضروا من بلاد « بنت^(٤) » فلا يستند على أساس، فقد كان من الممكن أن تذكر الطريق التي أحضروا منها إلى مصر. على أن بعد « كرمة » التي تعد أقصى نقطة تجارية في الجنوب في عهد الأسرة السادسة من أقصى نقطة في الشمال يسكنها الأقزام بحوالى ٢٠٠٠ كيلومترا يجعل من المستحيل وجود اتصال مباشر بين السكان، كما أن القول بوجود ارتباط تجارى مع طول المسافة وصعوبة الاتصال مع السودان كان من الأمور المستحيلة وقتئذ. ومن جهة أخرى ينبغى علينا ألا نجعل بقعة إقامة

(١) راجع Junker, Giza, V, p. 6 ; Hans Felix Wolf, Die Kultische Rolle des Zwerger in Alten Agypten Anthropos, 33, p. 447, Anm 3.

(٢) دنج = القزم وهذا يعبر عن الشيء الصغير وربما كانت كلمة دنج التي لا تزال مستعملة في الموازين المصرية حتى الآن (حبة ودائق) على أصغر وزن مشتقة من هذا اللفظ.

(٣) راجع Wb., 5, p. 470

(٤) راجع Urk., 1, p. 128 ff.

الأقزام موزلة في الشمال وإلا لما أُعِدَّ إحضار واحد من هؤلاء القوم حينئذ حدثا نادراً في بابيه من الأحداث التاريخية المشهورة .

والواقع أن الأقزام كانوا مطلوبين بكثرة في مصر وذلك لأنهم كانوا يقومون بالرقص الإلهي . ومما يجدر ذكره هنا أن العبارة التي ترجمها بالرقص الإلهي في هذا الصدد ليست مفهومة على الوجه الأكمل . وذلك لأنه يمكن أن تعتبر كلمة « إلهي » عائدة على الملك ، لأنه كان يعد إلهاً عند المصريين ، وعلى ذلك يكون الرقص الإلهي تسلياً للملك .

ولكن القزم كان ينبغي في الوقت نفسه أن يستعمل في الرقص الديني الخاص بالشعائر ، ولا أدل على ذلك من أننا نرى في متون الأهرام أن الملك نفسه كان يقوم بدور القزم إذ يقول المتن عن الملك « إنه راقص الإله الذي يسر الإله أمام العرش العظيم » وكذلك تحدثنا الآثار عن « تيوس » (Teos) الشهير وهو قزم قرعة من عهد الملك « نقتانب » ٣١٨ — ٣٦١ م أنه قد رقص في « كم » (٩) في يوم دفن العجل « أريس أوزير »^(٢٢) .

ومن المحتمل أنه يوجد في الأصل رقصة وطنية غريبة تدعى « إباو — تر » يتقنها قصار القامة لأنهم أتوا من بلاد بعيدة تعتبر مقدسة ، وتسمى كذلك « تا — تر » الأرض الإلهية ، وقد كان هذا المكان الخرافي هو الذي منه أتت خيرات النيل كما كان يعد منبع البخور . ورقص سكان هذا الإقليم ربما كان له أهمية خاصة . ونحن نرى كيف أن رقص الأقوام الأجانب في الشعائر الدينية له مكانة هامة مثل رقص « التمحو » (اللوبيين)^(٣) . ورقص « نحسيو » (السود) الذي يلعب دوراً في عيد الإله « مين » . إله الخصب والنماء .

(١) راجع Sethe, Die Altaegyptischen Pyramidentexte, L. 1189

(٢) راجع Spiegelberg, A.Z. 64, p. 76 f.

(٣) راجع E. Brunner-Traut, Der Tanz Im Alten Agypten, p. 73 f.

ولدينا حالة هامة لم تلق التفاتاً حتى الآن . وذلك أن الأقزام كان لهم رقصة غريبة على ما يظهر . فقد دَوّن العالم « شفينفورت » في كتاب^(١) له ما يأتي : « وإذا كانت رقصة السلاح الخاصة بقوم « نيام نيام » قد استرعت إعجابي وتقديرى ، فإن يسرورى كان لا حد له هذه المرة فإنه على الرغم من ضخامة كرشه (يقصد القزم) المتدلى وعلى الرغم من قصر نخذه الدقيقتين فإن « إديموكو » المتقدم في السن كان يؤدي حركاته بخفة ورشاقة هذا إلى أن قفزاته وهيئته وحيويته كانت تتمثل في حياة مما كان يشير ضحك كل الحاضرين على الرغم منهم » . والواقع أن مثل هذه الرقصة كانت محببة إلى قلوب المصريين في عهد الدولة القديمة . ويمكننا أن نفهم إذن كيف أن الحملات إلى بلاد السودان كانت ترسل للحصول على مثل هؤلاء الأقزام . هذا ولم تمنع غرابة حركات الأقزام اشتراكهم في إقامة الشعائر الدينية .

ويلاحظ أن الأقزام المحليين كانوا أحياناً يشاهدون في الصور بوصفهم خدما وكانت أجسامهم متناسبة الأعضاء فترى أن طول الذراعين والساقين متناسب مع الجذع وكان عظم الرأس يتفق مع سائر الجسم ، وقد كان نشاطه يمتد حتى النشاط الذى كان يقوم به قزم من أقزام السودان ، وعلى ذلك فإن الأقزام النادرين الذين نجدهم في الصور يمثلون الأقزام الحقيقيين لا بد أنهم كانوا يتخذون مكانة أخرى بصرف النظر عن أنهم أنفسهم كانوا قليلي الوجود بالبلاط ، والواقع أنهم كانوا لا يستخدمون في بيوت المعظماء وهؤلاء لا يمكن أن نعدم غلماناً صغيراً يقومون بالخدمة إذ يعترض ذلك الفرض صورة الجسم ولباس الرأس ، وفي هذه الحالة يجب أن يكون الممثل هنا رجلاً ولد قميئاً ، كما نشاهد أمثال هؤلاء المخلوقات في كل أجناس العالم ، وعلى ذلك يمكننا أن نستبعد كثيراً من الصور التي أظهرهم فيها المفتن لأسباب خاصة ، إذ هم في الواقع مخلوقات صغيرة متناسقة الأعضاء فنجد مثلاً شخصاً قميئاً قد رسم بجوار محفة سيده وهو يقود حيوان السيد المحبب إليه .

وليس من الضروري أن يكون الأشخاص الذين يرسمون بطريقة صغيرة من الأقزام بل كان المثالون في كثير من الأحوال يرسمون أناساً بصورة صغيرة نسبية بوصفهم حاملين ماداتهم فيكون رسم التابع متناسباً مع صورة السيد المحمول في المحفة^(١) ، وقد لاحظ الرسام في تأليف هذه الصورة ما لاحظته في الصورة رقم ٤٤ في نفس المؤلف من مراعاة النسبة في الرسم حيث نجد الابنة قد رسمت بجانب والديها بصورة صغيرة جداً ومع ذلك فإنه قد بقي لنا بعض حالات نشاهد فيها أقزاماً حقيقيين رسموا بصورة منظمة بوصفهم خدماً كما نشاهد ذلك في مقبرة « تي »^(٢) ، وكذلك صورة القزم في كتاب « ولكنسون »^(٣) .

وعلى أية حال فإن أمثلة الأقزام قليلة جداً ، وفي معظم الحالات نجد القزم قد صور بهيئة قبيحة فيرسم جذمه ورأسه مثل جذع ورأس رجل عادي ولكن ذراعيه وساقيه قصيرة مشوهة بسبب نقص في الغدة .

الأعمال التي يقوم بها القزم : لم يكن استعمال القزم في البيت بأية حال مجرد لعبة أو صورة مضحكة يتسلى بها أصحابه أو تابعاً يقوم بعمل تافه ، بل كان على العكس من ذلك يقوم في البيت بكل الأعمال التي لا تتعارض مع تكوين جسمه فلا يزال الأعمال اليدوية الصعبة التي لا يمكنه القيام بها بحسب تكوينه ولكنه يقوم بالأعمال الأخرى الخاصة بالبيت كما كانت الأعمال الدقيقة كلها من اختصاصه فنجده يقوم بعمل الغلام في البيت وحارس النسيج والصانع وحارس الماشية ، كما نجده يقوم بوظيفة غلام الحجر يحضر لسيدة حاجاته الخاصة كالخذاء والعصا والمخدة والكرسي والمرآة الخ .

وعلى أية حال فإن ذكر « حرخوف » في نفس المتن الذي وضعه هو بأن مواطناً آخر قد أحضر قزماً من بلاد « بنت » لا يعني أن رحلات التجار المصريين قد وصلت

(١) راجع Junker, Giza, V. Fig. 20

(٢) راجع Epron, Le Tombeau de Ti, Pls. 16, 18

(٣) راجع Wilkinson, Manners and Customs, II, Fig. 481, p. 444

إلى هذا الحد في الجنوب وذلك لأن هؤلاء الأقزام كما شرحنا من قبل ليسوا من فصيلة الأقزام الحقيقيين ، وإذا كان الأمر كذلك فإننا لانعرف إلى أى بقعة شمالا استوطن هؤلاء القوم في هذا العهد إلا أنه من الجائز جداً أنهم جلبوا بواسطة تجار الرقيق إلى المكان الذى كان يتقابلون فيه مع المصريين في بلاد النوبة .

هذا ولا يمكن أن نعتبر طول مدة الرحلتين الأخيرتين اللتين قام بهما « حرخوف » تشير إلى أن المصرى قد أوغل في سياحته نحو الجنوب وأن « يام » موقعها بعيد في الجنوب وذلك لأننا لانعرف مقدار سرعة سيره ولم نعرف كذلك المدد التى كان يمكثها « حرخوف » في البلاد المختلفة التى جاب مجاهلها . وقد فحص الأستاذ « جاردنر » مواقع هذه الأماكن عند تحدته عن « مجا » (مزأ) . فيقول : أن « مزأ » أو « مجا » التى جاء ذكرها في النقوش هي بلاد يسكنها قوم من البدو الرحل ويحتمل أنها تقابل قبيلة « بجا » الحالية . وتعد « المجا » أو « المزأ » في عهد الدولة القديمة أحد الأقاليم النوبية المجاور بعضها لبعض التى منها « واوات » و « يام » و « أرث » وهذه هي التى جاء ذكرها عادة في المتون ، وسكان هذه الأقاليم يوصفون بأنهم « النحسيو » وهي كلمة تطلق على الذين من أصل نوبى وليسوا زنجوا . وفي الحملة التى قام بها « بيبى الأول » على بدو « سيناء » نجد أن الجيش الذى كان يقوده « ونى » لمحاربة بدو « سيناء » يحتوى على فيالق من الأقاليم أو القبائل السالفة الذكر . ونجد من بين الموظفين الذين خوطبوا في منشور مؤرخ بحكم هذا الملك رئيس المترجمين « للجا » و « يام » و « أرث » مما يدل إلى حد ما على أنهم كانوا تحت سلطان القضاء المصرى ، وفي العهد التالى أى في حكم الملك « مرنرع » نجد أن رؤساء « المزأ » و « أرث » و « واوات » قد زاروا جوار « أسوان » ليقدّموا

(١) راجع Gardiner, Onomastica, II, p. 73

(٢) راجع Junker, J.E.A. Vol. VII, p. 121 ff.

(٣) راجع Urk., I, p. 101

(٤) راجع Urk., I, p. 209 ff.

خضوعهم للملك شخصياً كما ذكرنا من قبل ، وهذه الحادثة يحتمل أنها كانت تتفق مع مساعدتهم للقائد « وني » ونجد كذلك هنا أن أمير « يام » قد قام بدوره في جر قطع خشب السنط للسفن التي استعملها في نقل الجرانيت لهرم الملك « مرنرع »^(١) ، وإذا كان قول الأثرى « ويجول »^(٢) ، كما ظن حقا ، من أن هذا الخشب قد قطع من داخل هذه الأقاليم التي يحكمها هؤلاء الأمراء فإن هذه الأقاليم لا يمكن أن تقع على مسافة بعيدة من مصر ، والواقع أن الفكرة التي يستخلصها الإنسان من ذلك أن كل هذه الأقاليم كانت تتحصر في مساحة قدرها ٣٥٠ كيلو متراً من النهر بين « الشلال الأول » و « الشلال الثاني » . ولدينا بعض تفاصيل مؤكدة لهذا الرأي يمكن الإنسان أن يلمسها . فإقليم « واوات » كان معروفاً أنه امتد شمالاً حتى حصن « سنخت » (بجه) . ولدينا نقش على الصخر في « كرسكو »^(٣) مسجل فيه حمله قام بها « امنمحات الأول » ليهزم « واوات » وربما تكون الحملة في هذا الوقت قد وصلت إلى هذا الحد جنوباً . وفي عهد الدولة الحديثة كانت تشمل كل بلاد النوبة السفلى^(٤) . ولدينا نقش على الصخر للملك « بيبي الأول »^(٥) في « توماس » على مسافة ثلاثين كيلو متراً في أعالي النهر من « كرسكو » يخلد ذكرى موظف قد أرسل إلى هذه الجهة ليقترع مجاهل « أرث » ومن ثم يمكن أن نستنبط أن « توماس » كانت في داخل هذا الإقليم . وعلى أية حال فإن أمير « أرث » كان كذلك أمير « سثو » التي أشير إليها بأنها في أسفل « أرث »^(٦) . وعلى ذلك يجوز أن « واوات » في عهد الأسرة السادسة لم تصل في امتدادها إلى أعالي النهر حتى « كرسكو » . وكان أمير

(١) راجع Urk., I, p. 109

(٢) راجع Weigall, Antiquities of Lower Nubia, p. 5 ff.

(٣) راجع A.Z., XX, p. 30

(٤) راجع Reisner, J.E.A., Vol. VI, p. 84

(٥) راجع Weigall, Ibid, Pls. 56, 58, p. 108 ; Urk., I, p. 208

(٦) راجع Urk., I, pp. 125-127

« الفشتين » « حرخوف » قد أرسل في عهد الملك « مرزوع » للكشف عن مجاهل «^(١) يام » وهي تقع بدهيا بعيداً عن مصر أكثر من « سثو » و « أرث » اللتين ذكرهما في نقوشه ولما لم يكن قد تكلم عن « مجا » (مزا) فإنه يظهر إذاً أنها كانت تقع بعيداً عن هذه الجهات ، والبراهين التي تدل على موقع « مجا » (مزا) في هذا العهد المبكر تعوزنا ، ولكن لا يحتمل أنها تقع جنوب الشلال الثاني وإن كان « ويجول^(٢) » قد أخطأ بالتأكيد في قوله إنها تمتد شمالاً حتى « الدر » القريبة من « توماس » وعلى ذلك كان من الواجب أن يكون ضمنها « أرث » . وفي عهد الدولة الوسطى يصادفنا اسم الحصن « خسف مزاو » = « صد المزاوى » (فرص) وهذا يقدم لنا شاهداً هاماً على أنه عند ما بنى هذا الحصن — وذلك لم يكن قبل الدولة الوسطى — كانت هجمات « المزاوى » مستظرة في هذه النواحي^(٣) . وإذا لم يعتبر « المزاوى » في ذلك العهد من الأقوام المعتدين لكان الكلام السابق من لغو القول . وقائمة الحصون كما سنرى بعد تضع هذا الحصن بين « وادى حلفا » و « عنيبة » وقد قيل إن مكانها هو « سره الغرب » و « فرص » . وعلى أية حال فإنه في عهد الأسرة الثالثة عشرة كان قوم « المزاوى » (المجاي) يسكنون خلف « الشلال الثاني » وذلك لأن ورقة « الرمسيوم » وهي التي أطلق عليها رسائل « سمنه » تسجل وصول^(٤) عدد صغير من « المزاوى » إلى « سمنه » وهم الذين يرجعون بعد بيع سلعهم إلى المكان الذي أتوا منه . والذي يهمنى الآن هو موقع بلاد « مزاو » (مجاو) . وتدل البراهين التي أوردناها فيما سبق على أن هذه البلاد كانت في عهد ختام الأسرة السادسة تقع شمالى الشلال الثاني ومن المشكوك فيه كثيراً أنها كانت تمتد وراء ذلك الإقليم المصرى الصغير . ولا نزاع في أن ملوك مصر في عهد الدولة القديمة

(١) راجع Urk., I, p. 124 ff.

(٢) راجع Weigall, Ibid, p. 9

(٣) راجع Onomastica, II, p. 271

(٤) راجع J. E. A., Vol. XXXI, p. 3 ff.

لم يجندوا جنوداً من الجنوب الأقصى لبلاد النوبة العليا . وقد دون الأستاذ « زيته » ملحوظة غريبة في بابها في كتابه الخاص باللغات على أعداء مصر وهي التي وجدت على قطع من الفخار جاء فيها « في الوقت الذي يجد فيه الإنسان سائر أعداء مصر من النوبيين وصفوا بأنهم حكام كل على مملكته الخاصة جاء ذكر حاكم « مزاي » دون أى لقب « مزاي واح إب »^(١) وقد يدل هذا على أنه عند تأريخ كتابة هذه المتون التي يرجع عهدها إلى قبل الأسرة الثانية عشرة كانت « مزاي » أو « مجا » قد أصبحت لا تحدد بوصفها وحدة جغرافية ، وإن كان قوم « المزاي » لا يزالون يوجدون بوصفهم قبيلة منفصلة . وبعد الدولة القديمة لم نعد نسمع عن « أرث » و « يام » . ومن المحتمل أن شخصية بلاد « مزاي » الأصلية قد أصبحت في النهاية مندمجة في بلاد « واوات » التي أصبحت مرادفة لبلاد النوبة السفلى . ولدينا وثيقة تشير إلى هذا الرأي وأعني بها ورقة « بولاق » التي تبحث في اليوميات الخاصة بمصاريف البلاط والأحداث التي جرت في « المدمود » في عهد أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة^(٢) ، فقد جاء في هذه الورقة ذكر رئيسين من « المزاي » كانا قد أتيا ليقدما مع نساء وطفل وتابع ومترجم . وقد وصف أحد الرئيسين كما يأتي : رئيس المزاي للمزاي . والمقصود بكلمة « المزاي » الأولى النوبيون على وجه عام والمزاي الثانية هي قبيلة « المزاي » الخاصة . والظاهر أن كلمة « مزاي » بمعنى النوبيين قد ظهرت على ما يظن للمرة الأولى في العهد المتوسط الأول في نقوش محاجر المرمر في « حتنوب »^(٣) ، وكذلك في تعاليم « أمنحات الأول » حيث نجد الملك يلقي قوله : « لقد حملت « المزاي » أسرى وهزمت أهل « واوات » ، وربما كان المقصود هنا البلدين اللذين تتألف منهما في الأصل بلاد النوبة السفلى .

وتدل ظواهر الأمور على أنه في عهد الدولة الوسطى وحتى فيما بعدها بقليل

(١) راجع Setho, Die Achtung feindlicher Fürsten, p. 36 (in Abh, Berlin, 1926)

(٢) راجع كتاب مصر القديمة الجزء الثالث ص ٣٨٨ الخ .

(٣) راجع Anthes, Die Felseninschriften 16, pp. 6-7 ; J.E.A., 30, p. 61

كان اسم « المزاي » ، « مزايو » ، « مزاي » يراد به النوبيون في معنى عام وذلك لأنه كان يذكر وحده ليعنى أى قوم من النوبة وما بعدها ، فمثلاً في تحذيرات نبي نجد العبارة التالية : « والمزاي ملاطف مع المصرى^(١) » . وربما كان المقصود من ذلك أنه كان على مصافاة مع تلك البلاد التى كانت نفسها ممزقة بالحروب الداخلية .

وبعد هذا العهد بنحو خمسة قرون كان الملك « كاموس » يستعمل جنداً من « المزاي » في هجومه على الهكسوس^(٢) ، ولكننا لا نعرف أن هؤلاء الجنود هم من الجنس النوبى الصافى .

وإذا كانت كلمة « مزاي » قد أصبحت تعبر عن النوبيين الذين زحفوا جنوباً بعد موطنهم الأصلي فإنه من الطبيعى أن التعبير عنهم فيما بعد ينبغى أن يحمل معنى مقابلاً لاسم بلاد « مزاي » . ومن المحتمل أن الاشارات إلى أرض « مزاي » منذ عهد الدولة الوسطى وما بعدها إما أن تكون مجرد تعبير قديم محض كما نجد في قوائم البلاد التى فتحها ملوك الدولة الحديثة مثل « تحتمس الثالث^(٣) » و « سبتى الأول^(٤) » وما بعده ، أو أن الكلمة مستعملة في معنى مبهم لتدل على كل السودان بأوسع معانيه ، غير أن هناك بعض اعتراض على ذلك^(٥) . فالظاهر أنه كانت لا توجد أرض تدعى بلاد « مزاي » بعد بداية الدولة الوسطى كما يقول « جاردنر^(٦) » وعلى أية حال فإنه من الحقائق الثابتة أننا لم نعد نسمع إلا ذكر قوم « مزاي » باطراد مستمر ، وفي الوقت نفسه أخذ ذكر بلاد « مزاي » يقل شيئاً فشيئاً في المتون .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن علماء الآثار الألمان أخذوا يتأثرون برأى الأستاذ.

(١) راجع Gardiner, Admonitions, 14, p. 14

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٤١

(٣) راجع Urk., IV, 799, 78

(٤) راجع Die. Geogr., III, p. 65 f.

(٥) راجع Gardiner, Onomastica, II, 78

(٦) راجع Ibid, II, 79

« شيفر » في توحيد كلمة « مجا » أو « مزرا » باسم قبيلة « ^(١)بجا » . وهذا التوحيد قد اعترف به « ادوارد مير » ^(٢) والأستاذ « زيتة » ^(٣) والأستاذ « كيس » ^(٤) . والواقع أن الرأي الذي عبر عنه كل من « برستد » و « جوتييه » مفضل على رأى الألمان وذلك لأن كلا منهما يعد « المزاي » من أهل الجنوب (النوبيين) لا بدواً من أهل الصحراء الغربية . والواقع أننا إذا استثنينا بعض أمثلة فيها شك ذكرها الأستاذ « جاردنر » عن بلاد « مزاي » فإننا قد لا نجد مثالا واحداً يعبر عن بلاد « المزاي » بمعناها الجغرافية الصحيحة الذي يدل على النوبيين بعد الأسرة الثامنة عشرة ، بل من هذا العهد وما بعده قد نجد أن كلمة « مزاي » تعنى الشرطة أو ما يشبه ذلك .

رأينا فيما سبق أنه في كل من نقوش الدولة القديمة ولوحة « كارنفون » الخاصة بأعمال الملك « كاموس » أن استعمال « مزاي » النوبيين كان بوصفهم مساعدين للجيش المصرى . وهذا الاستعمال كان من غير شك أكثر شيوعاً في الوقت الذى سبق للأسرة الثامنة عشرة مما تكشف عنه المصادر التى في متناولنا ، وذلك لأنه منذ نهاية هذا العهد كانت كلمة « مزاي » قد أصبحت كثيرة الاستعمال بمعنى شرطى أو رام . ومن المحتمل أن أول أثر لهذا الاستعمال كان في عهد « سنوسرت الثالث » عندما ظهر « مزاي » في موظفى معبد « اللاهون » ^(٥) ، وكذلك لدينا مثال آخر وجد على لوحة خشنة النقش محفوظة الآن في متحف « جيميه » حيث تجد لقب « مزاي » قد منحه رجلان يحملان اسمين مصريين وهما « رس » و « بتاح ور » ^(٦) . وهذه اللوحة يمكن أن تنسب إلى عهد الأسرة الثالثة عشرة . وقد لوحظ أن أحد الرجلين كان لونه أحمر

(١) راجع Die Aethiopische Königschrift, etc., p. 136

(٢) راجع Ed. Meyer, Gesch., 165

(٣) راجع Urk., I. p. 36 f.

(٤) راجع Kees, Kulturgesch., p. 237

(٥) راجع A.Z., XL, p. 114

(٦) راجع J.E.A., XXV, p. 24 f

على حسب ما جاء في المتن الذي دونه «موريه» ، ولكنه لم يذهب إلى أن المقصود به نوبي . ويقول « جاردنر » إنه لم يجد في الأزمان التي خلفت الأسرة السابعة عشرة أى برهان ما غير اسم « مزاي » نفسه . واللقب « رئيس المزاي » يدل على رئيس الشرطة أو الجنود الذين كانوا يسمون بهذا الاسم ، وكانوا يشملون رجالا من أصل نوبي . ومن جهة أخرى لدينا حقائق عدة تدل على أن الضباط أو الرجال الذين وصفوا بأنهم « مزاي » كانوا مصريين حقيقيين . ففى « تل العمارنة » نجد أن فرقة بأكملها^(١) قد رسمت على جدران قبر ضابطها المسمى « محو » . و « محو » اسم مصرى ولا يوجد في منظر رجاله ما يدل على أنهم من دم أجنبي . وفى « الكاب » أن « مزاي » كان ابن أخت صاحب المقبرة ، وليس لدينا ما يدعو إلى الشك في أن « نبامون » صاحب المقبرة رقم ٩ في « طيبة » الذى بدأ حياته بحاراً وأصبح فيما بعد حامل علم ، وختم مجاله في سلك التوظيف بأن أصبح ضابط « مزاي » في غربى « طيبة »^(٢) لم يكن مصرياً ، وهكذا من الأمثلة التي لا حصر لها . والواقع أن أسماء « مزاي » (الشرطى) في عهد الدولة الحديثة كله كانوا بوجه خاص مصريين مثل ضباطهم الذين كانوا يلقبون ضباط المزاي ، وكان من أهم أعمالهم حراسة الجبانة وحراسة الحدود في كل أنحاء البلاد .

ولم نسمع عن « المزاي » إلا القليل بعد الأسرة العشرين . وخلاصة القول أنه يمكن تلخيص نتائج هذا البحث الطويل في ثلاثة عهود مميزة في تاريخ التعبير « مزاي » ، « مزاي » .

(١) الأول من عهد الدولة القديمة عندما كانت كلمة « مزاي » تشير إلى إقليم صغير ويحتمل أنه كان الإقليم الواقع شمالى الشلال الثانى مباشرة .

(١) راجع Davies, El Amarna, IV, Pl. 17 ff.

(٢) راجع Pahere, Pl. 7

(٣) راجع Davies, Tombs of Two Officials, Pl. 17

(٤) راجع Gardiner, Ibid, I, 88

(٢) الثانى من عهد الدولة الوسطى حتى عهد الأسرة السابعة عشرة عندما كان قوم « المزاي » لا يزالون نوبيين ، ولكن الاسم أصبح عاماً يشمل أناساً يحتمل أنهم كانوا يعيشون بعد الشلال الثانى بمسافة كبيرة .

(٣) الثالث من عهد الأسرة الثامنة عشرة عندما كانت كلمة « مزاي » تستعمل بوصفها لقب وظيفة وتعنى رجال الشرطة ورماة الصحراء ، ويحتمل أنها قد فقدت فى هذه الفترة كل علاقة فعلية مع بلاد النوبة والنوبيين .

ولدينا أسماء أما كن أخرى جاء ذكرها فى متون الدولة القديمة مثل « مانر » و « تررس » لم يمكن حتى الآن استنباط شئ عن حقيقة موقعها على وجه التأكيد .

طرق المواصلات بين مصر وبلاد النوبة :

ذكرنا فيما سبق شيئاً عن الرحلات التى كان يقوم بها كبار رجال الدولة من « منف » عاصمة الملك وكذلك من « الفتين » إلى بلاد النوبة ، وما كان بين البلدين من ارتباط تجارى ، فكانت مصر فى عهد الدولة القديمة تصنع سلعاً تحتاج إليها بلاد النوبة احتياجاً شديداً ، كما كانت الأرض الجنوبية تنتج كميات عظيمة من المواد الغفل — بالإضافة إلى تجارة العبيد الذين كانت مصر فى حاجة إليهم . هذا ونعلم أن مصر كان يفصلها عن بلاد السودان ذلك الجزء المجذب الذى لا يأتى بثمار ، وهو الاقليم الذى سمي « كاش » أو « كوش » أو « اثيوبيا » . فيما بعد ، وكانت « كوش » نتيجة لذلك تعد أرض طرق تجارية ، وقد كسبت أهميتها وقتئذ وإلى الأبد بما أوتيت من موقع جغرافى بوصفها حلقة الاتصال بين مصر وأواسط أفريقيا . ويمكن تتبع الطرق التى كانت تسير عليها التجارة فى عهد الدولة القديمة من البيانات التى تركها لنا قواد الحملات على جدران مقابرهم وعلى الصخور التى على ضفتى النيل . والظاهر أنها كانت نفس الطرق التى تستعمل حتى يومنا هذا . ففى عهدى المهدى والخليفة التعايشى فى السودان كانت التجارة قد قضى عليها تقريباً . ومنذ عام ١٩٠٠ م . فتحت حكومة

السودان خطوط السكك الحديدية والبواخر النيلية مما أنقص من تجارة القوافل ، وبذلك تحول جزء عظيم من التجارة إلى طريق « بور سودان » . ويلاحظ أنه في القرن المنصرم من عصرنا كانت الطرق القديمة لا تزال مستعملة ، وهي ثلاث طرق : الأولى طريق التجارة النيلية ، والثانية الطريق التي تخترق الصحراء الشرقية ، والثالثة الطريق التي كانت تسير في الصحراء الغربية . وطبعاً أن العامل الحاسم في صلاحية كل من هذه الطرق للسير عليه هو وجود الماء الذي يعد أهم عنصر للحياة في هذا الإقليم القاحل . هذا ولم يكن نهر النيل نفسه كله صالحاً للملاحة لما يعترضه من شلالات . وعلى أية حال كانت فيه مسافات صالحة لسير السفن منها مسافة طولها ثلاثمائة كيلومتر وتقع بين الشلال الأول والثاني وكانت على ما يظن تستعمل للتجارة في عهد الدولة القديمة ، وكانت متصلة بالنيل بقنوات عند الشلال الأول . هذا وتوجد مسافة أخرى صالحة للملاحة يبلغ طولها حوالي مائة كيلومتر وتقع بين « كوشه » و « دلقو » . ثم المسافة الطويلة التي يبلغ طولها حوالي أربع مائة وخمسين كيلومتراً في المنحنى العظيم الذي تقع فيه منطقة « دنقلة » الحالية ، ولكن من جهة أخرى تكون الشلالات صالحة للملاحة في أثناء فصل الفيضان (أى مدة شهرين في السنة) ويمكن للسفن المحلية أن تقوم بالرحلة بين « دنقلة » و « حلفا » ثم تعود في تلك المدة .

ويتضح لنا من البيانات التي وصلت إلينا من عهد الدولة الحديثة أن الطرق النهرية كانت تستعمل سنوياً لنقل البضائع التي كانت تجبي من هذه الجهات كل عام . وتدل النقوش التي تركها ملاحو السفن في عهد الدولة القديمة والدولة الوسطى على استعمال الطريق المائية حتى الشلال الثاني على الأقل . ومن المحتمل أن هذه الطرق كانت معروفة ومستعملة منذ أقدم العهود ، وكانت الرحلة ذهاباً وإياباً تستغرق في هذه الأحوال على الأقل مدة سنة فكان الرحالة يصعد في النيل في أثناء الفيضان ثم ينحدر راجعاً خلال الفيضان التالي . وتوجد على كل من شاطئ النهر طريق محاذية للنيل تتفرع عند المنحنيات التي في النهر لتخترق المسافة بطريق قصيرة تدعى « عقبة »

في الصحراء ، غير أن الرحالة يعود ثانية إلى النيل دائماً لأجل أن يسير في محاذاة ماء النيل . والصحراوان اللتان تقعان خلف الوادي إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب مختلفان اختلافاً عظيماً من حيث التركيب الجيولوجي ومن حيث السكان ونوع الطرق . ففي الصحراء الشرقية لا توجد واحات كبيرة ولكن توجد فيها أحواض عدة حيث يجتمع المطر الذي كان ينزل من وقت لآخر ويتجمع ويخزن في آبار ، وهذه الصحراء الآن يسكنها من أول خط عرض قنا جنوباً حتى منطقة الأمطار عدد قليل من البدو معظمهم من العبايدة والبشاريين ، وفي الأزمان القديمة كان يقطنها كذلك قوم من البدو ربما كانوا من جنس مختلف .

وكان مورد حياة هؤلاء السكان هو قطعان الإبل والماشية الصغيرة والفحم البلدي وتجارة الملح وصيد السمك في البحر الأحمر ، على أن هؤلاء البدو وما يملكون من إبل ، ومن خبرة في معرفة بالآبار ، قد تمكنوا بطبيعة الحال من احتكار كل طرق النقل في الصحراء . وطرق القوافل المعروفة هي :

(١) من النيل بطريق « قفط » — « قنا » أو الأقصر حتى موانئ البحر الأحمر وأهمها الآن « القصير » ، وفي عهد الدولة القديمة « ساو » (الآن وادي « جاسوس ») وهي ميناء بلاد « بنت »^(١) .

(٢) وطرق القوافل المؤدية إلى المحاجر والمناجم المختلفة في « حتنوب » وجبل « فطيرة » و « حمامات » (على طريق القصير) و « أم روس » و « وادي العلاقي » الخ .

(٣) وأعظم الطرق التي في الشمال الجنوبي تخرج من عند النيل في « دراو » شمالي « أسوان » وتمر بسلسلة آبار يومية تقريباً وبعد مسيرة مدة تراوح ما بين ستة عشر يوماً إلى عشرين يوماً تصل إلى النيل فوق بداية منحني « دنقلة » العظيم . وفي الأزمان الحديثة تؤدي هذه الطريق إلى « شندی » و « سنار » . ومن « شندی » تخرج طرق

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثاني ص ٢٦٢ والجزء الرابع ص ٣٢٧

أخرى إلى « سواكن » أو « الحبشة » وتخترق الصحراء إلى « مروي » أو « كورتى » في مديرية « دنقلة » ، ومن « سنار » كات الطرق مفتوحة إلى « كردفان » و « دارفور » وغربي أفريقيا أو إلى نقط تجمع مياه النيل الأزرق أو النيل الأبيض .

(٤) ويوازي تقريباً طريق « دراو » — « سنار » الطريق المؤدية من « كرسكو » إلى « أبو حمد » وكانت في الواقع طريقاً مختصراً في طريق النهر المحاذية لشريط المناء « دنقلة » الكبير ، وهذه الطريق تقطع في ثمانية أيام وليس فيها إلا بر واحدة في منتصفها تقريباً .

وأهم الطرق للتجارة الكوشية الطريقان الشماليان الجنوبيان بطبيعة الحال فهما الوحيدتان الهامتان لها ، ومن المحتمل أنهما اللتان كانتا تستعملان في الأزمان القديمة . والصحراء الغربية تمتاز بسلسلة الواحات التي تمتد بمحاذاة الوادي . ففي الأزمان الحديثة كانت طريق القوافل الذاهبة جنوباً وهي « درب الأربعين » أو طريق « دارفور » تخرج من النيل عند « أسيوط » وتمر جنوباً بالواحة الخارجة وبسلسلة من الواحات الصغيرة أو الآبار حتى واحة سليمة ، ومن ثم تسير إلى « بئر السلطان » حتى « دارفور » . وهذه الطريق الرئيسية يمكن الوصول إليها بطرق متقاطعة تؤدي إلى الصحراء من « جرجا » أو « سوهاج » و « أرمنت » أو « الأقصر » و « أدفو » وبوجه خاص من « أسوان » . وطريق « أسوان » تتجه نحو الجنوب الغربي وتمر بواحي « كركر » و « دنقل » ، و « بئر أبو نجيل » وتصل إلى « درب الأربعين » عند واحة « سليمة » ، ومن واحة « سليمة » تؤدي طريق قصيرة إلى النيل ثانية عند « ساقية العبد » أو إلى جزيرة « ساي » على مسافة أربعين كيلو متراً شمالي « معبد صلب » . وهناك طريق أخرى أطول تؤدي إلى رأس الشلال الثالث وهو إقليم دنقلة الجديدة (الأردى) وجزيرة « ارقو » ثم « كرمه » .

وقد كانت طريق « أسوان » — « سليمة » — « ساي » أو « كرمه » في نظر مصري الدولة القديمة عملية أكثر من طريق « درب الأربعين » إذ كانت تسمح

باستعمال النهر حتى « أسوان » ومع ذلك كانت تمر بهم على كل القبائل التي اشتهرت بالتهب وبفرض الضرائب وهي التي كانت تسكن وادى مديرية « دنقله » التي لم تبعد كثيرا عن الأسواق الجنوبية الرئيسية . أما التجار الجنوبيون الذين كانوا يسعون للوصول إلى مصر ويرغبون في تجنب تعرض الموظفين المصريين لأموالهم وقبائل « واوات » الذين يقطنون شاطئ النهر فكانت طريق « الأربعين » أوفق لهم . والغرض من اتخاذ هذه الطرق الصحراوية الشاقة تجنب تتابع انقضااض القبائل والحكومات الصغيرة التي يقطن أهلها ساحل النهر ومطالبة القوافل بالضريبة الحتمية على ما تحمل من سلع ، وكان رئيس كل قبيلة يحدد ضريته على كل حمولة أو كل شخص حسب إرادته ، وكان يعلم أن تأخر القافلة من أحسن الأسلحة لديه لزيادة الضريبة ، هذا إلى أن إلقاء القوافل عصا السير من أجل ذلك كان يهيئ فرصا لسرقة البضائع وسرقة دواب الحمل الخاصة بالقافلة . على أن نفس الطرق المفضلة لم تكن مأمونة بعيدة عن غارات سكان الصحراء الذين ينقضون من الجبال ، غير أن قبائل الصحراء المتفرقة كانوا في الأزمان الحديثة ينحسرون في مجموعة أو مجموعتين وعلى ذلك فإن القافلة كانت تتقي هجماتهم بدفع الضريبة مرة أو مرتين بالمساومة من أول الطريق وكان في إمكان القافلة بذلك أن تقطع الطريق من « أسوان » حتى « دنقله » أو « بربر » دون أى مائق يقوم في وجهها . وعندما نفحص نقوش الدولة القديمة نجد أن من واجب قواد القوافل وقتئذ أن يتعاملوا مع بلاد مثل هذه تنقصها الحكومة المركزية . يضاف إلى ذلك أن المصري القديم لم يكن لديه إبل بل كان كل ما يستعمله في رحلاته هو الحمار الذي كان يجتاز به الصحراء وكان سيره فيها يتوقف على وجود الماء ، ومن المعلوم أن قوافل الحمير القليلة التي كانت تقوم بالرحلات في الصحراء لا يمكنها أن تسير أكثر من يومين . أما القوافل العادية التي تسير فيها الحمير والجمال معاً فيمكن أن تقطع مسافة طويلة في صحراء لا ماء فيها ، لأن الجمال كانت تحمل الماء اللازم لقطع هذه المسافة^(١) . هذا ولدينا صعوبة أخرى

عندما نريد أن نحكم على هذه الرحلات الصحراوية وأعني بها علاقتها بالآبار المحفورة في الصحراء فنجد حتى يومنا هذا آباراً عدة تكون أحياناً مملوءة بالماء وأحياناً أخرى تكون ناضبة .

وعندما يفكر الإنسان في الأهمية العظمى لبئر واحدة تتوقف عليها حياة القائمين برحلة طويلة ومقدار ما يتعرضون له إذا طمرت الرمال — وكثيراً ما يحدث ذلك — أصبح من الصعب عليه أن يحكم على إمكانيات التجارة بالسير على طرق مختلفة ؛ ذلك إلى أن السطو على القوافل في الوديان التي كانت آبارها محافطاً عليها كان كثيراً بلا شك .

ويمكن أن نلخص القول عن كيفية اختيار طرق التجارة القديمة فيما يأتي :

عندما تكون الحاصلات المطلوبة في بلاد النوبة السفلى ويصعب نقلها بسرعة مثل الأحجار اللازمة للتماثيل وغيرها ، ومثل قطع الخشب الكبيرة اللازمة لبناء السفن وغيرها ، فإن طريق النقل بالنيل كانت هي المستعملة في هذه الحالة . ولكن عندما يكون المطلوب نقل بضائع خفيفة الوزن تنقل على ظهور الحمير على الطريق المحاذية للنيل . وفي هذه الحالة كان يتفادى الإنسان انحناءات النيل باتباع الطريق القصيرة ، أى باختراق الصحراء مباشرة ، ثم العودة إلى الطريق المحاذية للنيل . وكانت الطريق المفضلة التي تربط البلاد التي خلف « الشلال الثانى » بالأراضى التي بعده هي طريق الصحراء المارة بواحات « كركر » و « دنقلة » و « سليمة » إذا لم يكن لدى المسافر أشياء يريد قضاءها في بلاد النوبة السفلى .

وتدل ظواهر الأمور ، كما قلنا سابقاً ، على أن التجارة كانت في هذه الأحوال احتكراً للوك ، ولا أدل على ذلك من نظم الحكم في الدولة القديمة ، فطالما ظلت الحكومة المركزية في « منف » قوية لا يفكر أحد في ارتكاب شئ يخالف القانون ، وحتى في خلال عهد الملك « بيبى الثانى » الطويل الأمد (٩٧ سنة) عندما أخذ

حكام الاقطاع ينفصلون شيئاً فشيئاً عن الحكومة المركزية فإن الحال بقيت كما هي عليه من حيث احتكار الملك للتجارة . وعلى الرغم من ذلك فإن ذكر هذه الحالة لم يرد في نقوش رؤساء البعوث قط ، غير أن ذلك كان مفهوماً ضمناً لأن هؤلاء المبعوثين كانوا دائماً يتلقون تعليماتهم من الفرعون نفسه ، كما كان هو الذى يعينهم للقيام بهذه البعوث ، وهكذا كانت حال هذه التجارة عندما توجد حكومة مركزية قوية في عاصمة البلاد . وهذه الحال كانت كذلك سائدة في عهد « محمد على » الذى قبض على زمام كل موارد التجارة بعد أن كانت في عهد المماليك في أيدي أشخاص مختلفين .

المعاملات التجارية :

الواقع أننا لا نعرف إلا القليل عن المعاملات التجارية بين مصر وبلاد النوبة في هذا العهد ، والظاهر أن هذه المعاملات في بادئ الأمر قد ظهرت عند ما كانت الروابط السياسية تسير على سبيل الود والمصافاة ، وكان قوامها المنفعة المتبادلة بين البلدين ، فكان المصرى يدفع للمواطن النوبى أجره على الأعمال التى يؤديها له ، كما كان يشتري منه البضائع الغفل التى لم يجنها بنفسه ، وعندما تأزمت الأحوال السياسية بين القطرين فيما بعد ، كان لزاماً على النوبى أن يدفع جزية تدعى « تنجو » لمروور تجارته عند الحدود .

وليس لدينا في مقابر المجموعة الثقافية « ب B » الفقيرة من مواد التجارة إلا أشياء قليلة مستوردة من الصناعات التى كانت تتبادل بين مصر وبلاد النوبة في هذا العهد ، فالأواني المصنوعة من الحجر كانت معدومة بالمرّة ، ولم يوجد الخرز ضمن محتويات أثاث المقابر إلا نادراً وكان بسيطاً في صنعه مع أنه كان من الممكن وضع أشياء ثمينة مع الموتى . ولم يذكر لنا المصرى نفسه في نقوشه التى تركها لنا إلا ما جاء في فقرة واحدة في نقوش « سبنى » التى تركها لنا عن رحلته التى قام بها لإحضار جثة والده ، ولكن مما يؤسف له أن الكلمة الحاسمة الهامة في هذا النقش وجدت مهشمة ،

وعلى ذلك فإن المعنى ليس مؤكداً على الوجه الأكمل. وهالك ما وجد فيها: «قائد السفينة «انتف» و... ينادون: إن السحير الوحيد والمرتل «نحو» والد «سبنى» قد مات وقد أخذت جنوداً من إقطاعيتي ومائة حمار معي محملة بزيت العطور والشهد والملابس وأشياء من الفخار المصقول وأواني من المرمر لأرفه بها عن أهل هذه الأرض الأجنبية (؟)». ولسنا على بينة تامة من أن هذه السلع التي حملها معه «سبنى» كانت للتجارة فيها مع بلاد النوبة، ولكن شواهد الأحوال تدل على أنها كانت للتجارة، وعلى هذا فإن المتن الذي نتحدث عنه هنا له قيمة عظيمة جداً لأنه ذكر لنا محاصيل لم نجدها في هذا العصر في قبور بلاد النوبة مثل الملابس وزيت العطور والشهد.

ومن بين المحاصيل الطبيعية الحبوب، وهذه كانت من الأشياء التي يرحب بها السكان الذين كانوا فقراء نسبياً، وبخاصة أنهم كانوا لا يميلون للزراعة في بلاد النوبة السفلى. ويتفق مع ذلك في عصرنا الحالى وصف «بورخارت» في رحلته التي قام بها في هذه الجهات في أوائل القرن التاسع عشر الميلادى^(١). فقد كان في مقدور هذا الرحالة أن يشتري حب الأهليين عندما كان يقود البعث الذي جاء على رأسه لارتياح مجاهل هذه البلاد بما كان قد جلبه معه من مصر من مقادير عظيمة من الحبوب إلى بلاد النوبة، حيث كان لا يزرع فيها إلا في الأماكن الخصبية على شاطئ النهر وهي قليلة. هذا ولم يوجد في المقابر التي عثر عليها من هذا العهد (الدولة القديمة) ما يدل على أنه كانت توجد تجارة في مثل هذه المادة كما كان في ذلك متظراً.

حاصلات بلاد النوبة :

أما ما كان المصرى يبحث عنه في بلاد النوبة بوجه خاص فهو المواد الغفل لا المحاصيل المصنوعة، وتأتى في المتلة الأولى من هذه المواد التي لا توجد في مصر أو التي كانت توجد بقله ولا تكفى حاجة البلاد.

(١) راجع Burokhardt, Travels in Nubia (London 1819), p. 181 f.

وقد عُدّ لنا «حرخوف» عند التحدث عن رحلته الثالثة في مجاهل بلاد النوبة المحاصيل التي أحضرها من بلاد «يام» فيقول: «وعدت إلى مصر مع ثلثائة حمار محملة بالبخور والأبنوس وزيت «حنكو» وزيت «ثاث» وجلود الفهد وسن الفيل (١) وكل محاصيل جميلة».

وتسلم من أمير «أرثت» و«ستو» و«واوات» ثيراناً وماشية صغيرة وهذه على ما نظن لم تكن طعاماً لرجال البعث بل كانت تحمل إلى مصر أيضاً، وذلك لأنه في حملة «ببى — نخت» التأديبية التي قام بها في نفس هذا الاقليم قد أحضر غنيمة عظيمة لمصر أنواعاً من البقر («أوا» و «نزو»)^(١) كما جلب مثل ذلك في الحملة التي قام بها «سنفرو» إلى هذه البلاد كما ذكرنا ذلك من قبل . هذا وقد أحضر «سبني» مثل هذه المحاصيل معه من بلاد النوبة^(٢).

ومن المحتمل أن الأبنوس والعاج كانا يجلبان من بلاد النوبة في العهد الطيني إلى مصر وقد عدت منذ ذلك العهد من المحاصيل التي كان لا ينقطع ورودها تقريباً من بلاد النوبة ، ومن المحتمل أن جلد الفهد كان يجلب كذلك إلى مصر منذ العهود المبكرة ، وإن كان لم يظهر استيراده بصورة محققة إلا في تلك الفترة ، ولا نعلم من جهة أخرى إلى أى عهد وجد الفهد في مصر ، ولكن على أية حال فإن الحيوانات المتوحشة كانت قد أخذت في التقهقر إلى الغابات والأحراج بدرجة ما ، ثم أخذت تختفى شيئاً فشيئاً في الجبال ، والواقع أنه كلما كثرت الأراضي الزراعية في مصر أخذت هذه الحيوانات الضارية تختفى أمام المدنية إما في مناطق الدلتا حيث الأعشاب وإما في جنوب الوادي ، ولذلك كان المصري يجلب السلع التي تؤخذ من هذه الحيوانات مثل جلد الفهد من الأراضي الجنوبية . وقد كان فهد جنوب مصر يضرب به المثل في القوة والشراسة وقد ورد ذكره بهذا الوصف في المتون الحربية والأدبية ، هذا إلى أنه كان لا يزال يوجد كذلك بكثرة في عهد الدولتين الوسطى والحديثة .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٨٩

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٩١

الأحجار : وكانت تأتي إلى مصر كما ذكرنا من قبل أنواع جميلة من الأحجار^(١) التي كانت تقطع من محاجر بلاد النوبة ومن منطقة الشلال الأول، وهذه الأحجار كانت مرغوباً فيها في عهد الأسرتين الرابعة والثالثة وبخاصة حجر الديوريت الذي كان يستخرج من محاجر الصحراء الواقعة في الشمال الغربي من بلدة « توشكي » ، غير أننا لم نعثر إلى الآن على نقش يدل على أن ملوك الأسرة السادسة قد استعملوا أحجار هذه المحاجر ، ومن المحتمل أنه لم تكن في عهدهم من الأحجار المحببة اليهم ، أو كان من الصعب عليهم الحصول عليها في تلك الفترة التي كانت البلاد آخذة فيها نحو التدهور ، وتدل شواهد الأحوال على أنهم استعملوا أحجاراً أخرى في هذا العهد .

وكانت الأحجار المتبلورة البركانية التي يمكن الحصول عليها بالقرب من الشلال الأول تستعمل في مصر في كل الأزمان^(٢) . وقد كشف عن نقوش من عهد « وناس » آخر ملوك الأسرة الخامسة وكذلك من عهد الأسرة السادسة تحدثنا عن استعمال هذه الأحجار . فقد كشف المؤلف عن مناظر في طريق الملك « وناس » مثلت فيها سفن تحمل بعض هذه الأحجار آتية من « أسوان » لتقام في أماكنها الخاصة بها في المعبد^(٣) وتشمل عمداً نخلية الشكل وأبواباً من الجرانيت الأحمر وقطع الكرانيش التي كانت تستعمل في إقامة المعبد الجنائزي ، وقد كتب عليها : « أعمدة من الجرانيت أحضرت من أسوان » ، ومن المدهش أن هذه المناظر تدل دلالة واضحة على أن هذه الأعمدة والكرانيش قد صنعت في « أسوان » ثم وضعت على زحافات وربطت ثم وضعت في السفن لتكون جاهزة لإقامتها في أماكنها بمجرد وصولها ، أي أنه كان يوجد في « أسوان » مدارس صناعات لهذا الغرض ، ولم يشهد التاريخ منظراً مماثلاً من قبل

(١) راجع ما كتبه المؤلف عن الأحجار المختلفة ومصادرها في الجزء الثاني من « مصر القديمة » :

ص ١٤٤ — ١٨٠

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثاني ص ١٤٨ و Sethe, Die Bau und Denkmalsteine, p. 87 ff.

(٣) راجع A.S., 38, p. 519

أو من بعد ، اللهم إلا ما جاء على مسلة «حتشبسوت» التي نقلت من «أسوان» ولم يكن قد تم نقشها^(١) .

هذا ويقص علينا «ونى» الذى عاش فى عهد الملك «مرنرع» فى نقوش لوحته التي عثر عليها فى «العرابة المدفونة» عندما أرسله الفرعون للمرة الأولى نحو «أبهات» و «الفتين» أنه أحضر من «أبهات» تابوتاً بغطائه وقطعة هرمية صغيرة كما أحضر من «الفتين» أجزاء أبواب من الجرانيت ، ولا نعلم شيئاً يذكر عن موقع «أبهات» هذه والظاهر أنها على حسب ما جاء فى هذا المتن تقع فى مكان ما عند الشلال الأول^(٢) .

وأول ما تصادفنا الأحجار المتبلورة فى وادى النيل جنوب هذا المكان عند الشلال الثانى وعلى ذلك فإن تابوت «مرنرع» الذى عثر عليه ثانية كان منحوتاً من حجر الجرانيت الأسود الذى يوجد عند الشلال الأول بكميات وفيرة . وقد ذهب الأستاذ «زيتيه» إلى أن موقع «أبهات» يحوار معبد أبو سمبل^(٣) أى فى المكان الذى يقع على النيل بالقرب من المحاجر الواقعة فى الشمال الغربى من «توشكى» وعلى ذلك يكون تابوت الملك «مرنرع» على حسب نظرية «زيتيه» قد قطع من محاجر «توشكى» . ويقول «زيتيه» إنه يجب البحث فى هذه الجهة عن موقع «أبهات» غير أن نظرية «زيتيه» قد بنيت على أساس غير متين ولا تزال تتطلب التحقق من نوع الحجر وقرنه بالأحجار التي تستخرج من هذه الجهة .

الخشب : هذا وقد ذكر لنا «ونى» ، فى حملة أخرى قام بها بعد «الشلال» فى فقرة من نقوشه أنه كان يجلب نوما من الخشب من بلاد النوبة إلى مصر . ولاغربة فى ذلك فإن قلة نمو الخشب فى مصر نفسها وكثرة استعماله فى آن واحد جعلت الحاجة

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٣٣٨ الخ .

(٢) راجع Lucas, Ancient Materials, p. 56

(٣) راجع Sethe, Die Bau und Denkmalsteine, p. 910

ملحة بلبله من الخارج ، وكان أحسن نوع يجلب منه هو خشب الأرز من بلاد « لبنان » هذا إلى أن الأنواع الأخرى التي لم تكن ذات قيمة كبيرة كالتى تزرع في مصر كانت تجلب من بلاد النوبة . ويقص علينا « وني » في حملته الثانية إلى الشلال الوصف التالى : « أرسلنى جلالتى لأحفر خمس قنوات في الجنوب ولأضع ثلاث سفن واسعة الحجم وخمس سفن ثقل مصنوعة من السنط المجلوب من « واوات » وقد جر أمراء « أرث » و « واوات » و « يام » و « مجا » (مزرا) الأخشاب اللازمة ، وقد عملتها كلها في سنة واحدة وأنزلت (السفن) في الماء محملة بالجرانيت بكثرة لأجل الهرم المسمى « مرزوع » جميل عند ما يظهر^(١) . وليس من المهم في هذا المتن المساعدة الودية التى بذلها أمراء بلاد النوبة ، بل المهم في موضوعنا أنه كان في بلاد النوبة السفلى خشب كاف لبناء سفن منه هناك لتعود في النيل محملة بالجرانيت اللازم لبناء هرم الملك « مرزوع » . وهذه الحقائق من الأهمية بمكان للباحث في العلاقات الاقتصادية بين مصر وبلاد النوبة ، والواقع أن هذا المتن لا يقفنا على أن بلاد النوبة كانت تورد لمصر الأحجار الجرانيتية وحسب ، بل كذلك نعرف منه طريقة النقل المباشرة إلى مكان استغلال الأحجار نفسها ، وذلك لأنه كما كانت مصر فقيرة في الأخشاب فإن السفن الكثيرة التى تحمل هذه الأحجار كانت تصنع من خشب بلاد النوبة نفسها ، ولذلك فإن رحلة « وني » هذه كانت متعددة الفوائد لمصر . والواقع أن هذا القائد قد غادر مصر بجيش صغير على ما يظهر من الجنود والعمال إلى المكان الذى أراد أن يستغله ، وهناك بنى سفن ثقل بمساعدة الأهالى ، وفي الوقت نفسه قطع الأحجار ونقلها إلى الشاطئ وأنزلها في سفنه المخصصة لذلك ، ثم سارت في النهر مخترقة الشلال الأول إلى المكان الذى بنى فيه الهرم . أما السفن فإنها بعد تفريغ شحنتها كانت تستعمل في مصر لأغراض أخرى ولا تستعمل ثانية لنفس الغرض إذ لم ترسل كرة أخرى إلى بلاد النوبة بل كان يصنع غيرها جديداً .

والظاهر أن هذه السفن لم تكن كثيرة العدد كما يدل على ذلك متن « وني » . هذا بالإضافة إلى أن كل أهالي بلاد النوبة كانوا يساعدون في إحضار مواد بنائها ، وقد يدل هذا على أن العلاقات كانت سليمة بين البلدين ، ولو ظاهراً ، على أنه من المحتمل أن « وني » قد استعصر معه سفنه في الحملة الأولى من مصر ليرى إذا كان في الإمكان تنفيذ الفكرة التي نفذها في الحملة الثانية ، وهي كما قلنا بناء السفن في بلاد النوبة نفسها .

وفي أيامنا هذه تدل ظواهر الأحوال على أنه لا يوجد خشب كثير في بلاد النوبة ، ولكن يظهر أن الوقت الذي استعمرت فيه مصر هذه البلاد كانت أخشابها مزدهرة وفيرة .

وهذه الأخشاب لم تكن وفيرة في وادي النيل وحده بل كذلك في وديان الصحراء نفسها ، ولا أدل على ذلك من أن وديان الصحراء كانت عامرة بالأخشاب حتى القرن المنصرم كما جاء في وصف للرحالة « بورخارت » للصحراء الغربية إذ يقول مثلاً في وصف وادي « أم جات » الواقعة بالقرب من وادي « العلاقي » : لم يصادفنا حتى الآن واد مررنا به فيه أشجار السنط الكثيفة بهذه الدرجة^(١) التي وجدناها في هذا الوادي

هذا إلى ما وجدته « مس مري » من جبهات للثيران في جهات الصحراء في بقاع لا يمكن أن تربي فيها الآن حيوانات . وهذا يدل على ما طرأ على وجه الصحراء من تغيير في أيامنا هذه .

وعلى ذلك فإنه عند ما يفكر الإنسان في أن الوديان كانت ذات أشجار باسقة يانعة ، فإنه ليس من المستحيل أنه كانت توجد في الصحراء الواقعة غربي بلاد النوبة ، أو في شمال السودان فيلة ترتع في الأدغال التي فيها .

ومع ذلك فإن خشب بلاد النوبة لم يقيم بالدور الذى كان يقوم به خشب بلاد «لبنان» لأن خشب بلاد النوبة كان من النوع الرخيص الذى يوجد منه كثير فى مصر ، ومعظمه كان من خشب السنط . ولما كان خشب النوبة من النوع العادى الرخيص فإنه لم يستورد بحالته الطبيعية إلى مصر بل كان يصنع هناك كما حدثنا «ونى» عن ذلك . فكان على عكس الخشب الذى يستورد من لبنان .

الذهب : ومن الغريب أن الذهب الذى كان فيما بعد يعد أهم مادة تستورد من بلاد النوبة لم يأت ذكره فى نقوش الدولة القديمة قط . ويمكن أن نفسر هذا بأن مناجم الذهب الواقعة بجوار مصر لم تكن غنية فى محصولها ولم تؤسس تأسيساً متيناً حتى أنها لم تكن كافية لتغطية نفقات البلاد .

وفى الدولة القديمة كان يستخرج الذهب من المناطق الشاسعة فى مصر بين وادى النيل والبحر الأحمر وبخاصة فى الصحراء الشرقية جنوباً من طريق قنا — القصير إلى حدود السودان^(١) فى حين أن استخراج الذهب من السودان من « وادى العلاقى » وغيره لم يكن قد عرف عنه شئ أو على الأقل كان لا يستخرج منه إلا الشئ القليل .

(١) راجع مصر القديمة — الجزء الثانى ص ١٩٠

العلاقات الودية بين مصر وبلاد النوبة

في عهد الدولة القديمة

تدل النقوش التي يرجع عهدها إلى أوائل الأسرة السادسة وما قبلها مباشرة على أن العلاقات بين مصر وبلاد النوبة كانت ودية ، ولا أدل على ذلك من نقوش الحدود التي ذكرناها فيما سبق من عهد الملك « مرنرع » هذا بالإضافة إلى المساعدة التي قدمها الرؤساء الوطنيون للقائد « وني » عندما ذهب لاستحضار الأحجار لهرم « مرنرع » من أسوان ، فمن ذلك نرى أن مصر — إذا لم تبسط سيادتها المطلقة على هذه البلاد — لا يمكن أن تؤدي لها هذه المساعدة . والواقع أنه ليس لدينا معلومات تؤكد وجود هذه السيطرة المطلقة ، فلا بد أن هؤلاء الأمراء كانوا يقومون بتقديم هذه الخدمات في مقابل أجر أو منفعة خاصة . على أننا نشاهد هذا التعاون بين مصر وبلاد النوبة في نفس نقوش « وني » في مناسبة أخرى ، غير ما ذكرنا ، وذلك أن الملك « ببي الأول » كان قد شرع في القيام بحملة على البدو وكان جيشه في هذه الحملة لا يقتصر على جنود رديف من المقاطعات المصرية المختلفة ، بل كان يشمل فضلاً عن ذلك فرقا من أهل النوبة من بلاد « أرثت » و « مجا » و « يام » و « واوات » ثم لوبيين . ولم يذكر في هذا المتن الذي ذكرنا ترجمته فيما سبق أسماء الأمراء المختلفين لبلاد النوبة ، بل ذكر فقط كلمة « نحسيو » (= نوبي أسود) وعلى ذلك يميل الإنسان إلى التسليم بأنه لم توجد أية مخالفة حربية بين مصر والبلاد النوبية هذه ، بل كل ما حدث هو أن جنوداً نوبيين من هذه الجهات قد انضموا إلى صفوف الجيش المصري ، وهؤلاء كانوا قد جذبوا إلى مصر في جماعات للخدمة كما هي الحال في أيامنا ، إذ نجد كثيراً من أهل بلاد النوبة يفدون إلى مصر للخدمة فيها عند العظماء والأمراء . وعلى ذلك لم تكن هناك هجرة لقبائل بأسرها إلى مصر ، ويدل على ذلك ما جاء في ورقة « الفنتين » السالفة الذكر من سفر نوبيين إلى الشمال وكذلك ذهاب جيش من قبيلة المجا (المزوى) ومن أهالي « واوات » .

ومما يثبت أن النوبيين الذين وفدوا على مصر في عهد الدولة القديمة وكذلك في عهد الدولة الحديثة فيما بعد كانوا يشتغلون شرطة ما جاء في نقوش منشور «دهشور» في عهد «ببى الأول» فقد قرر فيه أن سكان مدينة الهرم كانوا تحت حماية النحسيو (النوبيين) الآمنين من أى تعدّ. والظاهر أنهم كانوا مرتبطين معا في جماعات معينة، وذلك لأننا نقرأ في نفس المنشور أنهم كانوا تحت إمرة المشرف على التراجمة (القوافل) والمشرف على «المزاوى» و «يام» و «أرث^(١)». والواقع أن أعمال الحفر لم تكشف عن جبانات نوبية خاصة بهم في مصر كما كانت الحال في العهد المتوسط الثانى الذى جاء على أعقاب سقوط الدولة الوسطى، ولكن يمكن تفسير ذلك بأن النوبيين كانوا عند ما تنتهى مدة خدمتهم في مصر، يعودون إلى بلادهم ثانية كما هى الحال الآن إذ نشاهد أن العمال النوبيين عند ما ينتهون من خدمتهم في مصر بتقدم السن يعودون إلى بلادهم ليدفنوا في أرض الوطن. ولدينا من الدولة القديمة بعض مناظر تدل على ذلك^(٢). ومن الجائز أنه بوساطة هذه الهجرة التى بدأت على ما يظهر منذ زمن مبكر حدث اختلاط الدم النوبى بالدم المصرى بالتزاوج بين أفراد البلدين، ومن الجائز كذلك ما يلحظ من أن لون «ببى عنخ» الأسود الذى كان يسكن «الفتين» يرجع سببه إلى أن أمه كانت نوبية، وكذلك الرأس الأسود الذى وجدته «ريزور» في أثناء الحفر في منطقة «الأهرام» لأميرة يرجع سواده لاختلاط الدم النوبى بالدم المصرى^(٣).

وليس لدينا آثار كثيرة نتحدثنا عن العلاقات بين بلاد النوبة ومصر في عهد الأسرة السادسة ولكن يمكن أن نلاحظ أنه في عهد «ببى الثانى» قد حدثت بعض تغيرات

(١) راجع A.Z., 42, p. 7 ff; Urk., I, p. 209 ff.

(٢) راجع Junker, Vorbericht, 1913 : p. 22; Junker, Giza, II, p. 194; Junker, Kubanieh Nord, p. 14 ff.

(٣) راجع Bull. Boston, M.F.A., 13, p. 32 ff., Fig. 9; of Petrie, Ancient Egypt, 1916, p. 48.

في العلاقات الودية التي كانت سائدة في عهد الملك «مرنرع» . ففي كتابات «حرخوف» نفهم من خلال رحلاته المختلفة بعض هذه التغيرات . ففي رحلته الأولى قام مع والده إلى بلاد «يام» لارتداد الطريق الموصلة إليها وقد استغرقت الرحلة سبعة أشهر وقد أحضر معه كل أنواع المحاصيل إلى أرض الوطن ولم يذكر لنا عن العلاقات بين مصر وسكان النوبة أية كلمة . وفي الرحلة الثانية ذهب بمفرده عن طريق «الفتين» إلى «أرث» و «ماخر» و «ترس» ثم «أرث» وقد استغرقت السباحة ثمانية أشهر ثم عاد بكل أنواع المحاصيل من هذه الجهات ، ويذكر لنا أنه عاد من مكان بيت أمير «سثو» و «أرث» ، وبعد ذلك فتحت أمامه مجاهل هذه البلاد ، فكان الهدف الذي يرمى إليه في رحلته في هذه المرة هو كشف مجاهل هذه الأقاليم . ولكن في عودته تلاقى مع الأمير الذي كان يسيطر على إقليمي «سثو» و «أرث» . والظاهر أنه قد ألف حلفاً نوياً يحتمل أن غرضه كان مناوئة مصر ، ومن المحتمل أن «حرخوف» قد لاقى بعض الصعاب مع أعضاء هذا الحلف ، وربما كان هذا هو السبب الذي جعله يختار في رحلته التالية الطريق التي تتحرق الواحات ويهجر طريق النهر ، وفي رحلته الثالثة نجد إيضاحات بينة لهذه الصعوبات ، فقد اتبع طريق الصحراء ، ولكن مما يؤسف له أن اسم المكان الذي خرج منه وجد في النقوش مهشماً . فيقص علينا أنه سار على طريق الواحات وساح إلى واحة «كركر» فواحة «دنقل» وبذلك تحاشى المرور من شمال بلاد النوبة ، وبعد ذلك قام أمير «يام» الذي كان يقوم بحملة على بلاد «نحو»^(١) (أى اللوبيين) وقد تصافحاً معاً . وفي عودته تقابل مع أمير البلاد «أرث» و «سثو» و «واوات» معاً . ومن المحتمل أن ذلك يعنى أن هذا الحلف قد وسع رقعة ممتلكاته . ومن المحتمل كذلك أن نفس هذا الأمير قد أخضع بلاد «واوات» أيضاً ، وعلى أية حال فإن «حرخوف» كانت لديه أسباب وجيهة تجعله يتجنب الطريق التي تمر بهذه الجهة في سياحته الطويلة ، ولكنه عند عودته وقف إلى جانبه أهل إقليم «يام» الذين كان قد اجتذبهم

(١) راجع ما كتب عن «النحو» في مصر القديمة الجزء السابع ص ٣٦ الخ .

إلى جانبه ، وهؤلاء كانوا خارج الحلف المشار إليه سابقاً ، وربما كان لهم مصلحة مشتركة في ذلك مع مصر . وبذلك كان على « حرخوف » أن يتخذ الطريق المحاذية للنيل دون أى تردد . يضاف إلى ذلك أن قافلته كانت محملة بالمحاصيل المنوعة من بلاد « يام » فأجبره ذلك على ما يظهر على اتخاذ طريق أخرى ، ويقص علينا « حرخوف » في أثناء مقابلته لأمير « أرثت » و « سثو » و « واوات » مقدار ما كان لديه من قوة ونفوذ فاستمع إليه وهو يقول : « وعندما رأى رؤساء « أرثت » الخ (انظر الترجمة المنشورة سالفاً) . ويقول « ريزنر » عن هذه الرحلة^(١) : إن « حرخوف » في رحلته الثالثة كان يدهياً في الصحراء الغربية ، ويقول إنه ابتداءً من مكان لم يمكن تحقيق قراءته في النقوش وإنه كان ذاهباً على طريق الصحراء وقد وجد أن صديقه حاكم « يام » قد ذهب إلى الأماكن النائية في الصحراء الغربية ليقوم بغزو بلاد « تكو » (لوبيا) . وقد ذهب « حرخوف » أو أرسل رسلاً للحاق بحاكم « يام » الذي يحتمل أنه يعادل الآن ملكاً صغيراً من الملوك في عصرنا الحالى أو شيخ قبيلة فأحضره ، والظاهر أنه أتم معه صفقات تجارية في « يام » (المتن هنا مهشم) أو في سوق في متناول « ملك » « يام » (أى « ملك يام ») . ولم يجسر « حرخوف » على الإيغال أكثر من ذلك دون حماية هذا « الملك » الذى لابد أنه قد دفع له ثمناً طيباً على ذلك . وباقي البيانات عن هذه الرحلة والعودة مفيد : « . . . قبل « أرثت » وخلف « سثو » وقد وجدت حاكم « أرثت » و « سثو » و « واوات » (كامنين) عند رأس الطريق عندما كنت آتياً ومعى ثلثائة حمار محملة بالبخور والأبنوس وزيت « حكنو » (أحد الزيوت الخمسة أو الستة المستخرجة من نباتات السودان وزيت الخروع هو أهمها وهو الذى يعرف على الأرجح بحبوب « سسان ») ، وجلود الفهود ، هذا عدا أسنان فيلة كثيرة وكل محصول طيب . وبعد أن رأى حاكم « أرثت » و « سثو » و « واوات » جنود « يام » العديدين وهم الذين كانوا آتين معى إلى البلاط بالاضافة إلى الجنود المصريين الذين أتوا معى

فلان هذا الحاكم (أى حاكم « أرث » و « سثو » و « واوات ») أرسل ليمطينى ثيراناً وماعزاً وأن يرشدنا إلى طريق جبل أرض « أرث ». وهذه الفقرة إذا تفاضينا عن قصرها وما جاء فيها من أسماء أعلام يمكن أن نعتها مأخوذة من البيان الذى وضعه « بورخارت » الرحالة عن رحلته وعن قافلته التى ابتدأت من « دراو » وانتهت عند « بربر » عام سنة ١٨١٣ م ، فالوقت الذى أخذه تجار الدولة القديمة ليصلوا إلى بلاد أثيوبيا (كوش) كان نفس الوقت تقريبا الذى تنفقه قوافل « سنار » . ولا بد أن الأحوال السياسية فى كلا العهدين كانت واحدة تقريبا ، وتميز بعدم وجود حكومة مركزية وقد تغيرت الحال فى كلا العهدين فيما بعد ، وفى الأولى كان التغيير بفتح مصر لبلاد « كوش » ، وفى الثانية بفتح « محمد على » لبلاد السودان .

على أن ما يلفت النظر فى كلام « ريزنر » هو قوله : « إن حاكم « يام » قد ذهب إلى الأماكن النائية فى الصحراء ليقوم بغزوة على بلاد « تمحو » (لوبيا) . والواقع أنه من المستحيل أن توجد بلاد « تمحو » بالإقليم الشمالى الذى نسمع عنه بهذا الاسم فيما بعد ، وأوفق نظرية وأكثرها جرأاً فى هذا الصدد هى أن نفرض أن عبارة أرض « تمحو » كانت تطبق على أى إقليم زحف عليه اللوبيون بذوو البشرية البيضاء . فمثلا جنود أرض « تمحو » الذين ضمهم « وني » فى جيشه يمكن أن يكونوا قد أتوا من « الواحة الخارجة » ، وذلك لأنهم لم يذكروا فى الجزء الأول من الفقرة نفسها التى تتحدث عن الدلتا ، ولكن ذكروا فى وقت واحد مع عدد من القبائل النوبية ، وعلى أية حال فإن ما يبعث أكثر على الحيرة الإشارة إلى هؤلاء اللوبيين فى حياة « حرخوف » حيث يحدثنا كما هو مذكور فيما سبق أنه للمرة الثالثة قد أرسل إلى « يام » (التي تقع فى مكان ما فى الشمال من « وادى حلفا ») « وقد وجد أن رئيس القبيلة قد رحل إلى بلاد « تمحو » ليضرب « التمحو » حتى الركن الغربى من السماء » . والواقع أن قيام رحلة إلى الواحة الخارجة يعد مشروعا غير ممكن تنفيذه بوساطة

رئيس قبيلة صغيرة ، هذا بالإضافة إلى أن « الواحة الخارجة » تقع في الاتجاه الخاطئ من موطن « حرخوف » في « الفتين » كما أنها بعيدة جداً عن « يام » والفرض الطبيعي هو أن « حرخوف » قد وصل فعلاً إلى « يام » وأنه بعد وصوله هناك وجد أن رئيس القبيلة قد ذهب لمحاربة اللوبيين الذين يُنتظر أن يجدهم الإنسان بعيداً جداً في الجنوب الغربي . ففي هذه الجهة لا يوجد إقليم صالح للسكن في هذه البقعة حتى يصل الإنسان إلى واحة « دنقل » ، و « واحة سليمة » لا يمكن أن تعد إقليماً صالحاً للسكنى ، يضاف إلى ذلك أن واحة « دنقل » أقل احتمالاً من « الواحة الخارجة » لتكون هي أرض « تمحو » التي يقصدها هنا « حرخوف » . ويقول « جاردنر » إن تفسير العبارة التي جاءت عن بلاد « تمحو » في نقوش « حرخوف » قد أعجزه كلية^(١) ثم يقول إن أرض « تمحو » التي غزاها « سنوسرت الأول » كما جاء في قصة « سنوهيت » كانت تقع بوضوح في الشمال الغربي من الدلتا ، ومن المحتمل أنها كانت تمتد في هذه الناحية من جهة الغرب حتى « تريبوليتانيا » (إقليم طرابلس) « ولا بد أن نضع فيها كل قوم » التمحو « الذين ذكروا فيما بعد هنا »^(٢) .

على أنه من المحتمل أن المقصود من الطريق الأخيرة التي اتبعها وهي المختصرة هي الطريق الواقعة بين « توماس » و « المضيق » وأن الأمير قد أرشده إلى اقتفائها . وعلى ذلك كان من الواجب على « حرخوف » أن يكون على حذر حتى لا يقع في المصيبة التي وقع فيها من بعده الممالك الذين كان يطاردهم « محمد علي » في بلاد النوبة وكانوا قد وثقوا بقبيلة « العباددة » ولم يكونوا على علم بنفس هذا المكان فأضلّوهم السبيل في الصحراء وماتوا عطشا وهم بجوار الآبار ، فقد خباها منهم « العباددة »^(٣) وباعوها لغيرهم .

(١) راجع Gardiner, Onomastica, I, p. 116

(٢) راجع Ibid, p. 116

(٣) راجع Burckhardt, Travels in Nubia, (1819), p. 181 ff

والظاهر أن « حرخوف » كان كلساً أوغل في الجبهات الجنوبية في رحلاته يقابل صعباً كبيرة ، وكذلك كانت تزداد معارضة القبائل الجنوبية له . وإذا كان الحلف السابق الذكر لم يكن متيناً ، وأنه بعد موت قائده وشيخه قد انحل فلا بد أن أعضائه قد لاقوا صعوبات ومناهضة من قبل مع مصر ، وذلك لأن النوبي كان يركز معظم همه في رفع أسعار سلعه والضرائب التي كان يجبيها من القوافل إذ كانت مورده الوحيد لكسب عيشه .

هذا ويجد المطلع على تاريخ هذه الفترة صورة أخرى عن العلاقات التي كانت بين البلدين في المتن الذي تركه لنا العظيم « بيبى نخت » ، غير أنه في هذه المرة لم يكن يقوم ببعث سلمى مثل بعوث « حرخوف » بل كان حرباً عواناً على النوبيين لم نسمع من قبل بمثلاً في النقوش التي قبل عهد « بيبى نخت » ، ومن المحتمل أن ذلك يرجع إلى ظهور مقاومة مسلحة من جانب النوبيين للمصريين الذين أخذوا يستهينون بالأهالي بعد أن اتضح لهم نجاح رحلات « حرخوف » وعودته بكثير من المحاصيل المحلية المرغوب فيها كثيراً في مصر . وقصة « سبنى » ووصفها لموت والده وحجز جثته في بلاد النوبة لها علاقة بتغيير الأحوال بين البلدين ، وأن العداء منذ ذلك الوقت قد بدأ يظهر من جانب النوبيين للمصريين الذين أخذوا يناصبونهم العداء جهاراً ولولا ذلك لما قضى على القافلة التي كان رأسها والد « سبنى » ولعاد أتباعه بجثته إلى مصر ، ولم يكن هناك داع لإرسال حملة لهذا الغرض ولا أدل على خيبة رحلة والد « سبنى » خيبة تامة من أن البضائع التي كان قد جمعها هذا الأب قد حملتها أولاً قافلة ابنه إلى مصر ، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن المتن وجد مهشماً عند النقطة التي بدأ فيها وصف الكارثة ، ولذلك أصبحنا وليس في مقدورنا الحصول على أى تفصيل عن هذا الحادث ، غير أنه من الجائز أن والد « سبنى » قد انقض عليه الأهالي وذبحوه . هذا وقد قص علينا كذلك « بيبى نخت »

(١) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٨٨

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٩١

السالف الذكر السبب في قيامه برحلة للبحر الأحمر تشبه حوادثها قصة رحلة «سبئي» . وتلخص هذه القصة في أن أحد الضباط الذين أرسلوا في حملة إلى سواحل البحر الأحمر واسمه «عنخت نيني» كان يريد أولاً بناء سفينة والسفر بها إلى بلاد «بنت» التي كان يعتقد فيها المصريون أنها أرض الإله ، وأن أصلهم يرجع إليها ، وعند ما كان «عنخت نيني» هذا منهمكا في بناء سفينته عند ساحل البحر الأحمر غير ملتفت إلى ما حوله انقضت عليه وعلى رجاله قوة من البدو وقضوا عليه ، وقد كان من الضروري معاقبة المعتدين على فعلتهم هذه ، ولكن كان أهم من ذلك إحضار جثة «عنخت نيني» إلى مصر ولذلك أرسل «ببئي نخت» ثانية للقيام بهذه المهمة .

هذا ولدينا بعض موظفين آخرين لهم علاقة ببلاد النوبة ، غير أنهم لم يقوموا بدور هام إلا «ثني»^(١) فقد أرسله الملك لجمع الضرائب من بلاد النوبة وطاد بها مما يدل على أنه كانت هناك جزية تفرض على الأهليين .

على أن النشاط الذي ظهر في بلاد النوبة بصفة جدية ، وكذلك إرسال الحملات التأديبية لم يستمر طويلا ، وذلك لأن الوهن والضعف وسوء الحكم كان قد أخذ يتفشى في داخلية البلاد التي مزقتها الحكم الإقطاعي الذي تجلى بأشجع مظاهره في أواخر الأسرة السادسة مما أدى إلى القضاء على كل نشاط سياسي خارج البلاد ، سواء أكان ذلك في الشمال تجاه آسيا أم في الجنوب تجاه بلاد النوبة ، وقد ظلت العلاقات بين مصر وهذه البلاد تكاد تكون معدومة فلم نجد إلا بعض إشارات في المتون التي من العصر المتوسط الأول تدل على علاقات فاترة بين مصر وجنوب الوادي ، غير أن الحفائر التي عملت في بلاد النوبة في أوائل هذا القرن قد دلت على ظهور حالة جديدة في بلاد النوبة لم تشاركها فيها مصر .

ويجب ألا ننظر إلى الحملات التأديبية التي قام بها رجال البعوث في بلاد النوبة

على أنها كانت بعوثاً تقوم على أسس حربية منظمة ، كالتى أرسلها ملوك الأسرة الثانية عشرة فيما بعد ، وذلك بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا فى هذا الصدد . وعلى ضوء الحفائر التى قامت فى هذه الجبهات . وقد ظن بعض المؤرخين أن هذه البعث الحربية كان لها مراكز حربية فى نفس بلاد النوبة فكان بها معقل فى « اكور » و « كوبان » و « عنيبة »^(١) . وقد استنبط ذلك « فرث » من المباني فقط دون أن يستند على أى متن من هذا العصر يشير إلى وجود هذه المعقل فى تلك الفترة وبخاصة أن نقوش قواد البعث قد وجدت خالية من أية إشارة تدل على وجود حصن واحد . وعلى أية حال فإن كل ما يمكن قوله حتى الآن فى هذا الصدد هو أننا لا نعرف شيئاً على وجه التأكيد عن المباني المحصنة فى هذا العهد ولا شكلها ولا الأماكن التى أقيمت فيها ، ولعل الكشف المقبلة تحدثنا عن بعض التفاصيل فى هذا الموضوع ، ولكن مما لا شك فيه أن مصر لم تكن قد أوغلت فى تثبيت قدمها فى بلاد النوبة وأنها عند ما بدأت فى إيجاد مركز سياسى لها كانت قد أخذت هى فى أسباب الوهن ودبت فيها الفوضى الداخلية فلم تتقدم كثيراً فى هذا المضمار . بل على العكس تأخرت فى ركب الحضارة وأخذت النوبة بدورها فى تلك الفترة التى نسميها العصر المتوسط الأول تخطون نحو الأمام فى مدارج الحضارة مما سنفصل القول فيه فيما يلى كما استنبط من الحفائر الحديثة . وهذا العصر هو الذى يطلق عليه

مجموعة ثقافة C

(١) راجع Firth, Ibid, p. 22 ff.

العصر النوبي المتوسط الأول

المجموعة الثقافية C (من ١-٤)

حوالى ٢٤٠٠ ق م - ١٦٠٠ ق م

كان يسكن فى بلاد النوبة السفلى قوم من النوبيين القدامى الذين ينسبون إلى نفس جنس سكان مصر فى عهد ما قبل التاريخ ، ولكن دمهم الحامى كان مختلطاً بدم الزوج وهم الذين تخطوا الشلال الأول من الجنوب ونزلوا فى الوجه القبلى واستوطنوه وهؤلاء القوم كانوا فى الأصل رعاة ماشية يشبهون قبيلة «البقارة» الحالية التى يرى أهلها ماشيتهم فى مراعى « كردفان » وقبيلة « المعازة » التى يربى أهلها الماعز فى رقعة الصحراء الشرقية^(١) ، وقد استوطنوا وادى النيل ، ولا يمكننا أن نحكم على وجه التأكيد من أين جاء هؤلاء السكان الجدد وقد ذهب الأثرى « فرث »^(٢) ، والأستاذ « ينكر »^(٣) إلى أن موطنهم الأصلى فى الجنوب الشرقى من البقعة التى ينبع منها النيل الأزرق وعطبرة ويتألف من مجراها طريق طبيعى إلى وادى النيل فى بلاد النوبة ، وفى هذه البقعة نجد موطن أهل ثقافة « كرمه » الذين يسكنون بلاد النوبة العليا ، وقد نمت ثقافة القوم وترعرعت فى « دنقلة » ، غير أن الأستاذ « ستيندورف » يرجح نظرية أخرى فى هذه المعضلة وافقه عليها الأثرى « فرث » وأنكرها الأستاذ « ينكر » ، وذلك أن قوم مجموعة ثقافة C قد أتوا من الجنوب الغربى من « كردفان » وسكنوا أولاً فى منطقة الشلال الثانى ، ونذكر هنا بهذه المناسبة نظرية أخرى أدلى بها « فرث »^(٤) إذ يقول إن أول وأبسط فرض يخطر بالبال هو أن الجنس الزنجى قد دخل وادى النيل

(١) راجع Faras, p. 67

(٢) راجع Firth, Report, II, p. 19

(٣) راجع Kubanieh Nord, 9 ff., 179


(٤) راجع Firth, II, p. 19

النوبي من جهة السودان واختلط بالقبائل الحامية التي تقطن الصحراء الشرقية وهم الذين يمثلهم الآن «العبادة» و «البشاريين» و «الهدندوة» ولكن يعترض هذه النظرية التي ينكرها كذلك الأستاذ «ينكر» النتائج التي أسفر عنها بحث الأجسام البشرية وذلك أن الهياكل العظمية لمجموعة C ليس فيها إلا نسبة ضئيلة من الجنس الزنجي ، وهنا نقف أمام سؤال لم تسفر البحوث الأثرية عن جواب شاف له ، وهو ما أصل هذه السلالة التي غزت البلاد النوبية ؟ ويجب أن نعلم حق العلم أننا هنا أمام جنس من الناس يحيط بأصله الغموض والإبهام وليس لدينا أية معلومات كتابية تميظ اللثام عنه (وقد تحدثت عن أصل ثقافة مجموعة C عند التحدث عن جولان « التمحو » وخزفهم الذي عثر عليه في بلاد النوبة في الجزء السابع من مصر القديمة ص ٦٥ — ٧٤) .

والذي نعرفه أن هؤلاء القوم المهاجرين بمجرد اختلاطهم بالسكان الأصليين كَوَّنوا لأنفسهم ثقافة جديدة نامية أخذت عناصر كثيرة من الثقافة النوبية القديمة ، وبخاصة الفخار ، ولكنها على وجه عام كانت ثقافة قائمة بذاتها ، وقد احتلت مكانة عالية في الحياة القومية نفسها ، وإذا ماقرنت بثقافة الدولة الوسطى المصرية عدت ساذجة إلى أقصى حد ، بالنسبة إليها ، ويمكن أن تعد بمثابة الثقافة النحاسية الحجرية المتأخرة . ولم تأخذ عن المنتجات الثقافية الأجنبية إلا الشيء الضئيل جداً وذلك لأن الأهالي كانوا شديدي الفقر فلم يفكروا في جلب أشياء كالية من الخارج ، وعلى ذلك لم يجلب من مصر الغنية أشياء مصنوعة من النحاس إلا القليل كالمرايا والخناجر وقطع الزينة الرخيصة أو الأواني المصنوعة من الفخار كالأباريق والقناوى وما أشبه ذلك . وكان يتجر فيها تجار جائلون وهم الذين كانوا يتنقلون بسلعهم من مكان إلى آخر ، ولكن من جهة أخرى لم يكن هناك أى تبادل تجارى بين أهل مجموعة ثقافة () ومصر . ومن جهة أخرى نستخلص أنه كانت تقوم بين هؤلاء الناس وبين سكان ساحل البحر الأحمر معاملات ماهرة ، إذ كانوا يجلبون من ساحل البحر الأحمر الأدوات الضرورية للزينة وبخاصة المحار الذي كان يحمله بدو الصحراء الشرقية إلى وادي النيل .

هذا وليس لدينا أى دليل على قيام أية معاملات تجارية بين هؤلاء القوم وبين بلدة « كرمة » التى كانت تعد المركز الثقافى المصرى لبلاد النوبة العليا .

أسماء بلاد النوبة والسودان :

وقد ظهر خلال با كورة الدولة الوسطى فى النقوش المصرية اسم جديد للجزء الأعلى من وادى النيل لبلاد النوبة وهو « كاش »  . وبهذه المناسبة سنفحص هنا الأسماء التى نسبت بها بلاد السودان فى مختلف عصور التاريخ وسنبداً أولاً بالاسم الحديث الذى يستعمله المؤرخون فى كتب التاريخ الآن وهو :

« أثيوبيا » ولا نزاع فى أن لفظة « أثيوبيا » التى استعملها الكتاب القدامى والأثريون المحدثون هى لفظة تنقصها الدقة للدلالة على الاقليم الخاص الممتد من أعلى النيل ، والذي يشمل من أول « حلفا » تقريباً حتى ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض عند « الخرطوم » . وقد دلت البحوث الأثرية الحديثة على أن المراكز الرئيسية للثقافة والسكان فى هذا الاقليم كانت منطقة « دنقلة » الحالية ما بين الشلال الثالث والرابع ومركز « مروي » . وهذا الاقليم لا يشمل بلاد الحبشة (أبيسينيا) الجنوبية الشرقية .

والواقع أن لفظة « أثيوبيا » قد استعملت لتدل على الأقطار الواقعة جنوب مصر نفسها وتشمل المساحة التى نعرفها الآن بهذا الاسم . ولكن هذا الاسم يستعمل بطريقة مبهمه حتى أنها كانت تشمل كل بلاد النوبة السفلى وبلاد الحبشة ، وفضلاً عن ذلك فإن هناك عنصراً آخر زاد فى ارتباك معنى هذا الاسم ، وذلك أن سكان بلاد السودان الأحداث لا يعدون أنفسهم أثيوبيين ولا يرغبون فى أن يطلق على بلادهم هذه التسمية ^(١) . وكان قدماء المصريين فى عهد الدولة الحديثة يشيرون إلى الأراضى الجنوبية بلفظين وهما :

(١) « واوات » وتعادل بلاد النوبة السفلى من أسوان حتى « وادى حلفا » .

(٢) و « كوش » وكانت في نظرهم الاقليم الواقع جنوب « وادى حلفا » وعاصمته « نباتا » ويحكمه نائب ملك يحمل لقب « ابن الملك صاحب كوش » . ومملكة « كوش » هذه عندما استقلت كانت تشمل « مروي » ، وكانت في عصورها الأخيرة محكم من هذه المدينة .

والواقع إذا أن ما يسمى بلاد « أثيوبيا » عند المؤرخين القدامى هو بلاد « كوش » . وأول ذكر لهذا الاسم (كوش) على الآثار كان في نقوش اللعنة التي وضعها الأستاذ^(١) « زيتة »

وقد بحث الأستاذ « ستيندورف » الأسماء المختلفة التي أطلقت على بلاد السودان أو على أجزائها في مقال ممتع^(٢) ، وسنورد هنا هذه الأسماء ونحدث من كل منها :

(١) « خنت — حن — نقر » : وجد هذا الاسم في قائمة البلاد التي خلفها لنا « رعمسيس الثاني » على جدران معبد « العرابة^(٣) المدفونة » . وهذا الاسم يعد أحدث أسماء بلاد النوبة بعد اسم « أثيوبيا » وكان أول ذكر له على الآثار في نقوش القائد « أحمس » بن « أبانا^(٤) » ، وتدل المتون على أن هذا الاسم كان يطلق على السودان حتى الشلال الثالث على الأقل ، بل يحتمل على كل البلاد التي كانت خاضعة لمصر في هذه الجهات الجنوبية ولم يكن يقتصر على جزء معين من بلاد النوبة .

(٢) « كاش » أو « كوش » : هذا الاسم أقدم من السابق بمئات السنين

(١) راجع Sethe, Die Achtung feindlicher Fürsten Folker und Dinge auf altägyptischen Tongefass-scherbin des Mittlern Reiches, p. 133.

(٢) راجع Steindorff, Studies Presented to Griffith, p. 360 ff.

(٣) راجع Mariette, Abydos, II, p. 12

(٤) راجع Urk., IV, p. 5 ff

وكان ينطق في أقدم الكتابات « كاش » وقد عثر عليه في النقوش المصرية في أوائل الدولة الوسطى كما ذكرنا من قبل^(١). وقد ظهرت كلمة « كاش » في نفس الوقت الذي ظهر فيه قوم أصحاب ثقافة مجموعة C في وادي النيل ، وقد أصاب الأستاذ « ينكر »^(٢) عند ما قال إن « كوش » لا تعني إلا الأراضي التي تسكنها أهل مجموعة ثقافة O ، وهي البلاد الجنوبية التي تمتد من الشلال الثاني حتى « أسوان » ، ولا نعلم كيف امتد هذا الاسم في كل الرقعة التي يطلق عليها ، كما كانت الحال على ما يظن مع اسم « خنت — حن — نفر » ، والواقع أن هذا الاسم قد أطلق فيما بعد على كل البلاد التي كان يحكمها « ابن الملك صاحب كوش » . فكانت « كوش » كما ذكرنا من قبل هي على وجه التقريب بلاد « أثيوبيا » في العهد اليوناني الروماني .

(٣) تاستي : أما ثالث اسم لبلاد السودان فنجد في قائمة أسماء البلاد بالعراية المدفونة وهو « تاستي » وهو أقدم اسم لهذه الجهات الجنوبية وكان يترجم فيما مضى « بأرض القوس » ، فیر أن الأستاذ « ولف » قال إن العلامة (٢ = ستى) لا تدل على القوس^(٣) . ويرجع الفضل للأستاذ « ارمان » في قراءة هذا الاسم « تاستي » الذي كان يقرأ قبل « تاخنت »^(٤) ، وكتابة هذا الاسم في متون « الاهرام » تدل على أنه بلد أجنبي أو جبلي . وقد ظن البعض أن « تاستي » لم تكن تطلق في الأصل على بلاد النوبة بل على أول مقاطعات الوجه القبلي من جهة الجنوب ، ولكن الوثائق دلت على أن هذا زعم خاطئ . ولا نعلم إذا كان إقليم « واوات » هو جزء من بلاد « تاستي » أو كان يقع في الأصل جنوب حدود « تاستي » . وعلى أية حال فإن بلاد « تاستي » كانت تشمل في الأسرة الثامنة عشرة كل بلاد النوبة إلى الشلال الثاني وتتفق جزئيا مع الاسم « خنت — حن — نفر » ، وذلك أن أقدم جزء

(١) راجع Sethe, Die Achtung, etc, p. 33

(٢) راجع Kubanieh Nord, p. 17—18

(٣) راجع Wolf. Bewaffung. p. 27, Anm. 4

(٤) راجع A.Z., XLV, p. 128

من معبد « سمنة » كان منذورا للاله سيد بلاد النوبة « ددون » . وتقع « سمنة » في بلاد « تاستى » هذا إلى أنه عند ما ذكر في لوحة « نورثمبتون^(١) » أن خشب الأبنوس يأتي من « تاستى » فإن هذا لا يعنى بلاد النوبة السفلى بل يعنى بلاد السودان الواقعة جنوب الشلال الثانى .

وعلى ذلك فإن الأهالى الذين كانوا يسكنون أرض « ستى » أى الذين يسكنون في وادى النيل النوبى كانوا يعرفون باسم « ستيو » منذ أقدم العهود دون الالتفات إلى نوع الثقافة التى يتبعونها سواء أكانوا تابعين إلى الثقافة الأولى أم الثانية أم الثالثة . ومن هنا وجب علينا أن نترجم هذا الاسم بكلمة « النوبيين » ، غير أنه يلزم أن نعلم تمام العلم أن كلمة « النوبيين » لا يمكن تحديدها بأى جنس بل تطلق على أى قوم من الناس سكنوا بلاد النوبة فنجد اسم « ستيو » كان فعلا منذ عهد « مينا » في كتابات القبور الملكية إذ يشير فيه إلى ضرب « ستيو » ، وفي عهد الدولة الوسطى نجد في متن حرب الملك « متوحتب » في الأسرة الحادية عشرة ذكر هؤلاء القوم بوصفهم « ستيو » بجانب « ستيو » (سكان آسيا) . وفي الدولة الحديثة قد جاء ذكر « ستيو » أيضا ،^(٢) حيث يقال إن « تحتس الأول » في حملته على أهل الجنوب هزم أمراء « ستيو » .

(٤) نحسيو : ونجد اسم « نحس » أو « نحسى » الذى جمع على « نحسيو » مستعملا أكثر من اسم « ستيو » ويقصد به سكان الجنوب واسم « نحسيو » كان يترجم إلى زمن قريب بكلمة « زنجى » ومن ثم استنبط أن بلاد النوبة كانت في العهد القديم مسكونة بقوم من الزنوج غير أن الكشف الحديث في بلاد النوبة برهنت على أن سكان هذه البلاد وهم الممثلون للمجموعتين الثقافيتين A & B وكذلك المجموعة الثقافية C ،

(١) راجع Urk., IV, p. 423

(٢) راجع Petrie, Royal Tombs, II, p. 3, 2

(٣) راجع Urk., IV, p. 83

(٤) راجع Sethe, Die Achtung, etc., p. 25 ff.

وهي التي وفد أهلها فيما بعد إلى بلاد النوبة لم يكونوا بأية حال زنوجا بل هم من أصل حامى وقد اختلط دمهم بعض الشيء بالدم الزنجى . وقد أثبت الأستاذ « ينكر » بعد البحث المسبب أنه لم يوجد حتى عهد الدولة الحديثة في الرسوم المصرية صورة « زنجى » وأن اسم « نحسيو » لا يطلق فقط على أهل النوبة سكان وادى النيل من « أسوان » حتى السودان وحسب بل كذلك يشمل سكان بلاد « بنت »^(١) . وعند ما دخل الزنوج للمرة الأولى بلاد النوبة حوالى بداية الأسرة الثامنة عشرة واستوطنوها كانوا لذلك يسمون « نحسيو » ؛ وعلى ذلك نجد أن كلمة « نحسيو » قد أخذت شيئا فشيئا تحمل المعنى الخاص بالزنوج ، ومنذ الأسرة الثامنة عشرة ذكرت بلاد « نحسيو » وأطلقت على أرض الزنوج ، ومن ثم ظهر في المناظر التي من عهد متأخر أجناس العالم الأربعة كما وجدت منقوشة في مقبرة « سيني الأول »^(٢) فكان « النحسيو » يمثلون ببشرة سوداء وشعر مجعد بجانب « العامو » (أى السامى) و « التمحو » (اللوبى) و « رمث » المصرية (ومعنى الكلمة الأخيرة هو الناس إذ كان المصري يعتبر أن الناس هم المصريون وسائر العالم همج) .

(٥) « أونوت » : وكذلك يوجد بجانب الاسمين « سنيو » و « نحسى » اسم آخر يعد أقدم الأسماء بكونه نعتا لأرض الجنوب وأعنى بذلك كلمة « أونوت » . وقد وجد هذا النعت في كثير من النقوش التاريخية منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة مستعملا صفة لاسم « سنيو » أو مضافاً لكلمة « ستي » أو « تاستى » . فيقال « سنيو — أونوت » أى نوبيو « أونوت » . وقد جرت التقاليد على أن يترجم اسم قوم « أونوت » بكلمة « تروجلوديت » Troglodite (أى سكان الكهوف) ، أى أن هؤلاء « الأونوت » هم قوم كانوا يسكنون الجنوب الشرقى من الصحراء

(١) اقرن L.D., III, p. 163 حيث نجد عبارة نحسيو بنت وكذلك راجع Junker, Das Erste Auftreten der Neger in der Geschichte (Almanach der Akademie d. Wissenschaft Wien 1925)

(٢) راجع L. D., III, p. 136

بين النيل والبحر الأحمر ، ويقول عنهم « زيتة »^(١) أنهم يمثلون أهل قبيلة « مجا » أو « مزرا » (المزوى) الذين يسكنون الصحراء بين النيل والبحر الأحمر ويفدون إلى وادى النيل . والواقع أن اسم هؤلاء القوم يمثل قبيلة « مجا » وواضع هذا التفسير هو الأثرى « برکش » ، غير أن تفسيره اللغوى لكلمة « أونوت » لا يتفق مع المعلومات الحديثة في هذا الصدد ، إذ قد اشتق « بروكش » كلمة « أن » التى تعنى عموداً أو دهليزاً من أصل الحجر الذى عمل منه العمود وربطها بكلمة أرض جبلية أو مكان فيه حجارة ، وعلى ذلك تكون كلمة « آن » أو « أنتى » معناها ساكن الجبل أو إنسان يسكن الكهف أى « تروجلوديت » مثل هؤلاء القوم الذين يسكنون بين البحر الأحمر ووادى النيل ، غير أن المعنى الحقيقى لكلمة « أونوت » على حسب قول « زيتة »^(٢) هو فى الأصل قبيلة بدوية (ويقول « جاردنر أن عبارة « أونوتى — ستى » مأخوذة من كلمة « أونوت » التى تعنى قوساً ، وتعنى الرامى من القوس) ويظن « زيتة » أن اسم قوم « أونوت » مشتق فى الأصل من الكلمة المؤنثة المفردة « أونوت » ، وأصبح إذاً اسم الفرد المنسوب إلى هذه القبيلة يسمى « أونوتى » . وهذا الاسم كان فى الأصل يطلقه المصرى القديم على قبائل مختلفة تسكن الصحراء الشرقية وقد أصاب « زيتة » عند ما أطلقه على القوم الساميين الذين يسكنون شبه جزيرة سيناء كما أطلقه كذلك على العرب الرحل الذين يسكنون صحراء العرب بين النيل والبحر الأحمر وهم العبادة الحاليون . وكذلك بدو بلاد النوبة . ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك .

والأمثلة التى جاء فيها لفظ « أونوت » وتعنى سكان الصحراء الشرقية ترجع إلى عهد الأسرة الأولى حتى الأسرة الثامنة عشرة .

(١) راجع Sethe, Urk., IV, übersetzung, p. 3

(٢) راجع Sethe, Grab des Sahure, II, pp. 80—81

(٣) راجع Gardiner, Grammar, p. 533

(٤) راجع Studies presented to Griffith, p. 365 ff.

ويمكننا بعد درس هذه الأمثلة أن نستخلص باختصار ما يأتي :

في استطاعتنا أن نفهم أنه كان في الأصل ينضوى تحت لواء هذا الاسم القبائل التي لم تكن مصرية المنبت والعشائر التي تقطن شبه جزيرة سيناء ، وكذلك التي كانت تسكن الصحراء الشرقية تجاه الوجه القبلي ، والتي تحتل بلاد النوبة ويحتمل كذلك الصحراء النوبية . ولكن نجد في عهد الدولة الوسطى أن هذا اللفظ قد حدد معناه . ومنذ الدولة الحديثة كان يوضح معناه بكلمة « نوبي » ، وكانت الكلمة تطلق بوجه خاص على الأجانب الذين ليسوا مصريين ويسكنون وادي النيل النوبي في الأراضي « ستى » و « خنت — حن — نفر » . وقد دلت الحفائر الحديثة التي عملت في هذه الرقعة من الأرض على أن سكانها كانوا حامي الجنس ولهم ثقافة خاصة بهم وهي التي تمثل ثقافة مجموعة C . وعلى ذلك يجب ألا نفهم أن « أونوت » الدولة الوسطى أو « أونوت » النوبيين التابعين للأسرة الثامنة عشرة مثل النوبيين القاطنين في وادي النيل . والواقع أن نوبي هذا العهد ليسوا من البدو ، وذلك عندما نعلم أن المقصود أنهم قبائل خير متوطنين . ومن باب أولى لا نفهم على هذا الزعم أنهم « التروجلوديت » الذين ليس لهم بهم أقل علاقة .

نعود بعد هذا العرض لأسماء بلاد النوبة المختلفة إلى ثقافة مجموعة C .

الاماكن التي وجدت فيها آثار ثقافة مجموعة C .

جمع المعلومات التي كشفت عنها البعوث المختلفة في جبانات مجموعة C الأستاذ « نينكر » في كتابه المسمى « كوباويه الشمالية »^(١) وبحثها . وجبانات هذا العهد كبيرة والمقابر كلها من العهد النوبي المتوسط وتشمل الجبانة رقم ٨٧ في بلدة « كشتمنه »^(٢) والجبانات رقم ١٠١ — ١٠٣ في « الدكه » والجبانة رقم ١١٨ في « قرته غرب » وتشمل

(١) راجع Kubanieh Nord, p. 2 ff.

(٢) راجع Firth, I, p. 158 ff.

مقابر من عصر مجموعة C المبكر^(١) وفي « عنيبة » و « فرص » .

ومقابر هؤلاء القوم مستديرة في شكلها الخارجى وجزؤها الأعلى كان مبنياً بالحجر ويغطى المبنى المقام فوقها رمال الصحراء . والجزء الأسفل منها حفرة موضوعة في الجهة الشرقية الغربية . وقد وضع المتوفى فيها مضطجعا القرفصاء على الجانب الأيمن ووجهه متجه نحو الشمال وذراعه وساقاه مغطاة بالملابس ، ولكن وجد أن هذا الوضع لجسم المتوفى لم يدم الحرص عليه ، فنجد هناك حفراً غالباً ما يكون اتجاهها من الجنوب للشمال فيتغير وضع الجثة تبعاً لذلك .

أما الأثاث الذى يوضع مع المتوفى فكان يوجد في الجانب الخارجى من البناء الذى فوق حفرة الدفن في الجهة الشرقية أو في الشمال الشرقى عادة ، ويحتوى على أوان من الفخار الأحمر ذى الفوهة السوداء ونخار أحمر حافته محزوزة وأطباق عليها حروز بيضاء تذكرنا بالأطباق المصرية التى ترجع إلى عهد ما قبل التاريخ ، وبالأطباق النوبية التى من مجموعة A الثقافية ، غير أنها من حيث الصناعة والنماذج تختلف عنها اختلافاً بيناً . وكذلك وجد نخار بدائى الصنع محزوز وغير محزوز . كما وجدت جرار حبوب وأوعية للمؤن وقعاب صغيرة من الفخار الصلب المصقول ذى اللون الأبيض المائل للخرقة . وهذه الأواني هى التى يطلق عليها الأواني القناوية وقد وجدت في المقابر القديمة من مجموعة C بعدد قليل ، ومعظمها وجد في العصر النوبى المتوسط .

وبدأت أولاً عادة وضع الأواني الفخارية مع المتوفى في حجرة الدفن أو الحفرة في فترة متأخرة من هذا العهد الذى يتحدث عنه . وقد ظهر بدلاً من الأطباق التى كانت توضع فيها مواد التجميل صحاف مفرطة معظمها من نخار النيل ، وقد وجد فيما كشف عنه من هذه الصحاف بقايا مادة الكحل . أما الأواني المصنوعة من الحجر فقليلة جداً .

(١) راجع Firth, III, p. 145 ff.

هذا ووجدت كذلك مرايا من النحاس وحلى مؤلف من عقود مصنوعة من الخرز من أنواع مختلفة وأسورة ومخلائيل وأسورة معصم مصنوعة من مواد مختلفة وحلى عظيم كالأقراط ومشابك الشعر المصنوعة من الأصداق .

وتدل شواهد الأحوال على أنه إذا كانت بداية العهد النوبي المتوسط الذى يماثل ثقافة مجموعة C هى الأسرة السادسة فإن نهاية هذا العهد كانت فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة . وعلى ذلك تكون فترة هذه الثقافة حوالى ثمانية قرون من الزمن . والمفهوم أن هذه الثقافة لم تقف جامدة طوال هذه الفترة الطويلة بل لا بد قد حدثت فيها تغيرات ، ولكنها تغيرات ليست محسوسة بالنسبة لقوم بدائيين كالنوبيين . وذلك على العكس مما وجدناه جارياً من تغيرات فى الثقافة العالية التى كانت منتشرة فى وادى النيل فى مصر منذ توحيد البلاد .

وقد أشار الأثرى « فرث »^(١) إلى الاختلافات التى توجد فى مختلف جبانات « الدكة » الخاصة بالمجموعة الثقافية C . وقد أثبت بحق وجود مميزات فى إقامة المقابر تدل على أنها صنعت فى أزمان قديمة متأخرة عن سابقتها وبخاصة ظهور المقابر المقبية والمزارات المقامة من اللبنة ، هذا بالإضافة إلى اتجاه المقابر نحو الشمال بدلا من الغرب ووجود أوان بها حروز مملوءة بألوان مختلفة .

ويمكن تقسيم مدة هذه الثقافة على حسب الآثار التى عثر عليها فى « عنيبة » أربعة أقسام تاريخية منفصل بعضها عن بعض ، وإن كانت أحيانا تتداخل وهى :

(١) الثقافة النوبية المتوسطة رقم (١) : وتمثل العهد القديم الذى يتبدئ حوالى الأسرة السادسة والعهد المتوسط الأول المصرى . والآثار التى تمثل هذا العهد عثر عليها فى أجزاء جبانات « الدكة » و « غنيبة » و « فرص » ، ولكن فى « عنيبة » على وجه التأكيد ، وتتميز مقابر هذا العصر بأن مبانيها العلوية التى على سطح

(١) راجع Firth, II, p, 12 ff.

الأرض مقامة من الحجر الجيري الأبيض المتناسك الحبات فوق حفرة صغيرة مستديرة الشكل . هذا وقد وجدت أحجار على هيئة لوحات كانت تقام بغير تنسيق في الجبانة .

أما الأثاث الجنائزى فكان يحتوى على أوان من الفخار حمروسود وكذلك على أوان محزوزة من الأشكال والنماذج القديمة ، وعلى أوان ملونة باللون الأحمر^(١) . ومن جهة أخرى نجد أن الفخار النوبى الخشن الصنع معدوم^(٢) ، وكذلك الفخار القناوى (جرار الحبوب وما أشبه ذلك) لا يوجد إلا في حالات فردية^(٣) . ووجدت المرايا المصنوعة من النحاس في يد المتوفى اليمنى عادة أمام الوجه ، هذا إلى وجود أوان من الحجر لطحن الكحل ، ولم يعثر على المحار الخاص بحفظ مواد الزينة إلا قليلا . ووجد عدد عظيم من الحلى مؤلف من قلائد من الخرز بخاصة لأن الأنواع المحببة كانت هى الخرز والعقود المصنوعة من الصوان ذى اللونين الأسود والأبيض معاً والقلائد المصنوعة من الكرنالين والتعاويد المصنوعة من الخرز والأختام التى على هيئة أزرار . وستكلم عن الأقسام الأخرى في عصورها .

(١) راجع Aniba, I, Gattung VII. p. 102 Pls. 66, 9, and 210

(٢) راجع Ibid, IV, p. 91 ff.; Taf 54—57

(٣) راجع Ibid, VI, p. 98, Pl. 60

العلاقة بين مصر وبلاد النوبة

في العهد المتوسط الأول

مقدمة : كان المصري منذ فجر تاريخه متمسكاً بأهداب العدالة والحق والصدق والنظام التي كان يعبر عنها جميعاً بلفظة « ماعت » . ولذلك جاء في أساطير القوم أن الآله «رع» الذي يعد أول من حكم مصر هو الذي جاء بهذا القانون وطبقه في أنحاء البلاد . ولما رفع «رع» إلى السماء كما تقول الأسطورة وتحمى عن الحكم في الأرض وبدأ يحكم بعده أخلافه على الأرض اتخذوا هذا القانون نبراساً لهم في حكم البلاد ، ولهذا كان يدعى كل من يحكم مصر من بعده «ابن رع» مادام متبعاً لقانون «ماعت» ، فإذا حاد عنه ملك من الملوك فإنه لن يكون منه ، وقد ظل ملوك مصر منذ عهد «مينا» يرسمون في خطواتهم هدى «ماعت» أكثر من ألف سنة إلى أن أخذ الملوك يحيدون عن هديها فضلوا السبيل وأضلوا البلاد معهم فلفظتهم وأقصتهم عن الحكم . ولقد بدأ الفساد يدب في البلاد عندما أخذ ملوك مصر يهبون حكام الأقطاع الهبات ويرخون لهم العنان للعبث بالأهلين في حين أنهم كانوا أنفسهم ينغمسون في حماة اللهو والفجور مما أدى إلى ضعف الحكومة المركزية وتمزق شمل البلاد حتى رجعت إلى سيرتها الأولى من الانقسام إلى إقطاعات كما كانت عليه قبل حكم «مينا» موحد مصر . وفي النهاية كان حكم الملك «بيي الثاني» الذي ظل يحكم البلاد أكثر من تسعين عاماً هو خاتمة المطاف فقد ضعفت في أيامه الحكومة المركزية في « منف » وكذلك سارت البلاد نحو الهاوية والانحلال بطبيعة الحال . وهذه الحالة قد أدت بلا نزاع إلى شل قوة مصر في الخارج ، فكان من جراء ذلك أن روابط العلاقات التجارية الخارجية قد أصبحت مرتبكة ، ثم قطعت نهائياً . وتدل شواهد الأحوال على أنه بعد حكم «بيي الثاني» غزا البلاد أقوام من الآسيويين بل ومن النوبيين أيضاً . فقد جاء ما يشير إلى ذلك من طرف خفي

في الفقرة المشهورة من تحذيرات المتنبي « آبور »^(١) التي نقتبس منها عن قطع العلاقات التجارية مع الأرض الشمالية (آسيا) الجملة التي جاء فيها : « ان الإنسان لم يعد يمكنه الحصول على خشب الأرض لأجل الموتى » ، وهذه العبارة لها ما يقابلها فيما يخص أرض الجنوب (أى النوبة) ، غير أنها لم تلاحظ كثيراً فيقول المتن : « لقد جردت (الناس) من ملابسهم ومادة « خسايت » وزيت « مرحت » (وهاتان مادتان لا تجلبان إلا من بلاد الجنوب) ، ومن ثم نرى أن هذه الفقرة تشير إلى أن العلاقات مع الجنوب كانت قد قطعت أيضاً كما انقطعت مع بلاد آسيا والشمال . وهذه الحالة قد أثرت في « منف » بوصفها عاصمة البلاد فقد انقطع عنها محاصيل جنوب الوادى . هذا ولدينا فقرات أخرى في نفس المتن تدل على شيوع الاضطراب في البلاد : « أن « الفتين » و « طينه » (؟) يتبعان الوجه القبلى (؟) وهما لا يدفعان ضرائب بسبب الفتن » .

على أن الضيق والعوز لم يسودا شمال مصر وحده حيث كانت « منف » عاصمة الملك بل كذلك نجد الانحلال التام قد انتشر في داخل البلاد . وقد رأينا من قبل أن الجنود المرتزقين بدءوا يفدون إلى عهد الأسرة السادسة ويستعملون شرطة^(٢) ومحاربين ، وقد حدث ذلك في وقت كانت لا تزال فيه الحكومة قوية ، وقد أصبح هؤلاء الجنود المرتزقون فيما بعد خطراً داخلياً كما يدل على ذلك منشور الحماية الذى أصدره « بيبى الأول » . والدور الذى لعبه هؤلاء الأجانب أنهم نشروا الفوضى في مرافق الحكومة كما تشير إلى ذلك فقرة في تحذيرات المتنبي « آبور »^(٣) فاستمع لما جاء فيها : « . . . أن كل إنسان قتال قد حارب من أجل أخيه وكان يحمى نفسه . هل هم « نحسيو » ؟ إذن يجب أن نحمى أنفسنا (؟) وأن المحاربين

(١) راجع الأدب المصرى القديم للؤلف الجزء الأول ص ٢٩٥ وكذلك راجع Chronique d’Egypt, No. 52 (1951), p. 299.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٤٧١ — ٤٨٧

(٣) راجع Gardiner, Admonitions of an Egyptian Sage, 14, 2

قد تضاعفوا (؟!) ليصدوا رجال القوس . هل هم « تمحو » (اللوبيين) إذاً علينا أن نتقهر ، (؟) والمازوى فرحين (؟) بمصر . وكيف ينبغي أن يقتل كل رجل شقيقه؟ والجنود الذين جندوا لنا قد أصبحوا من قوم القوس (أى أصبحوا مسيئين مثل هؤلاء) وقد أتوا ليهلكوا (؟) (والمقصود هنا أن « المازوى » أو « المجاى » قد هيات لهم الأحوال أن يقطنوا مصر ويخربوها كالوحوش) .

ونحن نعلم أن الآسيويين قد ذكروا قبل ذلك بأنهم خطر على مصر ، وكذلك يقصد بالتمحو (اللوبيين) بأنهم قوم قد غمروا مصر بالخطر . ومن المحتمل أن التعبير « هل هم » نحسيو » إذن يجب علينا أن نحى أنفسنا » يقصده نفس المعنى أيضاً . ولا ينتظر الإنسان من هذا المتن المكتوب من الوجهة المنفية إشارة إلى علاقة البلاد بالحدود الأجنبية ، وذلك لأن الحكومة المنفية في هذا الوقت قد تركت حماية الوجه القبلى — على ما يظهر — للأمة التى تحكم هناك وأصبحت منفصلة عن الجزء الجنوبى من مصر ، ولهذا السبب يمكن أن تنسب هذه الجملة الخاصة بالجنود المرتزقين الثائرين إلى مصر العليا ، ولكن التعبير : « إن المحاربين قد تضاعفوا ليصدوا رجال القوس » يشير على ما يظهر إلى الخطر السياسى الخارجى أكثر من إشارته إلى الخطر الداخلى .

وقد رأينا أن العلاقات بين مصر وبلاد النوبة السفلى قد تخرجت بدرجة عظيمة فى نهاية الدولة القديمة حتى أن الملك قد أرسل حملة تأديبية على رأسها « بيبى نخت » ، غير أن نتائجها من حيث امتداد نفوذ مصر لم تأت ثمارها بل على العكس أوجدت فى الحياة السياسية النوبية غشاوة وقد أصبحت مصر من جراء ذلك لا تحتل مكانة قوية فى سياسة بلاد النوبة .

وقد لاحظنا ، فى نقوش « حرخوف » أن علاقات السلالات النوبية فى الجنوب حرخوف قد أصبحت مضطربة ، وقد ذكرنا من قبل الحملة التى قام بها قوم « يام »

على « التمهجو » (اللوبيين) وكذلك نجد في هذه النقوش تعبيرات تدل على وجود هداء بين القبائل النوبية ذاتها . ولا نزاع في أنه بوجود مثل هذه العلاقات المضطربة التي لم تكن فيها لمصر يد بوجه عام كانت الطريق ممهدة لهجرة قبائل جديدة كما كانت الحال من قبل . والواقع أن نتائج الحفائر الأثرية قد أثبتت هجرة قبائل عديدة إلى بلاد النوبة وهم القوم الذين وفدوا إلى النوبة السفلى حاملين ثقافة مجموعة C ، كما حمل أقاربهم المجاورون لهم في الجنوب ثقافة « كرمة » .

وهؤلاء المهاجرون يمكن أن يكونوا قد وفدوا إلى البلاد في نهاية الأسرة السادسة على أكثر تقدير . والواقع أن تحديد هذا التاريخ بأنه يقع بين نهاية الأسرة السادسة وبداية الأسرة الحادية عشرة لا يمكن أن يتفق مع الحقيقة بما لدينا من مادة مكشوفة إذ لم نجد في أقدم الحيوانات المنسوبة إلى مجموعة C تاريخاً يمكن الاعتماد عليه . فالحيوانات المعروفة حتى الآن من أقدم زمن لهذه الثقافة توجد جزئياً في « الدكه » و « عنيبة » و « فرص » ، ولكن لم نجد وثائق يمكن تأريخها في « عنيبة » كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

والواقع أن ما وجد في « عنيبة » ويمكن نسبته إلى هذا العهد يعتوره بعض الشك ، وإن كان لدينا من مقابر هذه الجهة بعض أشياء مجلوبة من مصر وتنسب إلى العهد المتوسط الأول ، على حسب تقسيم « ستيندورف » لمجموعة ثقافة C كما تحدثنا عن ذلك سابقاً .

وقد ظن الأثرى « فرث » أن هذه الهجرة قد حدثت بسبب الضعف الذي أصاب بلاد النوبة السفلى بعد الحملة التأديبية التي قام بها « بيبي نخت » إذ يقول : « ومن الجائز أنه بعد الحملة التي قام بها « بيبي نخت » أصبحت أراضى « واوات » و « ارثت » ضعيفة لدرجة أن قوم مجموعة ثقافة C وضعوا أقدامهم في هذه البلاد وأصبحوا قوة منتهزين في ذلك الحروب الداخلية التي كانت في مصر في العهد الإقطاعي ، وكذلك الحروب التي

كانت بين أسرتي «أهناسيه المدينة» و«طبيه»^(١) ، ولكن الأسباب التي دعت إلى هذه الهجرة كانت أعمق من ذلك وترتبط بعدم وجود المصريين في بلاد النوبة ، إذ من المحتمل أن هذه الحملة التي مهدت الطريق للمهاجرين لم تكن الدافع المباشر الذي سهل لهؤلاء القوم الوافدين الهجرة ، وعلى ذلك لا يمكن أن نتخذ هذه الحملة بمثابة معيار تاريخي مؤكد .

ولقد وُصل إلى تاريخ محدود كما ذكر الأستاذ «نيكر» في تحليله لمحتويات مقابر «كوبانية الشمالية» وهو أن هذه الهجرة قد حدثت من غير شك قبل بداية الدولة الوسطى بزمان طويل كاف ، وعلى ذلك فإن مجموعة ثقافة C هذه قد انطبعت بطابع مصرى من عهد الدولة الوسطى المبكر جدا . ولما كانت «الكوبانية الشمالية» التي تتمثل فيها طبيعة هذه الثقافة تقع في أقصى شمالي بلاد النوبة فإن أقدم جزء في آثارها قد وجد في تاريخه مع منتصف الدولة الوسطى المصرية^(٢) .

ولا نعلم إلا القليل عن صبغة ثقافة قوم مجموعة C عند زمن هجرتهم . ويمكننا أن نلاحظ هذه الثقافة أولا بوجه خاص في طور من أطوارها المتأخرة أى في الوقت الذي بدأت فيه المملكة الموحدة تقهر بلاد النوبة . ولا نزاع في أن هذه الهجرة الجديدة كانت لها صورة أخرى تميزها عن الثقافتين A ، B اللتين تحدثنا عنهما فيما سبق ، كما يدل على ذلك بوضوح مناهضتها لسياسة التوسع المصرية المتأخرة .

وقد ذكر كل من «ريزير»^(٣) و«أمري» و«كروان»^(٤) أن قوم ثقافة C كانوا لا يميلون إلى الحروب ، وأنهم كانوا أهل سلام ، وأن حضارتهم قد أُنعت أولا في حماية معاقل

(١) راجع Firth, Ibid, Vol. II, p. 20

(٢) راجع Junker, Kubanieh Nord, p. 35 f

(٣) راجع Reisner, Kerma, II, p. 555

(٤) راجع Emery, W. B. and Kirwan, Es Sebua and Adendan (Service des Antiquites de

l'Egypt. Mission Archeologique de Nubie (1929-1934), Cairo (1935), p. 8.

الدولة الوسطى ، غير أنه لدينا أمور كثيرة تناقض هذا القول . حقاً لم يوجد في أثاث مقابر قوم مجموعة C كثير من الأسلحة ، ولكن لا يستلزم ذلك أنهم كانوا أهل سلم ، إذ من المحتمل أن الأسلحة كانت غالية بالنسبة للنوبي فيعجز عن شرائها لتوضع معه في القبر ، ومن المحتمل كذلك أنه كان للقوم عادات خاصة بالدفن لا يتفق معها وضع أسلحة في المدافن ، والواقع أن النزاع الحربي الذي قام بين مصر وبلاد النوبة وهو الذي انتهى باحتلال المصريين لبلاد النوبة السفلى على يد « سنوسرت الأول » قد بدا فيه لنا مقاومة عنيدة من جانب النوبيين . ولا شك في أن قوم مجموعة C كانوا بلا نزاع وقتئذ قد استوطنوا بلاد النوبة قبل نهاية عهد الدولة القديمة .

وقد خالف « ريزنر » هذا الرأي إذ يقول : إن مجموعة ثقافة C لم توجد في « كرمه » غير أن بعض الفخار الذي وجد في المقابر النوبية المتأخرة كان موحداً مع فخار جبانات مجموعة C الخاصة ببلاد النوبة السفلى . وإن الجبانات النوبية الخاصة « بكرمه » كان الجزء الكبير منها معاصراً لجبانات مجموعة C التابعة لبلاد النوبة السفلى ، ومن الواضح أن السكان النوبيين الذين أسست في وسطهم مستعمرة « أنبوا منمحات » المصرية لم تكن مثل مجموعة ثقافة C ، إذ على الرغم من أن كل هؤلاء السكان يمكن أن يكونوا من أصل واحد فلما نأمل إلى الاعتقاد مع الأثرى « أورك بيتس » أن قوم المجموعة N كانوا في معظمهم قبيلة صحراوية ، والمحتمل أنهم لوبيون قد زحفوا إلى بلاد النوبة السفلى في هذه الآونة في حين أن نوبي منطقة « دنقله » كانوا يمثلون السكان القدامى الذين سكنوا في الوادي منذ عهد الدولة القديمة أوحى قبل ذلك الخ^(١) .

ويدل ما وصل إلينا من وصف الموقعة الحربية التي شنها « سنوسرت الأول » على أنها كانت موجهة إلى أهالي وادي النيل في بلاد النوبة^(٢) ويدل إجماع قوم مجموعة C عن الأخذ بتعاليم الثقافة المصرية أيام احتلال المصريين لهذه الأراضي في عهد ملوك

(١) راجع Reisner, Kerma II, p. 555.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٣ الخ .

الدولة الوسطى ، وكذلك بناء المعاقل المصرية في قلب مراكز الأهالي على كراهية سكان أهل النوبة السفلى للسيادة الأجنبية . هذا ويدل تخلص النوبيين أنفسهم في العهد المتوسط الثاني من السيادة الأجنبية على أنه كان على المصريين أن يخضعوهم ثانية ، يضاف إلى كل ذلك أن قوم مجموعة C والقبائل القريبة النسب منها كان أفرادها يشتغلون جنوداً مرتزقين . كل هذه الحقائق لا تتفق مع ما ذكره الأستاذ « ينكر » أو الأستاذ « كيس » عن هؤلاء القوم ^(١) .

ويدل فحص الفخار الخاص بأقدم طور من أطوار ثقافة قوم مجموعة C على أنه لم يتم في بلاد النوبة السفلى بل إنه ظهر وانتشر في البلاد في خلال حملة هذه المجموعة الرئيسية على هذه الجهات ، ونخص بالذكر الأواني الفخارية المحزوزة التي تعد من أحسن الأشكال التي ظهرت في بلاد النوبة أناقة ومن أحسن النماذج التي وجدناها في أقدم المقابر ^(٢) ، ولا يوجد في الفخار الأحمر ذي الرقبة السوداء والفخار المصقول تطور كبير يذكر من حيث النوع بل في الشكل فقط ^(٣) . ومن جهة أخرى توجد عناصر نرى بوساطتها تطوراً جديداً ظهر في صورة أشكال فخار طويلة ، ويتضح ذلك جلياً في الفخار الذي عثر عليه في المقابر بخاصة ، فأقدم هذه المقابر صغير الحجم وكلها على ما يظهر بدون استثناء على شكل حلقة في وسطها بئر بسيطة للتوفي ، ولم نعثر على المقابر الكبيرة الحسنة البناء المكسوة بالجمر أو المقبية الشكل التي حلت محل البئر البسيطة إلا فيما بعد . وهذه التطورات في فن البناء توخى بجلاء وبأحسن صورة عهد الانتقال من عيشة الجولان والبداءة إلى عيشة الاستقرار والحضارة .

وفي هذا العهد ظهرت كذلك أنواع من الأواني المصرية الأصل في المقابر النوبية ، هذا إلى بعض خرز من القاشاني وقطع أخرى صغيرة مستوردة ضمن قائمة

(١) راجع Kees, Kult., p. 345

(٢) راجع Aniba, I, p. 65 ff., pls 33—51 & 64, 32

(٣) راجع Aniba I, p. 86

محتويات القبر الثابتة . ووجود هذه الأشياء يدل بلا نزاع على تبادل تجارى مع مصر منذ أقدم عهد ظهرت فيه ثقافة مجموعة C . وقد كتب الأستاذ « ينكر » عن العلاقات التجارية في هذا العهد ^(١) قائلا: « ومن المحتمل أن الموطن الحديد وتغير الحياة من الجولان إلى حياة الاستقرار ووجود العلاقات الطيبة مع جيرانهم أهل الشمال قد كان لها أثر حسن . ومع ذلك فقد بقي هؤلاء القوم فقراء فنجد أن أواني الفخار التى كانت توضع في المقابر قد انكش عددتها حتى أصبح لا يزيد عن بعض طرز من الأواني المحزوزة بحزوز حادة ، ولا يوجد بينها إلا بعض أوان فخارية من أصل مصرى . وإذا استثنينا هذه العناصر فإن الروابط التى كانت بين البلدين تنتهى عند هذا الحد . وقد بقيت القطع الرئيسية من الأواني الفخارية التى من ذلك العهد كما هى ، وقد اختفت عند ظهور أوان جديدة يمكن أن تكون دليلا على أصل حضارة المجموعة الثقافية C الخاصة ، وهى التى كانت وقتئذ آخذة في السعى وراء الكمال والاستقرار . وفي تلك الأثناء أخذت تظهر في مصر سياسة معارضة في عهد الأميرة الحادية عشرة شيئا فشيئا ، ومنذ هذه الفترة كانت الخطوة الثابتة لمطامخ فراعنة مصر تنحصر في قهر بلاد النوبة والقبض عليها بيد من حديد . ولا غرابة في أن نجد في تلك الأوقات المليئة بالمقاومة والحروب تبادل التجارة الذى كان يسوده الوئام والسلام قد تأثر تأثراً سيئاً كما أن التأثير المصرى الثقافى أصبح بمقتضى الأحوال غير ممكن وقف تياره .

ويحتمل أن الأستاذ « ينكر » كان على حق عندما قال إن العلاقات كانت ودية في بادئ الأمر بين هؤلاء الوافدين من القبائل الجدد وبين مصر ، هذا إذا كانت الجملة التى أوردها دليلا على ذلك تشير حقا إلى بلاد النوبة أى « بلاد الجنوب » ولا تشير إلى الجنوب بمعنى الوجه القبلى ^(٢) ، لأن ذلك يكون التفسير الطبيعى لوجود

(١) راجع Junker, Ermanne, p. 11 ff.

(٢) راجع Save Soderbergh, Agypten und Nubien, p. 42, Note 1

أوان مصرية بحالة ثابتة في أواني مجموعة C ، ولكن يظهر أن التجارة كانت قد تأثرت هناك ولم تكن هناك كذلك حكومة مصرية قوية يمكن أن يعتمد عليها قائد الحملة ، ومن أجل ذلك كان لابد من إرسال حملة تآديبية من وقت لآخر لوضع الأمور في نصابها عند ما كان يصيب التجار المصريين أى أذى . ولدينا ما يدل على وجود تجارة صغيرة يقوم بها صغار السكان في هذا العهد^(١) .

ولا نزاع في أنه ما دامت بلاد النوبة في جملتها كانت مجذبة لا يزرع منها إلا أجزاء قليلة ، وأن هذه الهجرة العظيمة إلى أرض الجنوب قد استقرت في الأراضي الخصبية لوادى النيل فإنه لا يمكن تفسير ذلك إلا أن قوم مجموعة C قد باءوا بالفشل بعد محاولة غير مجدية لدخول وادى النيل الخصيب . والحروب الدفاعية التي قامت في الجنوب من جراء ذلك لم تلعب فيها حكومة « منف » أى دور ، وأعني بذلك الحكومة التي عاشت بعد الاضطرابات التي كانت في عهد « بيبى الثانى » وبعده ، وهي التي كانت قد فقدت كثيراً من سلاطانها . وكان يحكم في الوجه القبلى في هذه الفترة أسرات مختلفة محلية ، غير أن الأسرة التي اتخذت مقرها « قفط » كانت صاحبة المكانة العليا في تلك الجهة . ولا نعرف عن ملوك هذه الأسرة إلا القليل فقد وصل إلينا بطريق الصدفة بعضهم ، فنجد في نقوش منشور « قفط » الذى نشر عليه من قبل اسم ملك يدعى « وازكارع^(٢) » . على أن هذا الاسم ليس هو اسم الملك الذى أصدر المنشور ، والواقع أن الاسم الحورى لصاحب المنشور هو « دمر — اب — تاوى » وهو الذى كتب في أول نقش المنشور^(٣) وفضلاً عن ذلك فإن لقب « وازكارع » كان يؤلف جزءاً من اسم علم لشخص ما من طامة الشعب يريد أن يضيف إلى اسمه هذا اللقب مثل اسم « وازكارع — سنب » ، وعلى ذلك فإن اسم « وازكارع »

(١) راجع Aniba, I, p. 6

(٢) راجع Weill, Les Décrets Royaux de L' Ancien Empire Egyptien, p. 65

(٣) راجع Gothingische Gelehrte. Anz., 1912, No. 12, 719 ff. and Urk., I, p. 306,

Journal Asiatique Ser., 11, 10 (1917), p. 385.

الذى مزج بالأسماء الأعلام على ما يظهر لا بد أنه كان ممن خلفوا هذا الملك .
والظاهر أنه من ملوك « قفط » .

واسم الملك « وازكارع » قد وجد في نقش مزدوج عثر عليه في نقوش
« خوردهميت »^(١) . وأحد النقشين يشمل الصيغة الجنازية المعتادة ، أما الثانى فقد
جاء فيه الجملة (أو الأمر) التى قادها ابن الحاكم الذى هزم عدو والده « حورالذهبي »
« خنم رع » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « وازكارع » بن « رع »
« سجرستى » فى الشمال من بلدة « برسنيت » : تفتيش أراضى « سنج »
و « وأنج »^(٢) (؟) . ومما جاء فى النقش الأول نفهم أن « ابن رع » « سجرستى »
ليس اسم الملك « وازكارع » بل هو اسم « ابن الملك » . أما على حسب ترجمة
الأستاذ « ريدر » فكان « سجرستى » هذا الذى يحمل الصل على جبينه فهو على رأيه
أمير نوبى صغير كان على اتصال بملك مصر^(٣) . غير أن البرهان الذى ذكره « ريدر » مدللاً
على أن هذا الاسم ليس مصرياً وأن التأثير قد هزم فى الشمال لا يمكن الأخذ به فلا بد
من التروى والحيطه عند الحكم على الاسم إذا كان مصرياً أصلياً أو أجنبياً ، لأنه توجد
أسماء لم نصل حتى الآن إلى معرفة اشتقاقها اللغوى ، وأنه لم يصل إلينا منها إلا مثال
واحد وهو الذى نحن بصددده . وفى هذه الحالة يكون الحكم فى إرجاعه إلى أصله
صعباً جداً ، يضاف إلى ذلك أن « سجرستى » لم يقل إنه هزم العدو فى الشمال بل إن
المقصود هنا فى الجملة السالفة موقع المكان فى شمالى « برسنيت » .

وإذا كان « وازكارع » — كما هو المرجح — ينتسب فعلاً إلى أسرة « قفط »
على حسب ما يفهم من المنشور السابق ذكره فإن الوجه القبلى حتى ما وراء « الفنتين »
كان تحت سلطانه ، وعلى ذلك فإن هذين النقشين يعدان وثيقة تثبت أن أسرة « قفط »

(١) راجع Roeder, Dehod Bis Bab Kalabsche, p. 306, Pl. 108

(٢) وقد ترجم الأستاذ « ريدر » هذه الجملة ترجمة أخرى Roeder, Ibid, p. 307

(٣) راجع Roeder, Ibid, p. 116

كانت طليعة المحاربين من المصريين في بلاد النوبة السفلى . وإذا كان لزاماً علينا أن نعترف بأن قوم مجموعة C هاجروا فعلاً نحو مصر فإنه من الجائز أن الملك كان قد أرسل ابناً له — يحتمل أنه كان ولى العهد — إلى الجنوب ليصعد تقدم هؤلاء القوم المهاجرين في زحفهم على الأراضي المصرية .

أما في الوجه البحرى فقد تولى الحكم بعد الأسرة المنفية الأسرة الأهناسية وهي التي أوجد ملوكها من الفوضى نظاماً نسبياً وبذلك بدأت مصر عصر ثقافة زاهر^(١) . ولا نعرف على وجه التأكيد إلى أى حد امتد سلطان هذه الأسرة نحو الجنوب ، ولكن المؤكد أن سلطانها كان ممتداً حتى « طيبة » ولو اسما . وتدل شواهد الأحوال على أن الطيبين كانوا قد انضموا إلى أسرة « قفط » وشنوا حرباً على ثلاث المقاطعات الواقعة في أقصى جنوب مصر . ولما كانت الأسرة القفطية قد اختفت لأسباب غير معروفة فإن ملوك « طيبة » قد أصبحوا هم الحامون للأراضي الواقعة جنوب « طيبة » ، ثم أخذت قوتهم تزداد في هذه الجهة باستمرار كما كانت لهم السيادة على مملكة « اهناسية المدينة » وهذه التطورات السياسية كانت في الواقع بشيراً بقيام الأسرة الحادية عشرة التي وضعت العراقيل شيئاً فشيئاً في سبيل الأسرة الأهناسية إلى أن قضت عليها نهائياً ووحدت البلاد جمعاء^(٢) .

هذا ولدينا نقش من العهد الذى لم يكن فيه أمراء « طيبة » الأقوياء على عدا ظاهر مع حكومة الدلتا وهو من الأهمية بمكان إذ يدلنا على العلاقة التي كانت بين مصر والجنوب وقتئذ^(٣) . وهذا النقش مدون على لوحة عثر عليها على ما يظن في « طيبة » وهي لفرد يدعى « زمى » ويلقب المشرف على الجنود والمشرف على التراجمة (رئيس القافلة) وهو يقص علينا حملات مختلفة قام بها في أثناء حياته وفيها يقول : « لقد

(١) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٤١٤

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١ الخ .

(٣) راجع The American Journal of Semetic Languages and Literatures (1921), p. 55 ff.

جعلت «واوات» بلاداً خاضعة وكل حاكم مقاطعة ثار في هذه المقاطعة قضيت . . . وبذلك كنت محبوباً . غير أنه من الصعب فهم عبارة « جعلتها بلاداً خاضعة » . إذ ليس لدينا مادة أخرى تساعد على الإدلاء برأى قاطع في معنى هذه العبارة ، ويجوز أنها مبالغة من الكاتب المصرى كما هى الحال غالباً في وصفه للعلاقات المصرية مع البلاد الأجنبية ، وعلى ذلك يمكننا أن نتطرق في تفسيرنا إلى القول بأن هذا القائد يشير إلى حملة للاستيلاء على بلاد النوبة .

ولا يدل تاريخ البلاد فيما بعد على أن هذه كانت حملة لاستعمار البلاد النوبية ، بل في الواقع كانت غزوة من الغزوات الصغيرة المعدة التي كان يقوم بها المصريون ليحملوا النوبيين على توريد السلع إلى مصر ، ومن المحتمل أن هذه الحرب كانت قد وقعت في جنوب الحدود حيث كان أهل ثقافة مجموعة O قد وطموا أقدامهم هناك ، وذلك أنه على حسب نتائج الكشف التي قام بها الأستاذ « ينكر » في « الكوبانية الشمالية » نعلم أنه كانت تسكن هناك جماعات صغيرة كانت تزحف نحو شمالى « أسوان » .

هذا ولا نعرف إذا كان للأهناسيين أنفسهم نشاط عند الحدود في مراقبة التخوم والتجارة ، إذ أن ذلك موضوع يحيطه الشك والإبهام^(١) .

حقاً وجد اسم الملك « خيتى الأول » والملك « مرى — اب — رع » عند الشلال الأول ، ولكن يمكن تفسير ذلك بأن هذه النقوش كتبها أحد أمراء مقاطعة « طيبة » الذين لم يكونوا قد اعترفوا بأمراء « أهناسية » ملوكا على مصر . والواقع أن الطيبين كانوا يعتبرون عند الحدود الجنوبية بمثابة أبطال مصر الدائمين عنها كما يدل على ذلك نقش « زمى » ، ونقش آخر^(٢) ، وقد وجد مكتوباً عليه اسم أمير مقاطعة يدعى « إنتفى الطيبى » ويحمل لقب : « الذى يملأ قلب الملك عند باب الجنوب الضيق » .

(١) راجع Kees, Beitrage zur Altgyptischen Provinzialverwaltung, p. 102 ff.

(٢) راجع Petrie, Season, Pl. XII, No. 310

وإنه لمن المهم أن نجد الآن وثيقة ذكر فيها هذا اللقب القديم المحترم الذى يدل على أن حامله كان يراقب الهجرة من الجنوب إلى مصر عند الحدود . ولا نزاع فى أن حاكم المقاطعة هنا كان يمثل الملك كما يدل على ذلك الكتابة التى أمام « أنتف » الأول وتعد من عصر واحد هى ونقش « زمى » ، وقد كان الأخير ضابطاً فى خدمة حاكم مقاطعة .

والألقاب التى تأتى بعد هذا فى اللوحة السابقة تعد من الألقاب الخاصة بهذا العهد وهى : « العمود العظيم الذى يحى أرضه » وهذا اللقب له رنين خاص عند حاكم المقاطعة ، ويدلنا على أن الوقت قد اقترب لأن يصبح حاكم المقاطعة مناهضاً للملك . وهذا التغير بالفعل ، مضافاً إليه اسم « أنتف الأول » وهو « سهرتاوى » (مهدى الأرضين) يقابلان اسمى ملكين لم يوجد اسمهما إلا فى بلاد النوبة وهما من الأهمية بمكان . وأحد هذين الاسمين هو « حور » مجمل أرضيه ، حور الذهبى الجميل ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « كارع كا » ابن رع « أن » . وقد جاء ذكر اسم هذا الملك سبع مرات على صخور بلاد النوبة من الشمال إلى الجنوب^(١) .

وقد وضع « ادوارد مير » هذا الملك فى الأسرة الحادية عشرة وذلك بسبب مشابهته لاسم الملك « متوحتب » « سعنخ كارع » (أى الذى يحى روح « رع ») حور ونبتى « سعنخ تاوى » (الذى يحى الأرضين)^(٢) . أما الأثرى « جوتيه » فإنه وضع هذا الاسم مع اسم ملك وضعه « لبيوس » فى كتابه الذى ألفه عن ملوك مصر ولكن بدون سند^(٣) .

ونجد نفس الاختصار لاسم « أنتف » موجوداً كما أشار إلى ذلك « ادوارد مير »

(١) راجع Save Soderbergh, Ägypten und Nubien, p. 47

(٢) راجع A.Z., 44, p. 115

(٣) راجع Lepsius, Königsbuch, No. 166, Taf. XI, and Gauth., L.R., I, p. 247

وكذلك على لوحة الكلب المشهورة وفي ورقه « أبوت »^(١) . وعلى ذلك فإنه لا مانع من وجوده مع أحد الملوك الذين تسموا باسم « أنتف » في عهد الأسرة الحادية عشرة ، كما أن توحيد الاسم الحورى واسم نبتى يجعل هذا التاريخ في العهد الذى قبل الدولة الوسطى ممكناً .

أما اسم الملك الآخر الذى لم نجد ذكره إلا فى بلاد النوبة فهو :

« حور جرج تاوى ف » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « اى - اب - خنت - رع »^(٢) وقد وجد اسمه فى نقشين من نقوش بلاد النوبة أحدهما على مقربة من « أبو هور »^(٣) والآخر فى « المضيق » . ونجد فى الحالة الأخيرة أن اسمه قد ذكر مع اسم « سارع أنتف » ولهذا السبب يكون معاصراً ، ويعضد ذلك التكوين الخاص للاسم الحورى الذى يشبه كثيراً أسماء الملوك الآخرين .

ويشك « جوتيه » فى أن هذين الملكين مصريان وقد تبعه فى ذلك « دريتون »^(٤) و « فندييه » ولكن « سيف زودر برج » قد برهن على خطأ هذا رأى^(٥) .

وقد أنكر كذلك « ينكر » رأى « جوتيه » وأكد أن أسرة مثل هذه لو وجدت خارج مصر وكانت صاحبة سيادة هنا لحزمت كل معاضدة فى بلاد النوبة . ولما لم يكن هناك ثقافة مشتركة ولا تبعية ثقافية للبلاد فإنه لا يمكن للإنسان أن يفكر فى أن ملوكاً مناهضين قد فروا إلى بلاد النوبة واتخذوها ملجأ لهم كما حدث ذلك مع الملك « نقطانب » الذى ينسب إلى ملوك الأسرة الثلاثين^(٦) .

(١) راجع Moller, Hierat. Lesest. III, p. 17

(٢) راجع Weigall, Report, Pl. 32,1

(٣) راجع Weigall, Report, Pl. 50,1; Breasted, A.J.S. L.(1906), 57

(٤) راجع Drioton et Vandier, L'Egypte, p. 238

(٥) راجع Save, Ibid, p. 48

(٦) راجع Gauthier: Precis De L'Histoire de l'Egypte, p. 224

ولا يمكن القول بأن أهل ثقافة مجموعة C كان لهم ملك ليس له قوة يستند عليها في بلاده الأصلية . وعلى الإنسان أن يفكر في المصاعب التي لاقتها مصر فيما بعد عند ما أرادت استعمار بلاد النوبة .

والواقع أن الموضوع لا يخص ملكاً مؤقتاً حكم البلاد بل يخص عدة ملوك ، فينبغي أن يكونوا قد خلفوا وراءهم بعض بقايا المدنية المصرية محفوظة لنا سواء أكان ذلك في المقابر أم غيرها ، ولكن لم نجد في ثقافة مجموعة B ولا في ثقافة مجموعة C أى أثر يدل على السيادة المصرية . هذا ولم يوجد قبر مصرى في كل العصر الذى نحن بصددده ، كما لم يوجد به بقايا لمصر ملك أو أى شئ من أشياء حاشية الملك .

ويوجد مع اسم الملك « حور — جرج — تاوى — ف » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « أى — أب — خنت رع » السالف الذكر في بلدة « المضيق » نقش لكاهن يدعى « خنوم حنب » كتب بنفس الطريقة وبـ نفس الأسلوب الذى كتب به اسم هذا الملك وهذا النقش هو بلا شك من عصر هذا الملك^(١) .

ويوجد في نقوش « أبوهور » اسم مدير مكتب يدعى « سبك محنب » (٩) والظاهر أن هذا الرجل بعينه كتب اسمه في « المضيق^(٢) » . ويلاحظ في « أبوهور » أن نقوش هذا الرجل متصلة باسم الملك ، وقد كتبت في الصورة بنفس الأسلوب . وعند قرن هذه النقوش باسم الملك المعاصر له وهو يحمل لقباً مصرياً خالصاً يتضح أن هذا الملك كان مصرى الأصل . وعلى ذلك فإن القول بأن ملوك النوبة في هذا العصر قد ذهبوا بعيداً في ثقافتهم إلى أن تمصروا وأنهم حملوا أسماء مصرية وكان لهم موظفون يحملون ألقاباً على النمط المصرى لا يتفق مع نتائج الحفائر التى عملت في هذه البلاد .

(١) راجع Breasted, A.J.S.L. (1906), p. 57; Weigall, Report, Pl. 50, 4

(٢) راجع Weigall, Report, Pl. 50, 15

وإذا كانت الأسماء الأخرى التي توجد مع أسماء الملوك في « المضيق » يعد بعضها معاصراً لبعض فإنها تؤكد لنا تاريخ الكتابات الملكية . وفضلاً عن ذلك تقدم لنا نقطة يعتمد عليها في معرفة كنهها . ففي هذا العهد نجد عدة شخصيات يحملون اسم « متوحتب » و « انتف » وثلاثة من هذه الأسماء كان كل منها يحمل لقب المشرف على التراجمة (أورئيس القافلة) ، وهذا اللقب يدل غالباً على أن النقوش كانت خاصة برحلات تجارية أو حملات حربية كما كانت الحال في عهد الدولة القديمة .

ويمكن تأكيد الرأي القائل بأن هؤلاء الذين كانوا في دائرة حكام مقاطعة « طيبة » كانوا تابعين لملوك . فقد رأينا من مصادر أخرى من البلاد المصرية نفسها النشاط الذي أظهره الطيبون في الجنوب في هذا العهد . أما عدم ذكرهم في نقوش « طيبة » فقد يكون ذلك من باب الصدفة ، وبخاصة عندما نعلم أن جبانة « طيبة » التي دفن فيها الملوك الأتاتفة قد خربت وحطمت منذ زمن بعيد . وما نعلمه عن علاقة الأسرة الحادية عشرة وسابقتها قليل جداً ، ولانزاع في تتابع أسماء الأتاتفة الآتية : « حور — واح — عنخ — انتف — الثاني » و « حورنخت نب تب نفر انتف الثالث » و « حور سعنخ أب تاوى منتحتب الثالث » . إذ قد أكد لنا هذا الترتيب النقوش . ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كان هناك ملك آخر وهو « أنتف الأول » قد حكم « طيبة » إذ قد جاء ذكره فقط في نقوش « طود » باسم « سهرتاوى انتف الأول^(١) » . وعلى أية حال لا نعلم شيئاً على وجه التأكيد بالنسبة لترتيب هؤلاء الملوك في الأسرة الحادية عشرة إلا ما ذكرناه في الجزء الثالث من هذه الموسوعة ص ٨

الجنود المرتزقون : ذكرنا من قبل أنه كان يوجد جنود نوبيون يحترفون امتشاق الحسام في عهد سقوط الدولة القديمة ، وليس لدينا بعد عهد الدولة القديمة وثائق عن وجودهم في مصر ولا عن الدور الذي لعبوه في الحروب التي كانت بين الأسرات المحلية أى في عهد الاقطاع ، ولكن من الجائز أن ذلك قد حدث عن طريق

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث صفحة ٨ الخ عن تابع ملوك الأسرة الحادية عشرة .

المصادفة لأننا وجدنا — كما تدل الآثار العديدة — أن النوبيين في هذه الحروب الداخلية كانوا يستعملون جنوداً مساعدين ، وبوجه خاص كانوا يقومون في ساحة القتال بدور الرماة ، ولا أدل على ذلك من مجموعة نماذج الجنود التي عثر عليها في إحدى مقابر العصر اللاهناسي^(١) . وقد عثر على هذه المجموعة في « أسيوط » التي بقيت مشتركة في الحروب القائمة بين « طيبة » و « هيراكليوبوليس » حتى النهاية وكانت منحازة إلى أهل الشمال ، أى أن الجنود المرتزقين كانوا يحاربون في صف « إلهناسية » . وقد برهن الأستاذ « ينكر »^(٢) على أن هؤلاء الجنود ليسوا من سلالة الزنوج بل كانوا من السلالة الحامية النوبية ولونهم أسمر قاتم ، ولكنه ليس أسود فاحما ، غير أنهم يظهرون أشد سمرة عند ما يقفون بجانب الجنود المصريين ، هذا إلى أنهم أقصر قامة من المصريين ، وهذا يتفق مع ما ظهر من نتائج الحفائر التي عملت في النوبة . وكانوا مسلحين بالسهم واللقواس ويرتدون قمصاناً قصيرة مزينة برسوم مختلفة يميل إليها أهل مجموعة O الثقافية كثيراً^(٣) . وكان بعض هذه القمصان أبيض ويحتمل أنها كانت مصنوعة من الكتان المصرى وكان معلقاً فيها من الأمام شرابة طويلة مزينة برسوم متشابهة . وهذه الشرابة نراها فيما بعد في الرسوم المتأخرة العهد يتحلى بها الجنود المرتزقون النوبيون كما يلحظ ذلك في الجنود المرتزقين النوبيين في عهد « تل العمارنة »^(٤) .

وقد عثر في مقابر مجموعة ثقافة O على قمصان من الجلد مزينة ، وليس لدينا ما يبعث على الشك في أنها تمثل هذه الثقافة أو أنها أقرب شئ إليها ، ولكن الشئ الغريب أننا حتى الآن لم نجد أى قبر نوبى مثل المقابر القعبية الشكل التي جاءت بعد في هذا العهد في مصر . ومن المحتمل أن النوبيين كانوا يهاجرون ثانية بعد انتهاء خدمتهم في مصر إلى وطنهم في بلاد النوبة كما هي الحال في عصرنا الحالى إذ نجد أن

(١) راجع Le Musée Egyptien I, Pl. 33 ff.

(٢) راجع Kubanieh Nord, p 16.

(٣) راجع Aniba I, Pl. 25 ; Grab., 487 Note 3

(٤) راجع Wresz., Atlas II, Pl. 11

النوبي أو البربري عندما يتقدم في السن ويصبح غير قادر على العمل يعود إلى بلاد النوبة موطنه الأصلي حيث كان يفضل أن يدفن بين أهله وعشيرته .

على أن وجود مقابر جنود مرتزقين نوبيين من وجهة نظرنا يعد من الأمور الهامة إذ من ذلك نعلم إذا كانوا يدفنون في جبانات خاصة بهم أو كانوا يدفنون في مقابر متفرقة بسيطة من المقابر المصرية . وقد يجوز إذاً أن خصائص مقابرهم القليلة المتفرقة لم يكن من المستطاع ملاحظتها وقد يكون السبب في عدم تمييزها هو التخريب الذي أصابها فأصبحت كأن لم تغن بالأس . وليس لدينا من بين الجبانات النوبية التي عثر عليها في مصر ما يرجع إلى العهد الأول المتوسط من تاريخ أرض الكنانة .

ومن المحتمل أن هؤلاء الجنود النوبيين المرتزقة كانوا قد وفدوا فعلاً في عهد مبكر نحو الشمال، ولكن ذلك لا يحتم أنهم كانوا وقفاً على مساعدة حزب الشمال قبل قيام الحرب بين « طيبة » و « إهناسية » . والواقع أن هؤلاء الجنود لم يكن لهم أية منفعة شخصية في ذلك لأنهم كانوا يحاربون مع أية طائفة تدفع لهم أجورهم ، ومن أجل ذلك كانوا ينتقلون من معسكر لآخر على حسب زيادة الأجر الذي يتقاضونه ولدينا عن ذلك مثال حديث وقع في عهد الحروب السودانية فقد حارب بعض هؤلاء الجنود مع الجيش المصري بقيادة « كشنر » وكانوا من قبل يحاربون مع « المهدي » . وكان هؤلاء الجنود يتحينون كل فرصة ضئيلة في الحكومات و ينهبون أموال المصريين كما يدلنا على ذلك مصادر مصرية مختلفة . على أن أمثال هؤلاء الجنود لم تقتصر على النوبيين بل كان من بينهم أجانب آخرون ومصريون وليست النماذج التي عثر عليها في « أسيوط » هي الدليل الوحيد الذي يبرهن على أن هؤلاء الجنود المرتزقة كانوا يحاربون إلى جانب مملكة « إهناسية » بل لدينا بعض نقوش عثر عليها في « حتنوب » من عصر « إهناسية » المتأخر تحدثنا عن حرب

الأمير «نحري» الذى أوقد نارها على «طيبة» فيقال عنه «كانت المحبة له (أى لنحري) عند المزوى والأسويين والأراضى الجبلية (١) نافذة في قلوبهم» .

وكذلك يذكر لنا أمير يدعى «كاي» فى نقش من السنة الخامسة من عهد «نحري» نفسه قوم «المزوى» وأهل «واوات» و«نحسيو» (٢) والأسويين وربما كان ذكرهم هناك على أنهم أعداء .

على أن عصر ظهور الجنود المرتزة بصورة بارزة لم يكن قد حل بعد وأعنى بذلك العصر الذى نجد فيه هذا الصنف من الناس يذكر كثيراً ونجد لهم كذلك مقابر فى مصر .

ولم نجد حتى الآن بين النقوش التى عثر عليها ذكر للجنود المرتزين محاربين فى جانب الطيبين ، ومن الجائز أن ذلك قد حدث عن طريق الصدفة . وهذا ليس بغريب عندما نعلم أن المصادر المبكرة كانت قليلة جداً .

ولم نجد فى الصور التى بقيت لنا من معبد الملك (متوحتب) صورة واحدة يمكن أن يقال عنها بحق إنها تمثل رجلاً نوبياً ، والعلامة الخاصة للجنود المرتزة من النوبيين هى شريط على هيئة صليب مرسوم على الصدر . والمثال الوحيد الذى يمكن أن يدل على ذلك هو الذى نشاهد فيه الرامى يحمل الشريط المصلب ولا يحمل أية ريشة على الرأس فى حين أن رماة آحرين كانوا يحملون هذه الريشة^(٣) ، ومع ذلك فلانه لا الريشة التى تكون على الرأس ولا الشريط المصلب كان كافياً لتمييز المحارب النوبى بل على العكس نجد أن الشريط المصلب لا يعرف بأنه لباس نوبى أو على الأقل لم نجد متناً مع شخص يلبس هذا الشريط قيل فيه إن المتحلى به نوبى الأصل .

(١) وراجع Anthes, Die Felseninschriften Von Hatnub, Insch, No. 25, L. 14, p. 56 ff.

(٢) وراجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٧ الخ .

العصر النوبي المتوسط الثانى

(= الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة)

تحدثنا من قبل عن العصر النوبي المتوسط الأول من الوجهة الأثرية وستحدث هنا عن العصر المتوسط الثانى، وهو الذى يقابل من حيث الزمن الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة، وبعبارة أخرى هو العصر الذهبى لثقافة أهل مجموعة C. ونخص بالذكر هنا الآثار التى كشف عنها فى هذا العصر خلافاً للآما كن الثلاثة التى ذكرت فى العصر السابق جبانة « جرف حسين » ^(١) ٧٢ / ٢٠٠ و ٧٣، وجبانة « الدكة » رقم ^(٢) ٩٧ وجبانة « العلاقى » رقم ^(٣) ١١٤ وجبانة « قرته غرب » رقم ^(٤) ١٧٥ و ١١٨، ويلحظ فى مقابر هذا العصر أن المبنى العلوى للقبرة كان كبيراً، غير أنه لم يكن متمسك البناء كما كانت الحال فى مقابر العصر السابق. ومقابر هذا العهد لم تقم مباشرة فى ظالب الأحيان عند حافة رقعة الصحراء بل على الرمال التى هبت من هذه الصحراء، وحفر الدفن الخاصة بهذا العهد كانت مستطيلة الشكل وزواياها مستديرة وكثيراً ما كان يبنى ظاهرها بالأحجار وتزين بالواح من الحجر بعد ذلك.

وبجانب هذا كان يسقف البناء الأعلى ببناء مقبب من الطين المحفف فى الهواء، على أن رأى القائل بأن السقف المقبب أحدث من السقف المنبسط المقام بالحجر وأنه أول ما ظهر كان فى العصر الثالث للثقافة النوبية المتوسطة وهو الذى سنتحدث عنه بعد — لا يؤخذ به بعد الكشف التى حدثت فى « عنينة » إذ نجد الطرازين من المقابر موجودين جنباً إلى جنب.

(١) راجع Firth I, p. 80 ff., 105 ff.

(٢) راجع Firth, II, p. 108 ff.

(٣) راجع Firth, III, p. 129 ff.

(٤) راجع Firth, III, p. 132, 145 ff.

وكانت الجثة تدفن في هذا العصر موضوعة على جانبها الأيمن ورأسها نحو الشرق وكثيراً ما كانت تلف في حصير أو في جلد ماشية أو ما شابه ذلك ، وكثيراً ما كان الرأس يوضع على منخدة من القش . وكان يوضع مع المتوفى أواني فخار من أنواع مختلفة في البناء الخارجي وتحتوى على أوان للحبوب والمؤن .

وقد لوحظ وجود حللي كثير يشمل قلائد من الخرز وأسورة مختلفة للساعد وأفراطا ومشابك شعر ذات أشكال مختلفة مصنوعة من الأصدا ف .

علاقة مصر ببلاد النوبة

في عهد الدولة الوسطى

مقدمة : كانت الأحوال التي حافظت فيها قوافل التجارة على تبادل السلع في عهد الدولة القديمة بين مصر والأراضي الجنوبية قد عرّضت هذه التجارة إلى النهب والسلب اللذين يقوم بهما جمهرة من الولايات الصغيرة المستقلة بما يتبع كل ذلك من غرور وطمع وعدم اكتراث كان يبدية أمراء هذه الولايات . وقد كان الضمان الوحيد للمحافظة على هذه القوافل هو أن تحرس بفرقة من الجنود لا يزيد إمددها عن بضع مئات ، غير أن هذا النوع من الحماية كان غالباً تحيط به المتاعب والمناوشات ، فقد كانت هذه القوافل على الرغم من حراستها تهاجم في طريقها ، ومع ذلك فإن ملوك الأسرة السادسة لم يتخذوا إجراء حازماً للقضاء على مثل هذه الحالة المقلقة لتجارتهم اللهم إلا بعض حملات تأديبية تحدثنا عنها في مكانها .

ومما لا شك فيه أن فتح بلاد السودان لم يحتاج إلى مخاطر كبيرة ، فقد كانت بلاد النوبة مقسمة إلى ممالك صغيرة كما كانت الحال في باكورة القرن الماضي عندما قامت قوة مؤلفة من مئتي مملوك طردهم « محمد علي » من مصر فساروا دون أية مشقة إلى مديرية « دنقلة » وفتحوها وقبضوا على زمام الأمور فيها عدة سنين . وفي عام ١٨٢٠م قام إبراهيم باشا على رأس حملة مؤلفة من أربعة آلاف مقاتل ففتح كل السودان واستولى عليه . على أن فتح بلاد مثل السودان التي تعد بلاد طرق للوصول إلى أجزائها المختلفة كان يحتاج إلى الاستعانة بحامية كافية لضمان طرق القوافل والحملات التي تحمل الجزية للحكومة . وبإقامة الحاميات في أنحاء بلاد النوبة أصبحت طرق التجارة بوساطة النهر والطرق المحاذية له هي التي تدير فيها التجارة آمنة . وقد دلت النقوش التي من عهد الدولة الوسطى كما كان المنتظر على أن النقل بطريق المساء كان مستعملاً كثيراً ، وبخاصة

فى الحملات الكبيرة ، وكان النهر محميا من خطر الغارات بسلسلة من الحصون تعرف منها اثنى عشر حصنا بالاسم ، تمتد من سمنا العليا حتى جزيرة « بجه » (أسوان) (١).

والمقدمات المتعلقة باحتلال الدولة الوسطى لبلاد السودان لا بد من الادلاء بها هنا لأنها تشير مباشرة إلى الأحوال التى اقتضت تأسيس مستعمرة « كرمه » (جدار المنمحات) ، والنقوش التى عثر عليها مدونة على صخور بلاد النوبة السفلى وعلى اللوحات التى من « الجبلين » التى تشير إلى العصر الذى قبل الأسرة الثانية عشرة وستحدث عنها فيما يلى كل على حسب مناسبه فى الكلام .

(١) الأسرة الحادية عشرة :

كانت الكفة الراجحة فى الحروب التى قامت بين أمراء « أهناسية المدينة » الذين كان يعاضدهم أمراء « أسبوط » وبين أمراء « طيبة » فى جانب حكام « طيبة » وهم الذين أسسوا الأسرة الحادية عشرة (١).

وبعد أن قضى ملوك هذه الأسرة على كل مقاومة فى داخل البلاد وأصبحت مصر من جديد موحدة الكلمة أخذت تنهج سياسة نشاط وتوسع فى الخارج ، ولدينا وثائق أثرية خاصة بتوسع مصر فى بلاد النوبة وغيرها ، وتدل شواهد الأحوال على أن سياسة التوسع هذه كانت قد بدأت تظهر منذ العهد المبكر من تاريخ الأسرة الحادية عشرة . فمن بين هذه الآثار منظر عثر عليه فى « تل الشيخ موسى » فى « الجبلين » على مسافة بضعة أميال من « أرمنت » إذ أقيم معبد صغير احتفالاً بإقامة باب عظيم لمعبد ما على لإظهار الفرح بإحدى انتصارات الملك « متوحتب الثانى » .

وهذا المنظر يمثل الملك « حورحزت » « متوحتب الثانى » بضرب أربعة من الأسرى ، الأول يرتدى القميص المصرى المعتاد ، وعلى الرغم من عدم وجود كتابة

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٧ الخ .

عليه فإنه يمثل رجلاً مصرياً ، والثاني يرتدى قميصاً قصيراً وتدل النقوش التي عليه على أنه نوبى (سنيو) ولا يحمل رأسه بالريشة التي كان يلبسها النوبى . والثالث أسيوى ويلبس ريشة على رأسه والرابع يلبس كذلك ريشة على رأسه ويدعى تحنو (أى لوبى) وفوق المنظر المتن التالى : « انه مسيطر على رؤساء الأرضين الصعيد والدلتا والأجانب وشاطئ النيل والأقواس التسعة وكلا المصريين »^(١) .

ولدينا منظر آخر يشبه منظر « الجبلين » مثل على مقصورة للملك نفسه فى « دندرة » وقد أشير فيه إلى توحيد الأرضين فلشاهد الملك يقبض على النباتين اللذين يمثلان الوجه القبلى والوجه البحرى ويرى تحت هذه الصورة فضلاً عن ذلك علامة توحيد الأرضين العادية . وفوق الملك صورة صقر يحلق وهو يمثل الإله « حور » الذى يبطش بالبلاد الأجنبية وخلف الملك نقش مهشم خاص بالبلاد الأجنبية التى هزمها الملك ، ويلفت النظر بوجه خاص فى هذا المتن أن أهالى البلاد الأجنبية قد وصفت بما يأتى : « والنوبيون قد أصبحوا يدفعون الضرائب » . وكذلك ذكر بوضوح أهل « المزوى » و « واوات » بجانب « التحو » (اللوبيين)^(٢) والواقع أنه ينبغى علينا ألا نجعل لهذه المناظر فى حد ذاتها قيمة تاريخية عظيمة ، غير أنها تعد بمثابة إشارة للاهتمام العظيم والنشاط الكبير اللذين كان يظهرهما الملك فى سياسته الخارجية . وقد ذكرنا من قبل فى نقوش « زى » أن النوبيين قد أصبحوا خاضعين يدفعون الضرائب لمصر دون أن يكون فى مقدورنا أن نستنبط بحق أن بلاد النوبة كانت خاضعة لمصر عسكرياً ، وكذلك فى عهد « متوختب الثانى » تكاد تكون الحالة واحدة ، ولكن وجدت آثار من عهد الأسرة الحادية عشرة تدل على سياسة نشطة فى الجنوب . فقد عثر فى معبد « متوختب » بالدير البحرى على قطعة من منظر يقول عنها الأثرى « نافيل » إنه مثل فيها أسير نوبى أسود^(٣) ، ولكن مما يؤسف له

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٣٦

(٢) راجع Breasted, A.J.S.L. 21, p. 111

(٣) راجع Naville, Deir El Bahari (IIth Dy.), 1, 5

أن الصورة ليست واضحة تماماً ، ولذلك لم يكن في مقدورنا أن نعطي عنها رأياً قاطعاً . ويتساءل الإنسان كيف يمكننا أن نفسر من جهة أخرى تمثيل الأميرة « كسيت » في قبرها ببشرة سوداء مع أنها مثلت مرة ببشرة صفراء وهذا شيء غير واضح . ومن المحتمل في هذه الحالة أن هذه السيدة قد وفدت إلى مصر من الجنوب بوصفها من سبايا الحرب أو عن طريق تجارة الرقيق ودخلت البلاد بهذه الكيفية . ولكن من جهة أخرى نجد أن الملكة « أحس نفر تاري »^(١) التي يرجع تاريخها إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة كانت تصوّر باللون الأسود على الرغم من أنها مصرية بحته على ما يظهر مما يجعلنا نتخذ جانب الحذر في الحكم على الملكة « كسيت » . هذا ولا يفوتنا أن نذكر أنه قد وجدت صورة الملك « أمنحتب »^(٢) والملكة « نفر تاري » ملونتين باللون الأسود وذلك في قبر من مقابر الأسرة التاسعة عشرة . والظاهر أن تفسير هذا اللون الأسود يرجع إلى اعتقاد ديني خاص وهو أن الإنسان بعد الموت يفقد دمه وعندما يعود إلى الحياة ثانية يجري في عروقه الدم كما نشاهد ذلك في صورة البقرة « حتحور » المحفوظة بالمتحف المصري فنجد « تحتمس الثالث » يقف أمام صدر البقرة بلونه الأسود فإذا ما رضع من لبنها جرى الدم في عروقه . ولهذا نجد أن تماثلي « توت عنخ آمون » الملونين باللون الأسود وهما واقفان أمام قبره يمثلانه وهو ميت وهو في ذلك كالإله « أوزير » . على ذلك يمكن تفسير كل هؤلاء الأشخاص الذين مثلوا باللون الأسود على هذا النمط . غير أن « نافيل »^(٣) قد ادعى أن جمجمة الأميرة « كسيت » من سلالة نوبية أو على رأيه زنجية .

ولدينا صورة أخرى في معبد « متوحتب »^(٤) من عهد الأسرة الحادية عشرة وقد كتب معها « نحسيو » (نوبي) محضراً جزية من المعدن الثمين في صورة حلقات .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٢٥ ، ٢١٢ ، ٢٤٣

(٢) راجع J.E.A., V., p. 288

(٣) راجع Naville, I, 55 and 50

(٤) راجع Naville, Ibid, III, Pl XII, 5

ولكن الفحص دل على أن هذه الصورة ترجع إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وفي «أسوان» يوجد نقش على صخر مؤرخ بالسنة الواحدة والأربعين من عهد الملك «متوحتب الثالث» جاء فيه ذكر حامل الخاتم «خيتي» الذي كان معروفاً تماماً في «طيبة»^(١) ومما يؤسف له أن هذا النقش قد وجد مهشماً جداً ولكن يفهم مما تبقى منه أنه قد أتى إلى هذه الجهة كما جاء ذكر سفن من بلاد «واوات» ، وإنه على ما يظن سافر بها إلى الجنوب . وبالاختصار تدل شواهد الأحوال على أنه قد أرسلت حملة في عهده وأنها كانت في سفن . وهذا يدل على نشاط السياسة الخارجية للأسرة الحادية عشرة في بلاد النوبة .

وحامل الخاتم «خيتي» هذا كان قد قام بحملة في بلاد النوبة وقد تحدثنا عنها عند الكلام على منظر «شط الرجال» بالتفصيل^(٢) . وخلاصة القول أن هذا المنظر يمثل عودة حملة من بلاد النوبة ولا يمثل خلافاً في داخل البلاد ، ولانعلم عن هذه الحملة شيئاً ولكن الظاهر أن «خيتي» كان قائدها وكان عائداً مع رجاله في عام ٣٩ من حكم «متوحتب» من حملته هذه .

ولدينا كذلك في بلاد النوبة بعض نقوش دؤنت على الصخور خاصة بعهد هذا الملك ، فمن ذلك مجموعة النقوش الموجودة في إقليم «دهميت» (على مسافة عشرة كيلو مترات جنوب «أسوان») في قرية «أيبيسكو»^(٣) وقد كشف عنها «ويجول» ونقلها بسرعة ثم نقلها فيما بعد الأثرى «ريدر» نقلاً صحيحاً . وهذه النقوش كتب نصفها بالخط الهيراطيق على غرار نقوش «حتنوب» . والنقش الأول وهو الوحيد الذي نقش نقشا غائراً ولا يزال محفوظاً حفظاً جيداً وقد كتب عكسياً وجاء فيه : «الأمر (حملة) الذي صدر لـ « ثمار » في السنة . . . (؟) وقد بدأت

(١) راجع A.J.S.L. (1940), p. 137

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٦٣ الخ

(٣) راجع Dehodes bis Kalabasche, p. 103 f; Tafel 1. 6 ff

أحارب في عهد « نب - حبت - رع » بوصفى جنديا عندما كان يسير شمالا نحو « بن » وقد سار معى ابني إلى الملك وقد استولى الملك على كل الأراضي . وقد فكر في ذبح أسىوى « زاتى » (يحتمل أن المقصود هنا بلاد « زاهى ») وقد اقربت من « طيبة » في عودتى (؟) ولكن النوبيين عادوا . وقد هزمت زاتى وعلى ذلك أقلع جنوباً » .

والنقش الثانى مهشم تماما ولا يمكن أن يقرأ منه الانسان إلا بعض ألفاظ منها « سافر جنوبا . . وعاد إلى الجنوب مع الناس » .

والنقش الثالث هشمت بداية أسطره ولم يمكن فهم محتوياته وجاء فيه ذكر بلاد تدعى « معا » وبدو الرمال و (؟) وبلاد « واوات » . هذا وأشير فيه إلى حرب كما أشير فيه إلى أن « ثماو » سافر نحو الشمال . وفضلا عن ذلك يحتمل أنه ذكر فيه الاستيلاء على مقاطعة ، وكذلك جاء ذكر ابن الملك وجيشه الذى أحضره .

والنقش الرابع فى حالة لا بأس بها وجاء فيه : « لقد انحدرت فى النهر إلى جهة « طيبة » . ووجدت الناس على الشاطئ واقفين وقد ظنوا أنهم سيقومون بحرب ؟ وهربوا أمامى .. » .

أما النقوش من رقم خمسة إلى سبعة فلم يبق منها إلا القليل وهى غير مفهومة .

ومن الطبعى أنه لا يمكننا أن نصل إلى صورة مفهومة من المتون السبعة السابقة . ومن الجائز أن المقصود من النقشين الأول والرابع وهما اللذان يمكن أن تقرأ منهما شيئا ما يأتى : كان فى قبضة « ثماو » جنود مساعدون من النوبيين يشن بهم حربا للملك « متوحتب » على بلاد « زاتى » التى يحتمل أن تكون هى بلاد « زاهى » فى آسيا ، وبعد اعتلاء الملك العرش سافر إلى « طيبة » يتبعه نوبى كان ذا شهرة حتى أن اسمه لم يذكر . وقد عاد هذا النوبى إلى « طيبة » ثم عاد إلى وطنه . وعندما وصل « ثماو » مع جيشه من الجنود المرتزقة إلى « طيبة » فزع الأهالى الذين كانوا واقفين على الشاطئ وظنوا أنه صدق قولوا الأدبار أمام « ثماو » هذا .

هذا ما يمكن فهمه، على أننا لسنا واثقين من أن هذا المعنى هو الحقيقي، وقد فهم الأستاذ « ريدر » هذا المتن بصورة أخرى إذ يقول إن المتن يقص علينا أن « نب حبت وع » ليس موحدًا مع الملك بل كان تابعًا له ، أى كان يعتبر ولى عهد ، ولكن استنباط « ريدر » جاء من سوء فهم المتن .

وإذا كان المعنى الذى استنبطه « سيف زودر برج » لهذا المتن وهو ما لخصناه فيما سبق هو المعنى الصحيح فإن « ثماو » كان فى قبضته جيش من الجنود المرتزقة لمساعدة « متوحتب » الثانى فى حرب على آسيا وذلك ينبئ بأن بلاد النوبة كانت فى مصافاة مع مصر فى هذا الوقت . ولدينا نقش آخر عثر عليه فى بلدة « بلاص » يشير إلى هذا الاتجاه السامى فى بلاد النوبة^(١) . ومما يؤسف له أن كل نهايات الأسطر فى هذا المتن وجدت مهشمة حتى أصبح من الصعب فهم المتن فى مجموعه وترجمته ترجمة كاملة ، وفى السطر الثانى نقرأ : « وسافرنا منحدرين فى النهر بعد أن هزمنا العدو » ، وفى السطر الثالث نقرأ « إنهم أتوا إليك منحنيين ومقبلين إياك من كل أعضائك ومن أجل هذا ينبغى أن يكون قلبك هادئًا فى جسمك والجنوبيون . . » ، وفى السطرين السادس والثانى عشر قيل إن « واوات » والواحات قد ضمت إلى الوجه القبلى ، « ولا يوجد ملك كانت تدفع له الجزية من قبل » وفى السطر الثامن جاء : « إن الطرق المغلقة الى فى البلاد الأجنبية قد فتحت لك » .

ومن هذا النقش نفهم كما فهمنا من نقش « ثماو » السابق أنه كانت توجد بين مصر وبلاد النوبة علاقة ولكن بصورة مبهمة .

ولا يمكن الاستنباط مما سبق أن بلاد النوبة السفلى كانت منضمة إلى مصر أو أنها محتلة عسكريًا كما أنها لم تكن كذلك فى عهد نقوش « زى » و « متوحتب الثانى » . ولا أدل على ذلك من العبارة التى جاءت فى سياق الكلام السابق

وهي أن هذه البلاد لم تكن تدفع الجزية ، ومن المحتمل إذا أن أمراء بلاد النوبة السفلى كانوا مضطرين بعد غزوة أو أكثر لبلادهم إلى دفع ضرائب دون أن تكون بلادهم قد احتلت عسكرياً ، ونشاهد مثل هذه الحالة في العهد الإسلامي حيث نجد أن بلاد النوبة الحرة كانت تدفع جزية سنوية معينة^(١) . ولا يبعد أن يكون ما جاء في المتون السابقة من أن بلاد النوبة كانت تدفع الضرائب لمصر من هذا القبيل ؛ فيكون ما جاء في نقوش « بلاص » دليلاً على تنفيذ نظام كان متبعاً من قبل .

ولا نزاع في أن الحروب الداخلية التي نشبت في نهاية الأسرة الحادية عشرة قد أودت بها إلى الدمار كما فصلنا القول في ذلك في الجزء الثالث من مصر القديمة ص ١٤٠ — ١٤٨

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن متون « اللعنة » التي نشرها الأستاذ « زيتيه »^(٢) قد يرجع زمنها إلى هذا العهد خير أن المتون المشابهة التي نشرها « بوزنر » يرجع تاريخها للأسرة الثانية عشرة ولذلك فإن تاريخ « زيتيه »^(٣) للتعون التي نشرها أصبح يعتوره الشك . ويقول الأثرى « سيف زودربرج »^(٤) : إذا كان ينبغي علينا أن نؤرخ متون اللعنة هذه بعهد نهاية الأسرة الحادية عشرة فلا بد من أن الرجال الموالين لبيت الملك القديم في عهد الأسرة الحادية عشرة كانوا قد كتبوا هذه المتون على قطع من الخوف ووضعوها في قبر أحد الملوك الذين سموها باسم « متوحتب » وأن هذه النقوش كانت إذاً أحد الاحتجاجات الأخيرة التي احتجت بها الأسرة الفانية على الأسرة الثانية عشرة التي كانت لا تزال في دور النهوض في تلك الفترة ، وذلك أنه جاء ضمن الأعداء — وهم على وجه عام الأمراء والأقوام الأجانب — أسماء « المنمحات » و « سنوسرت » . ويلاحظ

(١) راجع MacMichael, A History of the Arabs in the Sudan, Vol. I, Cambridge, 1922 p. 156 and 179.

(٢) راجع Die Ächtung feindlicher Fürsten, etc.

(٣) راجع Posener, Princes et Pays d'Asie et de Nubie, Chronique d'Egypte, 14, p. 39 ff.

(٤) راجع Save, Ibid, p. 61 ff.

أن معظم الأمراء الأفريقيين والأقوام الذين ذكروا في هذه المتون غير معروفين لدينا . هذا ونجد بعض تأثير مصري ضعيف في أسماء هؤلاء القوم ، ففي حالة نجد أن نوبيا يحمل بجانب اسمه الأصل اسم علم مصري ، وفي حالة أخرى نجد رجالا من قوم المزوى يسمى « واح أب » (الهادى) . ومما يلفت النظر أن الاسم الأخير لم يكن مثل سابقه أمير قوم بل مجرد أحد أفراد « المزوى » . وبالنسبة للدور الذى كان يلعبه هؤلاء « المزوى » كما رأينا من قبل نرجح أن هذا « المزوى » المسمى « واح أب » (الهادى) كان من الجنود المرتزقة وكان يقوم بدور هام في العصر المضطرب الذى وقع بين التغيير الأسرى ، ولذلك فإنه بمكانته هذه في مصر قد اتخذ لنفسه اسما مصرية .

(٢) فتح مصر لبلاد النوبة على يد ملوك الأسرة الثانية عشرة :

أصل الأسرة الثانية عشرة : تدل شواهد الأحوال على أن « امنمحات الأول » مؤسس الأسرة الثانية عشرة هو نفس « امنمحات » وزير الفرعون « متوحتب الرابع » والمرجح أن سلطان هذا الوزير أخذ يعظم ونفوذه يزداد ويقوى في عهد « متوحتب » هذا حتى تمكن في نهاية الأمر من الاستيلاء على عرش الملك عنوة ، ويقوى هذا الظن ان « متوحتب » الرابع هذا ، كان مغتصباً الملك ولم يكن صاحب حق وراثى فيه ، على أنه من الجائز أن يكون « امنمحات » قد تولى العرش بعد وفاة « متوحتب » مباشرة بفضل ما كان له من قوة ونفوذ في البلاط ، ويعتد هذا الرأى الأخير مقبولا جداً إذا ثبت أن « امنمحات » هذا ينتسب إلى أحد فروع الأسرة الملكية الشرعية القديمة^(٢) .

ويميل الأستاذ « ينكر » إلى أن أم « امنمحات » أو « أميني » كانت من أصل نوبى كما ذكر الكاهن المرتل « نفر رهو » في نبوءته التى قيل إنها ألقيت أمام الملك

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٤٠ .
(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٦٩ الخ .

« سنفرو »^(١) عندما يقول : « ابن امرأة من « تاسى » ولد فى « نحن » (الكاب) .
والظاهر أن أم الملك هذه تدعى على ما يظهر « نفرت » وذلك لأنه وجدت مائدة
قربان فى هرم هذا الملك « بالشت » جاء عليها النقش التالى : الأميرة أم الملك
« نفرت » . ومما يلفت النظر أنها لا تحمل أى لقب ملكى ، ويمكن تفسير ذلك
بأن « أمنمحات » قد أسس أسرة جديدة^(٢) والظاهر أن أم الملك كان لها اسم مصرى ،
غير أن هذا لا يحدثنا بشئ عن أصلها لأنها لو كانت نوبية الأصل لما كان لها اسم
أجنبى بوصفها أم الملك . والواقع أن التعبير « تاسى » يحمل معناه الأصل ، أى نوبى ،
وقد يعنى المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى . غير أن المعنى الأقرب للذهن
هو أنها كانت نوبية الأصل .

ومن جهة أخرى يجب ألا يغرب عن ذهننا أن قصة « نفروهو » لا تخرج
عن كونها قصة أسطورية ولهذا ينبغى أن نكون على حذر عند التحدث عنها من الوجهة
التاريخية . فنعلم أن بلدة « نحن » (الكاب الحالية) كانت منذ أقدم العهود تحمل
معنى خاصاً بالنسبة للملك . فمن المحتمل أن كل هذه القصة التى أوردها هذا الفيلسوف
الأديب تعنى ببساطة أن مصرياً صمياً قد ولد فى البلد الذى كان يتوج فيه الملك
فى الأزمان القديمة (أى نحن) فنسب من أجل هذه الولادة إلى الملك ، وهذا رأى
ضعيف^(٣) . والرأى الصواب هو الذى أدلى به « ينكر » إذ يقول : إن طراز صميا
الملك الجديد يحتمل أنه من أصل نوبى وبخاصة أن عظم الوجنتين فيه ما يدل على أنه
من دم نوبى^(٤) .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٧٠ الخ .

(٢) راجع The Egyptian Expedition, Metropolitan Museum (1921—22), p. 12; comp.;

Sethe, Die Thronwirren unter den Nachfolgern Königs Thotmosis I, p. I, anm. 4.

(٣) راجع Save, Ibid ; p. 64

(٤) راجع J.E.A., 7, p. 124, Anm. 2; cf. Junker and Delaporte, Die Völker des Antiken

Orients, p 88 ; Winlock, J.E.A., 26, p. 119.

الملك امنمحات الأول وحملاته في بلاد النوبة (٢٠٠٠ — ١٩٧٠ ق . م) .

تدل ظواهر الأمور على أن « امنمحات الأول » قد وطد سلطانه في بلاد النوبة بصفة جدية ، ولدينا نقوش عدة تؤكد لنا ذلك ، ونخص بالذكر منها أولاً تلميحته بذلك في تعاليمه المنسوبة اليه وهي التي ألقى فيها على ابنه دروساً في الحياة فيقول : لقد أذلت الأسود ، واصطدت التماسيح ، وقهرت أهل « واوات » ، وأسرت قوم « المزوى »^(١) الخ .

ومن المحتمل أن الجنود المرتزقة الأجانب قد لعبوا دوراً في الحروب الداخلية التي أدت إلى تسلط ملوك الأسرة الثانية عشرة على البلاد . والواقع أنه لدينا متن مهم جداً في مقبرة « خنوم حتب الأول » في « بنى حسن »^(٢) . ومن المحتمل أن هذا النقش يصف حملة نهريّة وقد جاء فيها ذكر النوبيين (نحسيو)^(٣) و (ستتيو ؟) بصورة غامضة . وقد اختلف المؤرخون في تفسير ذلك فيقول « ادورد مير »^(٣) إن « ستتيو » هم الآسيويون ويقول « ريزنر » إن « ستتيو » هم أهالي « الشلال الأول » .

وقد قص علينا « خنوم حتب » أنه ظهر مع الملك في أسطول يبلغ نحو عشرين سفينة مصنوعة من خشب الأرز وأنه هزم العدو في مصر ، وأخضع السود والآسيويين الذين كانوا في معسكر العدو ، واستولى على الأراضي المنخفضة والأراضي العالية في كلا القطرين . وقد كافأ الفرعون « خنوم حتب » على ذلك بأن جعله أميراً على بلدة « منعات خوفو » (بنى حسن) التي كانت إلى هذا الوقت تابعة لمقاطعة الغزال وفصلت عن حكومة هذه المقاطعة ، وكذلك ضم إليه إدارة الصحراء الشرقية ، ولقد امتدت سيطرة هذه البلدة حتى شملت كل مقاطعة « الغزال » (بالقرب من المنيا الحالية) ، والظاهر أن أسرة الأمراء القديمة في هذه الجهة كانت قد انضمت إلى المعسكر المعادي للفرعون فخلعوا من حكم هذه المقاطعة ، ولذلك يظن أن السود والآسيويين الذين

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٨٥ والأدب المصري القديم ج ١ ص ٢٠٤

(٢) راجع Urkunden Des Mittleren Reiches I, VII, 12

(٣) راجع Ed. Meyer, Gesch. Alt., 1, 2, p. 264

ذكروا في هذه الحروب ليسوا إلا جنوداً مرتزقة كانوا يحاربون في المعسكر المعادي للفرعون^(١) .

وليس لدينا مصادر كثيرة تحدثنا عن علاقة « امنمحات الأول » السياسية ببلاد النوبة، ولذلك أصبح من الصعب علينا حتى الآن أن نحدد على وجه التأكيد التغييرات التي طرأت في عصره على علاقاته بهذه البلاد . وسنذكر أهم هذه المصادر فيما يلي :

أولاً : وجد له نقش مختصر على صخرة بالقرب من « كرسكو » عند مدخل « وادى جرجاوى » يدل على وصول جيوش الفرعون إلى هذه البقعة في السنة التاسعة والعشرين من حكم ملك القطرين القبلى والبحرى « سحتب ا ب رع » « امنمحات الأول » عاش مخلداً . لقد جئنا لنهزم أهالى « واوات^(٢) » . وهذه هي الجملة الوحيدة المؤكدة التي وصل إلينا عنها متن . ولا نعلم إذا كان هذا الفرعون قد قاد الجيش بنفسه في هذه الحملة أو ذهب جيشه بقيادة أحد عظماء رجال دولته ، والمرجح ! هو الرأى الأخير لأن « امنمحات » كان قد تقدم في السن في هذه الآونة . هذا ويوجد في بلاد النوبة كذلك نقوش أخرى من عهد « امنمحات الأول » ولكنها ليست كثيرة كما هي الحال في عهد الملوك المتأخرين من هذه الأسرة .

فمن المحتمل أن اسم هذا الملك قد ذكر في نقش بالقرب من « ماريه » الواقعة شمالي « جرف حسين^(٣) » .

وكذلك يوجد نقش بين « أسوان » و « الفيلة » على الصخر مؤرخ بالسنة الثالثة والعشرين من حكمه^(٤) . يضاف إلى ذلك أن اسمه قد نقش في المحاجر الواقعة في الشمال الغربى من « توشكى » . وقد ذكر هنا مع وارثه لعرش الملك « سنوسرت الأول »

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٨١ — ١٨٢

(٢) راجع A.Z., (1882), p. 30 ; Br. A.R.I., p. 473, etc.

(٣) راجع Weigall, Report, Pl. XXXII, 6

(٤) راجع De Morgan, Cat. Gen., I, p. 34, No. 81

ولكنه نعت بالعبارة التالية : « معطى الحياة أبدياً » مما يدل على أن ابنه « سنوسرت الأول » هو الذى نقشها .

وقد وجد « ريزنر » فى « كرمه » من بين الأواني المصنوعة من المرمر التى وجدت مهشمة فى « دفوفه » قطعة عليها : « امنمحات الأول » ، وكذلك قطعة عليها اسم خلفه . وفى عهد « امنمحات الثالث » عثر على نقش يتحدث عن جدار « امنمحات » ويذكر لنا أنه قد أسس مبنى فى « كرمه » وعلى ذلك فمن الجائز أنه ينسب إلى « امنمحات الأول » ومن المحتمل أن هذا المبنى ينسب إلى « امنمحات الثانى^(١) » ، على أنه من الجائز أن الآنية التى عليها اسمه قد جلبت فيما بعد إلى « كرمه » عن طريق التجارة .

ولا نزاع فى أن العثور ثانية على المحاجر النوبية الواقعة فى الصحراء فى الجهة الشمالية الغربية من بلدة « توشكى » وقطع الأحجار منها وإرسالها عن طريق النيل فى السفن إلى مصر يدل دلالة واضحة على أن الحكومة المصرية كان لها سلطان عظيم على سكان بلاد النوبة فى تلك الفترة وذلك لأن المصرى كان عندما يقابل صعوبات فى بلاد النوبة السفلى من هذه الناحية يرسل الأحجار عن طريق الصحراء مباشرة إلى « أسوان » .

ويدل نقش « كرسكو » الذى يقول : « لقد أتينا إلى « واوات » لنقهرها » على أن العلاقات بين البلدين لم تكن علاقات ود ومصافاة ، بل كانت هناك حرب مع النوبيين كما توه « امنمحات » إلى ذلك فى تعاليه ، وفضلاً عن ذلك نعلم أن خلف « امنمحات الأول » وهو « سنوسرت الأول » قد سار على رأس حملة لاحتلال بلاد النوبة . وقد كان هم المصرى فى بلاد النوبة منحصراً فى استغلال مواردها الغفل وبخاصة مناجم الذهب التى كانت تزخر بها تلك الجهات ، وكان على المصرى للحصول

(١) راجع Reisner, Kerma, 542 f. ; 511 ff.

على ذلك إما أن يستغل النوبي بطريقة منظمة فيستولى على ما لديه من مواد غفل باعتبارها ضريبة يدفعها له أو كان يعمل بالتعاون معه لاستخراجها أو على الأقل كان لا يمنع من الحصول على هذه المنتجات .

وكان السكان الوطنيون الذين يمثلون ثقافة مجموعة C كما قلنا من قبل أكثر مدنية وأشدّ بأساً بدرجة عظيمة من مجموعة ثقافة B التي تحدثنا عنها فيما سبق . إذ نجد أنهم قد وقفوا في وجه أطماع المصريين بقوة وبأس شديدين ، فقد رأى النوبيون في مطامع المصريين خطراً يهدد استقلالهم وخشوا أن يتسلط المصريون عليهم ويخضعوهم لسلطانهم التام وبذلك يقضى على حريتهم كلية . وتدل الأحوال على أنهم في عهد الأسرة الحادية عشرة كانوا يثنون من ضغط المصريين عليهم مما جعلهم يدفعون جزية كما كانوا يوردون لهم السلع أو يبيعونها ، غير أن هذا النظام قد ظهر في أعينهم عدم جدواه . ومن الجائز أنه قد حدثت أعمال غير مرضية من كلا الجانبين مما أدى إلى سوء التفاهم واضطراب العلاقات بين البلدين ، ولا أدل على ذلك من أننا لم نجد في هذا الوقت تبادلاً تجارياً بين البلدين يسير على طريق الودّ والمهادنة ، كما يبرهن على ذلك ثقافة مجموعة C إذ لم نجد تقريباً أى عنصر من عناصر التجارة المصرية قد ورد إلى بلاد النوبة ، وعلى ذلك لم يكن لمصر أمام هذا الموقف إلا أن تحتل بلاد النوبة احتلالاً عسكرياً . وذلك لأن المصرى كان يرى بقاء الطريق مفتوحة إلى الأماكن التي يمكنه أن يصرف فيها تجارته من الأهمية بمكان ، وعلى ذلك فلا بد من تهدئة الأحوال في كل بلاد النوبة السفلى والاشراف عليها لإشرافاً قوياً حتى يتسنى بذلك سير القوافل التجارية دون عائق أو منافس . وعلى الرغم من أنه لا يمكننا القطع بأنه في عهد « امنحات الأول » كانت توجد مستودعات تجارية في « كرمه » فإن التجارة في هذا الإقليم كانت قد بدأت تترعرع ، مما جعل المصرى يرى لزماً عليه أن يخضع سكان بلاد النوبة السفلى لإرادته حتى تسير تجارته وتتمو .

سنوسرت الأول وبلاد النوبة (١٩٨٠ — ١٩٣٦ ق م) .

والظاهر أن « امنمحات الأول » عند توليته عرش الملك كان طاعنا في السن فرأى أن يوكل أمر قيادة الحروب مع بلاد النوبة وغيرها لابنه وخلفه على العرش « سنوسرت الأول » . والواقع أنه لما حضرت الوفاة « امنمحات الأول » كان « سنوسرت » ابنه يقود جيشه في موقعة حربية مع بلاد « لوبيا » وتتضح لنا سياسة « سنوسرت » الخارجية بعد تولية عرش الملك مما لح به في قصة « سنوهيت ^(١) » إذ يقول في متن هذه القصة « إنه هو الذي أخضع البلاد الأجنبية ، والذي سيفتح البلاد الجنوبية » .

محاجر صحراء النوبة الغربية : يظهر أن أول من نمر محاجر صحراء النوبة الغربية في عهد الدولة الوسطى هو الملك « سنوسرت الأول » . وقد كشف عن موقع هذه المحاجر حديثا ، وتقع على مسافة ٦٥ كيلومترا في الشمال الغربي من « أبو سمبل » أى على خط عرض ٢٢ / ٤٩ شمالا وخط طول ٣١ / ١٦ شرقا . وقد جاء كشفها عن غير قصد ، فلقد كان رجال من شرطة الجيش المصرى يمرون في هذا المكان ، فلفت نظرهم قطعتان من الحجر عليهما نقوش ظهر أنها تحمل ألقاب بعض ملوك الدولة القديمة ومن بينها اسم الفرعون « زدفراع » . وقد عثر في هذه المحاجر على حجر الديوريت الجميل الذى كان يستعمله « خفرع » لصنع تماثيله العظيمة ، وقد كان مصدر هذا الحجر مجهولا حتى كشف عنه كما ذكرنا ، وكذلك عثر على أنواع أخرى من الحجر الصلب في هذه البقعة ، مثل الجرانيت الوردى ذى الحبات الدقيقة وحجر الكوارتسيت الأبيض القاتم .

وقد عثر في هذا المكان على لوحة من الحجر الرملى الأسمر نقش عليها طغراء كل من « امنمحات الأول » وابنه « سنوسرت الأول » .

وفي محاجر الجرانيت الواقعة في هذه البقعة وجدت لوحة لهذا الفرعون مؤرخة بالسنة العشرين ، الشهر الثاني ، فصل الحصاد ، والجزء الأسفل منها فامض . يضاف إلى ذلك لوحة أخرى من الحجر الرملي الأصفر ، أقامها لهذا الفرعون موظف يدعى « حننو » بن « متوحتب » ويلقب أعظم عشرة الجنوب ، وقد نقش عليها : « محبوب » « حتحور » سيدة الصحراء له كل الحماية والحياة الخالدة^(١) .

بعوثه إلى وادي الهودي : أرسل « سنوسرت الأول » عدة بعوث إلى « وادي الهودي » لاستحضار حجر الجمشت في السنوات العشرين ، والحادية والعشرين ، والثانية والعشرين ، والرابعة والعشرين ، والثامنة والعشرين ، والتاسعة والعشرين من حكمه . وقد ترك لنا رجال هذه البعثات لوحات هامة عما قاموا به في هذه الجهة ، ففي السنة العشرين من حكم هذا الفرعون ترك لنا ثلاثة ممن قاموا بالبعثة ثلاث لوحات : الأولى منها لأعظم عشرة الجنوب المسمى « متوحتب » بن « حننو » بن « بيبى » وقد صنعت من الجرانيت الأسود .

١ — نص لوحة « متوحتب » : السنة العشرون في حكم جلالة الصقر « الملك » . .
ملك الوجه القبلي والبحري « خبر كارع » بن « رع » « سنوسرت » حور العائش أبدياً خادمه الحقيقي وعزيزه الذي يفعل كل ما يمدحه دائماً وكل يوم ، أعظم عشرة الجنوب ، الذي يمثل « ماعت » (العدالة) . « متوحتب » بن « حننو » بن « بيبى » يقول : أرسلني سيدي له الحياة والصحة والسلامة لأحضر الجمشت من أرض النوبة ، واستوليت من جديد على الأماكن التي كنت قد عملتها ، وقد أحضرت منه كثيراً جداً من منجم الأحجار التي من الجمشت ، ولقد كانت قوة رب القصر وامتيازه هما اللذان رعياني ، ولرهبته انحنى أهل الأراضى الأجنبية ، وسيفه يخضع كل الأراضى ليشتهلوا له ، وأعطى (أى الملك) الصحراء فيها بأمر « متو » ساكن « أيون » (أرمنت) و « آمون » رب تيجان الأرضين ليبقى خالداً .

وقد طاد « متوختب » هذا مرة أخرى في العام الرابع والعشرين من حكم هذا الفرعون ، فكتب على نفس اللوحة ما يأتي : السنة الخامسة والعشرون من حكم جلالة « حور » (المسمى) ، حياة المواليد ، وصاحب الإلهين ، (المسمى) حياة المواليد ، ملك الوجه القبلي والبحري (المسمى) « خبر كارع » (روح « رع » تأتي إلى الحياة) ابن « رع » (المسمى) « سنوسرت » الإله الطيب رب الأرضين الحى إلى الأبد ، العودة لمتابعة (استخراج) الجمشت إنه خادم سيده ومحبوبه الخ .

٢ — لوحة قائد الجيش « أنتف » : وفي نفس السنة العشرين ترك لنا قائد الجيش « أنتف » لوحة لم يكمل كتابتها وقد جاء فيها : « السنة العشرون من حكم « حور » حياة المواليد ، الإله الطيب ، رب الأرضين ، ملك الوجه القبلي والبحري ، « خبر كارع » عاش مثل « رع » مخلداً . حامل الخاتم وقائد الجيش « أنتف » خادمه الذى يثق فيه ، والذى يفعل كل ما يرضيه ، وعشت خالياً من الذنب « أنتف » المبرأ .

٣ — لوحة رئيس الخزانة « أنتف إقر » : وكذلك ترك لنا لوحة من الجرانيت الأسود رئيس الخزانة خبر أن نقوشها متآكلة ، وقد جاء عليها : « السنة العشرون رئيس الخزانة ووكل حامل الخاتم « ونى » عملت « هذه اللوحة » لقائد جيشه الذى يعمل كل ما يرضيه دائماً ، وكل يوم ، حاكم المدينة (طيبة) والوزير ، وكاتم أسرار بيوت الفرعون « أنتف إقر » له الحياة والصحة والسلامة ، لقد أرسلنى لأحضر الجمشت والذهب ، . . . وقد أحضرت منها (الكثير جداً) . . . » .

وفي السنة الواحدة والعشرين ترك لنا « متونسو » لوحة من الجرانيت منقوشة نقشاً جميلاً جاء فيها : السنة الواحدة والعشرون من حكم جلالة « حور » حياة المواليد الإله الطيب « سنوسرت » الحى الخالد . إنه خادمه وموضع ثقته بحق الذى يفعل كل ما يرضيه دائماً وكل يوم . لقد تبع خطوات سيده فى الطرق المعبدية التى أحسن صنعها الخادم « متونسو » بن « حتي » بن « آدن » وفى نهاية اللوحة نجد رسم الملك .

فهل هذا يشعر بأن الفرعون نفسه قد زار هذه المناجم ؟ وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف « أسوان » .

٤ — وفي السنة الثانية والعشرين ترك شخصان لوحين من الجرانيت : أولهما يدعى « سنوسرت » بن « وني » وقد جاء عليها ما يأتي : « السنة الثانية والعشرون ، الخروج لإحضار الجمشت لحور (أى الملك) حياة الموالبدا إله الطيب بن « رع » ملك الوجهين القبلي والبحرى « خبر كارع » بن « رع » ، « سنوسرت » حاش أبد الآبدين خادمه « سنوسرت » ابن « وني » ، مما يدل على أن خادمه كان معه في الرحلة . أما اللوحة الثانية فهي لشخص يدعى « سبك » بن . . . وقد نقش عليها ما يأتي : « السنة الثانية والعشرون ، ملك الوجهين القبلي والبحرى « خبر كارع » بن « رع » ، « سنوسرت » معطى الحياة مثل « رع » مخلداً « سبك » بن . . . الممدوح . . . نزل في سلام » .

٥ — وفي السنة الرابعة والعشرين قامت حملة خامسة يقول فيها قائدها : « إنه تابع البحث عن الجمشت » والظاهر أن كاتب اللوحة قد كتبها على عجل إذ نقش اسم « سنوسرت » بدون طغراء .

٦ — ولدينا لوحة من السنة الثامنة والعشرين باسم « وسدى » ويلقب رئيس القوم ، ولم يذكر فيها شئ غير الألقاب الفرعونية والصيغ المعتادة في إخلاصه للفرعون ، وكان معه خادمه المخلص الذى يثق فيه « حرور » قاطع الأحجار .

أما في السنة التاسعة والعشرين فقد وجد على ما يظهر لوحان من عهده : الأولى أقامها موظف يدعى « حنتو » وهى من الحجر الرملى وقد جاء عليها ما يأتي : في السنة التاسعة والعشرين خرج إلى هذه البلاد أعظم عشرة الوجه القبلى « حنتو » ليته يعيش ويقوى ويصبح . (ومعه) خادمه الأمين الذى يعمل كل ما يمدحه (سيده) في خلال كل نهار المسمى « سنب حاشأشتف » .

أما اللوحة الثانية فصاحبها كذلك « حنتو » بن « متوحتب » وهو نفس الموظف

صاحب اللوحة السابقة وقد جاء عليها ما يأتى : « السنة التاسعة والثلاثون أعظم عشرة الوجه القبلى « حننو » بن « متوحتب » ليته يعيش ويقوى ويصبح (ومعه) خادمه الأمين الذى يعمل كل ما يمدحه (سيده) كل يوم « شمسو سعنخ » . ومن ذلك نعلم أن اللوحتين قد عملتا للوظف « حننو » ومعه خادماه أى أن الثلاثة كانوا قد ذهبوا سويا إلى هذه المناجم .

لوحة « حور » : وأعظم هذه اللوحات التى تنسب إلى عهد هذا الفرعون لوحة أقامها موظف يدعى « حور » أرسله « سنوسرت » لإحضار الجحشت من صحراء النوبة الجنوبية الشرقية من وادى « الهودى » وهذه اللوحة مصنوعة من الحجر الجيرى الأبيض وهاك النص الذى نقش عليها : « يعيش « حور » حياة المواليد ، صاحب السيدتين ، (الصل والعقاب) ، حياة المواليد ، ملك الجنوب والشمال « خبر كارع » (روح « رع » تأتى للوجود) بن « رع » « سنوسرت » الإله الحسن ، الذى يذبح « الأوتى » (سكان الصحراء الجنوبية الشرقية) ويقطع رقاب من فى الأراضى الآسيوية ، الملك الذى يطوق « حابو » (أقوام الشمال) والذى يصل إلى نهاية حدود المقهورين وحدود السود ، والذى يهشم رؤوس الأسر الثائرة ، موسعاً تخوم مصر مفسحاً بذلك المجال (لبلاده) ، وهو الذى وحد بجماله الأرضين ، رب القوة والحروب فى البلاد الأجنبية ، وسيفه قد أخضع الثوار ، ومن ثاروا عليه ماتوا بسيف جلالته . وهو الذى وضع أعداءه فى الأغلال ، وهو أمير وديع الخلق لمن يخدمه ، ومعط نفس الحياة من يتהל إليه ، والبلاد تقدم له طعامها ، و« جب » (إله الأرض) أفضى إليه بأسراره ، والبلاد الأجنبية أصبحت تابعة (له) ، والجبال صارت مبهتجة (به) وكل مكان قد أفضى إليه بأسراره ، مبعوثوه عديدون فى كل الأراضى ، ورسله يفعلون ما يريد ، وأملاكه هى السهل والحزن ويدين له ما يحيط به قرص الشمس ، وإليه تجلب العين وما فيها (العين هنا عين حور وهى تعنى كل شئ حسن) ، وهى سيدة الموجودات مع كل ما خلقته .

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى . « خبر كارع » الذى يحب « حور النوبة » ، والذى يمدح السيدة التى على رأس النوبة معطى الحياة والثبات والصحة مثل « رع » مخلداً .

خادمه الأمين حقيقة ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد ومدير مخزنى الغلال ، ومدير حظيرتى الدجاج ، ومدير بيتى التبريد ، ومدير ذوات القرن ، وذوات الخوافر ، والطيور والسماك ، ومدير البيت « حور » يقول : لقد أرسلنى السيد (هذا الإله رئيس الأرضين) بأمر يتعلق بأعماله الطيبة فى هذه الأرض وقد كان الجيش خلفى (أى يشد أزرى) لأجل أن أقوم بما أراه خاصاً بهذا الجمشت الذى فى أرض النوبة وقد أحضرته من هناك بكيات عظيمة ، وعندما جمعته مثل فم المخزنين (أى مثل القطع التى تسد فم المخزنين) جربزحافات وحمل على نقالات ، وكل « أنتيو » من أرض النوبة الذين سيدفعون الجزية يعمل خادماً حسب رغبة هذا الإله سيبقى جلسه أبد الأبد^(١) .

وفى جنوب الشلال الأول عثر له على لوحتين فى معبد « بهين » ويعدان من أهم آثاره ، وهذا المعبد قائم أمام بلدة « وادى حلفا » ، أقامه هذا الفرعون تخليداً لذكرى انتصاراته على أعدائه ، واعترافاً منه بالجميل لآلهة هذه المنطقة^(٢) . وتوجد لهذا الملك آثار مؤرخة بسنى حكمه من السنة الأولى حتى السنة الخامسة والأربعين^(٣) .

وكانت أولى نتائج أول حرب شنها « سنوسرت » على النوبيين أن نظم من جديد العلاقات بينه وبين مقاطعة الشلال الأول فنصب أمير مقاطعة جديداً فى « الفنتين » يدعى « سرنبوت » فى « الفنتين »^(٤) . وقبر هذا الأمير بالقرب من قبة الهواء مقابل النهاية القصوى من جزيرة « الفنتين » ويحمل رقم ٣٦ وهو ابن « سات ثنى » ويعاصر الملك « سنوسرت الأول » وهذا القبر محفور فى الصخر فى هذه الجهة ويدل على ما كان له من مكانة عظيمة فى تلك الفترة وقد كان سلطانه يمتد إلى الجهات التى خلف « الشلال الأول » ولذلك كان يدعى المشرف على كل الأراضى الأجنبية والمشرف

(١) راجع A.S., XXXIX, p. 186 ff.

(٢) راجع MacIver and Woolley, " Buhen ", pp. 89. 95

(٣) راجع Petrie, History, p. 163

(٤) راجع Muller, Die Felsengräber der Fürsten Von Elephantine; Scharff, Aegyp.

Forschungen, Heft. 9 (1940).

على التراجمة (رئيس القوافل) . وقد خلف لنا تريحته لنفسه فاستمع لما يقول :
الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الملك للوجه البحرى والسمير الوحيد ، رئيس
كهنة الإلهة « ساتيس » سيدة « الفنتين » والمبجل من « أنوبيس » ومن أنجبه
« سات ثنى » يقول : أتم يا من يعيشون على الأرض ومن سيمرون على القبر الصاهدين
منكم فى النهر والمنحدرين فيه إذا أردتم أن تكونوا محبوبين من إلهكم فعليكم أن تصلوا
إلى إلهكم من أجل قربان جنازى لروح الحاكم « سرنبوت » .

وهو يقول : أنى إنسان أرضيت قلب الملك فى المعبد وأنى فم « نحن » فى معبد
« ساتيس » ونحبت فى معبد « بوتو » (معبد النار) والرئيس الأعلى للكهنة الجنازيين
وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد ، وكاتم سر الملك فى الجيش ،
والذى يسمع ما يسمعه الواحد فقط ، والذى يأتى إليه كل الأرض (أى كل واحد) .
إلى المكان الذى خضع فيه أعداء الملك . والواحد الذى يدخل فى قلب الملك
(ثقته)

وأنى إنسان حملت الخاتم الملكى فى كل الأحوال الخاصة ببلاد « كوش » (؟)
(وفى رواية أخرى كل البلاد الأجنبية) للزوجة الملكية والذى يقدم التقارير
عن الضرائب من بلاد « مزا » (بجا) بوصفها جزية من أمراء البلاد الأجنبية .
والذى يسهر الليل داخل المعبد فى يوم العيد الكبير ، والذى يتسلم الهدايا التى تحتوى
على أحسن الأشياء الثمينة التى يقدمها الملك فى قصره . والرئيس الأعلى للأعياد الثلاثينية
فى قارب الإله بوساطة كل الأعمال المدهشة (أى المحاصيل المدهشة) للنوبيين
من « الشلال » وأمين القوم على الميناء وأعظم المشرفين على سفن بيت الملك ، والذى
يدير بيتى المال بنظام والرئيس على بقاع « تاسى » (النوبة) والذى تحت إدارته
من يبحرون يرسو .

والحاكم ورئيس الكهنة « سرنبوت » يقول : لقد أقمت قبرى بحضرة الملك
« خبركارع » . ولقد رفعتنى الملك فى الأرض وكذلك كنت أعلى قدراً من أمراء

المقاطعات ، ولقد ضرت (؟) قوانين الأزمان القديمة . ولقد رفعت إلى السماء في لحظة دين (أى رفعت إلى مرتبة عليا في لحظة عين) . وعينت صناع أحجار لعمل مقبرتي وقد مدحني جلالته لذلك كثيراً جداً ومرات يخطئها العد في حضرة رجال البلاط والملكة . وقد جهزها بأثاث من القصر وزينها بكل ما يلزم وملاًها بالحلى وأمدّها بقربان الخبز وجهزها بكل ما كان صالحاً لها . ولم يكن ينقصني شيء مما يلزمي من الأشياء التي من بيت المال وسمح لي جلالته أن أذهب (حراً) مثل كل موظف في مقر الملك (هل يعني أنه لم يكن مقيداً بالبقاء في «الفتين» طوال الوقت ؟) وكنت رجلاً يؤدي خدمات بجانب سيده وإنساناً رفعت مميزاتة .

يقول : « كنت رجلاً مستقيماً في الحضرة الملكية ، خالياً من المين ، وكنت ذكياً عند ما يرسلني (في مأمورية) . ولقد كنت ثانياً اثنين وثالث ثلاثة في هذه الأرض ، وكنت أعمل المديح كثيراً جداً وكنت مملوءاً بالثناء حتى يعوز حنجرتي الهواء ، وقد هالت عند ما رفعت إلى السماء ووصل رأسي إلى القبة الزرقاء . وقد كشطت أجسام النجوم وباشرت التهليل عند ما لمعت كالنجم ورقصت مع الكواكب . وكانت مدينتي في عيد ، وهلل رجالى وسمعت الناس ذلك الرقص والمسنون والأطفال كانوا في سرور . والآلهة الذين في « الفتين » قد أطلوا إلى مدة بقاء جلالته ملكاً ، فقد ولدوا جلالته من جديد من أجل حتى يكرر لي ملايين الأعياد الثلاثينية . وقد منحوه الأبدية بوصفه ملكاً حتى يبقى على عرش حور من جديد (؟) كما أحب ، وكنت خادمه القريب من قلبه مؤدياً ما يحبه سيده ، الأمير والمشرف على الكهنة « سرنبوت » .

ويقول : « لقد حضرت من مدينتي ونزلت إلى مقاطعتي وعملت ما يحبه قومي . وما يمدحه كل الآلهة » .

والواقع أن الألفاظ المنمقة التي حاك بها قصة تاريخ حياتة لا يمكننا منها الحكم تماماً عليه واستنباط الحقائق التي قد اختفت وراء هذه التعابير البراقة ، ومع ذلك .

تدل شواهد الأحوال على أنه على ما يظهر كان المؤسس لأسرته ، وأن الفضل يرجع للملك « سنوسرت الأول » في تنصيبه في هذا المنصب الخطير ، ولذلك لم نجده يحاول إخفاء ما حباه الملك به من فضل وإنعام . ومن ثم يجب علينا ألا نستخلص من نخامة مقابر أمراء هذا العصر أنهم كانوا على جانب عظيم من الأهمية بوصفهم حكاماً محليين مستقلين ، بل على العكس تدلنا على خضوعهم لحكم أسرة قوية السلطان ، وما كان يتبع ذلك من تقدم مادي .

وأهم ألقاب « سرنبوت » هي أنه كان كاهناً في معبد « ساتيس » في « الفنتين » كما كانت العادة أن يكون حاكم المقاطعة هو القيم على المعبد الرئيسي للمقاطعة ، ولا أدل على ذلك من منزلة « زفاى حعي » بـ « أسيوط^(١) » . هذا وقد أظهر الملك اهتماماً بمعبد « الفنتين » فقد ذكر على قطعة من الحجر محفوظة الآن بالمتحف المصري كيف أن الملك ذهب نحو الجنوب ليقدم لآلهة الجنوب مائدة قربان ، وكذلك في نقش آخر وجد في معبد « هليوبوليس » أنه قد ذكر إقامة معبد لحور صاحب « تاسى » وكذلك أقام معبداً لثالوث « الشلال » وهم « خنوم » و « ساتيس » و « عنقت^(٢) » . هذا وقد جاء ذكر هذا الملك على قاعدة تمثال عثر عليه في « الفنتين » محبوب « ساتيس » و « عنقت^(٣) » .

هذا ونجد أن الملك « سنوسرت » قد منح حاكم مقاطعة « الفنتين » هذا عطفه إذ يقول : « وعند ما ذهب جلالته ليضرب أهل « كوش » التعساء^(٤) أمر جلالته أن يرسل إلى قطعة لحم (من ثور) » . ومن هذا النقش نفهم أن الملك قد أسس لنفسه في « الفنتين » قاعدة لأعماله الحربية ، واهتم بأن تكون سفن التجارة في هذا

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٣٠

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢١٣

(٣) راجع A.S., VIII, p. 47

(٤) راجع Urk., VII, p. 5.B ومصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٥ ملحوظة (١) .

المكان الصعب منظمة وأن يكون حاكم المقاطعة المسيطر فيها خادماً أميناً لبيت الملك . ولا نزاع في أن هذا العمل كان على جانب من الأهمية في زمن كان العهد الذى قبله هو عهد إقطاع فلا بد أن يعزل فيه أمراء المقاطعات وأصحاب الكلمة العليا في البلاد وأن يحل غيرهم من المخلصين لبيت الملك من الموظفين .

الحملة الكبرى التى أرسلها « سنوسرت الأول » لفتح بلاد النوبة العليا :

وتعد الحملة التى قام بها « سنوسرت الأول » حتى « الشلال الثالث » من أهم الحملات التى قام بها ملوك الأسرة الثانية عشرة . ولانعلم على وجه التأكيد إذا كانت الحملة السالفة الذكر وهى التى كما قلنا ذهب فيها ليضرب أهل « كوش » التعساء هى نفس الحملة التى قام بها فى السنة الثامنة عشرة من حكمه أم غيرها . وكان غرضه من هذه الحملة اخضاع قبائل السودان وتثبيت حدود مصر الجنوبية إلى نقطة تبعد نحو ٢٥٠ كيلومتراً من جنوبى « وادى حلفا » التى تعتبر الآن الحد الشمالى لبلاد السودان وبذلك تصبح كل بلاد النوبة السفلى وشمال السودان خالية من كل اعتداء أو غزو من جهة السود . وهذه الحملة التى قامت فى السنة الثامنة عشرة من حكم هذا الفرعون كانت بقيادة قائد يدعى « متوحتب » الذى ترك لنا نقشاً فى معبد « بهين » بـ « وادى حلفا » مثل فى أعلاه « سنوسرت الأول » واقفاً أمام آله الحرب « متو » الذى يقول للملك : « أحضرت كل أعمالك التى فى النوبة تحت قدميك يا أيها الآله الطيب » . ويشاهد بعد ذلك الآله يقود للفرعون عشرة أسرى من النوبيين كل منهم يمثل قبيلة^(١) . ونفهم من مغزى ما بقى من نقوش هذا المتن أن المقصود من هذه الغزوة هو قهر بلاد النوبة العليا وإذلالها ، ويؤكد ذلك وجود هذه اللوحة فى « بهين » . وتدل نتائج أعمال الحفر فى هذه الجهة على أنه من المرجح جداً أن المصريين كانوا

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٣

قد أقاموا حصناً في هذه الجهة . ويدل على ذلك أيضاً وجود نقش لمشرف على جنود ومشرف على مجندين وقائد جيش من عهد « سنوسرت الأول » فنقرأ في سطوره الأخيرة الممزقة ذكر حصن ويحتمل كذلك الإشارة إلى حراسة حدود^(١)، وتدل نتائج الحفر في حصون بلاد النوبة الأخرى وبخاصة حصن « كوبان » على أن بلاد النوبة كانت فعلاً محتلة عسكرياً في عهد « سنوسرت الأول » وكان مسيطراً عليها بواسطة الحصون ، وإنه لمن المعقول التسليم بأن هذه الحصون قد تم بناؤها في زمن هذه الحملة التي قهر فيها أهل بلاد النوبة .

ومن المحتمل أنه قد أقيمت لوحة على مسافة عشرين كيلومتراً من الجنوب الغربي من « أسوان » عثر عليها في قلب الصحراء بأمر ملكي غير أنه لم ينقش على هذه اللوحة طغراء الملك وكل ما نقش عليها هو السنة الثامنة عشرة ورسم رجل مسلح بالقوس والنشاب يقود أمامه أسيراً^(٢) . وتدل شواهد الأحوال على أن المصريين قد استعملوا العسف في فتح بلاد النوبة السفلى كما حدث ذلك في عهد الدولة الحديثة فيما بعد ، فقد كان هم الفاتحين استغلال أهالي البلاد ولذلك نجد النوبي الذي كان مستعداً لأن يعمل للمصري قد أصبح يعامل معاملة العدو فيقول « سنوسرت الأول^(٣) » : « إن كل نوبي سيدفع الجزية بمثابة خادم ويعمل على حسب مشيئة هذا الآلهة تماماً ستبقى سلالة أبدية ، وبعبارة أخرى على كل نوبي أن يسير سيراً حسناً في تقديم محصولات له لمصر .

واللوحة التي جاء فيها هذا النص عثر عليها في « وادي الهودي » على مسافة ٢٨ كيلومتراً في الجنوب الشرقي من « أسوان » وعلى مسافة ٢٦ كيلومتراً شرقي وادي النيل على مقربة من « دبود » وهو خاص بجملة كان قد أرسلها الفرعون للحصول على حجر الأمتست^(٤) .

(١) راجع British Museum Hierog. Text, IV Pls, 2 and 3

(٢) راجع A.S., 38, Pl. LV, 3, p. 389

(٣) راجع A.S., 39, p. 187

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٤٩

وعثر كذلك على لوحتين أخريين بالقرب من السابقة لأفراد مؤرختين بالسنة التاسعة والعشرين من حكم « سنوسرت الأول » . والظاهر أنه قد أرسلت حملتان في نفس هذه الجهة كما يدل على ذلك نقشان عثر عليهما في « دبود » و « دهميت » مما يدل على أن هذه الطريق كانت هي المفضلة إلى الجهات التي يمكن استغلالها من هذا الجزء من بلاد النوبة . ويرجع نقش « دبود » إلى عهد الملك « امنمحات الثاني » والآخر أرخ بالسنة الحادية عشرة من عهد الملك « امنمحات الثالث^(١) » . ومما يؤسف له أن كلا النقشين وجد في حالة سيئة ، غير أنه كان في الامكان معرفة أنهما خاصان باستخراج الامتست . وقد ذكر على كل منهما اسم رجل يدعى « حنو » . وهذا الرجل بعينه قد ذكر على ضحور المحاجر الواقعة في الشمال الغربي من « توشكى » وكذلك يوجد فضلا عن ذلك نقش آخر مؤرخ بالسنة العشرين الشهر الثاني من فصل « أخت » من حكم الملك « سنوسرت الأول^(٢) » . وكذلك جاء اسم « سنوسرت الأول » على قطعة مثقال وزن عثر عليها في حصن « كوبان^(٣) » .

وأخيراً وجدت مائدة قربان باسم هذا الفرعون عثر عليها في بيت في جزيرة « أرقو » وهي الآن بمتحف بمديرية « مروى » ، ومن المحتمل أنه أتى بها من « كرمه » ولكن المرجح أنها من « جزيرة أرقو^(٤) » .

عهد « امنمحات الثاني » حين اشتراكه مع « سنوسرت الأول » ونجد في العهد الأخير من حكم « سنوسرت الأول » عند ما كان مشتركاً معه ابنه « امنمحات الثاني » في الحكم سلسلة نقوش على الصخور في بلاد النوبة السفلى .

(١) راجع Berlin No. 1203 ; L.D. II p. 123 b

(٢) راجع A.S. 33, p. 70 f.

(٣) راجع 1bid, p. 32

(٤) راجع Reisner, Kerma II, p. 545

فعلى الصخور التى فى الطريق من « أسوان » إلى « الفيلة » نقشان : واحد منها باسم شخص يدعى « متوحتب » بن « ردى سبك » مؤرخ بالسنة الحادية والأربعين^(١)، ويحتوى على صيغة قربان عادية. أما النقش الآخر فلشخص يدعى « انتف وهو مؤرخ بالسنة الثانية والثلاثين أو الثالثة والثلاثين^(٢) . هذا ويوجد فى « جناوى شما » (Gnawi Schema) التى تقع قبالة « خوردهميت » مجموعة من النقوش على الصخر نقشها موظفون مؤرخة بالسنة الثانية من عهد الملك « امنمحات الثانى » (السنة الخامسة والأربعين من حكم « سنوسرت الأول ») وقد جاء عليها اسم شخص معروف يدعى « أمينى » بن « بيبى » ونقش معه الدعاء : « له الحياة والصحة والعافية المرحوم » . وهذا الدعاء جاء على غرار ما كان يكتب لحكام المقاطعات والوزراء . ويظن الأستاذ « ريدر » أن هذا الرجل هو نفس « أمينى » الذى ذكرناه سابقاً فى نقوش « بنى حسن » وهو الذى مات فى السنة الثالثة والأربعين من حكم « سنوسرت الأول »^(٣) . ولكن الأثرى « سيف زودر برج » يشك فى توحيد الاسمين^(٤) .

وعلى مسافة أربعة كيلومترات جنوبى معبد « أمدا »^(٥) نجد مجموعة أخرى من النقوش مدونة على الصخر من عهد « سنوسرت الأول » كما نجد نقوشاً على الصخر مؤرخة بالسنة الخامسة من عهد « امنمحات الثانى » ومن عهد « سنوسرت الثالث » . و « أمينى » الذى ذكر فى هذه النقوش بوصفه يحمل لقب أعظم عشرة الوجه القبلى لا يمكن تحديد تاريخه . وعلى أية حال فإنه ليس « أمينى » الذى جاء ذكره فى مقابر « بنى حسن » بل يحتمل توحيد مع فرد يدعى « أمينى » جاء ذكره على لوحة محفوظة بالمتحف البريطانى مؤرخة بالسنة الثامنة من عهد « سنوسرت الثالث » . والأمر

(١) راجع L.R., I, p. 270

(٢) راجع De Morgan, Cat. Gen. I, 19, No. 94; L.D., II, 11 and C.

(٣) راجع Roeder, Debd bis Bab Kalabsha, p. 114 pl. 108 d.

(٤) راجع Save Soderbergh, Agypten und Nubien, p. 72, Not b.

(٥) راجع Weigall, Report, Pl. L III

الذى يلفت النظر في هذه النقوش أنها لا تدل على قيام حروب جديدة بين البلدين أو الشروع في حروب بعد السنة الثامنة عشرة من حكم « سنوسرت الأول » بل على العكس يظهر منها أنها تدل على وجود نشاط عظيم في الأراضي النوبية للحصول على المواد الغفل .

حملات « سنوسرت » للبحث عن الذهب ^(١) :

والواقع أن « أميني » قد ذكر لنا حملتين إلى بلاد النوبة كان الغرض منهما الحصول على الذهب . فقد قاد « أميني » حملة متأخرة إلى صحراء « ققط » (وكان قد مات في السنة الثالثة والأربعين من حكم « سنوسرت الأول ») ، وعلى ذلك لا ينبغي ألا تؤرخ هذه الحملة بالسنين الأخيرة من حكم « سنوسرت الأول » ، هذا إلى أن ولى العهد أى « أمنمحات الثانى » كان قد رافقه في هذه الحملة .

ووصف هذه الحملة مختصر وليس مؤرخاً . فاستمع لما جاء فيه : « لقد سرت نحو الجنوب لأحضر التبر لجلالة « سنوسرت الأول » العائش أبدياً . وقد سرت إلى الجنوب مع الأسراء وولى العهد بكر أولاد الملك المحبوب « أميني » له الحياة والعافية والصحة . وسرت إلى الجنوب مع جمع يبلغ أربعائة من خيرة رجال الجيش وعدنا إلى الوطن سالمين دون أن يفقد واحد منا وقد أحضرت الذهب الذى كلفت به وقد مدحت من أجل ذلك في بيت الملك وشكرنى ابن الملك » .

ويدل عدد الجنود الذين رافقوا « أميني » على أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى نشوب حرب بل كان مجرد البحث عن مناجم الذهب التى بدأت تظهر في بلاد النوبة . والظاهر أن وادى النيل النوبى في ذلك الوقت قد سادته السكينة بعد الحروب الأولى ، وأن المصريين قد أخذوا العدة لأنفسهم وأقاموا الحاميات في أنحاء

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٤ الخ .

طرقهم ، ومع ذلك فقد اتخذ فائدنا لنفسه الحيلة خوفاً من قطاع الطرق من البدو الذين كانوا يتجمعون في الصحراء .

أما الصلات مع بلاد النوبة العليا أو بلاد « كوش » فستحدث عنها فيما بعد ويكفى أن نشير هنا إلى أنه قد وجد في عهد « سنوسرت الأول » تمثال للحاكم « زفای حبی^(١) » وزوجته في بلدة « كرمه^(٢) » .

وقد بقيت العلاقات الودية بين مصر وبلاد النوبة سائدة ومستمرة في عهد كل من « امنمحات الثاني » وخلفه « سنوسرت الثاني » وذلك لأن الاحتلال المصري كان على ما يظهر ناجحاً ولذلك لم يكن هناك ما يدعو إلى إرسال حملات حربية إلى بلاد النوبة . ولدينا لوحة محفوظة بالمتحف البريطاني^(٣) لموظف يدعى « ساحتحور » مساعد مدير الخزانة وقد ذكر ضمن نقوشها أنه قام برحلة ممثلة للحملة « أميني » لاحتضار الذهب ، فاستمع لما يقول : « لقد زرت أرض المناجم « سيناء » وأنا شاب ، وأجبرت العظماء والأمراء على غسل الذهب وأحضرت الفيروز وج ووصلت إلى « تاسي » (النوبة) الخاصة بالنحسيو لأنني أتيت إليها عندما كانت مقهورة أمام خوف سيد الأرضين وسرت نحو « حا » واخترت جزيرتها (أو أرضها) وأحضرت محاصيلها (٩) وإني أقسم بسيدي — له الحياة والفلاح والصحة — أني أقول الصدق » .

وهذا المتن يؤكد لنا ما تحدث به « أميني » في نقشه ، ويضيف لنا تفاصيل أخرى عن استخراج الذهب ، كما ذكر لنا استخراج الفيروز من بلاد النوبة .

وتدل شواهد الأحوال على أنه في تلك الفترة قد تم نظام الحماية كما تم بناؤها فقد وجد نقش على صخرة في « أسوان » مؤرخ بالسنة الخامسة والثلاثين من عهد امنمحات

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٧

(٢) وهو المعروف باسم « حيزاي » أيضا .

راجع . Brit. Mus. Stela, No. 569; texts II, 19, 20 ; Br. A.R., I, § 602 ; A. Z., 12, III ff.

الثانى خاص بتفتيش على هذه الحصون حيث يقول : « لقد أتى ... » حنو «
ليقوم بتفتيش على حصون « واوات »^(١) .

وقد أرسل « امنمحات الثانى » بعوثاً إلى « وادى الهودى » وقد وصلت إلينا لوحة
من عهده غير مؤرخة أقامها رئيس البعثة المسمى « سنيبو » ويحمل لقب رئيس
الخزانة ونقش عليها ما يأتى : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نخع كاورع »
حاش أبد الأبدى محبوب « حنحور » سيدة الجمشت (حسمن) . قريب الملك الحقيقى
ومحبوبه وساكن قلبه رئيس الخزانة ، وهو الذى وضعته « سبك رع » ورب الاحترام
والذى استولى على قلب الملك باختراق الصحارى (فى البعثة) التى قام بها لسيده بنفوق
« سنيبو » رب الاحترام .

ولدينا لوحة أخرى من هذا المكان منحوتة من الصخر الرملى غير أن معظم
كلماتها قد محيت ويرجع عهدهما إلى السنة السادسة من الحكم الذى اشترك فيه هذا
الفرعون وابنه « سنوسرت الثانى »^(٢) .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن حصن « عنيبة » قد أصليح وزيد فيه فى عهد
« سنوسرت الثانى » وكذلك وجد اسمه مطبوعاً على لبنة فى حصن « الكبانية »^(٣) .

ووجد فى محاجر الصحراء الواقعة شمال غربى « توشكى » بعض نقوش من عهد
« سنوسرت الثانى » منها نقش مؤرخ بالسنة الثامنة (٩) من عهد هذا الملك يحدثنا
عن بعثة قام بها موظف كبير يدعى « أمينى » ويحمل لقب مدير هيئة الموظفين
ولقب كاهن (سم) وهو من أكبر ألقاب الكهنة وفيه صلاة للآلهة « حنحور »
سيدة « نخنت » ؛ ومن بين الأسماء التى ذكرت فى هذه اللوحة اسم موظف يدعى

(١) راجع L D., II, 123 e ; De Morgan, Cat. Gen. I, p. 25, No. 178

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٤٨

(٣) راجع Aniba, II, p. 11; Emery-Kirwan, p. 55

(٤) راجع A-S., 33 p. 71 f. ومصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٧٣

« حقا أب » بن « سنوسرت » ويحمل لقب المشرف على فرقة قطع الأحجار الأثرية ، وهذا اللقب نادر جداً في الآثار المصرية وكذلك صر على تمثال صغير منذور من الحجر الرملي نقش على صدره لقب « سنوسرت الثاني »^(١) .

وقد ظل السلام نجماً في عهد كل من الفرعوزين « امنمحات الثاني » و « سنوسرت الثاني » على بلاد النوبة ومصر وازدهرت التجارة فيه ازدهاراً عظيماً ، ولكن ما لبث هذا السلام أن أعقبه اضطرابات وهجمات على القوافل في السنة الثامنة من عهد « سنوسرت الثالث » لأنه في هذه السنة قام هذا الفرعون بحملة على بلاد النوبة كما سنرى بعد ، ومن المحتمل أن سبب قيام هذه الهجمات من جانب النوبيين يرجع إلى التحول العسكى الذى ساد البلاد فى عهد هذين الملكين السابقين وهو الذى شجع السكان فى السودان على القيام بالهجرة فى البلاد من الجزء الجنوبى من السودان مما أدى إلى طرد قبائل أخرى أمامها نحو الشمال .

(٢)
« سنوسرت الثالث » وعلاقاته ببلاد النوبة (١٨٨٧ — ١٨٤٩ ق م)

بعد « سنوسرت الثالث » عند المصريين من أكبر الغزاة الذين قاموا بحروب طاحنة دفاعاً عن حدود مصر من جهة الجنوب فى وجه السودانين ، ومن جهة الشمال فى وجه الآسيويين ؛ غير أن الحروب التى قام بها جنوباً كانت شغله الشاغل طوال مدة حياته ، من أجل ذلك عدده المصريون من أكبر غزاتهم حتى أنهم ألوهه وبقى اسمه تتناقله الأجيال ويذكرونه فى خرافاتهم باسم « سوزستريس » كما سنشير إلى ذلك فيما بعد .

وقد كان أول عمل قام به « سنوسرت الثالث » من الوجهة الحربية هو تأديب قبائل بلاد النوبة وهم الذين كانوا فى حالة اضطراب وقلق بعض الشئ فى عهد الفرعون السابق ، بل كانوا مصدر خوف فى داخل البلاد نفسها . ويقول « رينز » : « من الواضح

(١) راجع A.S., Vol. XXXII, p. 72

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٧٨ — ٢٨٩

تماماً أنه في الجزء الأول من عهد «سنوسرت الأول» كانت التجارة الجنوبية مهددة جداً من رجال القبائل في مواضع بالقرب من «سمنة» وبخاصة على الشاطئ الغربي . وكان ذلك هو السبب الرئيسي في تدخل «سنوسرت الثالث» لتحرير طريق التجارة الموصلة إلى «كرمه» . ويعضد الرأي القائل إن بدو الصحراء عند الشلال كانوا هم العدو الرئيسي لمصر ما أقيم هناك من حصون في هذا الإقليم وكذلك ما ذكر على لوحة النصر التي أقيمت في «سمنة» .

ولقد كان لزاماً على الفرعون للقيام بحملة على هؤلاء المغيرين أن يكون لديه أسطول عظيم لنقل الجنود ولإمدادهم بالغذاء والمهمات باستمرار . وقد كان العائق أمامه صخور الشلال التي تعوق مرور هذا الأسطول إلا في وقت الفيضان . ومنذ خمسمائة عام من هذا التاريخ تغلب فراعنة الأسرة السادسة على هذه العقبة بحفر سلسلة ترع حفرها القائد «وني» لعوامل تجارية^(١) ، ولكنها بعد هذا الزمن الطويل هدمت ولم تعد صالحة لما يتطلبه الموقف وقتها ، ولذلك رأى «سنوسرت الثالث» ضرورة حفر إقناة عند الشلال الأول ليعبر فيها إلى أعلى الشلال ، وقد لا يكون المقصود من ذلك حفر قناة بالمعنى الصحيح الذي نفهمه نحن الآن ، بل قد يكون القصد تعميق الممر الموجود الآن شرقي «جزيرة سهيل» ليساعد على جر السفن فيه بدون كبير عناء ، وذلك بدلاً من معارضة التيار القوي في الممر الغربي ، وعلى أية حال فإن هذه التربة قد تم تعميقها في بداية حكم هذا الفرعون كما تحدثنا بذلك نقوش «سهيل» . وفيها تشهد «سنوسرت» واقفاً أمام الآلهة «عنقت» إحدى إلهات «الشلال» وأسفل هذه الصورة نقراً : «لقد صنعها أثراً للآلهة «عنقت» ربة النوبة إذ شق لها ترعة تسمى «أجل طرق» «خع كاورع» «سنوسرت الثالث» الحى الخالد» . ولم نجد تاريخاً لهذا النقش ، ولكن لما كان من الضروري أن تظهر هذه التربة من الغرين في السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون ليسير منها بجملته رجحنا أنها كانت موجودة منذ بضع سنين

(١) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٨٣

قبل ذلك العهد ويمكننا أن نتصور بعد ذلك جيش الفرعون يمر في هذه التربة الجديدة في السنة الثامنة من حكمه لغزو بلاد النوبة .

والواقع أن « سنوسرت الثالث » قد فكر كما فكر من قبله جده « سنوسرت الأول » في أن يتخذ الحملاته الحربية التي أراد شنّها على بلاد النوبة مدينة « الفنتين » قاعدة لجيوشه ومؤنه وأن يعدّها لذلك ، ولأجل أن يصل إلى هذه القاعدة بسرعة بوساطة السفن أمر بحفر قناة في الشلال . وقد دؤن هذا العمل على صخور « سهيل » ، فنرى في لوحة هناك الفرعون واقفاً وعلى رأسه التاج المزدوج أمام الآلهة « ساتت » إلهة « الشلال » وتقدم له رمز الحياة وخلفه رئيس بيت المال ومدير الأشغال ثم يلي ذلك النقش الآتي : « السنة الثامنة من حكم جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري « خع كاورع » « سنوسرت الثالث » حاش مخلصاً . أمر جلالاته بعمل قناة جديدة اسمها « طروق » خع كاورع « جميلة » حاش أبدياً ، وذلك عندما سار بجيشه إلى أعلى النهر ليهزم الكوشيين الخامسين » ، وطول هذه القناة خمسون ذراعاً وعرضها عشرون ذراعاً وعمقها خمس عشرة ذراعاً أي أن هذا الممر كان كافياً لمرور أية سفينة لمثل هذه البعثة . وقد حفرت هذه القناة حفراً جيداً إذ بقيت مستعملة حوالي ثلاثمائة سنة أو أربعمائة سنة تقريباً بعد حفرها ، وقد ظهرت في عهد « تحتمس الأول » وكذلك في عهد « تحتمس الثالث » عندما قاما بالغزو في هذه الجهات ، وقد كان لزاماً على صيادي السمك تطهيرها سنوياً^(١) .

وعندما كان ماراً نحو الجنوب وجه الفرعون عنايته إلى حصن « الفنتين » كما ذكرنا من قبل فاصداً بذلك تحسين مدخله وقد ترك له أحد الموظفين المحليين نقشا يدل محتوياته على إتمام هذا العمل الذي انتهى في السنة التالية : « السنة التاسعة الشهر الثالث من حكم جلالة ملك الوجهين القبلي والبحري « خع كاورع » محبوب الإلهة « ساتت » سيدة

(١) راجع Sethe, *Lesestücke*, p. 85 ; De Morgan *Gat.*, I, 86, No. 20 and 86 ; *Rec. Trav.*, 13, p. 202 وكذلك راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٨٠ الخ .

«الفتين» عاش مخلدا . أمر ملكي موجه لعظيم العشرة للوجه القبلي المسمى «أميني» . .
 في حصن «الفتين» محجور (؟) لأجل حاكم الجنوب ليعمله . . . وأفاس على شاطئ
 «الفتين» عندما كان جلالت له الحياة والفلاح والصحة ذاهبا لقهر «كوش»^(١) الخاسئة .
 ومما تبقى من هذا المتن نرى أن الجملة الهامة الخاصة بحصن «الفتين» قد هُشمت ،
 ولذلك أصبح الحكم في هذا الموضوع غير ممكن على الوجه الأكمل . وإذا كان هذا
 الأمر له علاقة بإعداد الحملة وأن أهل «الفتين» الذين ذكروا في هذا المتن قد جندوا لها
 فإن ذلك لا يمكن استنباطه من هذا النقش المهشم .

وقد كان من نتائج هذه الحملة أن تقدم المصريون في زحفهم نحو سبعة وثلاثين ميلا
 جنوبي «وادي حلفا» ولكنهم كانوا لا يزالون بعيدين عن «كرمه» التي اتخذها
 «زفای حبي» مقراً لحكم هذه الجهات في عهد «سنوسرت الأول» بنحو مائتي ميل
 كما يظن بعض المؤرخين ، وكان الفرعون «سنوسرت الثالث» مصمما على أن يحافظ
 على ما فتحه فأقام نصبا في «سمنة» . وهذا الأثر معروف بلوحة الحدود . وقد نقش
 عليها المتن التالي : «الحدود الجنوبية التي عملت في السنة الثامنة من عهد جلالة ملك
 الوجه القبلي والوجه البحري «خع كاروع» معطى الحياة أبديا لمنع أي نوبي (نحسي)
 أن يتعداها في ذهابه نحو الشمال سواء أكان ذلك على البر أم بسفينة أم بحيوانات
 من أي نوع من النوبة إلا إذا أتى إلى «أقن» بقصد التجارة أو معه رسالة ما ،
 فإنه يعامل حيثئذ معاملة حسنة (أي تعطى له كل التسهيلات) على شرط ألا يسمح
 لسفينة فيها سود أن تتخطى «حح» (سمنة) ذاهبة نحو الشمال قط^(٢) . ومن ثم أقام
 «سنوسرت الثالث» حاجزا لمنع هجرة أهل السودان إلى مصر .

الحملة الثانية : غير أن هذه الحملة الأولى لم يكن لها أثر فعال ومن المحتمل

(١) راجع Br., 169 [852]; Hierog. Texts Vol. IV, 10 and Br. A. R., I, § 550

(٢) راجع Berlin, No. 14753, Agyp. Inschrif. Konig. Mus. Berlin I, 255 f; L.D. II, 163,

أنه قد قامت حملة ثانية في السنة العاشرة من حكمه . والمصدر الوحيد الذي لدينا عنها هو نقش على الصخور الواقعة على الطريق بين « أسوان » و « الفنتين » وهو السنة العاشرة (٩) الشهر الثاني من فصل الزرع في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري « خع كاورع » معطى الحياة المحبوب من « خنوم » رب « الشلال » : « لقد سار جلالاته لهزم الكوشيين » . وبقية هذا النقش مهشم وغير مفهوم ، هذا إلى أن التاريخ الذي في أوله غير مؤكد . ويظن « ريزنر » أن هذا النقش مرتبط بنقش الحملة الأولى التي قام بها في السنة الثامنة . غير أنه ليس لدينا ما يمنع قيام حملة في السنة العاشرة على الرغم من أنه لا يمكننا أن نجزم بذلك بسبب تهشيم المتن .

الحملة الثالثة : والواقع أن بلاد « كوش » هذه قد تطلبت من الفرعون غزوات عدة على ما يظهر قبل أن تخضع وتذعن تماماً للحكم المصري ، إذ أنه بعد انقضاء ستة أعوام على الحملة الأخيرة كان « سنوسرت » يزحف بجيشه كره أخرى ، ولدينا عن هذه الحملة لوحتان عند الحدود واحدة منهما نصبها في « سمنة » والثانية وجدت في « ورنرتي » وتقع تحت بلدة « سمنة » مباشرة وتمتاز لوحة « ورنرتي » بأنها ، تعطينا بعض معلومات لم تدون على لوحة « سمنة » . فقد جاء فيها أن حصن « ورنرتي » قد بنى في هذه السنة أيضاً ، إذ بعد ذكر الملك نقراً : « لوحة أقيمت في السنة السادسة عشرة الشهر الثالث من الفصل الثاني عندما بنى الحصن المسمى « طرد النوبيين » . ومن المحتمل أن الحصون الأخرى التي أقيمت في هذه الجهة قد بنيت في نفس هذا الوقت وأهمها هو حصن « سمنة » كما كان يسميها المصريون (« سمنة » التابعة للملك « خع كاورع ») ، وقد كانت قلعة عظيمة بنيت باللبن في موقع حصين وقد زيد في حصانها الطبيعية بالتحصين الصناعي ، وكانت تشرف على النهر الذي لا يزيد عرضه في هذه الجهة عن أربعمائة متر . وفي الجهة الشرقية من النهر قبالة

(١) راجع Petrie, Season Pl. XIII, No. 340

(٢) راجع Br., A R. Vol. I, § 65 ; Reisner, Kerma, II, p. 547

(٣) راجع L.D., II, p. 136, Sethe, Lesestucke, p. 83

« سمينة » أقيمت قلعة أخرى صغيرة تعرف باسم « قمة »^(١) بنيت على قلعة طبيعية فكان من الصعب مرور أى جيش فى النهر من هذه الجهة . وخرائب هاتين القلعتين لا تزال باقية للآن .

آلهة بلاد النوبة العليا وتآليه « سنوسرت الثالث » : وكان فى كل من الحصنين معبد . وفى « سمينة » كان معبد الإله « ددون » وهو الإله المحلى لهذه الجهة وفى « قمة » معبد للإله « خنوم » معبود شلال « أسوان » و « الفنتين » ، وفى هذين المعبدين احتفل بعيد عظيم ابتهاجا بالانتصار على السود وكان يسمى « طرد السود » ، وكان يحتفل بعده بعيد آخر يسمى « شد وثاق المتوحشين » ، وفى خلاله كانت تقدم القرابين للملكة « مر سجر » العظيمة زوجة الفرعون « سنوسرت الثالث » ، وهذه الأعياد قد بقيت ذكراها إلى أزمان بعيدة حتى أن « تحتمس الثالث » عندما أعاد بناء معبد سلفه بعد مضى ثلثمائة وسبعين سنة تقريبا ، أحيا الاحتفال بها مع أعياد أخرى ، يضاف إلى ذلك أنه آله الملك « سنوسرت » وجعله ثالث آلهة الحدود التى أسسها ، ولا نستغرب أن يصدر هذا العمل الصالح من رجل عظيم مثل « تحتمس الثالث » الذى لم يحمل حقداً لأحد بخلاف « رع مسيس الثانى » الذى كان يغتصب كل شرف ليس له فيه أدنى نصيب ، ونجد فى معبد « إمداد » ببلاد النوبة أن الفرعون « تحتمس الثالث » كان يتعبد للإله « سنوسرت الثالث »^(٢) . وفى معبد « اللىسية » نراه كذلك يعبد ، ونرى « تحتمس الثالث » يتعبد إليه كذلك فى « بهين » (وادى حلفاً)^(٣) . ولم تكن عبادة « سنوسرت الثالث » قاصرة على الملوك بل تعدتهم إلى عامة الشعب ، إذ عثر على نقش جهة « توشكى » شمالي « أبوسمبل » على إحدى الصخور المطلة على النهر وهذا النقش يمثل منظر أسرة تتألف من رجل يدعى « سنبى »

(١) راجع L. D., I, 111—112; Maspero, *L'archéologie Egyptienne*, p. 9, 29. 30

(٢) راجع Weigall, *Lower Nubia*, p. 104

(٣) راجع MacIver and Woolley, "Buhen" p. 41, 42

وزوجه وأولادهما وقد أحضروا قرباناً لصورة « حورمعام » الذى مثل جالساً ثم « سنومرت الثالث » والإله « رشب »^(١).

وتعد نقوش لوحة « سمنة » الثانية التى سجلت لنا حملة السنة السادسة عشرة من أهم النقوش التى وصلت إلينا من هذا العصر^(٢) ، ولا تنحصر أهميتها فى أنها حددت لنا الترخوم المصرية فى هذا العهد فى بلاد النوبة ، بل لأن جملها المنمقة تذكرنا بالخطب التى ذكرها « ديدور » والذى يقول عنها إنها كتبت على لوحة نقشها « سوزستريس » الخرافى تذكرنا لفتوحه ، وتعد هذه النقوش بحق من أهم ما تركه لنا قدماء المصريين فى كل عصورهم ، إذ يمثل لنا فيها قوة إرادة هذا الفرعون وشدة حرصه على مجد بلاده ، وإذ كآؤه نار الغيرة فى نفوس أخلافه للحفاظ على فتوحاته ، والدفاع عن حدودها بالنفس والنفيس ، وهالك ترجمتها حرفياً لتكون مثلاً حياً لأبناء هذا الجيل من المصريين فى وقت أحوج ما تكون فيه البلاد لمثل هذه المعظيات الخالدة :

نص لوحة الحدود الخالدة : فى « السنة السادسة عشرة فى الشهر الثالث من الفصل الثانى عندما مَدَّ جلالته الحدود لغاية « حح » (سمنة) » . لقد جعلت تخوم بلادى أبعد مما وصل إليه أجدادى ، ولقد زدت فى مساحة بلادى على ما ورثته ، وإنى ملك يقول وينفذ ، وما يخلج فى صدرى تفعله يدي ، وإنى طموح إلى السيطرة ، وقوى لأحرز الفوز ، ولست بالرجل الذى يرضى ليه بالتقاعس عندما يعتدى عليه ، أهاجم من يهاجمنى حسب ما تقتضيه الأحوال ، وإن الرجل الذى يركن إلى الدعة بعد الهجوم عليه يقوى قلب العدو . والشجاعة هى مضاء العزيمة ، والجن هو التخاذل ، وإن من يرتد وهو على الحدود جبان حقاً ، ولما كان الأسود يحكم بكلمة تخرج من الفم ، فإن الجواب الحاسم يردعه ، وعندما يكون الإنسان ماضى العزيمة فى وجهه (الأسود) فإنه يولى مدبراً ، أما إذا تخاذل أمامه فإنه يأخذ فى مهاجمته ، على أن السود ليسوا

(١) راجع Dunbar, The Rock pictures of Lower Nubia, p. 15, 16

(٢) راجع L. D., II, 136

يقوم أشداء ولكنهم فقراء كسيرو القلوب ، ولقد رآهم جلالتي ، وإنى لست بخاطىء
 فى تقديرى ، ولقد أسرت نساءهم ، وسقت رعاياهم . واقتحمت آبارهم ، وذبحت
 ثيرانهم ، وحصدت زرعهم ، وأشعلت النار فيما بقى منها ، وبحياتى وحياة والدى لم أنطق
 إلا صدقا ، دون أن تخرج من فى فريفة ، وكل ولد أنجبته ويحافظ على هذه الحدود
 التى وصل إليها جلالتي يكون ابنى ، وولد جلالتي ، وألحقه بنسبى ، وإن من يحافظ
 على تخوم الذى أنجبته ، يكون متقما لأبيه حقاً ، أما من يتخلى عنها ، ولا يحارب دفاعاً
 عن سلامتها فليس ابنى ولم يولد من ظهري ، والآن تأمل فإن جلالتي قد أمر بإقامة
 تمثال عند هذه الحدود التى وصل إليها جلالتي حتى تنبعث فيكم الشجاعة من أجلها ،
 فتحاربوا للمحافظة عليها .

وهذا الروح الحربى نشاهده فى الصور التى تنطق بها التماثيل الكثيرة التى تركها
 لنا هذا البطل العظيم ، وبخاصة تلك التماثيل التى كشف عنها فى ساحة معبد الملك
 « نب حبت رع » بجوار « الدير البحرى » حيث أقامها لتكون تذكاراً لسلفه العظيم
 وهذه التماثيل تصور لنا « سنوسرت الثالث » فى أطوار حياته الثلاثة المختلفة « الشباب —
 الكهولة — الشيخوخة » ، وكلها موجودة بالمتحف البريطانى وتلمح فى تمثال شيخوخته
 وجهها يلمع عن القوة الساحقة والعظمة والكبرياء التى يمتاز بها عظماء الفاتحين .

وقد كان لانتصارات « سنوسرت الثالث » هذه فى بلاد النوبة أثر عظيم
 فى تاريخها وعاش اسم « سنوسرت » محرفاً باسم « سوزستريس » ومن ذلك نشأت
 خرافة « هردوت » عن « سوزستريس » إذ يقول لنا فيها « هذا الملك كان حينئذ
 هو الفرعون الوحيد الذى حكم « أثيوبيا » (بلاد النوبة) . وذلك طبعاً لا ينطبق على
 الواقع . ولكن من جهة أخرى يظهر لنا مقدار تأثير انتصارات « سنوسرت » فى هذه
 البلاد ، ولا نعلم إذا كان هذا الفرعون قد حرم عبادة تمثاله الذى أقامه عند الحدود
 أم لا ، ولكننا نعرف أن هذا التحريم — إذا كان قد حدث — نسخ بعد مدة قصيرة ،

(١) راجع Naville, 11th Dyn. Temple, Vol. I, Pl. XIX; Vol. II, Pl. II

وأصبح « سنوسرت » من بين الآلهة الذين يعدون أرباباً لبلاد النوبة ، وقد رأينا فيما سبق أن عبادته أصبحت على قدم المساواة مع عبادة الإله « ددون » والإله « خنوم » في قلعة « سمنة » في عهد « تحتمس الثالث » ، ولما تولى « تهرقا » الفرعون النوبي حكم البلاد بعد انقضاء ألف ومائتي سنة من حكم « سنوسرت » أعاد معبد « سمنة » وعبادة فاتح النوبة العظيم « سنوسرت الثالث » . كما سنرى ذلك بعد .

آخر حملاته إلى السودان : وعلى الرغم من هزائم « سنوسرت » المتتالية للسود فلنهم قاموا في وجهه كرة أخرى ، ويظهر أنها كانت الأخيرة وكان قد مضى على إخضاعهم وكسر شوكتهم ثلاث سنوات ، ولم تصلنا عن حملته الأخيرة معلومات شافية سوى نقش لرئيس إدارة موظفيه الذي يدعى « ساست » وهي لوحة عثر عليها في « العرابة المدفونة » وهي الآن بمتحف « جنيف » فيقول فيها : « حضرت إلى « العرابة » وبصحبتي كبير بيت المال « أحرقت » لينحت تمثالا للإله « أوزير » « رب العرابة » عندما كان ملك القطرين « خع كلورع » الحى المخلد سائراً ليهزم الكوش الحاسئين في السنة التاسعة عشرة » .

ولم تحدثنا الوثائق عن الحد الذي وصل إليه « سنوسرت الثالث » في داخل بلاد النوبة ولكنه ثبت الحدود في « سمنة » تماماً ومن ثم أصبح في مقدوره أن يتتبع القبائل المغيرة في عقردارها ومن هنا كان تأثير هذه الحملة عظيماً في إلقاء الرعب واللع في قلوب أهالي السودان .

وقد حدثنا الأستاذ « ريزنز » عن حملات « سنوسرت الثالث » من وجهة نظره فيقول ما مضمونه : ^(١) يظهر أولاً أن الحملة أو الحملات التي جاء ذكرها في النقوش التي تركها لنا « سنوسرت الثالث » لم تكن حملات حربية جديّة شنت لمقاومة كبيرة من قبل النوبيين بل كانت في الواقع حملات تأديبية من الصعب أن تجد من تؤدبه ، وذلك

أن القبائل المجرمة كانت تهرب على ما يظهر إلى الصحراء وكان المصريون يحطمون كل الممتلكات التي لم يكن في مقدور الهاربين حملها ويستولون على العبيد والنساء الذين تركوا خلف الفارين . وكان يتبع المجرمين إلى أماكن بعض الآبار في الصحراء ، وعند ما كان المصريون ينسحبون كان رجال القبائل يعودون إلى سلب محاط القوافل . وكانت مجموعة الحصون التي بنيت أو التي كانت موجودة بين « سمنة » و « خلفا » تظهر بوضوح الإقليم الذي كانت تقوم فيه الاضطرابات ، وقائمة الحصون (التي سنتحدث عنها فيما بعد) التي نشرها « جاردنر » تقدم لنا اثني عشر حصنا جنوبي « بيجه » ، ثمانية منها تقع في المسافة التي بين « بهين » و « سمنة » وكلها حدا واحدة على الشاطئ الغربي أو في جزر النهر . وحصون « سمنة » تحرس النهر من هجمات الجنوب وهي مع كل الحصون الأخرى يظهر أنها قد أقيمت للحماية من الهجمات الآتية من الغرب . ونعلم أنه كان على الأقل « سنوسرت الثالث » حصنان بالقرب من « سمنة » وواحد عند « مورجيس » وأن الباقي كان موجودا قبل عهده ومن الواضح أنه في الجزء الأول من عهد « سنوسرت الثالث » كانت التجارة قد شلت على يد رجال القبائل في نقاط بالقرب من « سمنة » وبخاصة على الشاطئ الأيمن .

والواقع أن الأعمال التي كانت تجرى عند « الفنتين » وأعلى بذلك القناة والمباني كانت تحسينات دائمة لطريق المواصلات مع الجنوب ، ولم تكن متصلة بأية حملة خاصة يقوم بها الملك ، فالذهب أو السام الذي ذكر في السنة التاسعة عشرة أن الملك أحضره من بلاد « كوش » يمكن أن يكون قد أحضر بطرق التنجيم العادية من المناجم أو بالسلب وفرض الغرامات على الأهليين . وهذا لم يكن يستلزم حروبا طاحنة .

والآن يتساءل المرء نتيجة لذلك عن عدد الحملات التي قام بها « سنوسرت الثالث » في بلاد « كوش » من هذا النوع . وإذا فهمنا النقوش حريا فوجدنا ثلاث حملات الأولى حدثت في السنة الثامنة والثانية في السنة السادسة عشرة والثالثة في السنة التاسعة عشرة .

وحملة السنة الثامنة تركز على نقش القناة الذى ذكر فيما سبق ولوحة المتحف البريطانى السابقة أيضا . ولوحة « سمنة » الأولى السالفة الذكر لا تحتاج إلى استنباط أن الملك كان فى بلاد « كوش » ولكن نفهم منها بطبيعة الحال وجوده هناك . والبيان الوحيد فيها بالنسبة لصفة هذه الحملة هو أن الملك صعد فى النيل ليهزم « كوش » الخاسئة ومن المحتمل كما سيظهر أن شعر لوحة « سمنة » الثانية وترجمة حياة « خوسبك » يشير كل منهما إلى هذه الحملة .

وحملة السنة السادسة عشرة تركز فقط على لوحة « سمنة » الثانية غير أن هذه اللوحة لا تذكر لنا بياناً محدداً عن هذه الحملة فتقول فقط : « عندما عمل جلالته حده الجنوبى عند « حح » (سمنة) » غير أنه ينبغى أن يلحظ أن الملك على حسب ما جاء فى لوحة « سمنة » الأولى كان قد عمل حده الجنوبى عند « حح » . فاللوحة المزدوجة التى عثر عليها فى « ورنرتى » تقول : « عندما أقيم الحصن المسمى « طود الأوتيو » والشعر الذى نقش على هاتين اللوحتين وهو الذى يصف لنا أخلاق العبيد ويدعى الانتصار عليهم يستند بطبيعة الحال على حقيقة تاريخية ، غير أن أساس الحقيقة قد يرجع إلى عدة سنين قبل السنة السادسة عشرة كالسنة الثامنة مثلاً . وإقامة الحصن على « ورنرتى » (جزيرة « ورو ») وكذلك إقامة الحدود بنصب حجر تذكارى جديد ليست إلا حقائق قد حددت السنة السادسة عشرة . ولا نزاع فى أن إقامة الحصن يدل بوضوح على أن شيئاً قد حدث بين السنة الثامنة والسنة السادسة عشرة يحتم ضرورة زيادة حصن جديد . ومن المحتمل أن سبب ذلك يرجع إلى أن القبائل الغربية قد عبروا النهر إلى الجزيرة وهاجموا القوافل الذاهبة إلى « كرمه » على الشاطئ الشرقى فى أسفل حصون « سمنة » وإذا كانت نقوش « خوسبك » وهى التى تذكر أن الملك ذهب جنوباً ليهزم قبائل « أوتيو » لها علاقة بإقامة هذا الحصن فإن الملك يكون قد أتى بنفسه وقوى الحاميات وأقام الحصن الجديد لمنع تكرار الغارات عند هذه النقطة .

ومن الجائز أن حصن « مرجيس » الذى يحتوى على معبد للملك « سنوسرت الثالث » كان قد أقيم فى نفس الوقت . وليس من المؤكد أن ترجمة حياة « خوسبك » تشير إلى السنة السادسة عشرة بقدر ما يمكن أن تدل على السنة الثامنة ، وهى التى قيل عنها فى نقش الفتين قد قامت فيها حملة لهزم الكوش توصف كذلك بأنها كانت حملة لهزم « أوتيو » أرض « ستي » (بلاد النوبة) . وعلى ذلك فلأنى أشعر ببعض الشك فى حضور الملك إلى بلاد « كوش » فى السنة السادسة عشرة .

وحملة السنة التاسعة عشرة تتركز على نقش لوحة « ساست » السالفة الذكر والحقائق الخاصة بهذه الحملة كما ذكرها « إخرنفت » و « ساست » فى لوحتهما هى كما يأتى : « أرسل « إخرنفت » بأمر الملك ليعمل فى « العرابة » مستعملا السام الذى أحضره الملك بنصر من بلاد « كوش » . وقد حضر معه « ساست » وكان ذلك فى السنة التاسعة عشرة عند ما ذهب « سنوسرت الثالث » لهزم « كوش » الخاصة . وما تجدر ملاحظته أننا لا نعرف شيئاً قط عن الوقت الذى أقيمت فيه هذه اللوحة ولا يمكن أن نكون متأكدين من أنها وثيقة معاصرة مثل لوحة القناة واللوحات الرسمية . ومن المحتمل أن هناك بعض خطأ ولذلك فإن لوحة « ساست » وحدها دون أن يعضدها برهان آخر لا يمكن أن تكون بذاتها برهاناً قاطعاً على قيام حملة فى السنة التاسعة عشرة من حكم « سنوسرت الثالث » .

وللأسباب السالفة نجد أن حملة السنة الثامنة هى التى ظهر قيامها بوضوح ، أما الاستنباطات الخاصة عن الحملة أو الحملات الأخرى ، وكذلك فيما يخص الأحوال السائدة فى « كوش » فإنها لم تتأثر كثيراً سواء أكان الملك قد قام برحلة أو اثنتين أو أكثر إلى بلاد « كوش » . ولكن تبقى هناك حقيقة وهى أنه لم يذهب إلى بلاد « كوش » ليفرض بطشه على القبائل ، أو أنه نهب قبائل الصحراء بدون جدوى ،

وأنه أقام على أقل تقدير ثلاثة حصون وأنه حافظ على استيراد المعادن الثمينة، ويحتمل كذلك محاصيل أخرى من بلاد « كوش » ولأنى لا أجد فى الوثائق أى أثر لثورة قام بها أهل « كوش » الساكنون على شاطئ النهر كما لا يوجد أثر يدل على فتح بلادهم ، بل نجد برهاناً واضحاً على أن « سنوسرت الثالث » قد مكن أعماله الخاصة بالحماية على طول الطريق وزاد فى المحاط الحربية ليجعل التجارة فى مأمن نسبياً .

هذا موجز ما ذكره « ريزنر » عن حروب « سنوسرت الثالث » وهو بذلك يريد أن يفرض علينا أنه لم يقم إلا بحملات قليلة لا تزيد عن حملتين وأنه لم يكن هناك فى عهده حروب بالمعنى الحقيقى ، هذا على الرغم من أن ملوك مصر العظام الذين قاموا بالفتوح العظيمة فى عهد « تحتمس الثالث » قد ألهوا « سنوسرت الثالث » وجعلوه من كبار الفاتحين ، بل كان يعد فى نظرهم أعظم ملك حربى ، كما يرى القارئ فيما ذكرناه من قبل فى هذا الصدد . وعلى أية حال فإن « سنوسرت الثالث » قد قام بحروب عظيمة فى السودان لما كان من أهلها من عبث بالأمن ومناهضة المصريين ، ولاتقل الحملات التى قام بها على حسب أحدث الكشف التى قامت فى الأزمان الأخيرة عن أربع حملات ونجد فى كلام « ريزنر » بعض التشكك فى عدد حملات « سنوسرت » هذا إلى أنه أهمل ذكر حملة^(١) .

المنحآت الثالث^(٢) :

ويلحظ أن الإشارة إلى بلاد « كوش » من الوجهة الحربية فى عهد من تبنى من ملوك الأسرة الثانية عشرة أى فى عهد كل من « المنحآت الثالث » و « المنحآت الرابع » . والملكة « سبك نفور رع » كانت قليلة جداً ، فنجد فى « أسوان » تسعة نقوش على الصخر مؤرخة بعهد الملك « المنحآت الثالث » . هذا وقد وصل إلينا عدد

(١) راجع Reisner, Kerma, II, p. 551

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٣٠٩ الخ .

عظيم من مقاييس ارتفاع النيل في عهد هذا الفرعون مدونة في « سمنة » و « قمه »^(١) .
وكذلك لدينا من عصره بعض إشارات من أشخاص عاشوا في عهده من بينهم شخص يدعى « سميتو » يقول في نقش له : « السنة السادسة من عهد الملك » « امنمحات الثالث » العائش أبدياً ، الثقة الحقيقي للملك والمحجوب منه والقاضى وفم « نحن » « سميتو » سيد الاحترام ليت كل من يمر بهذا النقش يقول إذا أراد أن يعود إلى بيته ويرى زوجه سعيدة وأقاربه خير فقراء : قربانا يقدمه الملك إلى القاضى وفم « نحن » « سميتو » ، والظاهر أن نفس هذا الرجل قد جاء ذكره على لوحة بالمتحف البريطاني من « سمنة »^(٢) .

وكذلك لدينا بعض النقوش من عهد هذا الفرعون وجدت في المحاجر الواقعة في الشمال الغربى من « توشكى »^(٣) وكذلك وجد له لوحة في « كوبان »^(٤) .

ومن جهة أخرى وجدت أشياء في مقابر النوبة السفلى في حصن « ورنقى » نقش عليها اسم الفرعون « امنمحات الثالث »^(٥) ، ولدينا بعض رسائل ترجع إلى عهد هذا الفرعون^(٦) . ولم نثر على نقوش من عهد هذا الفرعون خاصة بحروب قام بها . والواقع أن البلاد في عصره وعصر خليفته « امنمحات الرابع » والملكة « سبك نفورع » وكذلك العصر الذى تلاهم أى في عهد الأسرة الثالثة عشرة كانت في سلام وكانت بلاد النوبة مرتبطة بمصر ارتباطاً وثيقاً من حيث العمل وتبادل التجارة . وقد عثر على بعض مقابر مصرية في بلدة « بهين » وفي بلدة « عنييه » تبرهن على وجود مستعمرين مصريين فيها .

(١) راجع L.D., II, p. 139

(٢) راجع B.M. Hierog. Texts, IV, Pl. 16

(٣) راجع A.S., 33, p. 72

(٤) راجع L.D., II, 138 g ; L.D., Texts., V, p. 60

(٥) راجع Junker, Kubanieh Sud., p. 159

(٦) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٤١٥ و ٤١٩

وتدل أعمال الحفر على أنه في عهد « امنمحات الثالث » حدث في « كرمه »
إصلاح في سور « أنبو امنمحات » على يد موظف مصري^(١) ، مما يدل على أنه في هذا
العهد كانت وكالات التجارة التابعة للحكومة محمية وأن التجارة كانت مزدهرة
بين السودان ومصر .

(١) راجع L.D. II, p. 114 f.

الحاميات المصرية

في بلاد السودان للحفاظة على طرق التجارة

تحدثنا في الفصل السابق عن الحملات التي قام بها ملوك الدولة الوسطى حتى نهاية الأسرة الثانية عشرة وما قاموا به من مجهودات جبارة في العمل على استتباب النظام والسلام بين البلدين مما أدى في نهاية الأمر إلى إقامة الحصون والمعازل في جهات عدة لتأمين مراكزهم التجارية في هذا الإقليم المترامي الأطراف من الشلال الأول حتى الشلال الرابع تقريبا .

ولدينا قائمة بالحصون التي أقيمت في هذه الجهات يرجع تاريخ إقامتها إلى حوالي مائة عام قبل بداية الأسرة الثامنة عشرة عشر عليها في « طيبة »^(١) . ومواقع هذه الحاميات التي جاءت في هذه القائمة تنقسم قسمين : قسم يمكن تحقيق موقعه ، وهو الجزء الأكبر ، وقسم مواقع غير مؤكدة وقد تكشف عنه الحفائر المقبلة في تلك الجهات . وقبل أن نتحدث عن هذه الحصون المختلفة ووظيفتها وطراز بنائها ينبغي أن نسرد أسماءها وهي :^(٢)

(١) حصن « دايرخاست » (٩) « كيد نكالو » (بورخادرت) Kidinkalo

(٢) حصن « سخم خع كاورع — مع خرو » = « سمنة » .

(٣) حصن « اتنو — بزوت » = « قمة » .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٤١٦ — ٤١٨

(٢) راجع J.E.A., 3, p. 155 ff.; and Save, Agypten, und Nubien p. 21

(٣) المصادر التي يمكن الرجوع إليها في تحقيق أسماء هذه الحصون خلافا لما ذكرنا هي :

Borchardt, Altägypt., Festungen ; Reisner, Kerma. II, p. 549 ; p. 25, Anm. 4.

وقد نتحدث عن هذه المعازل وأرود أسماءها الأثرى سيف زودر برج (راجع Save, Agypten und

Nubien, p. 81 ff.).

- (٤) حصن « خسف اوتيو » = « ورنرتى » .
- (٥) حصن « وعف — خسوت » = « شلفك » (مرشد) .
- (٦) حصن « در — وتيو » (؟) أو « درمتيو » (؟) = مرجيس .
- (٧) حصن « اقن » = « دابنارتى » = « دابى » (ويشك سمزرد فى توحيد هذه البلدة بجزيرة دابنارتى الواقعة عند فم وادى « متوكه »^(١)) .
- (٨) حصن « بهين » = « وادى حلفا » .
- (٩) حصن « سرة الغرب » (؟) « وادى حلفا » شرق (؟) .
- (١٠) حصن « خسف مزاي » ، « سرة الغرب » (؟) « فوص »^(٢) .
- (١١) حصن « معام » = « عنيبة » .
- (١٢) حصن « باكى » = « كوبان » .
- (١٣) حصن « سمنت » = « بيجه » .
- (١٤) حصن « آبو » = « الفتين » .
- (١٥) حصن « ... زد » ... « كوبانية » (؟) .
- (١٦) حصن (اسم مفقود) .
- (١٧) حصن « خنى » = « جبل السلسلة »^(٣) .

هذه هى أسماء القلاع كما وجدت على البردية وإذا ألقينا نظرة عامة على هذه القائمة وجدنا أن ثمانية من هذه الحصون السبعة عشر قد أقيمت فى إقليم الشلال الثانى

(١) راجع 4 Note 10, Onomastica, 1,

(٢) راجع 1 Note 11, Ibid, 1,

(٣) وتوجد بعض الاختلافات فى هذه الأسماء والأسماء التى أوردها سيف فودربرج (راجع

Save, p. 81 f.).

أى من « سمينة » إلى « وادى حلفا » ، وكذلك نلاحظ أن ثلاثة منها على أقل تقدير كان لها علاقة بالفرعون « سنوسرت الثالث » ، ومن المحتمل أن سبعة الحصون التى فى جنوب « وادى حلفا » تنسب إلى هذا الفاتح العظيم أيضا . وإذا كان هذا الفرض صحيحا فإنه يفسر لنا سبب عبادة هذا الفرعون فى كلى أنحاء بلاد النوبة السفلى . على أننا من جهة أخرى نعلم أن هناك قلاعا ضخمة كانت قد أقيمت فى جنوب هذه القلاع فى تاريخ مبكر عن الذى نحن بصددده ، وقد أماط لنا اللثام عن هذه الحقيقة الدكتور « ريزنر » بالحفائر التى قام بها فى بلدة « كرمه » . غير أن ذلك لا يقلل من أهمية الخطوة التى خطاها « سنوسرت الثالث » والتى كان غرضه المعلن منها أن يضم مصر وبلاد النوبة السفلى تحت لواء واحد ، وذلك بإقامة حاجز منيع عند « بطن الحجر » (الشلال الأول) . وهذه الوثائق المدهشة توضح لنا أن بعض القلاع النوبية كان لها وظيفتان أنها كانت بمثابة سد منيع أمام أى اعتداء حربي متظر ، وكذلك كانت حاجزا ضد الضغط المستمر الذى كان يهتد مصر وأملاكها من جهة الشمال ، وهو ما كان يقوم به أهل السودان من الغارات ، ومن جهة أخرى كانت تستعمل بمثابة محاط تجارية . وقد كانت « سمينة » فى عهد الدولة الوسطى آخر الحدود كما نعلم ذلك من لوحى بطل مصر « سنوسرت الثالث » كما سلف ذكره .

وتحدثنا الرسائل عن أهل الجنوب الذين نزحوا إلى الحدود المصرية لبيعوا سلعهم ، أنهم كانوا يصرفون متاجرهم ثم ينفلون راجعين إلى أوطانهم ، وكذلك نجد أن بعض أهل « المزوى » (وهم الذين كانوا يعلنون أنهم أتوا لخدمة الحكومة المصرية) قد سرحوا إلى الصحراء ، ومن ثم يظهر أنه لم يكن مصر حيا هؤلاء القوم أن يتخطوا الحدود وهذا يتفق مع الأمر الملكى الذى نقش على لوحة « سمينة » الصغرى ، حيث يذكر فيها أن النوبى الذى أتى ليتجر مع « إاقن » الواقعة شمال الحدود ، أو الذى جاء لأمر رسمى يمكنه أن يمر شمالى « حح » وهى التى تعرف الآن عادة بأنها واقعة فى إقليم

« سمنة » ، وكذلك لا يسمح لقوارب النوبيين أو قطعانهم بأية حالة من الأحوال أن تتخطى الحدود . فالنوبيون الذين سمح بمرور بضائعهم كانوا تجاراً قاصدين « إاقن » لتصرف بعض أنواع من منتجات بلادهم ، وكانوا يقطعون باقي رحلتهم بالقوارب فقط ، وكانت هذه القوارب دائماً مصرية .

ومما يلفت النظر كذلك في هذه الرسائل ، فضلاً عن الصيغة العادية التي نجدها في أسلوب كثير منها في عهد الدولة الوسطى ، أنها كانت تحتوى على شئ جديد ، وهو التأكيد غير العادى بسلامة الضياع الملكية ، والظاهر أن أملاك الفرعون هنا كانت تحتوى على أراضى التاج ، ثم تشمل دخل التاج الذى كان يجي من الضرائب ، ومن مصادر أخرى ، كالاحتكار وغير ذلك ، ومن هذا يتضح أن التجارة على حسب ما جاء في هذه الرسائل كانت عند الحدود يقوم بها موظفون حكوميون لحساب الضياع الملكية (برنسو) وكذلك كان هؤلاء الموظفون هم المسئولون عن البضائع التي كانت ترسل من مصر للبادلة ، وكذلك كان موكولا إليهم أمر إرسال البضائع التي حصلوا عليها من النوبيين بوصفها ملكاً للتاج .

وقد ذكرنا من قبل أن مصر في عهد الدولة القديمة حتى أوائل الدولة الوسطى لم يكن لها حصون في بلاد النوبة بالمعنى الحقيقي ، ولكن عندما أخذ المصريون في استغلال بلاد النوبة وبخاصة فيما بعد الشلال الأول والثاني وإقامة مركز تجارى لهم في « كرمه » في عهد « سنوسرت الأول » أخذوا يقيمون الحصون على طول ساحل النهر لتأمين طرق تجارتهم وللسيطرة على الأماكن الكثيفة السكان وبخاصة في إقليم « دنقلة » وبإقامة هذه الحصون أصبح في مقدورها حراسة السكان الوطنيين الذين كانوا يستخدمونهم في مآربهم التجارية ، وذلك بالقوة والنظام معاً .

وهذه الحصون كانت تقام في وسط الوديان بالقرب من النهر كما ذكرنا من قبل

وبذلك تكون الرابطة مع الحصون الأخرى النوبية التي تؤدي إلى الاتصال مع البلاد المصرية نفسها .

وقد كان لازماً على المصري لأجل السيطرة على نهر النيل نفسه بما لديه من مهارة في فن صنع السفن وبما كان له من طول خبرة بالنسبة لأهل بلاد النوبة السذج أن ينظر إلى هذا الموضوع نظرة الوجل الحذر لما كان يكتنفه من أخطار . وقد كشفت لنا البحوث الأثرية الحديثة عن طراز حصن من الحصون التي كانت شائعة في هذا العهد وهو يقع في بلدة « عنيبة » الحالية يرجع تاريخه على ما يظهر إلى عهد الهكسوس وذلك في القائمة التي نشرها الأستاذ جاردنر عن حصون بلاد النوبة^(١) واسم البلد القديم هو « معام » وقد اختلف المؤرخون في موقع « معام » هذه ، ولكن المؤكد أن موقعها هو بلدة « عنيبة » الحالية . وإقليم « معام » يشمل المواقع القديمة التي كانت على الشاطئين الشرقي والغربي ، هذا بالإضافة إلى الجزيرة الواقعة في النيل التي تسمى جزيرة « أبريم » وجزيرة « الرأس » . وقد وجد نقش ذكر عليه اسم الجزيرة : جزيرة « معام » . ومعبد هذه البلدة قد تهدم تماماً ولم يبق له أثر ، وكان الإله « حور » سيد « معام » الذي مثل بصورة صقر يحمل على رأسه قرص الشمس ، أو بإنسان له رأس صقر ، ويلبس التاج المزدوج هو نفس الإله « حور » الذي كان يعبد في « بهين » (وادي حلفا) باسم سيد « بهين » وفي « الدكة » و « كوبان » باسم سيد « باكي » . والظاهر أن عبادة « حور » في المدن الثلاث الرئيسية لبلاد النوبة السفلى الجنوبية قد أدخلت في نهاية الدولة القديمة ، ويحتمل أن ذلك كان في نفس الوقت الذي كانت تقدر فيه بلدة « أبشك » القريبة من « أبو سمبل »^(٢) الإلهة « حتحور » التي كانت تنعت بسيدة « أبشك » وكانت « حتحور » تمثل هناك في صورة بقرة .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٤١٧ الخ .

(٢) راجع Gauthier, Dic. Geog. I, p. 65

وترجع مكانتها الممتازة من الناحية السياسية والثقافية في بلاد النوبة السفلى إلى خصب تربتها ، وكثرة خيراتها ، ولذلك كانت تعد محطة عظيمة لطرق التجارة الآتية من « واحة دنقل » الواقعة في الصحراء الغربية . ولا نعلم إذا كانت هناك طريق للتجارة على الشاطئ الشرقى عند « أبريم » مخترقاً الوديان حتى البحر الأحمر أم لا . ويقول « ويجول » : إن « عنيبة » تحتل مكانة استراتيجية عظيمة الأهمية ، ومن المحتمل أنه كانت توجد في قديم الزمان شلالات عند قصر « أبريم » ، وعلى ذلك كان لابد من إقامة حصن هناك لحماية السفن الذاهبة جنوباً ، وللمهاجمة العدو المنقض من جهة الشمال ، غير أننا لا نعرف شيئاً عن هذا الشلال ، ومن الجائز أن تحصين « معام » كان يستعمل لملاحظة التجارة على النيل ، كما كان يعد مركزاً لجمع الضرائب على السفن التي تمر من هناك . ويمكن أن نلخص تاريخ « معام » (عنيبة) مما لدينا من الوثائق التاريخية ، ومن نتائج أعمال الحفر التي قامت في هذه الجهة في النقاط الآتية :

- (أ) تدل أقدم الآثار التي عثر عليها في هذه الجهة على وجود مستعمرة يرجع عهدها إلى العصر الثانى القديم من تاريخ بلاد النوبة (أى عصر الأسرات المصرى المبكر) .
- (ب) أما في العصر النوبى الثالث وهو ما يقابل عهد الدولة القديمة المصرية فلم نجد له أثراً يذكر في « عنيبة » كما كانت الحال في الجهات الأخرى لبلاد النوبة ، ومن الجائز أن « عنيبة » وكذلك كل بلاد النوبة السفلى قد حاقت بها خسائر على يد أحد فراعنة هذا العهد الذين قاموا بغزوات في هذه الجهات كما جاء على حجر « بلرم » ، ومنها حملة في عهد الملك « سنفرو » (الأسرة الرابعة) وقد غنم فيها سبعة آلاف أسير وعشرين ألف رأس من الماشية .

ولا نعلم إلى أى حد في عهد الأسرة السادسة قد امتدت مشروعات القوافل التي كان يرسلها أمراء مقاطعة « أسوان » وعظماء تجارها من « الفنتين » إلى بلاد النوبة والسودان ، وذلك لأن أسماء الأماكن النوبية التي جاءت في المتون المصرية لم يمكن

تحقيق مواضعها حتى الآن ، وهذا العصر هو الذى أسس فيه الوكالات التجارية فى « كرمه » التى اتخذها رجال القوافل مركزاً ، ومن المحتمل أنه فى ذلك العهد قد أقام المصريون محطاً أو حصناً كما يدل على ذلك الآثار الباقية^(١) .

(ج) وعندما استوطن قوم مجموعة C وادى النيل فى البقعة التى تقع بين الشلال الأول والشلال الثانى فى نهاية الأسرة السادسة أصبحت « عنيبة » بجوار « الدكة » أهم بلدة ممثلة لهذا العهد . وفى الحروب التى نشبت بين الأهالى الأصليين وبين الأقوام الجائلين قاسى الأهالى الذين كانوا على ما يظهر فى الحصن عذاب الحريق الذى جعل عاليه سافله ، وهذا العهد هو أقدم جزء فى الجبانة N يمكن معرفته ، وهو الذى يعرف بمجموعة C القديمة .

(د) وفى نهاية الأسرة الحادية عشرة ابتداء عهد تغلب مصر الحربى على بلاد النوبة . وقد أقام « سنوسرت الأول » حصن « عنيبة » فى مكان الحصن القديم (وهو الذى يعرف بالحصن الثانى) ، وفى خلال الأسرة الثانية عشرة أقيمت زيادات محسنة على هذا الحصن . وفى هذا العهد أقيمت للمرة الأولى جبانة مصرية فى منبسط الصحراء وهى المعروفة بالجبانة حرف S . وعلى الرغم من وجود أثر الفاتح المصرى فإن الثقافة النوبية لمجموعة C كانت لا تزال هى الثقافة المزدهرة تماماً . ولم تتوار هذه المدنية إلا فى نهاية الدولة الوسطى كما يظهر لنا ذلك من الفخار المنسوب إلى هذه المدنية ، فقد أخذ يختفى تدريجاً . والمقابر العديدة الخاصة بالجبانة حرف N وبخاصة المقام سقفها بحجر مقطوع من المحاجر ، والقباب المبنية باللبن قد ظهرت فى هذا العهد وكذلك فى العهدين الثالث والرابع للمستعمرة أى فى مجموعة C الوسطى .

(هـ) ولما كان قد قضى على قوة مصر السياسية فى عهد الهكسوس فإن ثقافة مجموعة C النوبية قد انتعشت من جديد ، وهذا العهد يعرف بعهد ثقافة مجموعة C المتأخرة .

(١) . راجع Steindorff, Aniba, II

(و) ولما تمصرت بلاد النوبة في أوائل الدولة الحديثة اختفت ثقافة مجموعة C ولدينا كثير من الموظفين المصريين الذين سكنوا في « عنيبة » ودفنوا في مقابر خاصة أقيمت لهم ، كما يوجد آخرون ممن اهتموا بالعمل على أن تدفن جثثهم في أرض الكنانة نفسها لأجل أن تحنط ويحتفل بها دينياً . ولكننا لا نعلم على وجه التأكيد إلى أى حد اشترك النوبيون في « عنيبة » في الحكم . وعلى أية حال نجد أنه كان يعيش بجانب المصريين وبمعزل عنهم سكان أصليون تحت حكم رئيس من بنى جلدتهم ، ويحمل لقب « أمير معام » ويدعى « حقانفر » ، وقد عاش في عهد « نوت عنخ آمون » وكان بين عظماء « واوات » الذين أحضروا الجزية المفروضة عليهم لابن الملك في « طيبة » . وقد بقيت السيادة المصرية مستمرة في « عنيبة » حتى حكم الفرعون « رمسيس السادس » .

وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة تم بناء مدينة « عنيبة » التي بدأت في عهد الدولة الوسطى ، وكذلك أقيم المعبد في الركن الشمالى الشرقى داخل السور .

ويتبع الجزء الرئيسى من الجبانة S بما فيها من آبار ومقابر هرمية الشكل هذا العهد ، وفي نهاية هذه الجبانة تقع مقبرة « بنوت » العظيمة المحفورة في الصخر^(١) .

وعلى الرغم من أن الغرض من إقامة حصنى « كوبان » و « أكور » شئ آخر فإن ظواهر الأحوال تدل على أنهما كانا يقومان بنفس المهمة التي أقيم من أجلها حصن « عنيبة » .

ويلحظ أن « وادى الدكة » ينفرج قبالة وادى السكوبانية وهنا نجد جبانات عظيمة خاصة بمجموعة ثقافة C تكشف لنا عن وجود مستعمرات كثيفة السكان من أهالى النوبة ، ويمتد الوادى فى الشمال حتى شمالى « أكور » وهذا الحصن بوجه خاص قد أقيم لحراسة السكان الوطنيين . ويدل موقعه فى الشاطئ الغربى على أنه كان صالحاً

(١) راجع Steindorff, Aniba, I, p. 21 ff. ومصر القديمة الجزء الثامن ص ٢٨٩ — ٢٩٣

لهذا الغرض صلاحية عظيمة ، ولكن كان موقع « كوبان » من هذه الوجهة هاما .
والواقع أن إقامة الحصن على الشاطئ الشرقى كان يتوقف على الوظيفة الخاصة
التي كان يؤديها وهى تأمين طرق المواصلات المؤدية إلى مناجم الذهب والنحاس .
الواقعة فى « وادى العلاقى » .

ومن الصعب كذلك إيجاد تفسير آخر لإقامة حصنى « سرّة الغرب » و « فرص » ؛
غير أن كلا منهما قد أقيم لحراسة بلاد النوبة ، والواقع أنه لا يقع واحد منهما فى مكان
استراتيجى هام ، هذا إلى أن قيمتهما لم تكن عظيمة فى تأمين التجارة الزاهية إلى
« بهين » ، وكذلك لم يكن لهما أهمية عظيمة بالنسبة للتجارة مع السودان لأنهما
لم يكونا محطى انتظار للسفن النيلية تحتوى فى أثناء الليل .

وحصن « سرّة غرب »^(١) صغير الحجم وهو الآن مدمر حتى أصبح من الصعب
أن يقف الإنسان على معالمه الأصلية وهو مستطيل الشكل وبه أبراج متقابلة مقامة
فى أركانه وجدرانه مقسمة أقساما تتبادل فيها الطبقات المبنية بصورة مجوفة مقببة .
وهذا النوع من المباني لا نجده فى الحصون النوبية الصميّة بل فى الواقع هو النوع
الذى كان عاديا فى مصر ، والاسم القديم لهذا الحصن هو « اتق — تاوى » ومعناه
« ضام الأرضين » . ويقول « جاردنر » : « لقد لاحظت عند « سرّة غرب »
على مسافة خمسة عشر ميلا شمالى « حلفا » وبصحبتى مستر « جفرى ميلهام »
أن الجدران التى تحيط بالكناش هناك كانت بلا شك لحصن قديم من عهد
الدولة الوسطى » .

أما عن حصن « فرص » المسمى « طرد المزوى » (خسف مزاو) فيقول
الأستاذ « جاردنر » إنه لا يمكن أن يقطع فيه برأى لأن تحصيناته يظهر أنها من
عصر متأخر عن ذلك بكثير ، ومع ذلك فإنه قد عثر على نحو مائة قطعة من اللبّات
مختومة ، وكذلك عثر على قطع أكبر من السابقة كلها توحى بأن هذا الحصن قد يؤرخ

(١) راجع J. E. A., Vol. 3, p. 190

بالدولة الوسطى ، ويلاحظ أن هذا الحصن لم يكن يقع على شاطئ النهر مباشرة بل يقع في واد بعيد بعض الشيء عن النهر حيث كان على ما يظن يصل إليه فرع من النيل يدل على ذلك بقايا مرمى لا تزال موجودة هناك . وفي داخل هذا المبنى الصغير يوجد ما يدل على وجود بيوت وزرائب ومخازن غلال .

مواقع مناجم الذهب في الصحراء وإقامة الحصون لحمايتها :

تحدثنا في الجزء الثاني من « مصر القديمة » (ص ١٨٩ — ١٩٥) عن الذهب وأنواعه وكيفية الحصول عليه والأماكن التي كان يوجد فيها في وادي النيل النوبي وغيره . والواقع أن الذهب النوبي هو أهم مادة بحث عنها المصريون في بلاد النوبة السفلى وقد كان أول معدن ذكر عندهم . ومناجم الذهب التي استغلها المصريون في الصحراء الشرقية من مصر وبلاد النوبة تنقسم ثلاث مجاميع^(١) ، فالمجموعة الأولى تقع في أقصى الشمال من وادي النيل في « وادي حمامات » « قنا » وهو في منتصف الطريق المؤدية للبحر الأحمر . ومن هذا المكان كان يستخرج الذهب المسمى ذهب « قفط » أو ذهب صحراء « قفط » . وفي المجموعة الثانية أو الوسطى يوجد منجم ذهب « پرامية » ويصل إليه الإنسان من « أدفو » . والمجموعة الأخيرة أو المنجم الجنوبي ويقع في « وادي العلاقي » « أم جرايات » و « أم ثورة » ، و « بير ايجات » و « دراهيب ») ، وكذلك كان يستخرج من الوديان القريبة من « وادي العلاقي » وأهمها « وادي مرا » و « سيجا » (Seiga) و « دراهيب » وتوجد بقايا بعض بيوت قديمة لا يزال فيها مغاسل وطواحين يد للطحن^(٢) . وهذه

(١) راجع Blankenhorn, Aegypten (Steinmann and Wilkens, Handb. d. regionalen Geologie VII Bd. 9), p. 196 ff.; Williams, Gold and Silver Jewellery and related objects (New York Hist. Soc. Cat. Eg. Ant), p. 15 ff. Bibliothèque in Krenkel, Geologische Afrikanica I, (Geologie der Endé), p. 409.

(٢) راجع Wilkenson, Manners and Customs, III, 229; Sudan Notes and Records, 20, (1937), p. 313 ff.

المناجم لم يحدد زمنها على وجه التقريب ، ويوجد في « بير إيجات » (Eigat) على الآبار نفسها رسوم تمثل ثيراناً ذات قرون طويلة وإشارات هيروغليفية بفتح ، هذا بالإضافة إلى نقوش تركها كاتب يدعى « امنحنب »^(١) وكذلك وجد في « دراهيب » قطعة من إناء حجري^(٢) ، ويقع هذا المكان في « وادى العلاقى » على مسافة بضعة أميال من جهة السودان على الحدود المصرية السودانية ، وهو ضمن الإدارة المصرية .

وقد وصلت إلينا طريقة العمل في هذه المناجم في العهد الفرعوني ، وقد وصفها لنا الكاتب الإغريق « أجاثارخيدس »^(٣) (Agatharchidis) يضاف إلى ذلك الاستغلال الذى كان يقوم به عدد عظيم من الناس دون أى نظام . ولا نعلم شيئاً مؤكداً عن هذه الطرق من المصادر الفرعونية ، ومن المشكوك فيه أن المصرى نفسه كان يقوم بمراقبة استخراج الذهب . ومن المحتمل أن العبارة التى فاه بها « ساحتحور »^(٤) كما ذكرنا من قبل وهى « لقد ابتزرت الذهب الكثير بالغسل » تشير إلى أن الأمراء النوبيين كانوا هم المسئولين عن تحصيل الذهب ، وأن الدخل كان يدفع للمصريين بمثابة جزية . وتدل شواهد الأحوال على أن الذهب في هذا الوقت (كما كان في عهد الدولة الحديثة بعد) يمثل الجزية التى كان يدفعها الأمراء النوبيون للوظفين المصريين ، ومن ثم نفهم أن المصريين أنفسهم كانوا لا يستخرجون الذهب .

النحاس : ومن الجائز أن النحاس كان يستخرج كذلك من « وادى العلاقى » وذلك على الرغم من أنه لم تصل إلينا وثائق مدونة عن ذلك إذا ما قرن بنقوش « وادى الهودى » ، وذلك أنه في وادى جانبي متفرع من « أم قربات » نجد في مكان يدعى « أبسيل » طبقة نحاسية ، هذا إلى وجود مناجم قديمة .^(٥)

(١) راجع A.S , 4. p. 278

(٢) راجع A S , 24, p. 10

(٣) راجع Diodor, III, Comp. K. Fitzler steinbrüche und Bergwerke im pitol. u. Rom.

Agypten (Diss. Lps., 1910), p. 54.

(٤) راجع Br., A.R., I, § 602

(٥) راجع Lucas, An. Mat., p. 162

وقد أقيم عند فم « وادى العلاقى » حصن قوى ليكون نقطة ارتكاز للمناجم يدعى « باكى »^(١) . والظاهر أنه أول حصن أقيم فى عهد « سنوسرت الأول » وقد حل محله حصن أكبر كما حدث فى « عنيبة » . ويظن « أمرى » و « كىروان » أنه قد أسس فى عهد « سنوسرت الثالث » ، ولكن طراز بنائه يدل على أنه أقيم فى عهد « سنوسرت الثانى » . ويدل مظهر حصن كل من « كوبان » و « إكور » على أنهما متشابهان هذا إلى أن حصن « إكور » لم يذكر فى قائمة الحصون السالفة الذكر مما جعل الأثرى « فرث » يظن أنهما بناء يكمل أحدهما الآخر ، فقد استعمل حصن « كوبان » لتنظيف المعدن المستخرج من المناجم المجاورة وبعد ذلك كان يحفظ فى حصن « إكور » ومن المحتمل أن الذهب الذى أتى به « أمينى » فى عهد « سنوسرت الأول » بحماية كتيبة حربية ، يعد برهاناً على أنه على الرغم من احتلال البلاد احتلالاً عسكرياً كان يحسب حساب هجمات يقوم بها الأهالى ، وأن اتخاذ مثل هذه الاحتياطات كان لابد منه . ولا نزاع فى أنه كانت توجد فى « كوبان » لا فى « إكور » رواسب معدنية ، وهذا يدل على أنه لم يوجد فى هذا الحصن الأخير إلا المعدن الغفل الذى تم إعداده ، هذا إلى أن موقع « إكور » على الشاطئ الغربى يوحى بأن هذا الحصن كان يقوم بنفس الوظيفة التى كانت تقوم بها « عنيبة » فى عهد الدولة الحديثة ، ذلك العهد الذى كان يسوده السلام والطمانينة . هذا ويدل وقوع هذين الحصنين عند فوهة « وادى العلاقى » على مقدار ما كان لهذه المناجم من أهمية عند المصريين . ونجد فى مقابر عظماء القوم من عهد الأسرة الثانية عشرة وبخاصة فى جبانة مقر الملك أن الأثاث الغزير الذى كان يصنع من مواد غير ثمينة قد أصبح يصنع من مواد أثمن ، ولا شك فى أن ذلك مرتبط باستخراج الكنوز الطبيعية من بلاد النوبة ، وقد لعب الذهب دوراً خاصاً فى صناعة هذا الأثاث ، وقد أخذت أهمية الذهب تزداد من هذه الناحية منذ هذه اللحظة ، ولا أدل على ذلك من المجوهرات التى عثر عليها فى « دهشور » و « اللاهون » وهى التى

تعد من أنخر المصنوعات الذهبية التي أخرجها الصانع المصري في هذا العهد^(١) . وقد أخذ الذهب يحتل مكانة عظيمة في التجارة مع البلاد الشمالية المجاورة لمصر كما يدل على ذلك الكنز الذي عثر عليه في « ببلوص » (جيبيل) ، يضاف إلى ذلك أن بلاد النوبة كانت تعد طريقاً هاماً للتجارة المصرية مع البقاع الجنوبية التجارية . ومن أجل ذلك كانت الحصون النوبية على جانب عظيم من الأهمية لحراسة الأهالي ولتأمين طرق التجارة الداهية إلى السودان .

ويوجد ما لا يقل عن سبعة حصون من التي ذكرت في القائمة السالفة الذكر في منطقة « الشلال الثاني » . وجميع هذه الحصون تقع في مساحة لا تزيد عن ستين كيلومتراً ، ويرجع سبب ذلك إلى خاصية هذا السهل الذي تقع فيه وما كان لهذه الحصون من مهام ضرورية تقوم بها . ففي جنوب « بهين » مباشرة تنتهى المسافة التي كان يمكن للمسافر أن يقطعها بوساطة النهر بسهولة ، وبعد ذلك نجد شلالات عدة وجزراً يصعب مع وجودها السير في النهر . وقد تجمعت هذه العقبات في مسافتين أولاهما : ما بين « بهين » و « مرجيس داب » والأخرى ما بين « شلفك » و « سمنة » .

ولا نزاع في أنه كانت توجد في العهد القديم تجارة نهريّة على الرغم من كل ذلك . وقد لاحظ الأستاذ « ريزنر »^(٢) في أثناء الحفر الذي قام به في هذه الحصون مدة عشرين سنة أنه كان يقوم أسطول تجارى من السفن الصغيرة من السودان ثلاث مرات في السنة من يولية حتى يناير ويمر في الشلالات ، وقد سلم بأن قدماء المصريين كانوا يعملون مثل هذا العمل وكانوا يملكون بالجملة الحربية بخاصة في هذه الجهات ، ومن المحتمل كذلك أنه كانت تقوم مبادلات تجارية بالسفن^(٣) . ويؤكد ذلك الآن النقوش التي عثر عليها حديثاً في « ورنزى » وهى مؤرخة بالسنة التاسعة عشرة من عهد

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٤٥٤

(٢) راجع Sudan Notes and Records, 12, p. 147

(٣) راجع A.S., 29, p. 10

الفرعون « سنوسرت الثالث » وقد سبق التحدث عن ذلك ، كما يؤكد ما جاء في لوحة « سمنة » الخاصة بهذا الفرعون نفسه وهي التي حرم فيها على السودانيين تعدي الحدود بالسفن .

ويدل كذلك ذكر تعداد السفن عند « الشلال » في تنجور في عهد « تحتمس الأول » على وجود هذه التجارة النهرية في مصر القديمة^(١) . وأخيراً نجد أن فكرة وقوع « ورتى » على جزيرة غير مفهوم إذا أنكر الإنسان إمكانية قيام تجارة نهرية هناك كما ذكر ذلك الأثرى « بورخارت »^(٢) . والواقع أن هذا المنبسط من الأرض الواقع عند الشلال الثاني والذي يصعب المرور فيه كانت فيه مخابى يستتر فيها الأهالى عند قيام اللصوص بهجمات مفاجئة على التجارة المارة هناك ، كما كان صالحا من جهة أخرى لمروء الحملات التأديبية على أهالى النوبة الثاثرين ، وأخيراً تمثل هذه الجهة الممر الطبيعى الذى كانت تزحف منه القبائل السودانية نحو الشمال . ومما يؤسف له جد الأسف أن البقعة الواقعة بين « سمنة » و « كرمه » لم تبحث بحثاً كافياً ، ولذلك فلنأخذ لانكاد نعرف شيئاً عن ثقافة الأهالى هناك .

ويرجع السبب في وجود حصون « الشلال الثانى » الى ثلاثة أمور ، أولها أنها أقيمت هناك على وجه عام لمراقبة وحماية السياحة والتجارة ، وثانيها حراسة السهل حتى لا تطأ قدم معادية من السكان هذه الجهة ، وثالثها أنها كانت تعد بمثابة حاجز في وجه المهاجرين من السودان إلى مصر .

ولما كانت الرابطة بين الحصون بطريق الماء ليست سهلة في بلاد النوبة العليا كما هي الحال في بلاد النوبة السفلى فإن كل حصن على وجه عام كان يعتمد على نفسه ولذلك أقيمت الحصون بطريقة تجعل كل واحد منها يحتوى على حامية صغيرة تصمد خائلة الهجوم المفاجئ ، ولذلك كان يوضع في كل حامية عدد من الرجال للقيام بالأعمال

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢٩٠

(٢) راجع Borchardt, Altäg. Festungen, p. 24

والواجبات الأخرى التي تقتضيها ملائسات الأحوال ، فإذا اتفق أن السفن الخاصة بالحمولات الحربية أو الحملات التجارية عجزت عن المرور بسهولة في الجهات الجنوبية النائية بسبب الشلالات كما سبق وصف ذلك في نقش « ورنوتى » فإنه في مثل تلك الحالة يسند إلى بعض من رجال الحصن القيام بهذا العمل الشاق دون أن يؤخذ من حامية الحصن نفسها أحد ، وعلى ذلك أصبح في الإمكان تبادل المساعدة بين حصن وآخر ، وقد كان على العمال الذين يجرون السفن أن يسيروا على الساحل دون حماية حربية مما جعل من السهل الهجوم عليهم ، ومن أجل ذلك كان المرور صعبا ، فكان لابد من تقريب الحصون بعضها إلى بعض فنرى في المنطقة الجنوبية بين « ممنة » و « شلفك » أن هذه الحصون لا يبعد الواحد عن الآخر أكثر من مده البصر ، وعلى العكس من ذلك نجد أنه بين « مرشد » و « مرجيس » حيث المرور أسهل ، لم يكشف عن أكثر من حصنين رديئين وقد أصحبا عدة مرات ولا يمكننا أن نؤرخهما على وجه التأكيـد^(١) .

وقد بنيت ميناء تفريغ في « بهين » وهي النقطة النهائية الطبيعية للتجارة النهرية في بلاد النوبة السفلى وقد كشف في هذا المكان عن حصن يرجع تاريخه للأمة الثانية عشرة ، والآثار التي كشف عنها فيه لا يمكننا من تأريخه على وجه التأكيـد ، ولكن الآثار التي عثر عليها في « بهين » وهي التي ترجع إلى عهد « سنوسرت الأول » تجعلنا نؤرخ هذا الحصن على الأرجح بزمان هذا الفرعون . وعلى الرغم من عدم وجود ميناء نهرية فإنه مما لا شك فيه وجود ميناء للتفريغ في هذا المكان لكل الأراضي الجنوبية وإلا فلا نجد تفسيراً آخر طبيعياً لوجود هذه المؤسسة . والواقع أن « بهين » كانت قبل كل شيء تقوم بدور عظيم بوصفها نقطة نهائية للتجارة النهرية في الأزمان الغابرة عند ما كان « الشلال » بوجه عام لا يمكن عبوره . وكان لا يمكن تبادل التجارة من هنا جنوباً أو شمالاً إلا بواسطة طريق البر فقط ولا نعلم إلى أي حد كانت

مخرج البضائع كذلك هنا خلال الفصل الذي كان يمكن للسفن أن تمر فيه في النهر ، كما لا نعلم إذا كانت هناك سفن أخرى تستعمل في مياه الشلال خلاف السفن النيلية المعتادة .

و يلاحظ أنه في الجنوب عند « سمنة » حيث يكون مرور السفن في النيل أسفل لم تكن الأرض السهلة هناك صالحة بوجه خاص لإقامة ميناء تفريغ ، ومن أجل ذلك كان على التاجر الأهل الوافد من السودان أن يسير حتى يعبر « إقن » وكان يفتش عليه بعد في الجانب الآخر من الشلال . على أن تجمع هذه الحصون عند الحدود الجنوبية سهلت القيام بمراقبة شديدة ، وكذلك كان يمكن مراقبة الأجني في السفر من الحدود حتى « إقن » . ومما يؤسف له أننا لا نعرف موضع « إقن » بصفة مؤكدة وكل مانعوه عن موقعها لا يخرج عن التخمين وقد وحد الأستاذ « ريزنر » بلدة « إقن » ببلدة « بهين » دون أن يقدم لنا البراهين على ذلك .

أما عن مراقبة التجارة بالبر فليس لدينا إلا الحصون المقامة على شاطئ النهر فالأجنبي الوافد يمكن الإعلان عنه في الوقت المناسب في « سمنة » جنوباً ، وذلك أنه كان يخترق عرض الحصن الرئيسى في « سمنة » شارع ، وكانت قوافل التجارة على ما يظهر تمر فيه للتفتيش والمراقبة . وكذلك المؤسسة الصغيرة الواقعة غربى « سمنة » كانت مقامة لأجل الإشراف على القوافل التجارية . أما أجزاء الحصون التي لم تكن ضرورية للدفاع فكان يقوم حراسها بمرور السفن في جهة الشلال وحراسة الأماكن التي تحيط بها الصحراء فإذا كشفت دوريات الحراسة هجوماً معادياً من هذه الجهة أعلنوا ذلك للحصون المجاورة ويمكنهم بالتعاون مع هؤلاء صد المغيرين ، كما كان في مقدورهم بوساطة جنود الإشارة الاستنجاد بجنود من الحصون الشمالية ، ومضمون لوحة « سمنة » يوحى بأن الحصون قد أقيمت أولاً لتكون سداً منيعاً عند الحدود في وجه كل من يريد المرور إلى داخل البلاد المصرية بدون إذن ، غير أن الكشف في « كرمه » قد برهنت

على أن الفائدة العظمى التي كان يسعى وراءها المصري في السودان هي الفائدة التجارية، ومن أجلها كان لزاماً عليه أن يعمل كل ما في وسعه لتسهيل مرورها في الشلالات دون أى طائق .

ونعرف مما نستنبطه من طبيعة بلاد السودان نوعين مختلفين من طرز الحصون ، النوع الأول الحصون التي كانت تقام في الوديان ، والنوع الآخر كان يؤسس في الجبال . والنوع الأول نجده في بلاد النوبة السفلى حيث كان يقام الحصن على النهر ففى «فرص» يلاحظ أن النهر قد غير مجراه ، فبعد الحصن بعض الشئ عن النهر . ويمكن تفقد التصميم الأصلي لهذا الحصن من وجهتين ، إذ يوجد في داخل المبنى على طول امتداده فضاء كبير في داخل الحصن على هيئة مربع وبجانب ذلك ميناء نهرية ليست بعيدة عن النهر ومحمية بالجدران . ومن هذين العنصرين يتألف الحصن على هيئة مستطيل أبعاده طويلة وضلعه الطويل محاذ للنهر ، ويلاحظ أن أقوى التحصينات يقع في ضلع الحصن المطل على اليابسة ، وذلك لأن الهجوم من جهة الماء يكون صعب المنال جداً ، هذا إلى أن المصري كان في استطاعته دائماً أن يسيطر على النهر بما أوتي من مهارة في قيادة السفن ودراية في فن الملاحة .

وتجلى التحصينات المبنية التي كانت تقام من جهة البر في الحصون التي كانت تقع في الوادى بوجه عام . فكان يقام حول الحصن منحدر حتى لا يجد العدو أى مكان يحتوى فيه في أحجار الأرض عند هجوم من في الحصن عليه . وفي داخل هذا المنحدر كان يدور حول جدرانه حفر مجففة عميقة في سطح الأرض أو في الصخر . وتدل كسوتها التي كانت تعمل في الغالب من طين النيل على أنها لم تكن تملأ بالماء .

وفوق ذلك كان يقام طوار هزيل منخفض ومقوى بالأبراج الصغيرة وفي داخل هذا المبنى كانت توجد طريق ضيقة وبعد ذلك يأتى الجدار الرئيسى العالى القوى البنيان الذى كان يحلى غالباً بخارجات تشبه الأبراج وخلف هذه الخارجات يوجد أحياناً شارع ضيق كان يمكن أن تسير فيه الجنود والمهمات بحماية الجدار الرئيسى .

وكان الغرض من هذا الطوار بلا نزاع هو أن تكون الرماية أكثر أثراً . لأن الرماية من الطوار المنخفض ليست كبيرة المفعول كالرماية من الطوار العالى ، وعندما يقرب المهاجمون من الحصن يكونون تحت نيران جنود البرجين أو الطوارين وتبتدى الزاوية الميتة أو بمباراة أخرى الأرض التي لا يصيبها مرمى الذين يصوبون سهامهم من المبنى الرئيسى عند الحفر الواقعة أمام الطوار . ويكون فى مقدور المدافعين عن الطوار أن ينسحبوا بواسطة باب الحصن عند الحاجة تحت حماية النيران المنطلقة من الجدار الرئيسى . ونجد فى الحصون المقامة فى منطقة الشلال فقط أن السهل كان هو العامل الفعال فى تكييف صورة الحصن . ففى مثل هذه الحصون كان على المهاجم أن يتسلق الجدران التى كانت ملغمة بالعقبات ، كما كان عليه أن يتغلب على المرتفعات العمودية التى كانت بطبيعة الحال مقامة هناك .

أما فى الحصون الجبلية التى توجد فى جهة الشلال فقط فإنه على العكس يكون العامل هو الفاصل فى تكوين الحصن وفى كيفية إقامته . وكان على المهاجم فى هذه الحال لأجل أن يستغل السهل ليصل إلى سفح جدار الحصن أن يتسلق عقبات ، كما كان عليه أن يصعد مرتفعات عمودية وإلا فإن الميزة الاستراتيجية للحصن تصبح على العكس لا قيمة لها . ولكن إذا كانت الأحوال تحتم على العدو أن يندفع إلى أعلى فإنه فى هذه الحالة يكون فى إمكان المهاجمين إيقاد نار لإفائتهم ، ومن أجل ذلك كان من الضرورى بناء كل الطنغ التى فى الحصون المقامة على الهضاب بجدران طويلة ويمكن مشاهدة التصميم الخاص بذلك فى بناء حصن « ورنزى » حيث نجد أن الحصن يتألف من جدار واحد طويل ينقسم متفرعاً عند نقطة فرعين يقع الحصن الرئيسى فى أحدهما .

وإذا كانت الأرض التى تقع خارج الحصن عظيمة الانحدار فلا توجد فى هذه الحالة ضرورة لإقامة سور خارجى ، إذ أن مثل هذا السور يكون ضروريا لتكوين زوايا ميتة للرماة فى البناء الرئيسى ليكون فى مقدور الرماة بما لديهم من أسلحة قديمة تصويب

مرماهم بدقة وإحكام على المهاجمين خارج الحصن . ومن أجل ذلك نجد أن معظم حصون « الشلال » قد أقيمت على صخور منحدرية ، فليس فيها دائماً نظام إقامة السور المزدوج . وفي حصن « مرجيس » يوجد على جانبه الواقع تجاه البرجداران متوازيان يبعد أحدهما عن الآخر ، وقد بني كل منهما ببناء محكما . والآن يتساءل الإنسان عما إذا كان هذان الجداران قد بنيا في عهد واحد أو في عصرين مختلفين ، والواقع أنه ليس لدينا ما يثبت الرأي الأخير مما لدينا من آثار . ومن المحتمل أنه كان يوجد سور أمامي في « قه » ، ولكن يحتمل أن ما نشاهد في « مرجيس » ليس إلا تقوية للسور الرئيسي^(١) .

ومما يلفت النظر في الحصون المقامة في الصحراء كيفية الحصول على الماء . والواقع أنه كان يوجد في الحصن باب خاص يفتح على النهر مباشرة . وكان يوجد هناك ممر سرى لا يراه الأعداء يتدنى عند هذا الباب ويستمر مسافة وكان مغطى بأحجار مسطحة . ونجد مثل هذا النظام في حصن « سمينة » وفي حصن « ورنرتي » و « كوبان » والحصن الأخير يقع في الوادي ولكنه مبني في الصخر وعلى ذلك لم يكن من المستطاع حفر آبار فيه .

وكان كل حصن مجهز بمعبد وقد وجد فعلا في هذه الحصون مبان تشبه المعبد في كثير من الأحوال وقد اتضح أنها للعبادة ، وذلك بما وجد فيها من آثار تدل على ذلك ، كما نشاهد ذلك في حصن « ورنرتي » بصفة قاطعة ، إذ وجد في هذا الحصن ببناء يحتوي على ثلاث حجرات صغيرة وردهة تحتوي على أحد عشر نموذجاً من الرغفان المصنوعة من الخشب ومن بينها رغيغ نقش عليه : « السنة الثالثة والثلاثون من عهد « أمناحات الثالث »^(٢) » ومما يؤسف له كثيراً أن الحصون الواقعة في السهل في بلاد النوبة قد وجد

(١) راجع J.E.A. Vol 3, p. 173

(٢) راجع Sudan Notes and Records, 14, (1931), p. 5

داخلها محطاً ، ولذلك لم يكن في مقدورنا معرفة وظيفة المباني الداخلية التي تحتويها تلك الحصون .

وكان يوجد في كل حصن بصفة مستديمة ختر البيوت التي يسكنها الجنود والقواد مخزن غلال وبيت مال ، فقد وجد من بين اللبنات المختومة التي عثر عليها في « ورنرتي » لبنات مطبوع عليها المتن التالي : مخزن غلال حصن « خسف أونتيو » . و « بروي حز » (بيتا الفضة) الخاصان بحصن « خسف أونتيو » « ورنرتي » ، ومن ثم نعرف أنه كان لكل حصن إدارته الخاصة التي تتصل بمكتب الوزير وبالسلطات المصرية الأخرى مباشرة ، هذا ولدينا طابع أختام هذه السلطات عثر عليه في حصن « ورنرتي » وترجع إلى بداية العصر الذي يلي عهد الأسرة الثانية عشرة ولكنها بلا شك كانت متصلة بالأسرة الأخيرة على وجه التأكيد .

وقد وصل إلينا طوابع أختام على لبنات لموظفين مختلفين ولأشخاص غير موظفين ولكن لا يمكننا أن نحكم على وجه التأكيد بأن هؤلاء كانوا ضمن موظفي الحصن .

ولا نزاع في أنه كان بين هذه الحصون روابط قوية يدل على ذلك تلك الآثار التي عثر عليها في « ورنرتي » وهي طوابع أختام من حصون أخرى مثل حصون « سمنة » و « شلفك » و « إاقن » و « بهين » ولا غرابة في ذلك فإنه كان من الضروري أن تكون هذه الروابط موجودة بين هذه الحصون إذ أن جنودها مصريون ، وكان العمل الذي يقوم به كل حصن هو نفس العمل الذي تقوم به الحصون الأخرى ولا يبعد أنها كلها كانت تحت إدارة رئيس أعلى وإدارة واحدة تربط بعضها ببعض .

علاقات مصر بالسودان

في عهد الدولة الوسطى

رأينا فيما سبق المجهود الذى بذله ملوك الأسرة الثانية عشرة فى إخضاع القبائل النائرة والأقوام التى كانت تغير على التجارة المتبادلة بين القطرين ، وكيف أن ملوك هذه الأسرة قد مهدوا السبيل لاستتباب الأمن بإقامة المعاقل والحصون فى مختلف جهات بلاد النوبة من أول « الشلال الأول » حتى « الشلال الثالث » . غير أن إقامة الحصون وتزويدها بالجنود المصريين ليدل دلالة واضحة على أن الأمن لم يكن مستتباً فى بلاد السودان على الوجه الأكمل ، بل على العكس يدل على أن المصريين كانوا يخافون شر هجمات القبائل المعادية ، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يجوار هذه الحصون بعض المستعمرات ولكنها لم تبحث حتى الآن بحثاً كافياً يمكن به استنباط حقائق مقررة ، هذا إلى أن مدن الدولة الحديثة التى أقيمت على أنقاض هذه المستعمرات مثل « عنبة » و « بهين » قد خربت كذلك ولم تحفظ لنا من هذه المؤسسات إلا بعض بيوت فى حصون الشلالات وقد فحصت .

والواقع أن هذه المستعمرات أو المؤسسات لم تكن مراكز سكن مريحة بصورة مرضية ، وذلك لأنه لم تكن هناك أراض خصبة صالحة للزراعة يجوار هذه المؤسسات وعلى ذلك فليس من السهل أن نستخلص نتيجة أكيدة من بقايا المباني التى حفظت لنا حتى الآن عن استعمار المصريين لبلاد النوبة السفلى فى عهد الدولة الوسطى ، ومن المحتمل أن الإضافات التى عملت فى حصن « عنبة » إلى أن أصبحت مدينة صغيرة قد تكشف لنا الغطاء عن الحقيقة القائلة بأن المصرى قد هاجر إلى بلاد النوبة السفلى واستوطن هناك ، وأن الحال كانت مثل ذلك تماماً فى « بهين » إذ نجد غير حصن الدولة الوسطى مؤسسة كبيرة نسبياً يرجع تاريخها إلى ما قبل الأسرة الثامنة عشرة وتقع تحت مباني المعبد الذى أقامه « أحس الأول » وتتفق اتجاهاتها مع اتجاهات الحصن

القديم^(١) والطبقة التي وجدت فيها جدران هذه المؤسسة تقع على علو ٧٠ سم من أساس حصن الدولة الوسطى ، وعلى ذلك يظهر أنها أحدث من الأخيرة . وقد أقيم هذا الحصن القديم في أوائل الأسرة الثانية عشرة ويحتمل في عهد الملك « سنوسرت الأول » ، وعلى ذلك تنسب هذه المؤسسة إلى الزمن الذي يلي الأسرة الثانية عشرة ومن ثم لا توجد جدران حصون من عهد الدولة الوسطى ، والظاهر أنها تقع خارج الأراضى التي يحجبها السور ، ولا بد إذاً أنها قد بنيت في وقت كانت فيه العلاقات الودية على ما يرام ، ولم يكن المصرى يخاف وقتئذ شر أى هجوم من النوبي .

وقد لاحظنا أن نظام إقامة الحصون في عهد « سنوسرت الثالث » عند الشلال الثانى هو لتأمين الحدود الجنوبية من إغارة النوبيين ، ولذلك فإنه عدل تعديلاً تاماً ، وتدل شواهد الأحوال كما ذكرنا من قبل على أن العهد الذى تلا حكم « سنوسرت الثالث » كان على ما يظهر عهد سلام ووثام . ومن المحتمل إذاً أن المباني التى نحن بصدددها قد أقيمت في هذا العهد ، وهذا يتفق تماماً مع ما نشاهده من أن معظم المقابر القديمة في « بهين » تنسب إلى هذا العهد وهذا يشير إلى ازدهار هذه المستعمرات .

ومما عثر عليه في المقابر المصرية التى أقيمت في بلاد النوبة السفلى نستنبط أن المصرى كان يكره لنفسه بدرجة عظيمة أن يدفن جثمانه في بلاد أجنبية ، وقد كان من نتائج ذلك أن أجسام موتى كل أصحاب اليسار كانت تنقل إلى أرض الوطن ، ولدينا أدلة على ذلك مدونة في عهد الدولة القديمة ، وكذلك من عهد الدولة الوسطى ، ونذكر على سبيل المثال قصة « سنوهيت^(٢) » الذى كان جل ما يتمناه أن يعود إلى أرض الوطن ويدفن جثمانه فيها . وفي عهد الدولة الوسطى كانت بلاد النوبة لا تزال محتفظة بطابعها الذى يدل على أنها كانت بلاداً أجنبية مخيفة ، وأول مقابر هامة ظهرت فيها يرجع تاريخها إلى عهد نهاية الدولة الوسطى ، ونجد مقابر الدولة الوسطى فيها فردية

(١) راجع Buhen, p. 98, 102 ff.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٠٤

وفي جهات قليلة ، وجميع أصحاب هذه المقابر على وجه عام نكرات فلا نعرف شيئاً عن مكانهم أو ألقابهم ، ومع ذلك نعرف شيئاً عن سلسلة أفراد من المصريين الذين استوطنوا بلاد النوبة السفلى من النقوش العديدة التي دوّنت على صخور هذه البلاد ، ومن الصعب تأريخ معظم هذه النقوش ، ولا نعلم شيئاً عن الأسماء التي جاء ذكرها على هذه الصخور أكان أصحابها مجرد عابرين لبلاد النوبة أم مقيمين فيها ويلمح أن الكاتب الذي دوّن هذه النقوش كان يقصد ذكر اسم بلاده كما حدث ذلك في حالة كاتب جنود «الفتتين»^(١) .

ولدينا في مصر نفسها نقوش كثيرة تذكارية — خلافاً لما ذكر من قبل عند الكلام على السياسة الخارجية — تدل على أن كثيراً من المصريين قد أرسلوا في مأموريات إلى بلاد النوبة ، فمثلاً يقول رجل من مدينة «الفتتين» كان قد قام بدور هام في سياسة البلاد الجنوبية كما كانت الحال في عهد الدولة القديمة : «لقد قمت بحملات عدة مصغداً في النيل نحو «بلاد كوش» فلم تحدث مني غلطة ، ولم يقع أي سوء»^(٢) . وكان يلقب فضلاً عن ذلك «حارس النوبيين» وقص علينا كذلك نائب حامل الخاتم على لوحة تذكارية من «العراية المدفونة» أن الملك أرسله لفتح بلاد كوش^(٣) ، ومما له علاقة بهذا الموضوع ما جاء في مقدمة قصة الغريق وفي نهايتها يقول صاحب القصة إنه كان في رحلة إلى بلاد «واوات» غير أن ذلك فيه شك كبير^(٤) .

ولدينا من عصر متأخر عن العصر الذي نحن بصددده الآن نقش وجد في «أدفو» يذكر فيه مشرف على المدينة أنه ذهب إلى «أواريس» في الشمال و«كوش» في الجنوب^(٥) .

(١) راجع Roeder, Debd his Bab-Kalabsche § 450, VI ويحتمل أن هذه الأسماء من الدولة الحديثة .

(٢) راجع Berlin No. 19500 (Agypt. Inschr. König. Mus. Berlin I, 260 f.

(٣) راجع Lange— Schafer, I, p. 101

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٥٠ الخ

(٥) راجع J.E.A., 3, p. 100

هذا ولدينا مشرف على الجنود آخريدى « نيسومتو » ولقبه هذا يدل على نشاطه
في بلاد النوبة^(١) .

ولا بد أن نسلم هنا بأن كل المصريين الذين ذكروا على الآثار كانوا يقومون بتأدية
مهام خاصة في بلاد النوبة وكان كثير منهم يتخذها موطناً ويعمل فيها .

وقد كان من الطبيعى أن نجد من نتائج استيلاء المصريين على بلاد النوبة نقوشاً
كثيرة لرجال الحرب والموظفين هناك . فوجد في طوابع الأختام التى عثر عليها في جزيرة
« ورنرتى » بعض تابعين كانوا يشغلون نفس المنصب الذى كان يشغله « سبك خو »
الذى تحدثنا عنه من قبل ، وأمثال هؤلاء التابعين نجد أسماءهم على النقوش الصخرية .
هذا ولدينا كذلك لقب المشرف على التابعين ، وهذا اللقب على حسب نقوش
« سبك خو » الصخرية (وهى التى عثر عليها في « قمة » و « سمنة ») يعد أعلى رتبة وكذلك
لقب « المشرف على الجنود »^(٢) قد وجد في أحد نقوش « سنوسرت الأول » في « بهين »^(٣) ،
هذا وفي المحاجر الواقعة في الشمال الغربى من « توشكى » نقش لقب « المشرف على المجندين »
في عهد « أمنمحات الثانى »^(٤) . وكان حامل اللقب الأخير يلقب كذلك المشرف على
بيتى الفضة (= الخزانة) وعلى بيتى الذهب . ومن المحتمل أن بعض الذين يحملون
لقب « المشرف على السفينة » ينسبون إلى الدولة الوسطى أو الدولة القديمة كما يرى
في النقوش المدونة في « هنداو » وفي « الامبركاب » وفي « جزيرة سروس » ،
حيث نجد فضلاً عن ذلك منقوشاً لقب « كاتب السفينة »^(٥) . وأخيراً وجد على طابع
خاتم في « ورنرتى » اسم موظف يحمل لقب « المشرف على الرماة » ومن المحتمل
أنه كان يشغل وظيفة قائد الجنود في بلاد النوبة .

(١) راجع Louvre, I, Nach Abschrift des Berliner W.B.

(٢) راجع Sudan Notes and Records 12, p. 157

(٣) راجع Ibid p. 69

(٤) راجع A.S., 33, p.71

(٥) راجع Roeder, Dehob his Bah-Kalabache, pp. 529, 543

ولا يمكن أن نستخلص شيئاً عن نظام الإدارة من النقوش السالفة الذكر لأننا لا نعلم من من هؤلاء الموظفين ينسب إلى بلاد النوبة ، فنعلم أنه كان يوجد في « سمنة » موظف يحمل لقب « حاكم المركز »^(١) . وينبغي علينا أن نعلم أن بلاد النوبة كانت مقسمة من حيث المقاطعات قسمين أو أكثر ، وكان لكل واحد من هذه الأقسام مشرف يحمل لقب « المشرف أو الحاكم على المركز »^(٢) وقد وجد مذكوراً على نقوش الحاجر الواقعة في الشمال الغربي من « توشكى »^(٣) لقب « المشرف على قسم قطع الأحجار »^(٤) .

ومن بين الوظائف العالية المصرية التي وجدناها في بلاد النوبة لقب أعظم العشرة للوجه القبلي وقد وجد منقوشاً في « أمدا »^(٥) ؛ وكذلك لقب « قم نحن » (نائب نحن)^(٦) في « سمنة »^(٧) ولقب « المشرف على مائدة الملك » في نقوش « جرف حسين »^(٨) وفي « سمنة »^(٩) .

ومن المحتمل أن ألقاباً مثل « مدير البيت »^(١٠) و « موظف البيت »^(١١) و « المشرف على المحكمة » و « مدير مكتب الإدارة » يمكن أن تكون من الألقاب الإدارية الخاصة بحصون بلاد النوبة ومركز الحكومة الاستعمارية .

وأخيراً نعرف كذلك سلسلة من الأشخاص الذين يحملون ألقاباً تدل على أعمالهم

-
- (١) راجع Sudan Notes and Records, 12, p. 157
 (٢) راجع A.Z., 70, p. 88 ff.
 (٣) راجع A.S., Vol. 33, p. 72
 (٤) راجع Weigall Report, Pl. LIII
 (٥) راجع Sudan Notes, 12, p. 159
 (٦) راجع Roeder, Dekka, p. 369
 (٧) راجع Sudan Notes, 12, p. 159
 (٨) راجع Roeder, Dehod bis Bab-Kalabsche, p. 114
 (٩) راجع A.S., 33, p. 74
 (١٠) راجع Roeder, Dekka, p. 371

مثل « الحاجب » و « قاطع الأحجار »^(١) ، ووجد لقب « طيب » في نقش « بباب
كلبشه »^(٢) ، كما وجد أسماء موظفين كثيرين في جهات متفرقة في « جرف حسين »
و « ورنرتي » و « باب كلبشه » و « مودنجر » (Mudinjar) . وكذلك نجد
أن صاحب القبر (K.8) في « بهين » يحمل لقب « بستاني »^(٣) . يضاف إلى ذلك
أسماء كتاب عديدين جاء ذكرهم في نقوش الصخور ، غير أنها لا تلقى أى ضوء كبير
على علاقات مصر ببلاد النوبة من جهة النظام في عهد الدولة الوسطى ، ومع ذلك نذكر
بعضهم هنا . فقد وجدنا اسم كاتب ليت المال في نقوش « جرف حسين »^(٤) ،
وهنا نجد كذلك اسم « كاتب للبلاط لقيادة العمل » (؟) وفي « البقع » نجد نقشا
لقاض يحمل لقب « المشرف على الكتاب »^(٥) .

ومن كل ما سبق نفهم أن المصري كان يهاجر إلى بلاد النوبة السفلى على الأقل
في نهاية الدولة الوسطى ، غير أن ذلك لم يكن في نطاق واسع ، هذا مع العلم
بأن المصري كان لا يسكن إلا في الأماكن المحصنة ، لأنه عثر في هذه الأماكن على مقابر
مصرية الصيغة في عهد الدولة الوسطى ، ولا بد أن نفهم أن هؤلاء المصريين
النازحين كان معهم خدمهم . أما في الجهات الراقية في بلاد النوبة ، وكذلك في القرى
فكان النوبي يعيش عيشة خاصة كما تدل على ذلك البيانات القومية ومستعمرات هذا
العهد . أما إذا كانت قد حدثت حقيقة هجرة كبيرة من مصر إلى بلاد النوبة السفلى
فإن ذلك كان هو السبب في القضاء على ثقافة النوبيين مما جعلهم يهاجرون
إلى أماكن بعيدة ، غير أن ذلك ليس هو الواقع بأية حال من الأحوال ، وذلك لأن
ثقافة مجموعة C كانت مزدهرة وليس هناك ما يدل على أى انحطاط ثقافي قط هناك .

(١) Roeder, Debod, p. 113

(٢) راجع Roeder, Ibid, § 524

(٣) راجع Buhen, p 201

(٤) راجع Roeder, Dekka, p. 368

(٥) راجع Roeder, Debod, § 544

والواقع أن ثقافة مجموعة C لم تتأثر بالثقافة المصرية العالية إلا تأثيراً سطحياً إذ قد بقيت الصبغة الأساسية الثقافية القومية لم تتغير، ففي الأواني الجنازية بقيت العناصر التي كانت على وجه عام قد نقلت في بداية الاختلاط بالثقافة المصرية، هذا إلى آلات أخرى وأشياء فنية قد بقيت كما هي بصورة ما، ويمكن أن تكون مستوردة من مصر أو وطنية الأصل، ومن الجائز أنه منذ عهد الدولة الوسطى قد وجدت أشياء كالية في القبور بكثرة بعض الشيء، إذ قد وجدت مرايا من النحاس في مجموعة ثقافة C، وكذلك قبلها وبعدها، ولكن الخناجر المصرية البحتة المصنوعة من البرنز قد وجدت في المقابر النوبية ببلدة «عنيبه» أولاً في بداية الدولة الوسطى^(١). ومعظم الخناجر يرجع عهدها إلى العصر المتوسط الثاني، وتوجد كذلك أسلحة في مقابر مجموعة C ولكنها نادرة. وقد عثر في قبر من مقابر «عنيبه» على قطعة عاج مشغولة وتدل على أنها صناعة مصرية بحتة، غير أن تقليد لوحات المقابر المصرية وكذلك موائد القربان^(٢) قد أخذ عن مصر، كما حدث ذلك في عناصر أخرى في ثقافة مجموعة C على وجه عام في عصر متأخر.

والواقع أن ثقافة مجموعة C قد اختطت لنفسها حياة خاصة وكذلك العناصر التي ثقافتها من «كرمه» فإنها تابعة بوجه خاص لعهد كانت فيه الموانع الخاصة بالحدود عند «الشلال الثاني» قد أزيلت بين البلدين.

(١) راجع Aniba, I, p. 114

(٢) راجع Emery-Kirwan, p. 8 ; LAAA, 8, 77

(٣) راجع Ibid, p. 40

ثقافة « كرمه »

تحدثنا فيما سبق عن مدى اختلاط المصريين ببلاد النوبة وما كان لمصر من سلطان في بلاد النوبة السفلى حتى « الشلال الثانى » وما بعده بقليل ، وكذلك تحدثنا عن ثقافة مجموعة C وما كان لها من أثر في هذه الجهات منذ أن ابتدأت تظهر في نهاية الأسرة السادسة ، وقد بقيت مستمرة حتى بداية الدولة الحديثة كما سنرى بعد ، على أنه في الوقت الذى كانت تسود فيه ثقافة مجموعة C بلاد النوبة السفلى كانت تزدهر في بلاد النوبة العليا ثقافة أخرى وذلك أن الأستاذ « ريزنر » قد عثر في بلدة « كرمه » الواقعة شمالي « جزيرة أرقو » مباشرة وعلى مسافة بعيدة من حصن « سمته » الذى كان يعد الحد السياسى لمصر في عهد الدولة الوسطى على جبانة وطنية عظيمة وعلى آثار مستودع تجارى ^(١) . وقد وصف السياح والكتاب المحدثون بلدة « كرمه » ولكن أشملهم وأوفاهم وصفاً هو ما كتبه الأثرى « لبيوس ^(٢) » وقد زار بعث « لبيوس » « كرمه » في يونيه سنة ١٨٤٤

والمكان المعروف باسم « كرمه » أخذ اسمه من الإقليم الذى يقع على الشاطئ الشرقى للنيل بين « أرقو » و « تومبوس » ويسكنه الآن نوبيو « دنقلة » أو البرابرة . والميزة الظاهرة لهذه البقعة خرابتان مؤلفتان من المباني المقامة من الطوب التى تدعى بلغة أهل « دنقلة » « كرمان دفوفه » ، وكلمة « دفوفه » يحتمل أن تعنى قرية . وخرائب « كرمان دفوفه » يمكن رؤيتها من بعد ، وقد لاحظها كل السياح الذين مروا بهذه الجهات . وتنقسم « كرمان دفوفه » في نظر الأهالى قسمين « دفوفه العليا » و « دفوفه السفلى » وتشمل « كرمه » حالياً عدة مجاميع من البيوت المقامة من الطين بالقرب من النهر .

(١) راجع Harvard, African Studies, Vols. V and VI and Kerma 1 and II

(٢) راجع Karl Richard Lepsius, Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien Ergänzungsband

V, bearbeitet Von Walter Wreszinské, Leipzig, (1913), pp. 245-247.

وأهل ثقافة « كرمه » الذين وجدوا في الحيوانات العظيمة التي عثر عليها في هذه البقعة في المقابر التي يرجع تاريخها إلى نهاية الأسرة الثانية عشرة وبداية الدولة الحديثة ينسبون إلى السكان الأصليين على حسب رأى الأستاذ « ريزنر^(١) » حيث يقول : « وإذا وزنا الأمور بميزان الإمكانات التي تركز على البراهين التي في متناولنا فإننا نستنبط أنه عندما أسست مستعمرة « انبوا منمحات (جدار المنمحات) » التجارية كانت مديرية « دنقلة » مسكونة بسلالة أصلية لا تنسب إلى زنوج أو اسط أفريقيا . بل إلى مجموعة سكان شمال أفريقيا ، ويحتمل أن اللويين كانوا فرعا منهم . وهذا الجنس كما يشاهد في الصور المصرية الخاصة باللويين يتسم بأنف مفرطح ويميز بتقاطيع بارزة تعادل الميزات الزنجية الخاصة بالهياكل العظمية النوبية . ويلاحظ في المقابر النوبية المتأخرة العهد أن السكان أصبحوا مختلطى الجنس ، وقد أظهر الفحص الذى قام به الدكتور « درى » أنه توجد في مقابر هذا العصر المتأخر هياكل بشرية من أجناس مختلفة بعضها مصرى صميم وبعضها يدل على أنه من أهل مجموعة ثقافة C ويظهر فيه الدم الزنجى ، وأخيراً نجد أن بعض الأجسام من أصل زنجى صريح .

وعلى ذلك ينبغى للإنسان أن ينظر إلى سكان « كرمه » في نهاية الدولة الوسطى وبداية الدولة الحديثة كما ينظر على وجه التقريب إلى سكان بلدة « أم درمان » الحالية حيث يجد فيها الإنسان الآن كل الأجناس التي تسكن أعلى وادى النيل .

ومما يؤسف له جد الأسف أن ثقافة « كرمه » ليس لها وثائق مكتوبة قط وما عثر عليه من نقوش هيرغليفية ليس له أية علاقة بهذه الثقافة .

ولا نعلم من الآثار التي عثر عليها قبل الكشف الذى قام به الأستاذ « ريزنر » في مصر وبلاد النوبة السفلى أى من نشاط المصريين في هذه الجهة إلا ما جاء في لوحة عثر عليها

في بلدة « أدفو »^(١) ، من نص صعب الفهم ، ويمكن أن نستخلص منه أن رجلاً يدعى « نخع عنيف » يقرر أنه كان مصرياً ، ويحتفل أنه كان صاحب نشاط في « كرمه » ، ولكن يمكن أن نفهم من المتن جلياً أنه كان هو وزوجه وأولاده قد عادوا إلى « أسوان » من « كرمه » أو أنهم وصلوا إلى هذا المكان في ثلاثة عشر يوماً . ويذكر لنا فضلاً عن ذلك صاحب هذه اللوحة الذهبية الذي أحضره ، وكذلك يقول إنه جلب معه عبداً أو عبيداً ، وسنتحدث عن هذه اللوحة فيما بعد . ولعمري إن أهم ما كانت تجذب إليه أنظار المصري في كل عصر تاريخه حتى عصرنا الحالي إلى زمن قريب هو الحصول على الذهب أو الفضة ، والكل يعلم أن تجارة الرقيق كانت منتشرة إلى زمن قريب جداً أبطلت بعدها .

غير أن ما جاء في هذه اللوحة لا يؤكد لنا بصورة قاطعة نشاط مصر في الجنوب . وعلى ذلك فإن كل اعتادنا على صلة مصر بهذه الجهة ينحصر فيما عثر عليه في « كرمه » . والواقع أن معلوماتنا عن ثقافة « كرمه » في تلك الفترة مستقاة من مقابر جبانات شاسعة الأرجاء تبعد حوالي أربعة كيلومترات ونصف كيلومتراً من شاطئ النيل .

ففي هذه البقعة يوجد غير مزارين كبيرين عدة مقابر ومدافن في هيئة أكوام دفن فيها أفراد من عامة الشعب ، وعدد مهم من المقابر الضخمة يدل ظاهراً على أنها كانت لأسر أمراء أقام كل منهم لنفسه جبانة منفردة . وهذه المقابر في صورة تل مستدير الشكل يحيط بها لوحات من الحجر الرملي ويوجد في داخلها مبنى مؤلف من جدران من اللبنة ، مثال ذلك المؤسسة التي على هيئة تل رقم (٣)^(٢) وهي المقبرة التي دفن فيها على ما يقال « زفاي حبي »^(٣) (انظر اللوحة رقم ٢) ويبلغ قطرها حوالي ٩٠ متراً وتشغل مساحة قدرها ٦٣٨٥ متراً مربعاً ، ويبلغ ارتفاع الجدران المبنية باللبنات

(١) راجع A.S.T., 29, p. 6 ff.

(٢) راجع Kerma, I, pp. 135-189

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٧ الخ وينطق اسمه كذلك حزافي

من الداخل حوالى ٢,١١ متراً ، وهذه الجدران كانت أعلى من ذلك فيما مضى ، وقد أقم في وسط هذا المدفن دهليز يمتد من الشرق إلى الغرب جدرانه من اللبنة و يبلغ عرضه حوالى مترين ، ومن هذا الدهليز يتفرع شمالاً وجنوباً حتى يحيط دائرة هذه الجبانة عدة جدران متوازية تقطعها جدران أخرى في نقط متعددة مرتبط بعضها ببعض ومن ذلك يتكون في كل من الجزء الشمالى والجزء الجنوبى عدة حجرات صغيرة تعرف عليها الأستاذ « ريزنر » بأنها مقابر .

وفي وسط هذا الدهليز نجد باباً لحجرة أمامية تبلغ مساحتها ٣,٣٠ × ٢,٢٠ متراً مسقفة بسقف مقبب وهى أكبر حجرة في كل هذه المؤسسة وقد وجدت منهوبة فلا يمكننا أن نتحدث عن حالتها الأضلية على وجه التأكيد ، ولكن يمكن وصفها بطريق الخدس بالموازنة بينها وبين ما وجدنا في حجرات الدفن الأخرى المماثلة لها في المؤسسات الأخرى المجاورة . ولا نزاع في أن الشخص الذى دفن في هذه الحجرة أمير وهو الرئيس المسيطر على هذه الجهة في عصره ، وبجانب هذا الأمير كانت تضطجع زوجته على سرير من الخشب ، وعلى رقعة الحجرة يوجد رجال مضطجعون ونساء مضطجعات ، ويحتمل أنهم أقرب الناس إلى صاحب المقبرة وزوجه . والظاهر أنهم قد دفنوا أنفسهم أحياء طوعاً أو كرها مع الأمير وزوجه ، ويبلغ عدد الذين دفنوا أنفسهم بهذه الكيفية حوالى مائة شخص (هذا ونجد مدفوناً في دهليز المقبرة المستديرة رقم ٤ عدداً يتراوح بين ١١٠ — ١٣٠ شخصاً) . وكل هذه الأجسام قد وجدت في أوضاع مفزعة خفيفة مما يدل على أن هؤلاء الرجال والنساء قد لاقوا حتفهم في وقت واحد . وهؤلاء الموتى ضحايا قرابتهم للتوفى . وقد سمي هذه العادة الأستاذ « ريزنر » دفن « ساتى » . حيث يقول : « إنه على حسب كل ما وصل إلينا من معلومات لا توجد إلا عادة واحدة على حسبها تذهب كل الأسرة أو جزء منها إلى عالم الآخرة مع رئيسهم ، وهذه هى العادة المسماة « ساتى » التى تستعمل كثيراً ، ولكنها معروفة معرفة جديدة عند الهنود باسم

« ساتي » أو « سوتي » وبمقتضاها تلقى نساء الرجل المتوفى أنفسهن (أو يلقيهن) في النار التي يحرق فيها المتوفى ، ومثل هذه العادة تفسر لنا تماماً ما نجده من حقائق في مقابر « كرمه » الخ ، والواقع أن هذا النوع من الدفن يقابل ما كان متبعاً في عصور ما قبل التاريخ عند دفن الملوك أو الأفراد من الأسرة المالكة في « سومر » ببلدة « أور » ، وكذلك في أفريقيا نجد هذه العادة ، وذلك أنه عند موت رئيس كانت زوجته أو بعض أقاربه يدفنون معه طوعاً أو على كره منهم ، فكانوا بذلك يضعون بأنفسهم من أجله أو يدفنون معه أحياء . وهذه العادة متبعة حتى الآن ، ولا يوجد من يحيد عنها^(١) إلا النادر ، والظاهر أن أصل هذا المدفن الكومي الشكل هو أن يقام أولاً السور المصنوع من الحجر ثم يبنى بعد ذلك البناء المصنوع من اللبنة وكان يضطجع في حجرة دفن الأمير أقرباءه الأذنون ، وكانوا في هذه الحالة يدفنون أحياء ، وفي خارج هذه الحجرة كان يدفن الخدم والأتباع في الدهليز الطويل الممتد بقطر المؤسسة ثم يمال عليهم التراب حيث كانوا ينامون في أوضاع محزنة مفزعة ، أما الماشية التي كانت تقدم قرباناً في خلال حفل الدفن ، وبخاصة الثيران ، فكانت تدفن في الجهة الجنوبية من المقبرة ، وبعد ذلك كانت تملأ الطرق المجاورة بالرمال والحصى بما يبلغ سمكه حوالي خمسين سنتيمتراً ثم يغطى ذلك بطبقة من اللبنة التي تعلوها طبقة من الملاط وفوق ذلك توضع طبقة رقيقة من الحصى ، وكان يقام فوق هذا المدفن الذي على شكل كومة لوحه مخروطية الشكل توضع في وسطه وهي مصنوعة من حجر الكوارتسيت ، ومن المحتمل أنه كان يوضع فوقها القربان .

وبعد ذلك كان يقام في صلب هذه الكومة في خلال عدة أجيال مقابر ثانوية كانت تحفر في الحصى حتى طبقة الطين أو أعمق من ذلك . وكان يوضع صاحب القبر غالباً مع زوجته على سرير ويلف كل منهما في جلد حيوان ، وهنا كذلك نجد فرداً أو وهد

أفراد مدفونين على الأرض مباشرة ، ومن المحتمل أنهم أقارب صاحب المقبرة أو خدمه ، وهؤلاء كانوا بمثابة قربان له كالحرفان التي كانت تدفن معه قربانا .

هذا وتقدم لنا الأشياء التي كانت توضع مع المتوفى في قبره لاستعماله اليومي في عالم الآخرة في « كرمه » لمحة عن ثقافة بلاد النوبة العليا في العهد النوبي المتوسط . والواقع أن هذه الثقافة تنسب إلى العهد النيوليتي المتأخر مثل ثقافة مجموعة C ، ففي حين نجد أن جزءاً من محتويات القبر قد صنع في نفس بلاد النوبة العليا بدون شك ، فإنه قد حثرت على قطع أخرى من أثاث القبر قد تأثرت كثيراً في صنعها بالطابع المصري حتى أنه كان في كثير من الأحيان يصعب على الإنسان أن يميز بين الأشياء الموردة من مصر والأشياء المصنوعة محلياً ، ومن المحتمل أنها كانت من صنع مصريين هاجروا إلى بلاد السودان واستوطنوها ، ويميل غالباً إلى هذا الرأي الأخير الأستاذ « ريزنر » .

ومعظم الأشياء التي وجدت في هذه القبور مصنوعة من الفخار وبخاصة الأباريق والطسوت وأطباق الأكل والشرب والزيوت والمسوح وهي مصنوعة في مصانع فخار يدوى ، ويقول « ريزنر » إن أشكال الأواني التي وجدت في « كرمه » تؤلف مجموعة منقطعة النظير في كل من مصر وبلاد النوبة فنجد حوالي ١٥٠٠ من الأواني التي ذكرت من أصل مصري في حين نجد أن ٨٠٠ من الفخار الخشن المصنوع باليد ، وهو من مادة نوبية لا شك فيها ويشبه كثيراً أشكال فخار مجموعة ثقافة C في بلاد النوبة السفلى ، أما الستة والسبعون في المائة الباقية فهي أوان جميلة الصنع عدا بعض كئوس بسيطة لا يمكن وجودها في كل من مصر وبلاد النوبة . وهذه الأواني الجميلة الصنع هي خليط نوبي بها أجزاء سوداء ولكنها صنعت بعجلة الفخار بمهارة وبحسن اختيار للشكل لا مثيل له في الفخار النوبي بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا . ويقول « ستيندورف » إن « ريزنر » ميز ثمانية عشر نوعاً مختلفاً من الأواني الفخارية قسمها ثلاثة أقسام :

٢ — أوان مصرية أو متحضرة .

٣ — أوان وطنية خشنة الصنع .

فالمجموعة الأولى تحتوى على $٧٩\frac{1}{3}$ ٪ من مجموع الأواني التي عثر عليها في هذه الجهة . ويظن « ريزنر » أنها عملت على حسب الصناعة المصرية على عجلة صانع الفخار ، ومن المحتمل أن ذلك كان على نسق فخار مجلوب من مصر حيث نجد من الفخار القديم الفخار الأحمر المصقول والأواني ذات الحافة السوداء . وكذلك نجد أن أشكال وخواص هذه الأواني التي توحى بأنها كانت مخصصة للشرب على جانب عظيم من الجمال ، ومن هذه بوجه خاص الأواني والأقداح الرشيقة المنظر . ويتبع هذه الأواني الأكواب الرشيقة الشكل والأباريق ذات الحافة الجميلة والأقداح ذات الزايز والأباريق التي تشبه أباريق الشاي . كل هذه قد وجدت في مصانع « كرمه » ، ولكن أصولها منقولة من مصر إلى بلاد النوبة السفلى ، وقد عثر عليها في مقابر هذه الجهات التي أقيمت على شكل قعب (مستديره) ، ومن الفخار الخاص بعهد « كرمه » القعب الطويل الأسود والطويل ذو الجدار العمودي المسنن ولدينا مثال من ذلك .

والمجموعة الثانية تحتوى على $١١,٥$ ٪ من مجموع فخار « كرمه » وهي من حيث الشكل والمادة والصناعة موحدة مع أوان مصرية معروفة أو على الأقل قريبة الاتصال بها وهي كما قلنا من قبل إما مجلوبة من مصر أو عملت تقليداً لأوان مصرية .

أما المجموعة الثالثة فتحتوى على $٨,٥$ ٪ من مجموع فخار « كرمه » وكلها صناعة محلية وتشتمل مثل أواني مجموعة ثقافة C ، على أوان فخارية ساذجة الصنع ، وهذه

(١) راجع Kerma, II, p. 378, Fig. 260, Pl. 70. 3 ; 72.1

(٢) راجع Aniba, I, Gattung IV, p. 91 ff.

الأواني رخيصة وفقيرة في صنعها ، وكانت تستعمل في وادى النيل النوبى للأعمال اليومية المعتادة في المنازل ومن الجائز أن النساء كن يصنعنها بأيديهن .

ولدينا كذلك من الصناعات الوطنية النوبية^(١) بوجه خاص الأثاث المصنوع من النجارة الدقيقة كالأسرة والكراسى والمخدات والتوابيت ، وقد صنع كثير من هذه الأشياء وفق نماذج مصرية ، يضاف إلى ذلك الأشياء المصنوعة من الجلد منها الأحزمة والمبدعات الجميلة للسيدات العذارى ، والأحذية ، وأغطية وأربطة للأسرة والكراسى والشبابيك وعلاقات للأواني الفخارية .

أما المصنوعات المعدنية فنجد أن الصائغ كان يصوغ أدوات الزينة الجميلة التى وجد منها الكثير ونخص بالذكر الأساور والأقراط وقطع الحلى الأخرى والنحاس الذى كانت مادته فى نفس البلاد ، فكان يصنع منه أنواع الآلات مثل السكاكين والموسيات . ولا نعلم تمام العلم إذا كانت الخناجر العدة وهى السلاح الوحيد الذى وجد فى كل المقابر النوبية فى هذه الجهة من المحاصيل المحلية أوجلبت من مصر كما يظن ذلك « ستيندورف »^(٢) .

وتمتاز مصنوعات « كرمه » بما تنتجه من الزخارف المصنوعة من الميكا . وهذه المادة قد وجدت فى مصر منذ عصر ما قبل التأريخ^(٣) . وقد وجدت مرارا من الميكا من العهد العتيق فى بلاد النوبة^(٤) .

وأهم ما يلفت النظر فى استعمال هذه المادة فى « كرمه » هو استعمالها زينة فى صنع القبعات المصنوعة من الجلد التى خيط فيها قطع من هذه المادة ذات^(٥) فى صنع القبعات المصنوعة من الجلد التى خيط فيها قطع من هذه المادة ذات^(٦)

(١) راجع Kerma, II, p. 7 ff.

(٢) راجع Aniba, I, p. 114

(٣) راجع Flinders Petrie, Prehistoric Egypt, p. 44

(٤) راجع Firth, Arch. Survey of Nubia, IV-V, pp. 272—280

(٥) راجع Lucas, An. Eg. Mat. p. 22

(٦) راجع Reisner, Kerma, II, Pls. 57—60

أشكال مختلفة تمثل الزراف والطيور والأزهار الصغيرة وأشكالاً هندسية أخرى متنوعة ،
ونجد مثل هذه الأشكال مصنوعة من سنّ الفيل في صور حيوانات مثل الثعلب والنعام
والصقور^(١) مطعمة في خشب الأسرة . ولا نزاع في أن جزءاً عظيماً من الخرز والتعاويذ
التي وجدت في هذه الجهة هي من شغل « كرمه » ، وكذلك لا بد أن نعلم أن الكثير
منها قد أحضره معه صناع من مصر إلى بلاد النوبة .

ومن الأشياء التي جلبت من مصر على ما يظهر الأواني المصنوعة من الفخار المطلق ،
وقد وجد منها قطع عديدة^(٢) ويرى الأستاذ « ينكر »^(٣) أن صنّاعاً مصريين كانوا يديرون
المصانع التي تصنع الأواني الخزفية المطلية التي توجد على مقربة من « دفوفة كرمه » .
غير أن « ستيندورف » لا يعتقد في ذلك ويظن أن هذه الأشياء قد أحضرت
من مصر ، وكذلك التماثيل التي عثر عليها في « كرمه » فإنها أحضرت من مصر
ويظن « ينكر » أنها قد صنعت في « كرمه » وقام بعملها صناع مصريون

هذا ولدينا فضلاً عن ذلك جزء من القواعد المصنوعة من الخزف المطلق ، والتطعيم
والخرز والتعاويذ والأشكال المطلية وغير ذلك قد صنعت في مصانع نوبية وطنية .
وقد بقي من كل ذلك آثار تدل على وجود مصنع في هذه الجهة^(٤) .

هذا ويدل ما وجد في المقابر من الأشياء الكعالية التي عملت في أشكال مصرية كالمرايا
والآلات المصنوعة من النحاس وحقق الزيت المصنوعة من المرمر وغير ذلك على أنها من
أصل مصري وأن الصناع المصريين قد أتوا إلى بلاد النوبة العليا وزاولوا صناعاتهم فيها .
وإذا ألقينا نظرة عامة إلى مجموع ما عرفناه عن ثقافة « كرمه » حتى الآن أمكننا
أن نقرر بحق أن الثقافة قد تأثرت تأثراً عظيماً بالثقافة الإفريقية أكثر من الأثر

(١) راجع Reisner, Kerma, II., Pls. 54—56

(٢) راجع Kerma, II, Taf 45—47

(٣) راجع Griffith, Studies, p. 303 f.

(٤) راجع Kerma, II, p. 135

الذى نجده في أختها ثقافة مجموعة C التى ظهرت في بلاد النوبة السفلى . حقاً ان كلا من حملة هاتين الثقافتين بينهما رابطة جنسية تربطهما بعضهما ببعض ، هذا فضلاً عن أن كلا من الفريقين كان يفلح الأرض ويرعى الماشية ، كما نجد كذلك تشابهاً بينهما من حيث الملابس وبخاصة الأحزمة المزينة بالخرز ، وكذلك من جهة المحاصيل اليدوية فهى مشابة بينهما ، ومن جهة أخرى نجد فروقاً ضخمة وبخاصة في مؤسسات المقابر التى تتشابه جميعاً في الظاهر ، إذ نجد كلاهما على هيئة كومة مستديرة ، وكذلك تختلف في عادة الدفن إذ نجد العادة في « كرمه » أن يدفن مع الرئيس عدد عظيم من الناس المذبوحين ومعهم أدوات زينة خاصة ، ولكن في ثقافة مجموعة C كان صاحب المقبرة يدفن وحده .

ويلاحظ أنه لم توجد قطع فنية كالتماثيل وغيرها من الصناعة النوبية الوطنية بل كادت تكون معدومة في « كرمه » ، هذا إذا غرضنا الطرف عن بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من الحجر المغطى في « كرمه »^(١) مثل الأسود والثعابين والكباش والصقور . أما في مجموعة ثقافة C فلدينا جم غفير من التماثيل الصغيرة للرجال والحيوان^(٢) .

أما الصور التى في المناظر فنجد في « كرمه » (خلافاً لبعض الرسوم التى نجدها على الحصص في مزارين^(٣) وهى التى نلاحظ فيها على ما يظهر التأثير المصرى) أحياناً صوراً نفحة مطعمة بسن الفيل والميكا والخشب والجلد ، ولدينا في مجموعة C صور أخرى مختلفة عن السابقة من حيث الأسلوب اختلافاً تاماً رسمت على أوان من الفخار ، صوراً محفورة لرجال وحيوانات وهى تذكرنا بالصور التى كانت ترسم على جدران الأواني المصرية في عصر ما قبل التاريخ أو الصور التى رسمت على جدران « هيراكنبوليس » (الكاب) . يضاف إلى ذلك بعض الاختلافات في الملابس

(١) راجع Kerma, II, p. 51, Pl. 37

(٢) راجع Aniba, I, p. 116 ff

(٣) راجع Kerma, I, Pl. 19

إذ نجد في « كرمه » القوم يلبسون القبعة المصنوعة من الجلد والمزينة بقطع من الميكا عليها صور مختلفة . هذا ولا نجد في « كرمه » ما نجده من خواص عصر ثقافة C المتأخر ، وأعني بذلك الأقراط وأسورة السواعد المصنوعة من أصداف البحر^(١) ، وكذلك نجد هذه الاختلافات في كثير من المحاصيل الهامة من الصناعات اليدوية .

ومما سبق نجد أن لدينا ثقافتين منفصلة إحداهما عن الأخرى انفصالا بينا ، ففي بلاد النوبة السفلى لدينا ثقافة مجموعة C وفي بلاد النوبة العليا لدينا ثقافة « كرمه » . وكلاهما ينسب إلى عصر النحاس المتأخر ، وهما متفرعتان من الثقافة الإفريقية . وقد انفصل بعضهما عن بعض في العصور الأولى ونمت كل منهما على حدة ، وبقيت كل منهما فيما بعد لا تؤثر على الأخرى كما يقول « ستيندورف » ، ولكن الأستاذ « ينكر » يقول إن ثقافة مجموعة C قد تأثرت تأثراً عظيماً بثقافة « كرمه »^(٢) وقد ظهر ذلك جلياً في المزارات المبيلة باللبنات في مقابر مجموعة ثقافة () فإنها مأخوذة عن ثقافة « كرمه » .

وخلاصة القول أن مجموعة الأشياء التي أنتجتها حفائر « كرمه » تؤلف مجموعة أثرية لها علاقة ظاهرة جلية من جهة بمجموعة الدولة الوسطى المصرية ، ومن جهة أخرى لها علاقة أقل ارتباطاً بمجموعة بلاد النوبة الأثرية التي من نفس العهد ، غير أن مجموعة ثقافة « كرمه » في حد ذاتها تعد نسيجاً وحدها فالصبغة الخاصة بالمحاصيل الفنية والصناعية التي وجدت في المقابر تفسر بطبيعة الحال وبكل بساطة صبغة الموقع الجغرافي الذي يسكن فيه القوم . والواقع أن هذا المكان كان يعد مستعمرة تجارية مسلحة أسسها فرعون مصر لتحافظ على سلامة الطرق الجنوبية ، وكانت في الأصل تحتوى على أهل بيت أول نائب ملك وموظفيه ويحتمل أنه كان الأمير « زفاى حمبي » حاكم « أسيوط »^(٣) . وجماعة حاشية بيت « زفاى حمبي » هذا كانت تتألف من طائفة

(١) راجع Kerma, I, p. 48

(٢) راجع Junker, Toschke, p. 10

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٧ الخ

من الموظفين قائمين بأنفسهم ويشملون عمالا وصناعا كافين لسد الحاجات الضرورية اللازمة لمثل هذا المجتمع كما كانت الحال في حاشية بيت صاحب الاقطاع العظيم في مصر في تلك الفترة . والواقع أن الصناع المصريين الذين كانوا قد جلبوا إلى تلك الجهة كان المفروض فيهم أنهم عمال مدربون مهرة وأنهم قد أبعادوا عن المواد الأولية التي كانوا ينتجون صناعاتهم منها ، ولذلك كانوا يبحثون بكل ما لديهم من عزم عن المواد التي كانت لازمة لصناعاتهم في موطنهم الجديد ، ولا بد أنهم قد بحثوا عن المواد والطرق ومنتجات العمال المحليين تمهيدا للبدء في عملهم . ولا نزاع في أن الصناعات المحلية كانت بطبيعة الحال بدائية جداً بالنسبة لما كان يوجد في مصر ، ولكن لا بد أن الفخار ذا القمة السوداء والفخار الأحمر المصقول وهما اللذان يؤلفان أهم صفة للجموعة الفخارية الأثرية النوبية ، قد احتل مكانه في الذوق المصري ، ويظهر أنه قد ترك أثراً في أعمال المصريين هناك أكثر من أي عنصر آخر من عناصر الصناعات المحلية المجاورة . والواقع أن الصناع المصريين الذين استوطنوا هذه الجهة قد أخذوا هذه الصناعة المحلية واستعملوا في صنعها عجلة صنع الفخار ، هذا بالإضافة إلى المهارة المصرية ، ومن ذلك أوجدوا مجموعة من الفخار لا مثيل لها في العهود القديمة قبل استعمال الاغريق العجينة اللطيفة في صناعة الفخار . وكذلك قد أخذ المصريون عن أهل هذه الجهات حرفة أخرى أو حرفتين وأعنى بذلك صناعة الجلود والتطعيم بحجر الميكا ، غير أن هاتين الصناعتين لم تتقدما تقدما يذكر إذا استثنينا تطبيق الأشكال المصرية في الحليبات التي عملت من الميكا . وعلى الرغم من أن الصناعات المصرية كانت متمسكة بكل قوة بالتقاليد المصرية فإنها قد تأثرت بالمواد الجديدة التي كان يستعملها العمال المصريون . هذا بالإضافة إلى الالتزامات الجديدة التي كانت تتطلبها البيئة الجديدة ، وهذه الالتزامات الجديدة كانت ترجع أولاً إلى إدخال عادات دفن جديدة مثل وضع المتوفى على سرير ، وثانياً أحوال الجو الجديدة كعمل صهاريج ماء وأوان للشرب وأحذية ، وثالثاً حاجيات التجارة الجنوبية ، وبخاصة الخرز المطلي وزيه مما كان يحتاج إليه أهل هذه الجهة .

المستودع التجارى الذى أقيم فى « كرمه »

تحدثنا فيما سبق عن جبانات « كرمه » وعن الأشياء التى عثر عليها فى مقابرها مما وضع أمامنا صورة عن الثقافة التى كانت سائدة فى هذا العهد .

والآن نتحدث عن المستودع التجارى الذى وجد فى هذه الجهة ويقع على مسافة كيلومترين من شاطئ النيل وعلى مسيرة خمسة كيلومترات من « جزيرة أرقو » ويتألف من مبنى فى صورة مستطيل مقام باللبنات وقد أقيم فى الجهة الشرقية مبنى آخر بنى بنفس الطريقة ويعد فى الواقع امتدادا للمبنى السابق فى حين أنه يوجد فى الجهة الغربية من هذا المبنى مجموعة مبان مركبة أقيمت أمام الجهة التى فيها المدخل العام .

وتدل شواهد الأحوال على أن المبنى الأصيل قد بنى على حسب مقاييس الأبعاد المصرية فطوله يبلغ ٥٢,٥ مترا وهو ما يساوى مائة ذراع مصرى وعرضه ٢٦,٧ مترا وهو ما يساوى خمسين ذراعا مصرى ، يضاف إلى ذلك أن صناعة اللبنات التى بنى بها تختلف عن اللبنات المصرية العادية . ويلاحظ فى هذه المباني أنه قد استعملت كتل من الخشب فى صلب المباني لتقويتها ، هذا إلى أن مقاس اللبنات وتنظيمها فى الجدران يتفق مع ما هو معروف فى المباني المصرية فى هذا العهد .

وكان ارتفاع هذا المبنى ١٩,٣ مترا عند الكشف عنه . والدور العلوى الذى كان مخصصا للسكن والمؤن قد هدم ، وكذلك المبنى الإضافى الذى فى الجهة الشرقية فقد كان ارتفاعه مثل ارتفاع المبنى الأصيل ، ولم يبق منه إلا الجزء السفلى (انظر الشكل رقم ١) .

ويدل ما عثر عليه فى هذا المبنى من مواد غفل وأوان مثل السلالات والأوعية المصنوعة من الفخار الكبيرة العدد المختومة ، على أن هذه المؤسسة كانت مركزاً تجارياً

هاما وقد يكون خلو المبنى الرئيسى من طوابع أختام كالتى وجدت فى الحجرتين الثالثة والرابعة من المبنى الغربى جاء من طريق الصدفة ، ومع ذلك فإن الدكتور « ريزنر » يؤكد أن الحجرتين الأولى والثانية (١ ، ب) وهما اللتان يفتح بابهما إلى خارج المبنى هما متجبران لا مكانان للسكن ، ومع ذلك يمكن أن نعد الحجرة الأولى مقصورة للعبادة إذ أنها بما تحتويه من عمد فى وسطها تشبه المقصورتين أو المزارين رقم ٢ ورقم ١١ اللتين عثر عليهما فى هذه الجبانة الشاسعة^(١١) .

ومن البدهى أن المبنى الرئيسى قبل زيادة أية إضافة فيه كان يعد نوعا من الحصون أو مستودعا تجاريا محصنا تخزن فيه السلع ، وكان يسكن فيه المصريون الذين كانوا يشتغلون فى التجارة مع أهالى الجنوب ، وذلك لحماية أنفسهم من غارات السطو والنهب التى كانت تتعرض لها مثل هذه الأماكن الغنية بما فيها من مواد ثمينة . ويستنبط من موقع هذه المؤسسة فى الوادى أنها كانت لأول وهلة تشبه حصون بلاد النوبة السفلى التى تقع فى الوديان . غير أن الأخيرة كانت تقع فى أسفل النهر الذى كان يسيطر المصرى هناك عليه ، يضاف إلى ذلك أن عدم انتظام تصميم هذه المؤسسة جعلها تشبه حصن ميناء نهري ، غير أن الأحوال فى السودان تختلف اختلافا تاما فقد رأينا على حسب ما جاء فى لوحة الحدود التى أقامها « سنوسرت الثالث » تجارة نهريّة وطنية ، كما رأينا فضلا عن ذلك أن المصرى لم يكن فى مقدوره قط أن يسيطر على النهر سيطرة تامة ، إذ كان مضطرا أحيانا أن يواجه حملات بأسطوله جنوبى « سمنه » على أعدائه المغيرين . ومن أجل ذلك لم يكن هذا المخزن مقاما أسفل النهر ، ولذلك كان وضعه فى الأرض المكشوفة رهنا بالوضع الذى يكون فيه بيوت السكان ، ومن ثم كان لابد من انتخاب نقطة قوية يمكن حمايتها من كل جانب . وهذه الحصون تشبه فى الواقع الحصون الجبلية التى كانت تقام عند « الشلال الثانى » ، فكان يقام طوار ضخيم تحت الحصن وبذلك كان ينال هذا الحصن نفس المنية

التي يتمتع بها الحصن الجبلى . والواقع أن المبنى الأساسى فى « كرمه » كان يشبه حصناً جبلياً مقاماً على جبل صناعى . وكان فى مقدور مثل هذا البناء الضخم أن يقاوم أكثر من السور الذى يقام حول الميناء النهرية فى بلاد النوبة السفلى .

ويقول الأستاذ « ينكر^(١) » إنه استناداً إلى براهين مقنعة نفهم أن هذه المؤسسة لا يمكن أن تكون حصناً مصرياً يستطيع به المصريون أن يسيطروا على الأراضى التى حوله ويبتزون المحاصيل التى يحتاجون إليها بمثابة جزية ، وذلك لأن حجم هذا المبنى الصغير نسبياً ، إذا فرضنا أنه حصن ، لا يتسع لأكثر من خمسين إلى مائة رجل ، يضاف إلى ذلك أن أفرادها تماماً يؤكد عدم صلاحيتها لأن تكون حصناً . حقاً نعرف أنه فى القرن التاسع عشر بعد الميلاد كانت توجد حاميات عربية صغيرة فى داخل أفريقيا يمكن بوضعها أن تسيطر على بقعة كبيرة من الأرض ، ولكن الفضل فى إمكان قيامها بمثل هذه الوظيفة يرجع إلى حسن تسليح رجالها بالأسلحة النارية الحديثة . وعلى العكس تدل الآثار المكشوفة فى جبهات القوم من الوطنيين فى « كرمه » على أنهم كانوا قوماً مسالمين يتبادلون التجارة بين مصر وبلاد السودان كما سنرى بعد .

وكذلك نجد فى المبنى الشرقى لهذه المؤسسة نفس التصميم الذى قام عليه البناء الأصيل إذ بواسطة المسطح الذى يشتمله الطابق العلوى يمكن توسيع إمكانية الدفاع عند الهجوم وذلك لأنه كان فى الإمكان وضع حامية كبيرة عليه .

أما البابان الخاصان بالمجرتين (أ و ب) وهما اللذان يظهر أنهما لا علاقة لهما مباشرة بالدور العلوى فإنهما لا يؤثران بأية حال على نظام الدفاع لأن الرماية من الشرفات التى فوق الباب تهيئ للرمى مكاناً فسيحاً أكثر مما يتصور . أما مجموعة المباني المقامة فى الجهة الغربية للمؤسسة وهى التى تتألف من عدة حجرات فإنها تؤدي على العكس

بما فيها من زوايا مينة إلى ضعف بين في نظام الدفاع وعلى ذلك تكون في تصميمها مضادة لتصميم البناء الأصلي ، ومن ثم فإنه يلوح أن هذه المجموعة قد أنشئت في وقت كانت فيه الأحوال هادئة موطدة الأركان ، والعناية بشئون الدفاع الفنى لم يكن لها الاعتبار الأول عند إقامتها ، يضاف إلى ذلك أن الأرض المكشوفة التى تحيط بهذه المؤسسة وما جاورها من المباني لم تكن بأية حال من الأحوال محاطة بسور حام لها .

وعلى الرغم من أن التاريخ النسبي للأجزاء المختلفة لهذه المؤسسة قد عرف على وجه التقريب ، وأن البناء الشرقى أقدم من الجزء الرئيسى من المجموعة التى فى الغرب ، فإن التاريخ المؤكد للبناء كله لم يمكن الوصول إليه بعد .

وقد وجدت تحت المبنى الأصلي جدران أقدم منه كما وجدت بعض أجزاء مبان فى مجموعة من المباني الغربية أقدم من المبنى القديم وقد نسب الأستاذ « ريزنر » هذه المباني إلى الدولة القديمة وحدد ذلك ببعض آثار وجدت هناك بأنها من الأسرة السادسة . وقد وصف لنا « ريزنر » حالة الطبقات والأساس لهذا المكان فيما يأتى :

« وكما ذكرنا فيما سبق كانت توجد ثلاث طبقات من الردم أولا طبقة علوية من الردم الحشن مؤلفة بوجه خاص من آجر مفتت ، وثانيا طبقة من الردم الدقيق المفكك تملأ الجدران ، وثالثا بقايا ردم قديم متماسك كان تحت الأرضية يرجع إلى عهود مختلفة . ففى الردم الحشن لم توجد آثار تقريبا إلا بعض قطع من الفخار بعضها داخل فى تركيب اللبنة . وقد وجد فى الردم المفكك معظم الأشياء التى استخرجت من هذه البقعة . وهذا الردم معظمه أترية جلبتها الرياح ولبنة متحللة من عصور مختلفة جدا . ففى الحجرات التى تقع شمال العقد لم توجد إلا قطع من الفخار أو من أوانى الفخار المطلق بالقاشاني^(١) . هذا إلى أشياء أخرى ليس لها أهمية فاصلة . ووجد جنوب عقد المبنى فى الردم الذى كان فى الجدران القديمة سلسلة من القطع

الأثرية على جانب عظيم من الأهمية ، أهمها قطع كثيرة من المرمر الخاصة بالعطور ذات الشكل الأسطوانى وهى التى كانت شائعة الانتشار فى الدولة القديمة ، ووجد منها منقوشا على أقل تقدير خمس وعشرون آنية مختلفة باسم الملك « بيبي الأول » ؛ ولكن أسماء الملوك « رع نفركا » (بيبي الثانى) و « امنمحات الأول » و « سنوسرت الأول » ذكر كل منهم مرة واحدة . وكذلك اسم الملك « مرنرع » ذكر على قطعة من نفس طراز الأوانى التى وجدت فى المبنى رقم ٢ (KII) . وهذه القطع بوجه خاص فى الحجرة (H5) ، ولكن وجدت كذلك فى الحجرة (X 1-3) . وهذه الأشياء كانت على ما يظهر مما لدينا من أدلة قد أودعت هنا مع الردم قبل إقامة « الدفوفة » . وكانت موجودة تحت سفح السلم الخارجى للعقد فى أسفل . وكانت بلا نزاع تحت المستوى الذى تتطلبه رقعتا الحجرتين (H, X) . ومن الممكن إذاً أن تكون قد أقيمت مع أشياء أخرى فى أثناء حفر جدران « الدفوفة » ، فإذا كان هذا الفرض صحيحا — وإنى أعتقد بصحته — فإن امتداد زمن القطع المؤرخة يدل على أن « الدفوفة » كانت قد أقيمت بعد بداية حكم « سنوسرت الأول » ، ودفنت فيما بعد فى جبانة « زفاى حمى » (KIII) ، وعلى ذلك يمكن أن تكون المدة التى مكثها البناء القديم على هذا الموقع تمتد من عهد « بيبي الأول » حتى عهد « سنوسرت الأول » .

ولكن مما يؤسف له أن الأستاذ « ريزنر » لم يقدم لنا أى صورة تخطيطية عن هذه الطبقات والجدران التى تحدث لنا عنها مما جعل التاريخ النسبى للأجزاء المختلفة لهذا البناء لا يمكن ضبطه ، كما ترك لنا حالة الأساس غير ظاهرة بالنسبة لقطع المرمر . وقد دل البحث على أن وجود قطع المرمر السالفة الذكر لا يمكن اتخاذها معيارا لوجود مبان قديمة من عهد الدولة القديمة^(١) .

وعلى ذلك فإن ما وجد من آثار فى عهد الدولة القديمة فى « إكرمه » وما وجد

من مخازن عهد الدولة الوسطى لا بد أن يبقى موضع الشك إذا كان لنا الحق في أن نسلم بأنه وجد في عهد الدولة القديمة مستودع تجارى في « كرمه » . على أنه من الممكن بدون شك أن تكون هذه الأواني قد جلبت أولا في عهد الدولة الوسطى إلى « كرمه » ، مما يدل على أن استعمال الأواني القديمة كان مستعملا في الجنوب كما كان مستعملا في شمال الوادى^(١) ، فنجد مثلا في مخزن الأواني الذى وجد في هرم « زوسر » أواني من الحجر من عهد الأسرتين الأولى والثانية^(٢) .

وكذلك وجدت آنية من الحجر في مخزن من عهد الأسرة الثامنة عشرة في « تل العمارنة »^(٣) . وفضلا عن ذلك وجد في « كريت » وكذلك في بلاد اليونان نفسها أوان من الحجر مصرية الصنع ، وبخاصة في المقابر الكريتية — أقدم بكثير من عهد استعمالها في هذه الجهات — ولا بد أنها على الأرجح قد أحضرت من مصر قبل زمن استعمالها .

ومن الممكن أن تكون هذه الأواني المصنوعة من المرمر التى أتت بها إلى « كرمه » قد جلبت في زمن كان استعمالها في مصر قد انقضى ولم تكن من جهة نقوشها من حيث الاستعمال أو بوصفها أواني جنازية ذات ميزة خاصة . وقد وصلت بواسطة تبادل التجارة مع أهالى الجنوب لتستعمل هناك . وقد صر « ريزنر » على قطع مؤرخة بعهد الدولة القديمة في المزار أو المقصورة رقم ٢ الخاصة ببجانة الأهالى في « كرمه » .

وعلى أية حال فإن التاريخ الأصيل لإقامة المستودع التجارى السالف الذكر غير مؤكد ، غير أنها على ما يظهر ترجع إلى عهد بداية الأسرة الثانية عشرة . ولا ينبغي أن نبني السبب في ذلك على قطع المرمر التى وجدناها في « الدفوفة » باسمى

(١) راجع Reisner, A.Z., 52 p. 34 ff.

(٢) راجع Firth, The Step Pyramid (1936) p. 120-123, 136 f. Pl. 88 ff.; 105

(٣) راجع Pendlebury, Aegyptiaca (Cambridge, 1930), p. 3 Note 6

الملك « امنمحات الأول » و « سنوسرت الأول » بل يحتمل أن نضم إلى ذلك مائدة القربان التي وجدت باسم الملك « سنوسرت الأول » في « جزيرة أرقو » . وهذه المائدة قد وجدت مبنية في بيت في هذه الجزيرة وهي موجودة الآن في متحف المديرية في « صروي » . ويقول « ريزنر » إن هذا الأثر يحتمل أنه أتى من « كرمه » أو « كاوا » ولكن في الغالب من « جزيرة أرقو »^(١) . هذا وقد وجد فضلا عن ذلك في مقبرة « زفاى حعبى » (KIII) تمثال هذا الأمير بالجسم الطبيعى وكذلك تمثال زوجته ، ويدل وجود لوحة في مقصورة « كرمه » رقم ٢ (KII) باسم « انتف » على احتمال إقامة مؤسسة في عهد « امنمحات الأول » أو « امنمحات الثانى » .

وتدل القطع الأثرية الأخرى المؤرخة التي وجدت في المستودع التجارى (مثل طوابع الأختام التي وجدت في المبنى الشرقى من هذه المؤسسة) بوجه التأكيد على استمرار وجود هذا المستودع حتى عهد الهكسوس . فنجد فضلا عن طوابع أختام عديدة ذات طراز خاص بهذا العصر أسماء الملوك الآتية :

- (١) ابن رع « أببى » = « أبو فيس » .
- (٢) ابن رع « ششى » .
- (٣) الآله الطيب « ماعت أب رع » .
- (٤) الآله الطيب (؟) « سخمن رع » .
- (٥) الزوجة الملكية العظيمة صاحبة التاج الأبيض « إننى » .

فيينا نجد أن الملكة « أننى » يرجع عهداها على الأرجح إلى الأسرة الثالثة عشرة إذ نجد أن الملوك الآخرين الذين حددنا أسماءهم هنا جميعا يرجع تاريخهم إلى عهد الهكسوس ، ولاشك في أن ذلك كان حوالى العهد الذى قوى فيه نفوذ الهكسوس في الوجه القبلى ولم تكن معارضة الأسرة السابعة عشرة وسالفتها قد بدأت بعد^(٢) .

(١) كما يزعم « ريزنر » راجع Kerna, II, p. 545

(٢) راجع Save-Soderbergh, Ibid., p. 109

وتدل شواهد الأحوال على أن مؤسسة « كرمه » (المستودع) قد امتد زمنها حتى بداية الدولة الحديثة إلى أن خربها حريق ، ويحتمل أن ذلك كان في عهد الاضطرابات في نهاية عهد الهكسوس في وقت لم يكن المصريون في مركز يؤهلهم للتجارة مع الجنوب .

وقد وجدت جبانات ضخمة بالقرب من هذه المؤسسة وهي كما ذكرنا من قبل تقع على مسافة ثلاثة كيلومترات شرق مستودع التجارة وتشمل عدة مقابر مستديرة على هيئة تل بعضها كبير والآخر صغير كما تحتوي على مزارين مستطيلي الشكل وهما « كرمه » رقم (١) و « كرمه » رقم (٢) (KI, KII) وحجرات هذين المزارين مزينة بالرسوم وبالأعمدة المقامة في وسطها .

ولانزاع في أن هذه الأكوام المستديرة الشكل هي مقابر السكان الأصليين ، غير أن ما وجد فيها من كتابات لا يمكن به معرفة أسماء أصحابها . وقد برهن الأستاذ « ينكر » على أنها مقابر الأهالي كما اعترف بذلك « ريزنر » .

وقد تحدثنا من قبل عن هذه المدينة ولكن يجب أن نلاحظ هنا أن ما وجد فيها هو في أساسه وطني غير أنه تأثر تأثراً عظيماً بالثقافة المصرية . ويدل ما في هذه الجبانات الضخمة من الانتاج الصناعي القومي وبخاصة الخناجر ذات الشكل الخاص على أن أصحابها كانوا قوما محاربين .

وقد رتب « ريزنر » الجبانات العظيمة التي في منطقة « كرمه » ترتيباً تاريخياً نسبياً فوضعها على حسب قدمها بالترتيب التالي : ٣ و ٤ و ١٦ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ ، وإذا كان هذا الترتيب صحيحاً كما يدعى فإن هناك أسباباً تدعو للشك فيه ، وذلك لأنه اتخذ أساساً لاستنباطه آثاراً تحوم حول تاريخها الشكوك . وسنورد فيما يلي النقوش التي استند إليها « ريزنر » في تحديد تواريخ هذه الجبانات وما جاء عنها من اعتراضات : فاستمع

(١) راجع Knbanieh Nord, p. 19 ff. ; Tell-el-Yahudiya-Vasen, p. 95 ff. Steindorff

Aniba, I, 12 ; Kees, Ibid., p. 348, Scharff in OLZ. 29, 89 ff

لما يقول^(١): « لقد عانيت صعوبات كبيرة في وضع ترتيب تاريخي لهذه الأكوام العظيمة على أسس أثرية وذلك لأن الأشياء المكتوبة كان معظمها في حالة تمزق ، ووجدت كلها في الردم وليست في أماكنها الأصلية » ثم يستطرد فيقول إنه « لا يشك في أن هذه النقوش بسبب ما قدمه من براهين في الفصول الخاصة بقطع النحت وبالمباني المنفصلة والحيوانات الكومية الشكل قد وجدت تقريبا في الأماكن التي توه عن وجودها فيها . والنقوش التي وجد فيها إشارة عن تاريخها هي كما يأتي :

(١) تمثالان بالججم الطبيعي للآمير « زفاى حعبى » وقد وجدا في الجبانة رقم ٣ والتمثال الأخير يرجح أنه وجد في مكانه الأصلي تقريبا وقد عرف « زفاى حعبى » من ألقابه ومن اسمى زوجه وأمه والدعاء للآله « أنوبيس » رب « أسيوط » ونفس « زفاى حعبى » الذى يوجد قبره في « أسيوط » قد وجد اسمه في النقوش التي سجلها الأستاذ « جرانت^(٢) » ونجد في قبره هذا الذى لم يكن قد تم اسما « سنوسرت الأول » على جدرانها و « زفاى حعبى » يقدم أمامها الخضوع . ولا شك في أن « زفاى حعبى » كان عائشا في عهد « سنوسرت الأول » (١٩٨٠ — ١٩٣٥ ق.م) وتدل شواهد الأحوال على أن نقوش القبر الذى في « أسيوط » قد نقش فوق نقوش أخرى أي أنها لم تكن خاصة بالتصميم الأول لتزين القبر بل بالتصميم الثانى وهو الذى "يحتمل" أنه قد نفذ كله أو بعضه على يد كاهن الروح للآمير « زفاى حعبى » بعد موته^(٣) . وليس من السهل لدينا أن نفهم أهمية الاسم الملكى من حيث التاريخ . إذ من الجائز أن الاسم الملكى قد وضع على الجدار بوصفه المنعم العظيم على « زفاى حعبى » حتى ولو بعد موت « سنوسرت الأول » . ومع ذلك فإنه على الرغم من ذلك لا يزال من الحقائق الثابتة أن « زفاى حعبى » كان من أتباع « سنوسرت الأول » . وقد اعتبر هذا الملك بأنه سيده العظيم . هذا وقد يشير إلى تعيين « زفاى حعبى » نائبا

(١) راجع Kerma, I, p. 94 ff.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٧٧ الخ .

للك في بلاد أثيوبيا (كوش) ومن الجائز أن هذا الاعتراف بالجميل قد يرجع سببه إلى خطوات أخرى ناهى في مصر ، وأن التعيين في السودان كان المقصود منه النفي من البلاط وأن الذى أمر بها هو « امنمحات الثانى » . فإذا فرضنا أن تعيين « زفاى حعبى » حاكما « لكوش » قد تم في عهد « سنوسرت الأول » فإن الفرصة المواتية كانت بعد الحملة التأديبية التى وقعت حوالى عام ١٩٦٢ ق.م . وأن الغرض من إرسال حامية مستديمة مع « زفاى حعبى » إلى « كرمه » كان المقصود بها لإنهاء أى ثورة أخرى كما حدث من قبل ، وإذا كان « زفاى حعبى » قد بدأ مجال حياته في « كرمه » عام ١٩٦٠ ق.م . وتمتع بمدة ولاية مثل التى كان يتمتع بها نواب الملوك في الأسرة الثامنة عشرة فيحتمل أنه قد مات حوالى عامى ١٩٤٠ — ١٩٣٠ ق.م . أما إذا كان قد عين في عهد « امنمحات الثانى » فإن أقدم تاريخ لذلك يكون حوالى عام ١٩٣٥ ق.م . ومن المحتمل أن يكون قد حكم في « كرمه » حتى حوالى عام ١٩٠٠ ق.م . وإذا كانت حياته طويلة فوق العادة فيكون قد حكم حتى عام ١٨٨٠ ق.م . وهكذا يظهر لى أن السنتين ١٩٤٠ ق.م . و ١٨٨٠ ق.م . هما الطرفان الممكنان لموت « زفاى حعبى » . والظاهر أنه في زمن ما في خلال السنتين سنة هذه أقيمت الجبانة الكومية الشكل في « كرمه رقم ٣ » ولا بد أن المقصورة « كرمه رقم ٢ » كانت قد بنيت . هذا ما قاله « ريزنر » عن مقبرة « كرمه رقم ٣ » التى يدعى أن « زفاى حعبى » قد دفن فيها ، غير أن هناك اعتراضات على ذلك يظهر منها أن « زفاى حعبى » لم يدفن في هذا القبر إذ قد وجد في هذه المقبرة غير تماثله وتمثال زوجته تماثيل أخرى لموظفين آخرين يحملون أسماء وألقبا عالية من بينهم واحد يلقب أعظم العشرة^(١) للوجه القبلى وآخر يدعى « كن^(٢) » ويلقب المشرف على حملة الأختام ، ولدينا ثالث يحمل لقب حامل الأختام الملكى والمشرف العظيم والمشرف على حملة الأختام « أمينى^(٣) » . ومن المحتمل

(١) راجع Kerma, II, p. 525, Statuette No. 48 Inscr. No. 49 comp. Kerma I, 85, No. 49

(٢) راجع Kerma, II, p. 525, Statuette No. 60

(٣) راجع Kerma, II, p. 525, Statuette No. 55 Inscr. No. 47

أنه كان يتمتع بنفس المرتبة التي كان يتمتع بها « زفاى حمبي » الذي لم يكن يحمل في « كرمه » لقب المشرف العظيم للوجه القبلي . وليس من المرجح أن هذا الموظف قد اشترك في إقامة هذه الجبانة مع « زفاى حمبي » فإن ذلك يكون لو سلمنا بأن حاكم مقاطعة « السكاب » الذي يدعى « سبكنخت » قد دفن في قبر ثانوى في جبانة « كرمه رقم ٣ » لأنه وجد هناك آنية من المرمر باسمه . وهذه التماثيل لا تمدنا إلا بتاريخ العهد الذى عملت فيه . أما المدة التي بين الدفن في جبانة « كرمه رقم ٣ » وفي جبانة « كرمه رقم ١٠ ب » ، وبين إقامة هذه التماثيل فإنه لا يمكن معرفتها على وجه التأكيد إذ من الجائز أن أحد الأهالي قد استعمل تماثيل قديمة لا تمثله ولا تحمل نفس اسمه .

ولأنه لمن الصعب أن نضع فاصلا بين ما هو تابع للدفن الرئيسى وهو ما تؤرخ به الجبانة ، وبين ما هو تابع للدفن الثانوى الذى عمل فيما بعد ، وذلك لأن محتويات الجبانة قد قلبت رأسا على عقب . ولكن عندما نسب « ريزنر » الجمارين التي وجدت في الدهليز الرئيسى لهذه الجبانة (11-63) ، (11-87) للدفنة الرئيسة نتج عن ذلك أن هذه الجبانة قد أصبحت تؤرخ بعصر متأخر عن بداية الدولة المتوسطة ، هذا إذا كانت نسبة هذه الجمارين لهذه الجبانة صحيحة ، وذلك لأنه من شكل النقوش يظهر أن الجمران (11-63) من عهد المكسوس ، وكذلك نلاحظ أن الجمران الثانى (11-87) يدل شكله على أنه من عهد بعد الأسرة الثانية عشرة ، وكذلك نجد أنها ممثلة في طوابع الأختام التي وجدت في « كرمه » للبني رقم (١) كما وجدت في الدفنات الثانوية في جبانة كرمه رقم (٣) ، ونجدها كذلك على ظاهري جمارين مصورة بأشكال كثيرة (راجع 11-74, 11-81, 11-86, 11-89) . وكل هذه الرسوم لا يمكن أن تنسب إلا إلى العهد الذى بعد الأسرة الثانية عشرة .

وكذلك الحال في الجبانة رقم (٤) « بكرمه » يلاحظ أن الجمارين التي وجدت

مع الأجسام في الدهليز الرئيسى وبخاصة الجمران (11-53) لا تكاد تتفق مع استنباط « ريزنر » بالنسبة لتاريخها فقد وضع هذا الجمران الأخير في عهد « امنمحات الرابع » .

وعلى أية حال نرى أن « ريزنر » قد استنبط من الآثار التى عثر عليها في جبانة « كرمه رقم ٣ » (التى دل ما وجد فيها على أنها من طراز يرجع إلى أزمان متأخرة) أنها من عهد أوائل الدولة الوسطى وهذا يناقض ما كشف فيها من آثار ، وعلى ذلك يمكن القول أن جبانة « كرمه رقم ٣ » لا يمكن أن تكون مقبرة « زفاى حمبى » . وهذا يوافق رأى « سيف زودبرج » .

وإذا كانت هذه الآثار والطرز التى نشاهدها في جبانة كرمه رقم ٣ لا يمكن أن تؤرخ بعهد أوائل الأسرة الثانية عشرة فإن وجودها في هذا المكان لابد أن ينسب إلى ما بعد الأسرة الثانية عشرة أو على الأقل إلى نهاية هذه الأسرة . وفضلا عن ذلك وجد في دهليز جبانة « كرمه رقم ٣ » قضيب سحري مصنوع من سن الفيل كتب عليه النقش التالى « الأم الملكية أننى » . ومن المحتمل أنها كانت في الأصل في الدفنة الرئيسية . ونحن من جانبنا نعلم بوجود الأم الملكية التى تدعى « أننى » على بعض الجمارين ، وقد قال عنها « نيوبرى » إنها من العهد المتوسط الثانى وهذا التاريخ يتفق مع تاريخ الجمارين التى وجدت في الدهليز الرئيسى لمقبرة « كرمه رقم ٣ » .

أما الغطاء الذى عثر عليه في جبانة « كرمه رقم ٣ » وهو الذى نقش عليه الاسم الحورى للملك « امنمحات الثالث » ، فتدل كل الاستعمالات المتبعة على أن أصله من مبنى « كرمه رقم ٥ »^(٢) . هذا فضلا عن أن هذا الغطاء لا يمكن أن يعد ضمن أثاث جبانة « كرمه رقم ٣ » .

(١) راجع Kerma, I, 85, II, p. 522

(٢) راجع Reisner, Kerma, II, p. 521

ومن ثم نلاحظ أن هناك أشياء كثيرة ترجح الرأى القائل إن جبانة « كرمه رقم ٣ » وجبانة « كرمه رقم ٤ » لا بد أن تؤرخا بعهد غير العهد الذى اقترحه « ريزنر » . ومن ذلك تكون التماثيل التى وجدت للأمير « زفاى حعبى » وزوجه قد استعملت مرة ثانية فى هذه الجبانة فيما بعد . والآن يتساءل الانسان عما إذا كان « زفاى حعبى » والموظفون الآخرون الذين جاء ذكرهم فى النقوش فى جبانة « كرمه رقم ٣ » كانوا فعلاً يقومون بأعمال إدارية فى « كرمه » . فعلى حسب رأى « ريزنر » نفهم أن كل التماثيل التى وجدت فى « كرمه » مصنوعة من أحجار محلية ، غير أن هذا الرأى يركز فقط على أن الأحجار التى استعملت للحفر موجودة فى هذه الجهة أى أنها أحجار محلية ، غير أن المكان الذى استخرجت منه هذه الأحجار سيظل غير مؤكد لدينا إذ ليس من الثابت لدينا أن نوع الحجر الذى نحن بصددده لم يكن مستعملاً فى مصر وأنه لا يوجد إلا فى « كرمه » .

وإذا كانت التماثيل الصغيرة والكبيرة قد نقلت إلى « كرمه » بوساطة التجارة أو غير ذلك فإن الأشخاص الذين تمثلهم لا يقدمون لنا بدهياً أية صورة عن طائفة الموظفين فى هذه الجهة . أما التماثيل الصغيرة فإنها على العكس من التماثيل الكبيرة الحجم يمكن حملها ونقلها بسهولة .

وتشمل النقوش عدا لوحة « انتف » التى عثر عليها فى مبنى « كرمه رقم ٢ » صيغة جنازية وألقاباً بعضها لا يدل على شئ ، وبعضها له اتصال بعلاقات مصرية داخلية مباشرة . هذا ونجد أن لقب « الرئيس العظيم للجنوب » الذى يحمله « زفاى حعبى » لا يكاد يعادل لقب حاكم ، ولكنه من المؤكد يحمل نفس المعنى الذى نجده فى لقبه « المشرف على الوجه القبلى » وهو اللقب الذى نجده فى نقوشه التى تركها لنا فى مقبرته « بأسبوط » . يضاف إلى ذلك أننا لا نجد فى نقوش « أسبوط » هذه ما يدل على أن « زفاى حعبى » كان يعمل خارج بلاد مصر أى فى بلاد « كوش » .

(٢) ينتقل بعد ذلك « ريزنر » إلى التحدث عن لوحة « انتف » فيقول :
« وجدت لوحة الأمير الوراثي والمشرف على الخاتم « انتف » مهشمة ثلاث قطع متقاربة في الردم أمام مقصورة « كرمه رقم ٢ » . وقد أرتخت بالسنة الثالثة والثلاثين من عهد « امنمحات الثالث » (١٨١٦ ق . م) وهي تذكر لإصلاح مبنى يدعى « سبت » أى أن تاريخها ما بين ١٢٥٠ و ١٢٥٦ سنة بعد موت « زفاى حبي » ، والظاهر من النقش الذى تركه لنا « انتف » أنه قد أرسل إلى « كرمه » فى حملة موفقة ، ولكنه يفتخر بأنه قد أرسل بسبب امتياز له لتوسيع حدود الملك وما أوتى من كفاية ، وليس فى مقدورى أن أعرف لماذا أرسل إلى هذا المكان إذا كان هناك فعلا كما فى « كرمه » فلا يتصور أن يرسل إلى هذه الجهة عظيم لمجرد إصلاح مبنى يحتاج إلى عدد قليل من آلاف اللبنات والتفسير الوحيد المقبول فى هذا الصدد على ما يظهر لى هو أن « انتف » كان قد أرسل لإدارة هذا القطر ، وإن هذه اللوحة هى عبارة عن سجل قصير لعمل من الأعمال ، وقد نصبت فى هذا المكان حيث نفذ هذا العمل ، وإنى أعتقد إذاً أن « انتف » كان أحد نواب الملك العاملين فى « كرمه » وكان يقوم بعمله فى العام الثالث والثلاثين من حكم « امنمحات الثالث » ما بين ١٨١٦ ق . م . وبين ١٨٨٠ ق . م . وهو آخر تاريخ ممكن لعهد ولاية « زفاى حبي » وهى مدة قدرها أربع وستون سنة ، ولا بد أن نفرض لهذه المدة حاكماً لم يكن مدفوناً فى « كرمه » أما من جهة « أنتف » نفسه فإنه على الرغم من تحديد تاريخ لعهد فى « كرمه » فإن هذه الحادثة يمكن أن تكون قد حدثت بين عامى ١٨١٦ و ١٧٥٠ ق . م . وإن كان من المحتمل أن التاريخ الأخير مبالغ فيه بعض الشيء . والنقش يقدم لنا نقطة أخرى فى اسم المؤسسة « انبو امنمحات (جدار امنمحات) صادق القول » ، وذلك أن هذا المكان قد سمي باسم فرد يدعى « امنمحات » كان قد مات ، وعلى ذلك فإنه ليس « امنمحات الثالث » الذى عمل فى عهد النقش لأن النقش على الأرجح جداً بطبيعة الحال كان ينسب إلى « امنمحات الأول » ، وعلى ذلك فإن تأسيس هذه النقطة العسكرية فى « كرمه » لابد أن ينسب إلى عهده . وقد أخضع « امنمحات الأول »

ثورة كوشية في عام ١٩٧١ ق م . خير أن ابنه « سنوسرت الأول » كان مضطراً لإنقاذ ثورة أخرى في عام ١٩٦٢ ق م . أى بعد تسع سنوات من الثورة الأولى . وكان المركز الإدارى المحصن الذى تمثله « الدفوفه الغربيه » قد أقيم إما في نهاية عهد « سنوسرت الأول » أو في أوائل عهد « امنمحات الثانى » وكانت الجبانة العظيمة التى تعد المركز الهام لدفن المجتمع هناك قد بدئت على قدر ما يمكن معرفته الآن بالأمير « زفای حعبى » عند نهاية حكم « سنوسرت الأول » تقريباً أو في عهد « امنمحات الثانى » . والظاهر أن المؤسسة « انبو امنمحات » إذا كانت قد أسست في عهد « امنمحات الأول » لم تكن في عهده إلا بمثابة نقطة تجارة كما كانت عليه في عهد « بيبي الثانى » ، ولذلك فإن اسم « جدار امنمحات » يظهر ضخماً أكثر من اللازم إلا إذا كان هناك جدار شاسع محيط كان قد هدم تماماً ، وعلى ذلك لا يمكن حل هذه المسألة بما لدينا من مادة محفوظة كشف عنها ، فالجبانة كما وجدناها لا يرجع تاريخها إلى أكثر من عهد « سنوسرت الأول » وعلى ذلك فإنه لا بد أن نفكر في المقترح القائل بأن اسم « انبو امنمحات » يشير إلى « امنمحات الثانى » ، وأن « زفای حعبى » قد أرسله الملك إلى « كرمه » وأنه هو المؤسس لحامية « كرمه » وهذا المقترح إذا كان صحيحاً فإنه يجعل موت « زفای حعبى » حوالى عام ١٨٨٠ ق م . أكثر من التاريخ الذى حدد لموته فيما سبق ، هذا ما علق به الأستاذ « ريزنر » على لوحة « انتف » والآن يجب علينا قبل مناقشة كلامه أن نضع ترجمة لهذه اللوحة فيما يلى :

« السنة الثالثة والثلاثون الشهر الأول من فصل الصيف اليوم الأول في عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نى ماعت رع » بن « رع » « امنمحات (الثالث) » العائش أبدياً ، قائمة اللبئات اللازمة للبنى « سنبت » الذى يقع في « انبو امنمحات المرحوم » وهى التى استعملت بنشاط الأمير والسمير الوحيد الذى بعثه سيده لأنه كان ممتازاً — لتثبيت حدوده بما لديه من تصميمات ممتازة ، المشرف على الخاتم « انتف »

ابن « شم اب » عندما كان مع جنود الحدود الخاصة « بالفتين »^(١) . (عدد اللبئات) ٣٥٣٠٠ (أو ٣١,٣٠٥) « .

وعلى الرغم من أن المنتظر أن ذكر جنود الحدود في « الفتين » وكذلك العبارة : « لأنه كان ممتازاً لتثبيت حدوده (أى الملك) » يكون مصدره نقشاً من « الفتين » أكثر من نقش مصدره « كرمه » ، فإن شواهد الأحوال تدل على أن مصدره كان « كرمه » . ومن المحتمل أن النشاط البنائى المذكور فى هذه اللوحة كما يقول « ريزنر » قد يدل على إصلاح فى مبنى « كرمه رقم ٢ » . وكلمة « سنبت » معناها العام « جدار » ولا تعنى أية محطة معينة . غير أن عدد اللبئات يتفق مع عمل إصلاح حدث فعلاً فى مبنى « كرمه رقم ٢ » ، وفى الوقت نفسه فإنه يعتبر عدداً ضئيلاً جداً لإقامة مبنى فى « كرمه رقم ٢ » أو « كرمه رقم ١ » . ويطلق الاسم « لانبو أممحات المرحوم » على المستودع التجارى « بكرمه » أو على المستعمرة المرتبطة بها (أى كرمه نفسها)^(٢) ، هذا إلى أن تكوين الاسم نفسه يدل على أنها قد أقيمت فى عهد ملك مبكر يدعى « أممحات » ويحتمل أنه « أممحات » الأول أو الثانى ولذلك سميت باسمه . أما الأستاذ « ينكر » فيسلم بأن مبنى « كرمه رقم ٢ » وكذلك المؤسسة الكبيرة « كرمه رقم ١ » قد أقامهما « أممحات الثالث » غير أن الممتون التى لدينا لا تعضد هذا رأى ، ومع ذلك فإنه قد يكون على حق ، وذلك لأنه من المحتمل أن « كرمه رقم ١ » المتأخرة قد أقيمت فى عهد ذلك الفرعون فى حين أن المباني القديمة فى « الدفوفة » قد أقيمت فى بداية عهد الدولة المتوسطة . وهذا رأى يمكن الأخذ به مادامت المآخذ الأثرية تعوزنا . وتؤكد لنا الممتون على أن الوكالة كانت تقوم بنشاط فى عهد حكم الإمبراطورية ، وهذا ما تدل عليه كل الأحوال فى عهد الدولة الوسطى .

(١) راجع Scharff in OLZ, 29, p. 96 f ; Kees, Kulturgesch., p. 348

(٢) راجع J.E.A., Vol. 3, p. 187 note 1

(٣) راجع Tell-el-Yahudiya Vasen, p. 102

وتدل صفة هذه المؤسسة المحصنة التي تعد بمثابة مستودع تجارى لا حصن ، كما يدل ما نجده من مظاهر النعيم والرخاء في مقابر القوم في هذا العهد ، على أن المصرى كان يعيش هنا بوصفه تاجراً مسالماً ، وأنه كان يستغل السكان الأصليين في تجارته . ولم تنتشر المقابر المتأخرة عن عصر ثقافة « كرمه » بعد ، غير أنه من المادة التي انتشرت حتى الآن من جبانة « كرمه رقم ٣ » نعلم أن تدهوراً حدث في فن بناء المقابر الكومية الشكل وكذلك في الصناعات اليدوية ^(١) .

وبازدياد الصعوبات في العهد المتوسط الثانى من التاريخ المصرى في وجه التجارة مع الجنوب ظهر أمامنا كذلك حالة فقر الأهالي في « كرمه » نتيجة لذلك .

(٣) ويستمر « ريزنر » في تعداد الآثار التي وجدت من هذا العصر فيقول : « عثر على لوحة في هيئة خاتم في « كرمه رقم ٤٠٥ » وهو مدفن من أهم المدافن الثلاثة في جبانة « كرمه رقم ٤ » وهو على ما يظهر أحد المدافن المبكرة في هذه الجبانة . ويرى « ريزنر » أن العلامات الهيروغليفية التي على هذا الخاتم هي الاسم الحورى للملك « امنمحات الرابع » وهذا الخاتم كان متأكلاً ويبرهن على أن الدفنة (K 405) كانت قد حفرت بعد بداية حكم « امنمحات الرابع » ، ولكن هذه المدة لا تتجاوز عشر سنين من غير شك ، وعلى ذلك يمكننا أن نضع حداً لتاريخ معقول وهو ما بين ١٨٠٠ ق . م . و ١٧٩٠ ق . م . للعهد الذي يمكن أن يكون قد توفى فيه الموظف الذي دفن في الجبانة (KIV) . ويلاحظ أن هذا التاريخ يفتح أمامنا إمكانية أن « أنتف » صاحب اللوحة الذي أصنع مبنى « كرمه رقم ٢ » قد دفن في نفس المقبرة (KIV) . والقاب الموظف الذي دفن في (KIV) كما وصلت إلينا من قطعة من تمثال صغير نسبته إليه هي : الأمير الوراثى والحاكم . . . في حين أن « أنتف » كان يلقب على اللوحة « المشرف على الخاتم » ولكن يلحظ أن اللوحة

(١) راجع Kerma, I, 95 ; II, p. 13 ff.

(٢) راجع Kerma, I, p. 100

صغيرة جداً وكان الكاتب مضطراً بمقتضى المساحة التي أمامه أن يختصر في الألقاب، فمن الممكن إذاً أنه كان يحمل ألقاب صاحب التمثال الصغير وغيرها . وفضلاً عن ذلك يمكن أن يحمل التمثال اللقب الذي على اللوحة وألقاباً أخرى هشت . وأخيراً يمكن أن نضيف هنا أن « أنتف » قد أتى إلى « كرمه » إما في سنة ١٨١٦ ق . م . أو قبلها وهو يحمل لقب « المشرف على الخاتم » ومن الممكن أنه كان قد أحرز ألقاباً أخرى بين هذا الوقت والتاريخ الذي دفن فيه إذاً كان فعلاً قد دفن في هذه الجبابة .

والواقع أن قراءة الاسم الحورى بوصفه للملك « امنمحات الرابع » فيه شك وبخاصة أن هذا الخاتم لا يحمل على ظهره الإطار العادي والرسم الذي على ظاهر الخاتم على أنه من عهد متأخر^(١) وعلى ذلك فإن كل مقترحات الأستاذ « ريزنر » تتلشى من حيث التاريخ بهذا الخاتم .

(٤) ثم يقول « ريزنر » : « عثر على تمثال صغير للملك يدعى « سنخم رع خوتا وى » في دهليز التضحية للمقبرة (KXB) في الردم في غربى حجرة الدفن الرئيسية ، وكذلك عثر على قطع من تمثال أصغر بكثير من السابق وعلى تمثال الملك « سنوسرت الثالث » على سطح الردم على الجانب الجنوبى للمقبرة الكومية . وتوحيد هذا التمثال بالملك « سنوسرت الثالث » يتوقف على سطر من النقوش جاء فيه : الإله الطيب « خع . . . رع » وعلى رأس تمثال يظهر من ملامحه أنه « لسنوسرت الثالث » كما يدل على ذلك تماثله في مصر ويظهر لي ذلك مؤكداً . والعلاقات بين قطع هذا التمثال الصغير والدفنة الرئيسية ليست واضحة . ولكن يمكن أن تعتبر هذه مثل القطع التي وجدت في المقبرتين رقم ٣ و ٤ في « كرمه » وعلى ذلك فلنأتى أنسبها بالإضافة إلى تمثال « سنخم رع خوتا وى » للدفنة الرئيسية في الجبابة (K.X.) . وعلى حسب ورقة « تورين » يعتبر « سنخم رع خوتا وى » الملك الخامس عشر في الأسرة الثالثة عشرة ، وعلى حسب تاريخ هذه الأسرة العام يكون حكمه حوالى عام ١٧٣٠ ق . م تقريباً ، وعلى وجه التقريب يكون قد حكم بعد

(١) راجع 59 No II, 41 and 40 pl. II, Kerma

«سنومرت الثالث» بقرن . ولما كان تمثاله قد وُضع في حجرة الدفن الرئيسية للمقبرة (K.X.) فإن الرجل الذى دفن هناك لا يمكن أن يكون قد مات قبل حكم «سنخم رع خوتأوى» .
(ه) ويقول «ريزتر»^(١) إنه عثر في المقبرة (KXVI) في ردم حجرة الدفن الرئيسية على قطع كبيرة من إناء قربان كبير مصنوع من المرمر نقش على جزء منها نهاية اسم ملكي «مس» كما عثر على تمثال صغير من الخشب له لباس رأس ملكي وصل ، هذا إلى قطع من تماثيل «لشخصين عاديين» .

وقد قرأ «ريزتر» اسم هذا الملك على أنه «زديومس» غير أن هذه القراءة فيها شك كبير لأن علامة «مس» فيه مهشمة تماماً^(٢) .

ومما سبق نفهم أنه كان يوجد في جهة «كرمه» مستعمرة مصرية قد يجوز أنها ترجع إلى عهد الدولة القديمة ، غير أن قيامها الفعلي كان في عهد الدولة المتوسطة ، وكان الغرض منها قبل كل شيء التجارة بين بلاد «كوش» ومصر ، وتدل شواهد الأحوال على أن هذه التجارة كانت تقوم على مبادئ السلام والمهادنة . والواقع أنه ليس لدينا أية مصادر حتى الآن تدلنا على قيام مشاريع حربية أو على نشوب مواقع مع الأهالي جنوب «سمنه» ، ومن ثم نعرف أن بلاد النوبة السفلى كان يحتلها المصريون احتلالاً عسكرياً ، وأن الأهالي هناك عندما كانوا لا يسامون الخسف ينخضعون تماماً سياسياً لمصر . ولكن من جهة أخرى نجد أن العلاقات بين منطقة «كرمه» ومصر كان قوامها تبادل التجارة السلمى ، وعلى ذلك فإن الصعوبات التى كانت تعترض التجارة المصرية في الجنوب وهى التى انتهى أمرها بسقوط المستودع الذى كان في «كرمه» لم يكن سببها يرجع إلى الأحوال في «كرمه» بل إلى الأحوال في مصر نفسها وفي بلاد النوبة السفلى التى كانت تربط الجهتين إحداهما بالأخرى . إذ في تلك الفترة أخذت مصر في التدهور الذى انتهى بسقوط الدولة الوسطى ثم احتلال الهكسوس للبلاد لمدة طويلة كما سنرى بعد .

(١) راجع Ibid, p. 101

(٢) راجع Ibid, p. 111

العصر المتوسط النوبي الثالث (عصر الهكسوس)

يبتدئ العصر المتوسط النوبي الثالث بالأسرة الثالثة عشرة وهو عصر نهوض جديد ثم انحطاط تدريجي لمجموعة ثقافة C .

والأماكن التي وجدت فيها آثار تمثل هذا العصر غير الجبانات التي ذكرناها فيما قبل هي جبانة الشلال رقم ٧^(١) وجبانة « مريس - فرص » ٥٠٠/٤١^(٢) وجبانة « جنارى » ١٠٠/٥٨^(٣) وجبانة « الدكة » رقم ٩٤^(٤) وجبانة « كوبان » رقم ١١٠^(٥) وجبانة « السبالة » رقم ١٣٥^(٦) وجبانة « قرته غرب » رقم ١١٨^(٧) وجبانة « العلاقي غرب » رقم ١١٣^(٨) هذا بالإضافة إلى ما كشف عنه « ينكر » من مقابر في الكوبانية الشمالية وأرمنا وتوشكى .

ويلفت النظر أن الدفن في هذه الجبانات يشبه الدفن في العصر النوبي المتوسط الثانى ويلاحظ كثيراً أنه كانت تقام مزارات من اللبنات في الشرق أو في الجهة الشمالية من البناء العلوى^(٩) . وفضلاً عن ذلك يوجد بناء علوى عظيم ضخيم مستدير مسقف بقبة وله مزار من اللبنات مقام على حافة الجبانة . وتقام غالباً المقابر على رمل عال يكون

(١) راجع Reisner, Ibid, p. 52 ff.

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 224 ff.

(٣) راجع Firth, I, p. 55 ff. وكذلك راجع Toschke, p. 13

(٤) راجع Firth, II, p. 105 ff. و Toschke, p. 12

(٥) راجع Firth III, p. 51

(٦) راجع Firth III, p. 198 ff.

(٧) راجع Firth III, p. 143 ff.

(٨) راجع Firth III, p. 125 ff.

(٩) راجع Steindorff, Aniba I, p. 32 ff.

في العادة فوق مبان قديمة . ووضع الجثة المقرفصة في هذه المقابر لا يتبع قاعدة معينة كما كانت الحال في العهد المتوسط الثاني النوبي ؛ فنجد بجانب الوضع القديم الذي كانت توضع فيه الجثة متجهة من الشرق إلى الغرب الوضع من الشمال إلى الجنوب . وتوضع الجثة على السرير على الجانب الأيسر ، ويلاحظ أن الركبة ليست مطوية تماما بل مطوية بعض الشيء . وغالبا ما يوجد بجانب الجثة حيوانات (ضأن وماعز) مدفونة . وفي كثير من الجبانات توجد قرون منصوبة ملونة باللون الأحمر في الجانب الخارجى للبنى العلوى .

أما القربات التى كانت تدفن مع المتوفى في هذا العهد فكانت تشتمل على أوان عدة من الفخار توضع في حفرة المتوفى (وأحيانا كان يوضع بعضها خارجها) أو كانت تحفظ في المقصورة . وقد بقى كثير من الأشكال القديمة التى كانت تستعمل في مقابر العهد المتوسط الثاني في مقابر العصر الذى نحن بصددده ، غير أن صناعتها قد انحطت والأشكال الجديدة التى ظهرت في هذه المقابر هي أوعية عميقة الغور ذات اللون الأحمر المصقول أو ذات اللون الأحمر والخافة السوداء ، وكذلك من التى على ظاهرها أشكال تخطيطية محفورة^(١) . هذا إلى صحاف محزوزة مكونة من نماذج ملونة ، وقواعد أوان وأباريق على هيئة الزنبق وأطباق ذات أفواه من فخار « كرمه » الجميل .

وأهم ما يلاحظ في أدوات الزينة التى وجدت مع المتوفى أساور المعصم التى نظمت في صفوف على هيئة مستطيلات رقيقة من الألواح الصغيرة المؤلفة من الأصدا ف ..

العصر النوبي الرابع الذى يقابل نهاية عصر الهكسوس وبداية الأسرة الثامنة عشرة :

ومجموعة مقابر هذا العصر تشمل المقابر المستديرة أو القعبية وهى التى توجد في الجزء الجنوبي من الوجه القبلى وتمتد شمالا حتى « أسيوط » . وهذه المقابر لها علاقة وثيقة

(١) راجع Firth II, p. 18, fig. I, classes : XI, XII, pl. 32 b. 1—3 and 35 c, d ; comp.

Toschke II, 14,

بمقابر العصر النوبي الثالث ، غير أنها تقدم لنا مع ذلك خواص كثيرة لها مما يجعلها مميزة عن الأخيرة تماماً بوصفها وحدة منفصلة دخيلة . ولا يمكن أن نحكم على وجه التأكيد عن المكان الذى أتى منه القوم الذين دفنوا فى هذه المقابر المستديرة الشكل ، فمن المحتمل أنهم نوبيون مهاجرون مثل البرابرة الذين يقومون بالخدمة فى البيوتات المصرية الكبيرة الآن لعدم وجود أسباب العيش فى بلادهم الأصلية ، فكانوا يرحلون إلى مصر حيث يجدون العيش الرغد والدخل الكبير بالنسبة لبلادهم . وقد يظن الإنسان أن هؤلاء المهاجرين هم جنود مرتزقة وذلك بسبب وجود بعض الأسلحة معهم وأنهم قد وفدوا إلى مصر فى عهد الهكسوس ليقوموا بخدمة ملوك الوجه القبلى فى عهد الأسرة السابعة عشرة وأقاموا لأنفسهم مستعمرات هناك . والواقع أن الأثرى « وينريت » قد وصف القوم الذين دفنوا فى هذه المقابر المستديرة الشكل بأنهم قوم فلاظ الطبع وبطيعة الحال محاربون^(١) .

ولم نثر على وجه التأكيد فى تربة بلاد النوبة على جبانات تحتوى على مقابر مستديرة الشكل ، وقد نسب خطأ الأستاذ « ويمبول » فى وقت لم تكن الثقافة النوبية القديمة معروفة (١٩٠٦م — ١٩٠٧م) الثقافة القعبية الشكل إلى ثقافة مجموعة C . يضاف إلى ذلك أن الجبانة النوبية رقم ٧ فى « الشلال » والجبانة رقم ١١٠ فى « كوبان » والجبانة رقم ١١٣ فى « العلاقى » لا يزال ينسبها « ينكر »^(٢) إلى ثقافة المقابر القعبية الشكل ، وقد كان أول من وضع الأمور فى نصابها الأثرى « فرث » عندما نسبها بحق إلى ثقافة مجموعة C المتأخرة ، وبذلك قد سقطت كل مقترحات « ينكر » عن أصل وعلاقة المقابر القعبية الشكل بثقافة « كرمه » الوطنية فى « دنقلة » . فيلاحظ لأول وهلة أنه من مميزات الأخيرة ، أى ثقافة « كرمه » ، أن مدافنها على شكل كومة كبيرة كما تمتاز زخرفتها بالميك ، هذا إلى أن التطعيم بسن الفيل نجده معدوماً تماماً فى ودائع

(١) راجع 6 Balabish, p.

(٢) راجع 30 Kubanieh Nord, p.

المقابر القعبية كما أنه غريب عن ثقافة مجموعة C . وعندما نجد المقابر القعبية تقدم لنا أشياء كثيرة لا توجد في معظم مقابر العصر المتوسط النوبي الثالث فإنه يكون من السهل علينا أن نفسر أن الثقافة النوبية بوجه عام ليست من تربة مصرية وأن الأشياء التي أمكن الإنسان أن يحصل عليها هي للقوم الذين ضربوا في الأرض نحو الشمال وبذلك كان لزاما عليهم أن يستبدلوا غيرها بها .

وأهم الأماكن التي وجدت فيها آثار هؤلاء القوم في مصر هي « هو » و « عبادية »^(١) و « ريفه » بالقرب من « أسيوط »^(٢) و « البلابيش » الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل قبالة « العرابة » و « البدارى »^(٣) .

ومقابر هذا العهد مستديرة ومنبسطة واتجاهها من الجنوب إلى الشمال ولا يعلوها بناء آخر ، وقد وجد مع المتوفى أحيانا في جبانات منفردة (كما هي الحال في جبانات العصر النوبي الثالث) قرون نهايتها حمراء والحنة المقرفصة قد وضعت في القبر مضطجعة على الجانب الأيمن والوجه متجه نحو الغرب .

الأثاث الذي كان يوضع مع المتوفى :

وجدت بين الأواني الفخارية التي كانت توضع مع المتوفى في حفرة الدفن خير الأواني النوبية المعروفة أشكال جديدة وزخارف ، وأباريق لها بزائز وصحنون من أواني « كرمه » . أما أدوات الزينة فقد عثر منها على محار حلزوني استعمل في نظم قلائد وأسوار معصم مؤلفة من لوحات من الأصداغ كما كان ذلك محبوبا في العهد النوبي المتوسط الثالث ، وفي هذا العهد كثرت كذلك الحناجر المصنوعة من النحاس .

(١) راجع Petrie, Diospolis Parva, 45, pls. 35—36, 38—40

(٢) راجع Giza and Rifeh 20/21, pls. 25 and 26

(٣) راجع Balabish, 8 ff, pls. 2—15

(٤) راجع Qau-Badari III, p. 5 pl. X

(٥) راجع Wainwright, Balabish, p. 17

حكم الهكسوس في مصر والسودان

تحدثنا في الجزء الرابع من مصر القديمة (ص ٥٤ — ١٩٨) عن الهكسوس وحكمهم في مصر وما جلبوه من مدنية إلى وادى النيل غير أن البحوث الحديثة قد غيرت بعض النظريات الخاصة بهم ولذلك آثرنا أن نتحدث عن هؤلاء القوم هنا مقدمين آخر ما وصلت إليه الكشف الحديثة وبخاصة البحث الذى وضعه الأستاذ « سيف زودربرج »^(١) وإن كان كثير من آرائه لا يعتمد عليه لأنه مجرد نظريات ، إلى أن له فضلاً عن ذلك فى بعض الأحيان منحنى خاصاً فى النظر إلى المصريين القدامى على أنه لم يأت بشئ جديد مؤكداً أكثر مما ذكرناه فى مقالنا السابق عن الهكسوس اللهم إلا أشياء طفيفة فى العلاقات الخارجية .

مقدمة^(٢) :

كانت مصر فى الأسرة الثانية عشرة أقوى دولة فى الشرق الأدنى أى فى خلال القرن التاسع عشر قبل الميلاد فكانت تسيطر على بلاد النوبة السفلى جيوش مصرية فى حين أنه فى بلاد النوبة العليا أى بلاد « كوش » كانت الوكالات أو المستودعات المصرية فى « كرمه » مزدهرة نامية فكانت مصر تجلب من هذه البلاد الجنوبية الذهب والسلع الأخرى الثمينة بكيات ضخمة ، وقد نجم عن كل من المسكاة السياسية والتجارية التى احتلتها مصر فى هذه الأصقاع أن أخذت مصر تلعب دوراً خطيراً كذلك فى الشمال ، أى فى آسيا ، ولا أدل على ذلك من أن ملوك « بيلوص » (جيبيل) فى سوريا كانوا على ما يظهر من أتباع الفرعون ، فقد كانوا يستعملون شارة يلبسونها من صنع مصرى ومن الجائز أنهم كانوا يعطرون عند تتويجهم بالمسوح من أوان تحمل اسم ملك مصرى^(٣) . ومن المحتمل أن بعض المدن السورية الأخرى مثل « رأس

(١) راجع J.E.A. vol. 37, p. 53

(٢) سنذكر هنا ما قاله « سيف زودربرج » واعتراضاتنا عليه .

(٣) راجع Montet, Byblos et L'Egypte, pls. 88 ff, 95 ff

شجرة « (« أوجاريت ») كانت تابعة لمصر سياسياً^(١) ، وبعد سقوط الأسرة الثانية عشرة (١٧٧٥ ق . م .) مرت على البلاد فترة تقرب من جيل من الزمن كانت وحدة مصر في خلالها قد تمزقت ، ولكن في تلك الفترة كان يحكم البلاد عدة ملوك مؤقتين يعاصر بعضهم بعضاً^(٢) ، وعلى أية حال لم تلبث أن قامت مصر من عثرتها واسترجعت وحدتها السياسية وقوتها ، وهذا الضعف العارض الذي طرأ على مصر لم يغير من مكانتها السياسية في الشرق الأدنى . وفي عهد ملوك الأسرة الثالثة عشرة وبخاصة في حكم الملك « نفرختب » وأخيه « سبكحتب » (١٧٦٠ — ١٧٥٠ ق . م) كانت الأحوال في مصر في غالبيتها كما كانت عليه في عهد الأسرة الثانية عشرة ، فقد وجدت مصر نفسها ثانية ، وفي بلاد النوبة السفلى دلت ظواهر الأحوال على أن كثيراً من المقابر الغنية الواقعة بالقرب من البلاد المحصنة تؤرخ بهذا العهد نفسه ، وفي « كرمه » الواقعة في السودان تدل مدنية الأهالي على مقدار عظيم من الثراء الناتج عن التجارة مع مصر كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

وعلى أية حال فإن البراهين الأثرية توحى ببعض الاختلاف ، فقد ازداد الفخار الأجنبي في العدد في المقابر المصرية ومن ثم نجد ما يسمى بفار « تل اليهودية » منتشراً من أول بلدة « كرمه » في الجنوب حتى بلاد سوريا في الشمال . وهذا الفخار وغيره من السلع يعد شاهداً على قيام تجارة نشطة تشغل مساحة شاسعة كان من نتائجها أنها خربت إلى حد ما صبغة المدنية المصرية وكسرت إلى حد ما قيود أشكالها وخاصيتها التي كانت تتميز بها في العصور التي قبل ذلك العهد .

ففي الشمال كانت علاقات مصر التجارية بمدينة « ببلوص » (جبيل) لا تزال محفوظة فقد عثر في « ببلوص » على نقش غاية في الأهمية نشاهد فيه ملك « ببلوص »

(١) راجع Schaeffer, Ugaritica, I, 20 ff.

(٢) راجع Stock, Studien zur Geschichte und Archeologie der 13 bis 17 Dynastie

Aegypten, Ag. Forsch. Heft 12 Gluckstadt Hamburg 1942, p. 53.

المسمى « آتن » يقدم خضوعه لاسم الملك « نفرحتب » فرعون مصر^(١) ، ومن ثم نعرف أن « آتن » قد عد نفسه تابعا لملك مصر . ومن المحتمل أن « آتن » هذا موحد بملك « ببلوص » المسمى « ياتن — خامو » الذي جاء ذكره في سجلات بلدة « ماري » الشهيرة الآن^(٢) ، والمتون التي كشف عنها في « ماري » تلقي ضوءاً جديداً على تاريخ الشرق الأدنى في منتصف القرن الثامن عشر ق . م . فملك « آشور » المسمى « شمشي أداد الأول » حكم جزءاً كبيراً من « مسوبوتاميا » العليا ولكن ابنه المسمى « اشمي — داجان » لم يكن في مقدوره المحافظة على قوة آشور السياسية ومن ثم خلصت « ماري » نفسها من نيرها . وقد وصف لنا بوضوح مركز « ماري » السياسي في خطاب لحاكم « ماري » المسمى « زمرى ليم » وهاك الخطاب : « انه لا يوجد ملك يعد وحده الأقوى ؛ إذ يتبع « حمورابي » ملك « بابل » عشرة أو خمسة عشر ملكاً . ويدين بالطاعة مثل هذا العدد لملك « لارسا »^(٣) المسمى « رم — سن » ومثل هذا العدد يتبع « إبال — بي — ايل » ملك « أشنونا » ونفس هذا العدد يتبع « آموت — بي — ايل » ملك « قطنا » . وتبع عشرون ملكاً « ياريم — ليم » ملك « ياخذ »^(٤) . على أن هذا التوازن الدولي بين تلك الممالك الصغيرة لم يمكث طويلاً ، إذ نجد أن « حمورابي » ملك « بابل » قد هزم « لارسا » و « ماري » ، ومن المحتمل أنه حكم لمدة قصيرة بلاد « آشور » ، ولكن لم تلبث أن انقضت قبيلة من الجبال الشرقية على السهل ، وأهلها هم القوم الذين يسمون « الكاسيين » ، وقد وطدوا حكمهم في الجزء الشرقي من بلاد « بابل » .

وفي « آشور » نجد قوماً آخرين أجانب من الشرق يدعون الحوريين قد أصبحوا تدريجاً عاملاً سياسياً قوياً في بلاد النهرين . ولما كان « الكاسيون » قد ثبتوا أقدامهم

(١) راجع Kemi, I, p. 90 ff.; of Stock, Ibid p. 59

(٢) راجع Albright, Bull. A.S.O.R. 99, 9 ff. وتقع ماري على أعلى نهر الفرات .

(٣) تقع لارسا على الجزء الأسفل من نهر الفرات .

(٤) راجع Dossin, Syria, 19, 117 f; cf. Smith, Alalach and Chronology, p. 11.

في « بابل » فإن هذه القوة الجديدة الفاتحة قد اتجهت نحو الجنوب وسافر أفرادها غربا فاجتاحوا « الالاخ » عاصمة « يافخاد » الواقعة في أعلى نهر الفرات ، ومن المحتمل أن هؤلاء الجدد هم الذين اجتاحتوها ، وقد شاع في « سوريا » عدم استقرار عام يرجع سببه إلى زحف الشعوب من الشرق^(١) .

والآن يتساءل الانسان ماذا حدث في مصر في تلك الفترة ؟ الواقع أنه بعد حكم الأخوين « نفرحتب » و « سبكحتب » أخذت الحكومة المصرية في التدهور نحو الانحلال ، ويلحظ هنا أن قوائم الملوك المتأخرة وكذلك الآثار المعاصرة تذكر عددا كبيرا جداً من صغار الملوك الذين يجب أن يكونوا قد حكموا في عصر واحد . والواقع أن مصر قد صارت إلى حالة تشبه الفوضى ، وبذلك كانت فاكهة ناضجة لمن أراد أن يجنيها دون كبير عناء ، وفي هذا الوقت أخذ بعض الآسيويين يتسربون إلى الدلتا ، ولم يلبثوا أن مكنوا أنفسهم في أرجائها حكماً محليين ، ومن المحتمل أن سبب تسرب هؤلاء الآسيويين يرجع إلى اضطراب في بلاد سوريا ، وقد ذكرت لنا قائمة « تورين » الخاصة بملوك مصر وهي التي يرجع عهدها إلى عصر الرامسة^(٢) من بين الملوك العديدين الذين لم يحكموا إلا فترة وجيزة أسماء الملوك « طا - فا - تي » (عتي) (= عنت - حر « عنا تخر ») على جمارين معاصرة ، و ببنم (Bebnem) أو بلم (Bblm) وهذان الاسمان يدلان على أنهما مصطبغان بصبغة آسيوية ، ومن المحتمل أنهما من أمثال ملوك الأسر التي كانت تحكم في الدلتا ، وقد حكم الملك « خع نفر . رع . سبك . حتب » وهو أخو « نفرحتب » على أقل تقدير مدة ثمانى سنوات^(٣) أى حوالي (١٧٤٠ - ١٧٣٠ ق . م) وعلى حسب رأى الأثرى « شتوك »^(٤) نجد أن أخلاف

(١) راجع Smith, Ibid, p. 35

(٢) راجع Turin pap., col. 9. 30/1.

(٣) راجع F.I.F. A.O. 10, L, p. 33

(٤) راجع Ibid 60 ff.

هذه الأسرة كذلك حتى حكم الملك « مرحتب رع سبكتب » قد حكموا كل مصر مما جعله يستنبط أنهم حكموا حتى عام ١٧١٠ ق . م . تقريباً .

على أن وجود جعران باسم « مر نقر رع — آس^(١) » « في تل اليهودية^(٢) » ليس بالدليل على سلطان هذا الملك في الدلتا ، وعلى ذلك فإن أول ملوك للهكسوس « عناتحر » وبينهم أو (بيلم) الخ ، يمكن أن يكونوا قد وطدوا حكمهم في الدلتا الشرقية حوالى ١٧٣٠ ق . م . وبعض ملوك هذا العهد العديدين الذين جاء ذكرهم في ورقة « تورين » يمكن^(٣) أن يقابلوا الملوك الذين يطلق عليهم ملوك « إكسيوس » (سنخا) وهم ملوك الأسرة الرابعة العشرة الذين يؤرخون على ذلك بحوالى ١٧٣٠ — ١٧١٠ ق . م .

وهكذا نرى أن الأثرى « سيف زود ربرج » في كل استنباطاته التى ذكرناها هنا لا يرتكز على رأى قاطع بل كل آرائه ترجع إلى الاحتمالات التى قد تصيب أو تخطئ .

وقد حكم هؤلاء الهكسوس مصر بعد انقضاء جيل على عهد حكم الملك « نفرحتب » أى قبل عام ١٧٠٠ ق . م . وقد أخذوا في أيديهم السلطان على بلاد النوبة السفلى كما استحوذوا على التجارة في « كرمه » في بلاد « كوش » .

وليس لدينا مصدر يصف لنا كيفية استيلاء الهكسوس على السلطان في البلاد إلا تاريخ مصر الذى كتبه « مانيتون » في القرن الثانى قبل الميلاد أى حوالى ١٥٠٠ عام بعد وقوع هذا الحادث العظيم . ومن ثم نفهم أنه مصدر متأخر ، غير أنه مع ذلك مأخوذ عن وثائق مبكرة . وعلى أية حال فإنه من مميزات كل هذه المصادر المتأخرة الخاصة بالهكسوس أننا نجدها مطبوعة بطابع الدعاية ضد الأجانب الفاتحين ، والواقع أنه كلما كان المصدر حديثاً كانت محتوياته تتم عن العداء والبغضاء للهكسوس ،

(١) راجع Turin pap., 7,3

(٢) راجع Petrie, Hyksos and Isr., pl. 9, 116

(٣) راجع Turin ; Col. 8 and 9

وعلى ذلك يجب أن نذكر ذلك عندما نقرأ ما رواه « مانيتون » عن هؤلاء الغزاة فاستمع لما يقول :

« إنه في عهد « توتيمايوس » أو « تيمايوس » أصابتنا جائحة على حين غفلة لسبب لا أعرفه من إقليم الشرق فقد انقض غزاة من أصل ظامض على أرضنا وقد استولوا علينا بالقوة الغاشمة بسهولة دون أن يضربوا ضربة واحدة . وبعد أن أخضعوا حكام البلاد أحرقوا بعد ذلك مدننا بدون رحمة ، وهدموا معابد الآلهة وعاملوا كل الأهالي بعدوان فاشم فقتلوا البعض وقادوا الآخرين من زوجات وأولاد أناس إلى العبودية ، وأخيراً نصبوا ملكاً منهم يدعى « ساليثيس » (Salitis) وكان مقر حكمه في « منف » وفرض الضرائب على أهل الوجهين القبلي والبحري ، وكان دائماً يترك خلفه حاميات في أهم المواقع الاستراتيجية .

ويحدثنا بعد ذلك « مانيتون » أن « ساليثيس » قد أقام حصناً في « أواريس » في الدلتا الشرقية وحكم بعده الملوك « بنون » (Bnon) و « أباخان » (Apachan) و « أبوفيس » (Apophis) و « ياناس » (Yannas) و « أسيس » (Assis) (أو « أسث » Aseth أو « كرتوس » Kertos) وأخلاقهم ، وكل سلالة هؤلاء الغزاة كانت تسمى « هكسوس » Hyksos .

والآن من هم الهكسوس ؟ والتعبير المصري الدال على هؤلاء الحكام هو « حقاو — خاسوت » ومعناه حكام الممالك الأجنبية . وهذا التعبير كان على ما يظهر التسمية المعتادة لمشايخ فلسطين وسوريا منذ بداية الأسرة الثانية عشرة . فثلاثين^(٢) نجداً واحداً من هؤلاء المشايخ قد حضر إلى مصر ومعه سبعة وثلاثون^(٢) أسبوريا حاملين معهم محاصيلهم إلى مصر كما هو مصور في مقبرة من مقابر « بنى حسن » . وقد سمى في النقش

(١) راجع Manetho, et W. G. Wadell, p. 79 ff

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٦٩ — ٢٧٠

الذى يتبع هذا المنظر « ابيشاي » حاكم أجنبي . وهذه الصورة يمكن أن نتخذ تفسيراً لهؤلاء الآسيويين الذين تسربوا إلى الدلتا حوالى نهاية الأسرة الثالثة عشرة ، غير أنه ليس لدينا برهان لنعبر هؤلاء « الحقاو — خاسوت » الذين ذكروا فى القرن العشرين أى قبل عهد الهكسوس بقرنين أو ثلاثة قرون هم نفس الهكسوس الذين أتوا متأخرين أو بمثابة عنصر أجنبي فى فلسطين بوصفهم فرسان أشراف يهاجمون البلاد المصرية من سوريا . والواقع أنه لم يصبح استعمال التعبير « حقاو خاسوت » دالاً على لقب ملكى يطلق على حكام مصر إلا فيما بعد ويقصد به جماعة الآسيويين الذين حكموا مصر .

وهذا التعبير يوحى إلى نفوسنا أن الهكسوس كانوا جماعة صغيرة من الأسر الأجنبية لا أقوما عديدين لهم مدنية خاصة . والظاهر على حسب رواية « مانيتون » أن حكم الهكسوس كان لا يعنى إلا تغيير القواد السياسيين فى مصر ، وأنهم لم يكونوا قد وفدوا على البلاد غازين لها بجموع عديدة من عنصر أجنبي . وهذا رأى يستند على براهين معاصرة كما يقول الأثرى « سيف زودربرج » : فيوجد عدد عظيم من المقابر من عصر الهكسوس فى مصر ، غير أنه لا يوجد فى أى مكان أدلة واضحة تحدثنا عن غزوة أجنبية من الشمال . حقا يوجد غالباً نفار أجنبي ، غير أن وجوده كان نتيجة الزيادة التدريجية لتدفق السلع الأجنبية وهذا ما يمكن ملاحظته من أول سقوط الأسرة الثانية عشرة وما بعدها ، هذا ولا يوجد فى أى مكان تغيير مفاجئ فى عادات الدفن . ولم ينسب إلا عدد محدود من المقابر فى « تل اليهودية » و « أبو صير الملق » و « قاو » و « سدمنت » و « دشاشة » إلى عهد الهكسوس^(١) ، وعلى حسب رأى الأستاذ شارف^(٢) يحتمل أن بعض الأجسام المصرية فى « أبو صير الملق » كانت من طراز سامى الأصل ، غير أن هذه النسبة غير مؤكدة ، وعلى أقل تقدير فإن هياكل أبو صير الملق تنسب إلى آخر عهد من حكم الهكسوس .

(١) راجع Wolf, Z.D. M.G., 83, 74 f.; Engberg, The Hyksos Reconsidered, p. 19; Stock,

Ibid, p. 72.

(٢) راجع W.V, D.O.G., 49, 87 with Ref. to Muller, Ibid, 27, 308 f.

وكان في الغالب ينسب عدد عظيم من الأشياء الأثرية وما شابهها الى عهد الهكسوس ، ومن هذه المادة قد استنبطت نتائج فيما يتعلق بمدينة قوم الهكسوس ووطنهم وتكوينهم من حيث السلالة^(١) . وسنذكر هنا بعض هذه الاستنباطات وما يعترضها من حقائق فقد ذكر مرارا وتكرارا أن ما يسمى بفخار « تل اليهودية » يجب أن يعتبر من منتجات الهكسوس ، وكما يقول العالم الأمريكي « انجبرج » يعد سندا لا يقدر بقيمة في الكشف عن احتلال الهكسوس^(٢) للوقع . وهذا في اعتقاد بعض العلماء ليس له أي مبرر ، لأن من الخطر أن يستنبط الانسان قيام زحف سلالي من مجرد بعض طرز خاصة من الأواني الفخارية إذا لم يكن هناك في الوقت نفسه شيء من التغيير الهام في عادات الدفن ؛ ومن الممكن البرهنة غالبا على أن التغير في المواد الأثرية قد يكون سببه التجارة وإلا فما عساه أن يستنبطه أثرى في المستقبل بهذه الطريقة من أواني منزل مصري حديث ؟ فقد يرى أن مواقد الغاز قد حلت محل المواقد الكبيرة المصنوعة من الفخار ، ومن ثم يرى الباحث أن قوما يستعملون مواقد الغاز قد غزوا مصر في أوائل القرن العشرين بعد الميلاد ، هذا ولما كان بعض هذه الآلات يمكن نسبتها إلى الولايات المتحدة فإن هؤلاء القوم يكونون قد أتوا من أمريكا ومن جهة أخرى يلحظ أن وجود موقد « بريمس » يمكن أن يبرهن على زحف سلالة من السويد قد اختلطت بعنصر لا تيني ، وذلك بسبب وجود كتابة لا تينية على المواقد ، وهكذا من الأمثلة التي لا تدخل تحت حصر (غير أن هذا الرأي الذي أدلى به الأستاذ « سيف زودر برج » مردود عليه لأن الأمثلة الجديدة التي أوردها هنا كان منشؤها سهولة المواصلات بين الأمم وانتشارها في كل العالم لا في أماكن محصورة).

وفضلا عن ذلك نجد أن طراز أباريق « تل اليهودية » الخاص كان يتطور تدريجاً في فلسطين وسوريا وكان ظهوره هناك لا يشعر بتغير مفاجئ في تقاليد الفخار^(٣).

(١) راجع Winlock, The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, Chap. VIII.

(٢) راجع Engberg, Ibid, p. 18.

(٣) راجع Albright Ann. A.S.O.R., 12, 17 ; 13, 79 ; A.J.A. 36, 559.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الأواني كانت قد جلبت إلى مصر قبل دخول الهكسوس بزمان طويل وقد وجدت في مقابر في بلاد النوبة السفلى مؤرخة بزمان لم يكد يكون فيه الهكسوس قد وصلوا إلى مصر الوسطى . ومعظم ما يمكن أن يقال عن العلاقة بين الهكسوس وأباريق « تل اليهودية » هو أن الهكسوس على ما يظهر كانوا يميلون إليها ومن المحتمل أن مدداً عظيماً منها قد استورد عند ما كان حكام الهكسوس يسيطرون على التجارة أكثر مما كانت في أيدي حكومة مصرية أشد محافظة ، ويجب أن تؤكد هنا أن هذه الأباريق كانت تستعمل في مصر بعد أن طرد الهكسوس المبعوضون من البلاد .

وينطبق هذا التدليل على أوان أخرى من الفخار قد أخطئ استعماله إذا صح أن نقول ذلك عند ما نريد البرهنة على أنه كان يوجد عنصر حورى بين الهكسوس . وهذا الفخار هو الذى يسمى الفخار ذا اللونين المصنوع بعجلة صانع الفخار ، وهو معروف من العهد المتوسط الثانى فى مصر ، وقد عثر عليه فى « أبوصير الملق » و « قاو » و « سدمنت »^(١) وقد استعملت زينة مشابهة ، ولكن على أوان مختلفة فى « مسوبوتاميا » العليا حيث نجد جزءاً من السكان يتكلم اللغة الحورانية ، ومن ثم كان هذا الطراز من الفخار يدعى أحياناً « الفخار الحورى » . ويمكن أن نلاحظ أولاً أنه حتى العلاقة التى بين الحورانيين وهذا الفخار الملون الخاص بمسوبوتاميا العليا — وهو الذى يسمى فخار « خابور » — لم تقر بعد ، أما فخار الدولة الحورانية المتنى الأصلى فهو فخار نوزى مختلف تمام الاختلاف^(٢) ، على أنه لا فخار « خابور » الحقيقى ولا الفخار الذى يحتمل أنه « نوزى حوراني » قد وجد فى مصر بل كل ما عثر عليه فى مصر هو بعض

(١) راجع 11 Not.é 19 Engberg.

(٢) راجع ما كتب عن هذا الفخار الملون Marian Welker, Transact, Amer. Philos. Soc.,

N.S., 38, 185 ff.

قعب عليها زينة تشبه الزينة التي على فخار « خابور » ولكنها من طراز آخر^(١).

وطراز فخار فلسطين ذي اللونين وهو الخاص بها قد وصل إلى قمته بعد عصر الهكسوس ، ويمكن أن يكون له صلة بأواني العصر المتوسط الثاني التي عثر عليها في مصر ، ومن المحتمل أنه قد تأثر بفخار شمالي سوريا ، وهو بدوره يمكن أن يكون قد اشتق من فخار « خابور » الحقيقي ، وهو الذي بدوره ثانية يمكن أن يكون ذا صلة بالخورانيين ، وعلى ذلك نجد أن الطريق طويلة جداً لنسبة القعب التي وجدت في مصر إلى الخورانيين بوصفهم عنصراً جنسياً ، فتسمية هذا الفخار حوراني يعد في رأى بعض العلماء تخمين له خطورته . وعلى فرض أنها كانت قعباً حورانية فإن ذلك لا يكفي بأية حال من الأحوال ليبرهن على أنه كان يوجد حورانيون بين الهكسوس ، وذلك لأن هذا الطراز من الفخار يمكن أن يكون قد وصل إلى مصر عن طريق التجارة .

ومن جهة أخرى يظهر أن النظرية القائلة بأن الهكسوس يوجد فيهم عناصر حورانية لا تركز على براهين لغوية لأن معظم الأسماء الهكسوسية سامية محضة والأسماء التي لا يمكن تفسيرها على هذا الأساس لا تكاد تكون حورانية . فمثلاً كلمة « خيان^(٢) » التي تعد في العادة غير سامية قد قرنها الأثرى « دوسو » بالاسم العربي والقبطي حيان — على أن عدم وجود ألفاظ حورانية لا يعد دليلاً على عدم احتلال القوم لمصر ، فلدينا الاحتلال الانجليزي لم يؤثر في لغة القوم — هذا ونجد بعض الصفات في فن النحت قد استنبطت بهذه المناسبة لتبرهن على وجود عنصر شرقي في مدنية الهكسوس ، ومن أحسن الأمثلة في هذا الصدد اللوحة المسماة لوحة « هورنبلاور » حيث نجد أن

(١) على أن ذلك لا يمكن أن يؤخذ دليلاً على أن هؤلاء القوم قد جاءوا إلى مصر واستوطنوها معهم فقاومهم الأصل ثم قلده المصريون كما حدث في « كرمه » فقد قلده القوم الفخار المصري والأشياء المصرية على حسب طبيعتهم واتخذت طابعاً خاصاً .

(٢) راجع Labib, op. cit. 9 ; Dissand R.H.R., 109, 116

الطائر المرسوم عليها يجب ألا يعتبر أنه نسرق قد رسم رسماً رديئاً (وهو الطائر الذي يمثل الآلهة « نخبث » المصرية) بل يجب أن يعتبر أنه الطائر « امدوجود » (Imdugud) المسوبوتامى ، هذا فضلاً عن أن النموذج الذي رسم في أسفل اللوحة هو طراز مسوبوتامى لرسم الجبال^(١) . ولا أنكر أن هذا التفسير ممكن كما لا أنكر المجاميع المضادة لذلك وهى التى تشاهد فيها شجرة الحياة على جعارين يمكن أن ترجع إلى تأثير من مسوبوتاميا ، ولكن لما كانت قد وجدت اختتام من الأسرة الأولى البابلية في « رأس شجرة » فإن هذه الصبغة الشرقية الأصل في فن النحت يمكن أن تكون نتيجة اتصالات تجارية . ويبرهن على مثل هذه الاتصالات البعيدة المدى بوجود نثار قبرصى في مصر مع أنه لم يحاول أى انسان أن يبرهن على وجود عنصر جنسى قبرصى بين الهكسوس .

وكذلك ظن البعض وجود عنصر آرى في الهكسوس ويرتكز هذا الزعم على النظرية القائلة إن الهكسوس قد غزوا مصر بسهولة كبيرة لأنهم استعملوا العربات التى تجرها الخيل ، وهذه صناعة حربية يقال عنها إنها آرية ، وذلك لأن بعض الاصطلاحات الفنية المتعلقة بها يرجع أصلاً إلى قوم الهنود الايرانيين . وهذه العربات في الواقع قد أحدثت انقلاباً في فنون الحرب . ولا يمكن أن نستطرد في هذا المكان فتكلم عن المسائل المعقدة الخاصة بتاريخ الحصان في الشرق الأدنى بل يكفي أن نشير هنا إلى أن الحصان كان معروفاً في « مسوبوتاميا » منذ زمن طويل قبل أن نجد آثاراً هندية أيرانية^(٢) . ومن جهة أخرى ليس لدينا أى برهان على أن الهكسوس قد استعملوا الحصان حتى العهد المتأخر جداً من حكمهم في مصر . وأحدث مصدر أدبى ذكر فيه الحصان هو المتن الذى يشير إلى طرد الهكسوس من مصر^(٣) . وقد وجد « بترى » في « تل العجول » الواقع جنوب فلسطين مقابر غنية كانت فيها تدفن مع المتوفى

(١) راجع Stook, Ibid., p. 32

(٢) راجع Götze, Kleinasien, p. 72

(٣) راجع Urk., IV, p. 3

جيات وحير ، وقد عد ذلك برهاناً قاطعاً على أن الهكسوس من جهة كانوا يستعملون الحصان ، ومن جهة أخرى كانت هذه المقابر خاصة بالهكسوس^(١) . ولكن هذه المقابر يرجع تاريخها إلى نهاية عهد الهكسوس ، ومن المحتمل إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة^(٢) . والواقع أنه لم يوجد حصان واحد أو حتى عظمة حصان في أى قبر من القبور العدة التى من عهد الهكسوس في مصر ، هذا إلى أنه لم توجد صورة واحدة لحصان على الرغم من أن كل أنواع الحيوانات المختلفة قد صورت على الجدران الخاصة بهذا العهد . ففى مناظر الصيد كان يمثل الصائد واقفاً على قدميه وهذا ليس هو المتبع عادة في الممالك التى كانت تجر فيها الخيل العربات ، وعلى ذلك نجد أن كل البراهين تدل على أن الهكسوس لم يستعملوا قط العربات الحربية إلا في حروبهم الأخيرة التى شنوها على المصريين قبل أن يطردوا من البلاد . (يلحظ هنا أن سبتي الأول قد رسم واقفاً على قدميه وهو يصيد في صحراء الجيزة مع أن العربات كانت هي العدة السائدة في الصيد^(٣)) .

ويقال كذلك إن الهكسوس قد جلبوا معهم طرازاً جديداً من الحصون في الشرق الأدنى ، وهذه عبارة عن معسكر كبير جداً له جدار من الطين محاط بخندق . وقد قيل إن هذا الطراز من الحصون هو طراز طبعي يقام فقط على السهول العظيمة مثل التى تجاور البحر الكسبي ، وعلى ذلك فإن موطن هؤلاء الهكسوس لابد أن يبحث عنه في هذه المساحات الشاسعة الأرجاء^(٤) . ومعظم الحصون التى في فلسطين يرجع تاريخها إلى عصر الهكسوس على الرغم من أن واحدة منها وهى « هازور » يقال إنها ترجع إلى زمن قبل ذلك ، وتاريخ الحصون الأخرى يحوم حوله الشك الكثير ،

(١) راجع Bissing, A.F.O.F., 11, 333, No. 61 and Otto Z.D.P.V. 61., 259 contra Petrie

Ancient Gaza, I, p. 3. f, etc.

(٢) راجع Otto, Ibid.

(٣) راجع Newberry, Scarabs, Pls. 25, 26

(٤) راجع The Sphinx in the Light of Recent Excavations. p. 201, Fig. 42.

(٥) راجع Albright, J.P.O.S. 2, 122 f.; Journ. Soc. Or. Res. 10, 245 ff.

هذا إلى أن حصن « سيبار » (Sippar) قد استنبط من متن سومري يذكر أن « جدار » سيبار . . . كان مصنوعاً من كتل عظيمة من الطين^(١) . وعلى أية حال فإن هذا طراز منتشر انتشاراً عظيماً في عهد الهكسوس ، ولكن — وهذا هو الأساس — لا يوجد مثال أكيد معروف لنا في مصر وهي البلاد الوحيدة التي وطد فيها الهكسوس أقدامهم على وجه التأكيد بوصفهم عاملاً سياسياً .

وقد فسر مراراً وتكراراً أن كل خرائب « تل اليهودية » وخرائب « هليوبوليس » كان من هذا النوع من الحصون غير أن المهندسين المعماري « ركه » كما يقول « سيف زودربرج » كان مصيباً عندما قرر بأنهما كانا على أغلب الظن أسس معبد^(٢)ين وفي رأبي أن هذا كلام فيه شك كبير لأنه لم توجد آثار تثبت ذلك .

وخلاصة القول كما يقول « سيف زودربرج » أن تحليل البراهين الأثرية قد أعطانا نتيجة عكسية ولكن في الواقع تعاضد الرأي الذي ذكرناه آنفاً ، وهو أن حكم الهكسوس لم يكن إلا تغيير القواد السياسيين ، وأنه لم يكن غزوة قام بها سلالة من الناس بعدد عظيم من الجنود يستعملون آلات حربية متفوقة ولهم مدنية خاصة ، ومن جهة أخرى فإن الهكسوس كان لهم اتصال وثيق بآسيا ، ويظهر أنهم قد ساعدوا على إدخال تجديد من هذه البلاد أكثر من أخلافهم المصريين . والواقع أنهم عند نهاية حكمهم في مصر كانوا قد أدخلوا عدة إصلاحات في فنون الحرب سعيًا منهم في أن يحافظوا على قوتهم السياسية في وجه المعارضة المصرية التي كانت تتزايد . فقد جلبوا أولاً من آسيا العربات التي تجرها الخيل وطرزاً جديدة من الخناجر والسيوف والآلات المصنوعة من البرنز والقوس الأسوي وهو القوس المركب . وهذا التطور الثقافي يتفق مع تواريخ الآثار الفعلية التي عثر عليها وهي الخاصة بهذه التجديدات في مصر ،

(١) راجع Albright, Bull. A.S.O.R., 88, 33

(٢) راجع A.Z., 71, p. 107 ff.

وذلك لأنها لم تكن معروفة حتى نهاية حكم الهكسوس ، وسرى بعد مقدار اتصال الهكسوس بآسيا من الغنائم التي استولى عليها منهم « كاموس » .

والرأى القائل بأن الهكسوس لم يمثلوا في مصر غزوة حقيقية قام بها أقوام أجنبية بعضده التطورات التي حدثت في بلاد النوبة وهي التي يمكن تأليفها ثانية من المتون والبراهين الأثرية^(١) . ففي بلاد النوبة السفلى كانت هناك معارضة دائمة قوية للاحتلال المصري ، وكان النوبيون هناك يراقبون مراقبة شديدة بوساطة حصون قوية مقامة في الأماكن الآهلة بالسكان . وقد كان على الحكومة المصرية أن تكون صاحبة السلطان السياسي في بلاد النوبة السفلى لأجل أن تحافظ على قيام تجارتها في « كرمه » الواقعة في الجنوب . أما في « كرمه » فكان الموقف على العكس وذلك لأن الأهالي كانوا يجنون فوائد عظيمة من التجارة المصرية ، ولم يحاول المصريون قط أن يسيطروا على هذه البقعة من الأرض سياسيا ، ولكنهم فضلوا أن يكونوا على اتصال سلمي تجاري ، وقد ورث حكام الهكسوس هذه التجارة السلمية من المصريين في « كرمه » ، وقد استمرت مزدهرة دون أي انقطاع لمدة تقرب من قرن بعد أن استولى الهكسوس على السلطة في مصر نفسها . ومن المحتمل أن أحد أواخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة في الصعيد بل ربما هو الأخير ويدعى « ددوموس » وقد وحد بالملك « توتمايوس » الذي ذكره المؤرخ « مانيتون » وهو الذي في عهده تغلب الهكسوس على مصر على ما يقال ، قد وجد اسمه في « كرمه » على ما يظن في نقش مهشم^(٢) . هذا وتوجد أسماء ملوك الهكسوس « شيشي » (= « أسيس » ؟ Assis) و « ماعت أب رع » و « يعقوب - أيل » على طوابع أختام في المستودع التجاري وهي بلا شك كانت مستعملة لختم الوثائق الرسمية^(٣) . وهؤلاء الملوك الهكسوس كانوا ضمن أول طائفة من الحكام الأجانب في مصر . ولدينا براهين أثرية أخرى تظهر أن التجارة

(١) راجع Ägypten und Nubien, Chap. C.5 and D, and J.E.A., Vol. 35, p. 56

(٢) راجع Reisner, Kerma, I, p 101

(٣) راجع Kerma, II, 75 f, Fig. 168

قد استمرت حتى ذلك العهد ، وهذا يعنى أن الحكام من أول « ددوموس » حتى هؤلاء الملوك الهكسوس لابد أنهم كانوا قد حكموا بلاد النوبة السفلى والجزء الجنوبي من مصر العليا .

وإذا كان هناك قوم عديدون من الأجانب قد غزوا مصر وقضوا على الإدارة المصرية والقوة الحربية ونظام الحكومة المصرية فإن هذا التطور الذى حدث فى الجنوب يكون من الصعب جداً تفسيره .

ويمكن أن نميز بعد حكم صفار الملوك الهكسوس الذين لا أهمية لهم سياسياً فى الدلتا ، طائفتين من حكام الهكسوس : الطائفة الأولى هى التى يمكن أن نطلق عليها مع « مانيتون » ملوك الأسرة الخامسة عشرة ، وتحتوى على حسب قائمة الملوك التى دونت على ورقة « تورين » خمسة ملوك حكموا حوالى ١٠٨ سنة . وأسماء هؤلاء الملوك قد فقدت إلا الاسم الأخير وهو الذى يسمى فى هذه الورقة « خامودى » . وقد ذكر لنا « مانيتون » هذه الأسماء وهى « سالتيس » ، « بنون » ، « أباخنان » « أبوفيس » ، « ياناس » ، « أثيس » (Athes) أو « كرتوس » . ونعرف كلا من « أبوفيس » و « ياناس » من الآثار المعاصرة فى صورة « عاوسرع » « أبوفيس » و « ساوسرت رع » « خيان » ، أما « أثيس » فيمكن أن يُوحد بالملك « شيشى » الذى نجد اسمه غالباً على جعارين يمكن تأريخها من حيث الأسلوب بالنصف المبكر من حكم الهكسوس . وهذه الجعارين تتصل اتصالاً وثيقاً بالجعارين التى عليها اسم « ماعت إب رع » ويمكن أن يكون اسماً آخر لنفس هذا الملك ومن المحتمل أن اسم حاكم الهكسوس « يعقوب — إيل » الذى نعرف اسمه من جعارين يتبع هذه الطائفة المبكرة من الملوك ، أو كان أول ملوك الطائفة الثانية ، هذا إذا حكمنا عليه من حيث الأسلوب وتوزيع جعاريته ، وأخيراً يمكن أن يكون « خامودى » وكذلك « كرتوس » اسمين مختلفين لنفس الملك^(١) . وليس لدينا كبير شك فى الحقيقة

القائلة بأن هؤلاء الملوك مع احتمال استثناء « سالييتيس » ، « بنون » ، « أباخنان » قد حكموا كل مصر وبلاد النوبة السفلى كما يظهر لنا ذلك من توزيع الآثار التي وجدت في أماكنها والتي تحمل أسماء هؤلاء الملوك .

أما الآثار التي عثر عليها في « كرمه » فقد سبق ذكرها . هذا ونجد اسمي « أبو فيس » « طوسرع » ، « خيان » على بعض قطع أحجار من بلدة الجبلين جنوبي « طيبة » أما الآثار الأخرى فمعظمها خفيفة الوزن ويمكن حملها كالحجارين وهذا ينطبق على كل الآثار التي عثر عليها في فلسطين الجنوبية ، ومن المحتمل جدا أن هؤلاء الهكسوس قد حكموا هذه البقعة كذلك ، غير أن ذلك ليس مؤكداً تماماً .

ومن البراهين التي استنبطت من هذا الاحتمال هو أنه لا يكاد يكون من المسلم به أن الهكسوس قد فتحوا مصر دون أن يكونوا قد تسلطوا على فلسطين من قبل ، ولكن إذا كان الهكسوس لم يفتدوا على مصر بوصفهم فاتحين بل بوصفهم مهاجرين مسالمين مكنوا أنفسهم بمثابة ملوك صغار في الدلتا الشرقية ، ومنها أفلحوا في التغلب على صغار ملوك الوجه القبلي الذين كانوا لا يحكمون إلا مددا قليلة ، فإن هذا البرهان يصبح لا قيمة له . يضاف إلى ذلك أن وجود أسد عليه اسم الملك « خيان » قد أحضر إلى « بغداد » ، وأن غطاء من المرمر عليه اسم هذا الملك نفسه وقد وجد في قصر « كنوسوس » في « كريت » لا يبرهن على أي شيء عن القوة السياسية للهكسوس في الشرق الأدنى . ولكن يظهر واضحاً من متن متأخر خاص بحرب التحرير لرفع نير الهكسوس أن بلدة « شاروهين » (يَحتمل أن تكون « تل الفرعه ») في فلسطين الجنوبية كانت مَعقلاً للهكسوس وقد فتحها « أخس » ملك مصر ، بعد أن قام بِحُصار ناجح على بلدة « أواريس » عاصمة الهكسوس في مصر . ومهما يكن من حقيقة بلدة « أواريس » فإن وقوعها في الدلتا الشرقية يدل على أن الهكسوس كان لهم علاقة

وثيقة بفلسطين ومن المحتمل أنهم كانوا يحكون الجزء الجنوبي منها . هذا وتدل
الغنائم التي استولى عليها كاموس في حربه مع الهكسوس على أنه كان له نفوذ في فلسطين
أو على الأقل اتصال وثيق ^(١) .

ولدينا أثر من « تانيس » يدلنا على التاريخ الذي تولى فيه الهكسوس الحكم
في الدلتا الشرقية وهذا الأثر هو ما يسمى لوحة الأربعمئة سنة . وكانت قد أقيمت
في عهد الفرعون « رعمسيس الثاني » وتحدثنا أن ملكي المستقبل « رعمسيس الأول »
ومن بعده « سبتى الأول » قد احتفلا بعيد أربعمئة السنة لعبادة « ست » في « تانيس » .
ولا بد أن يكون ذلك قد حدث في عهد الملك « حورمحب » عندما كان كل من
« رعمسيس الأول » و « سبتى الأول » يُخدم بوصفه ضابطا في الجيش المصرى ،
وقد حكم « حورمحب » من حوالى « ١٣٣٠ — ١٣٢٠ ق.م » على وجه التقريب .
وعلى ذلك فإن عبادة الإله « ست » تكون قد جلبت إلى « تانيس » حوالى
١٧٣٠ — ١٧٢٠ ق.م . وهذا التاريخ يمكن أن يحدد بداية حكم الهكسوس في الدلتا ،
وذلك لأن مصادر أخرى تحدثنا أن الإله « ست » أو « سوتخ » كان الإله الرئيسى
عند الهكسوس . وعبادة الإله « ست » كانت موجودة في شرق الدلتا منذ الدولة القديمة
أى قبل عهد الهكسوس بزمان طويل ، ولكن الإله « ست » — « سوتخ » إله
الهكسوس كان ذا صبغة أسيوية أكثر منها مصرية فكان بينه وبين الإله « نعل »
أو الإله « رشب » أو الإله « تشوب » وكلهم آلهة حرب ، وجه شبه من حيث المنظر ،
ولدينا جعران من عهد الهكسوس نرى عليه صورة « ست » من الطراز الذى مثل
على اللوحة السالفة الذكر ^(٢) ، والثوب ولباس الرأس المحلى بقرنى الإله من الصفات الخاصة
بالأسيويين ، ونجد في المتون المتأخرة أن « أشتار » عشرت « (أو « عنات »)

(١) ذلك على حسب ما جاء في نص اللوحة الجديدة التي كشف عنها الأبتاذ لبيب حبشى بالأقصر .

(٢) راجع Ancient Egypt, 1933, 37, No. 6

كانت تعد زوج الإله « ست — بعل » وهذه الإلهة العارية الجسم تظهر كذلك مصورة على جعارين هكسوسية^(١).

وعلى أية حال لابد أن نعد من سبيل الدعاية القصبة التي من زمن الرعامسة وهى ورقة « ساليه » الشهيرة التي تحدثنا أن ملك الهكسوس لم يخدم أى إله آخر غير « سوتخ » محققا بذلك الإله « رع » المصرى وكذلك قول الملكة « حتشبسوت » من الأسرة الثامنة عشرة أن الهكسوس قد حكموا بدون « رع »^(٢). والبرهان على عدم صحة هذا الزعم هو أن كثيرا من ملوك الهكسوس يحملون أسماء مركبة تركيبا مزجيا مع اسم الإله « رع » مثل « عظيمة قوة « رع » ، و « رع » هو سيد السيف » فضلا عن ذلك نجد أن الملك « عاوسر رع » « أبو فيس » يسمى « ابن جسم « رع » و « الصورة الحية « رع » على الأرض » وهذه النعوت كتبت على لوحة يقول عنها الكاتب الملكى « أتيو » إنه تسلمها هدية من سيده الملك « أبو فيس »^(٣). وهذه الحقائق تدل بوضوح على أن حكام الهكسوس كانوا يعبدون الإله المصرى « رع » كما كانوا يعبدون إلههم « سوتخ — بعل ».

وتدل شواهد الأحوال على أن الهكسوس كانوا يحترمون المدنية المصرية — على الرغم من تأكيد « حتشبسوت » العكس من ذلك — وبخاصة عندما نعلم أن الكاتب الرياضى الشهير الذى يرجع عهده للأسرة الثانية عشرة قد نقله الكاتب « أحس » فى السنة الثالثة والثلاثين من حكم نفس الملك « أبو فيس » السالف الذكر^(٤).

وإذا حكمنا من الأسماء المصرية الصحيحة لهؤلاء الكتبة وجدنا أن الهكسوس الأول قد استخدموا موظفين مصريين ، يضاف إلى ذلك أن استمرار تجارة مصر مع « كرمه » فى بلاد « كوش » النائية بدون انقطاع عندما أخذ الهكسوس

(١) راجع Rev. D' Egyptol, I, 198, Figs. 1, 2

(٢) راجع Gardiner, J.E.A., Vol. 32, PL 6, 1, 38, pp. 48, 55

(٣) راجع Labib, op. cit., p. 27

(٤) راجع Peet, The Rhind Math. pap., p. 2

مقاييد الأمور في مصر ، كل ذلك يعضد الرأي القائل أن الهكسوس الأول قد اعتنقوا نظام الإدارة المصرية القديمة وكذلك استعانوا بالموظفين المصريين في تسيير أمور الحكم ولا غرابة في ذلك فإن المصري كان يهضم أى فاتح لبلاده ويجعله يطبع بطابعها كما سنرى بعد :

هذا ونجد موزما على نفس الرقعة التي كان يسيطر فيها الهكسوس في مصر وغيرها جعارين عدة مثل جعارين الملك « شيشي » وكذلك من نفس أسلوبها باسم ولقب حامل الخاتم « حار » الذي لا بد كان من أهم الموظفين الهكسوس حوالى نهاية حكم طائفة حكام الهكسوس الأولى ، واسم « حار » على أغلب الظن يقرأ « حور » وهى كلمة سامية ومعناها شريف أو « حر » بالعبرية — وعلى ذلك فن الجائز أن هذا الأجنبي كان له سلطان إدارى يمتد على كل مصر بما في ذلك بلاد النوبة وجنوبى فلسطين . ولما كان من المحتمل أن « حار » هذا قد عاش في عهد أحد أواخر ملوك الهكسوس الذى كان لا يزال يحكم في هذه البقعة فإنه مما يطيب لنا أن نجعل بطريقة ما بين أنه أجنبي وبين المعارضة المتزايدة من جانب المصريين ضد الهكسوس . وإنه لمن الصعب القول أن تعيين مثل هذا الأجنبي في وظيفة إدارية رئيسية كان من الأشياء التي أثارت الشعور المصرى على الهكسوس ، أو أن المعارضة المتزايدة قد حركت الهكسوس إلى الاعتماد على أناس من جنسهم أكثر من الاعتماد على المصريين الذين لم يكن من الممكن بعد الاعتماد عليهم ، وذلك بالنسبة لانتفاض المصريين عليهم وتحريك الشعور الوطنى في وجه الحكم الأجنبي . ومهما يكن من أمر فإنه جاءت بعد هؤلاء الحكام العظام طائفة أخرى من الهكسوس حوالى ١٦١٠ ق. م. ويمكن أن نسميهم الأسرة السادسة عشرة وأسماء هؤلاء الملوك لم نجد لها بعد مذكورة على آثار من بلاد النوبة والجزء الجنوبى من الوجه القبلى بل نجد لها مجموعة في الجزء الشمالى من مصر وفى فلسطين الجنوبية ، ويميز هذا العصر بالشجار الذى نشب بين الهكسوس والمصريين ،

وكما ذكرنا من قبل يظهر أن التجديد في فنون الحرب الذي جلبه الهكسوس إلى مصر يمكن أن يؤرخ من الوجهة الأثرية بهذا العهد ، وذلك عندما كان موقف الهكسوس السيامي في البلاد يهدده المصريون طلباً في استقلال بلادهم وطرد الغاصب . ولدينا من هذا العهد أثر صغير غاية في الأهمية عثر عليه في مقبرة « بالعرابة المدفونة^(١) » وهذا الأثر هو تمثال « بوهول » له رأس ملكي ووجه سامي . ويلاحظ أنه يذبح بخالبه مصرياً ، وإذا كان مصري قد استولى على مثل هذا التمثال غنيمة ، فإنه على أغلب الظن كان يهشمه ويلقى به بعيداً لما فيه من إثارة الخاطر بدلاً من أن يدفنه معه في قبره ، على أن وجود هذا التمثال في « العرابية » قد يدل على أن تاريخه يرجع إلى العهد الذي كان فيه الهكسوس لا يزالون يحكمون هذا الجزء من الوجه القبلي ، ولكن حدث ذلك عندما كان الشعور قد أصبح مريراً بين الهكسوس والمصريين .

وفي الوجه القبلي كان الملوك المحليون قد وصلوا في هذا الوقت إلى الحصول على استقلال ذاتي أخذ في التزايد كل في مملكته الصغيرة في قلب مصر .

فنجد في « طيبة » أنه قد ظهر أول ملوك الأسرة السابعة عشرة بألقابهم الملكية وادعوا أنهم الحكام الشرعيون لمصر ، غير أنهم لم يكادوا يحكمون أكثر من الرقعة المجاورة لطيبة ، ومن المحتمل أنه كان لزاماً عليهم أن يدفعوا جزية للهكسوس في الشمال . وأغلب الظن أنه كانت توجد أسيرات حاكمة كثيرة محمية أخرى في الوجه القبلي في نفس الوقت ، غير أن نسل ملوك « طيبة » هم الذين طردوا الهكسوس في النهاية بعد أن أصبح سلطانهم قوياً .

والتاريخ المبكر للشجار الذي تشب بين الهكسوس والمصريين يحيطه الغموض ، والمصدر الرئيسي لذلك لدينا هو قصة من عهد « الرعامسة » أي أنها كتبت بعد وقوع الحادث بعدة قرون ، هذا فضلاً عن أن متن القصة ممزق . وموضوع القصة هو شجار بين أحد ملوك الهكسوس يدعى « أبو فيش » وملك « طيبة » المسمى

« سقن رع » الذى كان سلفا للملك « كاموس » والملك « أحس » وهما الملكان اللذان طردا الهكسوس فى نهاية الأمر^(١). هذا وسنرى أن اللوحة التى كشف عنها حديثا تقرب الى اذهاننا ما جاء فى هذه القصة كما سنرى بعد .

وتحدثنا الوثائق أن مصر كانت فى حالة ولاء فى هذا العهد وكان الوباء فى بلد الأسويين ، (يقصد أواريس) منذ أن كان الملك « ابوفيس » فى أواريس ، وكانت كل الأرض خاضعة له . وقد اتخذ الملك « ابوفيس » الإله « سوتخ » رباً له ، ولم يخدم أى إله آخر فى كل البلاد وقد أقام معبداً جميلاً للإله « سوتخ » وعبد هذا الإله بنفس الطريقة التى عبد بها إله الشمس « رع حور أختى » .

وكان الملك « سقن رع » من جهة أخرى حاكم « طيبة » ولم يمل إلى أى إله آخر فى كل البلاد إلا « آمون رع » ، والظاهر أنه أراد أن يهدئ من روع ملك الهكسوس فأكد له ولاءه ، ولكن مما يؤسف له أن نهاية هذه القصة فقدت ويحتمل أنه جاء فيها ذكر بعض انتصار للملك « سقن رع » بطل القصة على الهكسوس . ولا نعلم أى « ابوفيس » قد أشير له فى القصة ، والواقع أنه يوجد ملكان باسم « ابوفيس » وهما « ابوفيس » « عاقن رع » و « ابوفيس » « نب خبش رع » . والأول نعرفه من النقوش المعاصرة فقد بنى معبداً (أو على الأقل جزءاً من معبد) للإله « ست » « صاحب » أواريس « ولما كان « ابوفيس » الذى ذكر فى القصة قد فعل مثل ذلك فإن عدو « سقن رع » من المحتمل أن يكون « ابوفيس عاقن رع » وعلى أية حال سواء كان « ابوفيس الأول » أو الثانى فإن اسمه كان مركباً تركيباً مزجياً مع اسم الآلهة « رع » . وبذلك يكون من الذين قدسوا هذا الآلهة ، وهذه حقيقة تبرز بوضوح على الجانب الذى كانت تتجه إليه الدفاعة فى القصة .

ولأنه لمن الصعب أن يصل الإنسان إلى لب الحقيقة فى هذه القصة المتأخرة جداً ،

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٢٨ : إلخ .

ولكن من السهل أن نفهم أن هذا الملك كان في أواخر عهد «سقن رع» لا يزال يدفع جزية لملك الهكسوس وأنه هو الملك الذي بدأ في وضع المقاومة المنظمة لطرد الأجانب ، ومن المحتمل أن هذا المجهود الأول هو الذي أجبر الهكسوس على الاعتراف باستقلال حكام « طيبة » .

ونجد في رأس الملك «سقن رع» خمسة جروح مخيفة ، ولكن كما يقول كل من «جن» و « جاردنر » إن القول بأن هذه الجروح قد أصابته في خلال معركة مع الهكسوس قول مفر معتمد على الحدس والتخمين^(١) والمرجح صدق هذا القول ، وقد أشير بوضوح إلى هذا الموقف السياسي الدال على حكومة مستقلة في مصر العليا في متن من عهد خلف «سقن رع» وهو عهد الملك «كاموس» . ولدينا روايتان عنه أحدهما على لوحة معاصرة والرواية الثانية هي نسخة متأخرة بعض الشيء كتبت على لوحة من الخشب^(٢) . ومما يؤسف له أن نهاية القصة وجدت مهشمة في كلا المتنين ؛ (ولكن لحسن الحظ كشف أخيراً عن لوحة ثانية هي بلا نزاع تكملة لحروب كاموس التي تحدث عنها في لوحة كرنارفون) وهما مؤرخان بالسنة الثالثة من حكم «كاموس» وبعد صيغة التاريخ يستمر المتن قائلاً : « الملك القوى في « طيبة » « كاموس » معطى الحياة أدياً كان ملكاً محسناً وقد جعله « رع » ملكاً حقيقياً وسلمه القوة بالحق المبين » .

« وقد تكلم جلالته في قصره لمجلس الأشراف الذين كانوا في حاشيته : « إلى أى مدى أدرك كنهه قوتي هذه عندما أرى حاكماً في « أواريس » وآخر في « كوش » وأنا أجلس (في الحكم) مشتركاً مع أسبوى ونوبى وكل واحد منهما مسئول عن جزئه من مصر هذه ؟ وذلك الذى يقاسمنا الأرض لا أجعله يمر في ماء مصر حتى « منف » التي تتبع (في الواقع) لمصر لأنه يملك « هليوبوليس » واني سأصارعه وأبقر بطنه وإن رغبتي هي تحرير مصر والقضاء على الآسيويين » .

(١) راجع J.E.A., 5, p. 43

(٢) راجع A.S., 39, p. 245 ; J.E.A., 3, p. 95 ; 5, p. 45

وعندئذ قال عظماء مجلسه : « تأمل ان اقليم الآسيويين يمتد حتى « قوص » ولقد أخرجوا ألسنتهم لنا حتى آخرها ، ولكننا في أمان قابضين على نصيبنا من مصر « الفنتين » قوية ، والأرض الوسطى معنا حتى « القوصية » ، والناس يزرعون لنا أحسن أرضهم ، وماشيتنا ترعى في الدلتا ، والشعير يرسل لحنازيرنا ، وماشيتنا لم تقتصب ، وليس هناك هجوم على . . . وعلى ذلك . . . وأنه يستولى على أراضى الآسيويين ونحن مستولون على مصر ولكن كل من يأتى إلى أرضنا ويناهضنا عندئذ نناهضه » .

والكلام الذى يلى ذلك وهو للملك مهشم ، ولكن يمكن أن نفهم منه أنه قد أعلن « أنه سيطرد من سيشاطر الأرض معه » وأنه « سيسير شمالا ليقبض عليه والنجاح سيأتى والأرض قاطبة ستصفق للحاكم القوى فى داخل طيبة « كاموس » حامي مصر » .^(١)

وعلى حسب رأى الأستاذ « دى بك » الذى يقول إنه من الموضوعات التقليدية ان الملك قبل اتخاذ قرار هام كان يتحدث مع عظماء بلاطه ، وأن هؤلاء بدورهم كانوا يعرضون عليه كل الصعوبات الخاصة بالأمر المقترح على الملك ناصحين إياه بالألا يسعى فى هذا المشروع الصعب . ولكن حتى لو كان ما لدينا هنا هو حيلة أدبية لتبرز لنا قرار الملك وعمله الجوى فإن ذلك لا يعنى أن كلمات العظماء تقدم لنا صورة كاذبة عن الموقف الحقيقى ، إذ فى الواقع على عكس الأوصاف المتأخرة لحكم الهكسوس نجد أن كلام العظماء يقدم لنا صورة أحسن قبولا عن الموقف ، إذ يعترفون أن النوبيين لم يصبحوا بعد تحت حكم المصريين ، ولكن الحدود كانت محصنة تحصيناً جيداً عند « الفنتين » فلم يكن فى إمكان النوبيين أن يهددوا قطر « كاموس » . وكان الهكسوس لا يزالون يحكمون أجزاء كبيرة من « مصر » حتى « قوص » . ومع ذلك فإن هذا الوضع لا يخلو من الفوائد . فالهكسوس لم يعدوا بعد متوحشين قساة ظالمين — وهى الصورة المعتادة التى ورد ذكرها فى المصادر المتأخرة — بل إنه كان من الممكن أن يعاملهم الإنسان ويعيش معهم فى سلام . فأهل « طيبة » كان مسموحاً لهم أن يربوا

(١) أنظر بقية اللوحة فى مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٤٠ — ١٤١

الماشية في الدلتا على الرغم من أن أرضها تابعة لاقليم الهكسوس ومع ذلك فلا يغتصب أحد ماشيتهم .

على أن هذا الموقف الذى يتم عن ميل متبادل بين المصريين والهكسوس ليس مجرد تعبير أدبي يقابل الفكرة المضادة التى كانت تحتاج نفس الملك « كاموس » قبل أن يعلن الحرب على الهكسوس . على أن عدم وجود حقد في صدور المصريين على هؤلاء الهكسوس يمكن أن نراه ممثلاً في نقش أثرى كثيراً ما حير العلماء الذين كانوا يعتمدون على الأوصاف العدائية للهكسوس في المصادر المتأخرة ليبرهنوا على كره المصريين لهؤلاء الغزاة . وذلك أنه قد عثر في قبر الملك « أمنمحتب الأول » الذى مات بعد حوالى نصف قرن من عهد « كاموس » (حوالى نفس الوقت منذ أن نسخ على لوحة من الخشب نقش « كاموس ») على قطعة من إناء المرمر عليها اسم الملك « طوسررع » « أبوفيس » وابنة الملك الممياء « حريت » ، والغريب أنه لم يوجد في هذا النقش أية إشارة تدل على الكشط ، وعلى ذلك فإن وجود أثر نقش عليه اسم ملك من ملوك الهكسوس الذين كان مفروضاً دائماً أن المصريين يحقدون عليهم أشد الحقد في مقبرة ملك مصرى يدل على أن الملوك المبكرين في الأسرة الثامنة عشرة كان لهم رأى غير معاد للهكسوس إذا ما قرن بالرأى الذى نقرؤه في المصادر المتأخرة عن هؤلاء القوم^(١) .

ويلحظ أن الملك « كاموس » في جوابه لرجال حاشيته لم يعتنق السبب الذى أشير إليه في خطابه الأول وهو أن مواطنيه في الوجه البحرى قد عوملوا معاملة سيئة على يد الهكسوس ولكنه يؤكد نقطة أخرى وهو أنه لا يمكنه أن يتحمل حاكماً آخر يقاسمه أرض مصر . وسياسته على حسب التعابير الحديثة يمكن أن توصف بالكلمات التالية : « شعب واحد وبلاد واحدة وزعيم واحد » . (ويفهم من منطوق النقش أنه كان يعتبر مصر والسودان بلداً واحداً) .

(١) والواقع أن وجود هذه القطعة من النقش قد يدل في آن واحد على أن الأثر الأصلى كان قد هشم نسبته للهكسوس وبقيت هذه القطعة لتحدثنا عن أنه قد هشم لهذا السبب .

وعلى ذلك فإنه قد يكون من غير المؤكد أن المصريين فضلوا أن يدفعوا ضرائب « لكاموس » بدلا من دفعها للهكسوس . وتوجد ظروف خاصة يمكن أن تبرر هذه الشكوك . فالعدو الأول الذى هاجمه « كاموس » ، هو شخصية تدعى « تيتى » ابن « بيوبى » فى بلدة الحدود المسماة « نفروسى » . ومن المحتمل أن هذا كان مصرى إذا حكمنا عليه من اسمه ، وقد قيل عنه إنه قد حوّل « نفروسى » إلى عش للآسيويين ، وهذا تعبير يوحى بأنه مصرى قد انحاز إلى الهكسوس وبخاصة أن كلامه على ما يظهر يعد مناقضا لكلمات « كاموس » : « لقد وليت ظهري للآسيويين الذين اعتدوا (٩) على مصر » . ويمكن أن نفهم أن صغار الملوك قد اختفوا عندما تسلم الطيبون زمام الحكم ، ومن الجائز أنهم لم يسلموا دون مقاومة وأن بعضهم قد فضل الانضمام إلى الهكسوس الذين كانت قبضتهم على البلاد منعلة ، ويمكن استنباط ذلك من ظهور الأسرة السابعة عشرة نفسها . هذا هو رأى سيف زودربرج ، ولكن الواقع أن المصريين كانوا فى كل تاريخهم لا يفضلون حكم الأجنبي مهما كان رحيما وأنهم بلا شك كانوا يعملون على طرد الهكسوس من بلادهم وأن وجود خائن واحد لا يدل على قبولهم حكم الأجنبي .

ومهما يكن من أمر فإننا لا نكاد نتظر من متن رسمى إشارات للسجاح أكثر وضوحا فى مثل هذه الأحوال مما ذكر ، ولكن الرواية الرسمية يجب بطبيعة الحال أن توحى بأن « كاموس » قد رحب به بحماس من الأهالي بوصفه المحرر لوطنهم ، وهذه هى الحالة التى يجب أن تسود فى أيا منا أيضا .

وقد ذكر فى الوصف الأول المختصر للحروب جنود المزوى مرتين والظاهر أنهم قد لعبوا دورا هاما ، ونحن نعلم أن المزوى كانت قبيلة تسكن البقاع الواقعة جنوبى مصر ، وجنود المزوى الذين ذكروا فى متن « كاموس » كان يجب أن يكون بينهم صلة وبين المقابر التى تدعى المقابر القعبية التى وجدت موزعة فى هذا الوقت على مساحة تعادل

بالضبط الإقليم الذى كان يسيطر عليه « كاموس » وتظهر لنا محتويات هذه المقابر بوضوح أنها ملك لقبيلة حربية من بلاد النوبة والسودان وكان أهلها مجهزين بأسلحة مصرية ، وقد رسم على رأس ثور أحد هؤلاء المتوحشين الذين أتى بهم بواسطة الطيبين لمساعدتهم على الهكسوس^(١) وهو حامى السلالة يرتدى قميصا ويحمل بلطة مصرية ومقلاطا .

وكذلك لدينا صور معاصرة تقدم لنا فكرة عن منظر المحارب الهكسوسى ، فلدينا من عهد ملك الهكسوس المسمى « أبو فيس » « نب خبش رع » خنجر وجد فى مقبرة « بسقارة »^(٢) ومن المحتمل أن هذا الملك كان مناهضا « لكاموس » . وقد وجد الخنجر فى قبر رجل سامى الجنس يدعى « عابد » وهو فى الأصل كان لسامى محارب آخر . كان سيده يتبع عظيما يدعى « نمن » ، وكان « نمن » ذا ملاح سامية وأسلحته التى كانت معه حربة وقوسا قصيرا مركبا وسيفا وخنجرا ويحتمل أنها كلها من طراز سامى . وطراز الخنجر نفسه بمقبضه المطعم يحتمل أن يكون طرازا أسيويا جديدا أيضا ، والواقع أنه من أقدم العينات المعروفة لهذا الطراز من الخناجر المتقنة البتارة^(٣) وكذلك يظهر فى الزخرفة التى عليه الأثر الأسيوى ويمكن أن نقرنها مثلا بجعران من « يريحا » من فلسطين ولدينا فى هذه الزينة أسلوب سورى فلسطينى الأصل ، وكذلك يوجد نفس الفن فى الزينة فى مجوهرات سورية^(٤) . وقد جاءت اللوحة التى كشفها الأستاذ ليبب حبشى مؤيدة لهذا رأى كل التأييد كما سنرى بعد :

وهذه الصور تبرهن لنا بوضوح على أن الهكسوس كان لهم اتصال وثيق بآسيا ومن ثم أخذوا عنها قوتهم الفنية فى فنون الحروب خلال الحروب الفاصلة التى شنوها

(١) راجع Brunton, Mostagedda Pl. 76

(٢) راجع A.S, 7, pl. opp. p 116

(٣) راجع Winlock, op. cit., 159 f.; Petrie, Ancient Egypt, 1930, p. 97 ff.

(٤) راجع Rowe, Catal. of Egyp. Scarabs in the Palestine Arch. Mus., Pl. 2 : 69, p. 20

(٥) راجع Montet, Les Reliques de L'Art Syrien, p. 133 ff.

على المصريين الذين اعتمدوا بدورهم على أراضيهم الخلفية في افريقيا . وهكذا نخرج بفكرة أن حروب التحرير هذه كانت حروبا بين آسيا و افريقيا .

ولما كانت نهاية متن « كاموس » قد فقدت فقد بقينا لا نعرف إلى أى حد قد نجح المصريون في طرد الهكسوس نحو الشمال إلى أن كشفت اللوحة التي أماط عنها اللثام الأستاذ ليب حبشى في صيف عام ١٩٥٤ هو والدكتور حماد في معبد الكرنك^(١) .

(١) وقد حدثني عن هذا الكشف الأستاذ ليب بما يأتي :

عند ما ندخل إلى صالة الأعمدة من مدخلها الغربى أو المدخل الرئيسى نجد تماثيلين لرئيسين^(٢) أحدهما على اليمين والآخر على الشمال وعندما كان الأستاذ ليب حبشى كبير مفتشى آثار مصر العليا والدكتور حماد مدير الأعمال يعملان في لفص القاعدة وجدا تحت التمثال الأخير بعض الأجرار المعاد استعمالها ومن ضمنها لوحة كبيرة ، اتضح أنها للـك كاموس آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة التى حكمت في طيبة .

واللوحة من الحجر الجيري [وارتفاعها ٢٢٠ سم (كانت حوالى ٢٣٥ سم عندما كانت كاملة) وعرضها ١١٠ سم وممكها ٢٨ سم ولا يتقصها سوى جزء بسيط من أعلاها .

وعلى هذه اللوحة الشمس المخبئة في أعلى ثم ٣٨ سطرا أفقيا تنهى بسطر واحد رأسى ويجواره رسم لرئيس حاملى الأختام "Neshi" وهى تقص علينا شطرا من حرب الملك مع الملك أبوفيس ملك الهكسوس .

ولقد كان أول نص وصلنا عن هذا الحرب هو "Carnarvon Tablet No. 1" التى اكتشفت عام ١٩١٢ فى البر الغربى بطيبة ، وقد نظر إليها بعض العلماء على أنها قصة خيالية ، ونظر لها البعض الآخر على أنهم "Gardiner" على أنها قصة حقيقية منقولة عن لوحة بأحد معابد طيبة . ولقد صدق تخمينه عندما نشر المسيو شفرييه سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٣٥ على قطعتين من لوحة فى بناء الصرح الثالث من الكرنك ، اتضح أنها جزء من بدء لوحة للـك نفسه يقص علينا نفس القصة "Lecau, Ann, 39" .

كذلك أثبتت اللوحة المكشوفة حديثا تحت تمثال رئيس الثانى نظرية جاردنر ، كما أتاح لنا معرفة بعض التفاصيل عن صراع ملك مصر مع ملك الهكسوس الذى قصوه علينا فى لوحين كاملتين مما لم يسبق عمله فى التحدث عن أى حرب أخرى أو أى عمل آخر .

ومن اللوحة الأولى وصلنا فقط حوالى السدس . أما اللوحة الثانية فقد وصلنا لحسن الحظ سليمة ، ومن هاتين اللوحتين ومن لوح كارنافون (وفيها فقط جزء من اللوحة الأولى) نستطيع أن نتابع أخبار هذا الصراع ، وفى اللوحة الأولى يتحدث الملك كيف أنه فى السنة الثالثة من حكمه جمع كبار رجاله ليحدثهم عن امتيانه من أنه لا يحكم مصر كلها وأنه لا بد محارب الأجنبي فى شمال الوادى وجنوبه فيحاولون أن يثنوه من عزبه ولكن على غير جدوى ، ويذهب حتى قهرويسى وينتصر على "Teti, son of Piopi" وهنا تنقطع اللوحة . ولكن من اللوحة الثانية نستطيع أن نتابع أحداث الحرب فنجد أن كاموس =

والواقع أن النصر النهائي قد أتى على يدى أخيه وخلفه « أحس » وقد حدثنا ضابط بحرى يدعى « أحس » بن « إباننا » أن « أواريس » قد سقطت بعد حصار طويل وأن « شاروهين » الواقعة فى فلسطين الجنوبية قد حوصرت بعد ذلك ثلاث سنوات وسقطت . ولا بد أن « شاروهين » هذه كانت معقلا فى فلسطين الجنوبية ويحتمل أنها موحدة ببلدة « قل الفرعة » وهى التى يسميها « بترى » « بيت بلث » (Beth Peleth) فى تقريره عن الحفائر فى هذه الجهة^(١) . وبسقوط هذا الحصن أبعد الخطر من الشمال وكسرت شوكة الهكسوس على الأقل فى هذه الفترة ولا أدل على ذلك من أن « أحس الأول » حوّل نظره الآن نحو الجنوب واستولى ثانية على بلاد النوبة السفلى حتى « بهين » عند الشلال الثانى . فإذا كان الهكسوس وقتئذ يؤلفون خطراً مداماً فى الشمال فإن التوسع فى الجنوب لم يكن ممكناً .

== يذهب شمالاً حيث يخرب بعض البلاد وحيث يشيع الرعب فى النفوس ، فهو يحدثنا كيف أن النساء أصبحن لا يستطعن أن يحملن وكيف أنهن كن يتظرن إليه من أسطح منازلهن أو من النوافذ كما تفعل صغار الحيوانات المقرمة عندما تنظر إلى المارين من مغاراتها . ويستمر فيحدثنا كيف استطاع أن يقبض على ٣٠٠ مركب محملة بالذهب والفضة وال lapis-lazuli, amethyst والزيت والشحم والعسل ، وكل نوع قيم من أخشاب الأشجار وكلها من منتجات بلاد "Retenow" (فلسطين) ثم يحدث إلينا بعدئذ كيف وفق للقبض على رسول ملك الهكسوس إلى ملك كوش الذى دعاه لمحاربة ملك مصر ليقتلها الأرض فيما بينهما ، فهو يقول له فى هذه الرسالة كيف تكون حاكماً ولا يسمح لك بأن تعرفى ... ألا ترى ماذا عمل ملك مصر ضدى ؟ فإن الحاكم الذى فيها يوشك أن يتقدم نحو أرضى ولا يمكننى أن أهاجم بنفس الطريقة التى اتبعها معك ؛ لقد أختار أرضين كى يهاجمها ، أرضك وأرضى ، فقد شاء أن يخربهما : تعال واجبر شمالاً وحدك فاني هنا ولن يستطيع أن يتغلب عليك فى مصر فليسمح له بمهاجمتك ، ودعنا نقسم أرض مصر بيننا . فياخذ الرسالة ، ولكنه يطلق الرسول ليحدث سيده عما فعله كاموس فى الأراضى المحتلة ، ويتبى كاموس من حديثه بأن يخبرنا بأنه بقى فى بلده "Qasa" (القيس مركوبى مزار) لينزع العصاة من التسلسل وراء خطوطه ، وكيف أرسل حاملي الأقواس لتخريب الواحة البحرية ، وقد كانت ولا شك من مراكز الهكسوس الرئيسية وأخيراً كيف عاد إلى أميوط وطيبه حيث خرج الناس من كل بلد يستقبلونه استقبال الفاتحين^(٢) وليقدموا لأمون الكرنك القرابات ، ثم كيف أقيمت هذه اللوحة بأمر الملك وبإشراف "Neshi" المرسوم على اللوحة والذى أشرنا إليه فيما سبق .

ولا شك فى أن هذا الصراع الذى لم ينل فيه الملك انتصاراً تاماً قد مهد السبيل لخلفه الملك أحس فى النجاح فى طرد الهكسوس نهائياً من البلاد .

وقد أخذ المصريون عن الهكسوس كثيراً من التجديد في فنون الحرب الآسيوية ولم يلبثوا أن أصبحوا من أقوى الدول في الشرق الأدنى وقد فتحوا كذلك دولة في الشمال أيضاً . وفي غضون الحملات المتأخرة في آسيا تعلم المصريون أشياء جديدة من الفنون الجديدة في الحرب التي أصبحت مميزة بها ، وذلك نتيجة لإدخال استعمال العربات التي تجرها الجياد استعمالاً كاملاً . ففي مصر وكذلك في ممالك أخرى كانت الحروب تشن بوساطة جنود محترفين قد تعلموا حرفتهم منذ الطفولة ، وكانوا يقطعون الإقطاعات مقابل ذلك هبة من الفرعون ، وكانت هذه الإقطاعات تبقى في الأسرة ما دام فرد من الأسرة يحارب في جيش^(١) جلالة .

وقد كان من نتيجة احتلال الهكسوس لمصر أنها غيرت عاداتها بالنسبة لفنون الحرب وبالنسبة لتفاصيل أخرى فنية كما غيرت أنظمتها الداخلية السياسية فبدأت مصر تدخل في عهد يمكن أن يطلق عليه عصر الفروسية في الشرق الأدنى .

(١) راجع Save Soderbergh, The Navy of the 18th Dynasty, p. 81

العلاقات بين العصر المتوسط الثانى

فى مصر وبلاد النوبة

لقد خيم على مصر منذ نهاية الأسرة الثانية عشرة عصر من أظلم عهود التاريخ المصرى فلم نعرف عن تتابع ترتيب ملوكه إلا الشئ القليل على وجه التحقيق ، ولكن على الرغم من ذلك فإن التطور السياسى فى بلاد النوبة بما عثر عليه من النقوش والآثار التى وجدت فى مصر وفى بلاد النوبة السفلى و « كرمه » يمكن أن نبني خطوطه الرئيسية . والأشياء الهامة التى يمكن الحكم بها على حالة بلاد النوبة السفلى هى ما عثرنا عليه فى حصون « الشلال الثانى » ، وذلك لأنها قد أقيمت حماية للحدود فى أماكن تكاد تكون قاحلة وبدونها كان لا يمكن لمصر أن تسيطر على بلاد النوبة السفلى ، ففى قلعة « ورنرتى » عثر على أسماء ملوك فى صورة طوابع أختام فى طبقات التربة وتؤرخ بالعهد الذى يلى الأسرة الثانية عشرة^(١) ، وأحد هؤلاء الملوك يدعى « حور — خع — باو — سخم — رع — خو — تاوى امنمحات سبكحسب » وينسب لهذا الملك نفسه أربعة مقاييس للنيل نقشت فى « سمته » واحد منها دونه المشرف على الجيش وقائد حصن « سمته » المسمى « رن سنب »^(٢) وفضلا عن ذلك ظهر اسمه على تمثال صغير مستخرج من « كرمه »^(٣) .

وهذا الملك — لا كما ذكرت ورقة « تورين » : « حورخوتاوى » — لا بد أن يكون أول ملك حكم البلاد قاطبة بعد الأسرة الثانية عشرة^(٤) .

وفى الوقت الذى تلا عهده تمزقت وحدة البلاد وحكم أجزاءها المتفرقة عدد

(١) راجع Bull. Boston, M.F.A, Vol. 28, p. 47 ff.; Sudan Notes and Records, 14, (1931) p. 1 ff

(٢) راجع Sethe, Lesestucke, p. 99

(٣) Kerma, II, p. 516 and p. 111

(٤) راجع Journal Asiatique Ser., 11, 6 (1915) 2, Ser. 11, 9 (1917), 194 f

من الملوك المحليين بعضهم معروف وبعضهم خامل الذكر ، فمن حكام الوجه القبلي نعرف ملكين آخرين عثر على اسميهما في « ورنوتي » أحدهما يسمى « حور مري تاوي » ولم يعثر على اسمه إلا في هذا المكان ، أما الملك الآخر فهو « حور زدي خبرو » وقد ظهر في « العراية المدفونة » باسم « حور ددوي خبرو ^(١)... » .

وحوالي نفس الوقت كان الملك « حور خو تاوي رع » باسمه ابن « رع » « وجاف » وهو الذي ذكرناه آنفاً على ما يظهر كان يحكم فقط الوجه القبلي . ومما جاء على تمثاله الذي عثر عليه في « سمته ^(٢) » نعلم أن نقطة دراسة الحدود عند « الشلال الثاني » كانت لا تزال محافظاً عليها .

وفي هذا العهد الذي أصاب فيه مصر الضعف والتفكك نجد على الرغم من ذلك أن سلطانها كان لا يزال ممتداً على بلاد النوبة السفلى ، ثم لم تلبث أن استعادت وحدتها ثانية في عهد الملكين « نفرحتب » وأخيه « نفر رع سبكحتب » بوصفهما الحاملين لنهضة سياسية قوية في البلاد ، وتدل الآثار الباقية على أنهما كانا يسيطران سلطانهما على كل البلاد . وقد وجد في « جبيل » « ببلوص » نقش يدل على أن « نفرحتب » كان له نفوذ خارج الحدود المصرية ^(٣) وقد جاء ذكر هذا الملك في نقوش ضحور في بلاد النوبة عند « الشلال الأول » ، وكذلك ذكر على لوحة « بهين ^(٤) » . أما أخوه « سبكحتب » فقد عثر له على تمثال في جزيرة « أرقو » القريبة من « كرمه ^(٥) » . ولما كان وجود هذا التمثال يدل على استمرار مستودع « كرمه » حتى عهد الهكسوس فإنه بالإضافة إلى التماثيل التي وجدت في المقابر التالية الشكل تكون معاصرة ولم تنقل إلى هذا المكان في العصر الكوشي ^(٦) .

(١) راجع Rec. Trav., 22, 138; L.R., II, 84

(٢) راجع Gauthier, L.R., II, 151 h.i.

(٣) راجع Montet, Kemi I, 90 ff., Fig. 8

(٤) راجع Buhen, p. 201, Pl. 74

(٥) راجع L.D., II, p. 151 h.i.

(٦) راجع A. J. S. L. (1908), p. 41 ff. : Drioton-Vandier, L'Egypt, p. 278

وهى على الأقل كآثار « كرمه » أو مائدة القربان التى وجدت كذلك باسم « سنوسرت الأول » تعتبر شاهداً على سيطرة سياسية مصرية على هذه البلاد ، وقد انقطعت عنا المصادر الأثرية الخاصة بعلاقة مصر بالجنوب تماماً فى هذه الفترة ، وكل ما وصل إلينا من عهد الملك « خع نفررع سبكحتب » هو نقش مهشم جداً ويحتوى على ما يظهر على إشارات إلى حرب على المزوى ؛ وكذلك على بلاد « واوات » ، غير أن هذه الإشارات مبهمة . هذا ويحتوى كتاب الاحصاء لشئون الحاشية^(١) فى بلاط اللشت وهو المعروف بورقة « بولاق رقم ١٨ » — وقد كتبه كاتب يدعى « نفرحتب » عاش فى نفس هذا الوقت تقريباً — على معلومات عن توريد أفراد المزوى الذين أتوا إلى مصر بوصفهم عبيداً من بلاد « أوشق » . واسم هذه البلاد جاء ذكره كذلك فى كتاب « اللعنة^(٢) » بجانب اسم المزوى . هذا وليس لدينا أية وثيقة عن حرب عظيمة وقعت فى الجنوب . وهذان المصدران لم يذكرنا لنا أى شئ تقريباً يدل على تغير فى الموقف السياسى للبلاد . حقاً لم تدلنا الآثار المكشوفة عن المحافظة على نقطة الحدود عند « الشلال الثانى » ، ولكن لدينا لوحة دثر عليها فى « بهين » فى مقبرة سليمة تدل على استمرار مستعمرة « بهين » فى يد المصريين . وعند ما تخطت السيادة المصرية عصر الضعف السابق لم يكن من المنتظر أن يحدث أى تغير فى الاتحاد الذى حصلت عليه البلاد .

ومن ثم يظهر أن العصر الذى أتى بعد الأسرة الثانية عشرة كان عصر سلام فى الجنوب وكذلك تدل الآثار المكشوفة على وجود هذا الاتجاه السلمى . ونفهم من محتويات المقابر التى وجدت فى بلاد النوبة السفلى من هذا العصر على أن هذه البلاد كانت تتمتع بعصر ازدهار ، ويرجع أقدم هذه المقابر إلى أواخر الأسرة الثانية عشرة كما ترجع أخرى إلى عصر الهكسوس . والواقع أن تحديد تاريخ هذه المقابر بوجه عام

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٣٨٨

(٢) راجع Sethe, Achtung, etc.

يعد من الأمور الصعبة ، لأن المقابر التي لدينا هي مقابر أسر لم تفصل محتويات كل واحدة منها عن الأخرى إلا نادراً بسبب ما أصابها من نهب وتخريب في الأزمان القديمة .

ويمكن فقط في هذا العصر جمع الأواني الفخارية باعتبارها وحدة ثم جعل الزيادة المئوية لطراز معين من مجموعة أساسية خاصة بالدفن بمثابة نقطة ارتكاز لتأريخ تقريبي . ومن ثم نجد أن الأشكال الفخارية التي تطورت ببطء ثم بقي منها طرز خاصة هي التي تكون مميزة للعصور القديمة^(١) .

وأسماء الملوك في هذا العصر قليلة ، وقد وجدت منقوشة كلها على جعارين قديمة مستعملة ثانية في مقابر أحدث عصر منها . ومن أجل ذلك يصعب استخلاص تاريخ محدد بوساطتها ، وبخاصة أن التطورات منذ أفول نجم الأسرة الثالثة عشرة حتى نهاية الأسرة الرابعة عشرة كانت قد ركدت^(٢) بدرجة عظيمة .

ويلاحظ أنه توجد جبانات مصرية من عهد الدولة الوسطى في « كوبان » و « عينية » و « بهين » وفي حصن « سمنا » و « شلفك » والأخيرتان منها لم تنشر محتوياتهما ، ولذلك لا يمكن تأريخهما بوجه التأكيد . وتقع الجبانات في المستعمرات الثلاث الكبيرة التي كان قد استولى عليها المصريون فعلا في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وكذلك مدت مصر سلطانها حتى الحدود الجنوبية . والمقابر القديمة الخاصة بجبانات « كوبان » قد أُرْخِها الأثرى « فرث » بنهاية الأسرة الثانية عشرة وما بعدها^(٣) . وليس لدينا معيار تاريخي يقربنا من الحقيقة مثل أسماء الملوك التي على الجعارين . هذا إلى أن إعادة استعمال حجرات الدفن في عهد الدولة الحديثة قد وضعت أمامنا العقبات التي تعوقنا عن الوصول إلى رأى قاطع عن قدم القبر وتأريخه ، ومع ذلك فإن هذه

(١) راجع Peet, Cemeteries of Abydos, II, 70 and J.E.A., 14, p. 204

(٢) راجع Save, Ibid, p. 12, Note 2

(٣) راجع Firth, III, p. 24

العقبة يمكن تلافيها لما يوجد بين فخار « تل اليهودية » وفخار « كرمه » من علاقة تجعلنا نعطيه تاريخاً أحدث .

ونجد في « عنينة » على حسب ما نشر حوالى عشر مقابر تؤرخ بالنصف الثانى من الأسرة الثانية عشرة والأسرة الثالثة عشرة والعصر المتوسط الثانى ، فى حين نجد عشرين مقبرة مؤرخة بالعهد المتوسط الثانى وبداية الأسرة الثامنة عشرة . وهذا التاريخ فى تفصيله غير مؤكد كما أكد ذلك لنا الأستاذ « ستيندورف » ومع ذلك فليس هناك شك فى أن المستعمرات كانت مزدهرة فى العهد الذى تلا الأسرة الثانية عشرة . حقاً إن أسماء الملوك تكاد لا توجد فى هذا العهد ، ومن ثم فإنه من الصعب تحديد تاريخ القبور القديمة . وعثر على جعران فى مقبرة^(١) لمن عهد الدولة الحديثة نقش عليه اسم ملك يدعى « سخعن رع » ومن المحتمل أن هذا الملك وجد فى « كرمه » ويرجع عهده إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة أو عصر الهكسوس ولا بد أن تؤكد هنا أنه لم يعثر على أى شئ يمكن أن نستخلص منه تاريخاً من عصر الهكسوس المتأخر . أما فى مقابر « بهين » فلدينا بوجه خاص جبانة « K » التى لها أهمية خاصة عظيمة ، وذلك لأن موقعها داخل سور المدينة الذى أقيم على ما يظهر فى عهد « أحمس الأول » مما يجعلنا تؤرخها بالعصر الذى جاء قبل الأسرة الثامنة عشرة . وكذلك لدينا بعض مقابر ضمن جبانات أخرى « J.H » فى « بهين » يمكن تأريخها بعهد الدولة الوسطى والعهد المتوسط الثانى ، ولكن نضرب عنها صفحاً لعدم تأكدنا من تأريخها الحقيقى .

ولما كان ينقصنا ترتيب الأوانى الجنائزية على حسب طرز الدولة الحديثة فإنه لدينا من جهة أخرى أشياء باسم « المنمحات الثالث » ، ولذلك أرخ الأثرى « مالك ايفر » القبر « K » بالأسرة الثانية عشرة فى « بهين »^(٢) وهذا التاريخ قد وافق عليه الأستاذ « ينكر »^(٣) وكذلك يقول إنه من المحتمل تأريخ بعض الدفنات فى هذه الجهة

(١) راجع Aniba, II, 99, No. C 2 ; 2, etc,

(٢) راجع Buhen, p. 185 ff.

(٣) راجع Tell-el-Yahudiya-Vasen, p. 82 f.

بعهد الهكسوس في حين أن الأستاذ « ستيندورف » يؤرخ كل هذه المقابر باستثناء المقبرة رقم "K.8" بعصر الهكسوس .

والواقع أنه ليس لدينا إلا المقبرة "K.8" السليمة وهي التي وجد فيها لوحة الملك « نفرحتب » السالف الذكر، فقد أرخت تاريخاً مؤكداً ، أى الأسرة الثالثة عشرة أو بعهد بعد ذلك بقليل فقد تكون اللوحة أقدم من الدفنة ، ولا أدل على ذلك من أنه قد وجد خاتم في صورة جمران باسم « أممحات الثالث » مما يدل على استعمال شئ قديم ، ولذلك فإن القبر "K.13" الذي وجد فيه خرزة عليها اسم نفس هذا الملك ليس من المؤكد أن يؤرخ بالأسرة الثانية عشرة . أما الآثار الأخرى التي وجدت في هذا القبر فلا يمكن تأريخها على وجه التأكيد ، وطراز الفخار ورقم واحد المنسوب إلى كرمه وهو القارورة العادية الخاصة بالدولة الوسطى والطراز رقم اثنين ويشمل الأطباق الخشنة المحزوزة وهي التي أكد الأستاذ « ينكر » أنها مميزة لفخار الدولة الوسطى ، فقد امتدز من استعمالها إلى ما بعد هذا العهد ، فمثلاً نجد الطراز رقم واحد في المقبرة "K.8" كما نجد الطراز الأول والثاني في المقبرة "K.10" بجانب فخار « تل اليهودية »^(١) .

ولا يمكن أن تؤرخ على وجه التأكيد أية مقبرة بالأسرة الثانية عشرة ، وذلك لأن الجعارين التي وجدت في هذه المقابر يظهر من طابعها أنها من عصر متأخر عن ذلك ، ويمتاز العصر المتوسط الثاني برسوم أشكال كبيرة مثل رقم ١٠٦٩٧ من المقبرة "K.18" ورقم ١٠٨٤٦ من المقبرة "K.14" وعليها اسم الملك « كار نفروى » وكذلك النموذج الذي على شمالي الاسم لا يمكن أن يكون طرازه مستعملاً إلا بعد الأسرة الثانية عشرة والمقابر "K.14" ، "K.18" ، "K.37" ، "K.83" التي وجدت فيها هذه الجعارين هي بلا شك من هذا العصر أيضاً .

وهذا التأريخ لمقابر « بهين » لا تقتصر أهميته على هذا السبب ، وذلك لأنها برهنت

(١) راجع Save Soderbergh, Ibid, p. 123, Note 5

على استمرارها ، وكذلك ازدهار المستعمرة في خلال الأسرة الثانية عشرة ، يضاف إلى ذلك أن التاريخ الذي وضعه الأستاذ « ينكر » بوجه عام للأسرة الثانية عشرة كان ليقابل تأريخنا أعلى وضعه للأواني التي وجدت هنا من أواني « تل اليهودية » وكذلك ليكون بمثابة برهان على أنها مأخوذة من أصل نوبي .

والمقابر التي وجدت فيها هذه الأواني لا يمكن أن تؤرخ إلا بالأسرة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وليس لدينا قطعة واحدة تفرض علينا تأريخها قبل الأسرة الثانية عشرة .

وكل ما وجد في « كرمه » من قطع الفخار المخزوز سبع قطع وأربع من الفخار العاري عن الزخرفة وهي بلا نزاع من مقابر على هيئة تل مستديرة ومؤرخة بالعهد الذي يلي الأسرة الثانية عشرة .

والبرهان الذي أورده الأستاذ « ينكر » على أن أواني « تل اليهودية » من أصل نوبي قد أهمل بوجه عام^(١) . والواقع أنه ليس لدينا شك في أنها من الواردات الشمالية ، ويحتمل أنها من منطقة سوريا وفلسطين . وعلى حسب رأي « أوتو »^(٢) كان العصر الذهبي هناك يقع حوالي ١٧٥٠ ق . م ويستمر حتى بداية عهد الهكسوس ، وقد عاش إلى العهد الذي بعد عصر البرنز المتوسط الثاني^(٣) وهذا يقابل الدولة الحديثة ، وكذلك وجد فضلا عن ذلك في مصر وبلاد النوبة ، ولكن يلحظ أن هذه الأواني لم توجد بصورة قاطعة في مصر في مقابر الأسرة الثانية عشرة ، إذ ليس لدينا ما يثبت ذلك . وهذه الأواني التي لا نعرف على الأقل أصلها النوبي — وهي على الأرجح ليست كذلك — لم يكن مرغوبا فيها بوجه خاص في « كرمه » كما أنه لا يمكن

(١) راجع Sjoqvist, Problems of the Late Cypriote Bronze Age, p. 86, etc.

(٢) راجع Otto, Studien Zur Keramik der Mittleren Bronzezeit in Palästina (Zeitscher.

d. Deutsch-Paläst. Vereins, Bd. 61 (1938), p. 168 ff.

(٣) راجع MBZ II b

وضعها بوجه عام في ثقافة مجموعة "C" بل لا بد من وضعها في العصر الذي يلي الأسرة الثانية عشرة ، كما أن المقابر التي وجدت فيها في بلاد النوبة لا يمكن أن تؤرخ كذلك بعصر آخر . وكذلك المقبرة التلية الشكل رقم ٤ (K.IV) في « كومة » فإنها مثل المقابر الأخرى التي في هذه الجهة التي وجدت فيها هذه الأواني يرجع عهدها بلا شك إلى العصر الذي يلي الأسرة الثانية عشرة . وتبرهن أواني « تل اليهودية » بدون أى شك على وجود علاقة ودية بين المستعمرة المصرية في بلاد النوبة وأرض الوطن المصرية ، وليس هناك أى شئ يشبه تبعية إقليمية في تطور هذه الأواني ، فمن المحتمل إذاً أنه قد ورد إلى « بهين » أوان من سوريا وفلسطين وأعني بذلك أواني خاصة بالطعام من ذوات المقبض العمودي (وطراز رقم ٨ هو الذي له مقبض) هذا إلى الأطباق ذات القاعدة العالية ، ولكننا لا نجد من هذه الأواني ، وبخاصة البسيط منها ، قطعاً مماثلة لا بوصفها قطع زينة ولا أطباقاً للتصدير .

ومن ثم نرى أن العصر الذي يلي الأسرة الثانية عشرة كان عند أهل الجنوب على الأرجح جداً عصر سلام ، وكانت فيه مصر صاحبة السيادة على الأقل حتى نهاية الأسرة الثالثة عشرة ، ومن المحتمل حتى بداية عصر الهكسوس ولا أدل على ذلك مما قصه علينا « كاموس » من أن إقليم بلاد النوبة كان في هذا العصر المبكر في سلام عندما بدأ النضال في أوائل الدولة الحديثة بين الهكسوس والمصريين ، وأن بلاد النوبة كانت محرومة من السيادة المصرية .

فالقبور المصرية التي في مستعمرات بلاد النوبة المصرية لا يمكن أن نحصل منها على نقطة ارتكاز للتأريخ بصفة مؤكدة ، وكذلك لا تقدم لنا الآثار التي عثر عليها في الحصون أى معونة في هذا الصدد ، لأن تاريخها فيه شك لوجود مبان من عصور مختلفة فيها . حقاً نجد تخريباً كبيراً قد حدث في مبانى الحصون النوبية التي من هذا العصر ، ولكن يجب أن نستنبط من استمرار وجودها بحالة الحفظ التي هي عليه الآن

أنها لا تدل على حدوث فتح . وفضلا عن ذلك لا نظن أنها كانت مستعمرات منفصلة من وطنها الأصلي إلا إذا كانت قد هوجمت وأخذت تفقد قوتها شيئا فشيئا حتى قضى عليها .

وفي « عنييه » نجد بوجه خاص أن العلاقات في هذه المناسبة هامة ، وذلك لأن الحصون على حسب ملحوظات الأثرى « شليفس » (Schleifs) ينبغي أن تكون باقية حتى عهد الدولة الحديثة^(١) . والبرهان على استمرار المحافظة على أعمال الدفاع تقدمه لنا الإصلاحات العدة التي عملت في المنحدرات التي فيها الحفر الجافة والتي يمكن رؤيتها في كثير من الأماكن حتى الآن . ومع ذلك نفهم من كل الأماكن التي بقيت عليها الحفر بمقدار كاف أنها كانت في وقت ما مثل كل الحفر مملوء ثلثها بالرمال والحصى ، وأنه قد شرع في تجديد أساس لكل المنحدرات والأبراج ، ولم يكن ذلك بمثابة إصلاح بل بمثابة إقامة بناء من جديد لهذه الحفر ، ولذلك كان يعد عصر بناء سادس . والمنحدرات الجديدة بنيت بناء رديئا من أحجار خشنة القطع واستعمل فيها طمي النيل بكثرة بدلا من الملاط . وقد كانت تجدد المنحدرات بهذا النوع من الصيانة . وكانت المنحدرات الخارجية لا يعنى بها أكثر من سابقتها ، وذلك لأن الحافة الخارجية للحفر في وقت التجديد كانت في حالة سيئة .

وينبغي أن نقرر هنا بأنه في حالة عدم التأكد من زمن إقامة الإصلاح والتجديد ، وكذلك إذا لم يتبع فن تجديد المنحدرات والأبراج وفن البناء المعتاد تماما ، فإنها في هذه الحالة تكون قد أقيمت بالأحجار الخشنة التي يستعمل فيها طمي النيل ملاطا مثل طراز مباني ثقافة مجموعة^(٢) "C" .

والآثار التي وجدت في حصن عنييه لا تحدثنا بشئ على وجه التأكيد ، كما أن نفاها لم ينشر بعد ، ومع ذلك فقد وجد هناك صورة امرأة طارية من العصر النوبي المتوسط^(٣) وتكاد تنعدم هنا تماما الآثار القديمة ، ولم نجد إلا قطعة حجر من بناء من عمود نقش

(١) راجع Aniba, II, p. 16.

(٢) راجع Areika, p. 6 f. and Pl. 4

(٣) راجع Aniba, II, p. 30

عليها بحروف خشنة بالهيرغليفية اسم الملك «سنوسرت الأول» . من الدولة الوسطى^(١) .
ومن ثم نفهم أن الحجرات كانت قد نظفت في عهد الدولة الحديثة من القطع الأثرية
القديمة .

وقد سارت الأسرة الثالثة عشرة في طريقها بعد حكم الملكين «نفرحتب»
وأخيه «سبكحتب» إلى الانحلال بسرعة وقد بدأ في عهدها عصر الهكسوس . ففى
الوجه القبلى كان موقف هؤلاء الحكام الأجانب غير واضح حقيقة ، ولكن يمكننا أن
نحكم من الآثار التى عثر عليها فى «الجبان» على أنه يجب أن يكون لهم سلطان حقيقى
فى عهد الملكين «خيآن» و «أبوفيس تاوسر رع»^(٢) ، والظاهر أن تقدم الهكسوس
فى الوجه القبلى قد سبب سقوط الأسرة الثالثة عشرة .

وتدل طوابع الأختام فى «كرمه» على أن التجارة كانت مشرقة فى «كرمه»
فى عهد الهكسوس ، بل كانت فضلا عن ذلك تجارة الجنوب تحت حماية حكام
الهكسوس ؛ وبغير ذلك لا يمكننا أن نفهم وجود أسماء ملوك الهكسوس على طوابع
أختام فى مستودع «كرمه» . ومن ذلك نستنبط أن هؤلاء الحكام ، على الأقل
فى العصر الأول من حكمهم ، كان لهم سلطان حقيقى فى الجنوب من مصر ؛ وإذا كانوا
قد جعلوا مستودع «كرمه» تحت سلطانهم فإن بلاد النوبة السفلى كانت بطبيعة الحال
فى قبضتهم . ولا نزاع فى أن كثيرا من الأختام التى وجدت فى المقابر المصرية ببلاد
النوبة السفلى هى بكل تأكيد تابعة لعصر الهكسوس ، مع العلم أنه على حسب معلوماتنا
حتى الآن تكاد لا توجد هناك أسماء هكسوسية . ولم يكن من المتصور قط أن يبقى
مستودع «كرمه» مستمرا عندما كانت مراقبة أهالى بلاد النوبة السفلى قد انقطعت ،
وكذلك خطوط المواصلات التجارية لم تكن بعد فى يد الحكومة المصرية ، والواقع
أنه فى خلال العهد الأول من عصر الهكسوس قد أخذ الحاكم الأجنبى يحتل مكان

(١) راجع Aniba, II, p. 21

(٢) راجع Rec. Trav., I6, 42 ; 14, 26

الأسرة البائدة في الجنوب ويقوم بدورها السياسى ، غير أن الحكومة المصرية في هذا العهد لم تفقد كل سلطانها .

والظاهر أن الهكسوس لم يكن في مقدورهم أن يمدوا سلطانهم مدة طويلة في الوجه القبلى ، إذ أخذ صفار الحكام المختلفين في البلاد يعارضون سلطان الهكسوس بشدة إلى أن أقام أهالى إقليم « طيبة » وأسسوا الأسرة السابعة عشرة التى احتلت مكانة ممتازة في الصعيد ، وفي هذا الوقت كان الانحلال السياسى في الهكسوس ، وكذلك بين صفار ملوك الأسرات في الوجه القبلى قد أضعف سياسة مصر الخارجية بقوة ، وبذلك اضمحلت تجارتها مع الجنوب . وتدل الآثار التى وجدت في « كرمه » في هذا العهد على أن مستودع « كرمه » كان قد قضى عليه وأصبح خراباً ، وكذلك نجد أنه في نفس الوقت تقريباً كانت مصر قد فقدت سلطانها على بلاد النوبة السفلى ، وذلك عندما أصبحت هذه المستعمرة لم يعد بعد مستعمروها يلقون العون الجدى من أرض الوطن وتركوا هم وحظهم .

وهذا التغير السياسى في بلاد النوبة السفلى نشاهده في المواد الأهلية التى عثر عليها هناك . وذلك أن وجود فخار « كرمه » في ثقافة مجموعة "C" المتأخرة^(١) . ووجود مقابر زردية من طراز مقابر « كرمه » الخالصة يعد دليلاً واضحاً على انعدام وجود حواجز الحدود عند « الشلال الثانى » . ومما يؤسف له جدّ الأسف أن الآثار التى وجدت عن أواخر عهد تاريخ « كرمه » لم تنشر بعد ، غير أن إحدى الجبانات الحديثة فيها وجد أنها تحتوى على فخار يشبه فخار أواخر عهد ثقافة مجموعة "C"^(٢) . وهذا دليل آخر على هذا الاتجاه .

وفي خلال كل الوقت الذى كانت فيه السيادة المصرية — كما أكدنا ذلك من قبل — قائمة ، كانت ثقافة مجموعة "C" عند المصرى من جهة أخرى كاسدة . وعندما

(١) راجع Aniba, I, 9; Emery-Kirwan, p. 504

(٢) راجع J.E.A., Vol. 25, p. 108

لوحظ أول نهوض جديد لثقافة مجموعة C المتأخرة وهي التي تتميز بالمقابر التلية الضخمة التي لها مقاصير مشيدة باللبنات وبها الأواني الفخارية الجميلة المحزوزة المصنوعة عليها نماذج ذات ألوان مختلفة ، فإن ذلك يجعلنا نرى فيها علامة على وجود معارضة متزايدة لمصرى الأقاليم المنعزل في « كرمه » .

نجد فيما بعد قيام حركة تمصير للثقافة الوطنية في بلاد النوبة السفلى واسعة النطاق وكان النوبي بلا شك في هذا الوقت دائماً مستقلاً عن مصر إلى أن انتهى به الأمر أن خلع عن نفسه تماماً النير الأجنبي ، وهذا التطور الثقافي لا يكاد يرجع إلى حركة هجرة مصرية . والرأى القائل إن سيادة الهكسوس في مصر قد أدت إلى هجرة عدد عظيم من المصريين إلى بلاد النوبة رأى خاطئ ، وذلك لأن الهكسوس الأول كان لهم فيما نرجح سلطان حقيقي على بلاد النوبة ، في حين أنه فيما بعد قد أخذت من جهة سلطة الهكسوس في الوجه القبلي تختفي ، ومن جهة أخرى كان المصري دائماً أكثر حرية ، وأخيراً قد أصبح سياسياً غير تابع لأحد .

وليس لدينا معلومات أكيدة من عهد الهكسوس المتأخر ولا من عهد الأسرة السابعة عشرة عن نشاط مصر السياسي في الجنوب ، ومن ثم نفهم جلياً من قصة « كاموس » أن بلاد النوبة في نهاية الأسرة السابعة عشرة كانت دائماً بلاداً حرة مستقلة يمكنها عقد المحالفات مع البلاد الأخرى ، يضاف إلى ذلك أنه قد عثر في « بهين » على لوحة^(١) تشمل على ما يظهر تاريخ حياة مصري كان في خدمة حاكم مستقل لبلاد « كوش » وهذه اللوحة من الأهمية بمكان لأنها تلقي ضوءاً جديداً على متون أخرى من نفس العصر . واللوحة محفوظة الآن بمتحف « الخرطوم » وأعلىها مستدير وزينتها تقليدية وكذلك النصف الأول من المتن ، الذي يحتوي على اثني عشر سطراً ألفاظه تقليدية وهاك النص : « قربان يقدمه الملك لأوزير رب « بوصير » الإله العظيم رب العرابة ولحور رب البلاد الأجنبية ليقدما قربانا يحتوي على خبز وجمعة وثيران ودواجن وكل شئ طيب

وطاهر مما يعيش عليه إله مما توجد السماء ونصنعه الأرض ويجلبه النيل بمثابة قرباته الطيبة لروح الموظف « كا » . إنه ابن بنته الذى يجعل اسمه يعيش (أى اسم الموظف) « ياح وسر » . يقول « إني خادم شجاع لحاكم » « كوش » إني غسلت قدمي في مياه « كوش » وأنا في ركاب الحاكم « نزع » وقد عدت صحيحا معافي إلى أمرتي » .

وهذه اللوحة السالفة تشبه لوحة « بهين » لصاحبها « سيدحر » وهي محفوظة الآن بمتحف « فلادلفيا »^(١) وهالك ترجمتها : « قربان يقدمه الملك « لبتاح سكر » (أوزير) رب « بوصير » الإله العظيم سيد « العرابة » ولحور سيد « بهين » وملك الوجه القبلي والوجه البحري « خع كاورع » المبرأ والآلهة الذين في « واوات » ليقدّموا دعاءً يحتوى على خبز وجعة وثيران ودواجن وأواني مرمر وملابس (؟) وبخور ومسوح وقربان من الطعام وكل الأشياء الطيبة النقية . . . مما تعطيه السماء وتنتجه الأرض ويجلبه النيل قربات طيبة من الطعام لروح قائد « بهين » « سيدحر » العائش ثانية (المرحوم) . يقول لقد كنت قائدا شجاعا « لبين » ولم يفعل قط قائد ما فعلته ، لقد بنيت معبد « إخور سيد » صاحب « بهين » إرضاء لحاكم « كوش » .

وتدل شواهد الأحوال على أن نفس المقدمات التي استعملت في تأريخ لوحة « الخرطوم » رقم ١٨ تنطبق كذلك على هذا المتن الأخير ، وعلى ذلك فإن لوحة « سيدحر » ينبغي أن تؤرخ على أغلب الظن بالعصر الذي يقع بين الأسرتين الثالثة عشرة والثامنة عشرة ، وفضلا عن ذلك فإن مركز حاكم « كوش » في كل من المتنين يجعل تأريخهما بالعصر الذي كانت فيه بلاد النوبة حرة قبل إعادة فتح هذه البلاد ثانية على يد « أحسن الأول » هو أحسن تأريخ مقبول ، ففي كلا المتنين لدينا ترجمة حياة مصري لنفسه خدم تحت إدارة حاكم « لكوش » مستقل ، فكان « سيدحر » مصرياً كما تشير إلى ذلك لوحة « فلادلفيا » . والظاهر أن كل أقاربه كانوا يحملون أسماء مصرية طيبة

(١) راجع J.E.A., Vol. 35, p. 54, (Philadelphia 10984)

مثل «كا» (الثور) ، (وتوجد حتى الآن في المعصرة مركز ميت عمر أسرة تدعى أسرة الفعل ، كما توجد أسرة تدعى أسرة العجيل بميت غمر) ومثل «ياح وسر» ، كما جاء في لوحة «الخرطوم» رقم ١٨ ؛ ومن جهة أخرى يحدثنا الأثرى «جوتيه»^(١) أن «سبحر» كان قائداً لـ «بهين» بعد «ثوري»^(٢) الذي خدم هناك في عهد الملك «أحمس» . ولم يقدم لنا «جوتيه» لتاريخه هذا دليلاً ، ولكن يحتمل أنه يعتبر «ثوري» أول قائد بعد إعادة فتح بلاد السودان ، ولم يشك في إمكانية أن يكون لحاكم «كوش» الوطني قائد «بهين» قبل تلك الفترة وأن مصرياً أقام معبداً هناك بأمره .

وقد وجدت لوحة «سبحر» في المستوى الذي قيل عنه إنه مستوى الأسرة الثامنة عشرة بالقرب من المعبد الذي في «بهين» غير أن ذلك لا يعنى بأية حال من الأحوال تاريخه بالأسرة الثامنة عشرة^(٣) .

ومن المحتمل أن الأسباب اللغوية لهذا التاريخ ليست براهين فاصلة . والواقع أنه يعد من المدهش أن حاكم كوشياً مستقلاً يأخذ في خدمته مصرياً بعد أن يكون النير المصرى قد خلع عن أعناق النوبيين منذ زمن قصير ، وأن يامر مصرياً ببناء معبد في «بهين» الحصن المصرى القديم ، ففي حالة «سبحر» من المحتمل القول أن التعبير «حقا كاش» أى «حاكم كوش» يشير إلى الملك المصرى وهو الحاكم الحقيقى لكوش بعد إعادة فتح بلاد النوبة ، غير أن هذا التفسير على أية حال مستحيل فيما يخص لوحة «الخرطوم» رقم ١٨ حيث نجد اسم الحاكم قد ذكر ، وهذه الحقيقة تبرهن بدون أى شك على أنه في بعض الوقت كان الحاكم الوطنى لديه مصريون في خدمته .

ومن المؤكد أن صغار الملوك الوطنيين كانوا يلعبون دوراً خاصاً في إدارة بلاد

(١) راجع Rec. Trav., 39, p. 236

(٢) وقد كان ثوري هذا أول نائب للملك في بلاد النوبة حمل لقب «ابن الملك» كما سرى بعد .

(٣) راجع J. E. A., 35; ibid., 55 ff.

النوبة حتى بعد إعادة فتح البلاد كما سئرى بعد ، ولكن هل من المقبول أنهم كانوا وقتئذ لهم مكانة كالتى نجدها فى المتن السالفين ؟ وهل يمكن أن نزعهم أرسلوا حملات بأنفسهم أو أن القائد المصرى لحصن « بهين » الذى يعد من أقوى الحصون المصرية والمراكز الإدارية كان مسئولاً عندما كان يبنى معبداً للحاكم الوطنى لكوش لائناب الملك وبوساطته لملك مصرى ؟ والواقع أن رجلاً يخدم فى النوبة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كان يفضل أن يبرهن على ولائه لسيده الأعلى المصرى وكان يضع متن لوحته بالطريقة التى صاغها رجل آخر فى « بهين^(١) » أو كان يستعمل كلمة « الملك » أو « جلالته » بدلاً من استعمال « حاكم كوش » فقط .

والواقع أن كلا من لوحة « الخرطوم » رقم ١٨ ولوحة « سبدر » تؤرخ بالفترة المتأخرة جداً من العهد المتوسط الثانى وهذا هو التاريخ المقبول .

وعلى حسب هذين النقشين كانت « بهين » ضمن دائرة حكام « كوش » وكان أحدهم اسمه « نرح » . والحرية التى نالتها بلاد النوبة فى عهد هؤلاء الحكام لم تمت أكثر من جيل أو جيلين .

وملوك الهكسوس العظام حتى عهد « شيشى » و « ماعت إب رع » و « يعقوب — إيل » الذين وجدت أسمائهم على طوابع أختام فى « كرمه » يظهر أنهم حكموا حتى قبل عام ١٦٠٠ ق . م بقليل ، فى حين أن « أحس » أعاد فتح بلاد النوبة السفلى فى النصف الأول من القرن السادس عشر . على أن الموقف السياسى كما نعلم قبل إعادة فتح بلاد النوبة قد وصف فى مخاطبة « كاموس » المشهورة لعظماء رجال بلاطه : « إلى أى حد أنا عالم بقوتى هذه عندما يكون رئيس فى « أواريس » وآخر فى « كوش » وأنا أجلس هنا فى حلف مع أسىوى ونوبى ، وكل رجل قابض على قطعه من مصر هذه ؟ » هذا بالإضافة إلى ما جاء فى متن اللوحة المكشوفة حديثاً

(١) راجع Buhen, p. 90 ff.

مما يدل على استقلال « كوش » بوصفها دولة قائمة بذاتها بجوار مصر والهكسوس ،
ونفهم من ذلك وجود ثلاث ممالك كبيرة : مصر الشمالية تحت حكم ملك الهكسوس ،
ومصر العليا حتى « قوص » تحت حكم « كاموس » ، و « كوش » تحت حكم حاكم
نوبي . وكان جواب عظماء البلاط على سؤال الملك : « إن « الفنتين » قوية » يظهر
لنا أن الحدود الشمالية لبلاد النوبة في هذه الحرب كانت عند « الشلال الأول » ، وعلى
ذلك فإنه من هذين المتنين بالإضافة إلى متنى لوحتى « بهين » يظهر أنه من الممكن
أن نستخلص أنه كان يحكم بلاد النوبة السفلى حاكم واحد . ومن المحتمل أن ذلك كان
ينطبق مؤقتاً بعد إعادة الفتح ، وذلك لأن لدينا متنا متأخرا من عهد « تحتمس الثانى »
يحدثنا بأن منطقة نفوذ حاكم « كوش » كانت مقسمة خمسة أقسام عملت في عهد
« تحتمس الأول » ولكن في هذا الوقت كان من المحتمل أن يستعمل كلمة « كوش »
في معنى مختلف . وبالنسبة لقصر فترة تحرير بلاد النوبة بدرجة كبيرة فإنه من الجائز
أن حاكم « كوش » « نرح » السالف الذكر كان هو الذى أشير إليه فى متن الملك « كاموس »
والذى أرسل إليه ملك الهكسوس يطلب إليه التحالف على مصر كما أشرنا إلى ذلك
من قبل .

ويلاحظ أن العبارة التى فاه بها « كاموس » : « مصر هذه » بقدر ما تشير
إلى الإقليم المصرى فى بلاد النوبة لم تكن بأية حال فى غير محلها قط ، وذلك لأن
مجموعة C النوبية كانت فعلا قبل الأسرة الثامنة عشرة قد تمصرت لدرجة أن الأستاذ
« ريزنر » فى أول الأمر كان تحت تأثير أن مجموعة C كانت قد طردت على يد مهاجرين
مصريين من الذين كانوا قد هربوا من حكم الهكسوس فى مصر . وقد برهن^(١)
« ينكر » على أن هذا التفسير كان تطورا فى داخل مجموعة "C" ولم يكن سببه تغييراً
أساسياً فى التأليف السلالى لسكان بلاد النوبة السفلى وهذا التغير السريع يمكن تفسيره
جزئياً بحقيقة أن عدداً عظيماً من النوبيين كانوا قد خدموا بوصفهم جنوداً مرتزقة

(١) راجع Ermenne, p. 37 ff.

في جيش الأسرة السابعة عشرة في مصر ثم عادوا إلى بلادهم كما ذكرنا ذلك في غير هذا المكان . وعلى أية حال فإنه لا المزوى ولا قوم المدافن القعبية ، وهم الذين يمثلون هؤلاء الجنود المرتزقة في متن « كاموس » وفي الآثار ، ليسوا على ما يظهر موحدين بقوم مجموعة « C » الذين عاشوا في بلاد النوبة السفلى^(١) .

ويلاحظ هنا أن متنى « بهين » الذين قد حللناهما هنا يمكن أن تتخذ منهما طاملا آخر في عملية تمصير بلاد النوبة ، وأعنى بذلك المصريين الذين كانوا في خدمة النوبيين ، إذ أن بلاد النوبة حينما أصبحت حرة وصارت المدنية المصرية منتشرة هناك كان من الطبع أن مَرَّحَب بالمصريين الذين يريدون أن يخدموا الحكام الأهليين ، وإذا كانت بلاد النوبة السفلى محكومة بحاكم واحد ميوله مع المصريين والمدنية المصرية فإن التغير السريع في الميول كانت بطبيعة الأحوال أكثر سهولة لتفسير ذلك ، وفي هذه الأحوال يكون من الطبع أن نبحث عن براهين تعزز ذلك في فنون التراجم المعاصرة من أقصى جزء في جنوبي مصر . ففي حين نجد لوحة « ثو » الأدفاوى التي نشرها « جاردنر^(٢) » تحدثنا أنه عمل شماله عند « أواريس » وجنوبه عند « كوش » — وبذلك حصر نفسه في مصر نفسها — نجد أنه قد لا يكون من المستحيل أن « حاعنخف^(٣) » الأدفاوى (وهو مصرى آخر) كان في خدمة أحد صغار ملوك النوبة ثم عاد إلى مصر مع أسرته . والمقدمات التي انطبقت على تأريخ لوحتي « الخرطوم » رقم ١٨ ولوحة « سبدحر » هي التي تنطبق على لوحة « حاعنخف » ، وهذا على ما يظهر يدل على أن لوحة « أدفو » تنتمى إلى أواخر العهد المتوسط الثانى . وبما تلقى اللوحتان الأخيرتان من ضوء فإن التفسير التالى الذى يتركز معظمه على تحليل الأستاذ « جن » للفقرة الصعبة جداً الخاصة بحياة هذا الرجل في هذا النقش يمكن قبوله وهاك الترجمة :

(١) راجع Gardiner, Onomastica 1, 73 ; II, 269

(٢) راجع J. E. A., 7, p. 100

(٣) راجع Gunn, A.S., 29, p. 5 ff.

« لقد كنت محاربا شجاعا وأحد الداخلين « إدفو » وقد نقلت زوجتي وأطفالي ومتاعى من جنوب « كوش » فى ثلاثة عشر يوما وقد عدت بذهب قدره ستة وعشرون دينارا والخدمة « وشع شنى » ؟ . ولم أترك شيئا منه لزوجة أخرى (أى على الرغم من هذه الثروة فلمنى لم ألتخذ لى زوجة أخرى) ولكن بدلا من ذلك اشتريت ذراعين من الأرض وكان (لزوجتى) « حور ميني » واحد منهما بمثابة عقار لها فى حين أن الذراع الآخر كان ملكى . واستحوذت على أرض مقدارها ذراع من الأرض قد أعطى للأطفال وعلى ذلك قد كوفئت على ست السنين التى خدمتها فى بلاد النوبة التى جاء منها الذهب الذى اشتريت به الأرض . »

وعلى ذلك نرى بصورة ما أن مخاطرة « سنوهيت » الشهيرة فى أوائل الدولة الوسطى كان لها مثيلتها فى الجنوب فى المدة القصيرة التى استقلت فيها بلاد النوبة قبل حلول عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ولكن شتان بين القصتين ، فقصة « سنوهيت » قطعة أدبية بارعة من الطراز الأول ، فى حين أن القصة التى نحن بصدددها لا تخرج بقدر ما تصل إليه معلوماتنا عن قصة مقتضبة كتبت بلغة حوشية ونقوس خشنة يقف أمامها المترجم حائرا مترددا للوصول إلى سر غورها وإبراز معناها الأصلي .

حقا عثر فى « المدمود » على نقش للملك يدعى « سنخم — رع — واز خمو — سبكساف^(١) » تدل شواهد الأحوال على أنه فى أغلب الظن من ملوك هذه الأسرة وقد جاء فى هذا الأثر ما يدل على أن السيادة المصرية فى بلاد النوبة السفلى قد استرجعت ثانية فقد جاء فى النص : « قهر الأوتيو وضرب « كوش الحاسنة » . ولكن من صيغة المنظر التقليدي — وهو يرجع إلى تقليد قديم — لا يمكن أن نستخلص منه شيئا مؤكدا عن سياسة مصر فى جنوب الوادى . وعلى عكس ذلك تماما تدلنا الهجرة العظيمة التى قام بها أهل بلاد النوبة نحو مصر كما يظهر ذلك أمامنا فى المقابر القعبية ، وهذه الهجرة كان قوامها روابط الحوار السلمية . وعلى مثل هذه الصورة — كما أوضح الأستاذ « ينكر » —

(١) راجع 7 p. IX, 96 F; VII, Fouilles. Inst. Fr.

نجد أن تمصير بلاد النوبة السفلى يمكن تفسيره من وجهة سيكولوجية : وذلك أن المصري إذا دخل بلاد النوبة بوصفه سيداً أجنبياً شعر النوبي نحو سيده بالحق والبعضاء ولكن عندما أصبحت السيادة في بلاد النوبة غير تابعة لغيرها ، وكان فضلاً عن ذلك عدد كبير من النوبيين يرحلون إلى مصر بوصفهم جنوداً مرتزقة أصبح الذوق المصري هو المتبع في بلاد النوبة ، من ذلك أنه قد أصبح القوم في بلاد النوبة يجهزون بتوابيت الدفن على غرار الذوق المصري ، وكذلك جلبت الأواني الفخارية المصرية وقلدت في بلاد النوبة ، كما لبس القوم ملابس مصرية ، ومن المحتمل أن هذا السلوك قد بدأ به صغار الملوك النوبيين الذين رأوا أن يفعلوا ما يفعله زملاؤهم المصريون^(١) .

وهذا الرأي الأخير يجذبه الأستاذ « ينكر » إذ ليس من المستحيل في عهد الأسرة السابعة عشرة أن يحمل بعض الأمراء النوبيين الأحياء أسماء وألقاباً مصرية . فقد عثر على جعران في « أرميني » نقش عليه كلمة « نتر » (إله) « أحس — أنتف » وهذا يمكن أن يكون اسم أمير وطني . وهذا الاسم ليس معروفاً بين أسماء ملوك مصر . وكذلك نلاحظ في البرج النوبي الواقع في بلدة « الريقة » (مركز الدر) بعض تقليد للباني المصرية المماثلة ، وذلك عندما نعلم أن هذا المبنى بوجه عام يحتوي على اعتبارات كثيرة أخرى هامة بالنسبة لهذا العهد .

وهذا المبنى مؤسسة كبيرة لا بأس بها إذ يبلغ طولها ثمانين متراً وعرضها خمسة وأربعين متراً والتصميم الأصلي مستطيل وعرض جدرانها الخارجية نحو مترين وهو يكون وحدة منفردة ، وتدل جدرانها المقامة من الحجر على أنه في صورته يؤلف حصناً وهو بدون شك يمثل برج أمير وطني^(٢) . ولا شك في أننا هنا أمام مؤسسة نوبية كما يدل على ذلك الفخار الذي وجد فيها وهو فخار مجموعة « C » العادي المختلط بقطع مصرية معتادة ، هذا فضلاً عن صناعة البناء كلها وبخاصة الجدران المكونة من ألواح

(١) وهذا قس ما حدث في بلاد لوبيا في الأزمان القديمة عندما كانوا يترقبون بالزى المصري .

(٢) راجع Maciver and Woolley, Areika, p. 5

الحجر المرتفعة يتخللها ملاط من غرين النيل وأحجار خشنة بمثابة حشو وجدرانها مغطاة بطبقة من الطين ، وهذا الفن من المباني نصادف شبيهه في مساكن الأهالي في « وادي العرب »^(١) .

وهذه المؤسسة التي كانت في الأصل منفصلة وحدها قد حرقت جدرانها ، وأصبحت كأنها مبنى منزوعة . وقد أُرخت هذه المؤسسة بعهد الدولة الوسطى ، وذلك بسبب وجود جعران باسم « تحتمس الثالث » في حجرة بنيت في عصر متأخر ولكن من جهة أخرى أكد الأستاذ « ينكر » وجود فخار من الدولة الوسطى فيها وبذلك أُرخبها بالعصر المتوسط الثاني^(٢) . وقد وجد في حفرة في الجدار الخارجي في هذه المؤسسة ودائع أساس مؤلفة من عشرة ألواح من الفخار رسم عليها صورة رجل واقف وعلى رأسه ريشة نعام ويقبض بحبل على أسير^(٣) ، وهذه الآثار التي يمكن أن تتخذ لتحديد تاريخ إقامة المؤسسة لها أهمية . ولا يمكن هنا أن نعد هذه الآثار أنها آثار مصرية استعملت ثانية .

وقد وجد ما يشبه ذلك تماما في « كوبان » وفي « بهين » ففي « كوبان » وجد ذلك في أسفل طبقة بين المنزلين واحد واثنين بجوار طابع خاتم باسم « سنوسرت الثاني »^(٤) وفي « بهين » وجد هذا الشكل في أسفل طبقة (L. Stratum) في رقعة بين المعبدتين تميز أن تاريخ هذا الشكل لم يكن من المستطاع . وعلى الرغم من أن هذه الطبقة (L) تمثل الأسرة الثانية عشرة فإن من الجائز أن تكون حجارتها قد استعملت حشوا للمبنى في الأسرة الثامنة عشرة . ولا يوجد غير اسم « تحتمس الثالث » اسم أي ملك آخر^(٥) . فعلى حسب رأي الحفار أُرخت القطع بالأسرة الثامنة عشرة ، ولكن على حسب الآثار التي وجدت في « كوبان » يمكن تأريخها بالأسرة الثانية عشرة وهذا على ما يظهر هو الاحتمال المرجح .

(١) راجع Emery—Kirwan, p. 106

(٢) راجع Junker, Ermenne, p. 35

(٣) راجع في أسفل على يمين Save, ibid, 133, Fig. 12

(٤) راجع Emery—Kirwan, p. 55

(٥) راجع Buhen, ibid, p. 117

وعلى الرغم من أن «مالك إيفر» و«ولى» و«إورك بيتس» وكذلك «ينكر» يرون أن الصور الرئيسية في «الريقة» لأمير نوبى فإن «ينكر» يرى في الصورة الرئيسية التى وجدت في «بهين» أنها لرئيس نوبى فى حين أن «مالك إيفر» و«ولى» يريان أنها لمصرى . هذا وتصادفنا صورة أخرى غير ما وجد فى الحصنين المصريين «كوبان» و«بهين» وهى على لوحة وجدت فى الصحراء الغربية على مسافة عشرين كيلومترا جنوب غربى «أسوان» وقد كتب مع الصورة فقط تاريخ السنة الثامنة عشرة^(١)، ولكن هذه الكتابة فى الواقع مصرية دون أى شك .

وليس لدينا شك فى أننا هنا أمام صورة مصرية فالرجل الواقف وهو المتصر يجب أن يفسر بأنه مصرى ، ولكن كونه فى «الريقة» ومثل لابسا ريشة نعام على رأسه لا يمكن أن يقال إنه هنا من أصل نوبى لأن مثيله فى الصورة التى عثر عليها فى «بهين» و«كوبان» لا يلبس هذه الريشة . وهذا التفسير يظهر طبعيا عندما يفكر الإنسان فى أن الصورة فى «بهين» رقم ١٠٩٣٣ قد رسم فيها الشكل الرئيسى مثل الصورة الهيرغليفية التى تمثل الجندى ، وأن هذه الصورة الهيرغليفية كانت لا تزال فى عهد الأسرة الثامنة عشرة تمثل أحيانا فى صورة جندى واقف^(٢) . فإذا كان الشكل الرئيسى مصريا فلا بد أن يكون الأسير عدوا للمصرى ، والعلامة التى مع العدو يمكن تحديد معناها بأية حال . ففى صورة «بهين» نجد العلامة هى علامة «أمنت» (الغرب) أو علامة تدل على صورة معزى . وفى «كوبان» نجد علامة «أمنت» وكذلك صورة المعزى أو الثور ، وفى القطعة المستخرجة من «الريقة» يحتمل وجود رسم معزى على الرغم من أن الرسم غير واضح^(٣) . ١

فعلمة «أمنت» (الغرب) يمكن أن تفسر بأنها انتصار على البدو سكان الصحراء الغربية ، كما أن صورة الحيوان التى توجد فوق رأس الأسير يمكن أن تمثل عدوا ،

(١) راجع A.S., 38, p. 389 and Pl. LV., 3

(٢) راجع Urk., IV, p. 888

(٣) راجع Areika, p. 9

ويمكن أن تكون علامة هيروغليفية تدل على قوم أجنبي أو تدل على معنى جغرافى ليس
بمعروف لدينا ، وعلى ذلك يمكن أن تدل على نوع من الشارات التى يرمز بها للقبيلة .
والآن نعرف أن الجزء الأعظم من أفراد مجموعة C كانوا يعيشون على رعى الماشية
ولذلك نجد الثيران والماعز والغزلان كانت تلعب دوراً هاماً فى الشعائر الجنائزية
الخاصة بالقبائل النوبية ، ولا^(١) أدل على ذلك من القربان الذى كان يقدم من هذه
الحيوانات ، هذا فضلاً عن النماذج المصنوعة من الفخار التى تمثل حيوانات مودعة
فى القبور وهى بلا شك تمثل صوراً صحيرية ، ويضاف إلى كل ذلك صور بقرات
وجدت على لوحات للأهالى^(٢) .

ومن هنا كانت الحيوانات التى وجدت مصورة على الواح الفخار فى الواقع
شارات قبائل تدل على قبائل نوبية ، والصور التى مع هذه الشارات تفسر الانتصار
على هؤلاء النوبيين^(٣) . على أن وجود مثل هذه الصور فى برج نوبى فى « الريقة » يمكن
أن يتخذ دليلاً مضاداً للتفسير السابق ، ولكن الصورة فى تكوينها مصرية تماماً ،
ولا يمكن أن تكون بأية حال نسخة صنعت محلياً فى بلاد النوبة ، يمكن أن تكون
صورة مصرية قد أعيد استعمالها ، وأن معناها الأصيل لم يفهمه صاحب البناء
إلا نصف فهم ، أساء استعمالها لنفسه تقليداً للمصرى . ولدينا أمثلة من هذا
التقليد الأعمى للمصرى دون فهم أى معنى له ما وجد من كتابات مصرية قديمة
لا معنى لها فى مقابر أفراد من أهالى بلاد النوبة من هذا العهد ، وهذه الألواح
الخزفية التى تظهر من شكلها أنها قطع مصرية أعيد استعمالها لا يمكن أن يعتمد عليها
اعتماداً مباشراً فى استخلاص تاريخ المكان الذى وجدت فيه ، غير أن استعمالها كان
فى الوقت الذى سبق تمصير مجموعة C مباشرة . أما عن وجود مؤسسة مثل
التي كانت فى « الريقة » فإن الفكرة السياسية لها لا توجد إلا فى وقت يكون فيه
النوبيون أحراراً أى فى وقت لم يكن المصرى فى قدرته أن يعوق أميراً من أهل البلاد

(١) راجع Aniba, I, 38

(٢) راجع Save, p. 134, Note 4

أن يؤسس لنفسه بيتاً وطيد الأركان . وعلى ذلك فإن انقلاب المؤسسة السابقة الذكر إلى مزرعة مفتوحة يعد إصلاحاً قام به المصري بعد إعادة فتح البلاد مما يدل على أنه لم يعد يطبق رؤيته ، ومن المحتمل أن هذا يدل على ما كان يسود البلاد من سلام وهدوء . ومن المحتمل أنه كان يوجد في بلاد النوبة السفلى مؤسسات أخرى من هذا النوع ، ولكن الذى كان في « الريقة » هو المؤسسة الوحيدة الكبيرة الحجم التى نشرت . وقد جاء ذكر مختصر لمستعمرة على مسافة ٣٠٠ متر شمالى « عنيبه »^(١) وكذلك من بقايا مباني في « مصمص » وهما يدلان على أنهما يشبهان مؤسسة « الريقة » ومع ذلك يبقى مبهماً إذا كان كل منهما مستعمرة مفتوحة أم لا .

هذا ونجد أن المصري في الجزء الأخير من النصف الثاني من العهد المتوسط الثاني قد نزل عن الحدود الجنوبية عند « سمنة » وهى التى كانت تعتبر الحد الفاصل بين مصر والسودان ، وبذلك أصبح المرور عند هذه النقطة حراً ، ويدل على ذلك ما جاء في لوحة « كاموس » إذ ذكر فيها أن الحد الفاصل بين مصر وبلاد النوبة هو الشلال الأول ، وعلى ذلك فإن الهجرة العظيمة التى كانت تتدفق من بلاد النوبة إلى مصر قد أصبحت منتظمة . ومقابر مجموعة C الموجودة « بالكوبانية » ينسب الجزء الأعظم منها إلى عصر مبكر مما يوضح لنا بجلاء أن هذه البقعة القديمة التابعة للمقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى ، والتى يرجع أصل أهلها إلى قبيلة تنسب إلى بلاد النوبة السفلى لم تكن مفصولة بحدود بين البلدين ، ولم يكن هناك أية حالة من الأحوال حد فاصل للهجرة . والواقع أنه كانت توجد مراقبة على هجرة النوبيين إلى مصر منذ عهد الدولة القديمة ، ولكن يلحظ أنه في العصر المتوسط الثاني كانت هذه الهجرة لمصر واسعة النطاق بدرجة لم تعرف من قبل ، ففي العهود المبكرة نجد أن دفن النوبيين في الأراضى المصرية يكاد يكون معدوماً ، وذلك لأن النوبى كان يعد الانتهاء من خدمته في مصر يعود ليدفن في موطنه الأصيل كما ذكرنا من قبل ،

ولكن نجد الآن في الوجه القبلى جبانات نوبية ومستعمرات ، وهى التى تسمى ثقافة المقابر القعبية الشكل وتمتد في البلاد المصرية حتى بلدة « ريفه » شمالا والأماكن الأثرية المعروفة التى وجد فيها آثار حتى الآن من هذا النوع هى :

(١) « ريفه »^(١) .

(٢) « مستجدة »^(٢) وفى هذه البلدة وجد حتى الآن أكبر جبانة من هذا النوع ويبلغ عدد مقابرها سبعا ومائة هذا فضلا عن وجود مستعمرة .

(٣) « قاو »^(٣) وفيها سبع وثلاثون مقبرة ومستعمرة .

(٤) « العرابة »^(٤) وتوجد بها حفر قبور مسطحة وبها نخار من نخار « كرمه » .

(٥) « البلايش »^(٥) وبها ٤٩ مقبرة .

(٦) « هو »^(٦) .

(٧) « بلاص »^(٧) .

(٨) « الخزام » لم تطبع نتائج الحفائر بعد .

(٩) « طيبه »^(٨) وقد وجد كل من الدكتور « هول » و « إيرتون » جبانة منهوبة بالقرب من « الكرنك » ووجد غير ذلك قطع نخار من مقابر قعبية شرق معبد « الكرنك » .

(١) راجع Petrie, Gizeh and Rifeh

(٢) راجع Brunton, Mostagadda, p. 114 ff

(٣) راجع Brunton, Qau and Badari, III, p. 3

(٤) راجع L. AAA, 10, 33 ff.; J.E.A., Vol. 14 p. 46 f.

(٥) راجع Wainwright, Balabish

(٦) راجع Petrie, Diospolis Parva, p. 45 ff

(٧) راجع Arch. Survey of Nubia, Bull. No 4, p. 12 ; Reisner, Report, p. 6

(٨) راجع Weigall Report, p. 25

- (١٠) « أرمنت »^(١) ولم يتم طبع محتويات الحفائر بعد .
(١١) « الدير »^(٢) عثر عليها الأثرى « سايس » ولم يتم طبع تقاريرها .
(١٢) « الكاب »^(٣) .
(١٣) « أسنا »^(٤) .
(١٤) ما بين « هيرا كنبوليس » و « الحصاية »^(٥) لم يتم طبع تقاريرها .
(١٥) قبالة « دراو »^(٦) لم يتم طبعها بعد .

وعلى الرغم من كل ما ذكرنا فإن معلوماتنا ليست كاملة وذلك لأن لدينا خمس جبانات فقط قد نشرت نشرأ مفصلاً وهي « ريفة » و « مستجدة » و « قاو » و « البلايش » و « هو » ومع ذلك يمكننا أن نكون صورة لا بأس بها عن هؤلاء القوم . هذا ويمكن أن يجد القارئ وصفاً شافياً عن ثقافة هؤلاء القوم فيما نشر بوجه خاص في الكتابين اللذين كتبنا عن « البلايش » و « مستجدة » . وسنقتصر هنا على ذكر بعض اعتبارات أساسية لنقاط هامة في هذا الصدد .

ففيما يتعلق بتاريخ هذه المقابر يمكن وضع تاريخ أقصى وتاريخ أدنى بصورة مؤكدة ، وذلك لأن وضع بحث مفصل للتواريخ النسبية لهذه المقابر المحطمة المنهوبة لم يمكن الشروع فيه حتى الآن ، هذا بالإضافة لعدم نشر محتويات هذه المقابر نشرأ طلياً مستفيضاً^(٧) .

(١) راجع J.E.A., 23 , p. 118 ; Chronique D'Egypte, 12 (1937), p. 172

(٢) راجع Weigall Report, p. 25

(٣) راجع Ibid., p. 26

(٤) راجع A.S., 8, p. 141 f. ; J.E.A., 14, p. 46 f

(٥) راجع A.S., 8, p. 137 f

(٦) راجع Weigall Report, p. 25

(٧) راجع Ermenne, p. 108 ff.

وتدل الأشياء المستعملة تماماً من عهد الأسرة الثانية عشرة وكذلك الفخار الذى من زمن العهد المتوسط على أن المقابر التى وجدت فيها يرجع عهدها إلى ما بعد الأسرة الثانية عشرة ، فى حين أن الخرز وكذلك الاختفاء التام لآثار من الدولة الحديثة فى العهد الذى قبل الأسرة الثامنة عشرة يبرهن على ذلك .

ولدينا بلطة عثر عليها فى « مستجدة » باسم ملك يظهر أنه قبل عصر الهكسوس وهو « نب ماعت رع »^(١) هذا إلى جعران باسم ملك الهكسوس « شيشى » وآخر باسم حامل الخاتم المشهور « حار » الذى يذكر كثيراً فى العهد المتوسط الثانى وكلاهما وجد فى « ريفة »^(٢) . ويضاف إلى ذلك من عهد الهكسوس تمثال بوهول المصنوع من سن الفيل الذى وجد فى « العرابية » والذى قلنا عنه إن ملامح وجهه سامية ، وقد مثل وهو ينشب مخالبه فى جسم أسير مصرى .

ومن ثم نفهم أن بداية الهجرة لا يمكن تحديدها على وجه التقريب . ولكن التبعية الجهنسية لقوم المقابر القعبية يمكن أن تقدم لنا دليلاً هاماً على معرفة هؤلاء القوم . فعلى حسب رأى كل من « ينكر »^(٣) و « كروان »^(٤) ليس لدينا هنا على ما يظن تطور فى مجموعة ثقافة C وحدها ، بل إنه مع قبيلة أخرى أيضاً . وثقافة المقابر القعبية تختلف بداهة عن ثقافة مجموعة C هذا إلى أن طراز المقابر القعبية قليل الوجود فى بلاد النوبة السفلى . وقد أضاف الأستاذ « ينكر » إلى هؤلاء القوم الأفراد الذين دفنوا فى الجبانة ٧ الواقعة فى منطقة الشلال^(٥) والجبانتين رقم ١١٠ و ١١٣ فى كوبان ، وفى حين أنه لا توجد إلا بعض مقابر فى « الشلال » بينها وبين المقابر القعبية وجه شبه كبير ، نجد فى الجبانتين الآخرين وجه شبه يربطهما بدون شك بثقافة

(١) راجع Mostagadda, p. 117, 127, 131 ; L.R., II, 51 f.

(٢) راجع Gizeh and Rifeh, p. 21 ; comp. Kerma, I, 300 ; Anc. Egypt. Sup. (1935), p. 143

(٣) راجع Kubanieh-Nord, p. 32 f ; Tell-el-Yahudiya vasen

(٤) راجع J.E.A., Vol. 25, p. 108 f.

(٥) راجع Kubanieh-Nord, p. 30 f.

« كرمه » . وأسوار المعصم المصنوعة من لو يحاث من الصدف وهى التى قال عنها « ينكر » لأنها رمز قبيلة لا يمكن البرهنة على كونها كذلك فى مقابر مجموعة O الخالصة^(١) . وفى حين نجد أن « ينكر » قد ربط أهل المقابر القعبية بمقابر المجموعة المتوسطة التى بين مجموعة « كرمه » ومجموعة ثقافة O التى أضاف لها نجار « تل اليهودية » نجد أن « كروان » أشار إلى أنه من الممكن ربطها بالعصر الأخير « لكرمه » . وعلى أية حال فإنه طالما لم نعرف بعد الآثار المحلية التى بين « كرمه » والشلال الثانى ولم نعرف التطورات الأخيرة فى « كرمه » التى لم يتوصل إليها فإن هذا الموضوع سيبقى غامضا^(٢) .

ولكن إذا أردنا أن نسلم بالزعم القائل إن أهل المقابر القعبية كان أصلهم من البقعة الواقعة جنوبى حدود « سمينة » ، فإن هجرتهم إلى مصر تكون أولا قد تلت نحو حواجز الحدود التى عند الشلال الثانى ، ويشير إلى هذا الاتجاه كذلك انتشار هؤلاء القوم فى مصر حيث بلغ أقصاه فى الشمال على حسب ما جاء فى قصة « كاموس » إلى « قوص » وهى الحد السياسى بين مملكة الوجه القبلى التى تمثل بالأسرة السابعة عشرة وبين مملكة الهكسوس . وتدل الكشف الأثرية على أننا أمام قبيلة محاربة^(٣) ، وهذه القبيلة هى التى نوحدها بالجنود المرتزقة الذين جاء ذكرهم فى قصة « كاموس » باسم « مزوى » وعلى ذلك فلما نكون هنا أمام جنود استخدمهم ملوك الأسرة السابعة عشرة فى حرب التحرير التى أشعلوا نارها على الهكسوس^(٤) . ففى شمالى « قوص » فى الجهة الأخرى من الحدود الشمالية من مملكة الأسرة السابعة عشرة لم نجد قط أى أثر للمقابر القعبية البحتة ، وإذا كان قد حدث أن بعض أفراد من النوبيين قد تقدموا نحو الشمال ودخلوا على فرض فى خدمة الهكسوس فإنه لم تصلنا عن هؤلاء معلومات مؤكدة^(٥) .

(١) راجع Firth, II, 139 ; Emery-Kirwan, p. 314, 323, 326

(٢) راجع Orio Bates, Harvard African Studies, 8, 17

(٣) راجع Balabish, p. 6

(٤) راجع Aniba, I, p. 9

(٥) راجع Save, p. 139

وإذا فكرنا من جهة الانتشار العظيم للمقابر القعبية في الوجه القبلى ، ومن جهة أخرى ما ذكر عن قصد عن الدور الذى لعبه جنود مزوى في الحرب القصيرة نسبيا التى جاءت في قصة « كاموس » فإننا لا نكون قد شططنا كثيرا إذ ذهبنا إلى أن هؤلاء الجنود قد لعبوا دورا فاصلا في تحرير مصر من ير الهكسوس ، وأنهم قبل كل شئ في الحرب الأخيرة كانوا فقط يحاربون في جانب المصريين . وهذا ما أشارت إليه نقوش اللوحة الجديدة الخاصة بحروب كاموس التى شنها دفاعا عن نفسه على الهكسوس .

ولا نعرف شيئا على وجه التأكيد عن هؤلاء القوم من الوجهة الاجتماعية ، ولكن على حسب ما وجد من آثار ذهبية في مقابرهم في « مستجدة » وكذلك ما نجده من تخريب شامل لمقابرهم نفهم أن هؤلاء الجنود كانوا يكافئون مكافأة حسنة ، ولم يكونوا بآية حال من الأحوال فقراء^(١) . ويلاحظ أن شكل أسلحتهم كان مصرية محضا بوجه عام ، فقد وجدت في مقابرهم بلط وخنجر وسهام وأغطية أصابع . وقد كانوا مثل نوبي الدولة الحديثة على ما يظن يستعملون مشاة خفافا وكما ذكرت لنا لوحة « كاموس » أن المزوى كانوا يستعملون جنود استطلاع .

وقد تمصر أهل المقابر القعبية تماما كما تمصر أهل مجموعة C في بلاد النوبة السفلى ، ونجد فقط في المقابر المتأخرة هؤلاء القوم بعض أواني فخار من صنع أجنبي أما باقى الأواني فمصرية . وكذلك تلاحظ نفس العملية في المستعمرات من حيث الانتقال من الأكواخ المستديرة إلى المباني ذات الأضلاع الأربعة^(٢) . وعلى هذا الأساس يكون من الواضح عدم وجود المقابر القعبية في الدولة الحديثة ؛ ولكن على الرغم من صعوبة وجود برهان أثرى فإن أصحاب المقابر القعبية على أية حال يتمصيرهم تماما واختفائهم بوصفهم قوما مميزين قد انتهى دورهم السياسى في التاريخ المصرى .

وكذلك فإنه مما لا شك فيه التسليم يتمصير قوم ثقافة مجموعة N الذين ساروا شوطا

(١) راجع Mostagadda, p. 122

(٢) راجع Qau and Badari, III, p. 41

بعيدا في بلاد النوبة السفلى ، وأنهم في خلال عهد التحرير قد أصبحوا تابعين ثقافيا لمصر بسبب ضعف مقاومتهم الداخلية لها ؛ فقد استعادت قوتها ووضعت لنفسها من جديد سياسة توسع وفتوح . وعلى ذلك فإن الطريق أمام إرجاع السيادة المصرية القديمة في بلاد النوبة السفلى قد مهدت . وعلى العكس من ذلك فإن وحدة الثقافة العظيمة التي كانت بين أهل بلاد النوبة وأسيادهم المصريين الذين عادوا إلى بلادهم قد سهلت الأمر أكثر من قبل ، وبذلك أصبحت هذه البلاد قاعدة أكثر ملائمة لتكوين امبراطورية مصرية عظيمة في الجنوب من التي كانت في عهد الدولة الوسطى .

الدولة الحديثة (١٥٨٠ - ١٠٩٠ ق. م)

العلاقات السياسية بين مصر وبلاد النوبة

« أحسن الأول » (١٥٨٠ - ١٥٥٨ ق. م) :

أشرنا فيما سبق إلى أن بداية تحرير مصر من يد الأجنبي قد جاء ذكرها في قصة الملك « كاموس » بصورة واضحة وبخاصة في اللوحة التي كشف عنها حديثا بالكرك . ففي خطابه لمجلس مستشاريه يقول : « إني أريد أن أعرف أين قوتي عندما يكون أمير في « أواريس » وآخر في « كوش » وأنا أجلس في وسطهما (أى متحداً مع الآسيويين والنوبيين) وكل واحد منهما يسيطر على نصيبه من مصر ويقاسمانى هذه الأرض » . وقد حاول أعضاء المجلس في جوابهم أن يهدئوا من روعه فأجابوه : « بأن الآسيويين لا يحكمون إلا إلى « قوص » ونحن نحكم ما لنا من مصر في سلام . و « الفنتين » قوية » . وبعبارة أخرى أنه على الرغم من أن بلاد النوبة قد استقلت فإن حدودنا الجنوبية في أمان ، وأنه لا خوف من زحف النوبيين على بلادنا ، لأن « الفنتين » كانت محصنة تحصينا قويا . وهذا الموقف السياسى يتفق مع الكشف الأثرى الذى أشرنا إليها من قبل فى بلاد النوبة . ومما يجدر التسليم به كذلك أن جنود المزوى الذين جاء وصفهم فى ساحة القتال بين المصريين والهكسوس فى هذا المثلث هم الذين عرفناهم فى المقابر القعبية التى أسهبنا الكلام عنها فى الفصل السابق ، هذا ويدل وجودهم فى الجيش المصرى على انتشار المقابر القعبية .

ولما كان الجزء الأعظم من قصة « كاموس » قد ضاع من لوحته على ما يظهر فإن اللوحة الثانية التى كشف عنها تحدثنا عن حروب « كاموس » مع الهكسوس وانتصاره عليهم مبدئيا . والواقع أن اسم « كاموس » قد وجد فى نقش على حجر فى بلدة

« توشكى » غير أن هذا النقش خاص على وجه التأكيد بمهد خلفه الملك « أحس الأول » الذى وجد اسمه تحت اسمه مباشرة . ويلحظ هنا أن « أحس » يحمل لقب « معطى الحياة » . وهذا يدل على أنه كان لا يزال عائشاً عند كتابة هذا النقش ، غير أنه لا يجب أن نفهم هذا اللقب على هذا الوجه دائماً ، وإذا فهمناه كذلك فإنه يعنى هنا أن الملكين كانا يحكان بالاشتراك فى وقت واحد ، ولكن ليس لدينا ما يعزز هذا رأى ويؤكد ، يضاف إلى ذلك أن الجحوران الذى عثر عليه فى بلدة « قوص » وهو الذى نقش عليه اسم « واز — خبر — رع » (١) لا يعنى أنه قد حدث تغلب على بلاد النوبة قبل عهد « أحس الأول » ويرجع السبب فى ذلك إلى أن سياسة طرد الآسيويين من مصر ، وهى السياسة التى وصفها « كاموس » — كما أشرنا إلى ذلك من قبل — لم تكن قد حققت بعد فى أوائل حكم « أحس الأول » لذلك لم يكن جائزاً أن يقوم « أحس » بعمل هجومى على الجنوب قبل أن يستولى على « أواريس » . عاصمة الهكسوس فى الشمال .

ويقص علينا « أحس » بن « إبانا » فى وصف الحرب التى وقعت فى « أواريس » ما يأتى : « وقد وقعت الحرب فى مصر فى الجزء الواقع جنوب هذه المدينة وأحضرت أسيراً^(٢) . » وقد عارض كل من الأثرى « شيفر » والمؤرخ « أدوارد مير » وكذلك « برستد » و « زيته » وغيرهم بحق فى أن ذلك كان لا يعنى لإنحاد ثورة فى الوجه القبلى أو حملة على بلاد النوبة ، بل المقصود من عبارة « هذه المدينة » هو « أواريس » . وأن الغرض من العبارة فى المتن هو محاصرة ومحاربة جزء من « أواريس » ، إذ نجد مباشرة بعد وصف الحرب عبارة « جنوبى هذه المدينة » وقد جاء ما يأتى : « وقد استولى على « أواريس » ، ومن ذلك يظهر أن فتح بلاد النوبة لم يبدأ إلا بعد أن قضى على النفوذ الآسيوى كما تحدثنا بذلك صراحة فى نقوش « أحس » بن « إبانا » فاستمع لما يقول :

(١) راجع L. A. A. A., 8, Pl. XVIII

(٢) راجع Urk., IV, 14

« وبعد أن ذبح جلالته منتيو آسيا صعد في النيل نحو « خنت — حن — نفر » وهزم النوبيين وقد أوقع جلالته مذبحة عظيمة بينهم وقد أحضرت غنائم . . وبعد ذلك انحدر جلالته في النيل وكان قلبه مملوءاً بالاشجاعة والنصر الذي أحرزه على الجنوبيين والشماليين . »

وهذا النقش بعينه يصف هزيمة ثائرين ، واسما الثائرين هما « أيتيو » و « تيتي — عن » (= تيتي جميل) ، والأول منهما قيل عنه إنه أتى من الجنوب ، ولكن آلهة الوجه القبلي قد قبضوا عليه ، وقد وجده جلالته (يعني أحس الأول) في « تنناع » وأحضره جلالته بمثابة أسير وكل أهله بمثابة غنيمة ، وأحضرت اثنتين من المجا (مزوى) وهما اللذان استوليت عليهما من سفينة « أيتيو » . واسم المكان « تنناع » ليس معروفاً لدينا ، ولكن الأستاذ « زيت » يظن أنه محطة بئر في الصحراء ، غير أن رأيه لا يستند على برهان هذا وليس بواضح من المتن أين حدثت هذه الثورة . أما التعبير « وآلهة الوجه القبلي قد قبضوا عليه » فيمكن أن يحدد مكان الثورة في الوجه القبلي ، غير أن ذكر « أحس » بن « أبانا » أنه استولى على اثنتين من المزوى يحتمل أن يكون إشارة إلى أن الثورة قامت في بلاد النوبة ويعزز ذلك ما ذكره « امنحتب الثالث » على لوحة « سمنة » أنه كان ضمن الغنائم التي استولى عليها في « إيهت » مائة وعشرة من رجال المزوى ، يضاف إلى ذلك أننا نجد لقب المشرف على المزوى في القبر رقم ٧٨^(١) « بطيبة » وهذا الموظف نلاحظ من قرطيه الكبيرين في الصورة أنه لم يكن مصري الجنس في ملامحه ، على الرغم من أنه يحمل اسماً مصرياً هو وأخوه صاحب المقبرة . ويشاهد خلف هذا الموظف رجل يجلب محصول الصيد ، من ذلك أرنب برى وبيضة نعام وريش نعام . ومما يؤسف له أن لدينا صورة جنود المزوى مهشمة في « تل العمارنة » ولذلك لا يمكننا أن نؤكد إذا كانوا أجنباً أم لا ، ولكن

(١) راجع Mem. Miss. Fr. V, 420, Pl. III

(٢) راجع Davies, El Amarna, III, Pl. 12

وجود جزء كبير من الجنود النوبيين لم يكن بالأمر غير العادى . وعلى ذلك لا يستغرب من وجود صور جنود المزوى وصور جنوبيين . وعلى الرغم من أن هذا المصدر لا يشير بوجه التأكيد إلى أن المزوى هم نوبيون حقيقيون إلا أنه مع ذلك على ما يظهر يشير إلى هذا الاتجاه . وبالإضافة إلى ما ذكرنا من أن « أيتيو » قد وفد من الجنوب فإنه من الجائز على أقل تقدير أن نفهم أن هذه كانت أول ثورة قامت في بلاد النوبة السفلى وفي وادى نهر النيل كما يدل على ذلك ذكر سفينة الثائر « أيتيو » . ولا يمكننا أن نعرف من النقوش التى فى متناولنا إلى أى حد زحف « أحس » بجيشه جنوباً ، وذلك لأن اسم « خنت — حن — نفر » لا يدل على الرقعة المفتوحة كما وضع ذلك « ستيندورف » بقوله : « حقا لا تدل على جزء صغير من بلاد النوبة » . وفضلاً عن ذلك فإن هذا الاسم قد ظهر أولاً في الدولة الحديثة كما أوضحنا ذلك من قبل ، ولكن الآثار التى كشف عنها في بلاد النوبة السفلى توحى بأن « أحس » قد استولى على الأقل حتى ما بعد « بهين » . وعثر في « كوبان » على مخروط جنازى عليه النقش التالى : « الإله الطيب « رع نب بحتى » (لقب « أحس الأول ») معطى الحياة أبدياً ، إنه الكاهن الأول لآمون وحامل الخاتم « حورسات » ؛ يضاف إلى ذلك نقش على الصخر ذكرناه آنفاً في « توشكى » وكذلك نقوش على أجزاء مبان من أقدم معبد عثر عليه في « بهين » ، وقد وجد تحت أرضية معبد « أمنحتب الثانى » أنه قد رسم على كوة باب الملك « أحس الأول » والملكة « أعح حتب » أمام آلهة مختلفين ، ووجد كذلك رسم قربان لقائد حامية « بهين » المسمى « ثورى » . و « ثورى » هذا هو نفس « ثورى » الذى أصبح فيما بعد نائباً للملك ، وليس لدينا أى شك فى أن هذا الأثر قد أقيم فى عهد هذا الملك . وقد كانت « بهين » على ذلك وهى سوق التجارة القديم قد عادت فى عهده إلى يد

(١) راجع Mariver and Woolley, Buhen, p. 86, Pl. 35

(٢) راجع Reisner, J. E. A., Vol. 6, p. 29

المصريين ، إذ من المحتمل ان الرقعة المحصنة هنا زاد فيها « أحس » زيادة كبيرة .
والواقع أن جدران الدولة الحديثة التي تلب حول الحصن القديم الذي يشغل مساحة
كبيرة لا يمكن تأريخها على وجه التأكيد ، غير أن تأسيس معبد خارج سور الدولة
الوسطى على يد « أحس الأول » يدل على أن تحصينات الدولة الحديثة كان قد بدئ
في بنائها في عهده فعلا .

ولما كانت الحالة السياسية في بلاد النوبة السفلى المفتوحة حديثاً لم تكن حتى
الآن في حالة استقرار وسلام فإنه مما لا يكاد يسلم به أن هذا المعبد قد حفظ ببناء
سور حوله . ومن الجائز أن « أحس الأول » قد زحف إلى جنوبي الشلال الثاني^(١)
وذلك لأنه وجد في حصن مقام على جزيرة « ساي » تمثال نقش عليه اسم هذا الملك ،
ولكن من المحتمل في الوقت نفسه أنه نقل إلى هذا المكان^(٢) . وفي عهد خلفه
« أمنحتب الأول » تم إعادة فتح بلاد النوبة فقد قامت حملة إلى بلاد « كوش »
لتوسيع حدود مصر ، ومصدرنا الرئيسي عن ذلك هو تاريخ حياة « أحس » بن « أبانا » ،
يضاف إلى ذلك عبارة قصيرة عن هذه الحملة جاءت في نقوش مقبرة « أحس بنسخت »
وقد وصفت هذه الحملة كما هي العادة في المتون المصرية وصفاً مختصراً جداً . والواقع
أننا لا نعرف شيئاً تقريباً عن هذه الحملة ، كما أن المتن لا يدلنا أين وقعت الحرب
فاستمع لما يقول المتن : « إن جلالته هزم هذا النوبي في وسط جيشه وقد أحضروا
مكبلين دون استثناء ، أما الذين هربوا منهم فقد صرعوا على جنوبهم وصاروا كأن
لم يغنوا بالأمس . . . وأهله وماشيته أسروا وقد أحضرت جلالته في يومين
من محطة البئر العليا » . وتدل شواهد الأحوال على أن نهاية الحرب على الأقل
قد وقعت في الصحراء وهذا يعني أن نوبي وادي النيل قد اقتفى أثرهم الفرعون
حتى الصحراء ، أو أنه كان يحارب بدو الصحراء . هذا ولا نعلم أين تقع محطة

(١) راجع Buhen, p. 99

(٢) راجع J. E. A., Vol. 25, p. 142, Note

(٣) راجع Urk., IV, 7

« البئر العليا » التي على مسيرة يومين من مصر . فإذا لم يكن في هذا التعبير مبالغة كما هي عادة المصري في تقدير المسافة فإنه لا بد أن يكون المقصود بالعدو هنا البدو الذين لم يكونوا قد أخضعوا بعد للحكم المصري في جهة بالقرب من « أسوان » ، وهؤلاء هم الذين كانوا يسكنون الصحراء الغربية بالقرب من واحتي « كركر » و « دنقل » أو هم من البدو مثل قبيلة البجا الذين يسكنون في جبال الصحراء شرق وادي النيل . ويلاحظ هنا أن تسمية العدو باسم « أونتي — ستي » يمكن أن نستخلص منها شيئاً وهو أن الاسم القديم « أونتيو » كان يطلق على القبائل الأجنبية المتوحشة أمداً مصر ، وعلى ذلك فإنه من الممكن كذلك أن يطلق على سكان النوبة في وادي النيل كما شرحنا ذلك من قبل . هذا وقد وجد تمثال للملك أمنحت الأول حديثاً في جزيرة « ساي » مما يدل صراحة على أنه قد تغلب على هذا الجزء من البلاد الكوشية وهذا الأثر محفوظ الآن بمتحف وادي حلغا عثر عليه الأثرى ثابت في حفائره الحديثة في جزيرة « ساي » .

أمنحتب الأول — (١٥٥٧ — ١٥٣٠ ق . م) :

ونعلم للمرة الأولى من الآثار أنه في عهد الملك « أمنحتب الأول » قد أقيمت الحدود المصرية الجنوبية عند سممنه . وقد عثر في « ورنرتي » وفي « سممنة » على نقوش لنائب الملك « ثوري » مؤرخة بالسنين السابعة والثامنة من حكم هذا الفرعون^(١) ، وقد ذكر « أمنحتب الأول » : « بأنه رب الأرضين » زمر كارع « سيد التيجان » « أمنحتب » صاحب أرض « كاري » « الإله الطيب »^(٢) . غير أن هذا النقش ، وهو للسكان الأول لآمون المسمى « بنتا وسرت » كان بلا شك من عصر متأخر ، وعلى أية حال ليس لدينا برهان قاطع على أن « أمنحتب الأول » قد وصل في زحفه حتى « كاري » الواقعة بالقرب من « نباتا » . ولكن وجود تمثال له في جزيرة ساي حديثاً قد يجعل من الجائز وصوله إلى هذه النقطة ولعل الحفائر الحديثة تحدثنا بشئ عن ذلك في المستقبل القريب .

(١) راجع Urk., IV, 78

(٢) Urk., IV, 50

« تحتمس الأول »

(١٥٣٠ - ١٥٢٠ ق م)

والواقع أن الذى وسع نفوذ مصر الحقيقى بدرجة أكثر مما وصلت إليه مصر فى عهد الدولة الوسطى هو الفرعون « تحتمس الأول » فى حملته الأولى على هذه البلاد ، والمصادر عن هذه الحملة لا بأس بها ويوجد لدينا فضلاً عما جاء فى ترجمتى « أحمس » بن « أبانا » « وأحمس بننخت » لوحة أقامها « تحتمس الأول » عنواناً على انتصاره فى « تومبوس » على هذه البلاد وتقع جنوب الشلال الثالث ، يضاف إلى ذلك نقوش صغيرة وجدت فى نفس المكان ، وكذلك نقوش على صخور جزيرة « ساي » و « تنحور » وأخيراً ثلاثة نقوش عند الشلال الأول . ونجد كذلك أن الأسرى الذين أسروا فى هذه الحروب قد صوروا فى مقبرة العظيم « إمنى » . وقد جاء ذكر بناء الحصون التى أقامها هذا الملك وأعمال أخرى له قام بها فى بلاد النوبة فى نقوش من عهد الملك « تحتمس الثانى^(١) » . (١٥٣٠ - ١٥٢٠ ق م ؟) .

والوصف الوحيد الذى وصل إلينا عن حروب هذا الفرعون هو ما قصه علينا « أحمس » بن « أبانا » فاستمع لما جاء فيه : « لقد رافقت ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « ما خبر كارع » المرحوم عندما زحف إلى « خنت - حن - نفر » ليعاقب الثورة التى قامت فى البلاد الأجنبية وليصت طغيان البلاد الأجنبية (أو ليصد هجمات البلاد الأجنبية أى الصحراء) . ولقد كنت شجاعاً أمامه على الماء الرديء (الدوامات) عندما كان يجر الأسطول على مياه الشلال ، وكنت قد نصبت رئيساً

(١) راجع Urk., IV, 8, 36, 70, 78-90 and 139 ; Sai and Tangur Graffiti A. J. S. L.

فر. (1908), p. 100, 104.

أعلى للبحارة . وقد عمل جلالة له الحياة والسلطان والصحة وقد سار جلالاته من أجل ذلك غاضباً كالفهد ، وقد فوق جلالاته سهمه الأول فسكن في جسم عدوه . وقد فقد هذا العدو شجاعته أمام صله ، ووقعت هناك مذبحة في لحظة عين وسبق قومه أسرى ، ثم سار جلالاته منحدرًا في النيل عندما أصبحت كل الأراضي في قبضته . أما هذا النوبي فقد طاق مشنوقاً منكساً في مقدمة سفينة جلالة الملك وأرسي سفنه في الكرنك » .

ويدل ما جاء في هذا المتن على أن سبب هذه الحملة كانت ثورة في بلاد النوبة ، غير أنه من المشكوك فيه أن يكون مدلول هذا القول قد حدث حرفياً ، ولكن المظنون هو أن القبائل التي كانت تسكن جنوب الشلال الثاني وهو الإقليم الذي كان قد فتح منذ زمن قصير كانت تقوم بهجمات مهددة للأمن هناك ، ولدينا عامل آخر وهو رغبة المصريين في أن تصبح البلاد الجنوبية التي كانوا يتعاملون معها في عهد الدولة الوسطى في قبضة أيديهم ليستولوا منها على المواد الغفل التي تنتجها بلاد السودان . وقد وقعت هذه الحملة في السنة الثانية من عهد « تحتمس الأول » ، وقد عثر في جزيرة « ساي » على نقش مدون على الصخر مؤرخ بهذا التاريخ وهو « السنة الثانية من عهد « تحتمس الأول » . وكذلك نقش آخر في « تجبور » مؤرخ بنفس السنة جاء فيه : « صعد جلالاته في النيل ليهزم الكوشى الخامس عندما كان كاتب الجيش « أحس » يحصى السفن » ؛ ومن ثم نفهم أن السفن كانت تجرى في الشلاين الثاني والثالث أى فيما كان يسميه « أحس » ابن « أبانا » « تابعيت » (ربما كان يقصد بذلك الانحناء العظيم الذى عند « أكور » ؟) . وإذا كان ما جاء على نقش في « تجبور » — وقراءته ليست مؤكدة — مؤرخاً بالشهر الأول من فصل الصيف السنة الثانية من عهد « تحتمس الأول » يعتبر صحيحاً^(١) فإن عبور الشلال كان يحدث في شهرى مايو ويونيه ، إذ في هذا الوقت

(١) داجع Breasted, A. J. S. L. (1908), p. 104; P. S. B. A., 7, p. 12I and Sethe

Untersuchungen I, 41

من السنة تبدئ زيادة النيل وعندئذ تكون لدى المهاجم فترة مبكرة للهجوم فيمكنه أن يبقى على اليابسة بقدر المستطاع قبل أن تعوق الدوامات النيلية المتزايدة عودة السفن إلى أوطانها . ونعرف من النقوش أن الحملة وصلت حتى « تومبوس » و « أرقو » وأنها كانت موجودة هناك حوالى أكتوبر ، ومن جهة أخرى ليس لدينا ما يبرر القول بأن « تحتمس الأول » قد وصل إلى « نباتا » . ويرجع أقدم أثر وجد في « كوا^(١) » إلى عهد الفرعون « امنحتب الثالث » ؛ ووجدت في « نباتا » الواقعة في جبل « برقل » لوحة « لتحتمس الثالث^(٢) » وهى على وجه التأكيد أول نقش وجد من عهد الأسرة الثامنة عشرة في هذه الجهة .

ولكن نعلم من قبل أن فتح وادى « كرمه » كان يعنى خطوة فسيحة للأمام فى بناء الامبراطورية المصرية فى أفريقيا ، وبخاصة لأن ذلك الفتح قد تغلب على كل الصعوبات الحربية مما مهد الطريق للذين أتوا بعد من الفاتحين وساروا فى فتوحهم حتى الشلال الرابع . والواقع أن خط الدفاع الطبيعى لأهل الجنوب قد اخترق وقد ذكر ما يفيد هذا المعنى تماماً « تحتمس الأول » فى نقوش « تومبوس » : « إنه هو الذى فتح الوديان وهى التى لم يعرفها الأجداد ، ولم يرها حامل التاج المزدوج من قبل ، وحدوده الجنوبية قد وصلت مباشرة حتى هذه الأرض^(٣) » . والواقع أن فتح منطقة « كرمه » كان له أهمية سياسية عظيمة لأننا نعرف من حفائر « ريزنر » أن المستعمرة الأهلية لمجموعة C فى « كرمه » قد امتدت حتى الأسرة الثامنة عشرة ، وأخلاف أمراء الدولة الوسطى فى « كرمه » هم الذين أصبحوا أعداء « تحتمس الأول » ، ولذلك فإن فتح هذا الاقليم يعد ضربة فى صميم نواة دائرة الثقافة السودانية .

(١) راجع J. E. A., Vol. 22, p. 200 Kallio ff.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٠٦

(٣) راجع Urk., IV, 85 L. 11 ff.; Junker, Kubanieh Nord, p. 16, 21

ومما ينبغي ملاحظته هنا أن الأسرى الذين استولى عليهم «تحتمس» في هذه الحملة وأحضروهم إلى مصر كما نشاهد ذلك في الصور التي بقيت لنا في مقبرة «إنخى» لا تدل على أنهم زوج بل هم من المجلس الحامى^(١)، وهذا يتفق مع رأى القائل بأن مستعمرة «كرمه» قد تغلب عليها «تحتمس الأول» ، لأنه قد وجد في مقابرها العظيمة طراز من صور الزوج غير أنهم ليسوا السائدين هناك^(٢) . والواقع أن تصوير الزوج لم يظهر في الفن المصرى بكثرة إلا فيما بعد ، وقد يفسر ذلك بأن الحملات التي قام بها أخلاف «تحتمس الأول» قد أوغلت في بلاد الزوج أكثر من أن الزوج قد زحفوا نحو الشمال ، وكذلك يلحظ أن اتجاه الزى الشائع في الفن المصرى كان يميل إلى رسم الزوج بتقاطيعهم الخاصة .

ولم تذكر لنا النقوش على وجه التأكيد إلا حملة واحدة قام بها «تحتمس الأول» على بلاد النوبة وهي التي أرخت بالسنة الثانية كما ذكرنا من قبل ، غير أن الأستاذ «زيت» قد سلم بوجود حملة أخرى مستنبطاً ذلك من رسم هذا الملك في نقشين صغيرين في «تومبوس»^(٣) وقد بنى ذلك من إضافة عبارة : «الذى يظهر مثل «رع» لاسمه» وهذه العبارة لم تظهر قط في نقوشه في السنين الأربع الأولى من حكمه ، وعلى ذلك فإن هذا النقش كان قد كتب بعد السنة الرابعة ، ومن ثم لا يجوز لنا أن نستخلص من ذلك قيام حملة ثانية ، لأن هذا النقش أولاً يحتوى على نعوت عادية للملك مثل الذى يضرب «كوش» ، وثانياً فإنه من الجائز كذلك أن نقش «تومبوس» الكبير الذى أرخ بالسنة الثانية وقد جاء فيه نهر ذكر نهر الفرات الذى جاء ذكره في حملة حدثت فيما بعد لم يكن قد كتب في هذا التاريخ الذى أرخ به . ومن الواضح أن النقوش التي تدون بعد الموقعة لم تكن لتسجل الغزوات العابرة بالنسبة لأرض العدو بل كانت خاصة باستعمار الأرض المقهورة .

(١) راجع Junker, J. E. A., 7, 129 ; Wreszinski, Atlas I, 265

(٢) راجع Kerma, II, 556 ; 1. pp. 152, 215, 224, 314

(٣) راجع Urk., IV, Übersetzung, p. 46, Note 1

وليس لدينا ما يدل على أن « تحتمس الأول » قد أقام في « تومبوس » حصنا عند الحدود الجنوبية الجديدة ليكون مركزاً لجنود الحامية ، إذ لم يعثر على آثار أكيدة في منطقة « تومبوس » تثبت ذلك . ومن ثم لا ينبغي أن نستخلص شيئاً من هذا القبيل من السطر العاشر من لوحة « تومبوس » ، إذ أن ما جاء فيها لا يخرج عن كونه استعارة تشبيهية وهي « أنه حصن لكل جيشه » . ونجد في نقش خلفه « تحتمس الثاني » عبارة صريحة تدل على أن « تحتمس الأول » أقام حصنا في بلاد النوبة على الأقل في المنطقة التي فتحت جديداً إذ يقول : « وقد كان الثوار على وشك أن يسرقوا المصريين ، وذهبوا للاستيلاء على قطعان الماشية التي كانت خلف الحصون التي أقامها والدكم في حملته المظفورة ملك الوجه القبلي والوجه البحري « تحتمس الأول » عاش مخلداً ، ليصد البلاد الأجنبية النائرة^(١) » . والحصن المنسوب هنا « لتحتمس الأول » ليس من السهل تحديد مكانه على وجه التأكيد ، إذ لا توجد هناك مبان تدل على ذلك ، ومن المحتمل أنه في عهده أقيم حصن في جزيرة « ساي » لأنه قيل في نقش بناء مؤرخ بالسنة الخامسة والعشرين من حكم « تحتمس الثالث » إن معبداً قديماً مقاما من اللبنات قد بنى بدلا منه آخر بالججر ، ولكن اسم « حتشيسوت » ذكر كذلك في جزيرة « ساي » ، وعلى ذلك يرجع الموقع القديم إلى عهدها^(٢) .

هذا وقد قسمت بلاد النوبة في عهد « تحتمس الأول » خمسة أقسام تحت إدارة أمراء نوبيين كان لهم نصيب^(٣) في إدارة مقاطعات البلاد ، والظاهر أن الملك قد حط رجاله بعد الحملة الأولى بسنة في بلاد النوبة : « ففي اليوم الثاني والعشرين من الشهر الأول من فصل الصيف السنة الثالثة سر (الملك) في الشلال الأول عندما هزم « كوش » الخامسة وقد أمر بحفر قناة هناك وجدها مملوءة بالججارة ولم يكن

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢٩٤

(٢) راجع Urk., IV, 192; L. D., Text V, 226

(٣) راجع Save, p. 184 ff.

في مقدور أية سفينة أن تسير فيها وقد أقلم فيها لأن قلبه كان فرحاً بعد أن ذبح عدوه . وهذا الاصلاح في طريق التجارة في الشلال الأول لم يكن بالشئ الجديد إذ نعرف أنه حدث منذ الدولة الوسطى . والآن لما أصبح من الضروري أن تستولى مصر على الإدارة في بلاد النوبة السفلى وبلاد كوش صار من الأمور الهامة حل مسألة المرور لضمان مرور كل السلع الآتية من السودان .

« تحتمس الثانى » ١٥٢٠ - ١٤٨٤ ق . م (ومعه حتشيسوت) .

وفي السنة الأولى من حكم « تحتمس الثانى » قامت في شمالى بلاد كوش ثورة ، وكان الاقليم النوبى قد أصبح فعلاً يشمل « كوش » و « واوات » وبذلك كان المقصود ببلاد « كوش » الاقليم الواقع جنوب الشلال الثانى ، ومن جهة أخرى لم تكن هذه الثورة كما كان المتظر في الاقليم المفنوح حديثاً جنوبى « سمنة » بل شبت في بلاد النوبة السفلى . وتتلخص في أن أحد الأمراء النوبيين قد حاول بسبب الضعف الذى أصاب البلاد من جراء تغير المتربع على العرش أن يفيد من هذه الفرصة ويحرر البلاد نفسها من التير المصرى . ومن المحتمل أن أطماع القائم بهذه الثورة لم تذهب إلى هذا الحد ، وأنه أراد بثورته هذه النهب لإثراء نفسه وحسب . ومن جهة أخرى يقول « زيته » إن هذه الثورة لها ارتباط وثيق بتغير الجالس على عرش ملك مصر وأن « حتشيسوت » قد لعبت دوراً في هذه الثورة ، وبخاصة إذا كانت كما يقال قد وقفت في وجه زوجها « تحتمس الثانى » فعلاً وطاملته معاملة الأسير ، وإذا كان هذا صحيحاً كان لدينا لذلك مثيل في التاريخ المصرى وأعنى المؤامرة التى حيكّت ضد « رعسيس الثالث » . وقد كانت بلاد النوبة عاملاً قوياً في الدسائس السياسية الداخلية التى حيكّت ضده^(٢) . على أن نظرية الأستاذ « زيته » فيها شك ، إذ كان يتوقف كل الموضوع على فهم الارتباك الذى حدث بعد حكم « تحتمس الأول » وهو الارتباك

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢٩٥

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٤٤

الخاص بمن يتولى العرش بعده . وهذه المسألة المعقدة لا يمكن الخوض فيها هنا أكثر مما تحدثنا به عنها في عهد حكم « حتشبسوت »^(١) وكل ما يمكن أن يقال هنا هو اتباع الرأى الذى أدلى به المؤرخ « أجرتون » ويشتمل على نظرية سهلة بسيطة الفهم . وسنترك جانبا نظرية « زيته » وكذلك نضرب صفحا عن علاقة ارتباطك تولية عرش الملك بالثورة النوبية كما ذكرها « زيته » إذ فيها شك كبير^(٢).

هذا ولا نعرف إلى أى حد ذهب الأمير النوبى الشائر فى ثورته للتحور من النير المصرى . ولكننا نعرف أن الثورة قد أنهكت وعاد النظام إلى نصابه . وتدل النقوش صراحة على أن الملك « تحتمس الثانى » لم يرافق هذه الحملة بنفسه كما جرت العادة مع ملوك مصر فى حروبهم . وفهم من منطوق المتن أن الهزيمة كانت دامية والانتقام من الثائرين كان وحشيا^(٣).

حتشبسوت :

وقد مرت مدة طويلة بعد هذه الحملة التأديبية التى قام بها « تحتمس الثانى » قبل أن نسمع بحروب عظيمة فى بلاد النوبة . وتدل الأحوال على أنه فى عهد الملكة « حتشبسوت » التى تولت العرش بعد زوجها « تحتمس الثانى » قد سادت العلاقات السلمية فى كل أرجاء الامبراطورية المصرية ولدينا منظر فى الدير البحرى « نشاهد فيه الإله «ددون» إله بلاد النوبة يقود البلاد الجنوبية (خنت — حن — نفر) وكذلك يقود فى أسفل بلاد «ميو» إلى الملكة بوصفها بلادا (تابعة) ، غير أن هذا المنظر لا يمكن أن يعد دليلا تاريخيا لحملة قامت بها الملكة على بلاد النوبة^(٤) كما ظن ذلك الأثرى « نافيل » . يضاف إلى ذلك النقش المهم الذى عثر عليه فى قبر « سموت »

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٣٠٧

(٢) راجع The Thutmosid Succession (Studies in Anc. Oriental Civilisation) 8 ; Chicago Oriental Institute

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢٩٥

(٤) راجع The Temple of Dier El Bahari, III, Text, p. 11, and Urk., IV, p. 315

وهو الذى يتحدث فيه عن أعمال حربية فى بلاد النوبة لا يمكن أن نستخلص منه برهانا قاطعا عن حروب قامت فى هذه البلاد فى عهد «حتشبسوت» ، ومن المحتمل أن هذا النقش كان خاصا بحياة «سنوت» قبل عهد الملكة «حتشبسوت» ، وكذلك يمكن أن تكون الفقرة التى جاءت فى لوحة «تحتوتى» التى يتحدث فيها عن فحص غنائم الملك فى «كوش» (١) لا تمثل هنا إلا مجرد تعابير تقليدية . فضلا عن ذلك فإن الفقرة الفاصلة التى يحتمل أن تكون قد ذكرت فيها «كوش» فى هذا النقش وجدت مهشمة جدا .

وكذلك عندما يقول الموظف «نبوحوى» فى ترجمته : «لقد أقصيت العدو الذى ثار على جلالته» (٢) فإنه لم يستعمل هذا التعبير ليدل بأية حال من الأحوال على الموقف السياسى فى السودان . وعلى أية حال نلاحظ من النقوش العدة التى اقتبست هنا أن هذا المتن هو الوحيد الذى قد يشير إلى حرب ومشروعات ضخمة لا إبهام فيها ، فمن المحتمل أن هذه الحرب كان المقصود منها مناقشات مع بدو الصحراء . هذا ولا تدل الحفائر التى عملت فى السودان على شئ مؤكد عن مد نفوذ مصر فى السودان فى عهد «حتشبسوت» ، وكذلك لم يعثر حتى الآن على لوحات أثرية من هذا العهد جنوبى جزيرة «ارقو» ، ومن جهة أخرى يمكن اعتبار وجود بعض أشكال زنوج فى مناظر لأهالى «ثيو» وهم يقدمون الجزية فى معبد «الدير البحرى» بمثابة رمز على علاقة ودية مع الأقطار الجنوبية .

وقد أخبرنى الأستاذ لبيب حبشى أنه يوجد فى الجهة البحرية الشرقية من جبل تاجوج بجزيرة «سهيل» نقش للأمير الحاكم رئيس المالية «تى» يتكلم فيه عن الملكة حتشبسوت وكيف أنها هاجمت بلاد النوبة وانتصرت عليها . وهذا يعد

(١) راجع Urk. IV, 438 L 10

(٢) راجع A.Z., 36., 71

أول نص صريح عن حرب حقيقية للملكة حتشبسوت وكان « تي » هذا يحمل فضلا عن ذلك لقب المسجل للغنائم .

تحتمس الثالث (١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق . م) :

وكان أول ما قام به « تحتمس الثالث » بعد نهاية مشاريعه الحربية الضخمة في آسيا أنه سار على رأس حملة إلى السودان . ويحدثنا نقش عند الشلال الثالث مؤرخ بالسنة الخامسة من حكمه بنفس الكلمات التي ذكرت في نقش « تحتمس الأول » وهي أنه : « حفر قناة (أى القناة التي عند الشلال الأول) لأنه وجدها مملوءة بالأحجار » وبعد ذلك يقول إنه « قد ساح فيها فرح القلب بعد أن ذبح عدوه واسم هذه القناة هو « فتحت الطريق الجميلة لتحتمس الثالث » . هذا وكان لزاما على صيادى السمك في « الفنتين » أن يكروها سنويا .

ونجد في توارينج « تحتمس الثالث » أن الجزية من « كوش » و « واوات » منذ ٣٢/٣١ من حكمه كانت تدفع لمصر وفضلا عن ذلك نقش هذا الفرعون على بوابته بمعبد « الكرنك » قوائم طويلة بأسماء أهالى الجنوب الذين انتصر عليهم من « أوتيو — سیتی » و « خنت حن — نفر » وهم الذين ذبحهم جلالتهم عندما قام بمذبحة عظيمة فيهم حتى أصبح عددهم لا يحصى ، و « كل أهلها قد اقتيدوا إلى « طيبة » أسرى ليقوموا بالعمل اللازم لبيت والده « آمون رع » رب « الكرنك » ، وكل بلد أجنبي أصبح رعية لجلالته كما أراد والده « آمون » . هذا ونعلم من اللوحة التي عثر عليها « ريزنر » في جبل « برقل » للملك « تحتمس الثالث » أن النفوذ المصرى كان فعلا في السنة السابعة والأربعين من حكم هذا الفرعون يمتد إلى هذه الجهة الواقعة تحت الشلال الرابع . ولا نزاع في أن هذا الأثر لم يؤت به إلى جبل « برقل » كما يدل على ذلك متن النقش نفسه ، وكذلك المنظر الذى فى أعلى المتن إذ نجد فيه الملك يقدم « لآمون رع » رب الجبل المقدس (أى جبل برقل) المساء والخمر .

وفي السطر الثالث والثلاثين من المتن يقول في خطاب له « إن الناس (رمث أى المصريين) الذين فى الأرض الجنوبية وهم الذين فى الجبل المقدس الذى يسمى « عرش الأرضين » كانوا تحت حكم الناس (أى المصريين) عندما لم تكن معروفة بعد » ، ومن ثم نفهم أن اللوحة منذ كتبت ، كانت موجودة فى جبل « برقل » مما يدل على أن العلاقة بين مصر والسودان كانت من الأهمية بمكان . ونحن نعلم أن الحدود الجنوبية حتى « قرن الأرض » قد وصلت إلى هذه الجهة أو كما جاء فى فقرة أخرى : « لقد وصل خوف جلالته حتى الأرض الجنوبية » فالعبير الأول قد استعمله « تحتمس الأول » فى صورة مشابهة فى لوحة الحدود التى أقامها فى « تومبوس » وكذلك فى « برقل » قيل أن الحدود تقع بالقرب من هذا المكان ، وهذا يتفق مع الوثائق الأثرية لأننا لم نجد جنوباً أى أثر فى مكانه الأصيل من عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى الأسرة العشرين يثبت ذلك . هذا بالإضافة إلى أنه لدينا متن « من جبل برقل » يتحدثنا عن وجود حصن ، وكذلك عن وجود معبد على ما يظن فنقرأ فى إهداء اللوحة ما يأتى : لقد عملها بمثابة أثره لوالده « آمون رع » رب عروش الأرضين (الكرنك أو جبل برقل) فى الحصن المسمى « شمع خاستيو » عندما اتخذ ماوى أبدياً . . . ولم ينسب أى معبد من المعابد التى كشف عنها على وجه التأكيد للملك « تحتمس الثالث » . ويقول « ريزنر » إنه من الجائز أن هذا الكلام يشير إلى المعبد الصغير (B 300) وإن تحتمس الثالث هو الذى أقامه . والواقع أن المعبد الأول قد أرخ بصورة قاطعة بحكم « تحتمس الرابع »^(١) . والحصن المذكور هنا لا يوجد فيه أى أثر يدل على مؤسسه . ولدينا فى النقوش وصف عن التغلب على هذه الأرض من « أرقو نحو جبل برقل »^(٢) غير أنه مستتر ، ولكن على الرغم من ذلك فإن هذا التوسع فى ممتلكات مصر ينسب إلى « تحتمس الثالث » . وليس لدينا دليل على ذلك لأن المادة المقتبسة لا تركز على أساس تاريخى متين ، ولكن مع ذلك نعرف أن الملك

(١) راجع A.Z., 66, p. 76

(٢) راجع السطر ٣٥ من النقش .

أوبوظفيه في عام سبعة وأربعين من حكم « تحتمس الثالث » كانوا يقومون بنشاط في جبل برقل ، وإن هذا الملك في العام الخمسين من حكمه قد عاد من رحلته في الجنوب إلى مصر ، وهذا الرأي هو الطبيعي جدا ، وفضلا عن ذلك نجد أن الآثار التي كشفت عنها حتى الآن تتفق مع ذلك . ومن ثم نرى أن الإمبراطورية المصرية قد أخذت صورتها الطبيعية في الجنوب في عهد هذا العاهل . وفي هذا المكان الذي وصلت إليه الحدود كان الشلال الرابع يعد نقطة الحدود التي كان من السهل حمايتها كما كان من غير الممكن التغلب عليها أيضاً .

وبذلك بقيت مستعمرة « نباتا » الواقعة بالقرب من جبل « برقل » مدة مائة سنة تقريباً مركز الحدود ، ولم يمد الفراعنة ملكهم بعد هذه النقطة قط ، وقد أصبحت محطة تجارة ولعبت دوراً هاماً حيث كانت المحاصيل الجنوبية تصدر منها إلى الإمبراطورية المصرية^(١) .

أمنحنب الثاني (١٤٥٠ ق . م) :

كان آخر من وسع رقعة البلاد المصرية وثبت حدودها من الجهة الجنوبية هو الفرعون « تحتمس الثالث » ، وبذلك يعد عصره نهاية الفتح السياسي في هذه الجهة ، ولذلك نجد أن الحملات التي قام بها الملوك الذين خلفوه لم تكن حملات لمد حدود مصر بل كانت حملات تأديبية في وادي النيل على بدو الصحراء الذين كان لا غرض لهم إلا النهب والسلب من الأهالي الذين أخذوا يتمصرون بازدياد على مر الأيام .

وأول ملك قرن اسمه ببلاد السودان بعد « تحتمس الثالث » هو ابنه « أمنحنب الثاني » ، غير أنه ليست لدينا نقوش أو مناظر تحدثنا عن قيامه بمشاريع حربية في هذه البلاد ، وكل ما نعرفه عنه هو ما جاء في نقشين موحدين من حيث الألفاظ^(٢) فقد جاء فيهما أن الملك بعد أن عاد من حملة في آسيا قتل سبعة أمراء من أهل « نخسى »^(٣)

(١) أقرون Schafer, Aethiop. Königsinschr. (Nastasen), p. 33

(٢) راجع Amade Stele und Elephantine Stele Bibliothéque d'Etude, 10

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٦٦٨

وعلق ستة منهم على جدران « طيبة » في حين أن السابع قد أرسل الى « نباتا » في « تاسى » (بلاد النوبة) وعلق جسمه على جدرانها « لأجل أن يظهر انتصارات جلالته أبد الآبدن في كل الأراضى وفي ممالك أرض السود ، ومنذ ذلك استولى على أهل الجنوب وغل أهل الشمال » .

وقد قص علينا في نقش على قطعة خزف أحد موظفى الملك ويدعى « أمنحتب »^(١) أنه أقام لوحة في النهرين وأخرى في « كاراي » ، وعلى ذلك فإن الأخيرة قد نصبت في « نباتا » ومن ثم لا بد أن يبحث الانسان عن « كاراي » في أقصى الجنوب . وهذه اللوحة الأخيرة لم يعثر عليها بعد في جبل « برقل » ولكن عثر الأثرى « ريزنر » على أثر آخر من هذا العصر في الحفائر التى قام بها في هذه الجهة^(٢) . هذا وقد وجد لهذا الملك تمثالان صغيران في « بن نجبا » (وادى بانجى) الواقعة بين « الخرطوم » و « مروى »^(٣) ولا شك في أنهما قد نقلتا إلى هذا المكان ، وعلى ذلك ليس هناك أى أساس للرأى القائل إن سلطان مصر قد وصل في عهد « أمنحتب الثانى » إلى ما بعد الشلال الرابع^(٤) .

وقد ترك « أمنحتب الثانى » آثارا عدة في بلاد النوبة^(٥) .

« تحتمس الرابع » :

ولدينا من عهد الملك « تحتمس الرابع » وصف لحملة قام بها هذا الملك على بدو الصحراء^(٦) . ولكن مما يؤسف له أن تلك النقوش التى عثر عليها في « كونوسو »

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٦٧٨

(٢) راجع A. Z., 66, 81

(٣) راجع L.D., III, p. 70

(٤) راجع Schafer, Aethiop. Königsinschr. (Nastasen), p. 31

(٥) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٦٨٦

(٦) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٢٠

قد وصلت إلينا رديئة الحفظ ولا يمكن فهمها فهماً تاماً وقد جاء فيها بعد ذكر اسم الملك ما يأتى : « السنة الثامنة الشهر الثالث من فصل الزرع اليوم الأول عندما كان الملك فى « طيبة » وقدم لوالده « آمون » جاء رجل وقال لجلالته : « لقد نزل إلينا نوبى (من الهضبة الصحراوية ؟) فى مكان ما فى « واوات » وأنه دبر فتنة على مصر وجمع معه كل أجانب مصر المهاجرين والناشرين من الأراضى الأخرى » . وقد ذهب الملك إلى معبد « آمون » ودعا والده « آمون » أن يسديه النصيح والمساعدة ، وبعد ذلك سافر نحو الجنوب ليضرب العدو فى بلاد النوبة (ويأتى بعد ذلك قطعة مهشمة) « وكانت العربات فى صفوف بجانبه وكانت جنوده المظفرة معا وبجانبيهم المجندون ، والأسطول المجهز كان فى ركابه ، وقد سافر لجلالته نحو الجنوب مثل النجم الجبار (الجوزاء Orion) وقد أعمى أهل الجنوب (سكان الوجه القبلى) جماله ، وهلل الناس له وفرحت النسوة بالرسالة^(٢) . وكل آلهة الوجه القبلى ساعدوه » وهكذا يتبع الوصف الخاص بالقضاء على العدو : « وقد اخترق الصحراء الشرقية لأنه سار فى الطريق كأنه الفهد وقد وجد كل الأعداء النوبيين مختبئين فى وديانهم التى لا يعرفها الإنسان » . وما يأتى بعد ذلك من المتن قد هشم ولذلك لم نفهم منه شيئاً وقد تلف نحو اثنى عشر سطراً تلفاً بالغا لدرجة أنها على وجه عام لم تنشر ، ولكن ما تبقى منها يكفى للدلالة على أن الموضوع ينحصر فى أن المتن كان الغرض منه التحدث عن حملة تأديبية على بدو الصحراء الشرقية .

ولدينا منظر خاص لنفس الحملة فى نفس المكان^(٣) فنشاهد فيه الملك وهو واقف أمام الإلهين « ددون » إله « تاستى » والإله « حمن » سيد الصحراء

(١) راجع Rec. Trav., 15, 178

(٢) ولا يمكن الإنسان أن يرى من هذا الوصف تجمع الجيش كما يظن « برستد » (Br., A.R., II § 828)

وقد ترجم المتن بصورة أخرى مغايرة بعض الشيء .

(٣) راجع L. D., III, 69

(١) الغربية يضرب الأعداء . وقد أرخ بنفس التاريخ السابق ، وكذلك يلحظ أن المنظر الذى صور على الجدار الداخلى لصندوق عربة « تحتمس الرابع » يمثل هذه الموقعة (٢) فى الجزء الأعلى نشاهد الملك فى صورة « بوهول » يدوس ثلاثة من النوبيين ، وفى أسفل من ذلك صورة ستة أناس أجانب عادين نقش معهم اسم الأعداء المغلوبين وهم أهل « كوش » ، و « كاراي » ، و « ميو » ، و « أرم » ، و « جورسس » ، و « ترك » . وملابسهم غريبة بالنسبة لأهل الجنوب ، إذ يرتدى كل منهم قميصاً ذا ألوان ، و (شالا) على أحد الكتفين ، وقرطاً ضخماً وأسورة معصم . ويلحظ أن بعضهم زنجى خالص . والأراضى التى ذكرت هنا فى أغلب الظن تقع فى السودان (ولابد أن تكون « كاراي » بالقرب من « نباتا ») . وفى تواريخ « تحتمس الثالث » نجد أن جزية النوبة مقسمة بين « كوش » و « واوات » . و « أرم » تعد جزءاً من بلاد « كوش » وهى بلاد جزيتها من ضمن جزية « كوش » (٣) ، ويلحظ أن « ترك » و « أرم » يذكران معاً ولا تقع الواحدة منهما بعيدة عن الأخرى ، ومن المشكوك فيه أن « أرم » هى « ألم » بلغة « الجالا » (٤) .

ومما يشير إلى عدم أهمية هذه الحملة من الناحية السياسية وعلى وجه عام إلى السياسة السلمية فى الجنوب أن هذا المنظر قد وضع فى الخلف بالنسبة لصور الحملة الأسبوية . ولدينا صورة مشابهة كذلك فى المنظر الذى على الجزء الداخلى لكرسى حتر عليه فى مقبرة « تحتمس الرابع » ولم يبق منه إلا قطعة (٥) ، وخلافاً لذلك لا نعلم إلا القليل عن هذه الحملة ، فلدينا نقش من غربى « طيبة » يبرهن على أن الأسرى قد سيقوا

(١) راجع Kees, Totenglauben, p. 28 f.; Rev. Egyptol. N.S., II, 25

(٢) راجع Wiczinski, Atlas II,3, Cartor and Newberry, The Tomb of Thoutmosis, IV p.31 f.

(٣) راجع Urk. IV, 708

(٤) راجع Rec. Trav. 8, 84 ff; 10, 97 ff; 21, 227

(٥) راجع The Tomb of Thoutmosis IV p. 21

إلى مستعمرة^(١) . ويقول كاهن أول للاله « أنوريس » إنه رافق الملك من « النهرين » حتى « كَارَأي »^(٢) ، وكذلك لدينا نقش من « أَمْدَا »^(٣) يحتوى بعض عبارات قد لا تمت بمعلومات عن حملة حربية .

أمنحتب الثالث (١٤٠٥ - ١٣٧٠ ق م) :

تدل الآثار المكشوفة حتى الآن على أن عهد الملك « أمنحتب الثالث » كان كله عهد سلام ومهادنة ولم تكد تحدث فيه حروب . ففي ممتلكاته الأسيوية لم يقيم « أمنحتب » بأى مشروع حربى ، على الرغم من أن العلاقات بينه وبين هذه الممتلكات المصرية تقوم على ماله من حاميات فى مختلف جهات المستعمرات المصرية هناك ، أما فى « كوش » فلم يقيم إلا بحملة واحدة^(٤) . والمصادر التى استقيت منها أخبار هذه الحملة هى : لوحتان ملكيتان على الصخور فى الطريق التى بين « أسوان » و « فيلة »^(٥) ، وكذلك لوحة لموظف^(٦) ، وكذلك لوحة « كُونُوسو »^(٧) . وتاريخ هذه الحملة كان فى « السنة الخامسة » الشهر الثالث من فصل الفيضان ، اليوم الثانى ، عندما كان يحتفل بيوم عيد تنويع الملك وفى الحال قام بحملته المظفرة . وفى خلال السنة نفسها رجع النظام إلى نصابه .

أما لوحة « كُونُوسو » التى تتحدث عن عودة الملك بعد ما انتصر فى حملته الأولى المظفرة فى بلاد « كوش » الخامسة فإنها تؤرخ دائماً بالسنة الخامسة .

(١) راجع Petrie, Six Temples, Pl. I; A.Z., 36, p. 84

(٢) راجع Br. Mus. No. 902 (Hierog. Texts, VIII, 8 Pl. IX)

(٣) راجع L.D. III, 69 f.; Gauthier. Amada, p. 153

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥٤ — ٥٧

(٥) راجع De Morgan Cat. I, 4, 5; L.D., III, 81 g, h

(٦) راجع L. D. Text IV 119

(٧) راجع L.D., III, 82 a; Brugsch, Thesaurus, p. 12 18 f. De Morgan, Cat. I, 67 f; Semneh Stele (B.M. No. 657, Hierog. Texts, VII, p. 21 f Pl. xx; Merenptah Stele (Rec. Trav. 20, 42); Petrie Six Temples, Pl. X

ومن جهة أخرى تحتوى لوحة « سمنة » على الوصف المسهب للحملة وبدايتها مفقودة ، ولذلك لا نعلم ماذا ذكر في السطر الثالث عن المقصود « بحصاد العدو في « أبهت » . ويأتى بعد ذلك ذكر استعراض جيش الفرعون الذى كان تحت إدارة ابن الملك صاحب « كوش » . فقد استعرضت جنود من قبائل من حصن « كوبان » وحصن « تاراي » . وقد بدأت الموقعة ولم يفلت رجل ولا امرأة ، وكانت « أبهت » نخورة لأنها كانت متفخخة الصدر ، ولكن هذا السيد قتلهم بنظرته المتوحشة الأسدية كما أمره بذلك والده « آمون الفاهر » . وفي ختام المتن تأتى قائمة الأسرى الذين غنمهم وخطاب قصير لنائب الملك « مرموسى »

ويلحظ أنه من الصعب تحديد مكان حصن « تاراي » من المتن ، ولانعلم إذا كان يقع على مسافة ٣٢ « أترو »^(١) شمال أو جنوب « كوبان » هذا فضلا عن أن طول المقياس « اترو » ليس معروفا لدينا . وكذلك لا يلقى هذا المتن ضوءا كبيرا على موقع « أبهت » ، ولكن على حسب نقوش أخرى نفهم أن بدو صحراء النوبة كانوا هم العدو الرئيسى فى نقوش « فيلة — أسوان » قيل عنهم « إن عين الملك كانت مثل عين الأسد المتوحش ، وهو الذى أنشبت محالبه في « كوش » الخاسئة ، وهو الذى داس تحت قدميه عظماءهم في وديانهم حتى أنهم تخبطوا في دماهم ... » .

ويقول الملك في لوحة « كونوسو » (من السطر السادس) : « إنه وضع حدوده حيث أراد حتى أعمدة السماء الأربعة ولوحة انتصاره إلى ما بعد « كيحو — حر » ويعنى بذلك هنا حتى نهاية الشمال ولم يقم بعمل مماثل لذلك ملك مصرى غير جلالته » . وعلى حسب النقوش التى أضيفت للنظر ذكرت « كوش » الخاسئة و « أرم » و « ترك » ثم « ورشن (؟) » . ولا نعلم تماما إذا كانت كلمة كوش قد أريد بها معناها الضيق أى أنها تعنى الأرض التى جنوب الشلال الثانى أم أريد بها كل بلاد النوبة ،

(١) أترو = ١ ١/٢ كيلو مترا على وجه التقريب .

(٢) راجع Urk, IV, p. 808 L. 2.

وعلى أية حال لا بد أن نبحث عن كل من موقع « أرم » و « ترك » في الجزء الجنوبي من إقليم بلاد النوبة . على أن ما كان يبيديه الملك هنا من نشاط يظهر من المؤسسات التي أقامها في « صلب » و « سدنجا » ومن المحتمل كذلك ما وجد له من أعمال في « كاوا » ، وكذلك نعلم من نقش خاص بمبان^(١) أن الملك أحضر ذهباً من « كاراي » إلى « مصر » في حملته الأولى المظفرة عند ما هزمت « كوش » الخامسة . على أن امتداد أعماله الحربية بعيداً إلى هذا الحد لدليل على أن الثورة قد أنشبت أظفارها في كل إقليم « ابهت » في الشمال حتى « نباتا » في الجنوب وهو ما لا يكاد يسلم به ، بل الغالب أن الملك بهذه المناسبة قد قام بتفتيش في هذا الإقليم .

وقد كتب « برستد » عن نقش وجد في « بوبسطة »^(٢) من عهد « أمنحتب الثالث » وجد فيه دليلاً على حملة على هذه الأراضي الواقعة في الجنوب الأقصى بعد « كاراي » على النيل (فوق « العظيرة ») وكما رأى « برستد » بحق أن هذه اللوحة كتبت في عهد الدولة الحديثة . والبرهان الرئيسي لدى « برستد » أن النقش لا بد قد أضيف في عهد « أمنحتب الثالث » . وهذه إشارة لم تلحظ حتى الآن عن عيد تتويج الملك وهي ذات أهمية بالنسبة لذكر يوم تتويج الملك كما جاء في لوحة « فيله — أسوان » .

والفقرة التي يقال إنها تحمل هذا المعنى تترجم كما يأتي : « وقمة جبل « حوا » عند ما طلع جلالته في الأراضي العالية » . وهي كما ترى ليس فيها أية تورية ليوم تتويج هذا الفرعون^(٣) .

والتاريخ الوحيد للنقش هو الشهر الثالث لفصل الفيضان ، وقد وضع في وسط الوصف المهشم للحملة إلى « حوا » ، وهو يذكر لنا يوم تتويج الملك في لوحة « فيله — أسوان » في السنة الخامسة . وهذا التاريخ الذي وجد في النقش الأخير

(١) راجع Rec. Trav., 20, 42 L. 23

(٢) راجع Naville, Bubastis, Pl. 34

(٣) Urk., I, p. III

لا يمكن أن يكون خاصا بعودة الحملة بل يقدم لنا تاريخ الزمن — كما في المتون المماثلة للملك آخرين — الذى وصل فيه خبر قيام الثورة^(١). ولدينا من جهة أخرى نقش آخر من بهين مؤرخ بالسنة الخامسة الشهر الأول من فصل الصيف يحتمل أنه من عهد حكم الملك « أمنحتب الثالث^(٢) » وعلى ذلك يكون من المحتمل أنه قد نقش بمناسبة هذه الحملة. وتدل شواهد الأحوال على أن لوحة « فيلة — أسوان » لا تقدم لنا التاريخ الذى وقعت فيه الواقعة كما يسلم بذلك « برستد^(٣) » ؛ إذ أن ذلك غير محتمل من أساسه ، لأنه لا يقدم لنا وصفا معينا للوقعة ، بل ما جاء فيه هو فى الواقع عبارة عن أوصاف ونعوت . وإذا كان ينبغى لنا أن نعتبر أن تاريخ الثورة قد جاء حقيقة فى اليوم الثانى من الشهر الثالث من فصل الفيضان فإنه لا بد أن تكون الثورة قد أقمت فى مدى ثمانية وعشرين يوما فى بلاد النوبة وأن يكون قد تقدم حتى « حوا » كما يقول « برستد » أى بعد الشلال الرابع وهذا غير جائز بل أمر لا يمكن تنفيذه تقريبا .

وكذلك فإن مؤسسة « حوا » غير معروفة لنا ومن المحتمل أنها هى التى ذكرت فى قائمة أهل الجنوب التى وضعها « تحتس الثالث » باسم « حوت — حريت » (رقم ٨٩)^(٤) ، وهى ليس لها أية صلة ببلاد « بنت » ويمكن أن تكون واقعة فى أقصى الجنوب . وإذا سلمنا بالترتيب الذى وضع فى قائمة أهل الجنوب فإن « حوت — حريت » من باب أولى يمكن أن تكون واقعة فى الصحراء الغربية بين « تحنو » (رقم ٨٨) و « نب نخب » (رقم ٩١) كما جاء فى القائمة^(٥) ، وعلى ذلك فإن العبارة : « وقد طلع جلالته من الأرض العالية » تتلاءم مع ذلك .

(١) راجع Urk., IV, 137 f.

(٢) راجع Buhen, p. 81

(٣) راجع Br., A.R., II, p. 388, Note

(٤) راجع Urk., IV, p. 800

(٥) راجع Holscher, Libyer und Agypter, p. 21

والواقع أن هذا المتن من الوجهة التاريخية لا يقدم لنا شيئاً يذكر ، إذ لا يمكننا أن نؤرخه على وجه التأكيد ، كما لا يمكننا أن نعرف شيئاً مؤكداً عن البلاد التي جاء ذكرها فيه .

« أمنحتب الرابع — أخناتون » (١٣٧٠ — ١٣٥٢ ق . م) :

لقد وجه « أمنحتب الرابع » كل اهتمامه للمسائل الدينية السياسية الخاصة بمصر ، فلم يقيم أية حملة حربية في المستعمرات المصرية الآسيوية حيث كانت الأحوال تدعو لذلك ولا في الجنوب أيضاً . وفي عهده لم تضعف سلطة الحكومة المركزية في المستعمرات النوبية بأية حال من الأحوال ، ولم تخرج أية بقعة من بقاع وادي النيل عن دائرة سلطان البلاط كما يدل على ذلك صراحة ما حدث من محو اسم الآله « آمون » وصور الآلهة في كل أنحاء بلاد الوادي حتى جبل « برقل » ، وكذلك فإن اسم نائب الملك في عهد « أمنحتب الرابع » وهو « تحتمس » كان موجوداً حتى الحدود الجنوبية^(١) ، يضاف إلى ذلك النشاط الذي أظهره هذا الفرعون في البناء والتعمير في الجنوب فإنه يعد بمثابة تطور في العلاقات السلمية أكثر من ذي قبل . ففي « سسي » التي أقام جدار مدينتها يوجد معبد صغير للاله « آتون »^(٢) ، وكذلك نشاهد مناظر في المعبد الكبير وفي معبد « صلب »^(٣) باسمه وقد وجد في « سدنج »^(٤) جعوان باسم هذا الملك ، وتدل ظواهر الأحوال على أن بلدة « كاوا » القديمة قد أسست على ما يظهر في عهد « أمنحتب الثالث » ، وقد سميت أولاً « جم آتون » على ما يقطن في عهد « أمنحتب الثالث » لا في عهد « أخناتون » ثم سميت في العهد الكوشي كما سرى بعد باسم « جم بأأتن » . كل هذا يبرهن بوضوح على أن بلاد النوبة كان يسودها السلام

(١) راجع J.E.A., 6, p. 34

(٢) راجع J.E.A., 23, p. 143 f.

(٣) راجع A.J.S.L. (1908), p. 51 ff.

(٤) راجع Sudannotes and Records, 12, p. 87 f.

والنظام . وفي الوقت الذى نجد فيه فى المستعمرات الأسيوية أن العلاقات السياسية كانت فى حالة فوضى تامة فأننا لا نجد فى بلاد النوبة أى متن يتحدثنا عن حملة حربية ضخمة لقمع أية ثورة هناك ، ولدينا له لوحة سيئة الحفظ من هذا العهد مثر عليها فى «^(١) بين » تقول صراحة : « لم توجد أية ثورة فى هذا العهد » وكذلك تشمل قطعة أخرى من نفس اللوحة على ما يظهر قائمة جزية أو تعداد غنائم حروب ، والنقش مهشم لدرجة أنه لا يمكن للإنسان أن يستخلص منه شيئاً . وهاك الكلمات التى يمكن قراءتها : « . . . مذبوح . . . اكتيا (ائته) النوبيين ^(٢) أحياء ٩٠ (٩ + ٩) . . . زوجه ١٢ (٩) فيكون المجموع ١٥٥ (أو ٢٤٥) الذين كانوا تحت إمرته . . . ٢٢٥ مهرا (٩) (أو بقرة حلوب) ٣٣١ . وابن الملك صاحب كوش المشرف على الأراضى الأجنبية . . . » فالكلمة الأولى « مذبوح » يمكن أن تشير إلى موقعة حربية أيضاً ما دامت لا تشير إلى جزء من لقب الفرعون . و « اكتيا » تقع فى الصحراء شرق « كوبان » ^(٣) ومن المحتمل أنها ذكرت بمناسبة حملة تآديبية على بدو الصحراء فى هذه الجهة ، ولأنه لمن المهم أن نجد اسم « اكتيا » الذى لا يذكر كثيراً فى النقوش قد ذكر فى نقش من نقوش « أمدا » مرة أخرى .

هذا ولا يمكن أن نعد صور توريد الجزية من الجنوب بأية حال حملات حربية مظفرة ، وهذا ما يجب أن تتبعه فى حالة الواردات الآتية من الشمال أيضاً ، أما إن الفرعون « اخناتون » لم يقم بأية حملة فى آسيا فبدل على ذلك خطابات « تل العمارنة » التى كان يرسلها الأمراء المخلصون يرجون فيها الفرعون أن يرسل جيشاً مصرى الى سوريا وفلسطين لمساعدتهم إذ لم نجد فيها ما يدل قط على إرسال أى جيش لشق حرب .

(١) راجع Buhen, p. 91 f.

(٢) راجع A.S., 10, 122 f. and Ganth., D.G., I, 110

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٣٦٧ الخ

حور محب :

وفي العصر الذي تلا عهد « اخناتون » نجد أن « حور محب » قد لعب دوراً سياسياً عظيماً وقد كان في عهد حكم « توت عنخ آمون » هو القائد الحقيقي للسياسة الخارجية والسياسة الداخلية معاً ، وقد قبض على زمام الحكم في القطرين عدة سنين . « وقد حضر رجال البلاط منحنين أمام باب القصر وأسراء البلاد الأجنبية من الجنوب والشمال قد أتوا بأيديهم مرفوعة مادمين إياه كأنه إله وكل شيء يطلب عمله كان يعمل على حسب أمره^(١) » . وقد قام « حور محب » بوصفه قائداً لرحلة حربية على بلاد آسيا كما قام برحلة إلى بلاد النوبة . ويلاحظ أن المسادة الخاصة بالحكم على الحالة السياسية في بلاد النوبة في ذلك الوقت ، والفكرة المنظوية في رحلة « حور محب » إلى النوبة هي في الواقع لا تخرج عن كونها فكرة عابرة .

ونستخلص من منظر في مقبرة « حور محب » التي أقامها في « منف » السلطة المهددة الأركان لحكومة مصر في ذلك الوقت وهي التي نشاهدنا ممثلة في ممتلكاتها الآسيوية وما أصابها من ارتباك ، وهذه المناظر التي عثر عليها في نقوش هذه المقبرة هي في الواقع إيضاح مفيد لما جاء في خطابات « تل العمارنة^(٢) » عن سوء الحال في المستعمرات المصرية فنشاهد في هذا المنظر « أناساً قد أتوا من كل حدب وصوب من آسيويين ولوبيين يتضرعون إلى الفرعون أن يسلم سيفه البتار » فكان إذاً لزاماً على الملك أن يقبض بجيشه على زمام الأمور وأن يخرج البلاد من الفوضى إلى النظام . وقد ذكرت هنا بلاد « كوش » في جملة مهشمة وذلك في خطاب « حور محب » إلى الموظفين المصريين وهي : « إن بعض الأجانب الذين لا يعرفون كيف ينبغي عليهم أن يعيشوا قد أتوا . . . الفرعون مثل ما فعل آباء آبائهم . . . ويوجد لديكم الفرعون ليحرص حدوده . . . بضوئه . . . من بداية الجنوب من « كوش » . . . وكل أرض قد اجتثت مثل هذه . . . » .

(١) راجع Fluger and Die Amarna Zeit, p. 28

(٢) راجع A. Z., 38, p. 48

وفضلا عن ذلك لاحظ الأثرى « شيفر » في فقرة المتضرعين للفرعون رسم زنجى وهذا بصرف النظر عن سائس الجواد المصور في هذه الصورة وهو الشخص الذى لم يرسل لحيته . وتدل تقاطيع وجهه على أنه ليس بزنجى وليس فيه من الملامح ما يدل على أنه جنوبى الأصل ، إذ لا نجد فيه الميزات التى تميز ابن الجنوب وهو القرط الكبير وأسورة الساعد والريشة التى على الرأس ، هذا الى أن شعره المستعار الذى كان يحليه شريط عريض على الجهة لا يعد بأية حال من الأحوال من الخواص التى يميز بها النوبى أو الزنجى . وفضلا عن ذلك فإنه يمكن التعرف عليه صراحة من كنه الطويل الضيق وهو الذى لا يكاد يوجد عند أهل بلاد الجنوب^(١) . ويلاحظ أن النوبى والزنجى يلبسان بوجه عام تلبية عريضة فقط على الجزء الأعلى العريان من الجسم أو على ثوب مصرى واسع^(٢) . وقد كان الزى المحبب فى ذلك العهد أن يصور المفتن أهل الجنوب بملاح خارجة عن حد المؤلف بوصفهم زنوجا . ونشاهد فى ذلك صورة أخرى فى نفس المقبرة واضحة الرسم فنجد على قطعتين صفا من العبيد جالسين القرفصاء بملاح هزيلة تمثل الزوج ، ولدينا قطعة حجر أخرى يظهر أنها كذلك من مقبرة « حورمحب » مثل عليها فرقة من الجنود نجد من بينهم بعض الجنوبيين يظهرون بلباس شعر قصير وملاح زنجية . وأخيرا لدينا قطعة حجر محفوظة بمتحف اللوفر تعد من المناظر المماثلة التى نحن بصدددها وهى هامة بوجه خاص ، إذ نجد فيها ممثلا جنبا لجنب أسيويا ولوبيا وجنوبيا ، وهكذا كانوا فى الواقع كذلك يمثلون منظر السفراء الأجانب إذا كانوا فى الحقيقة يمثلون الأقوام المجاورين لمصر .

والواقع أن شواهد الأحوال لا تدل على أن العلاقات السائدة فى الجنوب كانت

(١) راجع Ermann-Ranke, Taf. 39

(٢) راجع Wreszinski, Atlas II, 3

(٣) راجع Eremann Ranke Taf. 39

(٤) راجع The Brooklyn Museum Quarterly, Vol. XIX (1932). No. 48 and p. 147 ff.

(٥) راجع Wreszinski, Atlas, II, 3 B b 4

تشبه التي في الشمال ، وكذلك رأى القائل بأنه كانت توجد اضطرابات في كل مكان على حدود المملكة ، وأنه كانت تنبعث أصوات استغاثات من كل جانب لدرجة أن المملكة كانت مهددة عند حدودها الثلاثة أو على الأقل يوجد ما يكرر الصفو ، كل ذلك مشكوك فيه من كل الوجوه . وفضلاً عن ذلك فإن الحالة في البلاد تحدثنا على العكس من ذلك ، إذ في عهد « توت عنخ آمون » قد أقيمت بلدة جديدة أو على الأقل أسس معبد في « فرص » وخصص لعبادة الفروعون ، وقد كان النظام في بلاد النوبة سائداً ، وعلى ذلك فإن رحلة « حور محب » في بلاد النوبة كانت تملأها السياسة الداخلية . على أن المادة اللازمة للحكم على نوع المشروع الذي كان يقوم به في رحلته هذه في تلك البلاد ليست كافية لدينا إلى حد ما ، وأهم أثر لدينا عن ذلك هو قطعة نقش من مقبرة « حور محب »^(١) قرأ فيها ما يأتي : « أنه (أي « حور محب ») قد أرسل بوصفه مبعوث الملك إلى بعد ما يضيئه « آتون » (قرص الشمس) ليعود بعد أن يكون قد انتصر . . . دون أن تستطيع أية أرض أن تقف أمامه وقد استولى عليها في لحظة عين وحده ، واسمه قد استوعب بيقظة . . . وقد سار (٩) نحو الشمال . وهناك ظهر جلالته على عرش تقديم الجزية ، وقد أحضرت الجزية من الجنوب ومن الشمال . وكان يقف بجانبها « حور محب » . . . ويعلن « ادورد مير » اقتراحه بأن هذا النقش خاص بالصورة المفقودة من المنظر الخاص بالغانم النوبية في هذه المقبرة وأن الصورة التي في مقبرة « حوى » تنسب إلى نفس الاحتفال الذي أقيم في مقبرة « حور محب » .

ولم يبق لنا من مقبرة « حور محب » في منف إلا القطعة التي نحن بصدد^(٢)ها . هذا ويدل متن قطعة الاسكندرية التي من هذه المقبرة على أنه خاص بمنظر كان

(١) راجع Alexandria, Fragment. P.S.B.A., II, p. 424, comp. Ed. Meyer, p. 406 and

Flüger ibid. p. 38 f- 55

(٢) راجع Helok., p. 83

مصوراً فيه جزية الشمال^(١) ، ومن المحتمل أن القطعة التي في متحف «بولوني» وهي التي تحدثنا عنها فيما سبق مع صورتها وكذلك قطعة «الوفر» هما من هذا المنظر . وإذا كان ينبغي علينا أن ننسب منظر تقديم الجزية الذي في مقبرة «حوى» إلى نفس الاحتفال الذي نحن بصددده في مقبرة «حور محب» فإن ذلك بلا نزاع يكون دليلاً على أن المنظر لا يمثل غنيمة حرب جاءت عن طريق موقعة حربية نشبت في بلاد النوبة ، وذلك أنه لم يذكر قط في مقبرة نائب الملك «حوى» أى حرب أو عصيان قام في بلاد النوبة ، بل على العكس نجد في صورة أخرى جمع الضرائب في هدوء وسكينة^(٢) . وكذلك لا تمت قطعة «الاسكندرية» إلى غنيمة حرب بسبب بل هي خاصة بجزية كما يدل على ذلك مدلول الألفاظ المصرية القديمة التي وردت عليها ، ولا بد لقيام حملة حربية حقيقية من أن يكون سببها قيام ثورة ثم القضاء عليها والمادة التي لدينا ليس فيها ما يشير إلى ذلك في السودان في عهد قيادة «حور محب» .

يضاف إلى ذلك أن المنظر الذي على صندوق الملك «توت عنخ آمون» الذي نشاهد فيه هذا الملك في عربة حربية مع طائفة من الجنود الزنوج مجتدين لا يدل في الواقع على موقعة حربية حقيقية لها علاقة بحملة قام بها القائد «حور محب» في بلاد النوبة . وأخيراً فإن العبارة التي جاءت في لوحة «الكرك» وهي : «لقد ملأ بيوت أعماله بالعبيد والإماء وبالجزية من ضائم سيف جلالته» قد استعملت جملة تقليدية وليس لها أية حال من الأحوال علاقة بمشروع حربي نوبي .

والأجدر إذاً أن تكون هذه الرحلة التي قام بها «حور محب» المدير لأموار الدولة رحلة تفتيش في بلاد النوبة ليطمئن على إخلاص موظفيه في عملهم في بلاد النوبة والواقع أن بلاد النوبة بثروتها الغنية كانت تلعب دوراً هاماً في سياسة مصر الداخلية

(١) راجع Fluger, ibid. p. 31

(٢) راجع Davies, The Tomb of Huy, Pls. XVI, XVII; Wreszinski, Atlas I, p. 162 ff

وبخاصة في الأوقات المضطربة إذا كانت في أوقات الحرب مليئة بالأحزاب الكبيرة ، فإذا كان نائب الملك وموظفوه وكذلك السيطرة على موارد المواد الغفل في الجنوب وبخاصة مناجم الذهب العظيمة في يد الفرعون فإن ذلك يكون سبباً في الانتصار على عناصر الدسائس في سياسة البلاد الداخلية والقبض على زمام الموقف كما سرى ذلك بعد .

ولما اعتلى « حور محب » عرش البلاد قام بحملة حربية على بلاد « كوش » وهنا كذلك لا نعلم شيئاً على وجه التقريب عن هذه الحملة ، ومن المحتمل أن هذه لم تكن إلا مجرد مظاهرة قام بها رجل أعلن نفسه ملكاً على البلاد ولم يكن لديه سند شرعى يدعى به تولى الملك ، وقد صوّرت عودته إلى البلاد المصرية على صخور « السلسلة »^(١) فنشاهد أمام الملك الذى كان محمولا في محفة يسير خلفه الأسرى النوبيون والجنود المصريون وفي النقوش التابعة لهذا المنظر أن جلالته يعود من بلاد « كوش » بالغنائم التى أحرزها سيفه كما أمر به والده « آمون » . وكذلك نجد أن الموقعة هنا قد مثلت غير أن الصور قد هشمت لدرجة أنه لم يمكن التعرف على كيفية تأليفها ، ومن المحتمل أنها كانت على غرار تلك الموقعة التى شاهدهاها مصورة على جدران عربة « تحتمس الرابع » . ونجد بعض التفاصيل ثانية في الصور التى مثلت فيما بعد في عهد « رمسيس الثانى » و « رمسيس الثالث »^(٢) ، وهذا هو الأثر الوحيد الذى لدينا نتخذه دليلاً على حملة الملك هذه ، وعلى ذلك فإنه لا يمكن أن نحكم حكماً صحيحاً أكيداً على أهمية هذه الحملة وما لها من قيمة سياسية .

وكذلك ليس لدينا معلومات عن الحملات الحربية التى قام بها الملوك الذين خلفوه من عهد الرعامسة . فنجد في رسوم المناظر الكبيرة وفي النقوش المملوءة بالعبارات

(١) راجع L. D. III, p. 120, 121; Wreszinskix Atlas, II, 162 and Fluger, 6 وكذلك

مصر القديمة الجزء الخامس ص ٦٠٥

(٢) راجع Wreszinski Atlas II, 161

البراقة الأعمال الحربية التي قام بها الفرعون ، ولكن لا نكاد نجد مع كل ذلك ذكر تاريخ محدد أو مكان معين ، بل كل ما نجده هو ذكر بلاد دون أن يقال عنها شيء . وقد كانت العادة عند الفراعنة أن يمثل الفرعون منتصراً على أهالي الجنوب ، وأن النوبي مهزوم وقراه مخربة دون أن تقوم على وجه عام حملة حربية عظيمة على ما يظهر نحو الجنوب . والواقع إذاً أن المعلومات التي نستقيها من هذه المناظر تكاد تكون لا شيء ، ومع ذلك فلنأخذ سنلقي نظرة خاطفة على ما لدينا من مادة حث عليها في هذا العهد .

« رعمسيس الأول » :

ففي نقش من السنة الثانية من عهد « رعمسيس الأول » وكذلك في صورة منه يرجع تاريخها إلى السنة الأولى من عهد « سيتي الأول » قد قص علينا أن الملك قد أقام معبدًا في « بهين » وجهازه بكهنة وملاً بيت أعماله بالعبيد والإماء الذين أحضرهم جلالته غنيمة^(١) . ففي لوحة « رعمسيس الأول » يقال صراحة إن الملك كان في « منف » ونجد كذلك اسم « سيتي الأول » في نهاية النقش دون أن يكون له أية علاقة بالمتن ويريد الأستاذ « برستد^(٢) » أن يرى في ذلك احتمال أن « سيتي الأول » قد قام لوالده بحرب في بلاد النوبة . ولكن النقوش لا تحدثنا بشيء من ذلك ، أي أن الأسرى كانوا من بلاد النوبة ، وفضلاً عن ذلك فإن التعبيرات التي ذكرت في المتن إن هي إلا تعابير كلامية ليس لها قيمة تاريخية تذكر فقد نعت « رعمسيس الأول » في نقوش معبد « العرابية » بأنه « الثور القوي الذي ضرب النوبيين^(٣) » .

« سيتي الأول » :

ولدينا لوحة وجدت في « العمارة غرب » مؤرخة بالسنة الرابعة أو الثامنة من عهد

(١) راجع Br., A.R., III § 74 ff. ; Louvre C. 57, and B.M. No. 1189

(٢) راجع Br., ibid. § 75

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٥٧

«سيدى الأول» تحدثنا أن هذا الملك قام بحملة حربية على إقليم «أرم»^(١)، وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الحملة لم يكن لها أية أهمية، وذلك لأننا لم نجد في المناظر العدة في معبد الدولة في «الكرنك» التى تحدثنا عن حملاته في آسيا ولوبيا صورة واحدة عن حروب له قام بها في البلاد الجنوبية. والواقع أنه يوجد فقط منظران حيث نجد هذا الفرعون ممثلاً وهو يضرب أمام «آمون» أهل الشمال وأهل الجنوب. والنقش الذى يتبع ذلك كما قال «برستد»^(٢) هو نقش متحل نصفه الأول ينسب إلى نقش بناء للفرعون «أمنحتب الثالث» والنصف الثانى مأخوذ من أتشودة النصر للفرعون «تحتمس الثالث»، ولدينا فى نقوش معبد «وادي مياه» (الديسية) منظران يمثلان ضرب العدو أمام الإله^(٣)، واحد منهما يمثل أهل البلاد الشمالية والآخر يمثل أهل البلاد الجنوبية. فغير أن صبغة النقوش التقليدية نجدها ظاهرة فى المتن التابع لهذا المنظر، على الرغم من أن النقش الذى بجوار صورة الملك يقول صراحة «إنه هزم عطاء كوش الخاسئة وإن الإله آمون أمر الملك بقوله: «خذ سيفك أنت ياها الملك القوى و» حور» الحى صاحب القوس لتهزم عطاء «كوش» ولتقطع رؤوسهم». وهكذا نطق «آمون» عندما قدم للملك الأراضى المأسورة: «إنى أعطيك الجنوب وكذلك الشمال مجتمعين تحت نعليك». وكذلك الأراضى العشر التى ذكرت هنا بعد ليست بأية حال من الأحوال أراضى جنوبية كلية بل جاء بعد «كوش الخاسئة» قائمة تقليدية بأسماء أقوام الأقواس التسعة وهى التى وجدناها للمرة الأولى مذكورة فى مقابر عطاء القوم فى عهد الأسرة الثامنة عشرة^(٤)، وهى التى على وجه عام نجدها مرسومة تحت أقدام الفرعون على كرسى العرش، وهؤلاء الأقوام هم نظريا الأقوام الخاضعون لحكم الفرعون. وعلى ذلك فإن هذه القائمة تكون لامتعى لها فى منظر

(١) راجع J.E.A., 25, 142

(٢) راجع Br. A.R. III § 113

(٣) راجع L.D., III, 139 a, 140 a, Bull. Instit Fr. 17, I ff

(٤) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ١٠٨

يصنف هزيمة أهل الجنوب قبالة أهل الشمال ، وهذا مما يدل على أن الإنسان يجب أن يكون حذراً عندما يستنبط نتائج التاريخية من مثل هذه المناظر أو من قوائم الأقوام الخاصة بهذا العصر .

« رعمسيس الثانى » :

ولدينا من عهد « رعمسيس الثانى » مادة عزيزة ولكنها على الرغم من غزارتها لا تقدم لنا شيئاً يذكر عن الحوادث التاريخية فى موضوعها . فلا نجد فى المناظر العدة الدالة على حروب نوبية ما يمكن أن نستخلص منه تاريخاً معيناً أو مكاناً معروفاً وقعت فيه حروب بوجه عام .

والرسوم الخاصة بالمناظر الحربية نجدها فى ثلاثة معابد وهى « أبو سمبل » و « بيت الوالى » و « الدر^(١) » .

فى « أبو سمبل » مثل ضرب أحد ممثلى أهل الجنوب كما مثل موكب الظفر بعد النصر وسوق الأسرى ويلفت النظر فى النقوش التابعة للنظر أنها تتحدث عن أهل الشمال أيضاً ، فنثلاً نجد مع موكب الظفر : « أنه (أى الملك) لم يلب نار عندما تندلع دون أن يوجد ماء لأطفائها^(٢) » وفى منظر الاستعراض نقراً : « إحضار جزية بوساطة الإله الطيب (أى الملك) لوالده « آمون رع » بعد أن حرب الأراضى الأجنبية الثائرة وهزم النوبيين فى هقر دارهم وتشمل (الجزية) فضة وذهباً ولازورداً وفيروزجا وكل الأحجار الكريمة الفاخرة وهى التى أخذها بقوة ونصره على كل بلاد أجنبية » . والكتابة التى على الأسرى هى : « ان عظماء كوش الخاسئة أحضرهم جلالتهم بنصره من أرض كوش ليملاً بهم بيت أعمال والده الفاهر « آمون رع » صيد الكرنك .. » ونجد مثل هذه الجمل مع أسماء أخرى من أهل الشمال^(٣) . وهذا

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٤١ — ٢٤٣

(٢) راجع Wreszinski, Atlas, II, 180, 171, 184 a; Br., A R., III § 450 ff

(٣) راجع Wresz., Ibid, 181

(٤) راجع Wresz. Ibid, Pl- 179

مما يقلل من قيمتها بوصفها مصادر عن حملة حربية أو أنها نوع من المحاصيل الجنوبية التي غنمت في ساحة القتال .

أما في « بيت الوالى » فنجد تسلم جزية كبيرة ومنظر واقعة حربية^(١) ، وهذا المنظر الأخير له نظيره في « الدر »^(٢) ونشاهد في هذا المنظر الملك يقبض وهو في عربته على النوبيين الهاربين . وعلى اليسار من ذلك بلدة نوبية تحت شجر النخيل ونشاهد كذلك امرأة جالسة تنوح أمام كوخ وبجوارها راع معه قطيعه وجريح حمل إلى هذا المكان من موقعة القتال .

والواقع أن تأليف هذا المنظر قد أخذ عن مناظر مواقع قديمة ، وأكثر من ذلك نجد أن بعض تفاصيله قد صوّر في مصادر قديمة . وقد جاء مع منظر القرية النوبية ما يأتى : « كل عدو (٩) قال : « لا تجعل الأسد يخرجك من الوادى » رعسيس الثانى » ومعنى هذه العبارة نجده في منظر موكب الظفر الخاص بالملك « حور محب » في « السلسلة » ففيه نقرأ مع رجل وامرأة نائمة على رجل أخذ في الأسر : « آه أتم أيها الأطفال الذين كانوا كبارا في قلوبهم يا من نسوا ما قد قيل لهم من قبل لا تجعل الأسد يخرج ويدخل بلاد كوش »^(٤) .

ومن ثم نرى أنه ليس لدينا مصدر وثيق عن حملة حربية قام بها « رعسيس » على بلاد النوبة وعلى ذلك فإن هذه المناظر التقليدية التي نجدها في المعابد ليست ذات بال ولا يعتمد عليها . هذا ولدينا كذلك لوحة^(٦) على صخور الطريق الممتدة بين « أسوان »

(١) راجع Wresz, Ibid, 165-168

(٢) راجع Wresz, Ibid, 168 a

(٣) راجع Jaquier, Fouilles à Saqqarah, La Monument Funerire de Pepi II, Tome.

II, Le Temple, P. 14 ; comp. Kees, O.L.Z (1941), p. 106

(٤) راجع Brmus., Hierog. Texts. VIII, p. 22 Pl. XX

(٥) راجع Roeder, Betel Wali, p. 161

(٦) راجع L.D., III, 1759

و « الفيلة » مؤرخة بالسنة الثانية الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم السادس والعشرين ، ولا يمكن أن يكون هذا التاريخ لحملة حربية لأن المتن لا يحتوى إلا على جمل عادية تشير إلى انتصار في الشمال أيضا ، فإذا كان المتن يتناول في الواقع موضوع حملة حربية معينة لجاء ذكرها صراحة فيه كما هو المنتظر .

والواقع أن كثيرا من الألقاب والنعوت التقليدية كانت لا معنى لها قط في العلاقات السياسية الغابرة ، وذلك أنه عندما يفكر الانسان في أن بلاد النوبة كانت إقليما مصريةا اقتصاديا على جانب عظيم من الأهمية يدير شئونها موظفون من قبل الملك ولم يكن للأمراء المحليين بالتأكيد بعد إلا دور غير هام في هذه الإدارة ؛ يجد أنه لم يكن لهؤلاء الأمراء أية قوة يجابهون بها المصريين اللهم إلا بعض زعماء من قبائل البدو كانوا يقومون في وجه المصالح المصرية ، وعلى ذلك فإنه لا ينبغي أن تكون الجمل التي ذكرت صورة تمثل السياسة المصرية في الجنوب مثل : « الملك الثور القوى ضد كوش الحاسنة ، ومن خواره يخرق بلاد النوبة ، ومن حافره يدوس النوبيين ، ومن قونه يخرقهم عند ما يستولى بقوته على « خنت — حن — نفر » ومن الفرع منه يصل إلى « كاراي » « أو « من يجعل أرض كوش لا شيء »^(١) فكل هذه ليست إلا جملا جوفاء تقليدية .

وفي بلدة « العمارة القديمة »^(٢) عثر حديثا على مناظر في داخل البوابة لها قيمتها الأثرية وهي من عهد « رعمسيس الثاني » فعلى الجدار الجنوبي نجد المنظر المبتذل الذي يمثل فيه « رعمسيس الثاني » يهجم بعربته على مجموع من النوبيين الذين فقدوا النظام في صفوفهم ، وعلى الجدار الشمالى صورت عودة الفرعون منتصرا ففى نهاية الشرق يتقدم « رعمسيس الثاني » جنودا وهو ممتط عربته في حين تشاهد خلفه من جهة الغرب على الباب الجانبى ثلاثة من أولاده هم « مرنبتاح » و « ستويا »

(١) راجع Kuban Stele, L. 4; Abu Simbel Hymnes Ramses II, L.D., III, p- 195 a

(٢) راجع J.E.A., Vol. 35, p. 8

وثالث فقد اسمه يقودون أسرى نوبيين . ومع ذلك نجد متنا قصيرا مؤلفا من سطرين سجل فيه أن الحملة قد وجهت على أرض « أرم » النوبية وبه ما يزيد على سبعة آلاف أسير . وهذا المتن القصير تدل شواهد على أنه سجل تاريخي أصلي ، وعلى ذلك فإنه يعد أول سجل معروف لدينا عن حملة قام بها « رعسيس الثانى » على بلاد « أرم » ؛ بل الواقع أن هذه الحملة تعد أول حملة حقيقية تاريخية لهذا الفرعون فى بلاد النوبة . ومن جهة أخرى قد كشف فى « العمارة » على سجل عن حملة قام بها « سبتى الأول » على بلاد « أرم »^(١) .

الملك « مرنبتاح » :

وبعد عهد « رعسيس الثانى » نجد أن التحدث عن المواقع الحربية قد أخذ فى النقصان ، وفى عهد « مرنبتاح » خلف « رعسيس الثانى » نعرف فقط لوحة واحدة مهشمة فى « عمدا »^(٢) وهى تحدثنا عن إخماد ثورة فى « واوات » واللوح لا يمكن ترجمتها لما فيها من تهشيم كثير . ويتبدئ المتن باسم الملك ونعوته المختلفة مثل « الإله الطيب » و « الأسد سيد خارو (سوريا) » و « الثور القوى ضد كوش » و « الذى يذبح بلاد مزوى » ، ثم يأخذ فى سرد الموضوع وهو يشبه تماما النقوش التى ذكرناها عن الثورة النوبية التى نشبت فى عهد « تحتمس الثانى »^(٣) والتى قامت فى عهد « تحتمس الرابع » وفى عهد « أمنحتب الثالث » فقد جاء فيها : « لقد أتى إنسان يقول لجلالته إن العدو من « واوات » (قد بدأ بثورة) » ، وبعد ذلك تأتي أشياء غامضة عن اللوبيين والرتنو ثم يأتى : « إن الأسد صاحب النظرة الوحشية قد أرسل لهيبا من فمه على أرض « واوات » (سطر ٦) » و قد بحث عن العدو فى كل الأرض حتى لا يقوم مرة أخرى بثورة (١٠) » ورجوع الأمن إلى نصابه ،

(١) راجع J.E.A., Vol. XXIII Pls. 13, 19 of Pl. 15, 1

(٢) راجع Rec. Trav. 18, p. 156 f ; Gauthier, Amad, p. 187

(٣) راجع Urk., IV, 138

وقد قبض على الأراضى الأجنبية باسمه وجعل الأراضى فى سلام (يعيشون) ، وجعل مصر فرحة وجعلها فاحرة (سطر ١٣) « ، وإنه لمن المستحيل أن نستعمل هذا المتن الممزق من الوجهة التاريخية ليضع أمامنا حقائق جديدة ، وعلى أية حال فإنه يمكن أن نتصور أن هذه الثورة التى حدثت فى بلاد النوبة السفلى كان لها ارتباط بالحروب مع بلاد لوبيا التى قام بها هذا الفرعون على هذه البلاد^(١) . وذلك أن اللوبيين عند ما كانوا يبحثون عن مساكن لهم وسبل للعيش قد منعهم « مرنبتاح » من الزحف شمالا ، على أنه ليس من المستحيل أن يكون بعض هؤلاء اللوبيين قد ولى وجهه نحو بلاد النوبة السفلى بدلا من التوجه جنوبا نحو الواحات . وسنظل فى شك من أمر هؤلاء القوم إذا كان وجود هذه الطائفة المهاجرة التى تمتاز ببياض بشرتها فى بلاد الأهالى الجنوبيين أو إذا كنا نفهم اسم المكان « نخنت » فى بلاد النوبة بمثابة رمز لتسرب أناس لوبيين فى عهد الدولة الحديثة وحافظوا على اسمهم الأصيل .

« رعمسيس الثالث » :

وآخر أثر له علاقة بحملة حربية على بلاد النوبة يرجع عهده إلى عصر الفرعون « رعمسيس الثالث » فى معبده الكبير الذى أقامه فى مدينة « هابو » نجد صور حرب نوبية قد مثلت فى ثلاثة مناظر وهى تشبه التى ذكرناها فى عهد « رعمسيس الثانى » . وخلافا لذلك نشاهد قائمة طويلة منقوشة بأسماء أهل الجنوب المغلوبين على الجانب الأمامى للبوابة الأولى من هذا المعبد .

هذا ولدينا صورة كما أشار الأثرى « أنتس » فى معبد « آمون » بالكرك تقلالها « رعمسيس الثالث » عن « رعمسيس الثانى » خاصة بسوق الأسرى على حسب ما جاء

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٣٥ الخ .

(٢) راجع Holscher, Ibid, p 21 f

في موقعة « قادش » ولكنها رسمت مختصرة مع حذف أجزاء منها^(١) . وكذلك نجد أن المتن في كل من النسختين موحد إلا لفظة « خيتا » التي ذكرت في عهد « رعمسيس الثاني » فقد حل محلها اللفظة « قادش » وذلك أن مملكة « خيتا » كانت قد لعبت دورها واختفت من الوجود في عهد « رعمسيس الثالث » .

وكذلك نجد صوراً نوبية مشابهة تماماً في مدينة « هابو » فالصورة الأولى التي تمثل الانتصار على النوبيين تشبه الصورة التي رسمها « رعمسيس الثاني » في « بيت الوالى » وفي « الدر » ، وبتأليف موضوع الصورة وفيها الملك المهاجم في عربته والجموع المجذلة من النوبيين المهزومين والقرية النوبية كل هذه قد بقيت كما هي ولم يتغير إلا بعض تفاصيل فردية مثل الراعى مع قطيعه فقد حذفت .

والمنظر الثانى ويمثل سوق الأسرى ونعرفه من قبل في معبد « رعمسيس الثانى » في « أبو سمبل » ثم المنظر النهائى ويمثل قيادة الأسرى أمام الإله « آمون » والإله « موت » وهذا يرجع أصله إلى تقليد قديم . وأخيراً نجد أن قائمة الأقوام الجنوبيين كما برهن « برستد » قد نقلت عن قوائم قديمة^(٢) . وعلى ذلك لم يكن من باب المفاجأة أن نجد ثانية مع الملك الذى يقود الأسرى أمام « رع حوراختى » وهم مهزومون أنشودة النصر ، بل إن « سبتى الأول » كان فى الواقع قد نقلها فى زمنه من الأنشودة القديمة التى أنشئت فى عهد « امنحتب الثالث » مع إضافة بعض عناصر تناسب مع الموقف^(٣) .

وقد جاء فى ورقة « هاريس » الكبرى ذكر السورين والنوبيين الذين غنم منهم

(١) راجع A.Z., 65, p. 26 ff

(٢) راجع Br. A.R. IV. § 138

(٣) راجع Medinet Habu, II Pl. 102

جلالته غنائم كثيرة^(١) وكذلك لدينا لوحة من مدينة « هابو » تصف لنا سوق الأسرى
النوبيين إلى مصر^(٢) .

غير أن كل هذه المصادر لا تكاد تكون لها قيمة تاريخية ولا يمكننا مرة واحدة
أن نثبت على وجه التأكيد قيام حملة حربية نحو بلاد النوبة على حسب ما جاء بها .
وفي ورقة « هاريس » الكبرى التاريخية لم نجد في الفصل المخصص للأحداث التاريخية
وهو الذى نجد كل أعمال الملك العظيمة قد ذكرت فيه أية إشارة إلى قيام حملة
حربية على بلاد النوبة ، وهذا يعنى على كل حال أن « رعمسيس الثالث » لم يقيم
في مدة حكمه بأى أعمال حربية في الجنوب .

والواقع أن بلاد النوبة كانت من الآن لمدة طويلة لاتعد بلاداً أجنبية لها ثقافة
مميزة بل كانت تعد جزءاً من المملكة المصرية مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً لدرجة أن
شخصيتها من حيث الجنس والثقافة قد فقدت . وعلى الرغم من أنه على ما يظهر لم تقم
أية مشاريع حربية في هذه البقعة فإنها بقيت في قبضة الحكومة المصرية ، وكذلك
كان من المفهوم أنه في عهد « رعمسيس الحادى عشر » كان نائب الملك في « كوش »
في عهد الاضطرابات السياسية في مصر مع جنوده النوبيين منعازاً للحكومة المنفية^(٣) .

(١) راجع Eriksen, 75, 1 ff

(٢) راجع Wresz, Atlas II, 160

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٢٣ و ٥٥٠ و ٥٨٥

حكومة نائب الملك في السودان

في عهد الدولة الحديثة

مقدمة :

تناولنا في الجزء الخامس من هذه الموسوعة الحديث عن الإدارة في السودان^(١) وكذلك الدور الذي كان يلعبه حاكم هذه البلاد الذي كان يلقب « ابن الملك » ثم لقب فيما بعد « ابن الملك صاحب كوش » . غير أن الموضوع على الرغم مما كتبه « ريزنر »^(٢) وما كتبه من بعده « جوتييه »^(٣) لا يزال ينقصه بعض نقاط وإضافات لابد من استيفائها . وقد لاحظ ذلك الأثرى « سيف زودبرج » في كتابه عن مصر والنوبة^(٤) . وفضلا عن ذلك فقد ظهرت مصادر أخرى في هذا الصدد تحمل إلينا حقائق جديدة ، ولذلك رأينا أن نبث موضوع هؤلاء الحكام العظام ومن كانوا يعملون معهم لنصل إلى صورة واضحة عن نظام الحكم في تلك الفترة من تاريخ السودان وعلاقته مع مصر .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٣ — ١٧٧

(٢) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 73 ff

(٣) راجع Rec. Trav., 39, p.182 ff

(٤) راجع Save, Agypten und Nubien, p. 175

نواب الملك في الأسرة الثامنة عشرة

نائب الملك « ثورى »

دلت الآثار التي كشفت حتى الآن على أن أول نائب ملك معروف لدينا في بلاد النوبة هو « ثورى » . والظاهر أن « ثورى » هذا كان في بادئ الأمر قائد حصن « بهين » في عهد الملك « أحس الأول »^(١) ، وفي عهد « أمنحتب الأول » عين نائب الفرعون وكان يحمل لقب ابن الملك صاحب الأقاليم الجنوبية ، وكان تعيينه في السنة السابعة من حكم هذا الفرعون^(٢) ، وفي السنة الثامنة من حكم نفس الملك نجده يحمل ألقاباً أخرى^(٣) نذكرها هنا وهي « الأمير الوراثي والحاكم وحامل الخاتم الملكي في الأراضى الجنوبية . . . » وابن الملك .

وقد استمرت ولايته حتى عهد الملك « تحتمس الأول » ، وكان يحمل لقباً آخر وهو المشرف على البلاد الجنوبية^(٤) . والظاهر أنه كان في خدمة الملكة « حتشبسوت » . ويحمل نفس الألقاب السالفة^(٥) . ويحتمل أنه لم يكن يقوم بمهام وظيفته وقتئذ على الرغم من حمله ألقابها^(٦) .

وقد أضاف « جوتييه » إلى المصادر السالفة الذكر التي جاء فيها ذكر هذا العظيم أربعة مصادر أخرى نذكرها على الترتيب^(٧) :

-
- (١) راجع Burhen ; Northern Temple doorway of Amasis I, two Inscriptions, p. 88
(٢) راجع American Journal of Sem. Lang. (1908), p. 108
(٣) راجع Urk., IV p. 78
(٤) راجع Urk., IV p. 79-81, Ibid p. 89-90
(٥) راجع West Silsileh, Cenotaph of the Vezier Weser; Griffith, in Proc. Soc. Bib. Arch., Vol. XII p. 104
(٦) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 29 note 1
(٧) راجع Rec. Trav, 39, p. 182 f

(١) أولا : وجد له متن منقوش على صخرة في « أبو سمبل » في الشمال من المعبد الصغير الذي نقل نقوشه « لبسيوس^(١) » وهاك النص : « عمله كاتب المعبد. ووالد الإله والمشرف على الماشية والأمير والكاهن الأول « أحس » الملقب باسم « ثورى » صادق القول . وتدل النقوش على أن الاسم « ثورى » الحقيقي هو « أحس » وذلك من آثار أخرى ، وأن اسم « ثورى » لم يكن إلا لقبا ينادى به كثيرا في أوائل الأسرة الثامنة عشرة .

(٢) أما المصدر الثانى فهو تمثال هام جدا من حجر الكوارتسيت الأحمر محفوظ الآن بالمتحف البريطانى^(٢) . وهذا التمثال يمثل شخصا يدعى « تيتى » وعلى ظهر التمثال تحت النقش الأفقى الخاص بتيتى ذكر ثلاثة أشخاص فى ثلاثة أسطر عمودية يسبق لقب كل منهم كلمة « ابن » ، وهؤلاء الأشخاص الثلاثة قد ذكروا على التوالى كما يأتى :

١ — كاتب الموائد المقدسة « لآمون » أحس باتنا (؟) صادق القول (المرحوم) .

٢ — ابن الملك والمشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية « أحس » — « ثورى » صادق القول (المرحوم) .

٣ — ابن الملك المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية « أحس ساتيت » (؟) صادق القول (المرحوم) .

ومن الواضح أن ثانى هؤلاء الأسماء هو نفس الكاهن « أحس » « ثورى » الذى ذكر فى نقوش « أبو سمبل » السالفة . ومن المحتمل أن النقش الأخير لم يكن قد نقش بعد إلا فى عصر لم يكن فيه نائب الملك المستقبل لبلاد كوش قد عين قائد حصن « بهين » بل كان فقط يحمل لقبى كاهن ومشرف على الماشية فى منطقة

(١) راجع L. D. V Text. p. 168

(٢) راجع Hierog. Texts from the British Mus. V, p. 98 Pl. 25

« بهين » و « أبو سمبل » . ومن ثم يكون لدينا خطوة قديمة جداً ويحتمل أنها الأولى في مجال تاريخ « ثورى » المدهش .

ولكن يوجد أمامنا سؤال كذلك ينجم عما جاء في أربعة الأسطر التي على التمثال المتحف البريطاني السالف ، وأعني بذلك صلة القرابة التي بين أربعة الأشخاص الذين ذكروا عليه فهل « أحس باتنا » و « أحس » « ثورى » و « أحس ساتنيت » كان ثلاثهم أولاد صاحب التمثال ؟ .

والواقع أن « تيتى » صاحب التمثال كان يسمى « تيتى » بن « باتنا » بن « أحس » « ثورى » بن « أحس ساتنيت » وبذلك كان المقصود أنه يشير إلى أربعة أجيال متتابعة ، غير أن الجواب المؤكد على هذا السؤال ليس من السهل الإدلاء به . وذلك أنه لو كان هذا الوضع صحيحاً لوضع الكاتب ضمير الغائب بعد كلمة ابن في كل حالة وذكر كلمة « ابنه » . ومن المحتمل جداً — ولكن ليس مؤكداً — أن ضمير الغائب (هـ) كان لا بد أن يكتب إذا كان الحفار قد أراد أن يميز أن هؤلاء الأشخاص الثلاثة هم أولاد « تيتى » . ولكن من جهة أخرى نجد على وجه التمثال الداخلى اسم ولد « تيتى » يميز بكلمة « ابنه » بدلا من « ابن » . وهذا الاسم مهشم غير أن ما بقى منه يدل على أنه لا بد كان واحداً من ثلاث الشخصيات التي ذكرت في الأسطر العمودية التي على ظهر التمثال السالف الذكر . فإذا كانت القراءة السالفة هي الصحيحة كان لدينا الجدول الصغير التالى لشجرة نسب هذه الأسرة :

الجد :	« أحس ساتنيت »	وقد كان يحمل لقب ابن الملك والمشراف
		على البلاد الأجنبية الجنوبية .
	« أحس ثورى »	وقد كان يحمل لقب ابن الملك والمشراف
		على البلاد الأجنبية الجنوبية .
	« أحس باتنا »	
	« تيتى »	

وعلى ذلك فإن هذا التمثال يرجع تاريخه في هذه الحالة إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة أو بعد ما يقرب من ثلاثة أجيال من عهد مؤسس هذه الأسرة « أحمس » ، وعلى الأخص لن يكون « ثورى » بعد هو الأول في هذه الأسرة الذى كان يحمل من الوجهة التاريخية لقب « ابن الملك » و « المشرف على البلاد الأجنبية في الجنوب » كما هو رأى السائد بصفة عامة حتى الآن عند الأثريين ، بل الواقع أنه كان يسبقه في حمل هذه الوظيفة والده المسمى « أحمس ساتنيت » . وهذا يجعلنا في وضع جديد على أية حال بالنسبة للحقائق التاريخية التى فى متناولنا عن هذا العهد . فإذا وافقنا على التاريخ الذى حدده « ثيل^(١) » فهمنا أن « أمنحتب الأول » كان قبل العام السابع من حكمه وهو العام الذى نشاهد فيه أن « ثورى » كان فعلا يقوم بأعباء وظيفته قد حكم من ١٥٥٥ — ١٥٣٤ ق . م . وعلى ذلك فإن الدكتور « ريزنر » قد جعل تنصيبه فى هذه الوظيفة حوالى سنة ١٥٥٠ ق . م . كما ذكرنا من قبل . ومن ثم فإن والد « ثورى » كان فى إمكانه أن يقوم بأعباء وظيفة إدارة بلاد النوبة لأول مرة منذ خمس عشرة أو عشرين سنة قبل « ثورى » أى حوالى ١٥٦٨ — ١٥٦٣ ق . م . أى فى خلال حكم « أحمس الأول » (١٥٧٧ — ١٥٥٧ ق . م) . وعلى ذلك فإن الفضل يرجع كذلك إلى معبد نظام المملكة المصرية وقاهر الهكسوس ومؤسس الامبراطورية الطيبية الثانية فى وضع الفكرة الأولى التى أصبحت فيما بعد فى عهد أخلافه تعرف فى نظام الحكم « النيابة الملكية لبلاد كوش » أو بعبارة أخرى نائب الملك فى السودان . وقد وكل « أحمس » لابنه « أحمس ساتنيت » مأمورية تهدئة وإدارة بلاد النوبة . وكان على خلفه « أمنحتب الأول » بطبيعة الحال أن يعين ابن الحاكم السابق وهو « أحمس ثورى » وهو ابن أخيه ، وهو الذى كان قد شغل وظيفة قائد حصن « بهين » فى عهد الملك « أحمس الأول » .

ويمكن استخلاص حقائق أخرى هامة من تمثال « تيتى » هذا المحفوظ بالمتحف

(١) راجع Weill, La Fin du Moyen Empire Egyptienne p. 569

البريطاني فنجد أن الشخصيات الثلاث « أحس ساتنيت » و « أحس ثورى » و « أحس باتنا » يشمل العنصر الأول من أسمائهم المركبة تركيباً مزجياً اسم « أحس » وهو الاسم الذى يحمله مؤسس الأسرة الثامنة عشرة . وقد خول لنا تفسير أصل الأسماء العدة التى على هذا النسق القول بأن هؤلاء الأشخاص الذين يحملون هذا الاسم قد ولدوا فى عهد الملك الفرعون « أحس الأول » وهذا الاسم يعد فى نظرهم حامياً لهم . وهذه المحاولة لتفسير هذه التسمية محتملة كما نشاهد ذلك فى عصرنا ، إذ نجد أن معظم الذكور الذين ولدوا فى عهد محمد على قد سموا بهذا الاسم . ولكن نجد أنه من المؤكد من جهة أخرى أن هناك أسباباً أسرية قد لعبت هنا دوراً فى هذا التوزيع فى الأسماء ، ويمكن أن يكون ذلك وهو اسم الملك ، وأن كثيراً من بين عشرة الأشخاص الذين تبدئ أسمائهم المركبة باسم « أحس » كانت توجد بينهم روابط دم أى أنهم كانوا أولاده أو أحفاده ، والغالب أن « أحس ساتنيت » هو ابن فرعون ، وعلى ذلك فإن « أحس ثورى » يعد حفيداً للأخير ، وعلى ذلك فإن لقب « ابن الملك » الذى كان ينسب بنظام لكل نواب الملك فى كوش من أولهم إلى آخرهم — وقد كان موضع حيرة وارتباك فى تفسيره — يرجع للمرة الأولى على الأقل لأصل ملكى أى أن « أحس ساتنيت » كان ابن الملك المباشر الذى أنشئت فى عهده وظيفة المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية ، ومن المحتمل أنه كان قد ولد قبل تولية والده عرش الفراعنة ، ومن المحتمل أن والدته « تائيت » ماتت قبل تولية زوجها عرش الملك ، ولذلك لم تصبح قط ملكة على أرض الكنانة . وابن أول نائب ملك فى الواقع يحمل هذا اللقب وهو « أحس ثورى » كان حفيد الملك وكان كذلك يحمل لقب « ابن الملك » ومن ثم بحكم العادة والتقليد قد حشرت عبارة « ابن الملك » مع ألقابه الرسمية .

(٣) وثالثاً لدينا الجزء الأسفل من تمثال آخر مهشم مصنوع من الحجر الرملى وجد بالقرب من « كرمه » فى السودان وهو محفوظ الآن بالمتحف البريطانى^(١) ويحمل

اسم « أحس » الذى يدعى « ثورى » والذى يحمل لقب المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية . وقد ظن ناشر دليل المتحف البريطانى أن هذا الموظف قد عاش على ما يظن فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، فلم يعرف شخصيته أنه « ثورى » نائب الملك فى كوش المعروف ، والتمن المحفور على التمثال يحتوى على صلوات للاله « حور » صاحب « بهن » وهذه الخاصية مضافة إلى أن « ثورى » كان فى أول الأمر كاهنًا فى إقليم « أبو سمبل » ثم قائداً لحصن « بهن » قبل أن يصبح نائب ملك لكوش قد يسمح لنا أن نستخلص أن أول مقر للمشرف على البلاد الأجنبية فى الجنوب كان فى منطقة « أبو سمبل » — و « وادى حلفا » بالقرب من الشلال الثانى ولم يكن الفرعون بعد قد تخطت سلطته هذه النقطة .

(٤) ورابعاً وأخيراً يمكن أن ننسب إلى نائب الملك « ثورى » جعرانين وقد نقش على كل منهما المتن التالى : ابن الملك « ثورى »^(١) . وقد قال « نيوبرى » عن الجعران الأول إن صاحبه « ثورى » هو ابن الملك « تحتمس الأول » ويرتكز فى رأيه هذا على نقش فى جزيرة « سهيل »^(٢) حيث نجد « ثورى » هذا نفسه قد لقب فقط بلقب « ابن الملك » وقد أرخ باليوم الثانى والعشرين من بشنس من السنة الثالثة من حكم « تحتمس الأول » . ولكننا نعلم الآن أن « ثورى » هذا لا يمكن أن يكون ابن « تحتمس الأول » لأنه كان فعلاً فى عهد « أمنحتب الأول » والد هذا الملك مكلفاً بإدارة بلاد الجنوب ، والظاهر أنه كان ابن أخ « أمنحتب الأول » وابن عم « تحتمس الأول » .

هذه هى كل الآثار التى نعرفها حتى الآن عن « ثورى » نائب الملك فى بلاد النوبة .

أما عن اسم « ثورى » فنود أن نثبت وجود وجه قرابة بين اسمه الصوتى وبين

(١) راجع El Arabat, Pl. XXV, No. E 270 et p. 16, 36 et 43; Newberry, Scarabs p. 157

No. 35, et Pl. XXVI No 35, Tui-Re

(٢) راجع Rec. Trav., XIII, p. 202

الاسم المؤنث « تورس » الذى تحمله ملكة ، وهى كذلك كانت بنت « أحس الأول » وهذا التقريب هو فى رأى برهان آخر يعضد قرابة « ثورى » هذا للفرعون الأول من ملوك الأسرة الثامنة عشرة .

وتكلم شواهد الأحوال على أن « ريزنر » قد رصد مدة قصيرة لعهد ولاية « ثورى » لإدارة السودان فإذا كان يشغل وظيفته هذه منذ السنة السابعة من حكم « أمنحتب الأول » وهذا مالا نشك فيه وإذا لم يكن قد ترك وظيفته فى السنة الثالثة فى عهد « تحتمس الأول » فإنه لابد قد بقى يحمل هذه الألقاب على الأقل مدة ست عشرة سنة أو سبع عشرة سنة لا اثنتى عشرة كما يقول « ريزنر » . أى أنه بقى فى وظيفته أربع عشرة سنة فى عهد « أمنحتب الأول » الذى نعرف أنه حكم على أقل تقدير واحدة وعشرين سنة ، وستين أو ثلاثة فى عهد « تحتمس الأول » .

والواقع أننا لا نعرف شيئاً عن إدارة « ثورى » هذا ، غير أنه كان متوجاً بالنجاح فى أعماله . ومما لاشك فيه أن « ثورى » قد تخلى عن عمله قبل موته ، وإذا كنا نراه لا يزال على قيد الحياة قبل موت الوزير « وسر » (أو « وسر آمون ») فى عهد الملكة « حتشبسوت^(١) » . فمن المؤكد أنه فى هذا العهد بل ومنذ زمن طويل فعلاً قد تخلى عن وظيفته التى تولاها من بعده ابن الملك « سنى » أما لقب ابن الملك والمشرف على الأراضى الأجنبية بالجنوبية اللذان نشاهدهما مدونين فى هذا القبر فكانا ذوى صبغة نحرية محضة وحسب .

ابن الملك « سنى »

شغل « سنى » وظيفة « ابن الملك » فى عهد كل من الملكين « تحتمس الأول » و « الثانى » ولكن يظهر أنه قد شغل وظائف أخرى قبل تنصيبه فى هذه الوظيفة ، ففى عهد « أحس الأول » كان يشغل وظيفة المشرف على^(٢) . . . وفى عهد الفرعون

(١) راجع L.D, III, 25 bis

(٢) راجع Urk., IV, p. 39-41

« أمنحنب الأول » كان يشغل الوظائف التالية : المشرف على مخازن غلال « آمون » ومدير الأعمال في الكرنك^(١) .

وفي عهد « تحتمس الأول » تولى منصب « ابن الملك » والمشرف على البلاد الجنوبية في نفس النقش السالف ، وفي نقش آخر وجد في معبد « قفة »^(٢) مجده يحمل الألقاب التالية : حاكم المدينة الجنوبية (طيبة) والمشرف على مخازن غلال الإله آمون ، و « ابن الملك » و « المشرف على الأراضي الجنوبية » . وقد نسب « ريزنر »^(٣) إلى ابن الملك « سني » مدة حكم طويلة أي ما يقرب من ستين سنة كان يشغل منها حوالي خمس وثلاثين سنة على رأس إدارة بلاد النوبة . ويرى « جوتييه » أن نيابة « سني » لبلاد السودان قد امتدت حتى السنة السابعة عشرة على الأقل من عهد « تحتمس الثالث » و « حتشبسوت » معا ، ولكن من جهة أخرى يرى أن بداية هذه النيابة كانت خمس سنين قبل التاريخ الذي حدده « ريزنر » الذي جعل بداية ولايته ١٥٣٧ ق . م ونهايته ١٥٠٣ ق . م ، وعلى أية حال فإن مسألة التاريخ المحضة لا تزال تحتاج إلى تحقيق لأن تواريخ هذا العصر مرتبكة جداً بسبب الخلافات الأسرية في بيت الملك ، ومهما يكن من أمر فإن الأستاذ « ريزنر » قد نسب بحق إلى « سني » نقش معبد « سمحة » ، وهو الذي ترجمه وعلق عليه « برستد » وقال عنه إنه يرجع إلى عهد « ثوري »^(٤) ، وهذا النقش يحتوي على ترجمة حياته كاملة ، خير أنه ممزق ، ونعرف منه أنه كان ، كما ذكرنا من قبل ، قد عينه « تحتمس الأول » ليحل محل « ثوري » في بلاد النوبة وخلع عليه نفس الألقاب التي كان يحملها سلفه .

وفي عهد « تحتمس الثالث » نجد أن « سني » يضيف إلى ألقابه السالفة لقب

(١) راجع Ibid

(٢) راجع Urk., IV, p. 142

(٣) راجع Sudan Notes and Records, I, p. 225

(٤) راجع Br., A.R., I, § 61-62

عمدة المدينة الجنوبية ، أى « طيبة » ، وهذا اللقب وجد على عتب باب معبد « قة » الذى زينه من جديد « تحتس^(١) الثانى » .

أما النقش الذى ضمن نقوش « قة » على الصخر وهو الذى نقله « برستد^(٢) » فقد شوهد فيما تبقى منه اسم « نحي » وهو نائب آخر وهذا هو رأى « ريزنر » ، أما « جوتييه » فقد رأى فيه بقية اسم « سنى » ، والرأى الأول لا يتفق مع الواقع^(٣) . وقد أضاف « جوتييه » إلى المصادر التى ذكرت هنا عن « سنى » نقشين جاء فيهما اسمه ولكنهما وجدا مهشمين ، ويحتمل أن « تحتس^(٤) الثالث » هو الذى فعل بهما ذلك . ولكن يمكن على أية حال فهم ما جاء فيهما تقريبا .

فالنقش الأول مؤرخ بالسابع من بثونه السنة الثانية من حكم « تحتس^(٥) الثالث » وهو منحوت على جدران أقدم جزء من معبد « سمنة » على الجدار الخارجى وفى السطر الثانى من هذا النقش جاء فيه ذكر لقب « حامل خاتم الملك » و « السمير الوحيد » و « ابن الملك » و « المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية » ، ثم نجد بعد ذلك الاسم مهشما . وقد ظن « برستد » أن هذا النقش خاص بالنائب « ثورى » . وقال « ريزنر » إنه النائب « نحي^(٦) » والظاهر أن « زيته » هو الذى صححه بحق وقال عنه إنه « سنى » الذى تقع مدة حكمه بين « ثورى » و « نحي » ، وإن كان قد عاد فيما بعد وقرأ الاسم « نحي » بدلا من « سنى » .

ويوجد فى المتحف البريطانى قطعة من تمثال من الجرانيت الرمادى من « وادى حلفا^(٧) » وقد نقش عليه اسم نائب ملك لبلاد النوبة ، ويظهر أنه كان يعمل

(١) راجع Sethe, Untersuch., I, p. 78

(٢) راجع The American Journal of Semetic Lang. and Lit. (1908), p. 105

(٣) راجع Save, Ibid, p. 175 note 8

(٤) راجع L.D., III, Pl. 55 a and Urk., IV, p. 193

(٥) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 3

(٦) راجع Urk., IV. p 985-6

(٧) راجع Hierog. Texts from Egypt. Stelae Br. Mus., Vol. V, p. 10 Pl. 35

في عهد الملكة « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » ولكن الاسم كان قد كشط
عن قصد وكذلك كشط اسم الملكة . وألقاب هذا الموظف هي « الشريف »
و « الأمير الوراثي » و « حامل خاتم الملك » و « السميع الوحيد » و « عينا الملك »
و « أذنا سيد الأرضين » و « مالى قلب الإله الطيب في النوبة (٩) بالتمام »
و « فم الملك في بلاد النوبة » و « المشرف على بلاد الجنوب » و « رئيس رخت
(طامة الشعب) » و « ابن الملك » و « المشرف على البلاد الأجنبية في الجنوب .. » .
وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الاسم المهشم هو اسم « سنى » تقريبا ، وأنه قد
أصاب اسمه من التهشيم والمحو ما أصاب اسم سيده « حتشبسوت » على يد « تحتمس
الثالث » بعد موتها ، أى أن ذلك قد حدث ما بين السنة السابعة عشرة والسنة
العشرين من حكم « تحتمس الثالث » . والواقع أن الملكة كانت لا تزال تشارك
« تحتمس الثالث » السلطة . وفي السنة العشرين كان خلف « سنى » وهو « نعى »
يؤول عمله نائباً للملك في بلاد النوبة وقد برهن بقوة الأستاذ « ريزر » على أن
إحلال « نعى » محل « سنى » محتمل تماماً إذا كان قد حدث في السنة الثانية
من عهد « تحتمس الثالث » ، وأنه على العكس إذا كان « سنى » قد طام ثانية نائب
ملك بعد ذلك بزمان في المدة التي بين السادسة والثامنة من حكم « تحتمس الثالث »
فإنه كان لا يكتفى فقط بحج اسم « نعى » في كل مكان يجده ، بل كان على وجه
خاص يعيد اسمه في كل مكان حذف منه « نعى » . ولكن على العكس ما قرره
« ريزر » الذى استنبط من هذه الملاحظة الصائبة الخاصة باختفاء اسم « سنى »
منذ السنة الثانية نهائياً من حكم « تحتمس الثالث » يقول « جوتيه » . إنه يميل
إلى مد زمن ولايته إلى وقت موت الملكة « حتشبسوت » حاميته ، وإن نيابة
« نعى » لم تبدئ إلا بعد السنة السابعة عشرة من عهد « تحتمس الثالث » ما بين
السنة السابعة عشرة والسنة العشرين من حكم « تحتمس الثالث » .

ابن الملك « أنبى »

إن « أنبى » هذا قد تضاربت الأقوال في توليته نيابة بلاد كوش . فيقول « جوتييه » في ملاحظته^(١) : لقد حذف « ريزر » عن قصد من قائمة أسماء نواب بلاد « أثيوبيا » الفرد الذى يدعى « أنبى » وهو الذى وضعه كاتب فهرس كتاب « برستد »^(٢) خطأ بين أسماء نواب بلاد النوبة وتمثاله موجود بالمتحف البريطانى^(٣) وقد أظهر أنه كان يلقب « ابن الملك » و « رئيس الرماة » و « المشرف على أسلحة الملك » ، ولكنه لم يكن قط يحمل لقب « المشرف على البلاد الأجنبية للجنوب »^(٤) . ومن جهة أخرى فإنه من الجائز أن لقب « ابن الملك » لا يدل قط هنا على بنوة ملكية حقيقية ، وفي هذه الحالة أكون قد ارتكبت خطأ في حذف هذا الأمير من كتابي الخاص بأسماء الملوك وقد ذكره كل من « ليسيوس »^(٥) و « برکش » و « بوريان » و « بدج » في كتبهم . وتمثال « أنبى » كان قد منحه إياه « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث »^(٦) . وإذا كان فعلاً « أنبى » ابن ملك فإنه من المحتمل جداً أنه ابن « تحتمس الثالث » . هذا ما قاله « ريزر » ووافق عليه « جوتييه » .

ولكن نجد أن « سيف زودربرج »^(٧) يقول خلافاً لذلك فاستمع إليه : « في العهد المشترك للملك « تحتمس الثالث » والملكة « حتشبسوت » نعرف « ابن ملك » و « رئيس الرماة » للملك اسمه « أنبى » وأنه ليس من المستحيل أن هذا كان نائب الملك لبلاد كوش فإن اسمه هو الذى ينبغى أن يكون في نقوش « تومبوس » بدلا

(١) راجع Reo. Trav., 39, p. 189 Note 1

(٢) راجع Br., A.R., Vol. V, p. 58

(٣) راجع Br. op. cit. Vol. II, § 213 and p. 86 note c

(٤) راجع A Guide, Br. Mus. 1909, sculpture, p. 109, No 374

(٥) راجع Lepsius, Pl, XXV, No 348

(٦) راجع Maspero, Proc. S.B.A., Vol. XIV, p. 178

(٧) راجع Save, Ibid, p. 175

من « نحي »^(١). وذلك أنه بعد كتابة هذا النقش بقليل أوضع « نحي » اسمه بدلاً منه^(٢).

ابن الملك « نحي »

تدل شواهد الأحوال على أن « نحي » كان يشغل وظيفة نائب الملك في « كوش » في عهد الفرعون « تحتمس الثالث » حتى السنة الثانية والخمسين من حكم هذا الفرعون، ومن المحتمل أنه بقي في وظيفته هذه حتى موت هذا الفرعون . أما عن بداية توليته هذا المنصب فإن « ريزنر » يقول إنه يرجع إلى السنة الأولى أو الثانية من حكم نفس هذا الفرعون متجاهلاً بذلك وجود نائب الملك « انبني » . ولما كان « تحتمس الثالث » قد حكم ما يقرب من ٥٣ سنة — هذا إذا كان « نحي » قد بدأت ولايته في السنة الثانية وكان لا يزال يزاول عمله في السنة الثانية والخمسين من حكم « تحتمس » — فإن ولايته لا تكون قد استمرت أقل من خمسين سنة . ويقول « جوتييه »^(٣) إن « ريزنر » لا يعترف له إلا بولاية قدرها ٤٧ سنة أي من ١٥٠٠ حتى ١٤٥٣ ق . م . ويستمر جوتييه قائلاً : وقد سنحت لي الفرصة أن ألحظ فيما يخص نائب الملك « سني » أنه من غير المحتمل كثيراً أنه قد حل محله مرة أولى « نحي » في السنة الثانية ومرة ثانية في تاريخ غير محدود ، ولكن يقع ما بين السنة الثامنة والسنة العشرين ، وقد ذهبت إلى أن أمدنيابة « سني » يقع في عهد متوسط بين اختفاء الملكة « حتشيسوت » وأول ذكر تاريخ مؤكد لولاية خلفه « نحي » على بلاد النوبة ، أي ما بين السنة السابعة عشرة والسنة العشرين من حكم « تحتمس الثالث » عندما أصبح ملكاً منفرداً بالعرش . وعلى ذلك فإن مجال خدمة « نحي » تكون قد امتدت مدة اثنتين وثلاثين سنة على أقل تقدير (من السنة العشرين إلى السنة الثانية والخمسين)

(١) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 175

(٢) راجع ما كتب عنه Save, Ibid, p. 208

(٣) راجع Save, Ibid, p. 18 a

أو سبع وثلاثين سنة على أكثر تقدير (من السنة السابعة عشرة إلى الرابعة والخمسين) وهو التاريخ الذي توفي فيه « تحتمس الثالث ». والواقع أن ذكر « نحي » في أقدم جزء من معبد « سمنة » مرتين ، يدل على أن واحدة منهما مشكوك فيها^(١) ، لأن الأستاذ « زيت » ظن أنه يمكنه أن يقرأ اسم « سني » بدلا من « نحي » في المرة الأخرى وقد أضيفت بعد نفي أو موت « مني » على حرار ما كان يفعله « تحتمس الثالث » غالباً عندما يضع بدلا من اسم « تحتمس الثاني » و « حثبسوت » اسمه هو .

ومما قد يستحسن أن نلاحظ هنا (فضلا عما سبق) أن ذكر « نحي » في السنة العشرين من عهد « تحتمس الثالث » غير مؤكد . إذ الواقع أن اسم « ابن الملك المشرف على البلاد الأجنبية للجنوب » الذي نقله « برستد » للمرة الأولى من نقوش صخرة في جزيرة « تومبوس » قد قرأه « برستد » باسم « آئي » . وهذا الاسم الذي وجد في النقوش مرتين كان مهتما عمداً في المرتين . وقد رفض « ريزنر » قراءة الاسم بلفظة « أني » ويقول إنه من الجائز أن الاسم يقرأ « نحي »^(٢) .

وقد جمع الأستاذ « ريزنر » كل ما كتب عن « نحي » وألقابه وذكر لنا بوجه خاص « جبلة ابريم » التي تشمل تاريخ السنة الثانية والخمسين من حكم الملك « تحتمس الثالث » وجاء فيها اسم النائب « نحي » كما جاء في « جبلة اللبسيه » حيث يوجد متن مؤرخ بالسنة الواحدة والخمسين فلم يذكر قط اسم « نحي »^(٣) . وقد خلط « فيدمان » بصورة غريبة بين اسم « اللبسيه » واسم « السلسلة » وأعلن أنه يوجد

(١) راجع Reisner, Ibid, p.

(٢) راجع Ibid

(٣) راجع The American Journ. of Sem, Lang, and Lit. (1908), p. 47-48

(٤) راجع Rec. Trav. Ibid, p. 190

(٥) راجع J.E.A., 6, p. 30-31

(٦) راجع L.D., III, 45 e ; Sethe, Urk., IV, p. 810-813

في ضحرة من صخور « السلسلة » قبر « نحي » نائب الملك في بلاد الجنوب^(١) . والحقيقة أننا نجعل أن يوجد قبر « نحي »^(٢) ، ومع ذلك فإنه في وقت ما كان معروفاً وسلب ما كان فيه ، وذلك لأن تابوت هذا الأمير لا يزال محفوظاً في متحف « برلين » . وهرمه الصغير الجنازي موجود بمتحف « فلورنسا » . هذا ويجيز لنا ما كشفه « بترى » في « طيبة » خلف معبد الرمسوم من تماثيل جنازية صغيرة مصنوعة من الخشب باسم « نحي »^(٣) أن نذهب إلى أن هذا الوالى قد دفن في جبانة « طيبة » ولم يدفن بعيداً عن سيده « تحتمس الثالث » في بلاد النوبة ، ومن المحتمل أنه دفن على المنحدر الشرقى لتل « قرنة مرعى » حيث قد عثر هناك كذلك مقابر أخرى لنواب ملوك من الأسرة الثامنة عشرة مثل « مرى مومى » و « حوى » .

والآثار الغدة التي وجدناها باسم « نحي » تدل على أنه كان يقوم بوظائف أخرى غير وظيفة نائب الملك في بلاد النوبة ، ويحتمل أنه كان يقوم بها قبل تولية هذه الوظيفة ، وإن كان ذلك غير مؤكد . فمثلاً نجد أنه كان يحمل لقب « حامل الخاتم الملكى » و « السمر الوحيد » و « الحاجب الأول للملك » و « مرتل آمون » و « المشرف على الإدارة القضائية » ، وكان من جهة أخرى يدعى « الأمير الوراثنى » و « الحاكم » و « حظى الملك الممتاز » و « ثقة الملك في بلاد النوبة » . ومن سم فهم أن « نحي » هذا كان شخصية عظيمة جداً وأنه كان يستحق كل ما أهدقه عليه « تحتمس الثالث » من امتيازات وما حباه به من مكانة عالية . والواقع أنه يرجع إلى مهارته في مد فتوح مصر في بلاد السودان ، كما يرجع الفضل إلى إدارته الحازمة أن بقيت الأقطار المفتوحة موالية للفرعون مما سهل عليه أن يلتفت إلى مد حدود امبراطوريته في الشمال من بلاده ، أى في سوريا ومسوبوتاميا .

(١) راجع Wiedmann, Gesch. der 18 dyn., p. 65 and Agypt. Gesch., p. 362, and note 17

(٢) راجع Br., A.R., II, p. 26 note i

(٣) راجع Petrie, Six Temples at Thebes. Pl. II no 1 ; Urk., IV, p. 983

ولا نزاع في أن « نحي » يعد أول حاكم قد هدأ البلاد الجنوبية في عهد الأسرة الثامنة عشرة . ولكن على الرغم مما قاله الأثرى « بديج^(١) » فإن « نحي » لم يكن يحمل بعد لقب « أمير كوش » .

وأخيراً نذكر هنا تمثالا لهذا الحاكم عثر عليه الأثرى « نافيل » في معبد الأسرة الحادية عشرة « بالدير البحري » ، وهو تمثال جنازي ضاع رأسه وقد نقش على كتفيه طغراء الملك « تحتمس الثالث » وقد نقش عليه اسم « نحي » بلقب « ابن الملك » و « المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية » .

ويتساءل « سيف زودربرج^(٢) » إذا كان نائب الملك « نحي^(٣) » الذي كشف له عن آثار في « عنيبه^(٤) » وكذلك الذي يوجد له تمثال في متحف القاهرة هو نفس « نحي » الذي جاء ذكره في نقوش « تومبوس » التي يرجع عهدها للسنة العشرين من حكم « تحتمس الثالث » .

والواقع أنه عثر في أحد مباني « عنيبه » على عدة أجزاء من هذا المبنى منها أعتاب أبواب وصدغ باب كتب عليه النقش التالي : « الأمير الوراثي والحاكم وحامل الخاتم الملكي للوجه البحري والعظيم في بيت الفرعون للوجه القبلي والعظيم عند ملك الوجه البحري ومحبوب حور وسيد القصر والمتعالى مع خُلق من الكبرياء ابن الملك والمشرف على الأراضي الجنوبية « نحي » الذي يحيا ثانية » . هذا فضلا عن أنه يحمل في هذه النقوش ألقاباً أخرى منها المشرف على الخازن الخ .

أما التمثال الذي في متحف القاهرة لهذا النائب فيظهر أنه لم ينشر قط حتى قام بنشره الأستاذ « نيوبري^(٥) » . وعلى الرغم من أن رأسه قد ضاع فإنه تمثال جميل من عهد

(١) راجع Budge, The Egyptian Sudan, I, p. 573

(٢) راجع Save, Agypten und Nubien, p. 175

(٣) راجع Reisner, 3

(٤) راجع Aniba, II, 34 f

(٥) راجع J.E.A., Vol. 19, p. 53 ff

الدولة الحديثة ويمثل «نحى» راكما على قاعدة مستطيلة ممسكا أمامه صناعات ضخمة ممثلة في هيئة رأس «حتحور» وقد نقش في المحراب الذى فوق الصناجة لقب «تحتمس الثالث» وعلى مقدمة الصناجة نقش الإله الطيب رب الأرضين «منخبرع» بن رع «تحتمس» حاكم طيبة محبوب الإلهة «سات» ربة بلاد النوبة معطى الحياة أبديا . وعلى ظهر التمثال نقش يذكر ألقاب «نحى» ووظائفه . وعلى قاعدة التمثال نقشان يحتوى كل منهما على صيغة قربان وتضرع وألقاب «نحى» ووظائفه المعتادة . وكل دلائل الأحوال تدل على أنه هو نفس «نحى» الذى يتحدث عنه .

ابن الملك «وسرسات»

الظاهر أن هذا النائب قد خلف مباشرة النائب السابق «نحى» إما في نهاية السنة الثانية والخمسين من حكم «تحتمس الثالث» أو في يوم تتويج «أمحنتب الثانى» ابن «تحتمس» . وقد ذهب «ريزير» إلى أن مدة ولاية «وسرسات» مكثت ثلاثا وثلاثين سنة^(١) (١٤٥٣ — ١٤٢٠ ق.م. ٩) ، غير أن هذا التقرير يظهر مستحيلا بوجه خاص إذا رفضنا معه أن مدة حكم «وسرسات» قد امتدت إلى ما بعد حكم «أمحنتب الثانى» . وذلك لأن الرقم الذى وضعه «مانيتون» لحكم هذا الملك وهو خمس وعشرون سنة وعشرة أشهر يعتبر رقما طاليا أكثر من اللازم ، وذلك لأننا لا نعرف تاريخا على الآثار لهذا الملك حتى الآن أكثر من السنة الخامسة . هذا إلى أن ما جاء على مسلة «التران» الموجودة الآن برومة يتنافى تماما مع رأى القائل إن الملك حكم أكثر من سبع سنوات^(٢) . وإذا سلمنا أن «وسرسات» — وهو المحتمل — قد استمر في حراولة ووظائفه في بلاد النوبة في عهد خلف «أمحنتب الثانى» وهو «تحتمس الرابع» ، فإنه يمكننا أن نحدد زمن ولايته بحوالى ٢٣ سنة . وذلك لأن «تحتمس الرابع» لم يمكث على عرش الملك مدة طويلة ، إذ تقدر بحوالى

(١) راجع Relsner, Ibid, p. 32

(٢) راجع L.R., II, 276 n. 3

ثمانى أو تسع سنين . هذا مع العلم بأن « ريزنر » قد اعترف بنفسه أن عمل « وسر سات » قد انتهى فى عهد حياة « تحتمس الرابع » ؛ وعلى ذلك فإن مدة ولاية هذا النائب على أكثر تقدير تكون قد مكثت سنتين فى عهد « تحتمس الثالث » يضاف إلى ذلك سبع سنوات فى عهد « أمنحنب الثانى » وسبع سنوات أو ثمان فى عهد « تحتمس الرابع » فيكون المجموع ست عشرة أو سبع عشرة سنة فقط لكل مدة ولايته على وجه التقريب .

وقد ذكر لنا « ريزنر » ثلاثة آثار لهذا النائب فى عهد كل من « أمنحنب الثانى » و « تحتمس الرابع » (أى فى صفحة « أبريم » وجزيرة « سهيل » وتمثال برهن (وادى حلفا) المحفوظ بالمتحف البريطانى^(١) ، ولكن لدينا نقش آخر على صخر جزيرة « سهيل^(٢) » : جاء فيه ابن الملك المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية « سات » ، حيث يجب أن نصلح الاسم بإضافة « وسر » قبل « سات » فيصبح الاسم « وسر سات » .

ومن جهة أخرى نشر الأثرى « شامينا » تمثالا جنازيا باسم هذا الوالى وقد جاء على هذا التمثال النقش التالى : « ابن الملك والغلام (مملوك) والمشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية » . ولقب « الغلام » (أى الذى تربى فى القصر) يظهر أنه يرهن على أن نائب الملك « وسر سات » لم يكن ابن ملك على الرغم من أنه كان يدعى ابن ملك ، بل كان قد سمح له منذ نعومة أظفاره أن يتردد على القصر المخصص للأطفال الملكيين وأن يندمج فى حياتهم . ومع كل ذلك فإننا نجد أن « مورية » كان لا يزال يعتقد فى أن « وسر سات » كان ابن ملك حقيقى وهو قول خاطئ^(٤) .

(١) راجع J.E.A., 6, p. 32

(٢) راجع Monuments divers, Mariette, Pl. 71, No. 25

(٣) راجع Bull. de L'Institut. Français d'Arch., X, p. 161

(٤) راجع Rev. Egypt. Nouv. Serie., T, I, p. 23 note 5

ابن الملك « أمنحتب »

ليس لدينا عن هذا النائب إلا نقش واحد على صخور جزيرة « سهيل »^(١) ، وقد ظن « جوتييه » أن « أمنحتب » هذا في بادئ الأمر هو نفس « حورى — أمنحتب » . وقد قدم لنا « ريزر »^(٢) البرهان الرئيسى للتمييز بين هذا النائب « أمنحتب » وبين « حوى » الذى يسمى كذلك « أمنحتب » ، وذلك لأن لقب « حامل المروحة على يمين الملك » يظهر بانتظام فى ألقاب « نائب بلاد كوش » من أول ولاية النائب « مري موسى » فى عهد « أمنحتب الثالث » ، وإذا لم يكن هذا اللقب منقوشاً كتابة فإنه كان يستدل عليه بوجود المروحة فى الصورة ، والواقع أن ألقاب « أمنحتب » الذى نحن بصددده على الرغم من كثرتها فى نقش « سهيل » ، وهو المصدر الوحيد كما قلنا عن هذا النائب حتى الآن ، لا يوجد بينها لقب « حامل المروحة » . ومن جهة أخرى فإن الشخصية المثلثة فى الصورة لا تحمل المروحة بل تحمل علامة الصولحان « سنم » موضوعة على الكتف اليسرى للنائب ، ومن ثم نعلم أن « أمنحتب » قد جاء قبل « مري موسى » . ولما كان الأخير قد ظهر فى السنة الخامسة من حكم « أمنحتب الثالث » وجب علينا الاعتراف بأن النائب « أمنحتب » هو سلفه المباشر وأنه حكم فى السنين الأولى من عهد « أمنحتب الثالث » بل من الجائز فى السنين الأخيرة من عهد « تحتمس الرابع » . ويقول « ريزر » إن هيئته تختلف اختلافاً بيناً عن هيئة نواب الملك الآخرين الذين كانوا يحملون المروحة من أول ولاية « مري موسى » .

وعلى ذلك فإذا كان الناشرون لنقش « سهيل » قد أصابوا بوضعهم فى اليد اليسرى للنائب « أمنحتب » الصولحان « سنم » لا المروحة ، فإنه من المحتمل جداً

(١) راجع De Morgan, Cat. des Mon., Vol. I, P. 92 note 108 ; and L.D., Text. IV.

P. 125 n. 5 a

(٢) راجع J.E.A., 6, p. 132.

أن نضع هذه الشخصية بين « وسرسات » وبين « مري موسى » في سلسلة نواب كوش ، وإنه يكون أول واحد من هؤلاء النواب الذين لقبوا عن قصد « ابن الملك صاحب كوش » ، وهو اللقب الذي سيعرف به كل أخلافه من هذه السلسلة حتى آخر واحد منهم وهو نائب الملك « أوسركون عنخ » في عهد الأسرة الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين (٩) . ولم نعث على هذا اللقب حتى الآن إلا من أول عهد « مري موسى » ، غير أن ظهوره ينبغي أن يرجع إلى نهاية عهد « تحتمس الرابع » ، وإنه من الجائز كما اقترح « ريزنر » أن لقب « ابن الملك صاحب كوش » كان قد أعطى نائب الملك « أمنحتب » ليميزه من الوارث وقتئذ للعرش الذي كان يسمى « ابن الملك » ويدعى كذلك « أمنحتب » وهو « أمنحتب الثالث » فيما بعد .

أما عن مدة نيابة « أمنحتب » هذا فقد حددها « ريزنر » بعشرين سنين ، وهذا على ما يظهر غير مؤكد . وذلك لأنه إذا كان « وسرسات » قد شغل محله آخر عند تولى « تحتمس الرابع » العرش ، فإن « أمنحتب » كان قد خدم مدة ثمانى سنين في عهد « تحتمس الرابع » وأربع سنين (في عهد « أمنحتب الثالث » في السنة الخامسة التي كان قد خلفه فيها « مري موسى ») أى مدة اثنتى عشرة سنة . أما إذا كان من رجال عهد « أمنحتب الثالث » فإن مدة ولايته تكون قد مكثت أكثر من ذلك أربع سنين . ومن المحتمل جداً تحديد مدة ولاية « أمنحتب » ما بين هاتين المديتين أى بين أربع سنين واثنتى عشرة سنة .

وأخيراً نجد أمامنا سؤالاً كما هي الحال مع النائب « وسرسات » وهو : هل ترك لنا في جزيرة « سهيل » ذكر اسمه مرة أو مرتين ؟ حقاً لم يذكر الأستاذ « ريزنر » إلا متناً واحداً . غير أنه لدينا متن آخر على الصخر^(١١) ، وفي هذا المتن نجد ألقاب هذا النائب كاملة وهى : « المشرف على مواشى » آمون « و » المشرف على أعمال البناء في مصر العليا ومصر السفلى » ، و « ملاحظ اصطبل جلالته » ،

« ابن الملك صاحب كوش » ، و « المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية »
و « بطل الفرعون » و « الممدوح من الإله الطيب وكاتب الملك »^(١) « أمنحتب » .

ابن الملك « مري موسى »

كان « مري موسى » هو النائب العظيم الذي عاصر الفرعون « أمنحتب الثالث »
وقد بدأ عهد ولايته في السنة الخامسة من عهد هذا الفرعون كما نشاهد ذلك على لوحة
عثر عليها في « سمنا » وهي محفوظة الآن بالمتحف البريطاني وتبحث في إخماد ثورة
قامت بها بلاد « أهبات » في بلاد النوبة^(٢) . وتاريخ هذه اللوحة قد اختفى ،
وليس من المؤكد أن الحقائق التي نتحدث عنها قد حدثت في السنة الخامسة^(٣) .
أما عن مدة نيابة « مري موسى » فقد حددها الأستاذ « ريزنر » بأربعين سنة
(١٤١٠ — ١٣٧٠ ق . م .) وبذلك قد أمدها حتى السنة الثانية من حكم خلف
« أمنحتب الثالث » أي « أخناتون » ، غير أننا لا نعرف شيئاً البتة عن هذا
الموضوع ، والواقع أننا هنا في عالم الحدس والتخمين ، فلا يمكن الجزم في هذا الأمر
بأية حال من الأحوال .

ولكن المهم هنا في موضوع « مري موسى » هو ما يخص ألقابه فقد لقب
سنتين المشرف على البلاد الأجنبية في كل طولها^(٤) (أي في كل امتدادها) غير أن هذا
الطول لم يعين ونحن نجهل إلى أي امتداد في الجنوب وصل الإيفال المصري وسلطان
نائب الملك .

(١) راجع 59 A.Z.,

(٢) راجع 33a Reisner, op. cit., p.

(٣) راجع 411 No. 234 p. Guide, Br. Mus., (1909) حيث قد ذكر تاريخ السنة الخامسة

عن الثورة التي قامت هناك .

(٤) راجع Petrie, A Season in Egypt, Pl.X N.274; De Morgan, Cat. des Mon. et Insor, T. I

p. 27, No. 204 ; Reisner, op. cit., p. 33 e

ونجده قد ضم إلى لقبه « نائب الملك صاحب كوش » لقب « حامل المروحة على يمين الملك » وسنجد أن هذا اللقب سيحمله كل من تولى نيابة بلاد السودان بعده وهذا اللقب نجده على أربعة آثار وهي :

- (١) لوحة نقشت على صخرة جزيرة « تومبوس »^(١).
- (٢) تابوت « مري موسى » المحفوظ بالمتحف البريطاني^(٢).
- (٣) لوحة « اسوان » المحفوظة بمتحف القاهرة^(٣).
- (٤) تمثال صغير بمتحف « فيينا »^(٤).

ولدينا آثار جنازية للنائب « مري موسى » خلافاً للخريطة الجنازية التي وجدت في « قرنة مري » « بطيه » الغربية وهي التي وجدت بجوار قبره الذي كان معروفاً في القرن السابق ، غير أنه لم يثر عليه ثانية . ونخص بالذكر من هذه الآثار المصادر التالية :

- (١) لوحة في مجموعة المعهد الفرنسي بالقاهرة وقد جاء عليها « ابن الملك صاحب كوش « مري موسى » » .
- (٢) لوحة بالمتحف البريطاني وقد جاء عليها « الكاتب الذي ينسب إلى مم (عنييه) يناجي روح نائب الملك « مري موسى » ويوجه إلى « أوزير » دعاء ليعطى الأخير القربان الجنازية » .

(١) راجع L.D., Texte V., p. 244
 (٢) راجع L.R., II, p. 338, No. 20
 (٣) راجع Rec. Trav., XIV, p. 27
 (٤) راجع Rec. Trav., XII, p. I-2 ; Reisner, op. cit, p. 34 m
 (٥) راجع Wiedmann, Actes du VI congres des Orientalisten 1883 à Leyde, 4 e partie, p. 145 ; Bull Inst. D'arch. Orientale de Caire T. XVI, p. 167-169
 (٦) راجع Gauthier, Bull. Inst. T. XII (1916) p. 134-135
 (٧) راجع Br. Mus. Guide, (1909), Sculpture, p. 143 No. 504 [860]

وقد عثر « الكسندر فارى » على قطعتين من الحجر عليهما نقوش لابن الملك صاحب كوش « مرى موسى » فى الحجر الثانية من مقبرة « حوى » رقم ٤٠ فى « قرنة مرعى » .

والأولى قطعة من لوحة مثل عليها « مرى موسى » يتعبد للآله « أوزير » كما يدل على ذلك النقش التالى الذى وجد فوق رأسه : « التعبد لأوزير والسجود أمام » وننفر « من » ابن الملك صاحب كوش « مرى موسى » .

والقطعة الثانية عليها عمود من النقش الغائر نقش عليها : « (المشرف) على بلاد الجنوب « مرى موسى » يقول » .

وعلى الرغم من أن هذين النقيشين لا يقدمان لنا معلومات جديدة إلا أن مكان وجودهما له أهمية . وتدل شواهد الأحوال على أنهما كانا فى مقبرة « مرى موسى » التى كانت معروفة كما قلنا فى القرن السالف لأن تابوته قد استخرجه « هاريس^(١) » من قبره ومن المحتمل أنه يوجد بجوار « حوى » . وقد قدم « جوتيه » برهاناً قوياً على وجوده فى هذا المكان وأعنى بذلك الكشف عن عدد عظيم من الخاريط الجنازية « لمرى موسى » هذا فى كل المساحة التى تحت مقبرة ابن الملك صاحب كوش « حوى^(٢) » .

هذا وقد عثر « باريز^(٣) » على تابوت ثالث لهذا النائب فى مقبرة « بقرنة مرعى » ، مما يدل دلالة واضحة على أنه قد دُفن فى هذه المقبرة ، يضاف إلى ذلك أن خيثة « الدير البحرى » قد عثر فيها على آنية أحشاء له من المرمر ، وهذا يدل على أن مقبرة هذا النائب قد نُهبت فى عهد الفراعنة ، وأن ما تبقى منها قد وضع

(١) راجع Gauthier, L.R., II, p. 338, 10 note, 1

(٢) راجع A.S., 33, p. 83

(٣) راجع A.S., XL, p. 567; XLV p. 1 ff

في خيئة « الدير البحري »^(١) وتقع هذه المقبرة في الجنوب من مقصورة نائب الملك « حوى » المشهور وهو أحد أخلاف « مري موسى » في هذه الوظيفة . وقد جمع الأستاذ « فارى » نقوش توأبت هذا النائب ونشرها^(٢) ونستخلص منها الألقاب التالية :

- (١) ابن الملك صاحب كوش .
- (٢) حامل المروحة على يمين الفرعون .
- (٣) المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية الجبلية .
- (٤) المشرف على جبال الذهب لآمون .
- (٥) المشرف على الحيوانات ذات القرون لآمون .
- (٦) المشرف على أعمال آمون .

ابن الملك « تحتمس »

يرجع الفضل إلى الأستاذ « ريزنر » في معرفة شخصية ابن الملك صاحب كوش المسمى « تحتمس » وقد بقى دون أن يدون في أية قائمة من قوائم أبناء الملوك صاحب كوش إلى أن كشف عن حقيقته « ريزنر »^(٣) وقد ظن بعض علماء الآثار أنه كان ابن « تحتمس الرابع »^(٤) وعندما قرأ « ريزنر » الطغراء التي مع النقش وعرف أنها للفرعون « أمنحتب الرابع » أظهر بذلك أن « تحتمس » هذا كان يقوم بوظيفة نائب الملك في عهد الفرعون « أمنحتب الرابع » أو بعبارة أخرى في عهد « أخناتون » .

(١) راجع A.S., 40, p. 567 ff

(٢) راجع A.S., 45, p. I ff

(٣) راجع Réisner, J.E.A., Vol. 6, p. 33-34

(٤) راجع Petrie, Hist. of Egypt, II, p. 170

والآثار التي تنسب « لتحتمس » هذا أربعة غير نقش في جزيرة « سهيل » ،
وهذه الآثار هي :

(١) نقش « أمنمات » على واجهة كهف « لتحتمس الثالث » في « الليسيه » .

(٢) لوحة « أمنحتب الرابع » ولم تحفظ جيداً وقد وجدت في المعبد الواقع
شمالى « بهين » (وادى حلفا) .

(٣) نقش آخر ممزق على صخور جزيرة « سهيل » .

(٤) تمثال صغير « لتحتمس » هذا وجده « ريزنر » في المعبد الكبير رقم ٥٠٠
الخاص بجبل « برقل » .^(١)

هذه هي الآثار الخمسة التي جاء عليها اسم « تحتمس » هذا . ونلاحظ من بينها
أن الأثرين الأخيرين ممزقان ، وتقدم لنا قائمة تامة بألقاب « تحتمس » .

وأهم هذه الآثار النقش الأول وهو نقش مثلث كتب على واجهة كهف
« تحتمس الثالث » في « الليسيه » (Ellesieh) دونه شخص يدعى « أمنمات »
ابن « روتى » (؟) ويشير إلى ثلاث خطوات متتالية من مجال حياته بوصفه موظفاً
تابعاً لابن الملك صاحب كوش ، فكان في أول الأمر كاتب مراسلات ابن الملك
« مرمى موسى » ثم كاتم سر ومشرفاً على الأعمال . . . في بيت ابن الملك « تحتمس »
وأخيراً نائب كوش لابن الملك « حوى » . (إمنحتب) .

والواقع أننا إذا أردنا أن نتبع حرفياً تأليف هذا النقش فإن ابن الملك « مرمى
موسى » كان يشغل مكانة وسطاً بين ابن الملك « تحتمس » ونائب الملك « حوى »
أى أن « تحتمس » يجب أن يوضع في ترتيب نيابة « كوش » قبل « مرمى موسى »

(١) راجع J.E.A., Vol. 4, p. 216 .

لابن « مري موسى » و « حوى » ، ولكننا قد شاهدنا أنه ليس هناك مكان خال لابن ملك لكوش قبل « مري موسى » بل قد ظهر على العكس إفراغ بن « مري موسى » نائب الملك في عهد « أمنحتب الثالث » و « حوى » الذى كان نائب الملك في عهد « توت عنخ آمون » . والواقع أن وجود اسم « تحتمس » تحت طغراء « أخناتون » على نقش صخر جزيرة « سهيل » مضافاً إلى ذلك ضرورة سد الفراغ الذى بين ابن الملك « لأمنحتب الثالث » وابن الملك « لتوت عنخ آمون » يعطينا الحق تماماً فى أن تقبل الترتيب الذى وضعه « ريزنر » وبخاصة لأن ترتيب الوظائف التى تقلب فيها « أمنابت » تحت رئاسة النائبين « مري موسى » و « تحتمس » لم يكن ظاهراً كما أراد « ريزنر » أن يفهمه .

أما عن مدة نيابة « تحتمس » وتاريخها فلا نعرف عنهما شيئاً على وجه التأكيد ، فمثله فى ذلك كسابقه وقد حدد « ريزنر » تاريخ نيابته باثنتى عشرة سنة وجعله من ١٣٧٠ — ١٣٥٨ ق . م . ومن ذلك نفهم أن « تحتمس » قد بقى فى وظيفته إلى ما بعد الثورة الدينية التى حدثت فى السنة السادسة من عهد « أخناتون » وهذا ما لا نعرفه قط ، ومن جهة أخرى هل عاش تحتمس بعد عهد أخناتون وهل كان يعمل فى وظيفته فى عهد « سمنخ كارع » ؟ قد يحوز ذلك لأن قبر خلفه « حوى » يظهر لنا أن صاحبه كان قد تولى مهام وظيفته فى عهد « توت عنخ آمون » الذى أعاد عبادة « آمون » . وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن نيابة « تحتمس » قد استمرت فى أثناء مدة حكم كل من « أخناتون » و « سمنخ كارع » أى أكثر مما قدرها « ريزنر » .

ابن الملك « حوى »

نصب « حوى » نائباً للملك فى بلاد كوش فى عهد الفرعون « توت عنخ آمون » الخلف الثانى للفرعون « أخناتون » ولكن التاريخ الذى عين فيه ليس معروفاً لنا ،

ولم يكن « حوى » نائباً في عهد الملك « آى » خلف « توت عنخ آمون » ، ومن المحتمل جداً أن مدة نيابته لم تمكث أكثر من سبع سنين أى مدة حكم « توت عنخ آمون » القصيرة ، وأهم أثر استقيننا منه معلوماتنا عن هذا النائب هو قبره الذى عثر عليه فى « قرنة مرعى » حيث ^(١) دفن . وقد تحدثنا عن هذا القبر فى غير هذا المكان ^(٢) . وفى هذا القبر نجد مصوراً الاحتفال بتنصيب « حوى » فى وظيفته النوبية الرفيعة على يد الملك « توت عنخ آمون » ، ونعلم من النقوش أن حدود البلاد التى كان يديرها تمتد من « نخبيت » (الكاب الحالية) شمالاً حتى « نباتا » (إقليم جبل برقل) جنوباً . وكان يدعى « حوى » كذلك « أمنحتب » وهذا الاسم لم يرد على أى أثر آخر من آثار نائب الملك . ونجد فى قبره الألقاب التالية : « ابن الملك صاحب كوش » و « المشرف على الأراضى الجنوبية » و « حامل المروحة على يمين الفرعون » و « الأمير الوراثنى » و « الحاكم والكاهن مرى نتر » و « رسول الملك لكل أرض » و « كاتب الملك » و « السميع الوحيد » .

هذا وقد وجد له آثار عدة فى جهات مختلفة منها قطعة من تمثال حقير من الحجر الرملى فى معبد « أمنحتب الثالث » « بالكاب » ^(٣) وعليه اسمه وكذلك وجد له فى جزيرة « سهيل » ^(٤) نقش على الصخر ، ويلاحظ هنا أن اسم « توت عنخ آمون » قد مى على ما يظهر فى عهد « آى » أو فى عهد « حور محب » وقد وضع « رعمسيس الثانى » اسمه مكان اسم « توت عنخ آمون » . هذا وقد وجد اسمه كذلك فى جزيرة « سهيل » ^(٥) وقد كتب « رعمسيس الثانى » اسمه على اسمه وأخيراً نجد اسمه فى كل من « بيجه » ^(٦) و « اليسيه » .

(١) راجع Davies, Tomb of Hori

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٨ — ١٦٩ ، ٤٤٠ — ٤٤٢

(٣) راجع L.D. Text, IV, p. 42

(٤) راجع De Morgan, Cat. des Mon., Vol. I, p.84 No. 8

(٥) راجع De Morgan, Cat. Op. Cit., p. 96 n. 153

(٦) راجع Reisner, Ibid, p. 35

ومن الجائر توحيد « حوى » المسمى « أمنحتب » هذا باسم « أمنحتب » المسمى « حوى » الذى نجده على لوحة « اللوفر » C.72 . ومن جهة أخرى ليس هناك من شك فى أن « حوى » نائب الملك ليس له أية علاقة بالموظف « حوى » الذى جاء ذكره فى المقبرة رقم واحد فى « تل العمارنة » ولا بالشخصيات التى جاء ذكرها فى لوحات « تل العمارنة » وهم « خاى » ، « خايا » أو « خيا^(١) » .

ابن الملك باسر (الأول)

حاول الأستاذ « ريزنر » أن يثبت أن نائب كوش « باسر » لم يكن بينه وبين الملك « حورمحب » علاقة مباشرة^(٢) ، ولكن على الرغم من عدم وجود هذا الدليل القاطع فإن من حقنا أن نجعل مدة ولاية « باسر » تمتد إلى ما بعد مدة حكم الملك « آى » القصيرة الأمد أى إلى حكمى « حورمحب » و « رعمسيس الأول » اللذين لم يحكما بدورهما إلا مدة وجيزة ، بل من المحتمل كذلك أن مدة نيابته استمرت إلى السنين الأولى من عهد « سبتى الأول » حيث نجد أن ابنه « أمنمات » قد خلفه فى ولاية بلاد النوبة .

ولكن إذا كانت لوحة « جبل الشمس » الشمالية الواقعة فى مركز « أده » فى جنوبى « أبو سمبل » تبرهن على أن « باسر » كان نائب الملك فى كوش فى عهد الفرعون « آى »^(٣) فإنه يظهر من المؤكد أن الطغراء التى نقلها « شميليون » للمرة الأولى فى الكهف الصغير لنفس « باسر » ، وهو الذى حفر على مسافة بعض أمتار جنوب لوحته^(٤) هو طغراء التتويج للملك « حورمحب » وليست بأية حال من الأحوال طغراء « رعمسيس الثانى » ، وذلك أن شميليون قد خلط بين الطغرائين اللتين وُحِدَتَا

(١) راجع Rec. Trav., 36, p. 197

(٢) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 36-38

(٣) راجع L.R., III, p. 376^a et note 2 ; Reisner, op. cit., p. 36a

(٤) راجع Reisner, Ibid, p. 36 b

عنصراهما الثانيان . والواقع أن هذا الخلط يمكن تفسيره إلى حد ما ، وذلك لأن طغراءى « حورمحب » نادرنا الوجود في الإقليم النوبي إذا ما قرنتا بطغراءى « رعمسيس الثانى » المنتشر في الوجود . وقد حقق « جوتيه » قراءة هذه الطغراء في زيارة له إلى هذه الجهة ^(١) . وقد اعترف بذلك « ريزنر » في حاشية له ^(٢) .

وقد كان « باسر » نائبا على بلاد النوبة مدة أربع عشرة سنة على أقل تقدير تقع في عهد كل من الملك « آى » و « حورمحب » و « رعمسيس الأول » ، ومن المحتمل أنه حكم أكثر من هذه المدة ، هذا إذا كان قد دخل الخدمة في عهد « توت عنخ آمون » . وإذا كان ابنه « أمنأبت » لم يخلفه في هذا العمل الهام إلا في السنين الأولى من حكم الفرعون « سبتى الأول » . وليست هناك أى ضرورة أو سبب مقبول إلى التمسك بأنه حكم مدة خمس وثلاثين سنة كما يقول « ريزنر » (أى من ١٣٥٠ — ١٣١٥ ق . م .) .

وقد وضع لنا الأستاذ « ريزنر » قائمة واضحة بمعنى بها عن الآثار التى حفظت لنا ذكريات هذا الوالى وإن كانت على أية حالة قليلة بعض الشيء ^(٣) .

وليس لدينا ما نقوله هنا عن الأثرين الأولين وهما اللوحة ونقش كهف « جبل الشمس » أكثر مما سبق . أما نقوش صخر « جزيرة سهيل » فقد وصفت « باسر » بأنه الأميز الوراثى والحاكم والعظيم على رأس الناس . ويلحظ هنا أن « مسبرو » قد وُحد « باسر » هذا خطأ بأخر يدعى بنفس الاسم ، غير أنه عاش في عهد « رعمسيس الثانى » ^(٤) . وقد مثل « باسر » واقفاً ويده اليسرى المروحة

(١) راجع Rec. Trav., T. 39, p. 199

(٢) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 37 note 1

(٣) راجع Reisner, Ibid, p. 36-37

(٤) راجع Rec. Trav., 39, p. 199

وهي رمز الشرف لحامل المروحة على يمين الفرعون ، وهو اللقب الذي ذكر على كهف « جبل الشمس » .

ووجد له كذلك نقش على صخر يقع على الطريق من « أسوان » إلى « الفيلة » ، والواقع أنه أثر لولده نائب الملك في كوش المسمى « أممأبت » الذي أعلن فيه أنه ابن نائب الملك « باسر » .

ولم يرد في المصادر التي ذكرها « ريزنر » اللوحة C. 22 المحفوظة بمتحف « جيميه » بباريس باسم ابن الملك « باورسب » (١) وفي رواية أخرى « باسر » . وهذه اللوحة قد نشرها أولا « فيدمان » (٢) ، وقد نشرها ثانية الأستاذ « موريه » (٣) ، ويظن جوتييه أن ما لدينا هو لوحة لنائب الملك في كوش في عهد كل من الملكين « آي » و « حورمحب » ، وأنه قد خصص اسمه والعلامة الدالة على الأجنبي مشيراً بذلك إلى احتمال أنه كان من أصل نوبي (٤) . وقد خلط « فيدمان » « باسر » هذا والد « أممأبت » « بباسر » آخر صاحب مقبرة في جبانة « طيبة » وكان ضمن ألقابه عمدة « طيبة » في عهد « سيتي الأول » و « رمسيس الثاني » ، ولكنه لا يشترك بالتأكيد مع نائب الملك « باسر » الذي عاش في عهد كل من الملك « آي » و « حورمحب » (٥) إلا في الاسم .

ويلاحظ هنا أن نائب الملك « باسر » الأول قد وضعه « قيل » خطأ في قائمة وزراء الدولة الحديثة وذلك بسبب قراءة خاطئة نقلها « ليسيوس » من كهف

(١) راجع Proceedings S.B.A., Vol. XIV, p. 332

(٢) راجع Cat. de la Galerie Egypt. du Musee Guimet, p. 47-48, Pl. XX

(٣) راجع Aegyp. Gesch., p. 429

(٤) راجع Brugsch, Rec. de Monum., T. II, Pl. 65 No. 6 and p.75

(٥) راجع Arthur Weil, Die Veziere, p. 89 § 18

(٦) راجع Ibid, p.87 No. 15

« جبل الشمس » السابق ، ولكن القراءة الصحيحة هي : « حامل المروحة على يمين الفرعون » بدلا من قراءتها « وزير » .

أما الألقاب التي كان يحملها « باسر » في النقوش فهي : « ابن الملك صاحب كوش والمشرف على أراضى « آمون » في « تاستى » والأمير الوراثة والحاكم ، والأمير على رأس الناس والممدوح من سيده « آمون » .

ابن الملك « أمنمات »

تحدثنا عن هذا الوالى في مناسبات عدة في الأجزاء السابقة من مصر القديمة^(١) .
وحدثنا الأثرى « جوتييه » عن مدة نيابة « أمنمات »^(٢) .

وقد جعل « ريزنر » مدة نيابة « أمنمات » في عهد كل من « سيتى الأول » و « رمسيس الثانى » وقد قال إن مدة حكمه في بلاد النوبة هي حوالى خمس وعشرين سنة ، ولكن هذه المدة تظهر طويلة بصورة غريبة جداً فإذا اعترفنا أنه خلف والده « باسر » منذ حكم « رمسيس الأول » (وهذا ما نجهله كلية) الذى لم يحكم إلا مدة قليلة جداً لا تزيد عن سنتين فإنه كان يلزم « لأمنمات » أن يشغل وظيفته مدة خمس وعشرين سنة بوصفه الحاكم الأعلى في الجنوب أن يكون حكم « سيتى الأول » قد استمر أكثر من عشرين سنة ، وبالواقع أن « ريزنر » أنفسه قد رفض في نهاية تعليقه على هذا الموضوع قبول مدة حكم طويلة مثل هذه للفرعون « سيتى الأول » .
غير أن البحوث الحديثة تميل إلى إثبات هذا رأى ، وذلك لأن « سيتى الأول » قد أشرك معه ابنه « رمسيس الثانى » في الحكم أكثر من عشر سنوات . وقد بحث هذا الموضوع بالتفصيل في الجزء السادس من هذه الموسوعة^(٣) وذلك على ضوء طرز

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٩ ، والجزء السادس ص ١٥٩ ر ص ٢٠٣ .

(٢) راجع Rec. Trav., 39, p. 201 .

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ١٩٨ — ٢١٣ .

النقش التى كان يستعملها « رعمسيس الثانى » فى نقش معابده ومبانيه ، والألقاب التى اتخذها لنفسه كذلك فى أطوار طرز النقش الأربعة التى استعملها كما هو مفصل فى مكانه ، إذ نجد أنه قد استعمل النقش الغائر فى معابده بصورة شاملة . وسأضع هنا أمام القارئ ما حدث فى الطور الرابع من أطوار حياته من حيث ^(١)النقش مما يسهل على القارئ فهم تعاقب ولاية « أيونى » بعد « أمتمابت » مباشرة وأنهما لم يحكما بلاد النوبة فى وقت واحد :

« نجد أن « رعمسيس » حفر نقوشا جديدة من الطراز الغائر فقط واستعمل اللقب « وسر ماعت رع ستبن رع » ويجب أن نضع الطورين الثالث والرابع فى فترة انفراده بالحكم ومن الجائز أنهما كانا يتداخلان تاريخيا .

ومن أهم الشواهد التى تبرهن لنا على صحة اشتراك « رعمسيس الثانى » مع « سيقى الأول » ما نجده محفورا حفرأ غائرا على جدران معبد « بيت الوالى » الواقع فى منتصف الطريق بين الشلال الأول والشلال الثانى ، وكله منحوت فى الصخر فلشاهد منظر جزية بلاد النوبة يقدمها للفرعون طائفة من وجهاء المصريين ومن بينهم ولده الأكبر المسمى « آمون حرونمف » الذى مات قبل إتمام نقش هذا المنظر ، وكذلك « أمتمابت » الذى كان يحمل لقب نائب الملك فى بلاد النوبة ، وقد أشار الأستاذ « ريزنر » فى دراسة توابع الفرعون فى بلاد النوبة إلى أن ابن الملك صاحب كوش « أمتمابت » بن « باسر » شغل هذه الوظيفة نحو عشرين سنة قضى معظمها فى خدمة « سيقى الأول » ، وأنه قد مثل بلقبه نائب الملك فى منظر « بيت الوالى » الذى يقدم فيه الجزية ، وقد أخذ بعد ذلك « ريزنر » يقول : « إنه كان يوجد ابن ملك صاحب كوش يدعى « أيونى » ممثلا على جدران معبد « وادى مياه » أو « وادى عباد » وهو المعروف عند الأثريين بمعبد « الرديسية » ومعه نقوش إذ كرفيا « سيقى الأول » ، وأنه كان لا يزال على قيد الحياة ، وأن « أيونى » هذا نفسه قد مثل ثانية بوصفه

ابن الملك صاحب كوش على لوحة منقوشة في الصخر تقع شمالي معبد « أبو سمبل » الصغير في عهد « رعمسيس الثاني » ، ثم يقرر بعد ذلك الأستاذ « ريزنر » أنه لم يكن في مقدوره أن يجد بين نواب الملوك في كوش مثالا واحداً لنائبين حكما في وقت واحد في بلاد النوبة مدة أربعة القرون التي أمكنه خلالها بحث تاريخ هذه الوظيفة ، وبذلك يقرر « ريزنر » أنه إذا كان « امنمات » نائبا للملك في بلاد كوش في عهد كل من « سيتى الأول » و « رعمسيس الثاني » فمن الواضح جداً أن يكون « أبوني » قد خلف « امنمات » في مدة اشتراك الملك « سيتى الأول » مع ابنه في حكم البلاد . ولما كان « امنمات » وقد ظهر ممثلاً في النقش الذي في « بيت الوالى » (وهو الذى كان قد نحت مدة الطور الثانى عندما كان « رعمسيس » يستعمل لقب « وسمرامت رع ») فلا شك في أن هذا اللقب القصير كان من مميزات عهد اشتراك الملكين في الحكم ، وإذا كان « سيتى » على قيد الحياة عندما زين معبد « بيت الوالى » فإن الحملات الحربية التى شنها على سوريا واوبيا وبلاد النوبة (وهى المثلة على جدرانه) قد حدثت في عهد اشتراك الوالد والابن في حكم البلاد ، ولذلك يمكن العدول عن التفسير الذى ذكره « برستد » وهو الذى يقول فيه : « إن « رعمسيس الثانى » قد أقم صورته في نقوش حروب « سيتى الأول » التى حفرها على جدران معبد « الكرك » إذ الواقع أن « رعمسيس » قد أضاف صورته لاشتراكه فعلا في بعض الحملات ، ومن المحتمل أنه كان — كما جاء على لوحة « كوبان » — رئيس الجيش عندما كان طفلا في العاشرة من عمره .

هذا وقد دل البحث على أن « رعمسيس الثانى » لم ينفرد بالحكم إلا في السنة العشرين من حكمه ومن جهة أخرى نعلم أن « سيتى الأول » قد حكم منفرداً نحو عشرين سنة ، ومن ثم نفهم أن تقدير مدة حكم « امنمات » في السودان بنحو عشرين سنة ليس فيها مبالغة .

والآثار التي جمعها « ريزنر » خاصة بهذا النائب بعددها تسعة^(١) وكلها في المنطقة التي ما بين « أسوان » حتى الشلال الثاني تقريبا وينحصر تاريخها في عهدي « إسيدي الأول » و « رعسيس الثاني » .

هذا ويوجد في متحف مدينة « بون » من أعمال ألمانيا على نهر الرين لوحة جنازية مشطورة شطرين^(٢) جاء فيها : « ابن الملك صاحب كوش ومدير البيت وعمدة المدينة والمشرف على بيتي الفضة لرب الأرضين » . والاسم قد وجد بعد ذلك مهنيا ، ولا نعلم لأي سبب نسب ناشر هذه اللوحة إلى « أمتأبت » بن « باسر » من عهد « رعسيس الثاني » . وعلى أية حال فإن الألقاب التي على اللوحة لها أهمية عظيمة إذ نعلم منها أن نائب كوش يمكن أن يكون ذا مكانة عظيمة قبل توليته نيابة بلاد كوش مثل « المشرف على مالية البلاد للفرعون » و « عمدة المدينة (طيبة) » و « المشرف على ضياع الملك (بيته) » وهذه الألقاب تبرهن لنا على أن الفرعون كان ينتخب حكام بلاد كوش دون تمييز من كل أصناف الموظفين النابهين .

على أن الألقاب التي وجدناها للنائب « أمتأبت » وهي المستخلصة من نقوشه لم توجد بينها هذه الألقاب التي جاءت على لوحة مدينة « بون » وهاك ألقابه من آثاره التي ذكرها « ريزنر »^(٣) : « سائق العربات الأولى لجلالته » ابن الملك « أمتأبت » ابن « ابن الملك » « باسر » ، و « حامل المروحة على يمين الفرعون » و « حاكم البلاد الجنوبية » .

(١) راجع Reisner, Ibid, p. 40-41

(٢) راجع Weidmann and Portner, Aegyptische Grabsteine und Denksteine aus Verscheid-
enen Sammlungen (Band III p. 21 No. 18 a and b) Pl. VII .

(٣) راجع Reisner, Ibid, p. 30-39

ابن الملك « إيوني »

لم يذكرنا لنا « ريزنر » عن آثار هذا النائب الذي خلف « أمنمات » إلا مصدرين وهما لوحة « وادي عباد » واللوحة التي في شمال معبد « أبو سمبل الصغير »^(١) وقد أضيفت بعد ذلك ثلاثة آثار أخرى : أولها على واجهة معبد « أبو سمبل » الصغير حيث نشاهد « إيوني » على ما يظهر قد مثل بوصفه هو الواضع لهذه الوثيقة ، وكان على رأس قائمة من أولاد « رعسيس الثاني » وكلهم قد نعتوا بكلمة « صادق القول » (أى أنهم قد ماتوا) . أما الأثر الثاني فهو لوحة عثر عليها في المكان السابق وهي التي نقلها ونشرها أولا « شميليون »^(٢) ثم كشف عنها « برستد »^(٣) وجاء لقب « إيوني » عليها : ابن الملك صاحب كوش « إيوني » من أهالي « أهناسية المدينة » .

وأخيراً نشر « دارمي » لوحة عثر عليها في « العرابة المدفونة »^(٤) باسم فرد يدعى إيوني ، ومن ألقاب هذا الرجل نعلم على أغلب الظن أنه هو نفس « إيوني » نائب بلاد كوش الذي نحن بصددده الآن . وهاك الألقاب التي يحملها في هذه اللوحة : « المشرف على البلاد الأجنبية في الإقليم الأجنبي للجنوب وابن الملك في النوبة (تاستي) ، ومدير الأعمال في طيبة وعظيم بلاد المزوى . ويلاحظ أن النقش الذي على الصخر القريب من معبد « وادي ميا »^(٥) يلقب فيه « إيوني » كذلك عظيم « المزوى » ، وفي الوقت نفسه كان يلقب ابن الملك في « كوش » ، في حين أنه في لوحة « العرابة » التي يدعى « دارمي » أنها بعد نقوش « وادي ميا »

(١) راجع Reisner, Ibid, p. 39

(٢) راجع Bull. de l'Institut. Fr. D'Arch. Orient. du Caire, T. XVII p. 38

(٣) راجع Monum. d'Egypte et de la Nubie, Pl. IV No.2

(٤) راجع The American Journal of Semitic Lang. (1906), p. 28 fig. 18 et p.29 fig. 19

(٥) راجع A.S., XX, p. 129 ff

(٦) راجع L.D., III, 138

ونقوش « أسوان » و « أبو سمبل » قد حل محل اللقب الأخير لقب ابن الملك في النوبة (قاستى) .

ونجد أنه في هذه اللوحة لم يحمل اللقب العادى الذى كان يحمله نواب كوش وهو « ابن الملك صاحب بلاد كوش » . وقد فسرت هذه الظاهرة بتفسيرات مختلفة منها أنه كان قد غضب عليه الملك ، ومهما يكن من أمر فإن « إيونى » هو النائب الوحيد المعروف لنا الذى حاز لقب « ابن الملك في النوبة » حتى الآن ، ولا يبعد أن هذا اللقب الجديد لا يخرج عن أنه مرادف للقب ابن الملك صاحب كوش . وعلى أية حال فإن لوحة « العرابة » تعد من هذه الناحية من الأهمية بمكان .

وليس هناك من شك في أن « إيونى » قد خلف « أمنابيت » في نيابة بلاد كوش وأنهما لم يحكما في وقت واحد^(١) .

ابن الملك « حقا نحت »

عدد الأستاذ « ريزنر » الآثار التى جاء عليها اسم نائب الملك « حقا نحت » وهى سبعة وكلها في بلاد النوبة^(٢) ، وأهم هذه الآثار التمثال الذى وجد في مجموعة « فلبور »^(٣) واللوحة المنحوتة في الصخر في جنوبي معبد « أبو سمبل »^(٤) الكبير ، يضاف إلى ذلك أن الأستاذ « ريزنر » قد صحح وكل الألقاب الممزقة الخاصة بهذا النائب ، كما وجدت على نقش محفور في ضحور الطريق ما بين « أسوان » و « الفيلة » ، وفي هذه الألقاب نجد لقباً هاماً لهذا النائب وهو « رسول الملك (رعسيس الثانى) في كل البلاد » ، أما احتمال نسبة نقشين آخرين له من نقوش القائمة الخاصة بآثار هذا النائب كما ذكر

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٩ — ١٧٠

(٢) راجع Reisner, J.E.A., Vol. 6, p. 40-42

(٣) راجع A.S., III, (1902) p. 240-241

(٤) راجع L.D., III, p. 195 ; T. V, p. 165

« ريزنر » فإنه لا يرتكز على أساس مقنع ويحتمل أنهما لنائب آخر من عهد « رعمسيس الثاني » .

وقد عثر حديثاً على عتب باب في « العمارة غرب » جاء عليه اسم « حقا نخت » من عهد « رعمسيس الثاني » وأن مهدي هذا العتب هو « نائب رب الأرضين » « حاتاي » . ويقول « فرمان » الذي قام بأعمال الحفر في « العمارة غرب » وكشفها على حسب طبقات آثارها إنه من الجائز إذا أن الطبقة الثالثة يمكن نسبتها إلى عهد نيابة « حقا نخت » وأن « حاتاي » يحتمل أن يكون الحاكم المحلي للمنطقة . وتاريخ مدة نيابة « حقا نخت » بالضبط ليست معروفة ، ولكن من المقرر أنه كان يقوم بأعمال وظيفته في السنين الأولى من حكم « رعمسيس الثاني » وتدل شواهد الأحوال على أن « العمارة غرب » كانت مقر الحاكم منذ عهد « ستي الأول » الذي يقال إنه هو المؤسس لها^(٣) .

وأخيراً إذا سلمنا أن نائب الملك المجهول الاسم على لوحة « كوبان » هو « حقا نخت » كما اقترح ذلك « ريزنر »^(٥) فإنه ينبغي علينا أن نعرف بأنه كان الخلف المباشر لنائب الملك « إيوني » ، وأنه قد كان فعلاً يشغل هذه الوظيفة في السنة الثالثة من عهد « رعمسيس الثاني » عندما انفرد بالحكم . ويقرر له « جوتييه » مدة عشرين عاماً في نيابة بلاد كوش^(٦) مع كل تحفظ .

أما ألقابه كما نستخلصها من آثاره فهي « ابن الملك صاحب كوش » ، والمشرف

(١) راجع Reisner, Ibid, f and g.

(٢) راجع J.E.A., Vol. 34, p. 9

(٣) راجع Ibid, p. 9

(٤) راجع L. D., Texte Vol. V, p. 60

(٥) راجع J. E. A., Ibid, p. 45

(٦) راجع Rec. Trav., 38, p. 208

على البلاد الجنوبية وحامل المروحة على يمين الملك ، ورسول الملك لكل أرض ،
والأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الملك وسار القلب وشاهد الصدق ونحر سيده
ومن يذهب حينما يرسل ومن فيه الرضا بسبب امتيازهم » .

ابن الملك « باسم (الثاني) » .

يدل ما لدينا من آثار لنائب الملك « باسم الثاني » الذي حاصر الملك
« رعسيس الثاني » على أنه لا توجد له أية نقوش في « أسوان » كما جاء ذكر ذلك
في بعض المصادر^(١) . والآثار التي تركها لنا أربعة على حسب ما جاء في مقال « ريزر »^(٢)
ثلاثة منها في « أبو سمبل » والرابع هو الأثر الذي تركته لنا أسرة « أمنمات » المحفوظ
الآن في متحف « نابلي » وقد تحدثنا عنه طويلا في الجزء السادس من هذا المؤلف^(٣) .

يضاف إلى هذه القائمة تمثال راكم من الحجر الرملي محفوظ الآن بالمتحف البريطاني
ويمثل نائب الملك هذا قابضا على مائدة قربان مستديرة يعلوها رأس الكباش الذي
يمثل الإله « آمون »^(٤) والصلوات التي عليه هي باسم ابن الملك صاحب كوش « باسم »
ويبرهن ذكر اسم « آمون رع » في بيت « رعسيس » بين الآلهة التي توجه لهم
هذه الصلوات على أن المقصود هنا هو « باسم الثاني » المعاصر للفرعون « رعسيس
الثاني » ، وهو الذي قد نقش طغراءه على العمود الذي يستند عليه التمثال . والتمثال
المذكور كان ضمن مجموعة « بلزوني — صولت » القديمة وعلى ذلك يكون قد عثر عليه
ما بين عامي ١٨١٥ و ١٨٢٠ م في بلاد النوبة ويحتمل بجوار أحد المعابد العدة
التي أقامها « رعسيس الثاني » هناك .

(١) راجع Königsbuch, Lepsius, no. 471 Pl. XXXV; Livre des Rois de Brugsch et
Bouriant no. 494. p. 77

(٢) راجع Reimer, Ibid, p. 41

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ١٣ و راجع Brugsch, Thesaurus, p. 593

(٤) راجع Guide to the Egyptian Galleries (1909), p. 246 no. 604 = Ibid, Sculpture,
p. 166—167

ويجب أن نفهم هنا أن الوزير « باسر الثاني » ليس هو بعينه « باسر الثاني » نائب الملك في كوش وذلك لأن الأول هو ابن « نبنترو » في حين أن والد الآخر هو « منموس^(١) » .

ولا نعلم على وجه التأكيد الفترة التي كان نائبا فيها في عهد « رعمسيس الثاني » الطويل ، والمحتمل أنه كان في الجزء الأول من حكم هذا الفرعون وقبل السنة الثامنة والثلاثين التي وجدنا فيها أن « سثاو » كان يشغل هذه الوظيفة فعلا ، وهذا ولا نعرف المدة التي قضاها نائبا لكوش .

وقد وجد فضلا عن ذلك لوحتان لنائب الملك « باسر الثاني » في « أبو سمبل^(٢) » . والألقاب التي كان يحملها هذا النائب هي : ابن الملك صاحب كوش ، والمشرف على البلاد الأجنبية وكاتب الملك « باسر » بن « منموس » .

ابن الملك « سثاو »

وجدت لنائب الملك « سثاو » آثار عدة في مختلف بقاع بلاد النوبة منها تسع وثائق غير مؤرخة وعشرون مؤرخة بعهد « رعمسيس الثاني^(٣) » . وهذه الوثائق المؤرخة تحتوي على معلومات مرتبة ترتيبا تاريخيا من الطراز الأول . والواقع أنه كان قد قام بمهام منصبه في العام الثامن والثلاثين من عهد « رعمسيس الثاني » كما يدل على ذلك اللوحة المزدوجة المنقوشة على الصخور الواقعة في جنوبي المعبد الكبير « بأبو سمبل^(٤) » .

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٦٢

(٢) راجع A. S., p. 49 ff

(٣) راجع J. E. A., Vol. 6, p. 41—43

(٤) راجع L. D., III, 195 b—c = Text V, p. 167; Breasted, the American Journal of Semetic Languages (1906), p. 26

هذا ونجد من جهة أخرى أنه كان لا يزال يقوم بمهام منصبه في السنة الثالثة والستين من حكم هذا الفرعون^(١) أى في نهاية حكمه الذى وصل إلى سبعة وستين عاماً . ومما تطيب الإشارة إليه هنا أن الرقم ٦٣ الذى اقترحه « ويجول » غير مؤكد كما لمح لذلك « ريزنر »^(٢) أما السنة الرابعة والأربعون التى نقلها « جوتيه » عن اللوحة التاسعة من « وادى السبوع »^(٣) فليس فيها شك .

وفى يخص نقش جزيرة « ساي » الذى أشار إليه « برستد »^(٤) فإنه يقرر أن « سثاو » يحمل فيه من بين ألقابه لقب « المشرف على بلاد الذهب لآمون » ويعلن أن هذا اللقب قد جاء مؤكداً لنظريته التى تقول بوجود بلاد نوبية خاصة بذهب « آمون » منذ بداية الأسرة التاسعة عشرة . ويطيب لنا أن ندحض هذا التأكيد بأن نذكر أن أول نائب لبلاد كوش حمل لقب المشرف على بلاد الذهب « لآمون » هو « مري موسى » الذى عاش فى عهد « أمنحتب الثالث » أى قبل عهد « رمسيس الثانى » بنحو قرن من الزمان . وعلى أية حال فإن هذا اللقب كان معروفاً فى نقوش « سثاو » قبل أن يعثر عليه « برستد » فى المثال الذى جاء فى نقوش جزيرة « ساي » .

ونذكر هنا أن لوحة « أبو سمبل »^(٥) تنحصر أهميتها فى أنها تبرهن لنا على أن قواب الملوك فى كوش كان يمكنهم أن يجمعوا بين الوظائف الدينية ووظائفهم الأصلية إذ كان النائب هو « المشرف على الكهنة » كذلك ، والألقاب الدنيوية يظهر أنها ليست للنائب « سثاو » على وجه التأكيد على رأى « لبيسوس »^(٦) وإن كان « ريزنر » يرى أنها حقالة .

(١) راجع Weigall, Report on the Antiq. of Lower Nubia, p. 113 Pl. LXIV. no 7

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 42 e

(٣) راجع A. S., XI, p. 84 Pl. IV

(٤) راجع The American Journ. of Sem. Lang. (1908), p. 98—100

(٥) راجع Rec. Trav., Tom. 39, p. 210

(٦) راجع L. D., Text V, p. 165

والتمثال الثانى الذى ينسب إلى « سثاو » عثر عليه فى « جرف حسين » وهو محفوظ الآن بمتحف « برلين^(١) » وقد جاء عليه بعض ألقاب لم يذكرها الأستاذ « ريزنر » مثال ذلك : « المشرف على أملاك المدينة (طيبة) والمشرف على الممالك الأجنبية للذهب » .

هذا وقد جاء ذكر « سثاو » على بعض آثار لم يأت ذكرها فيما أورده الأستاذ « ريزنر » من آثار لهذا النائب^(٢) :

(أولاً) يوجد بالمتحف البريطانى منظر بالحفر الغائر على الحجر الرملى عثر عليه فى « وادى حلفا » وقد مثل فيه « سثاو » يتعبد للآله « رنوت » وإلى الطغراء الأولى « لرعمسيس الثانى » ، و « رنوت » هى إلهة الحصاد وتمثل غالباً فى صورة ثعبان .

(ثانياً) نعلم أن « سثاو » لم يصلح الكوة الجنوبية لباب الدخول فى معبد « عمدا » بل من المحتمل كذلك على الرغم من أن اسمه لم يذكر أنه هو الذى أنشأ الأنشودة التى يتعبد فيها « رعمسيس الثانى » للآله « رع حور أختى » ، وهى التى نقشت على العمود الأول من اليمين لقاعة العمد^(٤) .

وقد تحدث « لبيسوس^(٥) » عن وجود لوحة كبيرة منحوتة فى الصخر على مسافة بضع دقائق من معبد « وادى السبوع » غير أنها مهشمة جداً وقد جاء فيها ذكر اسم « سثاو » .

(١) راجع Roeder, Aegypt. Inschr. aus der Konig. Museen Zur Berlin, II, p. 78

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 41—43

(٣) راجع Brit. Mus. Guide, (1909) p. 246 No. 608, and Ibid, Sculpture, p. 168

(٤) راجع Gauthier, La Temple d'Amada, p. 136

(٥) راجع L. D., Texte, V, p. 89—90

وكذلك شاهد « لبيسوس » في عام ١٨٤٢^(١) م نقشا باسم ابن الملك صاحب كوش « سثاو » .

هذا ويوجد غير التمثال الذى وجد فى معبد « جرف حسين » الذى ذكرناه فيما سلف تمثال آخر فى متحف « برلين » نقش عليه « ابن الملك صاحب كوش » وفى رواية أخرى « الابن الملكى » « سثاو » بدون لقب آخر وقد مثل قابضاً فى يده على محراب صغير يحتوى على صورة « أوزير »^(٢) .

وأخيراً يوجد فى متحف « كالفيه » (Calvet) فى « أفنيون » (Avignon) بفرنسا لوحة جميلة مستديرة من أعلى باسم : « ابن الملك صاحب كوش ، والمشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية وحامل المروحة على يمين الملك والكاتب الملكى « سثاو » المرحوم . وقد قدمها له الكاهن الأول « لرعمسيس الثانى » « عت تن » وخادم ابن الملك « باوانرد »^(٣) . وهذه اللوحة على ما يظهر من بلدة « باك » فى بلاد النوبة وإلها هو « حور » الذى كتب له دعاء . والظاهر أن هذه اللوحة كانت قدمت لكل من « رعمسيس الثانى » ونائبه فى بلاد كوش « سثاو » بعد وفاتها .

وخلاصة القول أن « سثاو » يعد من أعظم النواب الذين حكموا بلاد النوبة فى عهد « رعمسيس الثانى » ومن أطولهم مدة إذ بقى فى وظيفته على ما يظن أكثر من خمسة وعشرين عاماً ، وكان يحمل الألقاب التالية كما نستخلص ذلك من نقوشه التى تربى عن خمسة وثلاثين وهاك معظمها : الأمير الوراثى والحاكم ، وابن الملك صاحب كوش ، والمشرف على البلاد الأجنبية للجنوب ، وكاتب الملك والمشرف على أرض الذهب لآمون وعمدة المدينة (طيبه ؟) والمشرف على أرض الذهب لرب الأرضين وحامل المروحة على يمين الفرعون والمشرف على الخزانة وقائد حيد آمون

(١) راجع Ibid, Texte, V, p. 391

(٢) راجع Roeder, Aegypt. Insch., II, p. 56—57 No. 2287

(٣) راجع Rec. Trav., T. XXXXV (1912), p. 184—187 No. XX

ومدير البيت العظيم لآمون والمشرف على أراضى الذهب ؟ ورئيس الكهنة (. . .)
ومدير القصر وغير ذلك من الألقاب التى ذكرناها من قبل .

^(١) ابن الملك « مس — سوى »

وجد للنائب « مس سوى » عدة آثار مؤرخة بعهد الملوك « مرنبتاح »
و « أمنس » ثم « سيتى الثانى » وكلها فى بلاد النوبة نذكر منها ما وجد على الطريق
بين « أسوان » و « القبلة » وفى « بيت الوالى » و « عمدا » و « اكشه » الواقعة
بين « مره » و « فرص » و « بيجة »^(٢) . وقد أظهر « ريزنر »^(٣) استحالة وضع نيابة
« مس سوى » بين ثواب الملك « رعسيس الثانى » أو على الأقل وضعه قبل
« سثاو » أى قبل السنين الأخيرة من حكم هذا الفرعون ، ونحن نجهل تماماً
بقاء « سثاو » حياً بعد عام ٦٣ من عهد « رعسيس الثانى » كما لا نعلم كذلك
أنه كان لا يزال يشغل مهام وظيفته بعد تولية « مرنبتاح » بن « رعسيس الثانى » ،
أو إذا كان قد حل محله « مس سوى » فى عهد حياة « رعسيس الثانى » .

وقد قدر مدة حكمه « ريزنر » بست عشرة سنة (١٢٢٥ — ١٢٠٩ ق . م .)
أى أنه يظن أنه شغل وظيفته فى عهد ثلاثة ملوك متتالين وهم « مرنبتاح »
(ثمانى سنين) و « أمنس » (سنة واحدة ؟) و « سيتى الثانى » (ست سنوات)
ولكن إذا اتضح فيما بعد أنه كان يقوم بمهام وظيفته يوماً فى السنين الأخيرة
من عهد « رعسيس الثانى » فإن حكمه يمكن أن يكون قد بقى على أقل تقدير
مدة عشرين سنة .

والمصادر الثمانية التى ذكرها « ريزنر » عن الآثار المنسوبة لهذا النائب تكاد

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٧١

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 47

(٣) راجع Ibid, p. 45

تكون كل ما وجد له من آثار حتى الآن ، وقد تحدث « جوتييه » ^(١) ثانية مشيراً إلى بعض هفوات ارتكبتها « ريزنر » لا تكاد تذكر .

والألقاب التي كان يحملها « مس سوى » هي : « ابن الملك صاحب كوش والمشرف على الأراضى الجنوبية ، وحامل المروحة على يمين الملك وكاتب الملك وحامل المروحة والصوبلخان على يمين الفرعون « مس سوى » المختار لأرض الجنوب » .

ابن الملك « سبتى »

تدل الآثار التي في متناولنا على أن نائب الملك « سبتى » الذي خلف « مس سوى » في حكم بلاد النوبة كانت مدته قصيرة ، إذ بدأ حكمه في السنة الأولى من عهد الملك « سبتاح » وقد خلفه في السنة السادسة من حكم نفس الفرعون نائب الملك « حورى الأول » . وقد جاء ذكر اسمه على خمسة آثار مؤرخة بالسنة الأولى والثالثة من عهد الملك « سبتاح » . فقد ذكر على الجدار الجنوبي من معبد « أبو سمبل » في نقش رسول الملك المسمى « رخبحتوف » عندما أتى سيده ليثبت ابن الملك صاحب كوش « سبتى » في مكانه ^(٢) ، وكذلك وجد اسمه في نفس المعبد على الجدار الشمالى ^(٣) ويحتمل أنه يؤرخ بالسنة الأولى أيضا ، وفي هذا النقش نجده يحمل ألقابا كثيرة هي : الأمير الوراثى والحاكم وابن الملك صاحب كوش ، والمشرف على أراضى الذهب لآمون ، وحامل المروحة على يمين الفرعون . والكاتب الملكى لخطابات الفرعون ، والرئيس الأول فى الاصطبل ، وعينا ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، والكاهن الأكبر لإله القمر « تحوت » ، والمشرف

(١) راجع Reo. Trav., 39, p. 214

(٢) راجع Br., A. R., III, § 642

(٣) راجع A. S., X, p. 132

على الخزانة ، والمشرف على خطابات الفرعون في محكمة قصر « رعسيس مري
آمون » في البلاط .

وفي معبد « بهين » وجد نقش مؤرخ بالسنة الأولى من عهد هذا الفرعون في
معبد الملكة « حتشيسوت » على العمود السادس ، وهو متن كتبه « نفر حور »
رسول الفرعون « عند ما أتى بالمكافآت لموظفي بلاد النوبة « تاستي » وليحضر
ابن الملك صاحب كوش في رحلته الأولى^(١) .

وكذلك نجد نقشاً مؤرخاً بالسنة الثالثة في جزيرة « سهيل »^(٢) جاء فيه بعض الألقاب
« سيتي » هذا .

وأخيراً وجد له نقش على صخور الطريق المؤدية من « أسوان » إلى « فيلة »
جاء فيه غير الألقاب التي ذكرناها من قبل « مدير البيت العظيم » ، وقد مثل في هذا
النقش النائب « سيتي » وهو يتعبد أمام الملك الذي يقف خلفه مدير الخزانة « باي »^(٣) .

ابن الملك « حوري الأول »

لم يوجد لنائب الملك « حوري الأول » حتى الآن إلا ثلاثة آثار جاء فيها اسمه
وكلها من بلدة « بهين » (وادي حلفا) . ويقول « ريزنر » إنه حكم مدة
ثلاث وعشرين سنة (١٢٠٣ — ١١٨٠ ق . م .) ، وهذه المدة تقابل السنة السادسة
من حكم الملك « سبتاح » مضافاً إلى ذلك حكم الملك « ستنخت » القصير وقرة
غير معينة من عهد حكم الفرعون « رعسيس الثالث » الذي حكم حوالي ٣٢ سنة .
ومن جهة أخرى يظهر أن هذا التقدير في مجموعه لا يقرب من الحقيقة ، ولكن الواقع
أنه ليس لدينا نقطة نركز عليها فيما إذا كان « حوري الأول » قد انقطع عن عمله

(١) راجع Randall—Maciver, Buhen, p. 25 ; and Br., A. R., III, § 648

(٢) راجع Br., A. R., III, § 646

(٣) راجع Br., A. R., III, § 647 ; L. D., Texte, IV, p. 120

في عهد « رعمسيس الثالث » وفي أى سنة من حكمه تم ذلك ؟ وكل ما نعلمه في هذا الموضوع هو ما أدلى به « فرمان^(١) » عند ما كان يتحدث عن نتائج حفائره في « العبارة غرب » إذ يقول في صدد الكلام عن ثواب الفراعنة في هذا العهد : « وأخيراً قد وصلنا إلى إلقاء ضوء جديد على الترتيب والعلاقات الأسرية الخاصة بنواب بلاد النوبة التابعين لعصر الرعامسة . وبالنسبة لنواب الملوك يمكن تلخيص النتائج الرئيسية كما يأتي : (١) أن « حورى » بن « كاماع » الذى يعد « حورى الأول » على حسب رأى « ريزنر » ، كان يشغل هذه الوظيفة في عهد « ستنخت » ، والمحتمل أنه قد خلفه . (٢) « حورى الثانى » الذى ظهر على لوحى السنة الخامسة^(٢) والسنة الحادية عشرة من حكم « رعمسيس الثالث » . ومما سبق نفهم أن « حورى » لم يكن بعد يشغل عمله في السنة الخامسة من عهد « رعمسيس الثالث » وعلى ذلك فلن تتجاوز مدة نيابته خمس عشرة سنة بل أقل من ذلك .

ويقول « ريزنر » إنه متأكد من أن نائب الملك « حورى » الذى خلف « سبتى » كان هو نفسه الذى يشغل وظيفة « رسول ملكى » وأنه قد ترك في معبد « حتشيسوت » في « بهين » نقشاً مؤرخاً بالسنة الثالثة من عهد الملك « سبتاح^(٣) » ، وكذلك نجد أن « فلندرز بترى^(٤) » لقب « حورى » قائد ورسول الملك « سبتاح » في « وادى حلفا » في السنة الثالثة ، ورقاه إلى رتبة أمير « كوش » في السنة السادسة . ونقش « بهين » المشار إليه هنا نقله نقلا صحيحا الأستاذ « ستيندورف » وعنه أخذ « برستد^(٥) » . و « حورى » هذا هو ابن رجل يدعى « كاماع » وقد كان ضمن رجال إدارة اصطبل الملك العظيم « سبتى مرتبتاح » الذى وحده « ريزنر » بـ « سبتى الأول » ، في حين أن المقصود هنا هو « سبتى الثانى »

(١) راجع J. E. A., Vol. 25, p. 143

(٢) راجع Ibid, Pl. XV, 2

(٣) راجع Reisner, Ibid, 48 a

(٤) راجع Petrie, Hist., III, p. 133

(٥) راجع A. R., Vol. III, § 645

كما يدل على ذلك طغراؤه ، ومن المحتمل أن « حورى » هذا ابن « كاماع » الذى كان يشغل وظيفة الرسول الأول للملك « سبتاح » فى السنة الثالثة من حكمه قد أصبح ما بين السنة الثالثة والسنة السادسة نائب بلاد كوش ، وبذلك تكون مدة ولايته أقل مما قدرناه من قبل ، غير أنه ليس لدينا أى برهان لتوحيد هاتين الشخصيتين .

وقبل أن نذكر ألقاب هذا النائب يجب أن نلفت النظر إلى نقش صخرى على نفس معبد « بهين » لم يذكره « ريزنر » وقد ظهر فيه مع طغراءى الملك « سبتاح » شخصية تحمل لقب « حامل المروحة على يمين الملك ورسول الملك فى سوريا وكوش » . واسم هذه الشخصية قد اختفى من النقش^(١) . ويظن « مسبرو » أنه يمكننا أن تؤرخ هذا النقش بالسنة السادسة من عهد « سبتاح » مثل نقش « وباخو » ابن نائب الملك « حورى » ، وإذا كان هذا الزعم صحيحاً فإن واضح هذا النقش ينبغى أن يكون ابن نائب الملك « وبخسنو » :

وهذا الشخص لم يخلف والده « حورى » فى وظيفة نائب الملك فى كوش ، بل الظاهر أنه كان له أخاً أكبر على ما يظن يحمل نفس الاسم وهو « حورى الثانى » ، وهو الذى خلف والده نائباً للملك فى كوش .

أما الألقاب التى كان يحملها « حورى الأول » فهى : « سائق العربى الأول » لحملته ورسول الملك لكل أرض ، والذى يجلس الرؤساء فى أماكنهم والذى يرضى سيده « حورى » بن « كاماع » صادق القول وهو التابع لاصطبل « سبتى الأول » الخصاص بالبلاط ، وابن الملك صاحب كوش .

ابن الملك « حورى الثانى »

ذكرنا من قبل أن « حورى الثانى » هو ابن « حورى الأول » وقد جاء اسمه مع الملك « رعمسيس الثالث » فى لوحين : الأولى مؤرخة بالسنة الخامسة ، والثانية

(١) راجع Sayce, Rec. Trav., T. XVII, p. 161 No. 3

مؤرخة بالسنة الحادية عشرة من حكم هذا الفرعون ، وبذلك لم نعد في لبس من جهة تحديد عهد نيابة « حورى الثانى » وهو الذى وضع أمام عهده « ريزنر » علامة استفهام^(١) ، وتدل شواهد الأحوال على أنه قد استمر فى حكم بلاد كوش حتى نهاية عهد « رعمسيس الثالث » على ما يظهر والجزء الأول من عهد « رعمسيس الرابع^(٢) » . ومن المؤكد أنه لم يحكم حتى نهاية عهد « رعمسيس الرابع » ، وذلك لأنه لدينا البرهان القاطع على أنه قد خلفه ابنه « باسر الثالث » الذى لم يذكره « ريزنر » فى قائمة نواب كوش . وعلى ذلك فإن الأثر الوحيد الذى ذكره « ريزنر » مؤرخاً لهذا النائب هو النقش الذى يظهر فيه فى معبد « حتشپسوت » ببلدة « بهين^(٣) » ممسكا بيده مروحة وصوباً لجاناً وكتب معه : « ابن الملك صاحب كوش « حورى » نجل ابن الملك « حورى » ، أما النقشان الآخران اللذان لم يؤرخا فقد يجوز أنهما من عهد « رعمسيس الثالث » أو من عهد « رعمسيس الرابع » ولا يمكن تمييز اسم « حورى الثانى » فيهما على وجه التأكيد .

« باسر الثالث »

لم يذكر الأستاذ « ريزنر » فى قائمة نواب « كوش » ابن الملك « باسر الثالث » ولكن قد جاء ذكره فى نقش على صخر فى « وادى حلفا » فقد نقل الأستاذ « سايس » هذا النقش عام ١٨٩٥ م^(٤) وقد قال عنه « سايس » إنه ممحوظ جداً ولا يكاد يقرأ وهو يشمل صلاة للاله « حور » صاحب « بهين » لروح . . . ابن الملك صاحب كوش « باسر » ابن ابن الملك صاحب كوش « حورى » . وعصر هذا النقش قد وضع تماماً بذكر طغراءى الملك « رعمسيس الثالث^(٥) » . وهذه الحقائق تتفق مع ما نعرف من قبل

(١) راجع Reisner, Ibid, p. 50

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 50 (a)

(٣) راجع Randall—Maciver, Buhen, p. 24 Pl. 11

(٤) راجع Sayce, Rec. Trav., T. XVII, p. 163 No. 14

(٥) راجع L. R., III, p. 182 & XVII, note 2

فقد كان « حورى الثانى » نائباً فى عهد « رعمسيس الثالث » ويحتمل كذلك فى الجزء الأول من عهد « رعمسيس الرابع » . وابنه « باسر الثالث » خلفه بطبيعة الحال فى نيابة كوش فى عهد هذا الفرعون الأخير ، وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون « باسر » هذا (لا « حورى الثانى » كما يظن « ريزنر ») هو والد نائب الملك « ونتاوات » المعاصر « لرعمسيس الخامس » غير أن ذلك الظن خاطئ من أساسه كما سنرى بعد .

وتدل شواهد الأحوال على أن نيابة « باسر » لم تكن طويلة .

نائب الملك صاحب كوش « سا أزيس »

عثر الأستاذ « فرمان » على نقش يفهم منه أن « سا أزيس » كان نائب الملك فى بلاد كوش فى عهد الملك « رعمسيس السادس » ولا نعلم عنه شيئاً أكثر من هذا^(١) .

النائب « منححر »

والظاهر أنه قد خلف الأخير نائب آخر يدعى « منححر » وقد عاش فى عهد كل من « رعمسيس السابع » و « الثامن » وهو والد « ونوات » الذى يحتمل أنه هو « ونتاوات » الذى ذكره « ريزنر » وقد عاصر « رعمسيس التاسع » .

النائب « ونتاوات » أو « ونوات »

ومما سبق نعلم أن « ونتاوات » لم يكن ابن « حورى الثانى » وأنه لم يخلفه فى ولاية كوش بل جاء قبله « سا أزيس » و « منححر » والأخير هو والد « ونتاوات » وقد عاصر « ونتاوات » الفرعون « رعمسيس التاسع » على حسب ما ذكره « فرمان »^(٢) .

والآن يتساءل الإنسان عن هذا النائب هل هو نفس الشخصية التى كانت تلقب « المشرف على اصطبلات جلالتة » ؟ وقد أجاب الأستاذ « ريزنر » بالإثبات

(١) راجع J. E. A., Vol. 25, p. 143

(٢) راجع J. E. A., Vol. 25, p. 143

ويشاركه في ذلك « جوتييه » وبخاصة إذا رجعنا إلى لوحة « سمته » المحفوظة بالمتحف المصرى وهى التى ذكرها « ليبين » فى قاموسه الخاص بأسماء الأعلام الهيروغليفية^(١) ، وكذلك إذا ترجمنا المتن كما يأتى : « ابن الملك صاحب كوش المشرف الأول على اصطبلات البلاط لدى جلالته » و« نتاوات » .

وهذا النائب كان يقوم بأعباء وظائف أخرى منها وظيفة الكاهن الأكبر لآمون رعسميس ، والكاهن الأكبر « لآمون خنوم واست » ، ولم نستطع أن نجد السبب الذى من أجله يقول « ريزنر » إنه قد منح وظائفه الدينية بعد أن فقد وظيفة نائب كوش ، وليس لدينا أية إشارة تخول لنا حق القول بأنه كان قد أبعد عن وظيفته العالية وهى نيابة بلاد كوش ومنح بدلاً منها وظائف كهانة . ومن ألقابه كذلك « المشرف على أرض الذهب لآمون رع ملك الآلهة الكاهن فاتح الباب (أى باب قدس الأقداس) ، ورئيس بيت آمون فى « خنوم واست » والآثار التى وجدت لهذا النائب مددها خمسة وقد تحدث عنها « ريزنر »^(٢) .

ابن الملك « رعسميس نخت »

يقول الأستاذ « فرمان »^(٣) إنه متر على عارضة باب من الحجر عليها طغراء « رعسميس السادس » ، وصورة واسم « رعسميس نخت » نائب كوش ثم عاد وقال ثانية عند الحديث عن نواب النوبة إن نائب كوش « رعسميس نخت » يظهر على المدخل مع طغراء « رعسميس السادس » ولكن من الممكن ألا يكون معاصراً له ، وذلك لأنه على ما يظهر قد وجد اسمه ثانية مع « رعسميس الحادى عشر » (إلا إذا كان نائب ملك آخر يحمل نفس الاسم) .

(١) راجع Lieblein, Dic. du noms Hierog, T. II, No. 2114

(٢) راجع f Reisner, Ibid, p. 50

(٣) راجع J. E. A., 25, p. 140, 143

هذا ومن جهة أخرى نجد أن « ريزنر »^(١) يقول إنه حكم حوالى عشرين سنة في عهد « رعمسيس التاسع » وأنه عثر له على نقش في معبد « حتشبسوت » على صخر من عهد الملك « سبتاح »^(٢) ويحمل في هذا النقش الألقاب التالية : ابن الملك والمشرف على الأراضى (؟) وحامل المروحة على يمين الملك ، وكاتب الملك . ثم يقول إنه لا يوجد برهان يربط هذا النائب « رعمسيس نخت » بأى موظف آخر بهذا الاسم عاش في الأسرة العشرين ، وبخاصة بالكاهن الأكبر « رعمسيس نخت » .

أما « جوتييه » فيقول إنه ليس لديه ما يضيفه على ما قاله « ريزنر » بالنسبة لهذا النائب الذى كان على أغلب الظن يقوم بأعباء وظيفته في عهد « رعمسيس التاسع » ومن بعده « رعمسيس العاشر » . وعلى أية حال يجوز أن نتعرف عليه في « ابن الملك صاحب كوش » الذى لم يذكر اسمه وهو الذى كان قد أحضر أمامه بعض الأفراد المتهمين بالسرقة في المقابر الملكية « بطيه » كما جاء في ورقة « ماير »^(٣) .

ومما سبق يمكننا أن نستخلص النتيجة التالية وهى أن « رعمسيس نخت » هذا كان يعيش في عهد الملك « رعمسيس الحادى عشر » الذى مكث على العرش مدة طويلة كما دلت على ذلك البحوث الحديثة وكما أثبتنا ذلك في الجزء الثامن من هذه الموسوعة ، وكما أكد لنا « فرمان » بوجود أثر عليه اسمه من عهد « رعمسيس الحادى عشر » . ومن الجائز كذلك أنه عاش في عهد « رعمسيس العاشر » الذى لم يعمر طويلا ، أما قول « جوتييه » و « ريزنر » إن « رعمسيس نخت » عاش في عهد الملك « رعمسيس التاسع » فقول لا يرتكز على أى أساس أمام الكشف الحديث .

(١) راجع J. E. A., 6, p. 5

(٢) راجع Randall—Maciver, Buhen, p. 44

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٤٣٨ الخ

نائب الملك « بانحسى »

عاش نائب كوش « بانحسى » فى عهد الفرعون « رعمسيس الحادى عشر^(١) » وقد لعب دوراً هاماً فى حرب التحرير أو عصر النهضة الذى تحدثنا عنه طويلاً فى الجزء الثامن . ومعنى كلمة « بانحسى » هو « العبد » أو الأسود وتدل شواهد الأحوال على أنه كان من بلاد النوبة وأن الملك قد انتخبه ليقوم بهذه الوظيفة لإرضاء لأهل بلاده الذين كانوا وقتها على وشك الانفصال من مصر .

وقد جاء اسمه على بعض أوراق البردى ، وفى معبد « بهين^(٢) » . ويحمل الألقاب التالية : « حامل المروحة على يمين الملك وكاتب الملك ، وقائد الجيش والمشرف على مخزن الغلال ابن الملك صاحب كوش والمشرف على الأراضى الجنوبية والرئيس العظيم للخزانة والأمير الوراثى والحاكم ومدير بيت « آمون » .

نائب الملك « حريحور »

تحدثنا باسمه عن « حريحور » قبل توليته عرش الملك فى مصر القديمة الجزء الثامن من ص ٦٠٢ الخ .

نائب الملك « بيعنخى »

كذلك تحدثنا عنه باسمه فى الجزء الثامن من هذه الموسوعة ص ٦٥٧

ناتبة الملك « نسختسو »

وهى زوج الفرعون « بينوزم الثانى^(٣) » ويلاحظ أنها المرأة الوحيدة التى حملت هذا اللقب فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٥٠ ، ٥٨٥

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 51

(٣) راجع كذلك مصر القديمة الجزء الثامن ص ٧٧١ الخ .

ويجب أن نلفت النظر هنا إلى أن الانقلاب السيامي الذي حدث في أواخر الأسرة العشرين قد انتهى باعتراف سياسة أصبحت بمقتضاها الإدارات الهامة متجمعة في يد وارث العرش فنجد أن « حريجور » قد عين ابنه « بيغنخي » الكاهن الأكبر « لآمون رع » والمشرف على الغلال ونائب كوش والقائد الأعلى للجيش ، وقد كان هو نفسه يتولى هذه الوظائف في عهد « رعسيس الحادي عشر » ، وكانت كل شواهد الأحوال تدل على أنه كان وارثه للعرش . وقد كان هذا هو الحل الوحيد المنطقي للمصاعب الداخلية التي سببتها دسائس طبقة الموظفين البيروقراطية وطبقة الكهنة الأغنياء في حكومة كانت ميولها مع الحكم الديني . أما المصائب التي حلت بالبلاد فترجع لأسباب أخرى . وقد كان هذا المبدأ سليما لدرجة أنه عندما استولى اللوبيون على « طيبة » استمروا في السير على نفس السياسة التي كانت قد أصبحت تقليدية أي تقليد أمراء من البيت المالكي ليكونوا على رأس الإدارات الحكومية .

فبعد « بيغنخي » لم نجد واحداً من الأمراء مثل الكهنة العظام « بينوزم الأول » و « ماساهرتا » و « منخبر رع » و « بينوزم الثاني » يحمل لقب « ابن الملك صاحب كوش » . وحتى عندما استولى « إوبوت » الابن الأصغر للملك « شيشنق الأول » وظيفة الكاهن الأكبر « لآمون رع » والقائد الأعلى للجيش لم يحمل هذا اللقب المهم كما لم يحمله أحد غيره من أسلافه . ولم يجدد هذا اللقب بصفة قاطعة على وجه التأكيد إلا مرة واحدة كما شاهدنا من قبل في حالة « نسنسو » زوج الملك « بينوزم الثاني » وذلك لإشباع غرور هذه السيدة . والواقع أنها أعطيت بصفة نفخية لأنه لم يكن في مقدورها أن تناله بحق الوراثة . على أن عدم استعمال لقب « ابن الملك صاحب كوش » لا يعد على أية حال برهانا على أن وظائف نائب الملك قد انقطع استعمالها كما يظهر للإنسان لأول وهلة ، إذ الواقع أنه تمشيا مع السياسة المتبعة للإدارات الكبيرة كانت حكومة « كوش » لا بد أن تكون في يد أكبر أولاد حاكم « طيبة »

وفي عهد اللوبيين كانت في يد واحد من الأمراء . ومن البدهى أن لقب « ابن الملك صاحب كوش » في نظر واحد من هؤلاء الذين كانوا فعلا أولاد ملوك لا قيمة له تذكر بالنسبة للقب الموروث .

ولدينا نقطة أخرى قد يكون لها بعض الأثر في ترك « بينوزم الأول » لهذا اللقب وهي أن والده « بيعنخي » كان سياسياً تابعاً للملك « تانيس » . وبعد ذلك كان ولداً « بينوزم » وهما « ماساهرتا » و « منخبورع » ابني ملكين بالولادة . وعلى ذلك فإن لقب « ابن الملك صاحب كوش » يمكن أن يكون قد أسقط دون أي تغيير في العلاقات بين كوش ومصر وبدون أي انقطاع في الإدارة المصرية للأراضي الجنوبية .

والعلاقات التي بين كوش ومصر ما بين سنة ١١٠٠ إلى ٧٥٠ ق . م . قليلة نادرة وكلها ذات صبغة غير مباشرة . فمثلاً نجد أن « بينوزم الأول » (أو الثاني) قد ترك نقشا على الصخر في جزيرة « سهيل »^(١) ، والظاهر أنه قد نقشه هو عند ما كان قائد الجيش الأعلى للجنوب والشمال ، وكان قد أضاف لنفسه لقب الكاهن الأكبر فيما بعد . وقد سجل « منخبورع » لقبه الكاهن الأعظم ابن الملك « بينوزم » على صخرة في « بيجة »^(٢) . وسجل « شيشنق الأول » اسمه في نقوش الكرنك حيث يحدثنا أنه ضرب « أيون — ستي »^(٣) أتباع « آمون » ، وصانع (أرض) « تانحسي » . و . . . جزيرة « أرض سوريا »^(٤) . ونجد في عهد « شيشنق الثاني » في توارينج الكهنة العظام أن الذهب الجميل قد ذكر مرتين . وفي جبل « برقل » كان أحدث أثر مؤرخ وجد فيه من عهد الأسرة العشرين هو قطعة من تمثال صغير باسم « رعسيس

(١) راجع De Morgan, Cat. des Mon., Vol. I, p. 94, 139

(٢) راجع L. R., III, p. 266

(٣) راجع Br., A. R., Vol. IV, § 714—719

(٤) راجع Ibid, § 724

(٥) راجع Ibid, § 770

التاسع « وثانى أثر عثر عليه عند أهرام « نورى » هو قطعة من آنية من المرمر مكتوبة (١) . . . القائد الأعلى « باشند باست » صادق القول ابن رب الأرضين « شيشنق » « مرى آمون . . . » ويقول « ريزنر » إن هذا الأمير هو بلا نزاع نفس الأمير ابن « شيشنق » الذى كتب عنه « لجران » ، وقد وجد اسمه فى نقش فى الكرنك ومعه اسم الملك « بدوباست الأول » . ويعلق على ذلك « لجران » بقوله إن « باشند باست » يظهر أنه قد حكم فى منطقة « طيبة » تحت سيادة « بدوباست » . وقد كانت مكانته هذه هى التى جعلته كذلك ، وبهذه الصفة أقام بوابة عظيمة من الحجر الرملى بعد أن وجدها آيلة للسقوط ، ويظهر أنها كانت البوابة العاشرة .

ومن الواضح أن « بدوباست » كان ابن « شيشنق الثانى » أو « الثالث » الذى جعله « برستد » خلف « شيشنق الثانى » ، ونستخلص من قطعة الأثر التى وجدت فى خرائب « نورى » أن حاكم إقليم « طيبة » كان يضم بلاد كوش إلى أملاكه . ويظن « ريزنر » أن « باشند باست » كان والد « كشتا » وهو الذى بوساطته ادعى كل من « كشتا » و « بيعنخى » ملك « طيبة » غير أن ذلك لا يرتكز على حقائق مكتوبة .

والواقع أن ما لدينا من آثار عن هذا الموضوع ضئيل ، غير أنه توجد ظروف أخرى تجعل من المعقول استخلاص أن كوش قد بقيت خاضعة لمصر ومنها أن كوش كانت فى هذه الفترة قد وصلت إلى درجة جعلتها ممصرة فى خلال مدة النواب المصريين التى بلغت نحو أربعة قرون ونصف قرن تقريباً . ويقال إن « رعمسيس التاسع » قد وجدت له آثار فى « نباتا » ولم يكن لدى الرعامسة صعوبة فى القبض على زمام الأمور فى كوش إذ كانت بلاد كوش من كل الوجوه جزءاً من مصر .

يضاف إلى ذلك أن كوش كانت تظهر ممصرة كما يدل على ذلك الآثار التي كشف عنها في مقابر ملوك كوش أى في المدة التي من حوالى عام ٧٢٠ ق . م . حتى عام ٥٠٠ ق . م .

وتدل حركة الاستقلال التي قامت بها بلاد كوش في عهد « كشتا » أنها لم تكن إلا جزءاً من حركة عامة بدأت تظهر في مصر كلها حوالى عام ٧٥٠ ق . م . وذلك أن صغار الحكام من اللوبيين في المقاطعات كانوا آخذين في أسباب الاستقلال وكان الجرم الفقير منهم من أصل لوبى . وإذا لم يكن لدينا براهين أخرى فإنه قد يكون من الطبيعى أن نستخلص أن « كشتا » كان أحد هؤلاء الحكام المحليين الذين هم من دم لوبى وكان من نصيبه حكم بلاد كوش ، وقد دلت الآثار على أنه كان يوجد قبله زعيم آخر يحكم كوش كما سيأتى بعد ، وخلافاً لما ذكرنا نلاحظ أن المادة التاريخية الأصلية عن هذا العصر (١١٠٠ — ٧٥٠ ق . م) ضئيلة جداً ، هذا إلى أن عدم وجود نقوش خاصة ببلاد كوش ليس بالأمر الغريب وبخاصة عندما نعلم أن البلاد كانت خاضعة مستكينة للحكم المصرى .

وإذا استخلصنا مما سبق أن حكومة بلاد كوش بوصفها إقليماً تابعاً لمصر كانت مستمرة خلال الأمر من الواحدة والعشرين إلى الثالثة والعشرين فإن السياسة العامة لحكام « طيبة » — سواء أكانت على يد المصريين أم اللوبيين — تبرر الزعم القائل إن ممثل ملك مصر فى كوش كان أحد الأمراء . وكانت الألقاب الرئيسية التى يحملها هؤلاء الأمراء هى الكاهن الأكبر « لآمون رع » والقائد الأول العظيم للجيش . وكان كل واحد من هؤلاء الأمراء بوصفه القائد الأعلى للجيش فى قبضة يده زمام كل القوات فى بلاد كوش ، أما بوصفه الكاهن الأكبر لآمون رع فلا بد أنه كان له علاقة وثيقة بمعابد آمون حتى « نباتا » ، غير أنه لم يوجد لقب خاص يشمل حكومة هذه الأرض ، ومن الممكن بطبيعة الحال أن العمل الهام كان فى ذلك الوقت هو جمع الضرائب التى كانت تحت سلطان إدارات « طيبة » ، وأن البلاد

كانت محكومة بحكام الإقطاع الذين كان معظمهم من المصريين ، وإن الرسل وموظفي الخزانة كانوا يرسلون من وقت لآخر ، وأن النظام كان محفوظاً بوساطة القائد الأعلى للجيش وضباطه .

وعلى أية حال فإن « بيمنخي » بن « حريحور » كان آخر رجل معروف لدينا يحمل لقب « ابن الملك صاحب كوش » وإن كان « جوتييه » يرى أن « أوسركون — عنخ » كان يحمل هذا اللقب بصورة قاطعة ، وأنه ينسب إلى الأسرة الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين ، أى في القرن التاسع أو القرن الثامن قبل الميلاد ، وذلك من نقش حفر على الجزء الأسفل من تمثال محفوظ الآن في المعهد الفرنسي الأثري الشرقي بالقاهرة^(١) ، وقد جاء عليه « الشريف والأمير حامل الحصر » (؟) ابن الملك (ولا يوجد على التمثال عبارة صاحب كوش) المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية ، والمشرف على ضيعة (آمون) . ونلاحظ أن الأستاذ « ريزنر » لم يذكر هذا العظيم في قائمة نواب الفراعنة لكوش بل ذكره في قائمة الأسماء التي فيها شك ، وذلك لأنه لم تذكر معه عبارة « صاحب كوش » صراحة . وعلى أية حال فإن هذا العصر من تاريخ مصر وكوش غير معروف لنا بصورة واضحة ، وعلى ذلك ينبغي علينا أن نكون على حذر في استخلاص نتائجنا ، إذ من المحتمل جداً أن « أوسركون عنخ » كان يقوم بأعباء هذه الوظيفة فعلاً في عهد ملوك « بوسطه » أى أنه كان نائباً للملك على بلاد كوش ، ولذلك يرى « جوتييه » أنه ليس هناك مانع من وضعه في قائمة نواب الفراعنة إلى أن يظهر برهان يدحض ذلك .

(١) راجع Bull-Inst. Française D'Archeol. Orient. T. XII, p. 138

منطقة نفوذ نائب الملك

كانت منطقة الأراضى التى يسيطر عليها نفوذ نائب الملك تختلف باختلاف الأزمان بعض الشيء . وقد ذكر لنا بوضوح امتداد رقعة نفوذه فى نقوش مقبرة « حوى » حيث جاء فيها صراحة : « لقد عهدت إليك بوظيفة نائب الملك فى كوش من أول « نحن » حتى ما بعد « كارى » وسيكون تحت إدارتك من « نحن » إلى ما بعد « نسوت تاوى » (جبل برقل) . ويتفق مع ذلك على ما يظهر نقش « حورمينى » تمامًا . وهذا الأمير صاحب « نحن » كان موكلًا إليه جمع الضرائب فى « واوات » فيقول : « لقد أمضيت سنين عدة أمير بلدة « نحن » وأحضرت جزيتها لرب الأرضين ولقد مدحت على ذلك ولم يؤخذ على شئ . ووصلت إلى سن الشيخوخة فى « واوات » لأنى ملأت قلب سيدى ورحلت بجزية أرض « واوات » منحدرًا فى النهر كل سنة إلى الملك ، وقد ذهبت إلى هناك بوصفى رجلاً أميناً ، ولم أوصف بأنى مذنب فى أخذ فضلة (شئ فائض) » .

ومما يؤسف له أن اللوحة التى جاء عليها هذا النقش ليست مؤرخة ولكن من أسلوب كتابتها واسم صاحبها يمكن أن تؤرخ بأوائل الأسرة الثامنة عشرة . ويسلم « ريزنر » أن هذا الرجل لابد أن يقع تأريخه ما بين عهد « أحس الأول » والسنة السابعة من حكم « أمنحتب الأول » عند ما كان « ثورى » يشغل وظيفة نائب الملك ، ولكن ذلك حدث قبل أن يقوم نائب الملك بالعمل فى وظيفته . وإذا كان « جوتييه » على حق فى أن « ثورى » لم يكن أول من شغل وظيفة نائب الملك بل كان خلفا « لأحس » بن « تائب » الذى لا نعرف عنه شيئًا فإن الأخير لم يشغل بأية حال وظيفة نائب ملك فى عهد « أحس الأول » بل يمكن أن يكون قد نصب فى هذه الوظيفة فى خلال السنين السبع الأولى من حكم « أمنحتب الأول » .

وعلى ذلك فإن نشاط « حورميينى » فى بلاد النوبة السفلى كان قبل ذلك ، ولم يمتد حتى السنة السابعة من حكم « أمنحتب الأول » . على أن ذكر « واوات » وحدها وإغفال ذكر « كوش » يتفق تماماً مع العلاقات السياسية ، لأنه إلى هذا العهد على ما يظهر لم يكن قد فتح فى بلاد النوبة إلا إلى منطقة الشلال الثانى ، وإذا كان ينبغى علينا أن نسلم بأن منصب « حورميينى » فى بلاد النوبة السفلى كان بمثابة نوع من النيابة فإنه لا ينتج من ذلك بلا شك أن رقعة نفوذه كانت تمتد كما يقول « ريزنر »^(١) وكذلك « إدوارد مير »^(٢) من أول الشلال الثانى حتى « نحن » ، بل يظهر أنها كانت تمتد إلى أكثر من ذلك ، إذ أن نفوذه حسب نص المتن كان يمتد إلى ما بعد بلاد النوبة وذلك لأنه وصف نشاطه فى « نحن » ثم أعقب ذلك وصف نشاطه فى بلاد النوبة السفلى على حدة .

وليس لدينا مصادر عن تحديد امتداد الرقعة التى كان يحكمها نائب كوش حتى عهد « توت عنخ آمون » . فقبل حياة نائب كوش « حوى » كانت أقصى حدود المقاطعات المصرية الجنوبية متصلة بأراضى الحكومة النوبية .

ولدينا نقش مهشم فى معبد « سمئة » لنائب الملك « نحي » الذى كان سلطانه يمتد إلى ما بعد « نحن » على ما يظهر ، وإذا كانت الفجوات الناقصة التى ملأها الأستاذ « زيتيه » صحيحة فى هذا النقش فإن ترجمته تكون كما يأتى^(٣) : « ولفته أخرى طيبة من الملك نحوى : أن هذا الملك الطيب قد نصب محبوبه ابن ملك ومشرفاً على البلاد الجنوبية حتى نهاية الجنوب لهذه الأرض مبتدئاً من « نحن » ليحضر أتاوتها كل سنة » ، غير أن المتن مهشم جداً لدرجة أن التصحيح الذى عمله « زيتيه » لا يمكن الأخذ به بصفة مؤكدة ، هذا على الرغم من صعوبة إيجاد حل آخر . ومع ذلك فإنه لدينا بعض اعتراضات على رأى القائل بأن رقعة النفوذ الإدارى كانت

(١) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 78

(٢) راجع Ed. Meyer, Alt. II, 1, p. 8 (Anm. I)

(٣) راجع Urk., IV, 988

تمتد فعلا من أول الأمر حتى « نحن » ، إذ نجد في مقبرة « رخ مى رع » ^(١) نقشا يبين لنا أن العمد والموظفين الآخرين في الوجه القبلى من أول « الفتين » وحصن « بيجه » كانوا يوردون للوزير أتاواتهم لأنهم كانوا تابعين للأقليم الذى يسيطر عليه ، ولكن « رخ مى رع » لم يكن وزيراً للملك « تحتمس الثالث » قبل العام الثامن والعشرين من حكمه ، والظاهر أن الإتاوة الخاصة بنقوش « نعى » كانت خاصة بالعهد الذى كان فيه سلطانه ممتداً على بلاد النوبة عندما كان نائب الملك ، وذلك على أكثر تقدير في العام الثالث والعشرين من حكم هذا الفرعون ، وعلى ذلك فإن هذين المتنين كما أصلحهما « زيتة » لا يتفقان معا . والواقع أن هذا البرهان لا يدل إلا على أول امتداد جاء متأخراً لسلطان نائب الملك ، فقد كان المقصود منه أن تمتد سلطة ابن الملك صاحب كوش حتى « نحن » ، كما أكد ذلك الأستاذ « كيس » لأجل أن تكون المناجم الذهب تحت إدارة نائب الملك ، وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المناجم في عهد « تحتمس الأول » لم تكن تحت إدارة نائب الملك بل كانت تحت سلطان « باحيرى » الأمير الذى كان مسيطراً على جزء من البلاد من أول الكاب حتى « اسنا » فكانت إدارته تمتد من « الكاب » حتى « اسنا » و « الجبلين » ^(٢) . وفضلاً عن ذلك كان يلقب هذا النائب المشرف على حقول مصر العليا ، ونجد في قبره منظراً يتسلم فيه الذهب من رؤساء أهل الجبل وهو الذهب الذى كان يستخرج من الجهات الواقعة شرق « أدفو » ^(٣) .

ولا نعلم إذا كان ابن الملك صاحب « نخب » ^(٤) له نفس السلطان الذى كان للعظيم « باحيرى » لأن النقوش التى فى متناولنا لا تسمح لنا بالفصل فى هذا الموضوع .

(١) راجع Urk., IV, 1120 ff

(٢) راجع Kulturgesh, p. 340

(٣) راجع A.Z., 63, 153 f.

(٤) راجع Urk., IV, 125 f.

(٥) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ١٥٢

وكان أول ظهور لقب المشرف على أرض الذهب لآمون قبل عهد « تحتمس الرابع » ، وقد حمله في عهد خلفه « أمنحتب الثالث » نائب الملك وهذا ما يؤكد قيامه بإدارة مناجم الذهب ، وهو ما يتفق مع رأى القائل بأنه ضم إلى نفوذه المناجم التى كانت شرقى « أدفو » . هذا ولا نجد قبل عهد « أمنحتب الثالث » — بصرف النظر عن نقوش المقابر فى « طيبة » ونقوش جنازية أخرى لا تمت بأى نشاط إلى هذه الوظيفة — أى أثر لنائب ملك شمالى « أسوان » . ونجد فيما بعد فى « وادى مياه » (الرديسية) نقشا لنائب الملك « مرسى موسى » فى عهد « أمنحتب الثالث » وكذلك لوحة نائب الملك « إيونى » فى عهد « سيتى الأول » و « رعمسيس الثانى » ؛ وفضلا عن ذلك وجد فى « الكاب » قطعة من تمثال لنائبى الملك « حوى » و « ستاو »^(١) كما وجد للأخير نقش فى « الكاب »^(٢) أيضا ، وكذلك قطعة عليها نقش لنائب ملك اسمه ضاع ، ولكن لا يمكن مما جاء فى نقوشه^(٣) (ابن الملك صاحب كوش) أن نضعه قبل « أمنحتب الثالث » لأن هذا اللقب لم يظهر قبل عهد هذا الفرعون .

وكل هذه المصادر تدل على أن منطقة نفوذ نائب الملك فى عهد « أمنحتب الثالث » وكذلك فى عهد الرعامسة كانت تمتد حتى « نخن » ، غير أنه لا يمكن أن نعرف إلى أى زمن استمرت هذه الحالة على وجه التأكيد ، ويتوقف ذلك قبل كل شئ على قراءة نقش النائب « نعى » ، وإذا ألقينا ظهريا التصحيحات التى عملها الأستاذ « زيته » التى ذكرناها فيما سلف فإنه يكون من المسلم به أن دائرة نفوذ نائب الملك فى الوقت الذى يقع بين حكم « تحتمس الثالث » و « توت عنخ آمون » ومن المحتمل منذ عهد « أمنحتب الثالث » كانت تمتد إلى ما بعد « نخن » وهذا ما يتفق تمام الاتفاق مع الكشف الأخرى . ومن جهة ثانية نجد أن المناظر التى فى مقبرتى « رخ مى رع » و « باحيرى » صعبة التفسير ، يضاف إلى ذلك ما حدث من أن

(١) راجع L. D., Texte IV, p. 42

(٢) راجع L. D., Texte IV, p. 38

(٣) راجع A.S. 37 p. 7; Chronique D'Egypte, 12, 138; Comp. Reisner, J.E.A., Vol. 6, p. 78

سلطان نائب الملك لم يكن قبل عهد « أمنحتب الثالث » يمتد إلى ما بعد « نخن » حسب نقوش مدونة ومن المحتمل أن ذلك جاء عن طريق الصدفة .

ولقد كان نائب الملك بوصفه أعلى موظف هو المسئول قبل كل فرد عن توريد جزية إقليم النوبة ، تلك الجزية التي كان يتوقف عليها عظمة الفرعون و سلطانه ، إذ كانت تعد أكبر مصدر هام لمصر . ولا نزاع في أن هذه الأتاوة كانت تتطلب إدارة فنية حازمة من النائب ، ومع ذلك فإننا لم نجد من بين كل النواب الذين عينهم الفراعنة في هذا المنصب الخطير من كان صاحب قدرة خاصة في الإدارة ، فقد وجدنا كثيراً منهم كان يشغل قبل أن يتولى هذا المنصب وظيفة مدير الاضطبل الملكي أو سائقا أول لعربة الفرعون أو فارسا مثل « مري موسى » الذي شغل وظيفة نائب الملك في عهد الفرعون « أمنحتب الثالث » . ومثل النائب « بانحسي » فيما بعد وهو الذي على ما يظن كان يدير شئون جيشه^(١) .

وتدل شواهد الأحوال على أن نائب الملك كان ينتخب من دائرة المقربين لدى الفرعون ، وذلك ليوثقوا العلاقة بين بلاد النوبة وبين بيت الملك ، وكذلك ليكون الملك على ثقة من أن الموظفين النوبيين مخلصون . هذا ولم يكن لكل نائب ملك مجال حياة مرسوم ، بل كان الملك ينتخب النائب على حسب قدرته ومعرفته للوظيفة التي كان ينتخب لشغلها . فمن الجائز كما يظهر أن كل موظف كبير يبرهن على أنه أقدر من غيره في جمع الضرائب كان ينتخب لشغل وظيفة نائب الملك العالية . وتدل ظواهر الأمور على أنه كان حراً في وظيفته وليس مسئولاً أمام أحد غير الملك ، وإذا كانت جزية بلاد النوبة تورد إلى مصر نفسها أحيانا بوساطة موظف آخر ويشرف عليها فإن ذلك كان لا يعنى بآية حال من الأحوال أن نائب الملك كان تحت إدارة هذا الموظف أو أنه مسئول أمامه .

(١) راجع Save, p. 181 n. 4

والواقع أن النائب كان مسئولاً أمام الفرعون عن إحضار الجزية شخصياً .
وتدل النقوش على أن هذه الجزية كانت تقدم أمام الفرعون في أغلب الأحيان
باحتراف كما يفهم ذلك من المناظر التي عثر عليها خاصة بذلك ، فقد كانت الأتاة
تكس أكواما أمام الفرعون الجالس على عرشه ويشاهد نائب الفرعون الذي
أحضرها واقفاً على رأس الموظفين والأهالي الذين يحملون إتاوات أخرى^(١) ، وكانت
الجزية بعد ذلك تسلم للموظفين المختصين في مصر بذلك مثل مدير الخزانة أو إلى
موظف آخر من رجال القصر الملكي . ويلحظ بهذه المناسبة أن أمثال هؤلاء الموظفين
كانوا بطبيعة الحال لا يرسمون في مقابرهم إلا الدور الذي يقومون به وهم في خدمة
نائب الملك وحسب .

وكان يسيطر نائب الملك على طائفة كبيرة من الموظفين يستطيع بمعونتهم تأدية
أعماله وواجباته وأهم واحد بين هؤلاء الموظفين هو قائد جيش الرماة لكوش ، وهو
الذي كان على رأس الجنود الذين في خدمة نائب الملك ، هذا بالإضافة إلى وكيلين
لنائب يقوم واحد منهما على إدارة بلاد « واوات » والآخر على إدارة بلاد كوش . وكان
إقليم « واوات » وقتئذ يمتد من « أسوان » حتى الشلال الثاني والإقليم الثاني يمتد من
الشلال الثاني حتى الشلال الرابع تقريباً . على أن التزامات كل موظف من هؤلاء بالنسبة
للآخرين وتحديد نفوذه تماماً يصعب معرفتها ، إذ لم تكن علاقة الموظفين بعضهم ببعض
في بلاد النوبة كما نجدها في البلاد المصرية^(٢) . ويمكن توضيح ذلك من منظر توريد جزية
نوبية يوردها « حوى » نائب الفرعون « توت عنخ آمون » ، فلم نجد مثلاً كاتب
الذهب وحده بل وجد رئيس اصطبل ، ولم يكن من المنتظر أن نجد الأخير في مثل
هذا المنظر^(٣) . وفضلاً عن ثلاثة الموظفين الكبار الذين ذكرناهم هنا يوجد عدد عظيم
من صغار الموظفين . وتدل شواهد الأحوال على أن الإدارة كانت في تكوينها

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٨

(٢) راجع Kees, Kulturgesch., 208 ff.

(٣) راجع Davies, The Tomb of Huy, Pl. 16 f.

كالإدارة المصرية نفسها في تلك الفترة . وقد جمع الأستاذ « ريزنر » قائمة بأسماء هؤلاء الموظفين وأضاف عليها « جوتييه » بعض أسماء كما ورد كذلك بعض أسماء في كتاب « عنييه » الجزء الثاني الذي وضعه الأستاذ « ستيندورف » . وعلى الرغم من أن هذه القوائم ليست كاملة فإنها تقدم لنا صورة عن نظام هذا الحكم المركب^(١) ويعتقد الأستاذ « ريزنر » أن طائفة الموظفين الذين كان في أيديهم إدارة بلاد كوش كانوا في تكوينهم كأولئك الذين كانوا يقومون بالإدارة في الحكومة المصرية نفسها . والواقع أن الإنسان لا يرى لأول وهلة أى اعتراض على هذا الرأى وقد ذكرنا من بين هؤلاء الموظفين الوكيلين للنائب ورئيس الرماة لكوش أو بعبارة أخرى المشرف على رماة كوش . وقد وضع « ريزنر » قائمة بأسماء ثلاثة عشر شخصا عرفوا بأنهم كانوا يحملون هذا اللقب ولم نجد واحداً منهم قد رقى إلى مرتبة نائب كوش ، والواقع أن حامل هذا اللقب كان قائداً للقوات الحربية التي كانت تحت تصرف نائب الملك لأجل حفظ النظام في كوش ، ويجب أن نشير هنا إلى أن كل المشرفين على الرماة لم يكونوا حتماً في خدمة بلاد كوش بل كان نفس اللقب على ما يظهر يوجد في مصر^(٢) . والألقاب الأخرى هي :

(١) الخادم (السامع للنداء) ابن الملك صاحب كوش : أى الذى يسمع ليجيب نداءات أى أوامر ابن الملك صاحب كوش . وهذا اللقب يتصل بالألقاب العدة التي تنعت بالسامعين^(٣) ، وليس هناك ما يدعو لجعله موحداً كما يقول « ريزنر » باللقب « خادم سيد الأرضين (الفروعون) » ، ومن المحتمل أن لقب « الخادم (السامع للنداء) » كان يستعمل للأحياء كما كان يستعمل للروح بعد الموت (؟) .

(١) راجع Reisner, Ibid, p. 86 f; Gauth., Rec. Trav., 39, 232 ff; Aniba II. p. 248

(٢) راجع Rec. Trav., 40, p. 232

(٣) راجع Bull. Instit, T. XIII, p. 164—7

(٢) سائق عربة ابن الملك : ورد هذا اللقب غير أن اسم حامله ليس معروفا ولذلك فإنه من الصعب تحديد معنى عبارة « ابن الملك » هنا . هل هو صاحب كوش أو ابن الملك وحسب ولذلك فإن هذا اللقب قد وضع هنا بتحفظ شديد .

(٣) المشرف على مجد في نائب الملك .

(٤) كاتب نائب الملك (كاتم السر) : وبمناسبة هذا اللقب يطيب لنا هنا أن نلاحظ أنه بعد انقضاء عهد نواب الملك المصريين لكوش عند ما نالت البلاد استقلالها التام تحت حكم الملوك الوطنيين في « نباتا » أولا ثم في « مروى » فيما بعد يظهر أنه كان قد حل محله لقب آخر وهو « رئيس الكتبة لملك كوش^(١) » أو مجرد لقب الكاتب الملكي لكوش .

(٥) كاتب حساب الذهب لنائب الملك : وقد كان مكلفاً بجمع وتسجيل كل كميات المعدن النفيس الذي كان ينبغي أن يرسل إلى « طيبة » بصفة جزية على يد نائب الملك .

(٦) كاتب جنود ابن الملك .

(٧) كاتب مخزن غلال ابن الملك .

والواقع أن هذين اللقبين الأخيرين لم يتبعيا بعارة ابن الملك في النقوش الأصلية ولكن شواهد الأحوال تدل على أنهما كانا تابعين له .

(٨) كاتب المراسلات لابن الملك « مري موسى » : وهذا اللقب كان يحمله شخصان معاصران وهما « أمنأبت^(٢) » و « حوى » (وهو الذي بدوره أصبح

(١) راجع في معبد « الدكة » Thesaurus, p. 1023 & 1030

(٢) راجع L.D., Texte. V, p. 115

فما بعد نائب الملك) ، وهو يعادل في الإدارة المصرية كاتب المراسلات للفرعون^(١) ، وكان يحمله مثلا « ستي » قبل أن يصير نائب الملك لكوش .

(٩) مندوب ابن الملك ؟ ؟

(١٠) المشرف على أعمال . . . للملك : هذا اللقب الذى يحمله شخص يدعى « أمنمات » وجد غير كامل^(٢) .

(١١) المشرف على الحيوان : هذا اللقب قد ذكر في مقبرة « حوى »^(٣) وحامله شخص ينبغي أن تكون مهمته مشابهة لكاتب حساب الذهب السالف الذكر ، وذلك لأنه كان موكلا بجمع كمية الحيوان اللازمة سنويا من أهالى كوش للفرعون وأن يسهر على توريدها فعلا في الوقت المحدد للموظفين المصريين .

(١٢) كاتب مائدة كوش : وهذا اللقب يقابل في كوش المستقلة كاتب الملك لمائدة سيد الأرضين (الفرعون) في مصر . وهذا الموظف على ما يظهر كان مكلفا بتوريد الأشياء اللازمة لمائدة الإله أو الملك أو نائب الملك أو حاكم الاقطاع^(٤) .

(١٣) المشرف على مدن كوش : ومن المحتمل أن الموظف الذى كان يحمل هذا اللقب كان بمثابة مدير البلديات الكبيرة في كوش وكان متصلا بالادارة المركزية .

(١٤) المشرف على كهنة كل الآلهة : هذا اللقب ليس له حتما علاقة ببلاد كوش إذا كان مصدرنا الوحيد هو لوحة « وادى السبوع » ، ولكن يظهر أنه توجد لوحة أخرى يدل ما جاء فيها على أن هذا اللقب خاص بنائب كوش^(٥) .

(١) راجع A.S., X, p. 132

(٢) راجع L.D., Texte, V, p. 115

(٣) راجع Thesaurus, p. 1137, 1140

(٤) راجع Rec. Trav., T. 39, p. 234

(٥) راجع Gauth., Ibid, p. 234

(١٥) كاتب القربان لكل الآلهة : وهذا اللقب كسابقه من الألقاب الدينية .

(١٦) كاتب المسالية لرب الأرضين في « تاستي » (النوبة) .

(١٧) الحاكم (الرئيسى) .

(١٨) رئيس مركز .

(١٩) قائد الجبل : هذا اللقب يدل على وظيفة من طراز حربى . وحامل هذا اللقب كان موكلًا به حراسة الأمن فى الأقاليم الصحراوية ، وكذلك كان عليه أن يحمى المدن والحقول التى فى الوادى من الغارات التى كانت تقوم بها قبائل البدو المغيرة الذين يحولون فى الصحارى المجاورة . وقد كانت تقام محاط صغيرة فى هذه الصحارى لردع هذه القبائل . وكان القائد مكلفا الإشراف على واحدة أو أكثر من هذه المحاط ، ونحن نعلم أن « ثورى » الذى كان ثانى من تقلد منصب نائب الملك كان يحمل لقب « قائد المكان الحربى » « بهين » وهى بلدة « وادى حلفا » الحالية تقريباً .

ونلاحظ أنه من بين هذه الألقاب التى جمعها « ريزنر » عن إدارة بلاد كوش بعض الألقاب على ما يظن لا تمت بسبب لهذه الإدارة وفى آن واحد نجد أن بعض الألقاب التى لها علاقة مباشرة بحكومة كوش تركت ولم يذكرها « ريزنر » منها :

(١) التابع لمعام (عنيفة) وهو لقب غامض (ويحتمل أنه يعنى الملحق ببلدة « معام ») .

(٢) المشرف على الخزانة المزدوجة لرب الأرضين فى « معام »^(١) .

(٣) وقد وجد في بلاد النوبة موظفون من طراز حربى يحملون لقب قواد ؟
« تاستى » (النوبة) .

(٤) وجد في بردية رقم ٨٥٣٢ بمتحف « برلين »^(١) خطاب لرئيس الرماة المسمى « شدى خنسو » لفرد يحمل لقب « فلاح كوش » أى جندى من عساكر كوش وهو مجند مرتزق كوشى . وهذا اللقب يعنى على حسب رأى « سبيجلبرج » فلاحاً بسيطاً يقوم بفلاحة الأرض في مسقط رأسه في وقت السلم ولا يمكن أن يقبل جندياً إلا في ظروف خاصة أى عند قيام حرب أو ثورة في البلاد .

وعلى أية حال فإن البردية من عصر متأخر عندما كانت وظيفة نائب كوش لا وجود لها .

والواقع أن حالة هؤلاء الموظفين كانت هى نفس حالة الموظفين المصريين العاديين في عهد الرعامسة . وكانت الأحوال في السودان بسبب ذلك معقدة حتى أنه عندما كان الفرعون يريد أمراً معلوماً أرسل له رجلاً مجهزةً بسلطات خاصة منعاً من الاحتكاك بولاية الأمور هناك ، وكان على الفرعون أن يزود رسوله بخطاب من عنده لنائب الملك ليتعاون مع رسوله في قضاء ما جاء لأجله . ولدينا مثال على ذلك وهو ما حدث في عهد الملك « رعمسيس التاسع » عندما أرسل خطاباً لنائب الملك « بانحسى » ليتعاون مع رسوله في المأمرية التى كلف بها^(٢) .

وكان معظم هؤلاء الموظفين الذين يعملون في بلاد النوبة من المصريين ، ولكن كان بينهم نوبيون متمصرون ، وذلك على الرغم من أنهم قد تسموا بأسماء مصرية ، وكان لا يمكن التفرقة بينهم وبين المصريين الحقيقيين ولدينا أمير من « معام »

(١) راجع A Z, III, p. 108—9

(٢) راجع Plyete—Rosse, Papryus de Turin, Pl. 66 f.; Moller, Hierat. وكذلك راجع مصر

القديمة الجزء الثامن ص ٥٥١ ff, 595 Lesestucke, III, b. Br., A.R., IV, §

(١) يدعى « حقا — نفر » . ومع ذلك فإن موظفاً في « بهين » يدعى « امنمحات » يقول صراحة إنه ابن الأمير صاحب « تحخت رسو »^(٢) وأخوه هو كاتب الملك « تحوتحتب » في « سره » . وأرض « تحخت » قد ذكرت في نقش ، ومن المحتمل أنها تقع في هذه الجهة^(٣) . وهذا الاسم وجد مرة أخرى في لوحة في « الفنتين »^(٤) .

وبجانب نظام الوظائف هذا كان يقوم الأمراء النوبيون الذين يوجدون في بقاع مختلفة بتمثيل دورهم^(٥) ، فمثلاً نجد في عهد الملك « توت عنخ آمون » كيف أن أمير « معام » (عنية) والأمراء الآخرين من « واوات » يظهرون على رأس أتباعهم في البلاط الفرعوني عند تقديم الجزية ، وكذلك في مقبرة « أى — مى — سبا » الذى عاش في عهد الفرعون « رمسيس التاسع » نجد صورة مماثلة مما يدل بلا نزاع على أن مقبرة « أى — مى — سبا » مغتصبة ، وأن مناظر هذا القبر لابد أن تنسب إلى عصر قبل الذى نسبت إليه^(٦) . وكذلك نجد أن هؤلاء الأمراء يذكرون كثيراً في النقوش في عهد « الرعامسة » ، غير أن ذلك لابد أن يعد من باب التقليد^(٧) ، وبخاصة في عهد « رمسيس الثالث »^(٨) . ولا نعرف عن الدور الذى كان يلعبه هؤلاء الأمراء النوبيون إلا القليل ، وقد رأينا من قبل أن « تحتمس الأول » قسم بلاد النوبة خمسة أقسام ووضع على رأس كل قسم منها أميراً نوبياً . ومن ثم نرى أن المصرى كان يجرى وراء الإبقاء على هذه العلاقة . فكان الأمير الذى يظهر الولاء للفرعون يبقى على ما يظهر في وظيفته على شرط أن يقدم ما عليه من جزية ، وكانوا بطبيعة الحال

(١) راجع Junker, Ermenne, p. 37

(٢) راجع Buhen, p. 110 comp. 109, 112

(٣) راجع L.A.A.A., 8, Pl. XXIX, 4, & p. 100

(٤) راجع Dic. Geog. II, 28

(٥) راجع Junker Ermenne, p. 100

(٦) راجع Porter & Moss, I, p. 94

(٧) راجع في عهد « رمسيس الثانى » مثلاً Wresz., Atlas, II, 180

(٨) راجع L.D., III, p. 209 a

تحت سلطان ابن الملك صاحب كوش ونائبه فيراقبونهم مراقبة حازمة . وقد كان كل أمير منهم يسعى للحصول على استقلاله السياسى بصيحه القهر والكبت ، ويناله الضيم والعسف . ومع ذلك فإن هؤلاء الأمراء كان لا يزال في أيديهم بعض نفوذ سياسى معلوم ، وهم الذين كانوا يعدون القوة المخيرة التى تقوم بالثورات في بلاد النوبة وكان لهم أحيانا اتصال بقبائل النوبة الأحرار .

وقد جاء في قائمة جزية « سوريا » في تواريخ « تحتمس^(١) الثالث » ما يأتى : « وقد أحضر أولاد الأمير وإخوته ليكونوا في الحصن في مصر ، وعند ما كان يموت أمير من هؤلاء كان جلالته يجعل ابنه يأخذ مكانه » . وفي عهد « رمسيس الثالث » قيل إن اللوبيين قد سيقوا إلى مصر ووضعوا في حصون وبذلك سمعوا لغة الناس (أى المصريين) من أتباع الملك وكان هذا سببا في أن تختفى لغتهم وعلى ذلك نسوا لسانهم^(٢) . وعلى الرغم من أن المثال الأخير لا يعنى أولاد الأمراء فإن المصدرين في جملةهما يبرهنان بوضوح على أن الغرض من نقل أولاد الأمراء هو أن يكونوا بمثابة رهينة في مصر وأن يُربوا تربية مصرية ليكونوا تابعين للفرعون في بلادهم .

ونجد مثل هذا في بلاد النوبة إذ كثيرا ما يذكر أن أولاد أمراء النوبيين قد سيقوا إلى مصر ، مثال ذلك ما جاء في مقبرة « رخ — مى — رع »^(٣) وغيرها فنجد بالضبط هناك نوبيين قد وضعوا في الحصون^(٤) وكانوا كذلك ينشئون في البلاط كما يدل على ذلك لقب أمير من معام يدعى « حقا — نفر » فقد نعت على نقش صخرى في « توشكى » صانع أحذية الملك والغلام (أى المملوك) وهو موحد بالأمير صاحب معام الذى يحمل نفس الاسم ، وهو الذى ظهر في مقبرة « حوى » في منظر توريد

(١) راجع Urk., IV, 690

(٢) راجع L.D., III, 218 c comp. Grapow, Abb. Ak. Wiss, 1940 phil. hist Kl, Nr., 12, p. 49

(٣) راجع Wresz., I, 335—7 ; Urk., IV, 1102 ; Ibid IV, 708 etc.

(٤) راجع Baninschrift., Amenophis, III, p. 28 f ; Rec. Trav., 20, 43 ; Petrie, Six Temples

Pl. I ; A.Z., 36, 84 ; 37, 39 f

(٥) راجع Weigall, Report, p. 126

الجزية بوصفه نوبياً^(١) . وهؤلاء الغلمان (المماليك) كانوا ينشئون مع الأمراء ، وكانوا يحملون هذا اللقب وهم كبار في السن ، وحتى عند ما يكون الواحد منهم متقدماً أعلی وظيفة في الدولة فتلاً كان يسمى « ومرسات » نائب الملك دائماً باسم الغلام أو المملوك ، والظاهر أنه كان نوبي المنبت ولكنه قد تولى عملاً من أعظم الأعمال في الدولة . وتدل تنشئة أولاد الأمراء في البلاط مع رؤسائهم في المستقبل على أن المصري لم يكن مسلكه في بلاد النوبة مسلك سياسة السلب والنهب بل كان يعيش معهم هيشة سلام ووثام . ولم يحاول المصري قط أن يفنى النوبي ويقضي عليه ، إذ لم نجد أبداً أنه أبعد أمرة أمراء وطنيين ، وقد كان ذلك من الأمور التي يسهل على المصري إتيانها .

(١) راجع ، Davies, The Tomb of Huy, p. 213 Pl. 27, Wress., Atlas, I, 100 ; Reisner, J.E.A., 6, p. 87 & Aniba, II, p. 250 f.

العلاقات بين مصر وكوش

في عهد الدولة الحديثة

لا نزاع في أنه كان من نتائج ضم بلاد النوبة ثانية وتنظيمها من جديد على حسب الأنظمة المصرية من حيث الحكم والادارة هجرة كثير من المصريين إلى الأقاليم النوبية . وذلك لأنه كان لا بد أن يكون الموظفون الأول الذين عليهم أن يدربوا أهل تلك البلاد على طريقة الإدارة المصرية من المصريين المدربين على النظم الإدارية في مصر . ويوضح صحة تفضيل الموظفين المدربين على غيرهم في أن جمع الضرائب وكذلك المهام الإدارية الأخرى في بلاد النوبة السفلى قبل إنشاء وظيفة نائب الملك كانت قد أسندت إلى أمير « الكاب » المسمى « حور ميني » وهو الذي نقل بهذا السبب على ما يظهر إلى بلاد النوبة السفلى ، ومما يلفت النظر كذلك أنه قد دفن على ما يظهر في موطنه الأصلي بمصر^(١) ، وكان يوجد حتما بجانب موظفي الإدارة الذين كانوا في الوقت نفسه كهنة ، عدد عظيم من الضباط والجنود اللازمين للحاميات ، وكان معظم هؤلاء في بادئ الأمر من المصريين الذين يرسلون إلى بلاد النوبة وقد رفض الأستاذ « ينكر » بحق النظرية التي وضعها كل من « ريزنر » و « فرث » وهي القائلة إنه في عهد الهكسوس فعلا ، وكذلك بعد فتح البلاد ثانية قد حدثت غزوة من المصريين لبلاد النوبة السفلى فغمرتها بالمصريين ، وكان من جرائها أن احتلت البلاد وقضى على مجموعة C . وعندما أصبحت الإدارة تسير نحو التمهيد أكثر فأكثر على مر الأيام ، وأصبح الأمراء الوطنيون لا وجود لهم قد صار من غير الضروري نتيجة لذلك عمل أى تغيير في السكان ، وضاية ما في الأمر أن عدد الجنود المصريين والموظفين والكهنة قد كثر ، وهؤلاء هم الذين كانوا قد سكنوا البلاد وأقاموا فيها مستعمرات لأقاربهم كما دلت على ذلك الحفائر التي قام بها « ستيندورف » في « عنيبة »^(٢)

(١) راجع Urk., IV, 76

(٢) راجع Ermenne, p. 37 ff

غير أن هذه المؤسسات على ما يظن كانت منحصرة في مراكز الإدارة الحكومية في حين أن القرى والمساكن الأخرى كان يقطنها النوبيون الأصليون .

هذا وقد أظهر كذلك الأستاذ « ستيندورف »^(١) ما أكد « ينكر » أنه على ما يظهر قد دفن كثير من النوبيين المتمصرين كذلك في جبالات الدولة الحديثة مع المصريين في « عنيبة » و « بهين » اللتين تعدان مركزين حكوميين والواقع أننا نعلم أن الأهالي النوبيين كانوا يعملون بوصفهم موظفين مصريين ، ولكن لا تزال الدرجة التي وصلوا إليها في تمصرهم هذا مبهمة .

وقد رأينا من قبل أن تمصير النوبيين قد خطا خطوات واسعة في العهد المتوسط الثانى تقريبا ، وعلى ذلك فإن هذا النمو في التمصير الذى نراه في عهد الدولة الحديثة لم يكن إلا خطوة إلى الأمام في الطريق التى شقت من قبل . وقد كان هذا التقدم في الثقافة المصرية الذى نتج عن ذوق الأهالي في العهد المتوسط الثانى دون التسليم بنحدوث هجرة مصرية ظاهرا مما يجعلنا نعتقد في عدم انتقال عدد عظيم من المستعمرين المصريين في عهد الدولة الحديثة إلى بلاد النوبة وبخاصة أنه كان لزاما على الطبقة العليا من الموظفين الذين كان عددهم عظيما أن يسيروا بسرعة نحو التمصير ، وأخيراً نجد أن فكرة إعادة فتح أعمال تجيم الذهب وقد جلبت جمعا غفيرا من المستعمرين ، كان من الصعب ربطها مع أحوال العمل . والواقع أنه لدينا كل الأسباب للتسليم بأن استخراج الذهب من الصحراء الواقعة شرقي بلاد النوبة كان احتكارا حكوميا ، وعلى ذلك فإن استخراج الأهالي للذهب في هذه الجهة كان أمرا محظورا قطعاً : حقا تنقصنا المصادر المصرية عن استخراج الحكومة للذهب في جبال « وادى العلاقى » ، ولكن إذا كنا في شك من هذا فيجب علينا إذا أن نتطلب من باب أولى مصادر أكيدة لكل بيان نظام الحكومة المصرية لمعارضة ذلك . والظاهر أنه قيل عن

(١) راجع Aniba, II, p. 39

أعمال مناجم الذهب الواقعة شرق « أدفو » في ققوش « الرديسية » أن استخراج الذهب كان مصرحاً به للحكومة أو للمعابد^(١).

وقد وصفت لنا وعورة الوصول إلى البقعة التي فيها مناجم الذهب وما كان يلاقيه الناس الذين كانوا يكلفون العمل في هذه المناجم في لوحة « كويان » كما يأتي^(٢) : « أما إقليم « أكيتا » فقد قال عنه ابن الملك صاحب كوش أمام جلالته : « إنه كان ينقصه الماء بهذه الكيفية فقد ماتوا (رواده) عطشا فيه وكل ملك قبلك رغب في فتح بئر هناك لم يصب نجاحاً ، وقد حاول ذلك الملك « من ماعت رع » (سيتي الأول) وأمر بحفر بئر عمقها عشرون ومائة ذراع ولكنها نبذت على الطريق ، لأن الماء لم ينبع فيها » .

ومما له أهمية بالغة في هذه المناسبة صيغة اليمين التي تجدها في نقش « مس » الذي أقسم به الرجال فيقول الواحد : « إذا كذبت فلتقطع أنفى وأذناى وأقنى أنا إلى بلاد كوش^(٣) » ، وكانت النسوة تعقدن اليمين هكذا : « إذا كذبت فليلق بها في مكان بين الخدم خلف البيت الذي كانت فيه ذات يوم سيده^(٤) » . وهذه الموازنة تدل صراحة على أن المنفيين من البلاد كانوا يرسلون عبيداً إلى بلاد النوبة ويعاملون معاملة المجرمين حيث يقومون بالأعمال الشاقة ويؤيد كره المصري أحياناً لبلاد النوبة أن المصريين الذين كانوا يشغلون وظائف عالية حتى بعد تمصير بلاد النوبة تمصيراً تاماً كانوا لا يدفنون إلا في مصر ، وعلى ذلك نجد أن كل نواب الملك في كوش قد دفنوا في مصر على الرغم من أنهم كانوا حكام السودان ، وحتى نجد قبر « حورى الثانى » كان في « بوبسطة » على الرغم من أن « حورى الأول » والده كان نائب ملك ، أى أن

(١) راجع L. D., III, 140 c. L. 2 f

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٢٣

(٣) راجع Gardiner, The Inscription of Mes, Nr. 22 N, 28 ; Untersuchungen, IV, 3

(٤) راجع Gardiner. Ibid. p. 22

« حورى الثانى » قد أمضى مدة طويلة من حياته فى بلاد النوبة حتى كاد يصبح من أهلها ، ومع ذلك دفن فى مصر . ولدينا « أوستراكون » من عهد الرعامسة يتحدثنا عن فرد يندب حظه لوجوده فى بلاد كوش مما يؤكد رغبة كل مصرى فى الدفن فى مصر . على أن ذلك لا يعنى أن المصرى كان يكره السودان بل الواقع أنه كان يحب أن يكون دائماً فى بلاده ويدفن فيها ولا يريد الاغتراب فى أى بلدة .

وعلى أية حال فإن الظواهر الأثرية لا تقدم لنا فرقاً بين النوبى والمصرى ، وعلى ذلك فإنه ليس لدينا برهان محس على قيام هجرة مصرية . ومن ثم لا نكون قد حدثنا عن جادة الصواب إذا قلنا إنه قد حدث انتقال مصريين إلى بلاد النوبة مثل الموظفين وغيرهم ، وقد كان ذلك من الضرورات التى حتمتها الأحوال السياسية ، وذلك مثل استيراد عدد عظيم من الأيدى العاملة الأجنبية إلى مصر مما يبرهن بوضوح على أنه كان فى تلك البلاد الأجنبية ازدياد فى عدد السكان

وقد كان من الضرورى لاحتلال بلاد كوش احتلالاً عسكرياً أن تقام فيها الحصون والأماكن المحصنة التى كانت تلعب دوراً هاماً . وفى بلاد النوبة السفلى أعيد استعمال حصون الدولة الوسطى ، وقد كان من الضرورى إعادة إصلاح كثير منها وإن كانت الجدران الخارجية فى غالب الأحيان يمكن الإفادة منها ، ونذكر من الحصون القديمة « الفنتين » و « بيجه » اللذين جاء ذكرهما فى مقبرة « رخ — مى — رع »^(١) وقد جاء فى ورقة شكوى من عهد « رعسيس الخامس » أن كاهناً لاله « خنوم » فى « الفنتين » قد باع بدون حق عجل « أبيس » إلى رجل من المزوى فى قلعه « بيجه »^(٢) وكذلك جاء ذكر حصن فى نفس الورقة قد انتهك حرمة نفس الكاهن ، ويحتمل أنه حصن « الفنتين » ، وكذلك حصن « أكور » إذا كان ما وجد فيه من فخار قد أرخ تاريخاً صحيحاً يرجع تاريخه إلى الدولة الحديثة ، وفيما بعد نجد أن هذه الحصون

(١) راجع Urk., IV, 1129, 1122

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ١٤١ وكذلك راجع J. E. A., 10, p. 120

قد أخذت تفقد أهميتها تماماً ثم خطت خطوات سريعة نحو تهديئة الأحوال في البلاد حتى أن حصن « كويان » قد قام بما كان يؤديه كل من الحصنين من حراسة . والظاهر أنه كانت قد أسست مستعمرة كبيرة مكشوفة على الشاطئ الغربي الخصب غير المحصن قبالة « كويان » في « الدكة » ، وعلى أية حال ليس لدينا ما يدل عليها إلا الجبانة التي وجدت هناك والمعبد الموجود في هذه البقعة تاريخه متأخر جداً عن العصر الذي نحن بصددده ، غير أن تأسيسه قد يرجع إلى الدولة الحديثة .

وقد برهنت الحفائر التي قام بها « أمري — كروان » على أن حصن « كويان » كان مستعملاً في عهد الدولة الحديثة . وعصر البناء الأول فيه (D) يحتمل أنه كان في عهد « سيتي الأول » وكذلك نجد أن « رعمسيس العاشر » قد أقام معبداً هناك (F) . وكذلك أنشئت هنا بالقرب من الحصن مباشرة في عهد الدولة الحديثة بعد تهديئة الأحوال في البلاد مدينة مفتوحة . وقد وجدت نواة الحصن في مكانها وقد استعملت بمثابة خزانة^(٢) ، وكذلك نجد هذا التطور في « عنيبة » فنشاهد أولاً أن حصن الدولة الوسطى قد تطور بناؤه إلى مدينة كبيرة محصنة كما أقيمت كذلك مدينة أمامية خارج الحصون^(٣) .

وفي « فرص » نجد أن مباني الدولة الحديثة ليست ملاصقة لمباني الحصن القديم ، فلم تكن كما يظن الأستاذ « جريفت » على فرع النيل بل بعيداً عنه شرقاً عند فرع النيل الرئيسي ، وقد أقام هنا « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » و « توت عنخ آمون » ويحتمل كذلك « رعمسيس الثاني » معابد ، غير أن المؤسسة المثبتة التي أقيمت في عهد الدولة الحديثة في « فرص » قد وصل إلينا معلومات عنها من النقوش التي تركها لنا « حوى » في مقبرته التي يرجع تاريخها إلى عهد « توت عنخ آمون » .

(١) راجع Firth, II, p. 141 f

(٢) راجع L. D., I, III ; L. D., V, 59 ; Firth, III, 238.

(٣) راجع Aniba, II, p. 17 ff

والحصن الذى كان موقعه فى الأصل معبد « توت عنخ آمون » ليس له وجود الآن^(١).

ولا نعرف عن تاريخ « سره » شيئاً على وجه التأكيـد ، ولكن المقابر والنقوش التى وجدت هناك تدل على أن هذا المكان كان معموراً فى عهد الدولة الحديثة^(٢).

وتدل الحفائر التى قام بها « مالك أيفر » على أن « بهين » كانت كذلك مدينة مزدهرة فى عهد الدولة الحديثة ، وهنا نجد كذلك أن موضع الحصن الذى من عهد الدولة الوسطى قد وسع وكذلك ضوعفت أسواره^(٣) ، ومن المحتمل أنه قد أقيم حصن جديد على جزيرة^(٤).

ومن جهة أخرى نجد أن حصون الشلال القديمة أصبحت منذ باكورة الدولة الحديثة لا قيمة لها حريباً ، وذلك بعد تقدم « تحتمس الأول » فى الفتح حتى « أرقو » على أقل تقدير ، وعلى ذلك نجد أن حصن « شالفك » على ما يظهر لم يكن مستعملاً إلا فى عهد الدولة الوسطى^(٥).

وكان يقام فى بعض هذه الحصون مثل « ورنقى » و « سمنة » و « قمة » فى عهد الدولة الحديثة معابد لإقامة الشعائر الدينية بما يلزمها من الكهنة والخدم الذين كانوا يقيمون فيها ، ومن المحتمل أن البيت الذى يقع فى الجزء الجنوبي من جزيرة « ورنقى » وهو الذى قد أقيم خارج التحصينات ينسب إلى عهد الدولة الحديثة . ويلاحظ أن « سمنة » كانت على ما يظهر دائماً مستعملة حصناً ، على الرغم من أن جدرانها الخارجية لم تكبر أو أعيد بناؤها ، فى حين نجد أن حصن « قمة » على ما يظهر كان يسكنه موظفو المعبد الذى أقيم هناك لعبادة الإلهين « خنوم »

(١) راجع L.A.A.A., 8, 83 ff; Davies P. pl. XIV f

(٢) راجع L. A. A. A., 8, 97 ff

(٣) راجع Buhen, p. 6, 119 ff

(٤) راجع Buhen, p. 7

(٥) راجع Bull. Bostom, M. F. A., 29, 70

و « سنوسرت الثالث » ، وتدل ظواهر الأحوال على أنه لم يكن له فائدة حربية عظيمة .

والواقع أن الأعمال الحربية بعد نقل الحدود إلى الجنوب قد جعلت مستلزمات الدفاع تنتقل إلى حصون أخرى أقيمت في البلاد التي فتحت جديداً على ما يظن منذ « تحتس الأول » . وهذه الحصون لم تكن مهمتها الدفاع ضد أهالي الجنوب وحسب ، وذلك لأن الأرض التي تقع بين « وادي حلفا » و « كرمة » كانت مهددة بوجه خاص من الغرب من جهة واحدة « سليمة » ، وعلى ذلك نجد أن معظم أماكن الحصون تقع هنا على الشاطئ الغربي^(١) . ولم تكن وظيفة هذه الحصون قاصرة على الدفاع بل كانت على ما يظن معدة لتكون مكان هجوم على أهالي الصحراء المغيرين أو لتهديئة قبائل البدو ، وبذلك فقط كان يمكن تتبع العدو والقضاء عليه في عقر داره ، وفضلاً عن ذلك كانت هذه الحصون تعتبر عائقاً أمام قبائل البدو ، وممانعة من أن يثبت العدو قدمه في أي مكان ، حتى لا تقطع المواصلات بالجزء الجنوبي من بلاد كوش .

فنعرف من بين الأماكن المحصنة في هذه الرقعة خلافاً لجزيرة « ساي » حتى الآن « العمارة غرب »^(٢) و « سدنجما »^(٣) و « سسي »^(٤) و « صلب »^(٥) ولم يكشف عن الحصن الأخير ، وتحصيناته على ذلك ليست معروفة على وجه التأكيد . ونعلم أن هذا المكان كان محصناً مما جاء من ذكر اسم الحصن الذي يدعى « خع مماعت » في نقوش المعبد القائم هناك ، وكذلك من بقايا الآثار التي عثر عليها في جبل « برقل »^(٦) .

(١) راجع Reisaner, Kerma II, 545 f

(٢) راجع J. E. A., Vol. 24, 154 ff; 25, 139 ff, 34, 1; comp. L. D., V. 235 f

(٣) راجع L. D., V 228 ff; A. J. S. L., 1908, p. 96 f

(٤) راجع J. E. A., 23, p. 145 ff; 24, 151 ff; comp. L. D., V, 243 f; A. J. S. L., (1908), 51 f.

(٥) راجع L. D., V, 231 ff, A. T. S. 4. (1908), 83 f

(٦) راجع L. R., II, 314

ونستخلص أهمية « صلب » هذه من المنظر الذى نشاهده فى مقبرة « حوى » وقد كان أمير « خع مماعت » أى حاكم « صلب » وكان ممثلاً واقفاً بجانب وكيل بلاد « واوات » ووكيل بلاد « كوش » لاستقبال نائب الملك فى « فرهن »^(١) ، وكذلك كانت تعد « سدينجا » بموقعها الاستراتيجى من الأماكن الهامة وكانت تسمى حصن « نى »^(٢) .

وفى الجنوب على مسافة كبيرة تقع بلدة « كاوا » وهى التى على ما يظن قد أسسها « أمنحتب الثالث » وهى المدينة المعروفة باسم « جماتون »^(٣) وقد قامت حفائر عظيمة هنا وظهرت نتائجها وستحدث عنها فيما بعد عند الكلام على الملك « تهرقا » ، وأخيراً تقع فى نهاية الحدود الجنوبية عند جبل « برقل » المقدس مدينة « نباتا » المحصنة والمدينة نفسها بما فيها من حصون لم يعثر عليها بعد ، بل كل ما كشف عنه هو المعبد ويرجع أقدم ما كشف فيه إلى عهد « تحتمس الثالث » أو « الرابع »^(٤) ، ومع ذلك نعلم من النقوش أن « نباتا » كانت مدينة محصنة فقد صلب « أمنحتب الثانى » عدواً أسوياء على قمة جدران « نباتا »^(٥) وكذلك نجد فى صيغة الإهداء فى لوحة جبل « برقل » التى من عهد « تحتمس الثالث » — التى عملت على حسب النموذج القديم — اسم الحصن وهو حصن « سما خاستيو » (موت الأراضى الأجنبية)^(٦) . ويمكن الإنسان معرفة أهميتها الاستراتيجية من الفقرة التالية (سطر ٣٩) : « إن الخوف من جلاتى قد بلغ حتى الأراضى الجنوبية . ولم توجد أية طريق تعترضنى وأنه (آمون) قد أخضع لى كل الأرض » . وكانت « نباتا » سداً للدولة

(١) راجع Davies, The Tomb of Huy, Pl. 14

(٢) راجع A. J. S. L., (1908), p. 98

(٣) راجع J. E. A., 22, p. 199 ff

(٤) راجع A. Z., 66, 76 ff

(٥) راجع Ibid, 156

(٦) راجع A. Z., 69, p. 26

ضد الجنوب ، ومن أجل ذلك قامت بالدور الذى كان يقوم به حصن « سمنة »
فى عهد الدولة الوسطى عند ما كانت حدود مصر لا تتجاوز الشلال الثانى ، يضاف
إلى ذلك أن موقعها كان أكثر ملاءمة من موقع حصن « سمنة » . ويوجد (فضلاً
عما ذكرنا من أماكن محصنة) مدن ومعابد فى بلاد النوبة فنجد مذكوراً على لوحة
« سمنة » التى من عهد « أمنحتب الثالث » حصن « ثاراي » الذى لم يعرف موقعه
بعد^(١) . وفى عهد « تحتمس الرابع » نعرف اسم قائد حصن فى أرض « واوات »
اسمه « نبى »^(٢) ؛ وكذلك فى منشور « ثورى » الذى سنه « سبتى الأول » نجد قراراً
خاصاً بالأسطول الذى أتى من بلاد كوش بالجزية لأجل معبد « العرابة » جاء فيه :
« وفضلاً عن ذلك قرر جلالتى سنّ قوانين لأسطول جزية بلاد كوش التابع لبيت
« من ماعت رع » لمنع أى مشرف حصن يكون على حصن « سبتى مرتتاح »
الذى فى « سخمت » (مكان غير معروف موقعه) أن يستولى على ذهب أو جلود أو أى
نوع من جزية حصن الخ . وأخيراً ذكر لنا « رعمسيس الثالث » فى معبدته بمدينة
« هابو » أنه بنى حصوناً فى مصر وبلاد النوبة وآسيا^(٣) . والواقع أن هذا الملك لم يترك
لنا أى بناء معروف على وجه التأكيد فى بلاد النوبة . وقد ذكر فى ورقة « هاريس »
الأولى أن « رعمسيس الثالث » قد أقام معبداً لآمون فى بلاد النوبة .

ومن ثم نرى أنه فى حالات كثيرة نعرف المعابد التى أقيمت — كما هى الحالة
فى « نباتا » — فى حين أن الأماكن التابعة لها هذه المعابد قد اختفت أو لم يكشف
عنها بعد . ويمكن أن نحكم — حسب ما نشاهده فى مصر — أن المعابد الكبيرة كانت
فى غالب الأحيان محاطة بجدران عظيمة (مثال ذلك معبد مدينة « هابو ») ، ولم
تكن هذه الجدران تقام لمجرد الزينة بل كانت تقام للحفاظ على كنوز المعبد وثروته

(١) راجع S.O.S., 159

(٢) راجع J.E.A., 13, p. 203

(٣) راجع Chicago Oriental Instit., Medinet Habu III, Pl. 138 L 40

(٤) راجع ص ٨ سطر ٣ من مصر القديمة الجزء السابع .

من النهب والسلب وبخاصة في عهد التدهور الذي حدث فيه تعدى الأهليين وقيام ثورات من جانب العمال للحصول على حقوقهم بالقوة ؛ ومثل هذه الحالة نشاهدها في عاصمة البلاد « طيبة »^(١) . ولم تكن الحالة أحسن في أى مكان آخر في مصر في تلك الفترة . وإذا كانت الحالة قد بلغت إلى هذا الحد في مصر فلأى حد كانت قد وصلت في بلاد النوبة ؟ ! إن معابد النوبة التي كانت تقام في أماكن يسكنها أجانب وحيث كانت تشب من وقت لآخر الثورات كان يوجد هناك من الأسباب القوية ما يحمل على إقامة الأسوار المتينة حولها . وعلى ذلك كانت بلا شك مؤسسات المعابد التي لها أهمية اقتصادية إما أن تحاط بجدار خاص لحمايتها أو تقام في وسط مدينة محصنة ، وينبغي أن نعد من هذا الطراز معبد « عمدا » . حقاً لم يبق إلا المعبد في هذه الجهة ، ولكن يلحظ أن جوانبه الخارجية ليست مزينة^(٢) فيظهر أنه قد بنيت حولها حجرات للمؤن وهي التي من جهتها كانت محمية بسور خارجي . ومن المحتمل أنه كانت توجد حول المعبد بلدة تسمى « حرب نب » يحميها الإله « سنوسرت الثالث » الذي كان مقدساً هناك^(٣) ، ويعزو « جوتييه » هذا الاسم إلى عهد الأسرة الثانية عشرة (وفي هذا بالتأكيد شك كبير) . والبقعة التي حول « عمدا » كانت منذ أقدم العهود مركزاً أهلاً بالسكان كما تدل على ذلك المقابر العدة التي يرجع عهدها إلى عهد الأسر المبكرة حتى عهد الدولة الحديثة كما يدل على ذلك القرى النوبية في الريقة ، والأخيرة يرجع تاريخ سكناها على الأقل إلى عهد « تحتمس الثالث » . والظاهر أنها قد حوّلت في عهد الدولة الحديثة إلى مزرعة مفتوحة^(٤) . ومعبد « عمدا » الحالى قد بدئ بناؤه في عهد « تحتمس الثالث » ، وتم بناؤه في عهد كل من « أمنحتب الثانى » و « تحتمس الرابع » ، وقد بقى مستعملاً على أقل تقدير حتى عهد

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٣٢٠ و Kees, Kulturgesch, p. 169

(٢) راجع Gauthier, Amada, 191

(٣) راجع Gauthier, Ibid, XIX, XXVI & 154 ; L. D, III, p. 69

(٤) راجع Save, Ibid, p. 131

الرماسمة كما تدل على ذلك النقوش التي نقشت فيه فيما بعد .

وكانت المعابد التي في هذه الأماكن المحصنة أى معابد المدن وغالباً ماتكون مقامة بالقرب من أراض خصبة ومراکز أهلة بالسكان ، تلعب دوراً جدياً بوصفها مركزاً للحياة الاقتصادية للاقليم ، ويصعب أن نحكم إلى أى حد كان ينطبق ذلك على المعابد المنحوتة في الصخر وبخاصة أنه في عهد «رعمسيس الثاني» قد أقيمت معابد من هذا الطراز (مثال ذلك معابد «بيت الوالى» و «جرف حسين» و «السبوع» و «الدر» وكذلك المعبدان اللذان في «أبوسمبل») . وفضلاً عن ذلك أقيم في عهد هذا الملك معبد صغير في «اكشه» ومن المحتمل في «فرص» . ويعتبر النشاط المعمارى الذى قام في عصره رمزاً لازدهار اقتصادى في ذلك العهد^(١) .

على أن ذلك يعد مناقضاً بصورة غريبة بالنسبة للعدد الصغير من المقابر التي وجدت حتى الآن في هذه الجهة وهى المقابر التي قد أُرخت على وجه التأكيد بعصر الرعامسة . ومن أجل ذلك سلم الأثرى «فرث»^(٢) أن بلاد النوبة كادت في ذلك الوقت تكون غير مسكونة ، وكانت الزراعة تكاد تكون معدومة لسبب عدم وجود سبل الرى . وعلى ذلك فإن هذه المعابد قد أقيمت رمزاً لصلاح الفرعون وعظمته . ومن المحتمل أنها كانت تعد بمثابة محاط للتجارة في الجزء الجنوبي من السودان^(٣) ولكن هذا رأى يحتاج إلى تصحيح كما سنرى بعد .

وقد كان اختيار المكان لهذه المعابد الصخرية بطبيعة الحال على حسب المساحة المطلوبة ففى الغالب يكون المعبد في أصله امتداداً لكوة يحفرها الإنسان في الصخر تكون بمثابة نواة صالحة لذلك (مثال ذلك معبد قصر «إبريم») . وعلى وجه عام كان المعبد يقع بجوار مدينة أو مكان أهل بالسكان . فقد ذكر لنا أحد النقوش في

(١) راجع Ed. Meyer, Gesch. Alt. ; II, 1, p. 495

(٢) راجع Firth III, 38 ; comp. Aniba, I, 11

(٣) راجع Firth, II, p. 21

مقبرة « بنوت » في « عنيبة »^(١) اسم مكان في معبد « الدر »^(٢) ، وعلى مسافة مائة متر من هذا المعبد تقع جبانة من عهد الدولة الحديثة ، وتشمل كذلك مقبرة محفورة في الصخر من عهد الأسرة التاسعة عشرة^(٣) . وفي « بيت الوالى » نجد مدينة وبجوارها معبد منحوت في الصخر من عصر واحد ، ولكن لم تصلنا عن ذلك معلومات أكيدة ، وبالقرب من معبد « بيت الوالى » نجد معبد « كلبشة » الذى يحتمل أنه قد أسس في عهد « أمنحتب الثانى »^(٤) . ولكن من المحتمل جداً مع ذلك أن بلدة « ثالميس » الواقعة في هذه البقعة لا تمثل مؤسسة جديدة في زمن متأخر بل قد ترجع إلى عهد الدولة الحديثة ، أما « جرف حسين » فيقع في مركز أهل بالسكان وهو يشمل كذلك « أبو سمبل » ، فمن الجائز أن المكان المذكور هناك باسم « امن - هرى - اب » وخصص بعلامة البلد ، إما أن يكون من سلسلة الحصون القريبة من هناك وإما أن يدل على وجود مدينة محصنة . وقد وجدت جبانة هناك يظهر أن كهنة معبد الرعامسة قد أسسوها بالقرب منه^(٥) . وكذلك في معبد « وادى السبوع » نجد مقابر من عهد الدولة الحديثة أمكن أن تؤرخ واحدة منها أو أكثر بعصر الرعامسة^(٦) .

ومع ذلك فمن الصعب جداً أن نصل من عدد المقابر التى حفظت لنا بوجه الصدفة إلى النتائج النهائية عن طبقات السكان ، إلا إذا فحص وادى النيل من « أسوان » حتى بعد « فرص » فحفاً أساسياً . ففي « فرص » حيث يوجد مكان من عهد الدولة الحديثة على وجه التأكيد ، لم يعثر فيه إلا على عدد ضئيل جداً

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٢٧٤

(٢) راجع L.D., III, 229 α; Aniba II, Taf. 101. L, 1 f; Br., A. R, IV, § 479

(٣) راجع Emery-Kirwan, Cem., 184, p. 209

(٤) راجع Gauthier, La Temple de Kalabescheh, p. 218

(٥) راجع Firth, I, 79

(٦) راجع Emery-Kirwan, Cem., 217, p. 478

(٧) راجع Emery-Kirwan, Cem., 150 & 152, p. 70 f, 103 f, 521

من المقابر خاص بالدولة الحديثة^(١) . وفي الغالب يكون من الصعب جداً أن يصل الإنسان من البقايا التي على السطح العلوي من الأرض إلى المكان الذي توجد فيه المقابر^(٢) ويستحق الحفر فيه . وفضلاً عن ذلك توجد جبانات عديدة من عهد الدولة الحديثة في بلاد النوبة ، وهذه إما أن تكون منهوبة تماماً أو فقيرة في محتوياتها التي يمكن أن تؤرخ بها حتى أنه قد يصبح من المستحيل أن نعرف النسبة المئوية من القبور التي فيها من عهد الرعامسة على وجه التأكيد . وعلى أية حال نجد أن الجبانات المجاورة للراكر الكبيرة وهي « كوبان » و « عنيبة » و « بهين » يصل تاريخها إلى عهد الرعامسة ، وفضلاً عن ذلك نجد مقابر من هذا العهد في « الشلال » وفي معبد « دبود » وفي « بوجاع » و « جرف حسين » و « كشتمنة » وعلى مسافة كيلومتر ونصف من معبد « عمدا » وفي « توماس » وكذلك بين « مصمص » و « توشكي » . فمثلاً تقع في « البقع » و « دبود » المقابر على حافة الجبل وهذه مغطاة برمل نقله الهواء . وكذلك توجد مساحات شاسعة أخرى وبخاصة المغطاه منها بالرمال في بلاد النوبة لم يجرفها البحث تقريباً ، ففي « وادي السبوع » على ما يظهر عدد من المقابر أكثر مما كشفه « أمري — كروان » لم يحفر بعد ، وعلى ذلك فمن الجائز كذلك أنه توجد مقابر كثيرة من عهد الرعامسة في حافة الجبل وفي النصف الأعلى من خزان « أسوان » الذي غطته المياه لم يكشف عنه حتى الآن . وتبرهن لنا المادة المحفوظة لدينا على أن بلاد النوبة السفلى لم تكن بأية حال من الأحوال أرضاً صحراوية كما سلم بذلك « فرث » من جانبه ، في حين أنه خلافاً لذلك قد ذكرت أماكن ومقاطعات خصبة في بلاد النوبة السفلى في نقش من « القرنة » من عهد « رمسيس الثاني »^(٣) .

والدليل على أن الزراعة لم تنقطع في بلاد النوبة السفلى ما تحدثنا به النقوش هناك فقد عدد لنا « بنوت » في قبره الموجود في « عنيبة » أبعاد الأراضى التي أوقفت

(١) راجع L.A.A.A., 8, 84

(٢) راجع Woolley, Digging up in the Past, Pelican Book, p. 27

(٣) Piehl, Inscriptions Hierog., I, p. 145 A

هناك على عبادة تمثال الفرعون « رعسيس السادس^(١) » وهذا المتن يدل على وجود أرض مزروعة بالقرب من « عنيبة » وقد جاء ذكر « الدر » في هذه النقوش ولا بد أن الأرض المقصودة هنا هي قطعة الأرض الواقعة في بقعة « عنيبة » والواقع أنه لا توجد هنا أرض زراعية خصبة مثمرة أخرى يمكن أن يكون دخلها مخصصاً لعبادة « رعسيس السادس » .

ولم يقتصر المتن على ذكر حقول بل كذلك ذكر حقول كتان ويحتمل كذلك حدائق^(٢) . يضاف إلى ذلك نقشان من عهد « رعسيس الثاني » وجدوا بين معبدى « أبو ممبل » وهما خاصان بوقف أرض لمعبد خاص « بغرص » في هذه الحالة^(٣) ، ويجانب ذلك ذكر حقولان واحد منهما خاص بالملك والثاني ملك أفراد من الشعب ، وقد لاحظ هنا « جوتييه » أنه لدينا أراض زراعية خصبة في بلاد النوبة السفلى أكثر مما كان يظن . والواقع أنه في عهد « تحتمس الثالث » كانت الحبوب ترسل من بلاد النوبة إلى مصر كما سنرى بعد^(٤) . ومما يبرهن لنا على أن كل بلاد النوبة في عهد الرامسة كانت بلاداً غنية نسبياً وأن الزراعة كانت تلعب دوراً هاماً ما جاء في منشور « ثورى » حيث نجد فيه فقرة (سطر ٣٩) وهى : « إن مستخدمى المعابد التى فى كوش قد حسبوا كما يأتى^(٥) : فالرجال والسيدات وحراس الحقول والرسل ومربو النحل وعمال الحقول وبستانيو الكروم والبستاني والنواتى (؟) . . . وبجارو البلاد الأجنبية (؟) وعمال مناجم الذهب والموانى . وكذلك ذكر فى قرار العقوبات : « إن خارق القانون يجب أن يصبح عاملاً فى الحقل للمعبد وتصبح أسرته عبيداً للمعبد » .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٢٧٤

(٢) راجع f 21 Holscher, Libyer und Agypter,

(٣) A.S., 36, p. 49 ff

(٤) راجع Ed. Meyer, Gesch. Alt., II, I, p 530

(٥) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٨٩

ولدينا من العصر المتأخر رسالة لكاهن الإله « خنسو » في « طيبة » أرسلت لمزارعه النوبي ، ومع حاملها معلومات عن حالة الأرض^(١) ، وإذا كان هذا المزارع يسكن في مصر كانت هذه الرسالة دليلاً هاماً على استعمال عمال أجانب في المزارع المصرية ، أما إذا كان المزارع (وهذا هو الرأي الأكثر احتمالاً) ساكناً في بلاد النوبة فإنه يكون لدينا برهان لا يقل أهمية على استمرار الأحوال كما كانت في عهد الرعامسة وذلك في وقت لم يبق لنا فيه أى قبر محفوظ ، هذا بالإضافة إلى أن كل المصادر الأخرى عن بلاد النوبة قد لزمت الصمت التام عن هذا الموضوع .

آلهة بلاد النوبة

وقد تناول الأستاذ « كيس » الحديث عن الآلهة الذين كانوا يعبدون في معابد بلاد النوبة وذلك من منظر صغير ، غير أنه غاية في الأهمية^(٢) . وثالث الآلهة المعروف الذى كان يعبد في جهة الشلال الأول وهم « خنوم » و « سات » و « عنقت » — ويحتمل أن الآلهتين من أصل نوبي — يصادفنا في عهد الدولة الحديثة في مناظر الشلال الثانى في « بهين » . فنجد أن « سات » و « عنقت » تقومان بدورهما الهام هنا باسم سيدتى « الفتيتين » الجنوبيتين^(٣) ، وكذلك نجد ههما بنفس اللقب في معبد « فرص »^(٤) ، ومما تطيب الإشارة إليه أن ثالث الشلال كان يعبد في جبل « دوشة » حيث نجد صخوراً منحدرية تظهر في النيل^(٥) ، وكذلك نجد هذا الثالث يظهر في معابد بلاد النوبة فنجد الإله « خنوم » في « جرف حسين » و « الدر » و « أبو سمبل »

(١) راجع A.Z., 53, p. 107 ff; Rec. Trav., 39, p. 230

(٢) راجع Kees, Kulturgesch., p. 349 f

(٣) راجع Buhen, p. 41, 55, 61, 66, 71, 73; (Sates), 54, 67 (Anukis)

(٤) راجع L.A.A.A., 8, 9 u

(٥) راجع L.D., Texte V, p. 230

و « صلب » ، غير أنه لا يظهر بوصفه الإله الرئيسي كما هي الحال في « قمة »^(١) ، وكذلك كانت الآلهة الرئيسية في المعابد النوبية هي آلهة الدولة في مصر فكان « آمون رع » مثلاً في « نباتا » هو الإله الرئيسي وكذلك في « أبو سمبل » كان « آمون رع » يسمى سيد عرش الأرضين والذي يسكن الجبل المقدس في « نباتا » والإله العظيم سيد السماوات . ونجد الآلهة الذين كانوا يسمون باسم « حور » في « واوات » يلعبون دوراً هاماً في بلاد النوبة السفلى فقد كان الإله « ددون » منذ عصر الأهرام يظهر بمثابة سيد « تاسيتي »^(٢) ، وفي عهد الدولة الحديثة كان يعبد بجوار « سنوسرت الثالث » بوصفه إله « سمنة » الرئيسي وهو بالنسبة لأقدم كتابة ، وعلى الرغم من رسمه دائماً في صورة إنسان برأس حيوان ، كان إله صقر قديم ، وعلى ذلك فمن الجائز أن كل الآلهة المختلفين الذين كانوا يرسمون في شكل صقور قد اشتقوا منه ، ومن المحتمل أن ذلك قد حدث لتساوى مكانته بالإله « حور » . فالإله « حور » رب « تاسيتي » مثلاً يمكن أن تميزه على ذلك من الآلهة « حور » أرباب « تاسيتي »^(٣) ، وأهم هؤلاء الآلهة المسمين باسم « حور » هم « حور » سيد « بهين » و « حور » سيد « معام » و « حور » سيد « باكي » ، ونجد أنهم خلافاً للأماكن الرئيسية التي كانوا يعبدون فيها وهي « بهين » و « معام » و « عنيبة » و « باكي » (كوبان) كانوا يقدسون في كل معابد بلاد النوبة السفلى بل نصادف عبادتهم كذلك في السودان . وفضلاً عن ذلك ظهر « حور » آخر يدعى « حور » سيد « محاً »^(٤) وفي « أبو سمبل » وفي معبد « حور محب » المنحوت في

(١) راجع Gerf Husein, L.D., V, 56 ; L. D., III, 178 a ; Blackmann, Derr, Pl. 8, 50 ;

Abu Simbel, L. D. III, 183 b ; Soleb, A.J.S.L.(1908), 95 , Kummel p. 134 note 4

(٢) راجع Hury Pl. 38

(٣) راجع Kees, Ibid., comp. Kultlegende und Urgeschichte (nachr. Wiss Gottingen phil. hist. Kl. 1930, Nr. 3) p. 351 f.

(٤) راجع Urk., IV, p. 574

(٥) راجع Save, p, 202 note 3

(٦) راجع Abahuda, L. D., V, 177

الصخر في « أبا هودا » وفي النقوش الصخرية في « جبل الشمس » وكلاهما بجوار
« أبو سمبل »^(١) وكذلك في معبد « وادي السبوع »^(٢) . وأهم معبد لعبادة الصقر يوجد
في « أبو سمبل » حيث نشاهد لوحة خارج المعبد الكبير ذكر عليها أن معبده لملايين
السنين في جبل « محا » قد حفر له^(٣) . وفي معبد « أبو سمبل » الصغير تقدر الآلهة
« حتحور » سيدة « أبشك » وقد أهدى لها معبد منحوت في الصخر في « فرص »
ومن أجل ذلك قد وجد الأثرى « جرفت » بلدة « فرص » ببلدة « أبشك » وهو
بلا نزاع رأى لا يعتقد به^(٤) . ومن جهة أخرى نجد أن الأثرى « كيس » قال إن
« أبشك » هو اسم « أبو سمبل »^(٥) .

ومما يطيب ذكره هنا أن عبادة الحاكم أو الفرعون كانت تلعب دوراً عظيماً ،
وكانت هذه العبادة مباشرة خلافاً لما كان في مصر إذ كانت عبادة الآلهة مرتبطة
بالأحوال السياسية . فعندما قدس « تحتمس الثالث » الملك « سنوسرت الثالث »
— وهو الملك الذي عمل أكثر ما يمكن عمله لمصر — بوصفه الإله الخاص لبلاد
النوبة دل ذلك على مناهج سياسي كما هي الحال غالباً في بناء ديانة الدولة . ومن
المحتمل أن هذا العمل لم يكن تجديداً من جانب « تحتمس الثالث » بل كان إحياءاً
للماضي ، وذلك لأنه قد وجدت طوابع أختام في « ورنرتي » باسم « سنوسرت
الثالث » من بعد عهد الأسرة الثانية عشرة ، ومن أجل ذلك يعتقد « رينزر » أن
« تحتمس الثالث » لم يأت بجديد بل أحيا الماضي^(٦) . وبهذه الوجهة يمكن أن نفسر
بوضوح أن « سمنة » و « ورنرتي » كانتا من الأماكن الهامة لعبادة هذا الإله .

(١) راجع Weigall, Report, p. 142; J. E. A. 6, p. 36 f.

(٢) راجع Gauthier, Ouadi Es. Sabua, p. 30

(٣) راجع Champ, Mon. I, X, 2

(٤) راجع L.A.A.A., 8, p. 88

(٥) راجع Kees, Kultur., p. 350

(٦) راجع Sudan Notes and Records, 14, p. 10

وسنذكر هنا على سبيل المثال صيغة لوحة الحدود للملك « سنوسرت الثالث » حيث يقول هذا الملك : « ... لقد أقيمت صورة لى عند الحدود وهى التى عملتها أنا وجعلتها تقام وعلى ذلك ينبغى أن تخدمها أبديا وتحارب من أجلها » . فهذه العبادة للمصرى فى بلاد النوبة كانت على صورة ما بمثابة عهد على أن يناصر دائما الحكومة الرئيسية كما كانت للسكان بمثابة تحذير وتهديد . وقد بقيت هذه العبادة ما بقيت الأوقاف الخاصة بها » ولكن عندما توطدت العلاقات بين البلدين أخذت عبادة هذا الملك تنسب ، فنجد صورة فى « توشكى » تمثل رجلا يظهر أنه نوبى ممثل فى هيئة صياد وهو يتعبد أمام الآلهة « رشب » و « حور » صاحب « معام » و « سنوسرت الثالث » ويقدم لهم قربانا .

وخلافا « لسمنة » نصادف « سنوسرت الثالث » بوصفه إلهيا فى « عمدا » و « اليسيه » و « جبل الشمس » و « بهين » و « جبل دوشة »^(١) .

وكذلك نجد « تحتمس الثالث » نفسه كان يقدس فى بلاد النوبة كما كانت الحال فى مصر . وقد ظهر فى « سرة » بوصفه الآله العظيم القاطن فى « تحتخت »^(٢) .

وقد خطا « أمنحتب الثالث » خطوة إلى الأمام فقد أسس فى « صلب » عبادة لصورته الحية على الأرض « نب ماعت رع »^(٤) ، وقد أقام لزوجه المؤلفة معبداً فى « سدنجأ »^(٥) . على أن عبادة « أمنحتب الثالث » لم تكن مقتصرة كلية على بلاد النوبة بل كان كذلك يعبد فى مصر وبخاصة فى « طيبة » . وقد أهدى معبداً لصورته الحية فى مصر . وفى حين نجد أن « أمنحتب الثالث » كان يقدس فى مصر بلقبه

(١) راجع L.D., III, 47 a ; Buhen, p. 41

(٢) راجع Murray, Saqqara Mastaba, 1, Loab, Gnrab p. f Pl. 15

(٣) راجع L.A.A.A., 8 p. 100

(٤) راجع L.D., III, p. 85 a ; comp. Ed. Meyer, Gesch. Alt., 2, II. 1, p. 429

(٥) راجع L.D. III, 82 e-h

(٦) راجع Varille, A.S., 34, 99 , Chronique d'Egypte 10, 322 f

« حاكم الحكام » بوصفه إلهاً نجده في معبد « صلب » ياغب « نب ماعت رع » سيد « تاسى » القاطن في حصن « نخ مماعت » أى أنه كان قد اتخذ صبغة طلمية في عبادته ، فلم يكن إلهاً محلياً كالآلهة الأخرى بل كان أكثر من ذلك يعد إلهاً حامياً لكل بلاد النوبة . وقد ظهر في المدينة التى أسميها لنفسه لهذا الغرض أى « صلب » ، ولا نعلم إذا كان الغرض الذى كان يرمى إليه هذا الملك بضمه هذا هو أن يقوى من سلطانه السياسى في بلاد النوبة أو كان الغرض جب الظهور الذى كان يبحث وراءه « أممجب الثالث » ، وذلك لأن عبادة الملوك لم تكن مقصورة عليه في بلاد النوبة ، هذا ولم يقف أثر « أممجب الثالث » في هذا الاتجاه الكثيرون من أخلافه . فمن هؤلاء الذين قفوه « توت عنخ آمون » الذى على ما يظهر أنه نفسه مدة حياته في « فرص » . ومن الأشخاص الذين نسلهم في صور مقبرة « حوى » نائب هذا الفرعون في « فرص » (سجب تبر) . الكاهن الأول للملك « نب خبرورع » « توت عنخ آمون » القاطن في « فرص » المسمى « خى » ، وفضلاً عن ذلك نجد أن أخ « حوى » كان يعمل كاهناً ثانياً للملك « توت عنخ آمون » القاطن في قلعة « فرص » ، هذا بالإضافة إلى كاهنين مطهرين « توت عنخ آمون » القاطن في « فرص » ، وكذلك لقب « توت عنخ آمون » على قطعة حجر منقوشة من معبد « فرص » « نب خبرورع » القاطن في « فرص » (أى معبد « فرص ») ابن « رع » « توت عنخ آمون » . وهذا النعت « القاطن في » لا يستعمل إلا مع الآلهة عندما تصف مكاناً . وهؤلاء الآلهة المشار إليهم هم الذين يقبسون في معبد بجوار الإله الرئيسى ، ولا يقع معبدهم الرئيسى في المكان المذكور .

ومما يلفت النظر هنا في هذا الصدد أن الملك الوحيد الذى اعتنق ثانية عادة

(١) راجع L.A.A., 8, 93

(٢) راجع L.A.A., 8, Pl 27

(٣) راجع W.B., III, 138

تأليه نفسه في الأزمان التي تلت هو « رعسيس الثاني »^(١) فنجد أن هذا الفرعون لم يقتصر على أن يقيم لنفسه معابد عدة بل تعدى ذلك إلى اغتصاب آثار كثيرة من آثار أسلافه ونسبها لنفسه فنجد أنه قد ترك صورته في معابد « السبوع » و « بحرف حسين » و « أبو سمبل » و « اكشة » كما عبد هو تمثال نفسه .

وهنا نجد أن الإله هو صورته (أى صورة رعسيس) الحية على الأرض ، وكما جاء في « اكشة » صورته الحية في بلاد النوبة^(٢) وفي تخين^(٣) نجده في معبد « وادى السبوع » و « بحرف حسين » يسمى : « رعسيس الثاني » في معبد « آمون » وبذلك لم يكن الإله الرئيسى في المعبد فإنه في معبد « اكشة » كان هو الإله الرئيسى . وهذه العبادة لا تختلف عن العبادة في عهد « امنحتب الثالث » بأية حال من الأحوال ، فنجد هنا كما نجد في عهد « امنحتب » أن الملك المؤله قد مثل كالإله « خنسو » فيكون واحداً من الثالوث الطيبى — « آمون » و « موت » و « خنسو »^(٣) — ولم يقتصر تأليه « رعسيس الثاني » على بلاد النوبة بل نجده كذلك في مصر في المستعمرة الحربية « هريط » حيث نجد الملك في صورة إله الحرب « منتو » ولا نجد هنا أى فرق خاص عما وجدناه عليه في بلاد النوبة ، غير أن هذه الصورة من العبادة كانت أقوى بكثير في بلاد النوبة عما هي عليه في مصر ، ولا غرابة في ذلك فإن بلاد النوبة كانت موطناً خصباً لهذا النوع من تقديس الحكام وتأليههم .

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٦٨

(٢) راجع Reo. Trav., 17, 193

(٣) راجع Ed. Meyer, Gesch., II, 1. 329; A.Z., 70. p. 47 ff

حالة بلاد النوبة الاقتصادية

في عهد الدولة الحديثة

تتخصر المصادر التي يمكن الاعتماد عليها عن الحالة الاقتصادية بين بلاد النوبة ومصر فيما نجده مذكورا من تعداد المحاصيل الجنوبية على الآثار الحكومية والنقوش العادية من جهة ، وما نجده ممثلا من جزية وبخاصة في مناظر المقابر الخاصة من جهة أخرى . ومما يؤسف له أن القوائم الرسمية لم تصل إلينا حتى الآن . والواقع أن النقوش التي نجدها على المباني الحكومية لا تقدم لنا صورة حقيقية عن قوائم الجزية الفعلية ، إذ نجد مرتين في تواريخ « تحتسب الثالث » أن الجزية لم يذكر عنها شيء هام ، وعلى ذلك لا يمكننا إلا أن نعطي فكرة عامة عن الجزية . ويلاحظ عادة أن المحاصيل المختلفة كانت تدون دون ذكر عددها ، هذا فضلا عن أنها كانت ترسم دون نقش مفسر لها ، من أجل ذلك لم نستطع في كثير من الأحوال تحديد الغرض من ذكرها . والواقع أن المناظر الخاصة بتوريد الجزية كانت تسير على نهج واحد ، وذلك أنه كانت تصور أمام الملك كومة أنيقة التنظيم من السلع ، ويقف الموظف الخاص بتقديمها أمام الفرعون ليقدم حسابه ويرى خلف الجزية المكسدة أمراء البلاد الذين كانوا يوردون هذه الجزية راكعين ، وكان هؤلاء الأمراء يميزون عن رعاياهم الذين كانوا يرتدون قمصانا قصيرة حاملين على أكتافهم منتجات بلادهم بملابسهم الثمينة وزيتهم الفاخرة . وقد جادت الصدف بطريق الاستثناء أن كتب على أحد مناظر الجزية من عهد « أمنحتب الثاني » في معبد قصر أبريم تعداد المحاصيل ، وقد وردت الكميات في صور رجال يحملين ، وهذا ما يدل عليه منطوق الصورة . وهذا الإحصاء لا يعد بحال من الأحوال إحصاء رسميا ، والمتن الخاص بذلك تصعب قراءته في بعض نواحيه ، هذا إلى أن الأرقام بسبب تهشم

النقش لم يمكن التأكد منها ، فنجد بعد ذكر اسم الملك ما يأتى : « لقد ظهر جلالة
فى « طيبة » على العرش » . وهذا يدل صراحة على أن توريد الجزية وهى التى ذكرت
فى المتن بكلمة « إنو » قد جاءت من البلاد الجنوبية كما كان يحدث عادة فى عاصمة
الملك ويأتى بعد مديح رجال البلاط والجيش لللك القائمة التالية عن الجزية الموردة :

قائمة حاملى هذه الجزية

٢٠٠	من الرجال محملين بـ	
١٥٠	» » بالذهب (؟) .	
٢٠٠	» » بمادة حماجت	
٢٥٠	» » بسن الفيل (أو ٣٤٠, ١٦٠, ٧٠ ؟) .	
١٠٠٠	» » بالأبنوس .	
٢٠٠	» » بكل رائحة حلوة من أرض الجنوب .	
٥٠	» » بنخشب (؟) . . (أو ٣٤ رجل) .	
١٠	» » بفهود حية .	
٢٠	» » بكلاب صيد .	
٤٠٠	» » بشيران من نوع « أوا » ونوع « ونجو » .	
٢٦٥٧ (؟) أو ٢٦٤٩ (؟)	مجموع الحاملين لهذه الجزية .	

هذا ولدينا نقش آخر وهو نوع ثان من القوائم الخاصة بمحاصيل الجنوب لم ينشر
إلا ترجمته ، وقد وجد مكتوبا على صخرة فى « تومبوس » وأرخ بالسنة العشرين
من عهد الفرعون « تحتمس الثالث » ، وقد دون فيه مقادير الجزية من الأشياء
الثمينة المختلفة الأنواع من « كوش » ، ويرجع الفضل فى جمعها إلى مقدرة نائب
الملك ومهارته . وهذا المتن المهشم نوره هنا على حسب نسخة الأستاذ « ريزنر » :
« السنة العشرون الإله الطيب الذى يهزم المعتدى . . . (وأعد البناء) وبيت

والده ، وبذلك أعطاه القوة (٩) من خبر رع . . . (قربان يقدمه الملك قربانا لآمون سيد عرش الأرضين وتاسوع الآلهة في بلاد النوبة ، وعلى ذلك أعطوا الشجاعة واليقظة . . . الحياة والسلطان والصحة والفطنة ، وكذلك الخطوة عند الملك وكل شئ جميل وظاهر لروح ابن الملك ، والمشرف على البلاد الأجنبية « انبنى (٩) » . . . ممتازا لسيدته والذي . . . ويملا بيت سيده (الملك) مع . . . خنمت ، وسن الفيل والأبنوس وخشب « تيشبس » وجلود الفهود وخسيت ، وبخور « المزوى » والأشياء الطريفة من كوش وهى التى يجلبها إلى قصر رب الأرضين ، وهو الذى يدخل فيه ممدوحا ويخرج محبوبا ابن الملك « انبنى (٩) » ونجد المحاصيل التى ذكرت هنا قد جاء ذكرها في إحصاء المحاصيل العجيبة التى كانت ترد من بلاد « بنت » وكل الأعشاب الجميلة التى كانت تأتى من أرض الإله في معبد « حتشبسوت » بالدير البحرى . فنجد هناك بعد ذكر المحاصيل العطرية خشب الأبنوس وسن الفيل النقى والذهب الأخضر من « عمو » ، « وتيشبس » و « خسيت » و « إهمنت » والعطور والكحل ونوعين من القردة وكلاب صيد وجلود فهود وأناسا من أهل « بنت »^(٢) ؛ هذا ولدينا إحصاء قصير مشابه للسابق نقش على لوحة جنازية من عهد الأسرة التاسعة عشرة وهو : « وجعل النوبيين يأتون إليه بجزية من الذهب في . . . وخشب الأبنوس وسن الفيل وخنمت ونشمت وجلد الفهد لأجل أن تصبح الآثار التى في معابد كل الآلهة أكثر عددا »

وتقدم لنا كل هذه المتون بما جاء فيها من مقادير الحاصلات صورة ناقصة مبهمة عن الدور الذى كانت تقوم به بلاد النوبة في الحياة المصرية الاقتصادية . ولا يمكننا أن نذكر هنا على وجه التأكيد ازدياد الأهمية الاقتصادية وبخاصة إذا فهمنا أن الحالة السياسية كانت قد توطدت وظهر مفعول النظام الإدارى الجديد بوضوح .

(١) راجع Save, Ibid, p. 207-208

(٢) راجع Urk., IV, 329

(٣) راجع Kairo, W.b., Nr. 375 (أى نقل هذا المصدر عن بطاقات تاموس برلين)

الذهب : وكان الذهب هو أهم محصول في بلاد النوبة كما كانت الحال من قبل في عهد الدولة الوسطى . ونجد للمرة الأولى الآن أنه قد حددت مقادير معلومة في عهد الدولة الحديثة لكل عام كانت ترسل سنوياً لمصر جزية . فنجد في توارنج « تحتمس الثالث » أن هذه المقادير كانت معروفة من بعد السنة الواحدة والثلاثين من حكمه ، وعلى الرغم من أن كثيراً من متون هذه الاحصاءات قد وجد مهشما فإننا بوساطة ما بقي منها يمكننا أن نكون صورة عن أهمية مناجم الذهب المختلفة . وتنظم الضرائب الثوبية من الذهب قسمين : الضرائب التي كانت تجبي من « كوش » والضرائب التي كانت تجمع من « واوات » وذلك على حسب تقسيم البلاد إدارياً قسمين ، فالكمية الكبرى كانت تجبي من بلاد « واوات » وهو الإقليم الذي يقع بين الشلال الأول والثاني بما في ذلك طرقه الصحراوية التي تشمل على مناجم للذهب غنية في « وادي العلاقي » شرق « كوبان » والاحصاء الذي بقي لدينا من مناجم « واوات » هو :

السنة الرابعة والثلاثون = ٢٥٥٤ دبنا = ٢٣٢,٤ كيلو جراماً .^(١)

السنة الثامنة والثلاثون = ٢٨٤٤ دبنا = ٢٥٨,٨ كيلو جراماً .^(٢)

السنة الواحدة والأربعون = ٣١٤٤,٣ دبنا = ٢٨٦,٤ كيلو جراماً .^(٣)

السنة الثانية والأربعون = ٢٣٧٤,١ دبنا = ٢١٦ كيلو جراماً .^(٤)

والمحصول السنوي من بلاد « كوش » أقل بكثير من محصول بلاد « واوات » ويرجع السبب في ذلك إلى أن مناجم الذهب كان الوصول إليها صعباً هناك ، هذا إلى أن طرق النقل إلى مصر كانت أطول ؛ ويلاحظ أن كثيراً من الذهب الذي كان يستخرج من الإقليم الواقع في الجنوب الشرقي من الشلال الثاني لم يكن يستخرجه المصري ، بل كان يقوم بتعدينه الأهالي من النوبيين وكانوا يدفعونه

(١) راجع Urk., IV, 709

(٢) راجع Urk., IV, 721

(٣) يلاحظ هنا أن الكسر الذي يأتي بعد الدين يساوي قدت فهو هنا ثلاث قدات ، والدين يحتوي على عشرة قدات . ووزن الدين يساوي حوالي ٩١ جراماً أما يساوي أكثر من ١٤٠٠ حبه .

(٤) راجع Urk., IV, 728

(٥) راجع Urk., IV, 734

جزية لمصر . والذهب الذى كان يدفع جزية لمصر على حسب ما جاء فى تواريج « تحتس الثالث » من إدارة بلاد « كوش » هو :

- السنة الثالثة والثلاثون : ١٥٥,٢ دينا = ١٤,١ كيلو جراماً^(١) .
 السنة الرابعة والثلاثون : ٣٠٠ دينا = ٢٧,٣ كيلو جراماً^(٢) .
 السنة السابعة والثلاثون : ٧٠,١ دينا = ٦,٤ كيلو جراماً^(٣) .
 السنة الثامنة والثلاثون : ١٠٠ دينا = ٩,١ كيلو جراماً^(٤) .
 السنة الواحدة والأربعون : ١٩٥,٢ دينا = ١٧,٨ كيلو جراماً^(٥) .

ولدينا إحصاءات أخرى عن الجزية ذات أهمية من عهد « تحتس الثالث » فنعلم أن الإله « آمون » معبود الدولة كان يحصل على مقدار ٦١٣½ دينا من الذهب أى ما يعادل حوالى ٥٥,٨ كيلو جراماً فى هيئة سبائك وحلقات هدية^(٦) ، وقد أهدى مرة أخرى ٣٦٦٩٢ دينا أى ما يساوى ٣٣٣٨,٩٦ كيلو جراماً^(٧) ، وفى مرة ثالثة نجده يتسلم أكثر من ١٥٢١٠٤,١٥ دينا = ١٣٨٤١,٥ كيلو جراماً^(٨) ، ويلاحظ أن كميات الذهب الثلاث لم تأت كلها من بلاد النوبة ، وذلك لأن مناجم الذهب الواقعة شرقى « قفط » كانت كذلك تستغل ، هذا فضلاً عن أنه كان يأتى من الحملات الآسيوية غنائم من الذهب ومعظمه كان فى الأصل من مصر^(٩) .

ومن هذه المصادر المختلفة للذهب يظهر لنا أن الذهب النوبى كان يلعب الدور

(١) راجع Urk., IV, 702

(٢) راجع Urk., IV, 708

(٣) راجع Urk., IV, 715

(٤) راجع Urk., IV, 720

(٥) راجع Urk., IV, 727

(٦) راجع Urk. IV, p. 630

(٧) راجع Urk., IV, p. 626

(٨) راجع Urk. IV, p. 630

(٩) راجع Urk., IV, 666, 686 (100 dbn), 699 (45 dbn 9/10 kdt), 705, 706 (55 6 dbn)

الأهم في مالية البلاد . ولكن مما يؤسف له أنه ليس لدينا إحصاءات يمكننا بها أن نحدد أرقامها على وجه التأكيد ، ومع ذلك فقد قدر ذهب الجزية الذي كان يورد من رعايا الإله « آمون » في عهد « رمسيس الثالث » من ذهب « قفط » بحوالي ٦١,٣ دبنا فقط في حين أن كمية الذهب التي كانت تورد من « كوش » (يعني كل بلاد النوبة) ٢٩٠,٨٨^(١) دبنا ، يضاف إلى ذلك ٢١٧,٥ دبنا من الذهب الجميل^(٢) ، ولم ينعت بهذا الوصف بسبب البلاد التي أتى منها بل على ما يظن سمي بالجميل لنقاوته^(٣) .

ونجد خلافاً لما جاء ذكره بوجه خاص في تواريخ « تحتمس الثالث » عن ذهب « واوات » و « كوش » أنه قد جاء في المتون المصرية ذكر بلاد أخرى يأتي منها الذهب . وعلى الرغم من أننا لا نعرف مواقع هذه البلاد بالضبط فإن كثيراً منها يقع في الجنوب من منطقة « وادي العلاقي » و « أم بناردي » . ونجد فيما يسمى قائمة ذهب « رمسيس الثاني »^(٤) المنقوشة في معبد « الأقصر » على الجدارين اللذين يؤلفان الزاوية الجنوبية لردفة « رمسيس الثاني » ، سلسلة من شخصيات تمثل الجبال والواحات التي أحضروا منها الذهب لهذا الفرعون . ففي حين نجد محاصيل يحملها أناس تتألف من الأحجار الكريمة والفضة ، نجد من جهة أخرى أن الذهب الذي كان يحضر من الجنوب يفوقها قيمة . ويأتي بعد الذهب الذي كان يستخرج من مجاري المياه ذكر أماكن يستخرج منها الذهب بكميات كبيرة نخص بالذكر منها « نسوت تاوي » (أي جبل برقل) ، وهذا الجبل يوجد فيه الذهب والأحجار الكريمة ، وجبل « سمو » وجبال « كوش » وجبل « خاست » في تاسي (بلاد النوبة) وجبل « خنت - حن - نفر » ثم نقرأ بعد ذلك ثلاثة أسماء مهشمة في المتن : جبل « يابت خري حب » ؟ والجبل المقدس (زووعب) وجبل « ادفو » وجبل « قفط » ، وقد ذكر الجبل الأخير مرة أخرى بأنه يوجد فيه الأحجار الكريمة ، وكذلك كان يجلب

(١) راجع Erichsen pap. Harris I, 12 a 6 ff

(٢) راجع ما جاء في وصف الذهب وأسمائه في Budge, The Egyptian Sudan, II, p. 336

(٣) راجع Chassinat, Bull. Inst. Fr. I, 78 ff

(٤) راجع Darassy, Rec. Trav., 16, 51; 23, p. 68 f

من أرض الآلهة ، ثم يأتى بعد ذلك الواحات والأراضى الشمالية ، هذا ولم يأت لنا
 بجديداً إحصاء آخر مماثل للنسابق يرجع عهده إلى زمن « رعمسيس الثالث » من
 مدينة « هابو »^(١) فقد جاء فيه سبع حقائب معها التفسير التالى : « ذهب من كوش
 وذهب بحمل مقداره ألف دين وذهب جبل ، وذهب من الماء مقداره ألف دين ،
 وذهب من صحراء « أدفو » وذهب من « أمبوس » (كوم أمبو) وذهب من
 « قفط »^(٢) . ويلاحظ أن هذه الأماكن ليست مرتبة ترتيباً جغرافياً ، ولا زلنا
 نقسم إلى أى حد تمثل هذه المعلومات أما كن مختلفة يوجد فيها معدن الذهب .
 فالذهب الذى يستخرج من الماء هو نفس الذهب المائى فى قائمة « الأقصر »
 الخاطبة « برعمسيس الثانى » . والذهب الذى ذكر فى قائمة « الأقصر » بأنه أحضر^(٣)
 من جبل « برقل » نجد كذلك ما يؤكد فى نقوش عهد « أمنحتب الثالث » ،
 إذ نعلم أنه قد أحضر ذهباً فى حملته الأولى من « كراى » إلى مصر ، وكذلك ذهب
 « عمو » قد جاء ذكره فى وثائق أخرى ، وكذلك ذكر الذهب الأخضر فإنه من بلاد
 « عمو » فى حملة « بنت » التى أرسلتها « حتشبسوت » إلى هذه البلاد ، ويشير إلى
 أنها بلاد فى أقصى الجنوب ، ويحتمل أنها خارجة عن دائرة إدارة بلاد النوبة
 ويأتى من إقليم بلاد النوبة من جهة أخرى الذهب الذى أحضره أمير بلاد ميو
 و « ارم » للملكة « حتشبسوت »^(٤) ، فضلاً عن ذلك الذهب الذى أتى من « ميو » ..
 وملاحظ أهل « الميو » تدل على تقاطيع زنجية . وذكرت فى تواريخ « تحتمس الثالث »
 « ارم » ضمن دائرة الإدارة الكوشية . أما الجبل الطاهر (زو — وعب) الذى جاء
 ذكره فى قائمة « رعمسيس الثانى » فيجب أن نبحث عن مكانه فى جهة الشمال
 لا فى جبل « برقل » الذى ذكر من قبل . وقد جاء كذلك ذكر « الجبل الطاهر »

(١) راجع Lepsius, Die Metalle (abh. Konigl. Ak. Wiss. Berlin, 1871) p. 35

(٢) راجع Budge, The Egyptian Sudan, II, p. 336

(٣) راجع Ganth., Dic. Geog. I, 143

(٤) راجع Urk. IV, 333; Naville, The Temple of Dier el Bahari, III, Pl. 76

(٥) راجع Urk. IV, p. 708

في « أبو سمبل » وقد وضع في مصور « تورين »^(١) الذي ذكر فيه أما كن مناجم الذهب في جهة الحمامات ، ومن ثم نفهم أن المصري كان يستغل هذا الإقليم الواسع الذي يمتد من « الحمامات » في الشمال حتى السودان في الجنوب . والواقع أن تقدير كميات الذهب بحسابنا الحديث لا يقدم لنا نسبة أكيدة . وذلك لأننا لا نعرف حتى الآن القيمة الشرائية للذهب في هذا العهد على وجه التأكيد . وعلى أية حال يجب أن يكون محصول الذهب من هذه البلاد فوق المعتاد ، وأنه وضع مصر في مكانة ممتازة من حيث التجارة في العالم القديم . وكان الذهب يجلب إلى مصر غفلاً أو مصنوعاً في حلقات أو قضبان ولم نجد صناعة محلية للذهب في مصر إلا في النصف الأول من عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وما نجده من الذهب مذكوراً في عهد « تحتمس الثالث » هدايا مقدسة مثل موائد القربان والمواوين والقلائد وحلى « وزا » وعقود « منيت » (الخاصة بالإلهة « حتحور ») المصنوعة من السام وهي التي كان يتسلمها جلالة الملك من الأراضي الجنتوية جزية سنوية ليست بمحاصيل تجارية وإنما تشير إلى ذهب الجزية الذي كانت تصنع منه هذه الأشياء .^(٢)

وكانت بلاد النوبة على وجه عام تورد في هذا العهد المواد الغفل وبخاصة تلك التي كانت ترسم بداهة في المناظر حيث كانت توضع محاصيل الشمال والجنوب الواحدة مقابلة للأخرى في الصورة ، ففي مقبرة « امنومى »^(٣) مثلاً صور أهل الشمال يحضرون الأواني الفنية ومواد التجارة الأخرى ، في حين كان أهل الجنوب يحضرون حلقات من الذهب وحفائب وخشب أبنوس الخ ، ونجد كذلك في مقبرة « رخ مى رع » أن الصناعة اليدوية النوبية قد مثلت فيما يقدم من جزية في صور بعض أوان خاصة

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٩٩

(٢) راجع Sethe, Urk. IV, p. 871

(٣) راجع Wresz., Atlas I, 285, J.E.A., 26, Pl. 23

بالمثونة هذا إلى قاعدة إناء . ونجد للمرة الأولى في « عهد تل العمارنة » تمثيل محاصيل من صنع الأيدي تتألف منها الجزية النوبية فمن ذلك نشاهد زهريات فاحرة^(١) وكراسي ودروعاً وأقواساً^(٢) .

وأثنى ما سبق الصورة التي وجدت في مقبرة « حوى » إذ نجد ضمن مواد الجزية كنانات وأقواساً ، ونجد فيما يقدم للملك سهاماً ودروعاً منها اثنتان موشاتان بصور بارزة وكراسي ذات ظهور ومن غير ظهور وأسرة ومساند رأس وعربة بعمود في صورة تمثال عبد ومحفة ومائدة زينة لها قاعدة ومسند قدم ، ومروحة من ريش النعام . ويقول الأستاذ « ينكر »^(٤) في هذا الصدد : « والآن بعد نتائج الحفائر التي أجريت في « كرم » نجد أن الحضارة هناك كانت متأثرة في كثير من الأشياء بالحضارة المصرية ، ولكن المدنية هناك كانت في لبها سودانية أصيلة ، ومن ثم أصبح في مقدورنا أن نفهم بصورة أحسن بقية الثقافة النوبية . وتضع أمامنا الجزية التي صورت في مقبرة « حوى » فكرة التبادل ، وما كانت عليه اليد العاملة النوبية من مهارة في ذلك العهد . أما فكرة أن النوبيين لم يكونوا إلا موردين للواد الغفل ، وأن الصناع المصريين هم الذين كانوا يصنعون الكراسي والمساند وغيرها فقد أصبحت فكرة لا قيمة لها بعد الكشف عن ثقافته « كرم » وما وجد فيها من صناعات غاية في الاتقان » .

وهذا الرأي الذي أدلى به « ينكر » يمكن قبوله وبخاصة بعد أن وجدنا أن المحاصيل قد صنعت بأيدي صناع نوبيين ، هذا إلى الأشياء التي عثر عليها في مقابر نوبية من عهد الدولة الحديثة وبخاصة التي من صنع أهالي النوبة أنفسهم ، ولكن من جهة

(١) راجع El Amarna; II, 38 ; III 35 ; comp' Wresz., Atlas I, 224 ; II, 167 ; Davies The Tomb of Kenamun Pl. 14, Tomb of Hury.

(٢) راجع El Amarna Ibid

(٣) راجع El Amarna II, 38

(٤) راجع Junker, Ermenne, p. 57.

أخرى نجد حسب نتائج الحفائر التي عملت في مصر ، وكذلك على حسب النقوش والمناظر أن هذه المحاصيل لم تصدر بمقادير كبيرة . ولا بد أن نبرز هنا أن الصناعة المحلية في « كرمة » كانت متأثرة بالصناعات المصرية وأنه بعد تدهور التجارة حدث رد فعل قوى ، فقد أخذت المحاصيل المصرية التي من صنع « كرمة » مثل التطعيم بالعظم والميكافى الاختفاء شيئاً فشيئاً ولم توجد في مقابر النوبة التي من العصور المتأخرة بوجه عام . وحتى صناعة أواني الفخار (بكت) الخاصة بثقافة « كرمة » دلت صناعاتها على أنها انحطت من حيث الاتقان والدقة .

وكانت الأشياء المصرية في بلاد النوبة السفلى في العهد المتوسط الثانى تقليداً كبيراً للأشياء المصرية التي تعد الطراز المحبب . ولا شك في أن إعادة فتح بلاد النوبة على يد مصريين قد رفع من شأن دقة الصناعة اليدوية في النوبة وبخاصة عندما نعلم أن هؤلاء قد تعلموا بدون شك دقة الصناعة اليدوية عن مصريين ، ومن المحتمل أن ذلك التأثير قد حدث بعد مدّ حدود النفوذ المصرى حتى الشلال الرابع ، غير أنه كان أقوى في بلاد النوبة السفلى . ومما يطيب ملاحظته في هذه المناسبة ما وجدناه في المنظر الذى في مقبرة « حوى » أمام وفوق الأمراء والناس الذين من « واوات » من أشياء فنية مصورة في حين كانت الأشياء التي تقدمها بلاد كوش لا تشمل إلا المواد الغفل . والواقع أن « واوات » فضلاً عن ذلك هي أقرب جزء من بلاد النوبة إلى مصر حيث كان يسكن كبار الحكام الذين يميل ذوقهم الرفيع إلى المنتجات الدقيقة ، ولذلك كانوا يسعون في تحسين الصناعات المحلية عند السكان . ومما يطيب ذكره هنا كذلك أن الصناعات اليدوية للنتجات النوبية قد ظهرت للمرة الأولى في المناظر التي من عهد « تل العمارنة » مما يدل على أن نوعها وذوقها كانا من طراز مصرى ، وأن المصرى قد صدىها إلى وطنه ، غير أن هذه المحاصيل النوبية لم يكن لها قط أية أهمية على ما يظهر للمصرى . هذا إلى أنها كانت تظهر من وقت لآخر في المناظر

أنه لم يذكر غير تجهيز الذين أرسلوا إلا الأواني الذهبية فقط^(٢) ، ولكن من جهة أخرى نعلم أنه بدون شك قد مثلت أشياء كثيرة مصنوعة من مواد غفل نوبية .
وفضلا عن الأشياء المصنوعة من الذهب التي ذكرناها فيما سبق من عهده « تحتتمس الثالث » جاء ذكر عربة كبيرة من خشب السنط من بلاد كوش مشغولة بالذهب^(٣) من عهد « حتشبسوت » ، ويلفت النظر ما جاء في لوحة « جبل برقل » التي أقامها « تحتتمس الثالث » ، إذ ذكر فيها توريد أشياء من خشب كوش . وقد عمل تجارتها جنود كوشيون عديدون هنالك . وكذلك كان يورد في عهد الرعامسة من بلاد النوبة بوجه خاص مواد غفل فريد جاء في خطاب لنائب الملك « بانحسى » ما يأتي :
« وينبغي عليك أن توجه عنايتك لهذه المحفة الخاصة بهذه الآلهة ، ويجب أن تعتني بها وتضعها في سفينة . ويجب أن تجعل على أن يحضرها أمامه إلى المكان الذي فيه الفرعون وينبغي أن تحضر له حجر « حرس » وحجر « خنت » إلى المكان الذي فيه الفرعون لأجل أن يزاول العمل فيها عمال المصنع » . ومن ثم نفهم أن الأعمال الخشنة كانت تعمل في بلاد النوبة في حين كانت الأعمال الدقيقة تنجز في مصر .

هذا ونشاهد في المناظر بجانب السلالات والأواني المملوءة بالذهب بوصفها جزية بلاد النوبة بعض المواد المعدنية والنباتية الملونة بالألوان الحمراء والخضراء والزرقاء في هيئة كتل ، ولكن غالبا ما ينقصنا المتن المفسر لهذه الأشياء ، ومع ذلك قد لا تساعدنا المتون المفسرة لأن معنى الكلمات غالبا ما يكون غامضا فلا يحدد لنا معنى .

فالمادة الحمراء في مقبرة « رخ مي رع » تدعى « حاسيت »^(٥) وقد ظهرت

(١) في « بيت الوالى » شاهد ديوما وأقواس وكرايم ومراوح راجع f 167, II, Atlas, Wresz.

(٢) راجع 11, 5, L p. 119, Late Eg. Misc., Gardiner.

(٣) راجع 457, p. IV, Urk.

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥١ .

(٥) راجع 1099, p. IV, Urk.

كذلك هذه الكلمة في قائمة جزية « لأ منحتب الثانى » وكذلك لدينا بعض سلات فيها كتل حمراء في مناظر مقبرة « حوى » وكتب عليها كلمة « خنمت » ؛ هذا وتذكر هذه المادة في النقوش بأنها حاصلات من بلاد النوبة وذلك في أحوال ليست بالقليلة ^(١) ومن المحتمل أنها تدل على حجر الكرنين ؛ غير أن المصرى القديم كان لديه أحجار حمراء أخرى مثل العقيق والهمشيت والامتست واليشب ؛ وهذه الأنواع يمكن أن تدل على أن مثل هذه الكتل المصورة في هذه السلات وكذلك مادة « ديدى » التى وجدناها في إحدى رسائل عهد الرعامسة بمثابة مادة من مواد الجزية كانت ملونة باللون الأحمر ومن أبحاث أنها مادة معدنية أو همتيت ^(٢) .

ومن المواد الخضراء لدينا حجر الأمزون أى الفلدسبار الأخضر ^(٣) ، واليشب الأخضر والفيروز الأخضر والتوتية وحجر الزيتون . ومن جهة أخرى نجد في مقبرة « رخ مى رع » اسم « شسمت » بجانب اسم مفكت على آنية فيها كتل خضراء ؛ وكلمة « مفكت » الأخضر تعنى الفيروز ؛ وكان ضمن المحاصيل النوبية في الدولة الوسطى ؛ وكذلك مادة « نشت » وهى فلدسبار أبيض أزرق معروف لدينا بأنه مادة زرقاء نوبية الأصل . وقد جاء في النقوش ذكر عدة أنواع من الأحجار النوبية ، ففى ورقة « هاريس » الكبرى ذكر الحجر « نعى » بأنه يوجد فى « واوات » وقد جاء ذكره بجانب اللازورد الحقيقى والفيروز (مفكات) . هذا وقد ورد فى الخطاب السالف الذكر الخاص بالجزية أسماء مواد غير مفهومة منها حجر حق (كرنالين ؟) والبلاور الصخرى (إرقيس) ^(٤) . هذا وقد جاء ذكر حجر « ستى » و « قمى » . وحجر

(١) راجع Tombos, Inschrift Thutmosis III (Save, p. 208) ; Kairo Wb. Nr. 375 ; Gardiner

Late Eg. mesc. p. 119 ; Moller, Hierat. Lese. III b. 1

(٢) راجع Dawson, The Substance called Didi (Jounal of Royal Asiatic Society July

1927 p. 497 ff ومصر القديمة الجزء الثانى ص ١٧٥

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ١٧٤

(٤) راجع Kairo, Wb. Nr. 375 ; Wb. II, 339

(٥) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٤٥٨ (ص ٦٢ ب سطر ١٤ من ورقة هاريس) .

(٦) راجع Wb., I, 116

« متى » قد جاء ذكره كذلك في نصوص مقبرة « رخ مى رع » وفي مقبرة « بومرع »
بمثابة كونهما محتويات أو^(١)ان ، ومن الجائز أن هذه الأحجار كانت تستعمل ألوانا
معدينية^(٢) ، ونعرف من جهة أخرى أن « نحيث » هو القطران أو الصمغ وكان يستعمل
لغونا^(٣) أيضا . ونجد في الخطاب الذى أرسله الفرعون « رعسيس الحادى عشر » إلى
نائب كوش وهو الخالص بصنع محفة ، خلافا لما جاء فيه من ذكر حجر « خنست »
اسم زهرة « كاتا » وأزهار زرقاء ، وهذه على حسب سياق المعنى العام للكلام لا بد
أن تكون من أسماء الأصباغ .

هذا ويتصل بأسماء المحاصيل النباتية التى جاء ذكرها في ورقة « ليرس » بمثابة
محاصيل بلاد « المزوى » كلمة « خسايث » وهى التى ذكرت كذلك ضمن حاصلات
الجنوب . ويأتى ذكرها غالبا مع الزيوت والعمطور^(٤) ونجدها كذلك مذكورة في نقوش
« تومبوس » التى من عهد « تحتمس الثالث » بجانب عطور بلاد المزوى . ونجد هذه
المادة مخصصة بمخصص الخشب كذلك في نقوش حملة « حتشبسوت » إلى بلاد
« بنت^(٥) » ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كانت مادة « خسايث » موحدة مع مادة
« شيمى » التى جاء ذكرها في رسالة الرعامسة الخاصة بالضرائب^(٦) ، وكذلك مع مادة
« شسيت » التى تأتى من كوش على الرغم من بعض الاختلاف في كتابة كل منها ، ومع
ذلك فهذا ليس من المستحيل لما نلاحظه في كتابة الاسم بأشكال عدة^(٧) .

وقد جاء ذكر العطور النوبية (البخور) منذ عهد ظهور نقوش الأهرام أى منذ
الأسرة الخامسة فنجد فضلا عن التعبير « بنخور المزوى » التعبير : « كل رائحة جميلة

(١) راجع Wresz., Atlas, I, 148; Davies, Tomb of Pnyre at Thebes Pl. 43

(٢) راجع Rec. Trav., 39, p. 24

(٣) راجع Wb., V, 39 ; A.Z., 23, 67; Urk. IV, 329, 346.

(٤) راجع Wb., III, p. 400

(٥) راجع Urk., IV, p. 329

(٦) راجع Rec. Trav., 22, 104

(٧) راجع Wb., III, Ibid, p. 244, 332

من بلاد الجنوب » ، وقد ورد ذلك في قائمة جزية « أمنحتب الثانى » وكذلك نجد في نقش مهشم جداً عند الشلال الأول التعبير التالى : « كل رائحة حلوة من . . . الأراضى الأجنبية » ، ومن المحتمل أن المقصود هنا في الجزء المهشم هى أرض المزوى ، ولكن من الممكن أن تكون أرض « بنت » التى كانت تعدّ المصدر الأصيل للروائح العطرية ، غير أن ذلك ليس مؤكداً ، وعلى أية حال ينبغى أن يكون كثير من السلالات والأوعية التى نجدها ممثلة في مناظر الجزية النوبية هى التى كانت تورد بمثابة مادة العطور ، وذلك لأن المصرى كان يستولى على هذا المحصول الثمين من بلاد النوبة .

وكان كل من خشب الأبنوس وسن الفيل الذى يورد لمصر من بلاد النوبة منذ الدولة القديمة يتدفق على مصر في عهد الدولة الحديثة بكثرة ، فنجد ذكر هاتين المادتين يرد في النقوش جنبا بلجنب وذلك لأنهما كانتا تستعملان في التطعيم وفي صناعة الخشب معا ، وكان الجزء الأعظم منهما يأتى من نفس الإقليم ويورد إلى مصر ، يضاف إلى ذلك أن سن الفيل كان يورد من بلاد آسيا ، هذا إلى أن المصرى كان يستعمل سن فرس البحر بدلا من العاج ، وعلى أية حال فإن معظم كميات سن الفيل التى كانت تستعمل في مصر كان يؤتى بها من السودان . هذا ولا نعرف إلى أى حد كان يوجد سن الفيل والأبنوس في الشمال ، وعلى ذلك لا يمكننا أن نحكم إذا كانت هذه المنتجات تأتى عن طريق تجارى غير مباشر من أقاليم تقع جنوبى الحدود المصرية أو كانت تأتى مباشرة من إقليم بلاد النوبة . وهاتان المادتان كانتا تجلبان في صورة ساذجة . فكان العاج يجلب أسناناً وخشب الأبنوس يجلب كتلا وهذا ما لاحظته الرحالة « بورنرت » في القرن المنصرم في « شندى » .

وفي تواريخ حروب « تحتمس الثالث » نرى أن العاج والأبنوس كانا يوردان بوجه عام بصفتهما جزية فقط من « كوش » ، وذلك على عكس « واوات » ، ولكن

(١) راجع De Morgan, Cat. I, p. 126

يحمل ذلك في السنة الواحدة والأربعين وكذلك على حسب رأى « زيتة » في السنة الثانية والأربعين فقد ذكر كل من هذين المحصولين ضمن محاصيل بلاد النوبة السفلى ، وخلافاً لذلك نجد أنهما يذكران بوجه عام بمناسبة الأقطار التي أتيا منها في الأصل مثل بلاد النوبة السفلى وبلاد الجنوب ، وكذلك بلاد « أثرو » في « كوش » التي جاء ذكرها مرة واحدة^(١) .

ولم يكن خشب الأبنوس هو المادة الوحيدة التي كانت ترسل من الجنوب بل كانت ترسل كذلك مواد غفل أخرى ، وبخاصة خشب السفن المعد للتركيب ، وأوفى متن لدينا يحدثنا عن ذلك لوحة « برقل » التي أقامها « تحتمس الثالث » في « نباتا » حيث يقول :^(٢) « كان يتجر هناك (في « واوات ») لبيت الملك له الحياة والسلطان والصحة كل سنة سفن « نحتى » (نوع من السفن) وسفن نقل بعدد كبير أكثر من حاميات رجال البحر ، هذا فضلاً عن الضرائب التي كان يحضرها النوبي ، وهي التي تحتوي على عاج وأبنوس ، وكان يجلب إلى محفات من « كوش » مع كتل من خشب الدوم ، وأشياء من الخشب لا حصر لها من خشب السنت من أرض الجنوب ، وكان يقطعها جنودى في « كوش » وكانوا كثيرين هناك ... وكثيراً من سفن النقل من خشب الدوم ، وهي التي استعملها جلالتي كثيراً » .

ومن الجائز كذلك أن ما نجده مذكوراً في قوائم الجزية في تواريخ « تحتمس الثالث » من السفن المحملة بالمحاصيل من السودان كل سنة كان يصنع هناك ويقدم بوصفه جزية . ونجد مثل ذلك في مناظر مقبرة « حوى » حيث نشاهد أسطولا من سفن النقل ، وكذلك كانت الحال في رسالة الضرائب^(٣) حيث يقول المتن :

(١) راجع Urk., IV, p. 947, 950

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٠٦ الخ .

(٣) راجع Gardiner, Late Eg. Misc., p. 118 and Translation in Tomb of Huy, p. 28.

« وعند ما يصل إليك كتابي ينبغي عليك أن تنظم الجزية بالتفصيل بما في ذلك ثيران (أوا) والماشية الصغيرة (جا) والماشية (ونجو) والغزلان والماعز وطير (إيبس) والنعام وسفنها الواسعة وسفن النقل وسفن « كا-ار » على أن تكون على استعداد مع نواتيها ، وأن تكون الحاميات على أهبة الرحيل » . وقد جاء ذكر مثل هذا الأسطول في منشور « نوري »^(١) . وليس من المؤكد لدينا أنه كانت تبنى كل عام سفن جديدة لنقل الجزية ثم تستعمل في مصر بعد ذلك لأغراض أخرى ، ولكن لدينا مثال مؤكد عن ذلك في لوحة « جبل برقل » ، فقد كان في عهد الدولة الحديثة يفضل صناعة سفن كاملة بدلا من توريد خشب لصنعها في مصر ، ويشبه ذلك بالضبط ما كان يورد من أشياء أخرى من الخشب وبخاصة الأنواع الثمينة من الخشب مثل الأبتوس .

هذا ولدينا نوع آخر من الواردات من الجنوب نجده مذكوراً في جزية النوبة وأعني بذلك ريش النعام وبيضه . والنعامة كانت توجد كذلك في الصحراء الشرقية وغربي مصر ولم ينقطع مورد هذه المادة إلا في القرن الأخير . وقد وجدت مروحة في مقبرة « توت عنخ آمون » مثل على مقبضها منظرة صيد قام به الملك في « عين شمس »^(٢) . هذا ونجد أن « منخبر رع سنبل » الكاهن الأكبر لآمون وحامل خاتم الوجه البحري يتسلم ذهباً من صحراء « قفط » وذهباً من بلاد كوش بمثابة جزية سنوية ، وكان يتسلم في نفس المناسبة من المشرف على الصيد الذي يقف بجوار رئيس شرطة المزوى لمنطقة « قفط » والمشرف على أرض الذهب في « قفط » ريش نعام وبيض نعام ولا بد أن مصدرهما بطبيعة الحال كان صحراء « قفط » .

ولكن يظهر أن ما وُجد من هذه المادة في الجهات المجاورة لمصر لم يكن كافياً لسد حاجة البلاد المصرية . ولذلك كان يجلب محصول ريش النعام من الخارج

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٨٨

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٤٥٢

بكثرة ، وذلك لأن ريش النعام كان يستعمل حلية في لباس الرأس وفي صنع المراوح ، وكان يستعمل عند قبائل الجنوب بكثرة ، وكذلك كان يستعمله اللوبيون على الأقل حلية في ملابس الرأس عند الأمراء . أما في مصر فكان الطلب عليه كثيراً لعمل المراوح .

ومن جهة أخرى كان بيض النعام يستعمل لصنع الخرز منذ أقدم العهود^(١) حتى الأسرة الثامنة عشرة بكثرة ، ولكن يلحظ أنه قد اختفى في الأسرة الثامنة عشرة ثم أخذ يظهر شيئاً فشيئاً في عهد الأسرة التاسعة عشرة وبقى مستعملاً بعد ذلك حتى الأسرة الثانية والعشرين . ونلاحظ اختفاء خرز بيض النعام بانقطاع توريد بيض النعام في تلك الفترة . ووجد في مقبرة « بالعرابة » تـؤرخ بعصر ما بين الأسرة الحادية عشرة والثانية عشرة آنية مصنوعة من بيض النعام لها فوهة من الحجر مركبة عليها ، غير أن مثل هذه الأواني لا يوجد مثلها في آثار الأسرة الثامنة عشرة . وقد عثر في مقابر الثقافة المسيحية التي من هذا العهد أى الأسرة الثامنة عشرة على قطع زينة مشغولة مركبة على معدن ومزينة بقطع قشر بيض النعام . وهذا البيض كان لا يأتي إلا من أفريقيا . وهكذا نستنبط أن الرابطة التي كانت تربط مصر بالإقليم المسمى الكريتى في ذلك العهد كانت قائمة على أساس حسن ، وعلى ذلك فلا شك في أن هذا البيض قد ورد من مصر . ولم يكن قشر بيض النعام يحتل أية مكانة ملحوظة في مصر من جهة ، ومن جهة أخرى نجد أنه كان يمثل ساعة هامة في تجارة الأراضي الشمالية ، وعلى ذلك يمكن قبول الرأي القائل إن الجزء الأعظم من واردات بيض النعام كان يأتي من الجنوب لأجل أن يصدر ثانية إلى الشمال . وليس من شك في أن البيض في مصر كان طعاماً محبباً ، ولكن في هذه الحالة كان قشر البيض له استعمال واسع النطاق ، وفي الواقع كان يعد بوجه عام من مواد التصدير الهامة^(٢) .

(١) راجع Balabish, p. 22

(٢) راجع ما كتبه إيفانس عن هذا الموضوع. Evans, the Palace of Minos, II, p. 765.

ومن المواد التي لا تخلو منها السلع التي كانت تقدم جزية للفرعون الفهود وجلودها . وكانت جلود هذا الحيوان تورد إلى مصر منذ الدولة القديمة . ويلحظ أنه عند ما تكون جزية « كوش » منفصلة عن جزية « واوات » في المناظر ، كما يشاهد ذلك في جزية توارنج « تحتمس الثالث » ، نجد أن هذه الجلود تكون ظاهرة في جزية « كوش » وحدها . أما الجهات التي تأتي منها هذه الأشياء كبلاد « نيمو » و « أرم » و « ميو » فإنها بلا شك كانت تابعة لإدارة بلاد « كوش^(١) » . هذا ولا بأس من الأخذ بالرأى القائل إن توريد هذه الأشياء له ارتباط باتساع الاستعمار والنشاط الزراعي وتربية الحيوان في بلاد النوبة السفلى على الرغم من كل ما يحيط ذلك من شكوك .

والواقع أن جلد الفهد في الدولة الحديثة كما كان من قبل يستعمل بوصفه نوعاً من الملابس لدى الكهنة للزينة^(٢) . ومن المعلوم أن الجلد لا يمكن حفظه بحالة جيدة في المقابر وكان لا يستعمله إلا الرجال بخاصة في أحوال فردية ، ولذلك كان يستعمل بدلاً منه جلد الماعز أحياناً^(٣) . هذا وكان الفهد الحى يستعمل أحياناً للفرجة وأحياناً يدرب على الصيد والقنص^(٤) .

وكان كذلك من واردات السودان الزرافات ، والقردة من جهات الجنوب ويلحظ أن القردة المستوردة كانت مختلفة الألوان منها ما هو رمادي بوجه أحمر وأحياناً كانت تورد نسانيس ذات شعر كثيف ، وقد وجدت ممثلة في مناظر الأعياد^(٥) ومناظر أخرى منزلية ، وهذا الاستعمال قد صادفناه في عهد الدولة القديمة^(٦) . أما توريد

(١) راجع Urk. IV, p. 949 f

(٢) راجع Kees, Kulturgesch., p. 71 f

(٣) راجع Lucas, Anc. Mat. p. 38

(٤) راجع Kees, Ibid, p. 56, 124

(٥) راجع Wresz, Atlas, I, 123, 389; The Egyptian Expedition, Metrop. Museum 1928/9

(٦) p. 43; Boussac, La Singe dans l'Egypte Anc. (La Science au XX Siecle 3 année, p. 116-119.)

(٦) راجع Davies, Shiekh Said Pl. 4 ; Die Mastaba des Gemnikai I, Pl. 23

الزرافات الحية فلم يحدث إلا في عهد الدولة الحديثة ، في حين أننا نشاهد قبل ذلك أن ذيل الزرافة كان من المحاصيل التي تورد إلى مصر من الجنوب . وكان هذا الحيوان في عهد الدولة الحديثة يعد ضمن الجزية التي تأتي من كوش عند ما كانت محاصيلها منفصلة عن محاصيل « واوات » كما نشاهد ذلك في مقبرة « حوى »^(١) . وقد شوهد للمرة الأولى رسم الزرافة في نقوش طريق « وناس » من عهد الدولة القديمة . وكانت كلاب الصيد التي تستعمل في مصر تورد جزية من بلاد النوبة ، فلنشاهد في منظر في معبد قصر « أبريم » عشرين رجلا يقودون كلابا ضمن قائمة الجزية . وكذلك تصادفنا الكلاب في المناظر الخاصة بقوائم الجزية . ومما يدل على حب المصري الشديد الذي يكنه لهذا الحيوان أنه كان يحنطه ويدفنه بجوارحه^(٢) .

الماشية : ومن الأمور الاقتصادية الهامة توريد الماشية لمصر بوصفها غنائم حرب^(٣) ، ولكن على وجه عام كانت تأتي إلى مصر ضمن الجزية^(٤) ونخص بالذكر الثيران وكذلك الغزال المسمن أو المعلوف^(٥) . والواقع أن المناظر التي نجدها على الآثار لا تقدم لنا إلا نماذج من المحاصيل المختلفة ، فلا ننتظر منها أن تعبر عن مقدار الجزية ، ويدل على ذلك إحصاء الجزية الذي عثرنا عليه مدونا . فنجد مثلا أن الإحصاء الذي وجد في نقوش قصر « أبريم » يذكر لنا أربعمئة رجل معهم ماشية من نوع الثيران الذي يدعى « أوا » وماشية « ونجو » وتقدم لنا الإحصاء التالي :

كوش

السنة ٣١/٣٠ ثيران « أوا » و « ونجو » = ٢٣٠,١١٣ المجموع = ٣٤٣^(٦) .

(١) راجع Davies, The Tomb of Huy, p. 213, note 4

(٢) راجع Davies, The Tomb of Siptah, p. 17 ; Chronique d'Egypte 14, p. 79

(٣) راجع Urk. IV, p. 7

(٤) راجع Urk., IV, p. 695 ff; Ibid, p. 743, 1099; Wresz Atlas I, 337 ; 148, 160.247 ; II, 168.

(٥) راجع Kees., Kulturgesch., p. 21

(٦) راجع Urk. IV, p. 695

(١) السنة ٣٣ ثيران « أوا » و « ونجو » = ٣٠٥,١١٤ المجموع = ٤١٩
 (٢) السنة ٣٤ » » » = ١٧٠,١٠٥ » = ٢٧٥
 السنة ٣٥ و ٣٦ غير موجودتين والسنة ٣٧ ضاعت أرقامها .
 (٣) السنة ٣٨ الثيران « أوا » و « ونجو » = ١٨٥,١١١ المجموع = ٣٠٦
 السنة ٣٩ ثيران « أوا » . . . والسنة الأربعون لم تذكر والسنة الواحدة والأربعون
 ثيران « أوا » . . . والسنة الثانية والأربعون مهشمة .

واوات

(٤) السنة ٣٢/٣١ ثيران « أوا » و « ونجو » ٦١,٣١ المجموع = ٩٢
 (٥) السنة ٣٣ ثيران « أوا » و « ونجو » ٦٠,٤٤ المجموع = ١٠٤
 السنة ٣٤ ضاعت أعدادها والسنتان ٣٦,٣٥ هشمنا
 (٦) السنة ٣٧ ثيران « أوا » و « ونجو » المجموع = ٩٤
 (٧) السنة ٣٨ ثيران « أوا » و « ونجو » ٧٧
 (٨) السنة ٣٩ ثيران « أوا » و « ونجو » ٥٤,٣٥ المجموع = ٨٩
 السنة ٤٠ لم تذكر
 (٩) السنة ٤١ ثيران « أوا » و « ونجو » ٧٩,٣٥ المجموع = ١١٤
 السنة ٤٢ (مهشمة)

(١) راجع Urk. IV, p. 702

(٢) راجع Urk. IV, p. 708

(٣) راجع Urk. IV, 720

(٤) راجع Urk. IV, 696

(٥) راجع Urk. IV, 703

(٦) راجع Urk. IV, 716

(٧) راجع Urk. IV, 721

(٨) راجع Urk. IV, 625

(٩) راجع Urk. IV, 728

وأول ما يلحظ هنا أن الإحصاء في « كوش » كان أكثر منه بوجه عام في « واوات » ونجد في الحالتين اللتين حفظت لنا فيهما الجزية السنوية أن العدد الذي ورد من « كوش » كان أكبر بكثير من « واوات » (في السنة ٣٢/٣١ : ٣٤٣ يقابله ٩٢ وفي السنة ٣٣ : ٤١٩ مقابل ١٠٤ وفي سنة ٣٨ : ٣٠٦ مقابل ٧٧) .

ولا نستطيع أن نرجع ذلك إلى نشاط في تربية الماشية حدث في كوش أو إلى سبب آخر ؛ ومع ذلك فإن في هذا الإقليم الشاسع لابد أن يكون معدل عدد الحيوان فيه على ما يظهر عظيماً من حيث النسبة المئوية . وعلى أية حال فإن نقطة الارتكاز في هذه المحاصيل كانت تقع في الجزء الجنوبي من الإقليم السوداني .

هذا ولا يمكن أن نضع هنا موازنة لهذه الأعداد ، والمعلومات التي ذكرها لنا أمير مقاطعة « الكاب » المسمى « رنخي » هي ضريبة الماشية التي كان ملزماً بدفعها فيقول إنه ورد ١٢٢ من البقر و ١٠٠ من الضأن و ١٢٠٠ من الماعز و ١٥٠٠ من الخنازير . وإنه لمن الصعب أن تكون هذه الأعداد هي التي تمثل المجموع الكلي بل هي في الواقع تمثل نسبة مئوية من الجزية أي جزية مقاطعة « الكاب »^(١) ؛ ومن ثم نفهم أن جزية بلاد النوبة بالنسبة لذلك ضئيلة ، وإيرجع ذلك بلا شك إلى صعوبة طرق النقل ، هذا إذا أريد نقل كل الضريبة إلى مصر . ولا علم لنا إذا كان ذلك هو الواقع ، وبخاصة عندما نشاهد في المناظر التي في مقبرة « حوى » أن الثيران كانت تنقل في سفن خاصة إلى مصر ؛ فلابد أن جزءاً كبيراً من هذه الجزية كان يبقى في بلاد النوبة نفسها لاستعمال الدولة ، وكان موظفو الحكومة يستولون عليها كما كان بعضها يقدم للعباد هناك قرباناً منذورة . أما الماشية التي كانت تبقى بعد ذلك — ولابد أنها كانت من نوع جيد مثالي يستحق التربية للانتاج — فكانت على ما يظهر ترسل إلى الفرعون ، وغالباً ما كانت تزين هذه الحيوانات لأجل

الاستعراض فكانت قرونها تزين بأيد ويرسم في وسطها رأس زنبج وأحياناً كان يرسم شكل أقليم بأكله بين قرنيه .

الحبوب : كانت مصر معروفة في كل الأزمان القديمة بأنها مخزن غلال لبلاد البحر الأبيض المتوسط ففي عهد « مرنبتاح » مثلاً أرسلت حبوباً لبلاد « نخيتا »^(١) لتخفيف وطأة القحط الذي حدث فيها ؛ لم يكن إذاً من المستظر أن يرسل إليها غلال من وقت لآخر من بلاد السودان . ومع ذلك فقد حدث ذلك في عهد « تحتمس الثالث » فنجد في تاريخ هذا الفرعون حالة واحدة ضمن كل القوائم السنوية الجزية أن القمح كان يأتي من « واوات » منذ السنة الثامنة والثلاثين من حكمه ، وكذلك من بلاد كوش ، ولكن من جهة أخرى لا نعرف شيئاً عن ذلك الموضوع خلافاً لما ذكر في تواريخ « تحتمس الثالث » على وجه التقريب . ويشاهد في منظر من مقبرة « خممحات »^(٢) في نقوش محصول الدخل من بلاد كوش حتى حدود بلاد النهرين أن « خممحات » يتلو على « امنحتب الثالث » مقدار المحصول^(٣) ، وكذلك نشاهد في مقبرة « سن أعح » الذي عاش في عهد « حتشبسوت » أن الجزية التي مثلت من كوش هي على حسب قول الأستاذ « زيتة »^(٤) كان معظمها مواد غذائية ، ولكن في قوائم الجزية وفي المناظر لا توجد الحنطة بوصفها جزية نوبية . هذا ونستخلص مما ذكر في معبد « سمنة » عن شعير الوجه القبلي وشعير بلاد « واوات » الذي كان يقدم للاله « خنوم » أنه في الإقليم النوبي كانت أنواع الحبوب منتظمة كما كانت الحال في مصر .

أسرى الحروب : لم تكن الحروب في الأزمان القديمة مجرد غزو بلاد العدو ونهبها بل كان الغازي يستولى في الغالب على أسرى الحرب ليكونوا عبيداً له . من أجل

(١) راجع مصر القديمة الجزء ٦ ص ٢ ر Ed. Mayer, Gesch. Alt. 2 II, 1. p. 158

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٢٨

(٣) راجع LD. III, 77 O

(٤) راجع Urk. IV, 512

ذلك كان يجلب إلى مصر من كل حرب تنشب في الجنوب عدد عظيم أو ضئيل من الأسرى على حسب الأحوال ، وكانوا يستعملون في مرافق الحياة الاقتصادية باضطراد . وقد ذكر لنا « أحس » بن « أبانا » في وصفه للحروب في بلاد النوبة استيلاءه على أسرى^(١) وهذا ما نجده في كل الحروب النوبية تقريباً . وقد ذكرت لنا حروب « تحتمس الثالث » أن هؤلاء العبيد كان يؤتى بهم من الجنوب لا بوصفهم أسرى حرب بل بوصفهم جزءاً من الجزية ، وقد ذكر لنا في جهات متفرقة في النقوش عدد هؤلاء العبيد ، فذكر لنا « أحس » بن « أبانا » الذي كان يعد موظفاً صغيراً نسبياً تسعة عبيد وعشر إماء ، وكذلك ذكر لنا في تواريخ « تحتمس الثالث » بمثابة جزية ما يأتي :

كوش

(٢)	٦	المجموع	السنة ٣٢ / ٣١
(٣)	١٣٤	»	السنة ٣٣
(٤)	٦٤	»	السنة ٣٤
		مهشمة أهدادهما .	السنة ٣٦, ٣٥
(٥)	١٠	المجموع	السنة ٣٧
(٦)	٣٦	»	السنة ٣٨
(٧)	١٠١	»	السنة ٣٩

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٤٣

(٢) راجع Urk. IV, p. 695

(٣) راجع Urk. IV p. 702

(٤) راجع Urk. IV, p. 708

(٥) راجع Urk. IV, p. 715

(٦) راجع Urk. IV, p. 720

(٧) راجع Urk. IV, p. 725

(١)	السنة ٤٠	المجموع ٢١
	السنة ٤٢	مهشمة
		المجموع ٣٧٢

واوات

(٢)	السنة ٣٢ / ٣١	المجموع ٥
(٣)	السنة ٣٣	» ٢٠
(٤)	السنة ٣٤	» ١٠
	السنة ٣٦, ٣٥	مهشمة
(٥)	السنة ٣٧	المجموع ٣٤
(٦)	السنة ٣٨	» ١٦
	السنة ٣٩	مهشمة
(٧)	السنة ٤١	المجموع صفر
	السنة ٤٢	مهشمة
		المجموع ٨٥

ومن الجائز أنه بعد مراعاة الأماكن المهشمة والأعداد الناقصة أن يرتفع عدد العبيد إلى حوالي ١٢٥٠ عبداً في مدة إحدى عشرة سنة . وإذا قرنا هذا العدد بما كان يؤتى به من عبيد من بلاد سوريا أمرى حرب فإن هذه الفرق النوبية

(١) راجع Urk., IV, p. 728

(٢) راجع Urk., IV, p. 696

(٣) راجع Urk., VI, p. 703

(٤) راجع Urk., IV, p. 709

(٥) راجع Urk., IV, p. 716

(٦) راجع Urk., IV, p. 721

(٧) راجع Urk., IV, p. 728

لم تكن كثيرة نسبياً . فقد ذكر في توارنج « تحتمس الثالث » ما مجموعة أكثر من ٦٤٣٠ أسيراً من سوريا ، هذا بغض النظر عن الأعداد المهشمة والناقصة . وفي الإحدى عشرة سنة الأخيرة التي نعرف جزيتها من بلاد النوبة يلحظ أن مقدار ما يجي من سوريا في تلك المدة يزيد بمقدار ٢٩٩٠ في نفس المدة ، ومما يؤسف له أنه في إحصاء ممائل خاص بأوقاف لآمون في آسيا وبلاد النوبة قد ذكر فيه عدد الأسرى الذين أتى بهم من سوريا فقط وهو ١٥٨٨ أسيراً . ولم يصل إلينا ما أتى به من بلاد النوبة .

ومما تطيب الإشارة إليه في هذه المناسبة التعابير التي كان يوجهها « آمون » للملك فاستمع إليها : « إني قدت لك نوبيين بعشرات الآلاف والآلاف والآسيويين بمئات الآلاف من الأسرى » وهذا النطق الإلهي في الواقع يعد غاية في الأهمية إذ جاء فيه عدد النوبيين أقل من الذي ذكر لآسيا ، ومن ثم نفهم أن نقطة الارتكاز الهامة في السياسة الخارجية في عهد « تحتمس الثالث » كانت في الشمال أي في آسيا .

ومن جهة أخرى نجد أن عدد العبيد الأسرى في « كوش » كان أكبر منه في « واوات » والسبب في ذلك طبعي ، وذلك أن « كوش » تؤلف الإقليم الأكبر من بلاد النوبة ، ومن جهة أخرى نجد كما دون في أمر في خطاب خاص بالضرائب التي ينبغي أن يرسلها أهل « أرم » و « ترك » . وأهل « ترك » هم من قبيلة ممتازة من قبائل الجنوب^(١) . ومما يؤسف له أن تفاصيل الخطاب غامضة . هذا وتقدم لنا لوحة « سمنة » الخاصة بعهد « تحتمس الثالث » قائمة من الغنائم التي غنمت في « أبهت » وتختصر أهميتها فيما تذكره من أعداد ومن تقسيم الأسرى أنواعاً مختلفة .

(١) راجع Gardiner, Late Eg. Misc., p. 119

قائمة بالغنائم التي غنمها جلالته في « أبهت »

نوبيون أحياء	١٥٠
مجي (مزاوى)	١١٠
نوبيات	٢٥٠
خادمات من النوبيين	٥٥
أطفالهم	١٧٥
المجموع	٧٤٠
أيديهم ^(١)	٣١٢
المجموع	١٠٥٢

ويلاحظ في هذه القائمة التي تبحث في حصر غنائم الحرب أنها لا تقدم لنا صورة عن مقدار ما كان يورد من فوق العبيد سنوياً ، ومع ذلك فإن قوائم الجزية الخاصة بتواريج « تحتسب الثالث » ، وكذلك التي تتبع المناظر تدل على نفس الأنواع من العبيد الأسرى ، فيذكر أولاً في كل حالة عبيد وإماء ، ويلحظ في الصور الخاصة بالجزية النوبية النساء مع أطفالهن بجانب الرجال الذين يحملون مختلف محاصيل الجنوب ، وكانت الإماء اللاتي يوردن يستعملن بطبيعة الحال في بعض الأشغال وبخاصة في الغزل والنسيج . وخلافاً لذلك كن يعملن في المؤسسات العالية للعبيد .

وغالباً ما كان يوجد بين هؤلاء الأطفال الأسرى أولاد الأمراء الذين كانوا يجلبون إلى مصر بصفة رهائن وينشئون فيها تنشئة خاصة . ولكن من جهة أخرى نفهم أن كل تجار الرقيق يجلبونهم صغار السن ويبيعونهم وكانوا في هذا السن المبكرة يسهل تعليمهم لأغراض معينة وبطرق معينة ، ومن ثم يكون خروجهم على السيد الجديد قليل الاحتمال^(٢) .

(١) كان المحارب يقطع يد الجندي الذي قتله ويقدمها دليلاً على أنه قهر عدواً وقدر عدد الأيدي يكون مقدار ما قهره من أعداء .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥١٠

وتذكر لنا حوليات الملوك كذلك ذكوراً نوبيين كانوا يعملون « تابعين » ويمكن تفسير كلمة « تابعين » بوساطة متن من عهد « رعمسيس الثالث » حيث يقول : « إن أهل الجنوب قد أحضروا إلى مصر وهناك كانوا يستعملون في حمل الدروع وسوق العربات وأتباعاً وحاملى مراوح في ركاب الفرعون^(١) ، والظاهر أن هؤلاء الصبية كانوا فتیاناً ويتمتعون بقسط وافر من القوة والجمال كالمماليك في العهد الإسلامي في مصر ، وقد اختيروا لهذا السبب . والعدد القليل الذي جاء ذكره في تواريخ « تحتمس الثالث » لا بد أنه كان خيرة العبيد أو الأسرى الذين كانوا يرسلون إلى مصر ، أما غير هؤلاء النخبة فكانوا يستعملون في الأقاليم . وعلى أية حال تعوزنا المعلومات الدالة على أن هؤلاء العبيد الذين أرسلوا إلى مصر غير أسرى الحرب كانوا من بلاد النوبة .

ويذكر لنا منشور « نوري » عبيداً كان يملكها معبد « العراية » في بلاد النوبة^(٢) وكذلك ذكرت مؤسسات الأسرى التي كانت في مصر بأنها لم تكن قاصرة على هذا الإقليم من رقعة الدولة ، وذلك لأنه ذكر لنا في نقش ضرب اثنين من اللوبيين من الأسرى في « أبو سمبل » ، وهذا النقش قيل فيه عن « رعمسيس الثاني » ما يأتي : « وهو الذي أحضر أهل بلاد النوبة نحو الشمال وأحضر الآسيويين بلاد النوبة ونقل البدو نحو الغرب وجعل التحنو^(٣) (اللوبيين) يسكنون في الجبال وملاء الحصون التي بناها بالغنائم التي استولى عليها بسيفه الجبار^(٣) . وكان الفرعون يختار من هؤلاء العبيد الذين استولى عليهم من بلاد النوبة فرقة ترسل إلى مصر ، وعلى الرغم من ذلك فإنه ليس بعيد أنه كانت توجد تجارة رقيق مزدهرة وكان النوبيون أنفهم لهم عبيد يدفعون منهم جزية للفرعون ، كما كانت الأشياء الأخرى ترسل إلى مصر . وهؤلاء

(١) راجع L.D. III, 218 c ; comp., Rec. Trav., 27, p. 35; and p. 231

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٦٢

(٣) راجع Wresz., Atlas, II, p. 182

العبيد كان يتألف منهم أخط طبقة في مجتمع تلك البلاد . وعلى ذلك فإنه في حين كنا نرى الأمراء يضطرون إلى توريد أبنائهم ، فإنه كان من الجائز إرسال عبيد إلى مصر من بين النوبيين الأحرار .

وتدل شواهد الأحوال على أن استخدام النوبي ومكانته الاجتماعية في مصر كانتا واحدة . ومما هو جدير بالإشارة هنا أولاً الأهمية الاقتصادية التي كان يمثلها العامل الوطني الذي لم يكن حراً في مصر في عهد الدولة الحديثة حيث نجد أنه حتى المالك الصغير والراعي كانا يشتغلان مع العبيد الذين كانوا يجلبون من الجنوب .

وتقدم لنا واردات أفريقيا الكثيرة المختلفة والنشاط العظيم الذي وجدناه في بلاد النوبة صورة صحيحة عن الأهمية الاقتصادية الخارقة لحد المألوف التي كانت للمستعمرات المصرية في جنوب الوادي . حقاً إن الكشف المستقبل قد توسع دائرة هذه الصورة في بعض نواحيها ، ولكن ما لدينا من معلومات الآن ينبغي أن يضع أمامنا المواد الموردة من هذه الجهات بدون أي نقص ، فنعلم أن المصري أصبح يستغل ثروة السودان على حسب نظامها الجديد الذي عمل في عهد الدولة الحديثة فصار يسيطر على تلك البلاد حتى الشلال الرابع على قاعدة الاستيلاء على المواد الغفل اللازمة له والضرورية لتجارته مع الأقاليم الثقافية الشمالية .

وعلى ذلك نرى أن المصري بضمه هذه البلاد الجنوبية أصبح في يده ما يسيطر به على احتكار التجارة التي كانت هامة للبلاد الشمالية ، يضاف إلى ذلك المبادلات التجارية المصرية بالمحاصيل الثمينة مثل الذهب والمحاصيل الخاصة بأفريقيا مثل سن الفيل وخشب الأبنوس ومنتجات النعام ، أي ريشها وبيضها ، ومن ثم أصبحت لمصر مكانة ممتازة في شرق البحر الأبيض المتوسط ، لا بفضل محاصيلها الخاصة وحسب ، بل كذلك بالدور الفاصل الذي كانت تقوم به موارد الثروة الغنية التي كانت تستولى عليها من بلاد النوبة .

اختلاط النوبيين بالمصريين

في عهد الدولة الحديثة

كان النوبي منذ أقدم العهود ينزح إلى البلاد المصرية ويعمل فيها كادحاً بطرق مختلفة ، غير أن هذا التزوح كان محدوداً لدرجة عظيمة فلم يكن النوبي يرغب في أن يدفن في مصر كما كان المصري يهرب أن يوارى جثمانه في أى بلد أجنبي . وقد ظلت الحال كذلك حتى عهد الدولة الحديثة عندما أصبحت بلاد السودان تكاد تكون جزءاً لا يتجزأ من مصر ، وقد حدث أنه في أوائل عهد الدولة الحديثة عندما أرادت مصر أن تسترد سلطانها في بلاد النوبة أن أخذ الفراعنة يسوقون أسرى الحرب الأجانب والعبيد إلى مصر ويستغلون الرجال منهم في زرع الأرض وغسل الذهب أما النساء فكن يعملن فازلات أو ناسجات ، هذا وكان هؤلاء العبيد من جهة أخرى يستعملون في مناجم الذهب ، فمن ذلك نعلم أن أفراداً كانوا يؤجرون عبيدهم لهذا الغرض^(١) . وكانت الحكومة تفيد من ذلك بجمع ضريبة السماح بإيجار هؤلاء العبيد .

ونشاهد الاستغلال الخاص للعبيد النوبيين بصورة ظاهرة في تخديمهم في البيوت كما كانت الحال في عهد الدولة القديمة ، وكما هي الحال في مصر الحديثة ، إذ نشاهد معظم خدم البيوتات الكبيرة من النوبيين . ولدينا من هذا العهد قصيدة غزل تتحدث عن خادم المحبوبة التي كانت من أصل نوبي فاستمع لما جاء فيها بالنسبة لهذه النوبية^(٢) فيقول المحب : آه لو كنت الجارية تابعتها ! حتماً كنت أرى لون كل جسمها . هذا وكان « لمريت رع » وهي زوج رجل عظيم في عهد الملك « آي » خادمتان

(١) راجع A.Z., 43, 17; P.S.B.A., 30, 272 ff; comp. Kees, Kulturgesch. p. 48

(٢) راجع Muller, Die Liebespoesie der Alten Agyp. (Lps. 1899), 43; Bull. Inst. Fr. 14,

نوبيتان على أن ظهور النوبي في ركاب سيده في خلال نزهته في عربته وغير ذلك من الخدمات لدليل على أن هذه كانت عادة منتشرة بين الملوك كما كانت بين عليه القوم^(٢) ؛ وكان النوبي يستخدم بوصفه خادماً خاصاً رقيقاً لحمل المروحة لسيده^(٣) . ونجد في أحد المصادر نوبيا كان يشتغل بحاراً في مصر^(٤) . ولكن كان أكثر خدمة النوبي في الجندية والشرطة ؛ وظهر استخدامه في هذه الأعمال منذ الدولة القديمة وقد ذكرنا من قبل ما قام به في حرب تحرير مصر من نير استعباد الهكسوس . وكان النوبي بوجه عام يستعمل في فرقة الرماة كما كان يستعمل جندياً يحمل الدرع ويسوق العربدة كما يدلنا على ذلك نقش من عهد الرعامسة^(٥) ، وقد كان لتغلب الأزياء التي كانت تتأثر بالفن صفة بارزة في تغيير ملابس النوبي في العصور المختلفة . ففي عهد « حتشيسوت » نجد نقشاً تفسيرياً على صورة تمثل ثقل مسلة فيه العبارة التالية : « شبان (جنود) من « خنت — حن — نفر » بجانب جنود من المصريين » ، ونشاهد جميع من في هذه الصورة يلبسون ملابس مصرية وهم مسلحون بالفئوس أو البلطة وبمصاوماة . وليس هناك فرق بين المصري والنوبي فلم نجد الفرق الذي كان يميز به عادة النوبي وهو تسليحه بمصاوماة^(٦) . وهذا النوع من السلاح نجد مسلحاً به جندياً نوبياً في مقبرة « ثني » كاتب المجندين حيث نجده يرتدي قميصاً مصرياً ومع ذلك فإنه كان يلبس فضلاً عن ذلك الريشة التي تميز النوبي في لباس رأسه ، يضاف إلى ذلك أننا نجد جنود رئيس الشرطة « محو » في « تل العمارنة » من عهد « أخناتون » يلبسون قمصانا مصرية ويختلطون بالمصريين^(٧) ، ونجد أمثال هؤلاء كذلك في رجال الشرطة

(١) راجع Davies, The Tomb of Neferhotep, p. 26, Pl. 15

(٢) راجع Davia, Ibid, p. 23 Pl. 18 ; Pap. Anastasi IV, 3,5 f ; Gardiner, Late Eg. Miso. p. 37

(٣) راجع Pap. Anastasi, IV, 16, 55 ; Gardiner, Ibid, p. 52 ; A.Z., 14, 75; L.D. III, 218

Davies, The Tomb of Kenamon Pl, 20 f, p. 32; Wresz Atlas, II, 14.

(٤) راجع Mem. Miss. Fr., 5, 551

(٥) راجع L.D. III, 218.C

(٦) راجع Naville, The Temple of Deir el Bahari VI, 155

(٧) راجع El Amarna, IV Pl 19 ff

التابعين لرئيس الشرطة « نب آمن^(١) » . هذا ونعلم أن الجنود الأسويين واللوبيين والنوبيين الذين يعملون حرما للفرعون نفسه كانت ملابسهم خاصة بهم . وعلى ذلك نجد أن النوبي لا يختلف كثيراً عن المصريين الآخرين بل كان يلبس أحيانا ملابس مصرية خالصة . وقد ظل يلبس قميصا طويلا له هدابة من الأمام كما كانت الحال في العهد الإهناسي .

ومن مميزات ملابسه كذلك الوشاح الذي كان يتشح به على كتفه والقرط الكبير الذي كان يتحلى به وريشة النعامة التي كان يضعها في شعره المجعد . وقد صور في « تل العمارنة » نوبي يلبس قميصا من الجلد . وهذا اللباس نشاهد ثانيا في عهد « توت عنخ آمون^(٢) » كما نشاهد في عهد الرعامسة^(٣) . ويشمل رجال الشرطة في مصر عددا كبيرا من أهالي الجنوب وقد سموا « المزوى » على الرغم من وجود مصريين بينهم وهؤلاء الجنود نجدهم في أمهات المدن مثل « منف » و « قفط » و « طيبة » . ولم يكن عملهم قاصرا على حفظ النظام والأمن بل كان لهم كذلك نشاط في جمع الرديف والضرائب^(٤) . وقد وجدنا في نقوش رئيس شرطة « طيبة الغربية » أنه فضلا عن عمله كان مكلفا بجمع أموال ضياع الملك^(٥) . وغالبا ما يكون رئيس الشرطة من جنود الفرعون القدامى مثل « نب آمن » السابق الذكر ، ولكن رئيس الشرطة ، كان له مجال آخر معروف ؛ فقد كان أولا من خدم الملك المقربين ويسير أمام خيله ويخدمها ، وبعد أن يظهر إخلاصه في هذا العمل كان يرقى شرطيا في طيبة الغربية وفيما بعد يصبح رئيس شرطة . وبالنظر لأن هذا المجال كان يرقى في مدارجه غالبا رجل نوبي الطراز فإنه قد يكون من المحتمل هنا أن يكون هذا النظام خاصا بالجنوبيين (راجع ما كتب عن رجال المزوى فيما سبق) .

(١) راجع Davies, The Tomb of Two Officials of Thutmosis IV. Pl. 27

(٢) راجع Bissing. [Bruckmann] Denkmaler Taf. 84.

(٣) راجع Wresz., Atlas, II. 128, 135, 185

(٤) راجع Kees, Kulturgesch., p. 47

(٥) راجع Thompson (Gardiner), Theban Ostraca, p. 16 g. ff

ونصادف نوبيين في مصر مقسمين طوائف عرفوا بأنهم حرس للملك^(١) . ففي عهد « أمنحتب الثاني » نجد رجلا يدعى « نخت » يحمل لقب المشرف على النوبيين « لثوركوش » والآخر هو بالتأكيد في هذه الحالة اسم طائفة نوبية صحيحة . وقد لقب نفسه فضلا عن ذلك حامل العلم لهذه الفرقة نفسها ولقب المشرف على النوبيين ، هذا وقد جاء ذكره في منشور « توري » وهو وحامل المروحة هناك في درجة واحدة . أما فرقة المزوى في تل العمارنة فهي على الرغم من كل الظواهر ليست من أصل نوبي في حين أننا نشاهد في فرقة مصورة في مقبرة « حورحوب » بعض السود^(٢) . وحامل علم هذه الفرقة مصري الجنس ، ومن المسلم به بوجه خاص أن مقدم هؤلاء الجنود بصفة عامة ليس نوبي الأصل .

وكذلك قد اندمجت في الجيش المصري فرق نوبية فنجد في خطابات « تل العمارنة » أن حكام آسيا من أتباع الفرعون المخلصين كانوا يرجونه في أن يرسل إليهم فرقة من جنود « كاش وملوخا » والمقصود هنا بلا نزاع فرقة جنود من أهل كوش^(٣) . وما يسترعى النظر هنا أنه في حين نجد أن قوم « ملوخا » قد ذكروا هنا بوجه خاص مع جنود آخرين من مصر وأنهم لم يظهروا قط بوصفهم أعداء بل أتباع الفرعون فلا بد أن تكون الحال كذلك مع « كاش » ، ولكن من جهة أخرى قد جاء ذكر كلمة « كاش » لتدل على الكاشيين^(٤) (Kossae) ولذلك يجب الحيلة على الرغم من أنه ليس بمستحيل أن الجنود النوبيين قد استغلوا القوضى للقيام بثورة ، هذا إذا سلمنا مع الأستاذ « ينكر » بأن النوبيين كانوا فعلا موجودين في الأرض الآسيوية

(١) راجع f 57 Helek, Der Einfluss der Militärfuehrer-

(٢) راجع p. 150 comp. Nr. 4. (1932) The Brooklyn Mns. Quarterly, Vol. 19

(٣) راجع 123; Junker, Tell el Yahudiye Vasen, 137; Ed. Meyer, Gesch. Alt. 2 II, 1 p.

J.E.A., Vol. 6 p. 89; 7, p. 80 ff; Weber in Knudtzon, Die El Amarna-Tafeln. p. 1100 f; 1154 f.

(٤) جاء ذكر قوم « كوشو » في متون الآلة التي نشرها « بوزنر » خاصة بعهد الدولة الوسطى

مرتين وهم قوم أسويون . راجع p. 88 Posner, Princes et pays etc,

وقتئذ ، غير أن ذلك فيه شك كبير^(١). ولكن الرجاء الذي نجده في خطابات « تل العمارنة » من جانب أتباع الملك يرسل إليهم رجال حامية من جنود « ملوखा » ليحموهم على حسب العادة التي كان يسير عليها أجداده من قبل وهي إرسال نجدات إلى آسيا ، يعد دليلاً قاطعاً على أن هؤلاء الجنود كانوا يستعملون في هذه الجبهات من قبل ، هذا وقد ظهر هؤلاء الجنود النوبيون كذلك في عهد الأسرة الثامنة عشرة في جزيرة « كريت » فنجدهم ممثلين على جدران قصر « كذوسوس^(٢) » .

وكذلك ظهر في عهد الرعامسة نوبيون في الجيش المصري بين الجنود الأجانب ، وإن كان عدد اللوبيين يفوق عددهم دائماً في الجيش المصري . فلدينا بردية من عهد الرعامسة^(٣) تذكر جيشاً مؤلفاً من ١٩٠٠ مصرى و ٥٢٠ من الشردانيين و ١٦٠٠ من الكهك و ١٠٠ من المشوش و ٨٨٠ من النوبيين . وكذلك تدلنا المناظر الباقية على وجود هؤلاء الجنود النوبيين^(٤) . وأخيراً نشاهد فرقاً نوبية في عصر الاضطرابات التي حدثت في عهد نهاية الأسرة العشرين تحت إمرة نائب الملك « بانحسى^(٥) » .

وتدل شواهد الأحوال على أن المصريين كانوا ينظرون إلى هؤلاء النوبيين نظرة الأكثرية القوية إلى الأقلية الضعيفة ، فنشاهد في المناظر التي تمثل العدو المقهور أن الملك كان يقود النوبيين أمام الإله ليذبهم . ولا نزاع في أن التقاليد القديمة كانت تلعب دوراً في مثل هذه المناظر ، وعلى ذلك لا نعلم على وجه التأكيد إذا

(١) راجع Save, Ibid, p. 234

(٢) راجع Evans, The Palace of Minos II, p. 756

(٣) راجع Pap. Anastasi I, 17, 4 ff ; (Gardiner, Eg. Hieratic Texts I, 58 وكذلك راجع

الأدب المصري القديم الجزء الأول ص ٣٨٨

(٤) راجع Wresz., Atlas, II, 128, 135, 185

(٥) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٣٧ و ٦٠٥

كان هذا الاحتفال بإحضار الأسرى أمام الإله في عهد الدولة الحديثة كان واقعياً أم مجرد تقليد والرأى الأخير هو الأرجح^(١).

وكذلك مما يدل على امتهان النوبيين الدور الذى كان يلعبه النوبي في احتفال « شعيره جرتكنو » وكذلك قطع رأس حيوان الضحية مما وجدناه ممثلاً في منظر هام في مقبرة « متوحر خبشفس »^(٢) مما يدل على هذا الاتجاه . فعلى اليمين نشاهد في هذا المنظر رجلين يحملان جرارة (يظهر أنها « جرارة تكتنو ») واثنين آخرين يلقيان بآلة خاصة في حفرة ، والكتابة المفسرة لهذا المنظر هي : « البحر إلى الاعداد » وعلى اليسار من هذا المنظر نشاهد نوبيين مضطجعين على جنبيهما من ملين إلا أيديهما فانها كانت طليقة ، ويتبع ذلك منظران آخران متشابهان معهما رجلان يحمل كل واحد علامة خاصة وأحدهما نوبى يتدلى من رقبتة خيط فيه حلقتان ولا نعلم إذا كان ذلك المنظر تذكارياً أو يمثل توضحية فعلية . وعلى أية حال فإن المنظر يشهد على طريقة معاملة بعض الطغاة للنوبى ، وهذا يكفي لإظهار أن المصرى القديم كان يعتبر أحياناً للنوبى كالحىوان يقدم ضحية عند إقامة الشعائر الجنازية . ومن هذا القبيل لدينا أمثلة عدة مصورة تدل على وضاعة النوبى في عين المصرى ، ولم يكن هذا قاصراً على المناظر الأثرية الكبيرة بل كذلك نجده في الأشياء الصغيرة الفنية^(٣) ، وفضلاً عن ذلك ما كان ينظم من مبارزة بين المصرين والأجانب المختلفين التى لم يكن القصد منها فقط التسلية والرياضة بل كانت تقام على وجه خاص لأجل أن تظهر عظمة المصرى وحقارة الأجنبي^(٤) . وهذا الاحتقار والامتهان نجدهما في متن من متون عصر الرعامسة حيث

(١) راجع : Bissing Bruckmann, Denkmaler, Text Zu. Taf. 33 ; Wresz. Atlas II, 184 a : Sphins 3, p. 129 ff

(٢) راجع 7 Mem. Miss., Fr., 5, fig.

(٣) راجع Holscher, Medinet Habu, Pl. 19 (Morgenland 24), Wresz, Atlas II, 3; Carter, The Tomb of Tut Ankh Amon I, Pl. 70 ; A.S. 4, 41; and Pl. 6; J.E.A. 4, 22, Pl. 20, 2 ; (Ancient Egypt 1921) p. 13 and Pl. I

(٤) راجع Wilson, J.E.A., 17, 211 ff

يقول المدرس لتلميذ قدر ما يأتى : إنك مثل متكلم أجنبي (تتلثم في الكلام) نوبى عند ما يأتى بالجزية ^(١) . وكذلك لدينا وثيقة من عهد الأسرة العشرين تكشف لنا عن موقف ممائل للنوبى من حيث امتهان مركزه . وذلك أن رجلا تزوج من اثنتين ^(٢) وأراد أن يعمل مع زوجته الثانية تسوية قانونية طيبة وقد استفسر أولاده الذين من زوجته الأولى فيما إذا كان له أى حق فى ادعاء هذه الملكية المعينة ، وقد أجابهم الوزير الذى كان يحقق القضية على سؤالهم قائلا : إن متاعه هو ملكه وله الحق أن يتصرف فيه كما يشاء ، وحتى إذا لم تكن زوجته ، بل كانت مجرد سورية أو نوبية يحبها وأعطاه متاعه فهل ينبغى أن يتعارض ذلك مع ما فعله ؟ .

ولو صح أن النوبى يحتل مكانة حقيرة وأنه ينظر إليه بغير عين الرضا فإن ذلك لا يعنى أنه كان يهضم حقه فى إرث أو وصية . والواقع أن مكانة العبيد الاجتماعية فى مصر قد وضحت لنا من وثائق أخرى . على أنه لا بد أن نفهم أن العبيد لم يكونوا يستعملون فى أحط الأعمال ، بل على العكس نجد أن « توت عنخ آمون » كان يستعمل عبيداً وإماء فى أعمال راقية كغنيين ومغنيات وراقصين وراقصات ، وكذلك كانوا يوظفون كهنة مطهرين ، ومن ثم نرى أنهم كانوا بلا شك يتولون وظائف اجتماعية لا بأس بها ^(٣) كالمصرى .

هذا ولا نجد عائقا قانونيا يحول دون تحرير الخادومات الإماء فى البيوت ، ولدينا متن من عهد « رمسيس الحادى عشر » يتحدثنا عن تبنى أمة محرومة ^(٤) ، وقد جاء ذلك فى وثيقة عن المرأة المتبناة بوصفها وارثة لزوجها الذى تبناها فى مدة حياته ليحفظ ثروته . والوصية غريبة فى بابها وقد شرحناها شرحا مسهبا فى الجزء الثامن ،

(١) راجع Gardiner, Late Eg. Misc. p. 85, PSBA, 37. p. 121

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٧٧ الخ

(٣) راجع Kees, Kultur gesch. p. 260, and Helck, Der Einfluss etc, p. 9 amm. L

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٨٤ والمتن الخاص بذلك J.E.A. Vol. 26, p. 33 ff

ونجد ما للعبيد من حقوق اجتماعية وقضائية في المتن الذي أشرنا إليه سابقا الخاص بموضوع الزوجة الثانية وما أشير فيه من حقوق العبيد .

ولا يتسرب للذهن أن هذه الحقوق كانت قد ظهرت متأخرة فقط في عهد الرعامسة بل الواقع أنها كانت موجودة من قبل ولا أدل على ذلك من أن أمة نوبية تدعى « مراقا شاتي » قد ظهرت بوصفها شاهدة في عقد إيجار من عهد الأسرة الثامنة عشرة ^(١) .

هذا ولدينا مثال آخر عن نوبية في مكانة أرقى وقبرها في « القرنة » ومن المؤكد أنه يرجع إلى عهد الأسرة السابعة عشرة ^(٢) وهذا القبر نسبيا كان غنيا من حيث ما أودع فيه من أثاث جنازى ، وتدل محتوياته على اتصاله بثقافة « كرمة » اتصالا واضحا بخاصة . فنجد فيه مثلا الأواني الموضوعة في شباك وهذه من مميزات مقابر « كرمة » ^(٣) هذا إلى المخدات ذات القاعدة الطويلة فإنها كانت من الطرز السائدة في مقابر كرمة بصورة عظيمة ، وهذه قد وجدت كذلك في مصر ^(٤) ، وكذلك يشير وجود حجر المسنن في هذه المقبرة وهو الذى يوجد في بلاد النوبة بكثرة ^(٥) إلى هذا الاتجاه ، وعلى ذلك يميل الإنسان إلى التسليم بأن هذا القبر هو لامرأة من الجنوب كانت إما حرة مع أسرته ، أو كانت قد جاءت إلى مصر بوصفها أمة ثم أصبحت زوجة أو حظية لأحد عظماء البلاد المصرية ، وقد جهز لها زوجها قبرا ودفنة حسنة على حسب الطريقة النوبية . ومما سبق يتضح أن المصرى كان يشتد أحيانا في معاملة النوبى ولكنه في معظم الأحيان كان يعامله معاملة الند للند .

(١) راجع A. Z., 43, 27 Pap. A, 12.

(٢) راجع Petrie, Qurneh p. 6 ff and Pl. 22 ff comp. Junker Toscke, p. 56, 59 Anm. 3, 77 ;

Kerma II, 232

(٣) راجع Kerma II, p. 301 ff

(٤) راجع Kerma II, 232 and 236 ff and Carnarvon-Carter, Five years Explorations at Thebes

Pl. 68, 69 ; Sedment I, pl. XV 18 etc.

(٥) راجع Junker, Toscke. p 77

الجنود النوبيون :

وتدل الأحوال على أن معظم الجنود النوبيين كانوا أحرارا وكذلك الجنود النوبيون الذين وجدوا مدفونين في المقابر القعبية أو المستديرة في مصر فكانوا أحرارا كذلك في هذا العهد . وعلى ذلك فإن جنود المزوى الذين ساعدوا في حرب التحرير كان موقفهم مشابها لهؤلاء ، وكذلك ينحى إلى أن الجنود النوبيين الذين كانوا في آسيا وكذلك الذين كانوا في « كريت » قد جاءوا إلى هذه الجهات أحرارا^(١) ، وأخيرا نعلم من نقوش عصر الرعامسة المتأخر أن الجنود النوبيين كان لهم عبيد^(٢) وهذا ما يتفق مع الجنود الأحرار وحدهم .

ويظهر من كل الأمثلة السابقة أن النوبي في مصر وكذلك في إقليم السودان نفسه كانت لديه الفرصة ليرقى إلى مراتب عالية في الدولة المصرية .

ومن المفهوم أنه لم يكن من المنتظر وجود مجاميع أثرية لها طابع سوداني كالتى وجدت في قبر « القرنة » السابق وبخاصة بعد الخطوات الواسعة التى مخطتها البلاد نحو التمسير ، وعلى ذلك فإن السواد الأعظم من هؤلاء النوبيين قد أصبحوا مجهولين لدينا .

ومع ذلك فإنه لدينا حالات يحتمل أن نسلم فيها بأننا أمام أفراد نوبيين يشغلون وظائف عالية . فنثلا مقبرة « ماى — حر — برى » التى يرجع تاريخها إلى عهد الملكة « حتشبسوت » وقد تحدث لنا عنها « ريزنر » فقال إنه لاحظ في الجثة أن عظمتى الصدغين كانتا ناتئتين غير أنه لم يفحص الجسم فحفا علميا ، وفى حين نجد أن « ريزنر » يقول عن صاحب الجثة أنه نوبى قد اختلط دمه بالدم الزنجى تماما فإن « دارسى » يصف الجثة كما يأتى^(٣) : إن هيئة الجثة تذكرنا كثيرا بصور

(١) راجع Save, p. 234

(٢) راجع Kees, Herihor, p. 8

(٣) راجع Darassy. Fouilles de la Vallée des Rois 1898-1899 = Cat Gen. Mus (1902) p. 60

التحامسة . وينبغي على ما يظهر أن يكون أصل صاحبها من الوجه القبلي من الأقليم الذى بين « أدفو » و « أسوان » حيث نجد أن اختلاط المصريين بالنوبيين ينتج عنه هذا الطراز من الناس الملون باللون الغامق دون أن يكون من أصل زنجى . ويلحظ أن شعر هذا الرجل قد ظهر بمظهر شعر الزنجى بعض الشيء غير أنه شعر مستعار ، ولذلك فإنه لا يقدم لنا شيئاً جوهرياً عن أصله . ومع ذلك فإن صورته كما صورت على البردى الجنازى تدل على أنه من أصل أجنى . والصورة التى نشرت له لا نعرف منها شيئاً كثيراً ، وقد وصفها لنا « دارسى » كما يأتى : « إن المتوفى الملقب بالغلام « ماى حر برى » طرازه زنجى وجلده أصمر جداً وشعره مجعد » . ولا يدل لباسه المصرى على أى شئ بالنسبة للسلالة البشرية التى ينتمى إليها .

ويضاف إلى المميزات السلالية لهذا الرجل ميزة أثرية وأعنى بذلك التشابه العظيم الذى تجده بين الأشياء المصنوعة من الجلد التى وجدت فى قبره بالأشياء التى وجدت فى كرمه ، فالملابس المصنوعة من الجلد التى مثل عليها نماذج غاية فى دقة الفن نجد مثيلاتها فى « كرمه » وإن كانت فى تفاصيلها أبسط . فقد وجد طوق كلب له مثيله فى الصنعة فى « كرمه^(١) » ، يضاف إلى ذلك نموذج حزام منظوم بالحرز فقد وجد نظيره فى مجموعة ثقافة C^(٢) .

وكل هذه الأشياء توحى بالتسليم أن « ماى — حر — برى » كان نوبياً ، وكذلك لا تتعارض ألقابه مع هذا رأى فنجدته قد لقب فى مقبرته الغلام حامل المروحة على يمين رب الأرضين صاحب الخطوة عند الإله الطيب والتابع الذى يقفو خطوات ملك الوجه القبلى فى البلاد الجنوبية والشمالية^(٣) . وعلى حسب ذلك يمكننا تأليف مجال حياته الحكومية فيما يلى . فنحن نعلم أن أولاد الأمراء النوبيين كانوا بوصفهم

(١) راجع Kerma, II, 19

(٢) راجع Aniba, I, p. 45

(٣) راجع Daressy, Ibid, p. 54

ظلمناً ينشئون مع أمراء البيت المال وأولاد عظماء القوم في بلاط الفرعون كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وقد كان من المحتم عليه بعد تنشئته كذلك أن يكون من خدام الفرعون الشخصيين في بادئ مجال حياته الحكومية ثم يرتقى إلى درجة أعلى فيلقب حامل المروحة على يمين الفرعون ، وهذا اللقب الذى وضع هنا للمرة الأولى على رأى « ريزنر » كان لقب وظيفة ذات قيمة بسبب اتصالها الوثيق بالفرعون ، هذا وقد صار هذا اللقب بمثابة لقب نحرى لموظفى القصر في عهد « أمنحتب الثانى » . وذلك عندما أصبحت صيغة اللقب ثابتة وهى : « حامل المروحة على يمين الملك » . وفى عهد « أمنحتب الثالث » كان هذا اللقب يمنح لنائب الملك صاحب كوش ، ومن ثم أصبح لقب شرف تقليدياً يحمله حامل هذه الوظيفة الأخيرة ، وكذلك كانت نفس الحالة مع لقب « التابع للملك فى سفراته فى الجنوب والشمال » و « تابع سيد الأرضين » . وبهذه المسكاة التى بلغها « ماى — حر — برى » بحظوة الفرعون له أقام مقبرته الغنية بمحتوياتها فى « وادى الملوك » وهذه ميزة نادرة فى هذا العهد ومنها نفهم أنه كان لا بد يشغل حقاً وظائف عليا كثيرة لم يمكن استخلاصها تماماً مما بقى لنا من محتويات قبره .

هذا ولدينا أمثلة يحوم حول صحتها بعض الشك^(١) عن نوبيين كانوا يشغلون وظائف طالية . فمن المحتمل مثلاً أن كاتب المجندين « ثنى » كان من هذا الصنف وهو الذى عاش فى عهد « تحتمس الثالث » وختم حياته الحكومية فى عهد الفرعون « تحتمس الرابع » . و « ثنى » هذا على حسب رأى الأستاذ « زيتة » قد مثل فى قبره فى صورة رجل يشبه البشاريين الحاليين ، ومن الجائز كذلك أن أخاه صاحب المقبرة رقم ٧٨

(١) والظاهر أن رأى السائد كان عدم استخدام صغار النوبيين فى الوظائف الكبيرة بل كانوا يقدرون المستطاع يبعدون من مثل هذه الوظائف ولا أدل على ذلك من الخطاب الذى أرسله « أمنحتب الثانى » إلى ابن الملك حاكم كوش المسمى « وصرمات » يحذره فيه من إسناد وظائف كبيرة إلى صغار النوبيين إلا عند الضرورة . راجع J.N.E.S., XIV, I, p. 25 .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٣٩٧

بطيبة الغربية وهو الذى كان يحمل لقب المشرف على المزوى (مجا) وصور متحلياً بقرط كبير كان كذلك من أصل أجنبي أى نوبى ، ومن المحتمل أن كلا من « ثنى » وأخيه كان مصرياً ويقود جنوداً أجنبية ويلبس ملابس كملابسهم أيضاً .

هذا وقد ذهب « جوتيه » مما وجدته على لوحة فى متحف « جيميه » (Stela Nr. C. 12) فى نقش ابن الملك « باسر » (النوبى ؟) إلى أن نائب الملك « باسر » الذى عاش فى عهد كل من « آى » و « حور محب » كان نوبياً^(١) . غير أن هذا النقش الذى يشك فى قراءته لا يمكن الاعتماد عليه فى الأخذ بهذا رأى .

وقد ظهر فى عهد الرعامسة مدير بيت للملكة يدعى « نختمين » وهو نوبى الأصل وقبره الذى فى « بقع » قد نشره الأثرى هرمان وقد تحدث عن أصل هذا الرجل كما يأتى^(٢) :

كان « نختمين » الذى تقلد هذه الوظيفة مرتبطاً بوساطتها ببلاط « طيبة » . ويمكن تفسير دفنه فى بلاد النوبة بأنها كانت مسقط رأسه وقد يدل على ذلك تعبير فى صيغة الدفن إذ جاء فيها : « إنك فى قبرك الذى أقمته فى بلدتك بأمر السيد » . غير أن ذلك ليس له أهمية فاصلة لأن هذا تعبير كلامى وعام نجده فى أحوال كثيرة ولكن الدفن فى بلاد النوبة بدلاً من مصر ، وبخاصة فى حالة موظف صاحب وظيفة عالية مثل نائب الملك فى كوش ، يعد من الأمور المدهشة الغربية ، ومما يلفت النظر فى هذه الحالة أن لدينا هنا رجلاً صاحب لقب عال يدفن فى « بقع » ولم يدفن فى إحدى المدن الهامة فى السودان مثل « عنبية » أو « بهين » ومن أجل ذلك فإننا لا نخطئ إذا سلمنا أن « نختمين » كان على ما يظهر نوبياً من أهالى بقع نفسها .

هذا ويمكن لنفس الأسباب أن نعتبر نائب الملك « بانحسى » الذى عاش فى عهد

(١) راجع Reo. Trav., 39, 700

(٢) راجع Mitt. D. Inst., 6, 23

« رعمسيس الحادى عشر » من أصل نوبى لأن قبره وجد فى « عنيبة »^(١) فى حين أن كل أسلافه على قدر ما نعلم قد دفنوا فى مصر . ومن جهة أخرى فإن اسمه « بانحسى » الذى يعنى النوبى لا يقدم برهاناً مؤكداً لأن هذا الاسم كان يتسمى به كثير من المصريين^(٢) وعلى أية حال فإنه كان يتقلد وظائف الدولة العالية واحد من رجال الأقاليم التابعة للدولة فى عهد الرعامسة المتدهور . هذا فضلاً عن أنه يصادفنا سائقون لعربة للملك قد وصلوا إلى أعلى الرتب الهامة فى وظائف الحكومة منذ عهد « مرنبتاح » من عصر الأسرة التاسعة عشرة .

وهؤلاء هم من أهالى الأقاليم التابعة للدولة من كل صنف ، وكذلك كان منهم بالفعل من كان نوبى الأصل ، وعلى الرغم من أن النوبيين فى مصر لم يكونوا على قدم المساواة مع المصريين وعلى الرغم من أن المصرى كان ينظر إلى النوبى نظرة الأعلى إلى الأدنى فإن مجال النوبى قد هبأ له فرصاً واسعة أمكنه بها أن يتصل بالملك مباشرة ويصل إلى أعلى مراتب الدولة وبخاصة أنه لم يرق أمامه أى حائق قانونى . ولا يمكننا القول بصفة قاطعة إذا كان النوبيون قد وصلوا إلى هذه المراتب بطريق الاستثناء أو إذا كان هذا أمراً كثيراً الحدوث وبخاصة فى العهد المتأخر من تاريخ البلاد . والأرجح أن النوبى كان يتولى هذه الوظائف فى حالات كثيرة وبخاصة بعد أن أصبح متمصراً تماماً ولا فرق بينه وبين المصرى نفسه فى كل الأحوال .

(١) راجع Aniba, II, p. 241

(٢) راجع J.E.A., Vol. 14, p. 68 note 2

علاقات بلاد النوبة

بسياسة مصر الداخلية

لاشك في أن المنازعات السياسية الداخلية في مصر في عهد الدولة الحديثة كانت قائمة على قدم وساق منذ قام الخلاف على تولية الملك بعد « تحتمس الأول » وبخاصة أنه قد حدث في تلك الفترة أن الوارثة الشرعية لعرش البلاد كانت « حتشبسوت » ابنته، وقد كان لها على ما يظهر حزب يشايعها في البلاد وآخر يناهضها، فبر أن الوثائق التاريخية لم تدلنا قط على أن أهل السودان كانوا يشايعون حزبا دون آخر، كما لم نجد في مصر أن حزبا كان يتطلع إلى بلاد السودان بما فيها من خيرات وما تحوى من قوة حربية ليضمها إلى جانبه . والواقع أن ظاهرة الأحزاب في السودان لم تبرز في تلك الفترة كما وجدناها في الامبراطورية الرومانية في عهدها المتأخر في الأقاليم التي كانت تحت سيطرتها، فقد كان هناك حزب القيصر والحزب المعادى للقيصر . وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الاتجاه قد ظهر في مصر في عهد الرعامسة المتأخر عندما وجدنا أن نائب الفرعون كان شبه حر وأنه كان ينحاز بقوة إلى الحزب الذي يميل إليه^(١) .

والواقع أنه في عهد الأسرة الثامنة عشرة لم تكن توجد لدينا وثائق تبرهن على النظرية القائلة إن بلاد النوبة قد لعبت دوراً هاماً بوصفها عاملاً قوياً في سياسة البلاد الداخلية ، وعلى ذلك فإن نظرية الأستاذ « زيته » التي منها نفهم أن « حتشبسوت » قد طلبت المساعدة للوصول إلى مطامعها السياسية في عهد زوجها « تحتمس الثاني » من أمراء بلاد النوبة يجب غض النظر عنها^(٢) . ومن جهة أخرى يجوز أن رحلة « حور محب » في بلاد النوبة قبل توليته عرش الملك كان لها علاقة بالسياسة الداخلية ، فمن الجائز أن الشجار الغامض الذي قام بين « حور محب »

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٤١٠

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢٩٥

الذى كان القائد الأعلى للجيش والوصى على العرش فى عهد « توت عنخ آمون »
وبين مناهضه « آى » الذى كان مسيطراً على السلطة فى « طيبة » ، قد جعل الأول
يفكر فى رحلة إلى بلاد النوبة ليضم إلى جانبه كبار موظفى الدولة حتى إذا جاء الوقت
المناسب ضرب ضربته وقفز إلى عرش الملك . ومن ثم نجد أن « حور محب »
عند ما تولى عرش الملك قد عمل على توطيد مكانة البلاد السياسية من جديد وقضى
على كل المفاسد التى كانت منتشرة فى طول البلاد وعرضها ، وكانت رحلته إلى بلاد
النوبة بعد توليته العرش لنفس الغرض ، كما نقرأ ذلك فى منشور إصلاحه العظيم .
وقد كان من أهم ما تصبو إليه نفسه أكثر من أى ملك آخر أن تكون الأحوال
فى بلاد النوبة هادئة وأن يكون الموظفون هناك على ولاء للجالس على العرش ،
وعلى ذلك لا يكون هناك مجال للحزب المعارض ليكون له قدم راسخة ، ومن ثم لا يكون
فى بلاد النوبة أية حروب تطعنه من الخلف وتعوق سير الإصلاح الذى كان يقوم
به فى مصر .

أما ثانى عهد نجد فيه شجاراً سياسياً داخلياً عظيماً فى مصر فقد كان فى نهاية
الأسرة التاسعة عشرة ، إذ كان قد خلف الفرعون « مرنبتاح » سلسلة من الملوك
الذين اغتصبوا عرش البلاد وهؤلاء لا يزال لدينا بعض الشك فى ترتيب توليهم الملك^(١) ،
وعلى أية حال ظهرت بلاد النوبة فى هذا العهد بوصفها عاملاً قوياً فى سياسة البلاد
الداخلية وما حيك فيها من دسائس . فنجد أن الملك « رمسيس سبتاح » قد قام
برحلة إلى بلاد النوبة فى السنة الأولى من حكمه لينصب نائب الملك « سبتى »
فى وظيفته « نائب كوش »^(٢) . ولا نعلم إلى أى حد سار هذا الملك فى رحلته فى بلاد
النوبة ، غير أن شواهد الأحوال تدل على أنه لم يذهب إلى أكثر من « بهين » .
هذا وقد أرسل الملك فى نفس السنة رسوله « نفر حور »^(٣) بالهدايا وهاك النقش :

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٢٠٣ — ٢٠٦

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٢٤٩

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٢٥٠ وكذلك L.D., III, 202 b .

« السنة الأولى من حكم الإله الطيب » رعسيس سبتاح « معطى الحياة . الثناء لحضرتك يا حور سيد « بهين » ، ليته يمنح الحياة والسعادة والصحة ، والقدرة على الخدمة والحظوة والحب روح رسول الملك فى كل الأراضى الأجنبية ، وكاهن إله القمر (تحوت) الكاتب (المسمى) « نفر حور » بن « نفر حور » كاتب سجلات الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) عند ما حضر بمكافآت لموظفى النوبة وليقود ابن الملك صاحب « كوش » فى رحلته الأولى . هذا ولدينا نقش من السنة الثالثة من حكم هذا الفرعون يشير إلى ضرائب « كوش »^(١) تركه هناك رئيس الرماة وهو من الأهمية بمكان وهالك النقش « حامل المروحة على يمين الملك ، وكاتب الفرعون والمشرف على المالية ، وكاتب ديوان الملك لرسائل الفرعون ومدير القصر فى « برآمون » « بياى » لقد أتى ليتسلم جزية أرض « كوش » . وهذا القائد كان له أهمية عظيمة كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل .

ونفهم من مضمون النقش السالف الذكر أن الملك قد أرسل رجلا ممن يثق بهم ليحمل له الضرائب من كوش التى كان يوردها فى العادة نائب الملك لعاصمة الملك . ويرجع السبب فى ذلك أن الملك كان فى ذلك الوقت المضطرب لا يتسلم الضرائب بصورة منتظمة ، ولذلك أرسل أحد خدامه المخلصين وهو رجل حربى ليحمل له الجزية خوفا من أن يضع بعض الذين لم يكونوا على ولاء له العراقيل فى سبيل إحضارها . ولا نزاع فى أن النقشين الأخيرين الخاصين بإحضار الضرائب بواسطة مبعوثين من الملك يكشفان عن حالة عدم الاستقرار فى بلاد النوبة .

وإذا سلمنا مع الأثرى « أمرى » أنه كان يوجد ملك ثالث باسم « سبتى » قد اعتلى العرش بعد « مرنبتاح سبتاح » فإنه من المحتمل أن يكون 'موحدا' « بسبتى » الذى كان نائبا على كوش ، وهو الذى خلف « رعسيس سبتاح » على العرش^(٢) . والواقع

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٥١ Pl. II 25 Buhen, Randall Maciver .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٢٠٤ عن الآراء المختلفة فى ترتيب ملوك أواخر الأسرة

أن الترتيب الذى اقترحه « أمرى » يحمل بدون شك كثيرا من المتناقضات فى المادة التى لدينا ، وذلك بوجود ملك يدعى « سبتى » قبل « سبتاح^(١) » وآخر بنفس الاسم بعده . ومع ذلك يبقى وجه الغرابة فى أن ملكين باسم « سبتى » لم يفصل حكمهما إلا بمدة قليلة ، وأن نائب الملك « حورى » الذى خلف « سبتى » فى ولاية كوش كان فعلا فى السنة السادسة من حكم الملك « مرنبتاح سبتاح » يشغل هذه الوظيفة وعلى ذلك يكون « سبتى » قد ترك وظيفته بوصفه نائبا للملك فى زمن معلوم قبل اعتلاء العرش . وعلى الرغم من أن الموضوع لا يزال فى حاجة إلى إيضاح فإنه مع ذلك من الممكن أن يكون هناك فعلا نائب ملك من بلاد النوبة قد اعتلى العرش وهذا ما يتفق مع الأهمية السياسية المتزايدة لبلاد النوبة ، وهذا ما شاهدناه فى العهد السابق المباشر ، ومن جهة أخرى يجوز أن من قال عنه « أمرى » أنه « سبتى الثالث » يمكن أن يكون موحدًا « بسبتى الثانى » الذى يرجح أنه قد عاد إلى الملك ثانية بعد ترك الملك للفرعون « رعمسيس سبتاح » مدة ثم أبعده ثانية ، وبعد ذلك تزوج من أرملة مرنبتاح سبتاح « توسرت » فى مدة توليه عرش الملك للمرة الثانية .

وعلى حسب كل ذلك لم يكن من الأمور المفاجئة أن تقوم مؤامرة على « رعمسيس الثالث » وأن الحزب المعارض للفرعون قد وجد سندًا فى بلاد النوبة للوصول إلى غرضه ، وقد شرحنا ظروف هذه المؤامرة شرحًا مستفيضًا فى الجزء السابع من تاريخ مصر القديمة^(٢) . والدور الذى لعبته بلاد النوبة هو أن قائد الرماة فى بلاد النوبة كان له أخت فى حريم « رعمسيس الثالث » وكانت فى جانب المتآمرين على الملك . وفى المحاكمة التى أمر بها « رعمسيس الرابع » بعد موت والده وهى التى تصف لنا المتآمرين نجد أن قائد الرماة المسمى « بين مواست » (ومعنى الاسم « الخبيث فى طيبة ») ، (ولا نعلم إذا كان هذا القائد هو نفس القائد المسمى

(١) راجع ما كتبه السير آل جاورنر عن قبر الملكة توسرت J.E.A. Vol. 40 p. 40 ff .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٤٤٠ .

« باكتامون » المعروف في بهين أم لا) ، ويلاحظ هنا أن الاسم الأول لهذا القائد لم يكن إلا اسماً مستعاراً نودى به لسوء فعلته . والظاهر أن أخت هذا القائد كان بينها وبين رئيس مكتب « باكتامون » صلة فأرسلت معه خطاباً لأخيها تحضه فيه على الثورة وبث العصيان في بلاد النوبة على الملك . وقد لى الأخ هذا النداء ولكنه قبض عليه وقدم للحاكم ووجد مذنباً ، ولا نزاع في أن انضمام قائد الجيش النوبى للثائرة معناه خروج كل بلاد النوبة على حاكم البلاد الشرعى ، وقد كان خطر ذلك أعظم بكثير مما لو كان المتآمرون متصلين بقائد الجنود في مصر ، وذلك لأنه لا يمكن أن تقوم حركة دون أن يكشف أمرها ، وهذا على عكس ما كان يحدث بعيداً في إقليم بلاد النوبة حيث يمكن الإنسان أن يراقب كل الأخبار الداهية إلى مصر ، وعلى ذلك فإن من الممكن نشر أى مشروع من وراء ظهر الحكومة بكل هدوء وسكينة دون علم بما يجرى في بلاد كوش .

ولم يكن نائب بلاد كوش من جهة أخرى ضمن المتهمين ، ونحن نعلم أن نائب الملك الذى كان في عهد « رعمسيس الثالث » هو « حورى الثانى » وقد ظل يشغل هذه الوظيفة في عهد « رعمسيس الرابع » . وهذا يدل على أن هذا النائب قد ظل موالياً للحاكم الشرعى وأن المتآمرين لم يصيبوا نجاحاً كبيراً ، ولا أدل على ذلك من أن « رعمسيس الرابع » قد أفلح في تنصيب نفسه ملكاً على البلاد .

وفي عهد آخر ملك في الأسرة العشرين تمزقت مصر شيعاً ، وقد تحدثنا عن ذلك بإسهاب في الجزء الثامن^(١) .

وخلاصة القول في ذلك أنه قامت ثورة ما بين السنة الثانية عشرة والخامسة عشرة من عهد « رعمسيس الحادى عشر » في مصر وتولى في خلالها « أمنحتب » وياسة كهنة « آمون » في مدينة « طيبة » وقد اشترك فيها الأجانب واللوبيون بخاصة وقد كان نائب الملك « بانمسى » على اتصال وثيق مع الوجه القبلى ، وتدل شواهد

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٢٣ — ٥٣٣ و ٦٠٢ — ٦١٨

الأحوال على أنه حارب أسرة اللوبيين التي كانت وقتئذ في دور التكوين ، وقد وقعت الحرب في جهة « كينوبوليس — هارتارى » التي تقع على مقربة من « هيراكليوبوليس » (اهناسيه المدينة) وكان « بانحسى » نائب الملك في كوش والقائد الأعلى للجيش هو المعيد حقاً للنظام في « طيبة » ، على أنه بعد انتهاء هذه الثورة لم يعد « أمنحتب » إلى وظيفته ، إذ الظاهر أنه كان قد مات عندما رجع الأمن إلى نصابه ، ولكن الذي تولى مكانه وخلفه فيها « حريحور » . والظاهر أن الملك قد أفاد من هذه الثورة إذ أبعد رئيس الكهنة صاحب السلطان العظيم وبذلك تغلب نائب الملك لكوش وشيعته عليه ، أما « حريحور » فقد كان بمثابة أحد الضباط التابعين لنائب الملك « بانحسى » يقود جيش الوجه القبلى فكان في وظيفته هذه يلعب نفس الدور الذى كان يلعبه يوماً ما « رعمسيس الأول » قبل تولى الحكم تحت قيادة « حورمحب » . والواقع الذى لا صراء فيه أن « حريحور » لم يكن يشغل وظيفة كاهن أكبر في عهد هذا الملك بل إنه ارتفع إلى هذه الوظيفة السامية في ظل حماية الجنود النوبيين التابعين لنائب الملك « بانحسى » . وقد ظل نائب الملك في وظيفته هذه بعد نهاية هذه الحروب وطاد إلى بلاد النوبة مقر عمله . وبعد العام السابع عشر من عهد الملك « رعمسيس الحادى عشر » حل « حريحور » محل « بانحسى » في وظيفة نائب الملك في كوش وفى الوقت نفسه قبض على مقاليد وظيفة الوزير في « طيبة » وبذلك أصبح بمثابة الحاكم الحقيقى الوجه القبلى وبلاد النوبة . وقد أصبح « حريحور » بوصفه الكاهن الأكبر « لآمون » المسيطر على كل ثروة معابد الإله « آمون » كما كان بوصفه وزيراً يسيطر على كل إدارة الوجه القبلى ، ومن جهة أخرى فإنه بوصفه نائب الملك في كوش كان في مقدوره أن يحى نفسه من أى ثورة تقوم عليه بمساعدة الجنود النوبيين . وبما يلفت النظر أنه أبقي في يده وظيفة نائب الملك ونزل لفرد آخر يدعى « نب ماعت رع نحت » عن وظيفة وزير بعد السنة التاسعة عشرة من حكم « رعمسيس الحادى عشر » . وعندما تولى « حريحور » مرش الملك أى بعد وفاة الفرعون « رعمسيس الحادى عشر »

نزل عن وظائفه لابنه « بيعنخي » أو بعبارة أخرى ورثها إياه^(١).

وبعد نهاية الدولة الحديثة كانت الأحوال السياسية في الجنوب في ظلمة حالكة وكذلك نجد نفس الغموض في عصر ما قبل ظهور الأسرة الكوشية التي برزت على مسرح التاريخ في الربع الأول من القرن الثامن قبل الميلاد . ولكن عندما زحف « بيعنخي » الذي يعد أول حاكم عظيم من الجنوب واستولى على مصر التي كانت قوتها السياسية والثقافية قد انحطت فإنه قد جعل من نفسه بطل مصر الحقيقي الذي عمل على نشر معتقداتها الحقيقية ، وبذلك كان ينفذ خطة رسمها لنفسه وهي نفس الخطة التي سارت فيها نهضة عصر الرعامسة المتأخر حيث نجد بلاد النوبة الممصرة قد ظهرت في سياسة مصر الداخلية بوصفها عاملا قويا بارزا .

ومنذ توات الأسرة الكوشية (أو الأثيوبية) زمام الأمور في مصر دخلت مصر في طور جديد من أطوار حياتها السياسية إذ اختفى فراعنتها وراء الستار فترة من الزمن برز خلالها سلالة ملوك كوش وابعوا دورا في إنعاش بلادهم وتوحيد القطرين الشقيقتين تحت لواء واحد يحمل ملوك « نباتا » في الجنوب .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٦٦

الفتح السوداني لمصر

نظرة عامة في تاريخ الكشف الأثرية

عن أصل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين

تحدثنا فيما سبق عن الأطوار التي مرت على العلاقات بين مصر وبلاد النوبة منذ أقدم العهود حتى دخل أهل السودان فاتحين مصر في القرن الثامن قبل الميلاد. وكان كل ما نعرفه عن الأسرة الفاتحة بعض أسماء ملوكها دون أن نعرف شيئاً عن أصلهم أو موقع ملكهم في بلاد كوش ، وقد بقيت الحال كذلك إلى أن قامت الحفائر العلمية في بداية هذا القرن على يد الأثرى العظيم الأستاذ « ريزنر » فأماط اللثام عن بعض معميات هذا الموضوع وقد قفاه بعض العلماء في البحث والتنقيب فأضافوا بعض معلومات جديدة هامة عن أصل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية .

وقد كان أول عمل وصل إليه الأستاذ « ريزنر » هو الكشف عن ست جبانات ملكية تقع كلها في محيطين عظيمين وهما محيط مدينة « نباتا » ومحيط مدينة « مروى » وتقعان على النيل ، الأولى أقيمت أسفل الشلال الرابع والثانية في أعلى الشلال الخامس وينسب لكل منهما ثلاث جبانات ويمكن تحديدها بالنسبة للأخيرة .

وكانت مدينة « نباتا » القديمة عاصمة بلاد كوش في خلال عهد ثقافتها العتيقة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمعبد « آمون » العظيم الذي يقع عند سفح حافة صخرة بارزة من جبل « برقل » تعرف « بالجبل المقدس » في المتون المصرية القديمة « زووصب »^(١) ويقع هذا الجبل بالقرب من بلدة « كريمة » القريبة من الشلال الرابع . على أن تحديد الموقع الإداري لبلدة « نباتا » لم يعرف حتى الآن على وجه التأكيد ، غير أنه

لدينا براهين تشير إلى أنه كان يقع في ربوع مدينة « مروي » أو بالقرب منها (ويجب ألا نخطئ هنا بين مدينة « مروي » هذه وسميتها الواقعة على مسافة أربعة أميال في انحدار النيل أسفل جبل « برقل » وتقع على الشاطئ الشرق للنهر وتدعى الآن « مروي الجديدة ») .

والجبانات الملكية الثلاث الواقعة في منطقة « نباتا » هي :

(١) جبانة « الكورو » وتقع على مسافة ميل غربى النيل وعلى مسافة جسر أميال شمالى جبل « برقل » .

(٢) وجبانة « نوري » وتقع على مسافة ميل جنوب النيل وعلى مسافة ستة أميال جنوبى جبل « برقل » .

(٣) و « برقل » حيث توجد مجموعتان صغيرتان من الأهرام وتقع بالقرب من جبل « برقل » في الجنوب والغرب .

وكانت مدينة « مروي القديمة » تعد المركز الإدارى لبلاد كوش في عهد ثقافتها المتأخر وتسمى الثقافة المروية وهى تقع على الشاطئ الشرق للنيل على خط عرض ١٦,٥٥,١٥ شمالاً وخط طول ٣٣,٤٢,٣٠ شرقاً وعلى مسافة ٢١٣ كيلومتراً بالسكة الحديد شمال الخرطوم ، وتشغل الآن قرية البجراوية جزءاً من المدينة القديمة . وأهم أثر فيها الآن معبد « آمون »^(٢) . هذا وقد قامت بعثة جامعة « هارفرد » بحفر ثلاث جبانات في « مروي » وتقع كلها شرق المدينة .

وأهم هذه الجبانات الواقعة في محيط « نباتا » هى جبانة « الكورو »

(١) راجع Griffith, Excavations at Sanam in Liverpool Annal of Archeology and Anthro-
pology, IX (1922) p. 77-124, X. (1923) p. 71-171.
(٢) راجع John Garstang, Meroe, The City of the Ethiopian (Oxford, 1911); and Liverpool
Annals of Archeology III (1910) p. 57-70 ; ; IV p. 45-71; V (1912) p. 73-83 ; VI (1913) p. 1-21
VII (1914) p. 1-24.

التي كشف فيها عن أهرام أربعة ملوك من فراعنة الأسرة الخامسة والعشرين ، وقد كان لهذا الكشف دوى عظيم في الأوساط الأثرية ، إذ لم يكن من المتوقع أن يعثر على قبور ملوك هذه الأسرة في تلك المنطقة وبخاصة بعد أن كشف « ريزر » في عام ١٩١٧ عن مقبرة الملك « تهرقا » في جبانة « نوري » الواقعة على المشارف الجنوبية لمدينة « نباتا » .

وهذه الأهرام الأربعة للملوك الآتين : « بيعنخي » و « شبكا » و « شبتاكا » ثم « تانوتامون » . وبهذا الكشف الجديد أصبح معروفا لدينا مقابر أربعة من الملوك الذين حكموا مصر وكوش . وهؤلاء هم المعروفون بملوك الأسرة الخامسة والعشرين ، هذا إلى الكشف عن قبر جدهم العظيم « كشتا » فاتح مصر . وكان المفروض قبل هذا الكشف أن كلا من الملكين « شبكا » و « شبتاكا » قد عاش في مصر ودفن فيها ، ولكن قد أصبح من الواضح الآن أن موطن الأسرة الخامسة والعشرين القوية الساطان هو بلدة « الكورو » التي كانت تعد مقرهم الرئيسي . والواقع أنه في هذا المكان وطدت الأسرة أركان حكمها في كوش قبل عهد « بيعنخي » بأجيال ، ومن هذه البلدة النائية أخذ ملوكها يفتحون ويحكمون مملكتهم العظيمة التي امتدت شهرتها إلى كل أنحاء العالم القديم المتمدين فقد كان يقوم من « الكورو » السعاة رجال البريد حاملين الرسائل باسم ملك كوش إلى عواصم غربي آسيا ، والواقع أنه عثر في السجلات الملكية في « نينوه » عاصمة « آشور » على طابع خاتم من الطين باسم الملك « شبكا » منذ عدة سنين ، ومن المحتمل أن هذا الطابع كان جزءا من رسالة الملك « شبكا » إلى « اهل « آشور » « مرجون الثاني » ، كما أنه يحتمل أن الرسالة كانت رداً على خطاب قد أحضر إلى « نباتا » ، ومن الجائز أنه لا يزال مدفونا حتى الآن في إحدى المباني الخربة من زمن العاصمة القديمة ، وتنتظر معول الحفار لإمالة اللثام عنها . ومن الغريب أنه قبل الكشف عن هذه المقابر الملكية في « الكورو » كان علماء الآثار يقولون بوجود أربعة ملوك باسم « بيعنخي »

أو أكثر كما قالوا بوجود ملكين باسم « كشتا » وكلهم حكموا مصر . وهذا القول الذى لم يكن يرتكز على أساس أثرى قد وضع له حد بعد الكشف عن مقابر « الكورو » ؛ فقد دلت الآثار على أنه لم يوجد إلا ملك واحد باسم « كشتا » وآخر باسم « بيعنخى » على أغلب الظن . هذا وقد أضافت لنا الكشف بعض التقدم بإمالة اللثام عن تاريخ العصر الذى يقع بين آخر نائب ملك لمصر فى كوش وحكم الملك « كشتا » .

والخطوة الرئيسية فى الموضوع الذى نتحدث عنه هى الكشف عن الأصل اللوبى لأول أسرة كوشية ملكية . ولما كانت النتائج التى وصلنا إليها قد استنبطت من الآثار التى كشفت عنها أعمال الحفر فى هذه الجهة فإنه من الضروريات الهامة أن نفسر سلسلة الحقائق التى أسفرت عنها الحفائر .

الجبانة الملكية فى « الكورو » :

فى الواقع أن جبانة « الكورو » هى أقدم الجبانات الكوشية الملكية كما أنها أقلها حفظا من جهة المبانى التى تعلو قبورها وذلك لأن أحجارها قد نُهبت بصورة يشعة واتخذت مادة لإقامة المبانى الحديثة للسكان المجاورين لهذه الجبانة لدرجة أنهم فى كثير من الأحيان لم يتركوا بعض الأحجار لتدل على المبانى العلوية للقبر ، هذا إلى أنه لم تترك حجرة دفن واحدة سليمة ، ومع ذلك فإن الأهمية التاريخية لهذه الجبانة عظيمة جدا وما بقى فيها من مواد أثرية كان عظيما . والواقع أن حفائر « الكورو » قد وضعت الأساس لفهم تطور مبانى القبر الملكى النباتى ، هذا بالإضافة إلى الأشياء المصنوعة التى وضعت مع المتوفى فإنها قد سهلت موضوع التاريخ فى الجبانات الأخرى التى من العصر الكوشى .

وإن أهم ما يلفت النظر فى جبانة « الكورو » أنها تقدم لنا العناصر الهامة التى نجد مثلها فى جبانة « نورى » ، وأعنى بذلك أن المقابر فيها كانت من الطراز الهرمى الذى له طريق ذات سلم ، واتجاه المبنى كان نحو الغرب (على الشاطئ الأيسر

للليل) ، ثم فصل مقابر الملكات عن مقابر الملوك . وعلى الرغم من هذا التوافق فإنه توجد فروق عظيمة بين الجبانتين . فالجبانة التي في « نوري » كان قد أسسها الملك « تهرقا » ويقع قبره الهرمي الشكل في أجمل موقع فيها ، إذ يقع على أعلى جزء من الهضبة التي فيها الجبانة وهي على شكل حدوة في الجهة الشرقية . أما مقابر الملوك الذين خلفوه على عرش كوش فقد أقيمت على طول قمة الهضبة حتى نهاية الجزء الغربي منها حيث أقيم قبر الملك « نستاسن » من أواخر ملوك هذه الأسرة في أخفض وأردأ مكان بالنسبة للمقابر الأخرى .

أما الملكات فقد دفن على كل من جانبي هرم « تهرقا » وخلفه . أما في « الكورو » فإننا نجد على أية حال أن الرقعة الرئيسية التي أقيمت عليها مقابر الملوك الأربعة تقع على هضبة من الحجر الرمل بين واديين في حين أن المساحات التي تقع في الشمال والجنوب من هذين الواديين قد أقيم عليها مقابر الملكات . ويلاحظ أنه في « نوري » كان الموقع الرئيسي يحتله هرم الملك « تهرقا » مؤسس الجبانة ، ولكن في « الكورو » نلاحظ أن الموقع الرئيسي أو بعبارة أخرى موقع قبر المؤسس للجبانة كان يحتله قبر خاص على هيئة تل . وبعد ذلك نجد الخمسة عشر موقعا التي تلي هذا القبر قد شغلت بسلسلة مقابر كان حجمها يزداد على التوالي كما كانت مبانيها تمتاز ببجالتها وإتقانها على التوالي أيضا . ثم يلي ذلك المقابر الملكية الأربع وقد أقيمت في أحقر أربعة مواضع في الجبانة ، ولا غرابة في ذلك إذ كانت آخر مقابر في جبانة استعملت باستمرار منذ بضعة أجيال قبل موت « بيغنخي » ولذلك لم يبق منها غير مشغول إلا الأماكن الحقيمة .

وتقع رقعة الجبانة الرئيسية في « الكورو » بين واديين وتأخذ في الارتفاع شيئا فشيئا نحو الصحراء حتى يبلغ علوها حوالي ثمانين وماثتي متر . وفي النهاية الشرقية من هذه الجبانة جبل صغير أقيم في قمته قبر على هيئة تل مستدير مؤلف من أحجار صغيرة خشنة وحجارة دفن مغطاة ببناء على شكل تل وهي عبارة عن بئر

مستطيلة مساحتها ثلاثة أمتار وعشرون سنتيمترا وعرضها متر وسبعون سنتيمترا وعمقها متران وخمسون سنتيمترا ويتجه هذا القبر من الشمال إلى الجنوب وله سلم على الجانب الغربي وحجرة الدفن في الجهة الشرقية في قعر البئر . وهذه الحجرة قد سدت بإقامة جدار خشن البناء من اللبنة وقد رمز لهذه المقبرة « بالكورو » رقم واحد .

وبالقياس للمقبرة رقم ٢ في « الكورو » نعلم أن المتوفى كان مضطجعا على جانبه الأيمن بركبتيه المطويتين بعض الشيء ورأسه نحو الشمال ووجهه متجه نحو الغرب . وتوجد حول هذا القبر في منخفض من سفح الجبل ثلاثة مدافن متشابهة . وأسفل من ذلك من جهة الغرب أقيم قبر آخر على هيئة تل كذلك ، غير أن منظره الخارجى أحسن من المقابر السابقة وهو الذى رمز له « بالكورو » رقم ١٩ . وهذا القبر يشبه المقابر التى فى المستوى الأعلى منه فى كل أسسه ، ولكنه يمتاز بأنه قد كسى بأحجار رملية محكمة البناء أقيمت حول التل المؤلف من أحجار صغيرة وقد زيد فيه بعض إضافات نخص بالذكر منها حزارا أو مقصورة فى الجهة الغربية وسورا من الحجر الرملى على هيئة حدوة الحصان وهذه تعد ظاهرة جديدة فى هذه المقابر . هذا وقد أقيم على صخرة خارجة من الهضبة فى الجنوب من « الكورو » رقم ١٩ مقبرة أخرى مكسوة بالأحجار (وهى « الكورو » رقم ٦) على غرار المقبرة رقم ١٩ ، (والمقبرة رقم ٦ هى للملكة « أرتى » ابنة « بيمنخى » كما سنرى بعد) .

هذا وقد أقيم أمام المقبرة رقم ١٩ صف من المصاطب عددها ثمان وتحترق الهضبة من الوادى الجنوبى إلى الوادى الشمالى وتحمل على حسب ترقيم الأستاذ « ريزنر » الأرقام التالية ١٤ ، ١٣ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٢٣ ، ٨ ، ٧ . ويوجد أمام المسافة التى بين المقبرتين ٨ ، ٧ مصطبة تاسعة وهى التى تحمل رقم « الكورو » ٢٠ . وهى صغيرة جداً ، وبدهى أنها تابعة « للكورو » رقم ٨ . وأقدم هذه المصاطب هما « الكورو » رقمى ١٤ و ١٣ وقد أقيمتا فى الجنوب والشمال من مدخل السور الذى حل شكل الحدوة الخاص « بالكورو » رقم ١٩ . وذلك بطريقة أدت إلى ترك

مكان خال للدخول من جهة الغرب . وكان الجدار المسور للقبرة رقم ١٣ قد أقيم مرتكزاً على الجدار المسور للقبرة رقم ١٩ على هيئة تل وعلى ذلك أصبح من الواضح أن كلا من المصطبتين ١٤ ، ١٣ أحدث عهداً من المصطبة رقم ١٩ بل بنيتا عند ما كانت القربان التي كانت تقدم لصاحب المقبرة رقم ١٩ لا تزال قائمة .

ولدينا برهان آخر عن الصلة الوثيقة التي بين هاتين المصطبتين والمقابر التلية للشكل التي أقدم منها وهو أن المقبرة رقم ١٤ يظهر أنها قد وضع تصميمها على أن تكون مقبرة تلية ثم حولت فيما بعد إلى مصطبة ويمكن رؤية التل المؤلف من أحجار صغيرة في داخل مبنى المصطبة . وإذا استثنينا هذا نجد أن كل المصاطب حتى « الكورو » رقم ٩ كانت من طراز واحد وأن حفر الدفن كانت بالضبط مثل حفر دفن المقابر التلية وبنفس اتجاهها . أما المبنى الذي كان مقاماً فوق حجرة الدفن فهو عبارة عن قطعة مربعة جوانبها عمودية ويبلغ ارتفاعها حوالي متر وعشرين سنتيمتراً أو أكثر ، غير أن شكل قمة المبنى لم يمكن التأكد من هيئته . ويوجد في الجهة الغربية مقصورة أو منزار مبنى ، وحول الكل سور مستطيل قمته مستديرة . هذا ونجد من حيث الوضع أن المصطبتين التاليتين للقبرة التاسعة وهما ٢٣ ، ٢٠ على الرغم من أنهما مثل المصاطب القديمة في كل صفاتها إلا أن لكل منهما حفرة دفن بسيطة تتجه من الشمال إلى الجنوب . والمصاطب الأخيرة كانت بداهة هي ٨ ، ٧ و ٢٠ بهذا الترتيب . ويلاحظ أن المصطبتين الكبيرتين ٨ ، ٧^(١) مشابھتان في تصميمهما لمصاطب الدولة القديمة المصرية ولها حفرة دفن مفتوحة مثل المقبرتين رقم ٢٣ ، ٢١ غير أنهما تختلفان في نقطتين : أولاًهما : كانت المصطبة مبنية من أحجار صغيرة والمقصورة والجدار المسور شيداً من جديد بأحجار ضخمة حسب الطراز الذي بنى به قبر الملك « شبتا كا » ، وثانيتهما : كانت حجرة الدفن تتجه من الشرق إلى الغرب وهو الاتجاه الذي نجده في مقابر ملوك كوش من هذا العهد وما بعده .

(١) يحتمل أنه قبر الملك « كشتا » .

والمقابر التي تأتي بعد هذه من حيث الطراز ومن حيث الزمن مقابر الملكات التي من عهد الفرعون « بيمنخي » وقد أرخت بتقوش وآثار مادية وجدت فيها .
ويلحظ أنها ليست في نفس الرقعة الرئيسية التي أقيمت فيها المقابر التي تحدثنا عنها ، بل وجدنا واحدة منها في الرقعة الشمالية وهي المقبرة رقم ٢٢ كما وجدنا نحسا في الرقعة الجنوبية (من رقم ٥١ إلى ٥٥) ويلفت النظر أن البناء العلوي الذي فوق هذه المقابر الست قد هدم تماما ، غير أن أماكن الدفن كانت أماكن الدفن في المقبرتين ٨ ، ٧ وقد ذكرنا هذه المقابر هنا لأن حفر الدفن كانت مسقفة بقبوة خارجة وعلى ذلك يمكن أن نستنبط أن حفر الدفن المفتوحة (وهي ٢٣ ، ٢٢ ، ٨ ، ٧) كانت مسقفة بنفس الطريقة .

هذا ونجد في الرقعة الرئيسية أن المقبرة التي تلي المصاطب هي مقبرة الملك « بيمنخي » وتقع على مسافة حوالي عشرة أمتار ، أمام صف المصاطب في الجزء الأسفل الذي بين المقبرتين العاشرة والحادية عشرة وهي من نفس طراز المقابر التي لها حفرة وسقفها مقبب خارج ، غير أنه قد ظهر فيها نقطة جديدة حتمتها الزيادة الكبيرة التي أضيفت في حجم المقبرة وعمقها ، فقد بلغت مساحة حجرة الدفن ٥٠م × ٣م أمتار × ٥م أمتار عمقا في حين أن أكبر الحفر السابقة وهي « الكورو » رقم ٨ قد بلغت مساحتها ٣م × ٢م × ٣م من الأمتار عمقا ، هذا وكانت الخارجية مؤلفة من أحجار أكبر حجما رصت رصا متقنا . أما في حالة حجرات الدفن في المقابر القديمة فكان لا بد أن الخارجية أقيمت بعد الدفن ، وذلك لأن حجرة الدفن لم يكن لها مدخل . ويلفت النظر في مقبرة « بيمنخي » أن عمق حجرة الدفن وحجم الأحجار التي بنيت بها الخارجية قد جعلت المومياء والقربان في خطر ، ولكن لتقليل هذا الخطر عمل سلم خشن صغير قطع في الصخر من جهة الغرب يؤدي إلى النهاية الغربية من حفرة الدفن بواسطة باب مقطوع في الصخر . ومن ثم نفهم أنه لأسباب عملية محضة قد حولت حجرة الدفن البسيطة إلى حجرة دفن لها سلم .

وكان قبر « بيعنخي » هو الأول من سلسلة طويلة من المقابر الملكية ذات السلام التي أقيمت في بلاد كوش^(١).

ومما يؤسف له أنه لا يمكننا الجزم مما تبقى إذا كان البناء العلوي الذي أقيم على حجرة الدفن قد اتخذ شكل مصطبة أو هرم مثل المقابر الملكية التي بنيت بعد هذا القبر، وعلى أية حال فإن البناء العلوي المربع كان فوق السقف ذي الخارجية مباشرة في حين أن المزار الملاصق له في الجهة الغربية لا بد أن يكون قد بنى بعد الدفن على الردم الذي ملأ السلم وبذلك كان أساس المزار ضعيفا جدا ولا بد أنه قد هبط بعد أول مطر غزير فسبب تداعيا جزئيا في الجدران.

أما مقبرة الملك « شبكا » (Ku. 15) فكانت مقامة على مسافة عشرين مترا جنوب مقبرة « بيعنخي » وأمام المصطبة رقم ١٤ التي لم يعثر على اسم صاحبها وهي في الواقع أقل المصاطب أهمية في هذا الصف ويحتمل أنها أقدمها.

وتدل مباني مقبرة الملك « شبكا » على تقدم محس عن مباني مقبرة « بيعنخي » ولكن تصميمهما الأساسي واحد فنجد أن حجرة الدفن في مقبرة « شبكا » لم تظل بعد حفرة في صورة حجرة بل أصبحت حجرة منحوتة في الصخر الصلب ولها سقف مقطوع كذلك في الصخر مقبب على غرار سقف « بيعنخي ». هذا إلى أن السلم صار أبجل صنعا بدرجة كبيرة وأكثر عمقا وينزل حتى باب حجرة الدفن، وكذلك نجد أن نقطة الضعف في تأسيس المزار على الردم قد تلوفيت بطريقة كان لها أثر في تطور القبر الملكي في كوش في المستقبل، فلم يترك السلم مكشوبا في كل امتداده حتى باب حجرة الدفن، بل نجد أن الدرجات الست الأخيرة كانت مقطوعة فيما يشبه النفق بحفرها في الصخر ولم يكن له عارضا باب عند المدخل وقد أقيم على هذا النفق المزار وبذلك أصبح يرتكز على صخرة. أما البناء المربع الذي كان يقام على حجرة الدفن فقد اتخذ شكلا هرميا يغطيها كلها.

أما المكان الذى يقع فى شمالى مقبرة « بيعنخى » وهو الذى يقابل فى موقعه هرم « شبتاكا » فكان موضعه مباشرة أمام المصطبة التى تعد أحدث وأهم مصاطب الصنف . ولا نعلم إذا كان الملك « شبتاكا » صاحب هذا القبر قد انتخب مكانه خلف المقبرة رقم ٨ (ويحتمل أنه قبر الملك « كشتا ») احتراماً لهذه المصاطب أو بسبب رداءة نوع الحجر فى إهدا المكان ، ويدل إعادة بناء المقبرة رقم ٨ على يد بنائى مقبرة « شبتاكا » على أنها كانت ذات أهمية عظيمة فى نفس هذا الملك . ويدل بناء قبر « شبتاكا » على تقدم جديد فى فن العمارة إذ نجد السلم ينتهى عند بداية الممر الذى حوّل إلى دهليز له سقف أفقى وسطح منبسط . وعند القمة ينزل السلم من الجنوب بمقدار تسع درجات قبل أن يتحول إلى الشرق بزاوية مستقيمة ، وقد عمل ذلك لتلافى التعدى على الجانب الشرقى من سور المقبرة رقم ٨ ، هذا ويلفت النظر بصورة بارزة أن حجرة الدفن كان سقفها مقبباً وخارجاً عن سقف حجرة دفن « بيعنخى » ولكنها كانت أكبر مساحة إذ تبلغ مساحتها ٨ أمتار فى أكثر من خمسة أمتار وما يقرب من ستة أمتار فى العمق . ويظهر أن سبب هذا التغير كشف تشقق فى أم الصخر مما جعل قطع سقفه مهدداً بالخطر .

ويأتى بعد ذلك فى الترتيب التاريخى هرم « نوى الأول » وهو قبر « تهرقا » خلف « شبتاكا » . و « تهرقا » هذا هو أحد أبناء « بيعنخى » كما سنرى بعد من أميرة تدعى « آبار » والظاهر أنها كانت ابنة الملك « كشتا » ، ولا نعلم السبب الذى دعا « تهرقا » هذا إلى إقامة مقبرته فى « نوى » ، ومن الجائز أن السبب يرجع إلى خليط من الفرور الإنسانى والأحقاد الأسرية ، وقد يكون فى ذلك مثله كمثل « زد فرع » أحد ملوك الأسرة الرابعة عندما بنى هرمه فى « أبو رواش » بدلا من منطقة أهرام الجيزة^(١) ، ولكن من الواضح من جهة أخرى أنه لم تكن فى « الكورو »

(١) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٢٩٥ الخ وقد دلت الكشوف الأثرية الحديثة على أن حكم هذا الملك قد جاوز الحادية عشرة كما يشاهد ذلك من الكتابات بالمداد الأحمر التى وجدت على الأجر التى تغطى المركب الشمسية المكشوفة حديثاً . ومع ذلك فإن هذا التاريخ مشكوك فيه .

مساحة كافية في جبانة الملوك لإقامة هرمه الضخم نسبياً ، إذ يبلغ ارتفاعه حوالى اثنين وخمسين متراً مربعاً ، وهذا الهرم الذى يدل على زهو صاحبه يحوى عدداً من الحجرات والدهاليز التى أحكم نظامها تحت الأرض مما جعل منظره لأول وهلة يختلف عن المقابر الملكية التى سبقته ، ولكن عند فحصه بدقة ظهر أن تصميمه الأصيل لا يختلف كثيراً عن مقبرة « شبتاكا » سلفه . فنجد هنا السلم أمام حجرة الدفن المربعة التى قسمت ثلاثة ممرات بعمد مقطوعة فى الصخر ، ولكن الدهليز الأفقى الذى على هيئة نفق قد حوّل إلى حجرة استقبال صغيرة لها عارضا باب معشقتان ، يضاف إلى ذلك أن مقبرتي الملكتين اللتين فى « نوري » وهما اللتان لابد قد أقيمتا فى عهد « تهرقا » ويحملان رقمى ٣٥ ، ٣٦ تدعى أولاها « آبار » والثانية « أتنجاسكن » وتحتوى كل منهما على حجرتين بسيطتين ، والميزة الخاصة لهذا القبر الذى يحوى حجرتين وسلماً هو وجود ثلاث أو أربع درجات تؤدى من حجرة الاستقبال إلى حجرة الدفن .

وقد خلف « تهرقا » فى الحكم الملك « تانوتامون » بن الملك « شبتاكا »^(١) وقد طاد هذا العاهل إلى « الكورو » حيث أقام قبره هناك . ففى جبانته المزدهرة انتخب موقعا يرتكز على الجانب الجنوبى لهرم جده « شبكا » وقد أفلح فى بناء هرم صغير له حشره بين هرم جده « شبكا » وبين الوادى الجنوبى . والواقع أنه كانت توجد مساحة تتسع لمثل هذا الهرم الصغير بين مقبرة « بيمنخى » وهرم « شبكا » ولكن الظاهر أنه لم يكن من المستحب لديه إقامة مباني المصاطب القديمة الهامة أى أمام المقبرتين رقمى ١١ ، ١٣ واسمها صاحبيهما مجهولان^(٢) .

ويلاحظ أن مقبرة « تهرقا » تعد صورة مطابقة للتصميم الأصيل الذى نشاهد أنه قد نفذ فى أقدم مقبرتين للملكتين فى « نوري » وتتألف كل منهما من سلم وحجرة استقبال صغيرة وثلاث درجات وحجرة دفن كبيرة مستطيلة الشكل . ونجد قبل عهد

(١) راجع El Kurru, 16 fig. 212 Pl. XVII A

(٢) راجع El Kurru. 11. Fig. 17 a , Pl. XIV B, p. 49 ; Ibid 13, Fig 18 a Pl. XVA, p.51

« تانوتامون » مقبرتين من هذا الطراز أقيمتا للمكتين « خنسا » و « تايرى » كما يبرهن على ذلك التماثيل المجيبة التي وجدت لها في الساحة الشمالية في « الكورو » . والملكة الأولى وهى « خنسا » بنت « كشتا » وزوج « بيعنخى » وأخته والثانية وهى « تايرى » زوج « بيعنخى » وأخته أيضاً . وقد أصبح هذا الطراز من الهرم الذى يحتوى على حجرتين وسلم من هذا العهد هو الطراز التقليدى لأهرام الملكات . وقد استعمل هذا الطراز فيما بعد بوصفه أقل نوع لدفن الملوك الذين كانوا يدفنون لأى سبب دفناً متواضعاً .

وقد أقام « اتلانرسا » خلف « تانوتامون » فى « نورى » (نورى ٢٠) مقبرة من هذا الطراز الذى يشمل حجرتين ولكن لاحظ أن حجرة الاستقبال وحجرة الدفن كانتا على مستوى واحد . والتغير الوحيد الذى نلاحظه فى مقبرته كان بلا شك سببه الفقر ، ولكنه قد قلد فى مقابر الملكات بعد موته .

وتولى الملك بعد « اتلانرسا » الملك « سنكامنسكن » (نورى ٣) وكان ملكاً ثرياً قوياً ومن عظماء الملوك الذين أقاموا مباني كبيرة فى معابد جبل « برقل » . وكان حبه للترف ظاهراً فى كل نواحى قبره ، وإذا استثنينا الملك « بيعنخى » فإنه يعد الملك الوحيد الذى وجدنا فى قبره تماثيل مجيبة من الحجر عملها لنفسه وهو كذلك الملك الوحيد بلا استثناء الذى استعمل الصل الملكى فى تماثيله المجيبة . وهرمه يعد أكبر هرم أقيم بين أهرام الملوك الذين سبقوه عدا هرم « تهرقا » الذى يبلغ حجمه حوالى ثمانية وعشرين متراً مربعاً وقد قلده كل عظماء الملوك ممن خلفوه إلى أن قلل الملك « أمانيامتبارقا » الحجم التقليدى للهرم وجعله حوالى ستة وعشرين متراً وستين سنتيمتراً ولم يكن من المدهش إذا أنه أدخل أول توسيع فى التصميم القديم الذى كان يحتوى على حجرتين تحت الأرض . فقد خالف « تهرقا » الذى كبر ووسع حجرة الدفن باستعمال العمد ، وقد أضاف « سنكامنسكن » حجرة ثالثة بين حجرة الاستقبال وحجرة الدفن ، وهذه الحجرة كانت واسعة أكثر من اللازم بالنسبة لطولها وتقع على طول محور القبر .

وقد كانت هي وحجرة الدفن نفسها تظهران في تصميمهما مشابهيتهن لمزار القربان الذى كان يعمل فى المقابر المصرية المنحوتة فى الصخر . وقد استعملت الجدران لينقش عليها المتون الجنائزية التى تسمى الاعترافات بعدم ارتكاب ذنوب وهى جزء من كتاب الموتى ، وتشمل الفصل الخامس والعشرين^(١) منه . ويلاحظ أنه ليكون مبنى الهرم فوق حجرة الدفن تماماً قد أقيم الهرم إلى الشرق قليلاً وبذلك تركت مسافة بين وجهة المزار والنهاية الشرقية للسلم . وهذا الطراز من الهرم الذى كان يتألف من ثلاث حجرات وسلم قد اتخذها الملوك الذين خلفوا « سنكا منسكن » نموذجاً لإقامة مقابرهم وبذلك أصبح تقليداً للملوك الذين حكموا مدة طويلة .

وقد ظل هذا الطراز من الهرم مستعملاً مع بعض تغييرات طفيفة حتى القرن الأول قبل الميلاد وهو الطراز الذى وجدناه فيما بعد فى بلدة « مروى » .

ومن ثم يمكن تتبع التطورات الطبيعية للهرم الذى يتألف من ثلاث حجرات وسلم وذلك من أول المقبرة التلية الشكل القديمة فى « الكورو » وهى التى تطورت إلى مقبرة تلية الشكل مكسوة بالجحر ثم إلى المصطبة القديمة المعروفة فى عهد الدولة القديمة . وبعد ذلك تطورت الأخيرة إلى مقبرة بها حفرة للدفن ثم تحولت هذه المصطبة إلى مقبرة ذات حفرة وسلم وهى التى ابتدعها « بيعنخى » ثم تطورت الأخيرة إلى هرم أقامه « شبكا » له حجرة واحدة وسلم ، وقد حذا حذوه « شبتاكا » ثم إلى هرم له حجرتان وسلم ابتدعه « تهرقا » وقفاً أثره كل من « تانوتامون » و « اتلانرسا » وأخيراً قبر « سنكا منسكن » وهو القبر الهرمى الأول الذى أصبح طرازه تقليداً متبعاً . هذا ونجد أن التغير فى اتجاه القبر من شمال — جنوب إلى شرق — غرب الذى حدث فى المصاطب التى لها آبار للدفن كان سببه على ما يظن تأثيراً مصرياً . أما التغيرات الأخرى فيرجع أصلها إلى حب الزهو المتزايد الذى سببته القوة المتزايدة

وقد اتخذت لاعتبارات تكاد تكون كلها عملية وإذا تدبرنا العرض الذى لخصناه من أعمال الحفر التى قامت فى المناطق الأثرية فى السودان وبخاصة فى « الكورو » و « نورى » وجبل « برقل » هذا بالإضافة إلى الآثار التى كشفت عنها أعمال الحفر سواء أكانت منقوشة أم غير منقوشة اتضح أن « الكورو » كانت جبانة أسرية أسمها الرجل الذى دفن فى المقبرة رقم ١ « بالكورو » وهى التى على قمة الجبل^(١) وأن الملوك « بيعنخى » و « شبكاً » و « شبتاكا » و « تانوتامون » كانوا آخر ملوك من هذه الأسرة دفنوا فى هذه الجبانة ، ومن ثم يحق لنا أن نسمى القبور الستة عشر التى عثر عليها فى هذه الجهة مقابر أجداد « بيعنخى » . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنه لم يعثر على جثة ملك واحد من هؤلاء الملوك فى أثناء أعمال الحفر التى عملت فى مقابرهم ، هذا إذا استثنينا أجزاء من جمجمة الملك « شبتاكا^(٢) » وستحدث عنها فيما بعد ، ومع ذلك فإنه من الممكن أن نحدد على وجه التأكيد اسم أحد الأجداد وأصل سلالة الأسرة وما كانت عليه ملوكها من قوة ، والحالة التى تقلبت فيها مصائرهم .

ويجب أن نشير هنا أولاً إلى أنه لم توجد أية مدافن معاصرة للمقابر التلية الشكل أو المصاطب بين مقابر الملكات فى المساحة الشمالية أو الجنوبية أو فى داخل محور طوله خمسة أميال . والظاهر أن هذا الفصل بين مقابر الأناث ومقابر الذكور يرجع إلى عهد الملك « بيعنخى » . وقد عثر على عظام آدمية يحتمل أنها لأنثى فى إحدى المصاطب^(٣)، ولكن يحتمل مع ذلك أنها من مقبرة أخرى ويحتمل أنها المقبرة رقم عشرة^(٤) . ويجب أن نستلبط أن مقابر الأجداد كانت تشمل نساء ورجالا على السواء . وعلى ذلك نجد أن الست عشرة مقبرة تمثل أقل من ستة عشر جيلاً ، ومن الممكن أن نقسم

(١) راجع El Kurru I, p 12

(٢) راجع El Kurru, I, p. 67

(٣) راجع El Kurru, p 49

(٤) راجع El Kurru, p. 48

مجموعة هذه المقابر على أسس أثرية ستة أجيال ، والجيل الأخير منها إتمثله المصاطب رقم ٨ و ٧ و ٢ ، هذا ويلحظ أن المقبرة رقم ٨ هي أهم المجموعة وأقدمها (ويحتمل أنها للملك « كشتا » كما ذكرنا من قبل^(١)) . وعلى هذا الزعم يكون سلف « بيمنخي » من ملوك كوش هو الملك « كشتا » والد « بيمنخي » وعلى ذلك فمن الجائز أن المقبرة رقم ٨ هي للملك « كشتا » والمقبرة رقم ٧ هي لزوجته الأولى « بباتما » والدة الملكة « بكاستر » ومن المحتمل أنها والدة « بيمنخي » نفسه وأخيه « شبكا » .

وإذا فرضنا ستة أجيال للأجداد (والجيل يقدر بثلاثين عاما) فإن مجموع عمومهم يكون حوالى ثمانين ومائة سنة ، وإذا فرضنا خمسة أجيال فقط وهو أقل تقدير فإن المدة تكون خمسين ومائة سنة . وإذا أخذنا عام ٧٤٠ ق . م . بداية لحكم « بيمنخي » فإن هذين يقومان لنا تاريخا بين ٩٢٠ و ٨٩٠ ق . م . لشباب الرجل الذى دفن فى مقبرة « الكورو » رقم واحد . وهذا التاريخ يقع فى دائرة حكم « شيشنق الأول » و « أومركون الأول » و « تاكيلوت الأول » وهؤلاء هم باكورة ملوك اللوبيين فى مصر وهذا وهو التاريخ الذى وضعه « ريزنر^(٢) » لحيانة « الكورو » . ولكن من جهة أخرى نجد « دوس دنهام » يتدع تاريخا آخر ، يختلف بعض الشيء عن التاريخ الذى اقترحه « ريزنر^(٣) » حيث يقول إن العصر الرئيسى الذى استعملت فيه حيانة « الكورو » يشمل اثنى عشر جيلا تمثل السبعة الأخيرة منها مقابر أعضاء الأسرة المالكة من أول الملك « كشتا » حتى الملك « اتلانرسا » . والظاهر أنه قبل عصر الجيل الذى عاش فيه « كشتا » قد عاش خمسة أجيال من أجداده لهم مقابر . وإذا فرضنا أن كل جيل يقدر بعشرين سنة فإنه من الممكن وضع أقدم هذه المقابر الخاصة بأجداد « كشتا » (أى المقبرة رقم واحد) حوالى عام ٨٦٠ ق . م .

(١) راجع El Kurru, p. 46

(٢) راجع Sudan Notes and Records Vol. II, p. 245-6

(٣) راجع Dows Dunham, The Royal Cemeteries of Kush, El Kurru p. 2 ff

وقد نسب إلى هذه الأجيال الخمسة (على أساس التطورات التي حدثت في الدفن ومباني القبر) ثلاث عشرة مقبرة . ولم نعثر في أثناء الحفر على أى اسم من أسماء أصحاب هذه المقابر الخاصة بهؤلاء الأجداد .

ولكن عندما نبتدىء فى تأريخ ملوك « نباتا » تصبح الأحوال أحسن إذ يمكن معرفة أسماء أصحاب المقابر بما وجد فيها من نقوش ، وهاك قائمة مرتبة ترتيباً تاريخياً وتشمل الاثنى عشر جيلاً للأجداد والعصر الملكى النباتى فى « الكودو » مع التأريخ المقدر لكل جيل ، وكذلك الأسماء وصلة النسب عندما توجد :

الجيل	التأريخ	رقم المقبرة وصلة النسب
(١)	حوالى ٨٦٠ — ٨٤٠ ق.م	المقبرة رقم ١ ، ٤ ، ٥ التلية الشكل لم توجد أسماء أصحابها
(٢)	٨٤٠ — ٨٢٠ ق . م	المقبرة رقم ٦ ، ١٩
(٣)	٨٢٠ — ٨٠٠ ق . م	المقبرة رقم ١٣ ، ١٤
(٤)	٨٠٠ — ٧٨٠ ق . م	المقبرة رقم ٢ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ لم تعرف أسماء أصحابها
(٥)	٧٨٠ — ٧٦٠ ق . م	المقبرة رقم ٢١ ، ٢٣
(٦)	٧٦٠ — ٧٥١ ق م	المقبرة رقم ٨ ويحتمل أنها للملك « كشتا » .
(٧)	٧٥١ — ٧٦٠ ق . م	المقبرة رقم ١٧ صاحبها الملك « بيغنخى » ابن الملك « كشتا » .
		المقبرة رقم ٧ يحتمل أنها للملكة « بياتما » زوج الملك « كشتا » وأخته .
		المقبرة رقم ٢٠ لم يعرف اسم صاحبها .
		المقبرة رقم ٢٢ لم يعرف اسم صاحبها .
		المقبرة رقم ٥٣ صاحبها الملكة « تايرى » زوج « بيغنخى » وبنت « ألارا » .

الجيل	التاريخ	رقم المقبرة وصلة النسب
(٨)	٧١٦ - ٧٠١ ق . م	المقبرة رقم ٥٤ يحتمل أنها للملكة « بكساتر » زوج « بيعنخي » وبنت « كشتا » . المقبرة رقم ٥٥ يحتمل أنها للملكة . المقبرة رقم ٢٢١ - ٢٢٤ خيل « بيعنخي » . المقبرة رقم ١٥ صاحبها الملك « شبكا » بن « كشتا » وأخو « بيعنخي » . المقبرة رقم ٦٢ للملكة . المقبرة رقم ٧١ يحتمل أنها للملكة . المقبرة رقم ٢٠١ - ٢٠٨ خيل « شبكا » . المقبرة رقم ١٨ صاحبها الملك « شبتاكا » بن « بيعنخي » . المقبرة رقم ٧٢ يحتمل أنها للملكة . المقبرة رقم ٢٠٩ - ٢١٦ خيل « شبتاكا » . الملك « تهرقا » دفن في « نوري » في المقبرة رقم واحد وهو ابن « بيعنخي » . المقبرة رقم ٣ « بالكورو » للملكة « تابارا » أى ابنة الملك « بيعنخي » وزوجة « تهرقا » . المقبرة رقم ٤ للملكة « خنسا » ابنة الملك « كشتا » وزوج الملك « بيعنخي » . المقبرة رقم ١٦ « بالكورو » للملك « تانوتامون » ابن « شبتاكا » . المقبرة رقم ٥ للملكة « قالماتا » زوج « شبتاكا » وأم « تانوتامون » .
(٩)	٧٠١ - ٦٩٠ ق . م	
(١٠)	٦٩٠ - ٦٦٤ ق . م	
(١١)	٦٦٤ - ٦٥٣ ق . م	

الجيل	التاريخ	رقم المقبرة وصلة النسب
		المقبرة رقم ٦ : يحتمل أنها للملكة « أرتي » ويحتمل أنها موحدة باسم « بيعنخي أرتي » ابنة بيعنخي وزوج « شبتا كا » وإذا كان هذا التوحيد صحيحا فإنها تكون قد تزوجت من « تانوتامون » بمثابة زوجة ثانية .
(١٢)	٦٥٣ - ٦٤٣ ق . م	المقبرة رقم ٢١٧ - ٢٢٠ خيل الملك « تانوتامون » الملك « اتلانرسا » دفن في « نوري » (المقبرة ٢٠) وهو ابن « تهرقا » .
(٢٤)		المقبرة رقم واحد « بالكورو » وهي ملك لم يعرف وهو من عصر « نباتا » المتأخر .
		المقبرة رقم ٢ « بالكورو » وهي للملكة لم يحقق اسمها بعد وتعاصر المقبرة رقم واحد بالكورو .

أما الحقائق الأثرية الأخرى عن هذه الجبانة فهي كما يأتي :

(١) يلاحظ أن المقابر التالية الشكل رقم ١ ، ٥ ، ٢ ، ١٩ كانت تحتوي على صوان وحجر الخلد كون مستعملة رءوس سهام من طرز لوبية معروفة .^(١)

(٢) يضاف إلى ذلك أن المدافن التالية كانت تحتوي على كمية وفيرة من الذهب ، فعلى الرغم من النهب المريع وجد في مقبرة « الكورو » رقم واحد حبات من الذهب يعادل وزنها ثمانية وثلاثين جنيها انجليزيا قد سقطت من اللصوص ، وكان يوجد كذلك ذهب كثير في مقبرتين من المقابر الأخرى يشمل تمثالا من الذهب الصلب طوله ثلاثة سنتيمترات وقطعة من الذهب منقوشة من أحد وجهيها بمتن سحري باللغة المصرية القديمة .

(٣) يلحظ أن الأشياء التي وجدت في المقابر التلية وفي المصاطب تشمل قطعاً من أواني المرمر اللطيف وأواني الفخار المطلق المزخرفة من صنع مصرى .

(٤) وجد في إحدى مقابر الملكات من أزواج « بيمنخى » لوحة باسم الملكة « تابيرى » وقد سميت في هذه اللوحة « الزوجة الملكية العظيمة الممتازة لجلالته « بيمنخى » معطى الحياة ابنة « ألارا » وابنة « كاسقا » والزعيمة العظيمة للتمحور (اللوبيون الجنوبيون) .

(٥) وقد علمنا فيما سبق^(١) أنه في خلال القرنين الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد كانت هناك حركة هجرة من القبائل اللوبية إلى وادى النيل وقد استوطنوا هناك بوصفهم جنوداً مرتزقة حتى قويت شوكتهم في عهد ملوك الأسرتين العشرين والواحدة والعشرين وكونوا لأنفسهم ممتلكات في الدلتا ومصر الوسطى وأسسوا عدداً من الأسر المحلية التي كانت تابعة اسمياً لملك مصر .

وقد كان المؤسس الأول هو « يويو واوا » الذى اتخذ « اهناسية المدينة » مقراً له كما فصلنا القول في ذلك من قبل^(٢) ، وقد قوى سلطانهم في البلاد إلى أن أسس واحد منهم وهو « شيشنق الأول » الأسرة الثانية والعشرين ، وقد ظل اللوبيون يحكمون البلاد المصرية حوالى قرنين من الزمان ، ولكن في نهاية هذه المدة أخذ حكمهم في التدهور وانقسمت البلاد مقاطعات أو ولايات صغيرة مستقلة كما كان يحدث ذلك إثر أى انحطاط داخلى ، وقد انتهز هذه الفرصة الملك « كشتا » الكوشى وغزا مصر العليا وأخذ بزمام الأمور في « طيبة » وضمن لابنته « امردس » الأولى وراثته ووظيفة المتعبدة الإلهية التي كانت تشغلها وقتئذ « شبنوبت » الأولى ابنة الملك « أوسركون الثالث » ، وهذه الوظيفة كانت موجودة من قبل ولكننا نجد الآن أن حاملتها حذفت

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٧٥ الخ .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ١٠٦ الخ .

بطبيعة الحال ويقال إن هذا التغير قد قام به « أوسركون الثالث » صاحب السلطان في البلاد عند ما تولى عرش الملك فلم يسمح لأحد من أولاده أو غيرهم أن يتولى مركز رئاسة كهنة آمون وهو مركز كما هو معلوم غاية في الأهمية وكان في يد صاحبه سلطة ضخمة في طيبة وما جاورها مما كان يؤدي في غالب الأحيان إلى إضعاف سلطة الفرعون بدرجة عظيمة ، وفي نهاية الأمر انتزع الملك منه ، ومن أجل ذلك ألغى « أوسركون الثالث » وظيفة الكاهن الأكبر لآمون على ما يظهر وأحل محلها وظيفة « المتعبدة الإلهية » التي تولت شؤونها سلسلة من هؤلاء النسوة بوصفهم كاهنات عظيمات ، وأولى من تولين شؤون هذه الوظيفة ابنة « أوسركون الثالث » المسماة « شبنوبت » وهي التي أجبرها الملك « كشتا » الكوشى عندما دخل « طيبة » واستولى عليها على أن تتبنى ابنته « امنردس » . وكان غرضه من ذلك أن يجعل السلطة الدينية تنتقل من الأسرة المالكة إلى أسرته كما سنشرح ذلك فيما بعد في فصل خاص ، غير أن شواهد الأحوال تدل على أن وظيفة الكاهن الأول لم تلغ في عهد الحكم الكوشى ، أى في عهد الأسرة الخامسة والعشرين كما سنرى بعد ، بل بقيت ، ولكن كانت أهميتها ضئيلة وسلطان حاملها يكاد يكون منعدماً بجانب « المتعبدة الإلهية » .

وبعد « كشتا » تولى ابنه « بيعنخي » الملك واستولى على الوجه البحرى ومصر الوسطى ، ومن ثم انتقل ملك مصر إلى أسرة كوش الحاكمة وأصبحت تحكم كل مصر والسودان . ومن الحقائق التي سردناها هنا يمكن بناء تاريخ الأسرة التي دفن أفرادها في جبانة « الكورو » ففي حين كان اللوبيون الشماليون يدخلون مصر السفلى كان اللوبيون الجنوبيون أى التمحويون يحفون على وادى النيل في كوش آتين بلا شك من طريق الواحات القديمة التي استعملها في خلال السنين القلائل الأخيرة العرب الذين كانوا يهاجمون مديرية دنقلة .

ومن المحتمل أنه في عهد « شيشنق الأول » أو بعده بقليل جاء الزعيم اللوبى الذى دفن في المقبرة التالية الشكل رقم واحد في جبانة « الكورو » وهي التي تحدثنا عنها

فيا سبق ، وهناك وضع رحاله وأسس لنفسه ضيعة في بلدة « الكورو » القريبة من « نباتا » . ويدل ما بقى من محتويات قبره على أنه كان صاحب ثروة ضخمة وذلك كما قلنا لأن قبره كان يحوى ذهباً وسلعاً كثيرة من مصر . والواقع أن الثروة الرئيسية لبلاد كوش الفقيرة في الأراضى الزراعية والمراعى نسبياً ، تنحصر في منتجات مناجم الذهب التى كانت تزخر بها بلاد النوبة السفلى وما تحصل عليه من طرق التجارة بين مصر والجنوب عامة . والمرجح أن هذا الزعيم الذى كان لابد صاحب كلمة هو وأسرته في « الكورو » قد استولى في الحال على كل السلطة التى كانت في يدي نائب كوش المصرى وأصبح كسائر الزعماء اللوبيين في وادى النيل وقتئذ تابعاً اسمياً للملك مصر اللوبى الأصل ، وإذا لم تكن الحال كذلك في عهد هذا الزعيم فإن نيابة كوش لابد قد انتقلت إلى الجيل الثالث من أسرته . ويدل التطور الذى وجدناه في مقابر هذه الأسرة على أن أعظم نمو في ساطانها قد حدث في الأجيال الثلاثة الأولى من تاريخها ، وبعد ذلك لم نلاحظ هذا التقدم إلا في الجيل السادس ، وذلك لأننا لم نجد تقدماً محسناً في تطور المصاطب من أول الجيل الثالث حتى الخامس . والظاهر أن هذه الأسرة كانت قد حصلت على السيطرة في بلاد كوش ثم تمهلت بعد ذلك قبل الزحف على مصر فقد وجدنا في مقصورة المقبرة رقم ٩ حجراً فردياً مثل عليه جزء من منظر من النهاية الشرقية للجدار الجنوبي . وهذا الجزء من المنظر حفظ لنا الجزء الأعلى من الوجه والرأس لرجل يلبس خوذة حرب وهذا الوجه في سيماء ليس مصرياً والخوذة التى كان يلبسها من المعدن بدهيا ولها ثقب في قمة الجهة وشريط يتدلى من الخلف وجزء بارز في القمة يحتمل أنه كان لحمل الريشة .

ومهما يكن اللقب الذى كان يحمله هؤلاء الزعماء أصحاب هذه المصاطب في « الكورو » فإنه من المحتمل أن هذه الخوذة كانت تؤلف جزءاً من مميزات مركزهم بوصفهم حكام « كوش » أو بعبارة أخرى كانت رمزاً من الرموز التى يمتازون بها عن غيرهم .

ولا نزاع في أن « كشتا » (صاحب المقبرة رقم ٨ « بالكورو ») هو الذي قد بدأ الزحف على مصر . ولا شك في أنه كان في أعين الجيل التالي له يعد رجل الأسرة العظيم فقد كان يحمل لقب « ملك » . وعثر في « الفتين » على نقش يحمل فيه لقب الملك وهو « وسرماعت رع » وقد مكن سيادته في مصر حتى « طيبة » حيث جعل ابنة « أوسركون الثالث » التي كانت « المتعبدة الإلهية » في « طيبة » أو بعبارة أخرى الحاكمة المطلقة في « طيبة » تتبنى ابنته « امردس » لتكون خلفاً لها في ملك « طيبة » غير أنه ليس من الواضح لدينا الآن إذا كان « كشتا » قد كسب لنفسه ملك مصر العليا بحد السيف أو بالمعاهدة والتزواج مع الأميرة الحاكمة ، ولا غرابة في ذلك لأن تاريخ الأمرين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين على الرغم مما بذلناه من بحث وتنقيب لا يزال يحيطه الغموض بعض الشيء ، ولأنه من الواضح تماماً أن الزمن الذي سلم به لحكم هاتين الأمرتين اللويتين هو عادة أطول مما يجب أن يكون .

ولا نزاع في أن « كشتا » كان معاصراً « لأوسركون الثالث » و « تاكيلوت الثالث » اللذين حكما معاً^(١) ولكن في « نباتا » لم نجد إلا اسماً واحداً له اتصال بالأميرة الثالثة والعشرين وهو القائد « باشدت باست » بن « شيشنق الرابع » (ابن « بامى ») وكان « باشدت باست » هذا معاصراً للملك « باديباست الأول » سابق « أوسركون الثالث » . ومن ثم كان من الجيل الذي كان قبل « كشتا » . وقد عثر على قطعة من إناء من المرمر نقش عليها اسمه في « نوري » وقد أحدث وجودها في هذه البلدة بعض الظن بأنه كان متصلاً بصلته الزواج بالأميرة اللوية التي في « الكورو » ، وعلى ذلك فمن الجائز كما يقول « ريزنر » أن ادعاء الكوشيين لعرش « طيبة » كان مبنياً على هذا الزعم أو ما يماثله . والواقع أن هذا مجرد فرض . ومهما تكن الأحوال التي أدت إلى تولى « كشتا » ملك الوجه القبلي فإن ابنة

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٤٠٤

« بيمنخي » قد استولى على الوجه البحرى ومصر الوسطى بجهد السيف وأن وراثته ملك أمرة الزعيم اللوبى « يويوواوا » اللوبى قد انتقلت إلى الأمرة اللوبية المنحدرة من الزعيم اللوبى الذى أقام قرية على تل « الكورو » وقد أصبح جبانة يدفن فيها عظماء أفراد الأسرة المالكة .

وبلاد كوش التى كانت منذ زمن بعيد متمصرة تماما أصبحت الإقليم المسيطر على مصر وصارت « نباتا » عاصمة ملوك كوش ومصر .

وقد ذكر « مانيتون » نقلا عن « أفريكانوس » و « يوزيب » أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين المصرية أو الكوشية هم « شبكا » و « شبتاكا » و « تهرقا » وقد أضاف المؤرخون المحدثون إلى هؤلاء الملوك « تانوتامون » بوصفه ابن « شبكا » ، ولكن لم يأت ذكر « بيمنخي » أو « كشتا » . والواقع أن المعلومات عن هذين الملكين كانت ضئيلة لدرجة أن بعض الكتاب اعتقدوا بوجود ملكين باسم « كشتا » وكذلك اعتقدوا بوجود أربعة ملوك باسم « بيمنخي » ويقول البعض إنه يظهر من المؤكد وجود ملكين باسم « بيمنخي » وذلك لوجود اسمى تتويج لاسم « بيمنخي » وهما « بيمنخي » و « مسرماعت رع » و « بيمنخي سنفر رع » . وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً إلى أن قام « ريزنز » بأعمال الحفر فى « الكورو » وكان من نتائجها الجزم بأن كل المقابر الملكية الكوشية قد كشف عنها ووجد أن سلسلة طرز المقابر والتماثيل المحيية والأشياء الأخرى مستمرة ومتابعة فى نموها وتطورها دون أى فاصل ، ومن ثم ثبت أنه ليس هناك أى مكان لوجود أية مقبرة ملكية أخرى بين « كشتا » وسلسلة مقابر الملوك المتصلة فى توليها عرش الملك فى كوش ، وهذا الفاصل قد بدأ فى « نورى » بإقامة مقبرة الملك « سنكاسكين » وإذا لا يمكن فى مثل هذه الأحوال وجود اسم ملك آخر يدعى « بيمنخي » ومن ثم تكون النتيجة المحتومة هى أن « بيمنخي » كان يحمل لقبى تتويج على الرغم من أن ملوك مصر فى العادة لا يحملون إلا لقب تتويج واحد .

وهذه النتيجة يعضدها حقيقتان واحدة منهما معروفة منذ زمن طويل والأخرى كشف عنها حديثاً في « الكورو » ففي بلدة « أتريب » (بنها الحالية) عثر على قطعة حجر عليها اسم التتويج للملك « شبكا » وهو « نقر كارع » . وقد وجد أن هذا اللقب متبادل مع اسم آخر وهو « واح — اب — رع » كما وجد كذلك منقوشاً على قلادة في مقبرة جواد في جبانة « الكورو » . وفي هذه الجبانة عثر على مقابر جواد كثيرة وفيها اسم التتويج للملك « شبتا كا » وهو « دد كارع » متبادلاً مع اسم « من خبر رع » . ففي الحالة الأخيرة نجد أنه يكاد يكون من المستحيل عدم استنباط أن لقبى « زد كارع » و « من خبر رع » هما اسماء تتويج للملك « شبتا كا » ومن ثم يظهر أنه كان لكل من ثلاثة الملوك اسمان للتتويج ، ومن المحتمل أن أحد هذين الاسمين كان خاصاً بعرش مصر والثانى كان خاصاً بعرش بلاد كوش ، ومن الجائز أنه قد حدث ذلك جهلاً من « بيعنخى » بالصيغة الرسمية للألقاب المصرية ، فقد كان كل من « كشتا » و « بيعنخى » مرتبطاً بأراء أسرته الإقليمية التى أتى منها . وكان « تهرقا » هو أول ملك عاش مدة تذكر في البلاد المصرية ، إذ أنه في الواقع كان أول من أتيحت له فرصة الظهور وإظهار الأبهة والعظمة في مصر بما كان لدى أسرته من ممتلكات غنية شاسعة . ولا غرابة إذن إذا وجدنا أن « كشتا » لم يترك لنفسه إلا سجلاً واحداً باسم تتويجه وهو « ماعت رع » وأن « بيعنخى » قد استعمل اسمى تتويج مختلفين وفي آن واحد نجده يكتب اسمه الحورى أحياناً « سحتب تايف » وأحياناً يكتبه « كاتاويف » ومرة أخرى « كانخت خعمو أست » ، وكذلك دونه مرة « حتنوتف » ولا عجب في ذلك فقد كان نفوراً متكبراً بفتوحه كما يدل على ذلك نقوش لوحته العظيمة كما سنرى بعد ، ولذلك فإنه كان قادراً على تحدى خرق التقاليد حتى لو كان يلفت نظره الكاتب للخطأ الذى يرتكبه في هذه الناحية ، ولا نظن أنه كان يوجد كاتب مصرى عنده من الشجاعة ما يجعله ينوه للملك مثل « بيعنخى » عن غلطة كهذه^(١) .

(١) وهذا التغير في أسماء بيعنخى هو الذى جعل بعض الأثريين لا يزال مصماً على وجود أكثر من بيعنخى واحد ومترك ذلك للكشوف التى تأتى بعد .

وذكر « مانيتون » أن « بوكوريس » (بكنرف) هو الملك الوحيد الذى تتألف منه الأسرة الرابعة والعشرون ثم أضاف أن « بوكوريس » هذا قد أخذ أسيراً وأحرق حياً على يد الملك « شبكا » ، ولكن المؤرخين الأحداث يميلون إلى ضم ملك آخر اسمه « تفنخت » إلى الأسرة الرابعة والعشرين وهو الذى هزمه « بيعنخى » وكذلك يضمون إليهما ملوكا آخرين ممن وضعهم « مانيتون » فى الأسرة السادسة والعشرين .

ومن المتفق عليه الآن أن الأسرة السادسة والعشرين المانيتونية إن هى إلا الاستمرار لملوك الأسرة الرابعة والعشرين ، وأن الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية كانت معاصرة للأسرة الرابعة والعشرين . وإذا اتخذنا الاحتلال الكوشى أساساً لحكم البلاد فإن الأسرة الرابعة والعشرين لم يكن لها فى الواقع وجود . والواقع أن كلا من « كشتا » و « بيعنخى » قد تولى حكم مصر مباشرة من الأسرة الثالثة والعشرين والثانية والعشرين المنحلتين أو بعبارة أخرى تولت زمام الحكم فى البلاد أسرة لوبية أخرى وقد كان أخلاف كل من « كشتا » و « بيعنخى » هم الحكام الحقيقيون المعترف بهم فى البلاد المصرية إلى أن هزم « آشوربانيبال » ملك « آشور » ملك مصر « تانوتامون » ، وبعد فترة حكم فيها الآشوريون البلاد قام « بسمتيك » أول مؤسس للأسرة السادسة والعشرين وطرد الآشوريين من بلاد مصر وطفر بها من جديد طفرة عظيمة كانت الأخيرة .

وهالك ملوك الأسرة الخامسة والعشرين على حسب نتائج الكشف الحديثة وصلة نسب بعضهم ببعض حتى يمكن القارئ تتبع الحوادث عند التكلم عن كل منهم على حدة .

١ - « آلارا » :

يحتمل أن « آلارا » هو الزعيم أو الملك (؟) جد الأسرة الكوشية ولم يعرف قبره حتى الآن ومن المحتمل أنه الأخ الأكبر للملك « كشتا » وقد جاء ذكر « آلارا »

هذا في عدة مصادر^(١) وزوجة هذا الزعيم وأخته هي « كاسقا » وقبرها غير معروف وكانت تدعى ملكة وهي أخت الملك « كشتا » و « بباتما » وأم « تابيري » وتبنت « آبار » .

٢ — « كشتا » :

هذا الملك لم يعرف قبره وقد ذهب « ريزنر » إلى أنه هو القبر رقم ٨ في جبانة « الكورو » ويحتمل أنه أخو « آلارا » السالف الذكر ، و « كشتا » هو والد الملك « بيعنخي » وكذلك والد الملك « شبكا » . وقد نقش اسم الملك « كشتا » هذا على قطعة من الخزف المطلي عثر عليها في « الكورو »^(٢) . وقد تزوج « كشتا » من « بباتما » التي تبنت « بكساتر » ولم يعرف قبرها للآن ، ويظن « ريزنر » أنه القبر رقم ٧ في جبانة « الكورو » وقد وجد اسم كشتا على التمثال رقم ١٩٨ ٤٢ ، وكذلك نقش على مصراع باب بالعراة .

٣ — الملك « بيعنخي » :

دفن هذا الفرعون في « الكورو » وقبره يحمل رقم ١٧ وهو ابن الملك « كشتا » والأخ الأكبر للملك « شبكا » وقد وجد اسمه على عدة آثار^(٣) . ويقول « جوتليه » إنه يوجد عدة ملوك يحملون هذا الاسم في حين أن « ريزنر » يقول إنه لا يوجد إلا « بيعنخي » واحد وقد أوضحنا الأسباب التي أدت إلى هذا الزعم .

(١) راجع Tabiry Stela in Khartoum No. 1901 [5a] ; Kawa Stela IV, L.17 [a b]. Kawa

Stela VI, L. 22 [55, c] Kawa Inscr. IX, L. 54 [5d].

(٢) راجع El Kurru, I, 19-3-587 [34a] ; L.R. IV, 5 ff

(٣) راجع L. R. IV, 8, [53a]

(٤) راجع Ibid 10 [53 b]

(٥) راجع L.R. IV pessim.

أزواج « بيمنخى » : تزوج « بيمنخى » من عدة نساء وهن .

(١) « تايرى » هى ابنة « آارا » و « كاسقا^(١) » وقد دفنت مع زوجها فى « الكورو » فى القبر رقم ٥٣

(٢) « بكساتر » زوجه الثانية وقبرها مجهول غير أن « ريزنر » يقول إنه القبر رقم ٥٤ « بالكورو » وهى بنت الملك « كشتا » وقد تبنت « بباتما » وهى زوج « بيمنخى » وأخته .

(٣) « أبار » زوج « بيمنخى » وأخته وابنة « كشتا » وهى التى أنجبت له « تهرقا » الذى تولى ملك مصر فيا بعد ويقترح « ريزنر » أنها دفنت فى « نورى » بالقبر رقم ٣٥^(٢) وتحمل الألقاب : الأم الملكية والأخت الملكية .

(٤) « خنسا » زوج « بيمنخى » وأخته وابنة الملك « كشتا » وقبرها فى « الكورو » رقم ٤ وقد دفنت فى عهد الملك « تهرقا » .

(٥) « نفرو كشتا » وجد اسم هذه الملكة بوصفها زوج الفرعون « بيمنخى » على تمثال مجيب [52a] وقد دفنت فى القبر رقم ٥٢ « بالكورو » ويلحظ أنه لم يذكر لها أية صلة نسب بالفرعون زوجها .

أولاد « بيمنخى » : أنجب « بيمنخى » عدة أولاد ذكور وإناث من هؤلاء الزوجات ، أما أولاده الذكور فهم : « شبتا كا » و « تهرقا » وقد أصبح كل منهما فيا بعد ملكا على البلاد ثم « خاليوت » وقد وجد اسمه على لوحة مثر عليها

(١) راجع Stela from El Kurru 53 in Khartoum No 1901 [72]

(٢) راجع Kawa Stela V [11a] Temple 300 = L.D. V, p-37

في « برقل » رقم ٧٠^(١) وقبره لم يعرف بعد . أما أولاده الإناث فهنّ :

(١) « أرتى » وقبرها غير معروف ويذهب « ريزنر » إلى أنها دفنت في « الكورو » بالمقبرة رقم ٦ ، وقد تزوجت من أخيها « شبتاكا » رابع ملوك هذه الأسرة^(٢) ويحتمل أنها هي نفس المرأة التي تحمل اسم « بيغنخى — أرتى » التي جاء ذكرها في لوحة الحكم كما سنذكر ذلك بعد .

(٢) « قاهساتا » وقبرها في « الكورو » رقم ٥ وقد تزوجت من أخيها « شبتاكا » ومن المحتمل أنها أم الملك « تانوتامون » الذي أصبح ملكا فيما بعد .

(٣) « تكاهاتامانى » جاء ذكر هذه الأميرة على جدران حجرة دفنها وعلى تمثال مجيب [63b] .

(٤) « ناپاراي » (Naparaye) وهى ملكة دفنت في « الكورو » بالمقبرة رقم ٣ وهى ابنة « بيغنخى » وزوج « تهرقا » وأخته^(٣) .

(٥) « تابكنامون » وهى ابنة « بيغنخى » ويحتمل أنها زوجة « تهرقا » وقبرها غير معروف^(٤) .

٤ — الملك « شبتكا » :

دفن هذا الملك في « الكورو » بالمقبرة رقم ١٥ وهو ابن الملك « كشتا » والأخ الأصغر للملك « بيغنخى » . وقد وجد اسمه على قطعة من الجرانيت الرمادى من مائدة قربان^(٥) .

(١) راجع [350] A.Z., 70, p. 35

(٢) راجع [49157, A.S.25, p.29] Cairo Stat.,

(٣) راجع [48a] Alapaster Gffering Stone 19-3-588 Khartoum No. 1911

(٤) راجع [71] Cairo Statue 49157 from Karnak (A.S.24, p. 25 ff)

(٥) راجع [68a] Shawabti [78 b] Gold Band ex Mummy 19-3-223 Alter ex Chapel 19-2-673

Inscribed Ivory 19-3.231 [68d] ; L R. IV,13i [68e]

أولاده : (١) الأمير « حورمأخت » ولم يعرف قبره وهو ابنه الأكبر وقد وجد اسمه على تمثال بمتحف القاهرة^(١) .

(٢) الأميرة « استنخبت » ابنة « شبكا » وجد اسمها على تمثال مجيب^(٢) .

٥ — الملك « شبتاكا » :

دفن هذا الملك في « الكورو » في هرمه رقم ١٨ وهو ابن « بيعنخي » . وجد اسمه على تمثال مجيب^(٣) . ووجد له لقب آخر وهو « منخبرع » مع لقب « زدكارع » في النقوش التي وجدت في مقابر خيله « بالكورو^(٤) » وقد تزوج من اختيه « أرتي » و « قاهاتا » .

أولاده الذكور : وابنه « تانوتامون » الذي أصبح ملكا فيما بعد وهو ابن الملكة « قاهاتا » وابنته « بيعنخي — أرتي » وقد تزوجت على ما يظن من أخيها « تانوتامون » ولم يعرف قبرها ، وقد جاء ذكرها على لوحة الحلم^(٥) . ومن الجائز أن الاسم رقم ١٦ أو ٥٨ هما لفرد واحد ، أي أن « أرتي » و « بيعنخي — أرتي » واحد ، وإذا كان ذلك هو الواقع فإن « أرتي » تكون زوج « شبتاكا » وأخته وقد تزوجت بعد مماته من ابن أخيها « تانوتامون » .

٦ — الملك « تهرقا » :

دفن هذا الملك في « نوري » بالقبر رقم (١) وهو ابن « بيعنخي » وأمه هي « أبار » . وجد اسمه على تمثال مجيب وكذلك على أواني الأحشاء المحفوظة الآن

(١) راجع Cairo : 42207 [27] ; A.S; XXV p. 26, and Ibid, 30

(٢) راجع El Amrah and Abydos, 97 Pla. 37 [26]

(٣) راجع L.R. IV, p.29

(٤) راجع M.F.A. Boston, Photoen p. 33

(٥) راجع Urk. III, p. 59; and A.S. 25, 25, ff

بمتحف « بوستون » كما وجد اسمه على تمثال من الجرانيت من معبد « جبل برقل »
رقم ٥٠٠ وهو موجود الآن بمتحف « مروي »^(١) وقد نقش عليه ألقابه الملكية واسمه^(٢).

٧ — الملك « تانوتامون » :

دفن هذا الملك في جبانة « الكورو » رقم^(٣) ١٦ وهو ابن الملك « شبتاكا » وأمه
« قاهاتا » ووجد اسمه على تمثال مجيب [76a] ، وعلى إناء أحشاء^(٤) في « الكورو »
كما وجد له تمثالان من الجرانيت في معبد جبل « برقل » رقم ٥٠٠ وهما الآن بمتحف
« بوستون » ومتحف « مروي » رقم^(٥) ١٧ وله لوحة قريبان في متحف « بوستون »
[76a] وبعض قطع من معبد « صنم »^(٦) . وقد كتب في معبد « صنم » اسما « نبتى »
و « حور الذهبي » ويحتمل أنهما للملك « تانوتامون » .

(١) راجع Merowe Museum, No. 11. Khartoum No 1841 [74c]

(٢) راجع L.R. IV. p. 31 ff

(٣) راجع El Kurru, No. 16, p. 60

(٤) راجع (19-3324)

(٥) راجع Khartoum, Nr. 1846 [76c]

(٦) راجع Ann. Arch. and Anthropol. p. 9 Pl. 26, 13

نظرة عامة

عن الحالة الدولية في هذا العهد

هذه لمحة عاجلة عن أصل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين من الوجهة الأثرية وسنحاول هنا بعد ذلك أن نذكر ما نعرفه عن ملوك هذه الأسرة وعلاقتهم بمصر وما جاورها من الأمم بقدر ما تسمح به الآثار معتمدين في ذلك على المصادر الأصلية ، ولكن قبل أن نتناول تاريخ هؤلاء الملوك بالبحث والاستقصاء يجب أن نلقى نظرة عامة عن أحوال الشرق في هذه الفترة وعلاقة مصر به وما آلت إليه أرض الكنانة في نهاية عهد اللوبيين في مصر وقيام دولة لوبية أخرى من الجنوب لاحتلالها فنقول :

امتدت رقعة الدولة المصرية في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة في آسيا وأفريقيا حتى وصلت إلى أعلى دجلة والفرات شمالا وحتى الشلال الرابع جنوبا ، ولكن لم تلبث أن طرأ عليها الوهن واستولى عليها الضعف وانتابها الانحلال حتى انكشفت في عقر دارها ولم يبق لها من أملاكها الشاسعة خارج حدودها إلا سيطرة اسمية على بلاد كوش . والواقع أن سكان أقاليم امبراطوريتها في غرب آسيا لم تستعمر قط استعمارا حقيقيا بالمصريين ولم تتأثر تأثراً فعلياً بالثقافة المصرية . والواقع أن الضعف الحربي الذي بدا على مصر في عهد الاضطرابات الداخلية التي ميزت عصر « أخناتون » ونهاية الأسرة الثامنة عشرة قد مهد السبيل إلى قيام دولة قوية أخرى في آسيا وبخاصة دولة « خيتا » التي كان لها كتابة هيروغليفية خاصة تحدثنا عنها عند الكلام على مملكة « خيتا » ، وقد حاول « رعمسيس الثاني » بشق الأنفس القضاء على هذه الدولة الفتية فلم يفلح واضطر في آخر الأمر لعقد محالفة صدأقة^(١)

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٨٥ الخ

ولكن فى ذلك الوقت كانت دولة فنية أخرى قد أخذت تظهر فى الأفق وبدأت قوتها تزداد وخطرها يعظم حتى أصبحت تعد فى طليعة الدول العظام ، تلك هى دولة « آشور » التى كانت فى بادئ أمرها دولة صغيرة ثم مستعمرة بابلية . وكانت « آشور » فى بداية العصر الذى نحن بصددده لا تزال منهمكة فى حروبها مع مملكة « بابل » وبلاد « خيتا » والبلاد الواقعة على حدودها . وهذه الحروب التى كانت قائمة على حدود آشور الشمالية والشرقية من جهة وضعف مصر ووهنها الحربى من جهة أخرى قد أخلت سبيل بلاد فلسطين وسوريا مدة من تدخل الدول العظمى التى كانت تتطلع إليها ، ومن ثم نشأت تلك المملكة الصغيرة التى كان لها مكانة ممتازة فى تاريخ العالم المسيحى بما تركه أهلها من سجلات ، وأعطى بذلك بلاد « يهوذا » و « إسرائيل » . ففى تلك البقعة ظهر « داود » و « سليمان » ملك « اورشليم » و « عمرى » و « آخاب » ملك « السامرة » و « حيرام » ملك « صور » و « ابن هداد » صاحب « دمشق » وكل هؤلاء كانوا يقفون فى الطليعة بوصفهم رجالا عظماء فى الأشعار التى كتبها لنا كهنة العبرانيين ويرجع الفضل فى استقلالهم إلى انشغال الدول المجاورة وبخاصة بلاد « مسوبوتاميا » ومصر بحروبها وإصلاح شئونها المرتبكة وقتئذ .

غير أن معظم هذه الممالك الصغيرة كان مصيرها إلى الزوال على أيدي الآشوريين عندما بدءوا يشنون حروبهم لنشر سلطان بلادهم على كل بقاع العالم المتمدين فى تلك الحقبة من الزمن ، هذا إلى أن البقية الباقية منها قضى عليها كل من « كلديا » و « بابل » وهما الدولتان اللتان ورثتا امبراطورية « آشور » ، وفى الوقت نفسه كانت هذه الدويلات الصغيرة تعيش بوصفها وحدات سياسية ذات ثقافات متقاربة جدا . والواقع أن أهل « دمشق » و « فينيقيا » والاسرائيليين كانوا كلهم من أعضاء سلالة واحدة وهى السلالة السامية . وتدل توازينهم على أنهم لم يتطبعوا بالطابع المصرى بعمق ، ولكن من جهة أخرى نجد أن بلاد كوش كانت وقتئذ جزءا لا ينفصل عن مصر من حيث الثقافة والادارة ، بل والدين نفسه ، وكان يفصلها عن التأثير

الآسيوى أرض الكنانة نفسها . وقد بقيت بلاد كوش لمصر لأنها كانت جزءا من مملكة النيل العظيمة وليست ببلد أجنبي عنها قط طوال عصور التاريخ تقريبا .

وقد قلنا في غير هذا المكان^(١) أن « حريحور » أول ملوك الأسرة الواحدة والعشرين كان الكاهن الأكبر « لآمون » والقائد الأعلى للجيش ونائب الملك في « كوش » في عهد الملك « وعمسيس الحادى عشر » آخر ملوك الرعامسة ، وقد وصل بعد جمع السلطة الحربية والإدارية في يده إلى تولى عرش ملك مصر ، وقد استطاع أن يوطد سلطانه في البلاد بطريقة سهلة وذلك يجعل الوظائف العالية التى كان يسيطر بها أصحابها على موارد البلاد الرئيسية في يد ابنه « بيعنخى »^(٢) وقد أصبحت هذه السياسة تقليدية عند أمراء « طيبة » والواقع أنه قد أوجد في مصر حكما مشتركا سهل توارث العرش ، فبرأن هذا الإجراء جاء متأخرا جداً لينجى كل مملكة « طيبة » إذ قد ظهرت في ذلك الوقت أسرة ملكية في « تانيس » قبضت على زمام الأمور في كل البلاد بصفة شرعية ، غير أنه من وقت لآخر كانت وظيفة الكاهن الأكبر يتولاها أمير « طيبة » وقد تحدثنا في الجزء الثامن عن تفاصيل وراثه العرش والتراوج بين أسرة « طيبة » وأسرة « تانيس » وهى لاتهم المطلاع على تاريخ مصر بصفة عامة ، كما أنها لاتهم قط الباحث في تاريخ كوش . ولكن من جهة أخرى نجد أنها من حيث التطورات الاجتماعية والدينية يشارك فيها السودانى المتمصر المصرى كل المشاركة . وتمتاز الحياة القومية في كل من مصر وكوش بأنها مركبة تماما ومعقدة إلى حد بعيد فنجد ظاهراً أن الأحفال البراقة التى كانت تقام في البلاط الملكى لا تزال تمثل حول شخص الملك المقدس ، وكانت المعابد الفاخرة والقصور الشائخة التى أقيمت في الماضى في عهد نصارة الامبراطورية وعزتها مزدهمة بالكهنة والموظفين المهيمنين والمتطلعين للوصول إلى المراتب العليا والثراء الوفير ، كل ذلك كان يؤلف جزءاً من نظام معقد كان لا بد

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٦٠٢

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٦٥٧

من بقاءه مهما كانت الأحوال لأنه كان تقليداً عتيقاً لا يمكن التخلي عنه . وقد سجل لنا التاريخ الحادث تلو الحادث في كل من المعبد وديوان الحكومة عن نظم عتيقة يرجع استمرارها لأنها تقدم بوجه خاص خدمات عامة للمجتمع ، بل للمنفعة الشخصية المشتركة التي تربط جماعة كبيرة من الناس المتعلمين الأذكياء بعضهم ببعض وذلك محافظة على بقاء كيانهم . وفي هذه الحالة نجد أن المنفعة الشخصية تتطلب مقداراً محدوداً من المقدرة على حفظ النظام في جمع الضرائب وفي المحافظة على قدسية الملك والآلهة ، وهكذا كانت الحال في مصر تلك السنين ، غير أن العدالة في هذه الفترة كانت مجرد سياسة كما كانت الإدارة لا تخرج عن كونها تمثيلاً ممسوخاً لحكومة صالحة بالمعنى الذي نفهمه في عصرنا ، تكتب قوانينها على الورق ، وتلى ألفاظها ولكن لا يعمل بها .

وقد ظهر الحكم الفاسد الذي وضعه جماعة من الموظفين المصريين في كل ناحية من نواحي الإدارات الحكومية ، فنجد صغار الموظفين في تلك الفترة يسرقون حظائر الدجاج وبرك السمك التابعة للمعبد ، كما نجد عمال الجبابة يتهبون بطرق منظمة سافرة مقابر الملوك والملكات التي كانت تزخر بالخلي والأثاث الفاخر في « طيبة » نفسها على مرأى من الحراس ، بل بالاشتراك معهم ، وبعلم كبير الكهنة نفسه ، وإنا لنرى شك من وجود أى نوع من أنواع الخيل والمكر والخداع والتدليس والسرقة والفساد والرشوة والظلم لم يكن شائعا يرتكبه كبار الموظفين والكهنة على السواء ، ونحن نعلم من المحاولة التي قام بها « حورمحب » لتطهير نظام الإدارة القديم الفاسد أنه حتى في هذا الوقت لم يكن في البلاد مستوى عال من الأخلاق فعلاً ، ولكن في ذلك الوقت الذي نحن بصددده كان المبدأ الوحيد الشائع في طول البلاد وعرضها هو أن المصلحة العامة ليست إلا الدخل الخاص لكل فرد .

على أن أعمال السوء كانت بطبيعة الحال تعد جريمة يحاكم عليها على حسب ما جاءت به الكتابات الدينية التقليدية غير أنها كانت حبراً على ورق . مثال ذلك ما جاء

في الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى وهو سرد الآثام التي كان المتوفى ينفي عن نفسه ارتكابها عندما يقف بين يدي إلهه ليحاسب على أعماله في الحياة الدنيا . والواقع أن عدم الاكتراث بنفس هذه المبادئ الدينية التي اعترف بها أتباعها كان باديا للعيان ؛ يضاف إلى ذلك أن ما كانت تنطوي عليه نفس المصري وقتئذ من احتقار ماجن لقوة الإله كان باديا في كل أعماله وأفعاله ولا أدل على ذلك من أن المصري كان ينهب قبر مليكه الذي يعده إلهًا بل أبشع من ذلك أنه كان يسرق متاع المعبد وحلى الإله ، وهذا التضاد الصارخ قد يفسر بأحد أمرين ، إما بالجحود والكفر والإلحاد ، وهذا ليس ببعيد في مثل هذه الأوقات التي ساد فيها الفقر والجوع ، وإما بالاعتقاد الشائع في هذا الوقت في قوة الأعمال الاحتفالية وما كان ينطق به المشعوذون من كلمات لتضليل الآلهة للحصول على غفران لكل جريمة يمكن ارتكابها كصكوك الغفران التي حاربها « مارتين لوثر » . والواقع أن نفى المتوفى أمام الإله يوم الحساب ارتكاب الآثام التي ذكرت في الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى كان يعد قطعة من السحر أحكت كلماتها وكان الغرض منها فرض محاكمة صالحة للمتوفى ، فكان هذا الفصل في الحق تعويذة سحرية يمكن للحق وللظالم على السواء الحصول عليها ؛ وكان كل فرد لديه نسخة من هذه الآثام التي دونت بصيغة النفي يمكنه أن يعرف بها أسماء الآلهة القائمين على حساب المتوفى يوم القيامة ، ومن الواضح أنه منذ عهد متون الأهرام كان قوة مفعول معرفة الاسم من مبادئ السحر المصري وكان الرجل القوي هو الذي يعرف كل أسماء الآلهة ، ولا أدل على ذلك من قصة « أزييس » والإله « رع » عندما سيطرت عليه بمعرفة اسمه الخفي^(١) .

وعلى ذلك فإن هذا العصر هو الذي كانت فيه المتون السحرية تجلب السعادة في الحياة الآخرة وقد بلغت هذه المتون أعظم تطور وانتشار . وهي نفس المتون

(١) راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول ص ١١٢

التي يضمها ما سمي حديثاً كتاب « الموتى » وترجع نواته إلى عهود سحيقة في القدم ، وقد دوت هذه المتون في أوراق بردية خاصة كانت تدفن مع المتوفى ، كما نقش بعض أجزاء منها على جدران المقابر وعلى توابيت الموتى وعلى جدران القلب وعلى التماثيل المهيبة^(١) وعلى أوان منوعة وتعاويذ عدة مختلفة أشكالها . وكان جدران القلب يوزن في كفة وريشة العدالة في كفة أخرى بدلاً من القلب الأصلي . أما التماثيل المهيبة فكانت تعمل من أجل العمل اليومي الذي كان يؤديه المتوفى في حقول عالم الآخرة للاله . وعلى أية حال نلاحظ أن هذه الأشياء كان يحصل عليها بالدرس المفضى الذي كان يقوم به الكاهن الكاتب أو كانت تشتري من هؤلاء الكتاب الذين خصصوا أنفسهم لهذه الحرفة وأمثال هؤلاء في أيامنا هم أفراد تلك الفئة الذين يكتبون الأسماء والتعاويذ ويبيعونها للعامة وحتى للخاصة لقضاء حاجاتهم ولتكون حراً لهم من الشرور والمصائب . هذا وكان السحر الذي في يد الرجل المعدم في أغلب الأحيان بطبيعة الحال من نوع رخيص ناقص وعلى ذلك كانت النتيجة التي يحصل عليها من هذه التعاويذ الناقصة في عالم الآخرة ليعيش هناك مخلداً كانت من نوع رخيص نسبياً فقد وجدنا أن بعض موميات فقراء القوم ذات منظر مفرع للغاية إذ كانت عظامها مختلطة ببعض عظام أفراد آخرين ، والمدهش أن ما نقص من بعضها كل بعض خرق لتأخذ شكل مومية ومعها نقوش وكتابات لم تراع فيها أي عناية أو دقة ، ولكن سواء أكان الرجل غنياً أم فقيراً فإن قوة الكلمات السحرية والشعائر التي كانت تقام هي التي كان يعتمد عليها لأجل البقاء في الحياة الآخرة . ومن ثم نفهم مقدار ما كان للمتون السحرية من أثر في نفوس القوم ، كذلك نفهم لماذا وضعت مع المتوفى أحياناً إضمات من البردى غاية في الروعة والجمال والتنسيق الفني البديع الذي يصور لنا الحياة في عالم الآخرة التي كانت تعد في الواقع صورة من عالم الدنيا في أبهج مناظرها .

(١) الفصل السادس بوجه خاص كان يكتب على التماثيل المهيبة .

أما عن الحياة اليومية العادية فنجد أن الفكرة التي كانت تسيطر على الخلق الشخصي ساذجة كذلك في بابها ، والمادة التي لدينا عن هذا الموضوع ليست خزيرة كالتي وجدناها في الأفكار والآراء الخاصة بعالم الآخرة والأبدية . ومع ذلك لدينا بعض متون قليلة تكشف لنا القناع عن معتقدات الطبقة المتوسطة وطبقة العمال الفقيرة الحال^(١) وهي نفس ما نشاهده في أيامنا هذه في مصر الحديثة تنطوي على أفكار بدائية أساسها الاعتقاد في الموجودات الخارقة لحد المؤلف ، وعلى أية حال كان من البدهي لأي عقل بشري مهما ضؤل أن يفهم أن الأعمال الشريرة كان لا يعاقب عليها في هذه الدنيا ، وكان إغضاب مخلوق خارق للعادة يعد عملاً خطيراً ، ولكن مثل هذه الآثام التي كان معظمها خاصاً بالشعائر الدينية مثل لمس محراب بأيد نجسة كان من الصعب تجنب ارتكابها وإذا حدثت كان على المذنب أو الفرد الذي وقع ضحية غضب الإله عليه أن يقدم قرباناً أو ما شابه ذلك تكفيراً عن السيئة التي ارتكبها .

وإذا حولنا نظرنا إلى المعتقدات اللاهوتية عند الطبقة العليا من الكتاب وجدنا تفسيراً لأصل الخليفة والعلاقات التي بين الإله والعالم السفلي وكلها تشبه من وجوه كثيرة معتقدات كهنة « بابل » وقد وصل إلينا بعضها في « التوراة » في « سفر التكوين » وهذه المعتقدات تحتاج إلى شرح عميق ، كما نجد ذلك في الشروح التي وضعها علماء اللاهوت عند العبرانيين والمسيحيين والمسلمين في العصور المختلفة . ولكن بالموازنة نجد أن معرفة فقهاء المصريين كانت أغنى في تفاصيلها^(٢)، ولكن أسس معتقداتهم بالنسبة للحياة والموت كانت معتقدات عامة الشعب ، ولم تكن الآلهة كما يتصورهم المصريون يختلفون عن الناس كثيراً ، ولدينا قصة نقش على جدران مقبرة كل من الملك « سبتى الأول » و « رع مسيس الثالث^(٣) » وعنوانها « هلاك الإنسانية » وملخصها أن الإله « رع العظيم » قد صار مسناً وأخذ بنو الإنسان يتراخون في احترامه

(١) راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الثاني ص ١٤٢ الخ .

(٢) راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول ص ٧١

وبدأوا يلعنون اسمه بجمع مجلسا من الآلهة وأمرهم بالحضور في هدوء خوف أن يسمعهم الناس ، وقد نصيح الآلهة « رع » أن يرسل « حتحور » لتهلك بنى البشر ففرع الناس وهربوا إلى الصحراء فتعقبهم « حتحور » وعمات فيهم التذبيح مدة يوم فأحدثت بذلك ضحايا لا تعد ، حتى أن شفقة « رع » استيقظت من هول هذا الذبح ، على أنه لم يكن في مقدوره إعادة كلمة القوة التي كان يتميز بها ، وعلى ذلك دبر حيلة على « حتحور » وذلك أنه حصل على كمية وفيرة من البلعة ولونها بعصير نبات أحمر لتظهر بلون الدم وصنع منها بركة في المكان الذى تخرج إليه « حتحور » في اليوم التالى لذبح الناس ، ولكن « حتحور » قد جذبت بالبركة التى كان لونها كلون الدم ووقفت تعجب بحال وجهها في مرآة سطح البركة وشربت منها حتى ثملت لدرجة أنها نسيت غرضها الأصل وبهذه الحيلة منع الفناء الكلى لبنى البشر على يد الإله العظيم الذى نطق بكلمة القوة ثم ندم على الأمر الذى أصدره .

ولا غرابة إذاً مع تداول مثل هذه الأفكار والمعتقدات أن نجد أهمية كبرى لأوامر الآلهة التى كانت تعطى بطريق الوحي وتؤدي بوساطة إشارات ظاهرة يصدرها الإله في المعابد الكبيرة وهى الإشارات التى كان يقوم باختراعها وتأديتها الكهنة مستعملين تمثال الإله من وراء حجاب . ومن الأمثلة الصارخة في هذا الصدد ما حكى عن الكاهن « منخبورع » وهو الذى أصبح ملكاً على مصر فيما بعد^(١) ، وما أوحى به الإله له فقد قضى على الثورة وأعاد النظام إلى نصابه بوساطة الوحي .

هذه كانت حالة مصر في بداية العصر الذى نحن بصددده وكل هذه المعتقدات والعادات كانت منتشرة في كل البلاد حتى نهاية حدود بلاد كوش . « قامون رع » صاحب « الكرنك » كان هو نفس « آمون رع » صاحب « برقل » وما كان يأتيه الكهنة في « طيبة » من فعال وأعمال كان يأتيه إخوانهم الكهنة في « نباتا » عاصمة ملك كوش .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٧٢٥

والحدث العظيم السياسى هو استيلاء اللوبيين على عرش مصر حوالى سنة ٩٤٥ ق . م . فكانت الجنود المرتزقة الأجانب يعملون فى الجيش المصرى منذ عهد « رعمسيس الثانى » وجنود المزوى وغيرهم من رجال القبائل النوبية كانوا يعملون فى جيش الفرعون وحرسه منذ عهد الدولة القديمة^(١) . وفى عهد الأسرة^(٢) العشرين والواحدة والعشرين أصبحت الحكومة المصرية تعتمد بوجه خاص على الجنود اللوبيين ، وعلى الرغم من أن كلا من « مرنبتاح » و « رعمسيس الثالث » قد صد اللوبيين عند محاولتهم غزو مصر واستيطانها فإن هؤلاء القوم قد نجحوا فى التسرب شيئاً فشيئاً إلى الوجه البحرى بأعداد كثيرة من أسرهم وقد استوطنوا هناك وتمصروا بسرعة ، وحوالى بداية الأسرة الواحدة والعشرين أصبح « ماوستا » بن « يويو واوا » كاهن الإله « حرسفيس (حشف) » رب « أهناسية المدينة » وأسس له ملكاً هناك ويعتقد « ريزنر » أن هذا الكاهن هو جد ملوك الأسرة الأولى الكوشية . وقد ظل نسله يتولون وظيفة كاهن الإله « حرسفيس » مدة أربعة أجيال فى « أهناسية المدينة » وبعد ذلك أصبح « نمروت » الذى يمثل الجيل السادس لهذه الأسرة يلقب « الرئيس الأعلى العظيم » ثم استولى بعده ابنه « شيشنق » على عرش مصر وأصبح يدعى « شيشنق الأول » فرعون مصر ، وتدل شواهد الأحوال على الرغم من غموض تاريخ هذه الأسرة فى بادئ أمرها كما أوضحنا ذلك من قبل^(٢) على أنها استولت على مقاليد الأمور فى مقاطعة « أهناسية المدينة » وأن « نمروت » قد أمّد سلطانه على كل الدلتا ومهد الطريق « لشيشنق » لاعتلاء عرش الملك دون أية معارضة تذكر فكان مثل هذه الأسرة فى ذلك كمثل الممالك حينما استولوا على مصر من ملوك الدولة الأيوبية دون حرب أو قتال وقد كان « شيشنق » يقود بطبيعة الحال قوة عظيمة من قبيلته الشجعان وغيرهم من الجنود الذين كانوا تحت إمرة .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٤٧٩ الخ .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٨٢

والواقع أن اللوبيين الذين تمصروا قد أدخلوا حيوية جديدة في مختلف الشؤون المصرية في داخل البلاد وخارجها ، ويقال إن « شيشنق الأول » الذي جاء ذكره في « التوراة »^(١) قد عقد معاهدة مع « سليمان » وأنه خرب « أورشليم » في السنة الخامسة من حكم « رحبعام » بن « سليمان » . ونقوشه في الكرنك تبين على أنه قام بحملة مظفرة في فلسطين وقد عثر بعث جامعة « هرقارد » في فلسطين في ساحة قصر « أخاب » في « السامرة » على إناء مهشم من المرمر عليه اسم « أوسركون الثاني » وهو أحد أخلاف « شيشنق الأول »^(٢) ومن المحتمل أن هذا الإناء كان هدية مصرية إلى ملك « يهوذا » ومن ثم نعلم أن العلاقات بين اللوبيين و « أخاب » كانت على ما يظهر علاقة ود ومصافاة ، غير أننا لم نجد ما يشير إلى مناهض لمصر في ذلك الوقت .

والظاهر أن الشؤون الداخلية في مصر لم تتأثر كثيراً بالسيادة اللوبية ، وقد تحدثنا بأسهاب عن ذلك في الجزء التاسع من هذا المؤلف ولذلك فليس من الضروري هنا أن نتحدث عن توالي الملك في أيدي ملوك هذه الأسرة .

وخلاصة القول إن « شيشنق الأول » زوج ابنه « أوسركون الأول » ولى عهده من ابنة « بسوسنس » آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين وجعل ابنه الأصغر الكاهن الأكبر لآمون . ومن المحتمل أنه كان وقتئذ يقوم بعمل نائب كوش ومن المحتمل كذلك أن أخلافه الذين خلفوه في وظيفته الكاهن الأكبر « لآمون » كانوا كذلك يقومون بأعمال وظيفية نائب كوش ، غير أننا لا نكاد نعرف شيئاً هاماً عن بلاد كوش وأحوالها في هذه الفترة اللهم إلا ما جاء عن ذكر الجزية وبعض مناوشات دؤنت في نقوش ملؤها المفاخرة والزهو تركها لنا الفراعنة في تلك الفترة . ويمكن القول أننا لا نكون قد تورطنا في أخطاء إذا قلنا إن بلاد كوش كانت تؤلف

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ١١٤

(٢) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٢٣١

جزءاً من النظام المصرى فى ذلك الوقت وأنها كانت تشاطرها أحوالها على الرغم من أن ما لدينا من وثائق لا يتحدث عن ذلك صراحة . وحوالى عام ٧٥٠ ق . م أى بعد تولى « شيشنق الأول » ملك مصر بمائتى سنة أو بعد مضى حوالى ثلثمائة سنة عن آخر إشارة هامة عن بلاد كوش فى النقوش المصرية ظهرت هذه البلاد مرة أخرى فى السجلات المصرية ، لا بوصفها إقليماً تابعاً لمصر ، بل بوصفها مركزاً لمملكة مستقلة كانت مدينة « طيبة » تعد آخر حدودها الشمالية . ومما يؤسف له أن البحوث التاريخية لم تصل حتى الآن إلى إمالة اللثام عن أصل هذه المملكة على وجه التأكيد . وعلى أية حال نلاحظ أن الحيوية الأولى التى وجدناها فى الأسرة اللوبية التى أسسها « شيشنق » قد أخذت تضعف وانقسمت البلاد على بعضها وأصبح كل أمير لوبى يحكم حكماً مستقلاً فى الجزء الذى كان يسيطر عليه هو وجيشه من البلاد ولا يربطه بالفرعون إلا دفع الضرائب وسيادة اسمية ، وهؤلاء الحكام قد سموا أنفسهم فى نهاية الأمر ملوكاً وقد استقل بعضهم فعلاً عن الفرعون .

ولا بد أنه فى مثل هذه الأحوال قد حدث أحد أمرين ، فإما أن يكون اللوبيون الذين كانوا فى جبل « برقل » قد انتهزوا هذه الفرصة وانقضوا على مصر بجيش عظيم على رأسه « كشتا » واستولى على « طيبة » واتخذها عاصمة للملكة ، أو يجوز أن الأمير اللوبى الذى كان تحت إمرة جيش كوش قد جعل نفسه بحالة ما مستقلاً عن مصر فى هذه الأصقاع . ويظن « ريزنر » أن هذا الرجل هو القائد الأعلى ابن الملك « شيشنق الثالث » وقد عثر له فى « نورى » على نقش باسمه « باشدت باست » ، والظاهر أنه لم يحمل قط لقب الملك ولكن الرجل الذى حمل لقب ملك مصر كان غيره ، إذ دلت الكشف الحديثة على أن رأس امرأة كوش كان يدعى « ألارا » . وعلى أية حال لا يزال موضوع الفاتح الأول لمصر من الجنوب من الموضوعات الغامضة لأننا وجدنا « كشتا » على عرش « طيبة » دون أى إشارة لقيامه بأية حروب أو ما يشير إلى أية حروب فى عهده قط . والغريب المدهش فى أمر هذا الملك أننا لم نعثر له على أثر منفرد كما سنرى بعد إلا نادراً جداً .

ملوك الأسرة الخامسة والعشرين

الأسرة الكوشية

الملك « كشتا » (٧٦٠ - ٧٥١ ق. م.)



كشتا

ماعت رع

ذكرنا من قبل في مواضع عدة أنه من المحتمل جداً أن يكون الملك « كشتا » قد دفن في المقبرة رقم ٨ التي عثر عليها في جبانة بلدة « الكورو » التي كانت تعد الجبانة الملكية لملوك كوش. وهذه المقبرة هي عبارة عن مصطبة ضخمة وتبلغ مساحتها ١٢ × ٩,٧٥ متراً ولها سور مقام من الحجر الرملي الذي لا يزال بعضه محفوظاً حتى الآن ومزارها (أو مقصورتها) مبنية كذلك بالحجر الرملي، وقد وجدت حجرة الدفن منهوبة ولم يبق من أثارها إلا قطعة من آنية من المرمر وأخرى من الخزف الأزرق المطلق وثلاثة من الخزف أيضاً من تعويذة « منات » (وهو عقد كانت تلبسه مغنيات الإلهة « حتحور »^(١)) وله مفعول سحري ومدلول ديني معلوم.

ومن المحتمل أن « ألارا » الزعيم وهو الملك الأول لهذه الأسرة هو أخو « كشتا » الأكبر، وقد جاء ذكر « ألارا » هذا على لوحة « تايري » الموجودة الآن بمتحف « الخرطوم » وعلى ثلاث لوحات عثر عليها في « كاوا » من عهد الملك « تهرقا » (وهي رقم ٤ و ٦ و ٩) وعلى لوحة « ناستاسن »^(٢). والملك « كشتا » هو والد كل من الملكين « بيمنخي » و « شبكا » وقد وجد اسمه على قطعة خزف مطلق في « الكورو » بالقبر رقم واحد^(٣).

(١) راجع Porter and Moss, Vol. 8, p. 196; El Kurru, pp. 46-47

(٢) راجع Nastasen Stela (Berlin 2268) Urkunden III, 137 ff.

(٣) راجع J.E.A. Vol. XXXV, Pl. XV [34 a.b] ; El Kurru I, 19-3-537 [34 a]; L.R. IV,

p. 5 ff. [34 b.]

ومن المحتمل أن « كشتا » هذا هو الذى أقام معبد « برقل » رقم ٨٠٠ ب (B 800) ، وهذا المعبد قد أعيد بناؤه فى عهد الملك « اماتالقا » فى العهد المروى ويقول الدكتور « ريزنر » بعد فحص المباني فى هذا المعبد : والظاهر من الفحص السابق أن المعبد (B 800 first) قد أقيم قبل عهد الملك « تهرقا »^(٢) وأن المبنى الأسامى الذى تجمع حوله المعبد الكبير كان قد أقيم فى عهد قبل « بيعنخى » واستخلص أن الذى أقام الحجرات الأصلية (B 803-807) هو الملك « كشتا » سلف « بيعنخى » المباشر .

ويلحظ أنه قبل الكشف على جبانات أسرة كوش لم يكن يعرف إلا القليل عن هذا الملك ، وحتى هذا القليل كان فيه خلط ، فمن ذلك أن « جوتييه »^(٣) يقول إن هذا الملك على ما يظهر كان مشتركاً مع « بيعنخى » فى ملك مصر ومن الجائز أنه بعد موت الأخير كان يحكم بلاد النوبة . وهذه النقطة مشكوك فى صحتها لأنه حتى الآن لم يعثر على أى أثر للملك « كشتا » فى بلاد النوبة ، هذا على أن الرأى الذى أدلى به فيما بعد الأثرى بليت^(٤) وهو أن « كشتا » حكم فى بلاد النوبة فقط رأى خاطئ . ويستمر « جوتييه » قائلاً : إنه من المحتمل أن « كشتا » هو ابن « بيعنخى » ولكننا لا نعلم شيئاً عن هذه الصلة . أما « برستد » فقد عكس الموضوع وعاد « كشتا » والد « بيعنخى » وهو رأى خاطئ فى الحقيقة لأنه نتج من خلط فى اسمى ملكين يحمل كل منهما اسم « بيعنخى » . ومن مثل هذه الأقوال نعرف كيف كانت الأفكار متبيلة غير مستقرة عن حقيقة ترتيب ملوك كوش وصلة بعضهم ببعض ، والواقع أن رأى « برستد » كذلك رأى خاطئ ، ولم يكن يوجد إلا ملك واحد باسم « بيعنخى » يحمل اسمى تنويج فى آن واحد كما ذكرنا من قبل . ويعتقد الأستاذ « سايس » أن اسم « كشتا » معناه الكوشى (أى نسبة لبلاد كوش^(٥)) .

(١) راجع J.E.A. Vol. VI p. 347-259; Porter and Moss 8 b. 212 ff

(٢) لم توجد فى المعبد ودائع أساس .

(٣) راجع L.R. IV, p. 5

(٤) راجع A.Z., XIV, p. 50

(٥) راجع Sayce, Moroe (1911) p. 3.

ومما يلفت النظر هنا أن الآثار التي ذكر عليها اسم « كشتا » بمفرده نادرة جداً إذ في غالب الأحيان يُنجد مذكوراً مع أولاده وبخاصة مع ابنته « امردس » في معبد « أوزير » بالكرك وهو التي حفظت لنا اسمه ، وتدل الأحوال حتى الآن على أن « كشتا » هذا لم يقم بدورها في التاريخ المصري إلا تولية ابنته في منصب متعبدة إلهية بعد وفاة « شبنوبت » ابنة « أوسركون الثالث » كما سنرى بعد ، أما من حيث الأعمال الحربية أو غيرها فلم نعث له على شيء في « طيبة » ولا في غيرها قط .

وأهم الآثار التي وجد عليها اسمه هي ^(١) :

قطعة ^(٢) من لوحة مستدير أعلاها مصنوعة من الجرانيت عثر عليها « مسبرو » في « الفتين » بالقرب من بوابة « الإسكندر » المصنوعة من الجرانيت ، واللوحة على ما يظهر كانت صغيرة ونجد على الجزء الأعلى الباقي منها قرص الشمس المجنح يتدلى منه الصل الملكي على اليسار وله جناح واحد ، وعلى اليمين نجد صورة العين السليمة ، وفي أسفل هذا المنظر كان يوجد في الأصل على اليمين إلهان « خنوم — رع » رب « الشلال » ولكن لم يبق من صورته إلا جزء صغير ، والإلهة « سات » سيدة « الفتين » . ولم يبق من صورتها شيء قط ، ويقدم لها الملك على ما يظهر مذبجاً عليه نار ، ولم يبق من صورة الملك إلا الرأس الذي يرتدى (تقية) محلاة بصل ملكي واحد ، وقد صور الممثل الملك بأقف أفضس وذقن خاطرة وشفتين غليظتين بارزتين ، وبالاختصار نلاحظ في صورته أنه قد مثل في هيئة شبه زنبجي وهو يشبه كثيراً صورة « تهرقا » الذي نشاهد وجهه في الرأس المصنوع من الجرانيت الأسود المحفوظ الآن بالمتحف المصري كما سنرى بعد .

(١) راجع Revue D'Egyptologie Tom. 8 p. 215 ff حيث نجد قائمة بأسماء الآثار التي وجد

عليها اسم هذا الفرعون .

(٢) راجع A.S.,X. p. 9-10

ويقول « مسبرو » إنه لم يعثر على لقب « كشتا » : « مام رع » الذى نقش على هذه اللوحة فى نقوش أخرى غيرها ، ولكن يحتمل أن يكون هذا اللقب قد كتب بإهمال وأن المقصود هو « ماعت رع » . هذا ولما لم يكن لدينا دليل على وجود ملك آخر يدعى « كشتا » فإن هذا الملك الذى على لوحتنا هذه هو « كشتا » الذى بحيث طغراءاته كثيراً على الآثار ، وإذا استثنينا ما جاء على هذه اللوحة وما جاء على قطعة الخزف المطلق نجد أن اسمه لم يذكر بمفرده بل مع أحد أولاده وبخاصة ابنته « امردس » الزوجة الإلهية أو المتعبدة الإلهية .

أمرة (كشتا) :

تدل شواهد الأحوال على أن زوجة « كشتا » التى تدعى « بياتما » قد دفنت معه فى نفس جبانة « الكورو » فى المقبرة رقم ٧ ، غير أن البراهين القاطعة على ذلك تعوزنا^(١) وهى فى الوقت نفسه أخته وقد تبنت « بكساتر » ابنة « كشتا » .

وقد أنجب « كشتا » وزوجه ولدين هما « بيعنخى » و « شبكا » وقد صار كل منهما فيما بعد ملكا على مصر والسودان .

أما بناته فهن :

(١) « آبار » وقد تزوجت من أخيها « بيعنخى » وأنجبت له « تهرقا »^(٢) .

(٢) « خنسا » وقد دفنت فى « الكورو » بالمقبرة رقم ٤ وقد تزوجت من أخيها « بيعنخى » ودفنها « تهرقا » وعثر لهذه الملكة على مائدة قربان من الجرانيت فى سلم قبرها وهى محفوظة الآن بمتحف « بوستون » ، وكذلك وجد لها مائدة قربان فى حجرة الدفن كما وجد لها عدة أوان من المرمر وكلها منقوش عليه طغراءات مزدوجة

(١) راجع El Kurru No. 7, p. 44

(٢) راجع Kawa Stela V, Barkal Temple 300; L.D. V, Pl. 7c; J.E.A. Vol. XXXV, p. 141

وألقاب مختلفة ، هذا بالإضافة إلى نور من حجر ستيايت محفوظ في « متحف بوستون »
وطست من الفضة أيضاً^(١) .

(٣) الملكة « بكساتر » : تزوجت من أخيها الملك « بيمنخي » ولم يحقق
موضع قبرها حتى الآن ويذهب « ريزنر » إلى أنه القبر رقم ٥٤ في الجبانة « الكورو »
وقد تبعتها الملكة « بيانما » .

(٤) المتعبدة الإلهية « امردس » : وتسمى في التاريخ « امردس الأولى »
ابنة « كشتا » واسمها مصرى صريح ويمكن البرهنة على ذلك من مصادر مختلفة بصفة
قاطعة . والمتون التي تثبت ذلك قد جمعها « جوتييه » في كتاب الملوك^(٢) . وعند
استيلاء « كشتا » على عرش ملك مصر أجبر المتعبدة الإلهية « شبنوبت » ابنة
« أوسركون الثالث » على أن تتبنى ابنته « امردس » لتخلفها بعد موتها في هذا المنصب
العظيم الذي كان يعادل منصب الكاهن الأكبر الذي اختفى مؤقتاً منذ أن تولت
« شبنوبت » هذا المنصب في عهد والدها « أوسركون الثالث » والبراهين الدالة
على أن « شبنوبت » قد تبعتها هي و « شبنوبت الثانية » وكذلك البراهين الدالة
على التبنيات التي أتت بعد ذلك هي التي نشرها « لجران » ومحصها « أرمان »^(٣) .
ويعد الأستاذ « أرمان » أول من برهن على أن كل الصلات الزوجية المزعومة بالنسبة
لهؤلاء الأميرات اللاتي ذكرن في لوحة التبنى يجب أن تلغى ولا يلتفت إليها قط لأنها
خاطئة كما سنرى بعد . وعلى ذلك فإن « شبنوبت الأولى » ابنة « أوسركون الثالث »
و « تننسا » على الرغم من أنها ذكرت بأنها أم « امردس » فإنها في الواقع لم تكن
أمها الحقيقية ولم تكن قط يوماً من الأيام زوج الملك « كشتا » كما ادعى ذلك

(١) راجع El Kurru, 4, p. 30; J.E.A Vol. XXXV, p. 144

(٢) راجع L.R., IV p. 5, 6, 7

(٣) راجع A.Z., 35, p. 28-29

« جوتييه »^(١) وقد قرر ذلك من قبل الأثرى « لجران » عند ما نشر لوحة التبنى . وقد بقي هذا الزعم الخاطئ قائماً يؤخذ به حتى عهد قريب^(٢) . ومما يدحض هذا الرأي بدهيا أنه لا « شبنوبت الأولى » ولا أية واحدة من أخلافها اللأى تبين كاهنات لآمون كن يحملن لقب الزوجة الملكية أو الأم الملكية ، وذلك بدلا من لقب زوج الإله أو الابنة الإلهية ، كما كان يحدث أحيانا ، أو لقب المتعبدة الإلهية وهو اللقب الذى كانت تحمله دائما . غير أن ذلك لا ينطبق على المتعبدات الإلهيات اللأى سبقتهن ، ولدينا استثناء ظاهر فى المتعبدة الإلهية التى تدعى « ماعت كارع موتحب » ابنة « بسوسنس » التى كان لها طفل فعلا وقد كان مثلها كمثل المتعبدات الإلهيات لم تحمل لقب « زوج الملك » ، والواقع أنها لم تتزوج ولكن « جوتييه »^(٣) يذكر أنها كانت الزوجة الملكية للفرعون « بينوزم الأول » ويرجع السبب فى هذا الخطأ إلى أن لقبها « دعية الملكة » قد ترجم خطأ بلقب « الملكة العظيمة » والواقع أن الملكة زوج « بينوزم الأول » هى « حنت تاوى » التى كانت تحمل لقب الأم التى تبنت المتعبدة الإلهية « لآمون » . ومما يلفت النظر هنا أنه على الرغم من أنها كانت تلقب المتعبدة الإلهية فإن أمها التى تبنتها لم تكن كذلك ، وقد يرجع السبب فى هذا إلى أن اللقب والفكرة كانا جديدين .

ونعلم من جهة أخرى أن « ماعت كارع موتحب » قد ماتت مع طفلها الذى وضعته ولم يعرف اسمه وكان موتها بعد الوضع مباشرة ، وقد دفن الاثنان فى تابوت واحد^(٤) ، وإذا كان قد حترم حقيقة على المتعبدات الإلهيات الاختلاط الجنسي أو بعبارة أخرى الزواج فإن السبب فى الموت العاجل الذى أصاب هذه الأم وطفلها يظهر بدهيا ولا يحتاج إلى تفسير أو بعبارة أخرى أنها انتحرت بعد الوضع .

(١) راجع L.R., IV, p. 8

(٢) راجع Frank Knight. Nile and Jordan (1921) p. 290; Sir Armand Ruffer Proc. Royal Soc. Med., (1920) p. 121

(٣) راجع L.R. III, p. 282

(٤) راجع Elliot Smith, Royal Mummies, No. 610, 88-89; Momies Royales, p. 77

هذا ونعلم أن أم « امندس الأولى » وزوج « كشتا » الوحيدة هي « بياتما » وقد جاء ذكر اسمها على تمثال مهشم « لامندس الأولى » كما ذكرنا من قبل . وقد ذكر عليه الكلمات التالية : « زوج الإله وابنة الملك « كشتا » المبرأ والمتعبدة الإلهية « امندس » المبرأة وأمها المتعبدة الإلهية « شبنوبت » المبرأة وقد وضعتها زوج الملك « بياتما » المبرأة . وفي هذا المتن نجد أن كلمة « أمها » يجب أن تشير فقط إلى صلة التبني وحسب في حين أن كلمة « وضعتها » تشير إلى الأم الحقيقية .

وقد وجدت « لا مندس » آثار كثيرة نذكر منها ما يأتي :

(١) وجد اسمها مع اسم والدها « كشتا » على نقش دقن على صخرة في جهة الشلال الأول جنوبى « أسوان » .

(٢) ووجد لها لوحة في مدينة « ها يو » عليها اسمها واسم والدها « كشتا » واللوحة محفوظة بالمتحف المصرى الآن وهي مستديرة من أهرى ومصنوعة من الحجر الرملى وارتفاعها ٥١ سنتيمتراً وعرضها ٣٨,٥ سنتيمتراً ورسم على الجزء الأعلى منها قرص الشمس وفي أسفل اللوحة من الجهة اليمنى كتب : « المتعبدة الإلهية « شبنوبت » ، وقد مثلت واقفة تحرك صناعتين أمام ثلاثة آلهة وتلبس ثوباً فضفاضاً شفيفاً وترتدى شعراً مستعاراً محلى بصل ملكى وشريط متدل . وقد وضع على تاج بصل قرنان طويلان يحيطان بقرص الشمس الموضوع أمام ريشتين طابيتين . والالهة هم « آمون رع » حارس « طيبة » ومثل ماشياً ومعه النقش التالى : « كلام معطى الحياة والفلاح » . وكذلك نجد نفس النقش أمام الإلهة « موت عين رع » ثم الإله « خنسو » ، وفي أسفل نجد النقش التالى : « آمون رع » صانع الحياة وحارس

(١) راجع A.S., 10, p 111

(٢) راجع Petrie, a Season in Egypt, p. 12 Pl. IX and No 263; De Morgan, Cat. de Mon.

and Inscr. De l'Egypte Ant. Tom. I, 38 Nr. 164.

(٣) راجع Legrain, A.S., Tom. IX, p. 277

« طيبة » الذى يعطى كل الحياة والفلاح للمعبدة الإلهية « أمردس » ابنة الملك « كشتا » . أهديت بوساطة مغنية حريم « آمون » (المسماة) « نب تهييت محبت » ابنة الرئيس العظيم للوبيين المسمى « عنخ حور » وأمه « تاتحيب » .

ويقول « لحران » إنه على الرغم من قصر هذا المتن فإنه يحتوى على بعض نقاط هامة يجب التنويه عنها :

(١) تدل شواهد الأحوال على أنه كانت توجد قاعدة متبعة فى المراسيم المصرية لا استثناء فيها إلا النذر اليسير جداً وهى أن الملك الحاكم كان دائماً يرسم فى المناظر أولاً أمام الإله فى الأحفال الرسمية وتأتى خلفه عادة الملكة ثم الأتباع ، وليس لدينا شواذ عن هذه القاعدة إذا استثنينا الملكة « حتشبسوت » فى أن نجد الملكة زوج الملك تحتل هذه المسكنة الأولى أمام الإله أو الآلهة بدلاً من الملك . وحتى عند ما يكون الملك غائباً كما هى الحال فى اللوحة التى نتحدث عنها كان يجب أن تحتل الملكة هذه المسكنة فى الصورة بدلاً من « شبنوبت » كما تقتضيه المراسيم . والواقع أن الملك « كشتا » قد ذكر فى هذا المتن ، ومع ذلك لم نجده ممثلاً فى اللوحة قبل « شبنوبت » ولا خلفها . هذا ونجد كذلك صورة الملك « أوسركون الثالث » بن « أزيى » فى معبد « أوزير » حاكم الأبدية موضوعة خلف صورة ابنته « شبنوبت » ، ونعلم كذلك من لوحة الأميرة « عنخنس نفرت اب رع » أن لقب المتعبدة الإلهية كان أعلى درجة من لقب الكاهن الأكبر « لآمون » . وعلى أية حال فإن المثال الذى ذكرناه هنا الدال على تقدم المتعبدة الإلهية على الملك فى مراسيم معبد « أوزير » حاكم الأبدية « وكذلك المثال الذى نحن بصددده فى لوحتنا يكفيان للبرهنة على أن هذه المتعبدة الإلهية أو على الأقل « شبنوبت » كانت تحتل مكانة أكبر من وظيفة الملك نفسه فى « طيبة » ، ومن الجائز أن يعترض على ذلك بأن « كشتا » كان قد توفى وأنها كانت وصية عند ما كتبت هذه اللوحة ، ولكن هذا الافتراض باطل لأنه كان له وارث وهو ابنه « بيعنخى » وكان يحمل لقب الملك ، على أن ذلك لا يمنع

من القول أنه في معبد « أوزير حاكم الأبدية » الموجود « بالكرك » يشاهد « أوسركون الثالث » الحى واقفاً وراء ابنته « شبنوبت » التى كانت تحمل لقب الزوجة الملكية « لآمون » أى أنها كانت واقفة أمام شخصية تحمل ألقاب ملك مصر ، ومن ثم نستنبط أن لقب الزوجة الإلهية « لآمون » وكذلك لقب المتعبدة الإلهية ولقب « يد الإله » كانت ألقاباً تجعل للمرأة التى تحملها الأفضلية على الفرعون نفسه .

وهذه الميزة تصبح ظاهرة لمن يدرس الحقائق والأعمال الخاصة بالأميرة « شبنوبت الأولى » ، إذ تدل الأحوال على أنها كانت الرئيسة المعترف بها من حيث السلطة الدينية أو الروحية في « طيبة » وذلك على غرار سلطة البابا الفعلية فقد كان يخفى أمام سلطانها الفراعنة وقتئذ وكانت سياستهم أن يعينوا إحدى بناتهم لتسلم هذه السلطة العظيمة . ولكن كان انتظار تولى مثل هذه الوظيفة قد يدوم وقتاً طويلاً وأحياناً كان الانتظار بدون جدوى ، وذلك أن « عنخنس نفرت أب رع » مثلاً قد انتظرت موت « نيتوكريس »^(١) مدة إحدى عشرة سنة وأن « امردس » الثانية ابنة « تهرقا » قد حرمت تولى هذه الوظيفة على يد نفس « نيتوكريس »^(٢) هذه .

وهل أية حال فإن سلطان هؤلاء الزوجات الإلهيات « لآمون » كان روحياً أكثر من أى شئ وذلك لأننا نراهم دائماً مصحوبات بمدير بيت عظيم . وتدل النقوش على أنه كان في يد هذا المدير العظيم للبيت زمام الأمور في كل إقليم « طيبة » بمفرده باسم المتعبدة الإلهية وباسم الفرعون الذى كان يحكم في زمنه وهو الذى نشاهد غالباً طغراءه على المباني كما نشاهد طغراء الزوجة الإلهية الحاكمة كذلك معه .

وأظن أن « سترابون »^(٣) قد حدد لنا كل ذلك عند ما أخبرنا أن « أراتوتسين » يتحدث عن جزيرة أخرى تقع في أعلى « مروي » وأنها ستحتل بنسل هؤلاء المصريين

(١) راجع A.S., V, p. 84 ff

(٢) راجع A.Z., XXXV, p. 18

(٣) راجع Strabon, XVII, 1

المصريين وهم الفارون من جيش « بسمتيك » الذين يسميهم الأهالي « سميريت »
ولذلك قيل عنهم الأجانب وهم السكان الذين كانت السلطة الملكية عندهم في يد امرأة
كانت تعترف هي نفسها بسلطان ملك مروي .

ولا نشك في أن هذا القول لا يبعد عن الحقيقة على الأقل بعد الهجرة إلى بلاد
كوش (أثيوبيا) وذلك أن الملكة أو بعارة أدق زوج « آمون » الإلهية كانت
تعترف بسلطان ملك كوش العظيم الذي منحها إقليما من الأرض ، وعلى ذلك
فهى بصورة ما تابعة له ومضيفته ، ولكن لا نظن أنها كانت كذلك في « طيبة »
حيث نجد كما قلنا من قبل أن « شبنوبت » الزوجة الإلهية كان لها الأسبقية
على الملك « أوسركون » الذى كان فيما سبق الكاهن الأول « لآمون » أى أنه كان
أقل درجة من درجتها .

ويلحظ أن « شبنوبت » التى نشاهدها فى منظر اللوحة التى نحن بصدددها ترتدى
فى معبد « أوزير حاكم الأبدية » بالكرنك نفس الملابس التى ترتديها فى اللوحة التى
تحدث عنها ، فهى تتحلّى بالصل الملكى ويحتمل أن سبب ذلك لا يرجع إلى أنها أميرة
ملكية وابنة « أوسركون الثالث » وابنة الملكة « كاراتيت » ولكن بوصفها زوج
الإله « آمون » . وعلى أية حال فإن هذه النقطة من المراسيم الفرعونية^(١) ستبقى غير
واضحة دائماً ، وذلك لأن « شبنوبت » والزوجات الإلهيات اللاتى خلفنها كنّ من دم
ملكى ، وفضلا عن ذلك كنّ يتسمين بالزوجات الإلهيات اللاتى كنّ يشغلن الوظيفة
فعلا . وهذه الأسباب قد أعطتهن الحق فعلا فى التحلّى بالصل الملكى مفضلات ذلك
على النسب الذى كانت تتحلّى به الملكات .

(٣) ووجد لأمنردس حديثا تمثال من الجرانيت الرمادى^(٢) طوله متر عثر عليه
ملقى على وجهه مستعملا أسكفه وقد مثلت عليه الملكة « أمنردس » واقفة على قاعدة

(١) أى تقديم الزوجة الإلهية فى المراسيم على الملك .

(٢) راجع A.S., LI, p. 456

مرتدية ثوبا يفصل أعضاء جسمها ويبيدها اليمنى منديل وفي اليسرى درة وترتدى على رأسها التاج الذى تلبسه عادة الزوجات الإلهيات ويتألف من ساق عليه قرص الشمس بين قرنين مستندين على ريشتين ولها شعر مستعار مزين بنقاب وتحلى بأسورة وعقود حول رقبتها والتمثال يستند على لوحة نقش عليها ما يأتى : « الأميرة صاحبة الخطوة العظيمة والمديح المستفاض وربة الرشاقة والحلاوة والحب سيدة كل ما يحيط به « آمون » وسيدة التاج ذى الريشتين وجميلة اليدين بصناعتها عند ما تهدي الأب « آمون رع » ، والتي تنشد المدايح وتحضر الإله الى مكانه ، وتتحد مع الحكم الإلهى ، بنت « آمون » محبوبته التى يلد بها قلبه ، نطق : كل شئ يعمل لها بقدر ما يحبها أى ابنة الملك (. . .) المبرأة واليد الإلهية « أمردس » المبرأة عملته (أى هذا الأثر) ابنتها التى صنعتها لأجلها الزوجة الإلهية « شبنوبت » لأجل أن نجعل اسمها ثابتا فى بيت « آمون سرمديا » . ونرى من هذا النقش أنه قد أهدى ، للأميرة « أمردس » بعد موتها من ابنتها « شبنوبت » التمثال الذى نحن بصددده ، وقد كشف فعلا لهؤلاء الزوجات الإلهيات عن عدة تماثيل معظمها كبير الحجم . وتمثال « أمردس » الذى نحن بصددده الآن تمثال جميل المنظر صناعته متقنة جدا وليس فى النقوش ما يدل على أن صاحبه كانت فى « الكرنك » فى الأصل أو فى « الأقصر » وإن كان ذكر « بيت آمون » يشير إلى أنه كان فى معبد « الكرنك » ، كما يدل على ذلك الآثار الحديثة التى كشف عنها الأثرى ريشون .

هذا ونجد فى « الكرنك » المباني التالية جاء عليها ذكرها :

(١) مقصورة فى الشمال الشرقى لقاعة الأعياد التى أقامها « تحتمس الثالث » .

(٢) مقصورة فى معبد الإله « ستو » . وقد وجد فيها تمثال جميل مصنوع من المرمر^(١)

ومجموعة تماثيل مثلت فيها مع الإله « آمون »^(٢) . هذا إلى آثار أخرى جاء عليها اسمها^(٣) .

(١) راجع Cairo Museum, 565

(٢) راجع Cairo Museum 42199; Porter and Moss, p. 69,5 and 97

(٣) راجع Revue D'Egyptologie, Tom. 8, p. 215 ff

العلاقة بين السياسة والدين في الدولة في أثناء تلك الفترة

مقدمة :

ذكرنا من قبل أن المتعبدة الإلهية أو كاهنة الإله آمون العظمى كانت صاحبة سلطان روحى قبل كل شئ وأن الإدارة الدنيوية لكل أمورها في إقليم طيبة كانت في يد المدير العظيم للبيت ، وهذه الوظيفة كان لها مكانة هامة في البلاط الفرعونى منذ الأسرة الثامنة عشرة ، فكان صاحبها يسيطر على كل أملاك الفرعون الخاصة ، بل أحيانا كانت تتمدى سلطته ذلك فيطغى على سلطات كبار موظفى الدولة^(١) وهو في الواقع يشبه ما كان موجوداً في مصر في عهد الطغيان حديثاً . فكثيراً ما كان مدير الخاصة الملكية أو رئيس الديوان الملكى يتدخل في كثير من أمور الدولة . وقد عثر على مجاميع من التماثيل لبعض هؤلاء المديرين العظام لأمالك المتعبدات الإلهيات وما جاء على هذه التماثيل من نقوش يقدم لنا صورة واضحة عما كان لهم من نفوذ وسلطان ، ومن جهة أخرى تكشف لنا تماثيلهم عن صفحة جديدة في نهضة الفن التى بدأت في هذا العهد وكان غرضها الرجوع إلى القديم وبخاصة العهد الذى ازدهر فيه الفن المصرى .

الزوجة الإلهية أو المتعبدة الإلهية أو يد الإله :

ولكن قبل أن نتحدث هنا عن المديرين العظام للبيت في تلك الفترة ، ينبغى علينا أن نذكر كلمة عن الزوجة الإلهية « لآمون » في هذا العهد الذى نحن بصددده خلافاً لما ذكرناه من قبل عنها^(٢) .

والواقع أنه كتب كثيراً عن الأميرات اللاتى كن يجهان لقب زوجات الإله وطبيعة

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥٢١

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٦٢٧

وظيفتهن وقد أصبحت الآن معروفة . وعلى أية حال فإنه على الرغم من أن الكشف الحديث التي قام بها « ريزنر » في « نباتا » و « مروي » قد وضعت ترتيب ملوك كوش على أساس شبه متين كما رأينا من قبل ، وبذلك أزال عدة فروض خاطئة عن شخصية هؤلاء الملوك ، فإنه لا تزال تذكر بعض أخطاء قديمة في هذا الصدد في الكتب الحديثة وعلى ذلك يمكن أن تدلى بالموجز الآتي عن هؤلاء الزوجات الإلهيات .

كانت « شبنوبت الأولى » ابنة « أوسركون الثالث » في وقت الفتح الكوشي لمصر تشغل وظيفة الزوجة الإلهية « لآمون طيبة » ، ولكن لا بد من الملاحظة هنا أن « أوسركون الثالث » هذا كان له ابنتان تدعى كل منهما باسم « شبنوبت » . ولكن إحداهما أصبحت الزوجة الإلهية ، ومن ثم حدث ارتباك لافائدة منه عندما كانت تدعى الأخرى « شبنوبت الثانية » كما حدث كثيراً . ومن ثم اعتقد أن « شبنوبت الأولى » سبقتها في الوظيفة وهذا خطأ .

والزعم السائد هو أن « بيعنخي » قد أجبر « شبنوبت » على أن تتبنى « أمردس » ابنة « كشتا » والده وأن تكون خليفتها في هذه الوظيفة ، وقد وقعت هذه الحادثة في عهد فتح « بيعنخي » للبلاد المصرية حوالي عام ٧٢٠ ق . م . وقد عزا بعض الأثريين هذا التبنى الاجباري للملك « كشتا » نفسه لالملك « بيعنخي »^(١) وآخر من اتبع الرأي الأخير هو « دوس دنهام »^(٢) وعلى أية حال لا يوجد دليل مادي يعزز أحد الرأيين . والمتن الوحيد الذي يشير إلى تاريخ التبنى هو المتن الذي عثر عليه في « وادي جاسوس » وهو الذي جاء فيه أن السنة التاسعة عشرة من عهد « شبنوبت » تقابل السنة الثالثة عشرة من عهد تبنيها للزوجة الإلهية « أمردس »^(٣) . ومن ذلك نعلم

(١) راجع A.S., VII, p. 48; Hall, Cambridge Anc. Hist., III. p. 268

(٢) راجع A.J.A.L. (1646) p.385

(٣) راجع Schweinfurth and Erman, Alte Baureste und Hieroglyphische Insch. im Wadi

Gasus (Abhandlungen Berlin Akad [1885], 11.

أن « شهنوبت الأولى » كانت تشغل وظيفة الزوجة الإلهية مدة ست سنوات قبل تبني « أمردس » وأن الأميرتين قد حكمتا على أقل تقدير نحو ثلاث عشرة سنة معا .

هذا ونعلم من آثار « أمردس » الكثيرة أنها كانت ابنة الملك « كشتا » وأخت الملك « شبكا » ، وكذلك أخت الملك « بيمنخي »^(١) . ولم يصل إلينا تاريخ تولي « أمردس » وظيفتها ، كما لم يصل إلينا تاريخ نهاية حكمها ، أي أن مدة توليها الملك بعد « شهنوبت الأولى » ليست معروفة لدينا . هذا ولا نعرف كذلك حتى الآن السنة التي تبنت فيها « شهنوبت الثانية » ابنة أخيها « بيمنخي » وكل ما يمكن الادلاء به هو أن جزءاً من حكمها يتفق مع جزء من حكم « شبكا » إذ نجد في نقوش « وادي الحمامات » السنة الثانية عشرة من حكم « شبكا » وقد وجدت طغرائها مع طغرائه^(٢) ، والظاهر أنها ماتت إما في عهد الملك « تهرقا » أو قبله وقد وجدت « شهنوبت الثانية » ممثلة مع « تهرقا » في معبد « أوزير » بالكرك بوصفها لا تزال على قيد الحياة ، في حين أن « أمردس » مثلت بوصفها في عالم الآخرة^(٣) . وتعد في العادة أخت هذا الفرعون وبنت « بيمنخي » ، وكانت « شهنوبت الثانية » تشغل وظيفتها في عهدي الملكين « تهرقا » و « تانوت آمون » والجزء الأول من عهد « بسباتيك الأول » حتى السنة التاسعة من حكم هذا الفرعون الأخير (٦٥٤ ق . م)^(٤) . وقد ماتت قبل السنة السادسة والعشرين من حكم « نسمتيك » . ويمكن استنباط ذلك من نقوش مدير البيت العظيم « إبا » (Iba) إذ نجد على تماثله المحفوظ بالمتحف المصري^(٥) سرد الوظائف التي كان يشغلها في عهد « نيتوكريس » ، وكذلك يتحدث عن ترقيته إلى وظيفة مدير البيت العظيم في السنة السادسة والعشرين من عهد الملك

(١) راجع J.E.A. Vol. 35, p. 147

(٢) راجع L.D., V, I; Mariette, Karnak, Pl. 450

(٣) راجع Legrain, Reo. Trav. XXIV, p. 202-10 ; A.S. IV, (1904) p. 181-182

(٤) راجع Adoption Stela of Nitocris, A.Z. XXXV, p. 16 ff

(٥) راجع Journal D'Entree No 36158; A.S., V p.94 ff

« بسمتيك الأول » . وواضح من المتن ومن نقوش قبره في « طيبة^(١) » أن الزوجة الإلهية التي كان هو المدير العظيم لبيتها هي « نيتوكريس » أو بعبارة أخرى كانت « شبنوبت » قد ماتت وقتئذ .

وقد تبنت « نيتوكريس » ابنة « بسمتيك الأول » في السنة السادسة والعشرين من حكمه . أما « أمردس الثانية » التي لا نعرف عنها شيئاً يذكر فهي ابنة « تهرقا » وقد تبنتها أولاً « شبنوبت الثانية » ثم خلعت ونصب مكانها « نيتوكريس » وهي لا تعيننا هنا لأنها لم تتول هذه الوظيفة قط .

وقد امتد حكم « نيتوكريس » طوال حكم « بسمتيك الأول » وحكم الملك « نكار » ثم « بسمتيك الثاني » . وقد تبنت « عنخنس نفرت أب رع » ابنة « بسمتيك الثاني » في السنة الأولى من حكم هذا الفرعون حوالي ٥٩٣ ق . م . وماتت في السنة الرابعة من حكم الملك « أبريز » ٥٨٤ ق . م^(٢) . وقد شغلت « عنخنس نفرت أب رع » هذه الوظيفة مدة تعادل مدة سابقها وهي آخر من ظهر مع « بسمتيك الثالث » في الرسوم في سنة الفتح الفارسي ٥٢٥ ق . م . في معبد « أوزير » بالكرك^(٣) .

وقد حكمت هذه الزوجات الإلهيات الأربع اللائي عشن في العهد الكوشي والصاوي ما يقرب من مائتي سنة ، وقد تولى في عهد هؤلاء الزوجات الإلهيات أو المتعبدات الإلهيات وظيفة المدير العظيم للبيت سبعة رجال كانوا يقومون بإدارة شئون ملكهن ، وقد حكم في نفس المدة أحد عشر ملكاً على عرش مصر بالتوالي . وأول هؤلاء المديرين العظام لبيت الزوجة الإلهية هو : « حاروا » .

(١) راجع Thebes Nr. 36

(٢) راجع A.S., V, p. 84 ff

(٣) راجع A.S., VI, p. 131

مدير البيت العظيم حاروا :

جاء ذكر هذا المدير العظيم على ثمانية التماثيل التي عثر عليها له بأنه كان يدير بيت الزوجة الإلهية كما ذكر عليها ألقابه الأخرى ، غير أنه لم يذكر اسم الملك الذي كان عائشاً في عهده^(١) ومن المحتمل أنه في عهد توايه منصب المدير العظيم لبيت الزوجة الإلهية « أمردس » قد شاهد حفل تبنيها للزوجة الإلهية « شبنوبت الثانية » وبما أنه لم يذكر لنا هذا الحادث فمن المحتمل أنه لم يكن يشغل وظيفته هذه بعد وأن « أخامون رو » كان قد حل محله في إدارة بيت المتعبدة الإلهية وستحدث عنه فيما بعد .

وتعد تماثيل حاروا مدير البيت العظيم للمتعبدة الإلهية « أمردس » من الأهمية بمكان من وجوه عدة وبخاصة من الوجهة الفنية إذ نجد أن بعضها يعبر تعبيراً صادقاً غير حادى في الفن المصرى . والواقع أن الأسلوب الذى ابتدعه الفنان فى نحتها يعد فريداً فى بابه فهو يدل على أن المثال الذى نحتها كان من مدرسة تميل إلى تمثيل الأشياء على حقيقتها دون مراعاة لإخراج صورة جميلة أو عمل تحسين فيها مهما كانت قبيحة فى الأصل كما سنرى هنا التماثيل الأربعة التى أخرجها لنا هذا الفنان المجهول الاسم . وتدل شواهد الأحوال على أن الاختلافات الدقيقة التى نتجت من فحص هذه التماثيل لم تكن عن تقصير من المقتن ، بل لأن هذه التماثيل قد نقلت صورها فى أزمان متفاوتة العهد ، أى فى فترات مختلفة من مجال حياة هذا الرجل العظيم . والواقع أننا لا نرى فى تماثيله صورة كلاسيكية مثالية روعى فيها أن تكون جميلة بل نجد صوراً حقيقية لم يسع فى إبرازها المثال وراء الجمال بل وراء الحقيقة بعينها ، إذ نجد أنه قد مثله بنحدين متدلين وفم مكشور عن أنياب وبطن ذى تجاعيد مكدسة بالشحم وصدر ذى ثدين عظيمين لا فرق بينهما وبين ثديى المرأة . ويذكرنا رأسه الكبير وصدره الضخم بتثال يقرب تاريخه من تاريخ التماثيل التى نحن بصدددها وهذا التمثال هو

(١) راجع Gunn and Engeback, The Statues of Harwa B.I.F.A.O. XXX (1931) 791-815 and Ibid, XXXV, p. 143

لفرد يدعى « أريجاديجان » الذى عثر عليه فى خبيثة الكرنك (Nr. 38218)^(١) وهو من الجرانيت الأسود وقد مثل برأس أصلع وبطن ضخم وثدين ضخمين كثنديي المرأة ، وهو يشبه المرأة فى صورته حتى أنه كان من المتعذر معرفة إن كان ذكراً أو أنثى لولا ما ذكر معه من القاب تدل على أن التمثال لرجل ، فقد كان يلقب الأمير الوراثى وقريب الملك ومحبوبه « اريجاديجان » وهذا العظيم يظهر أنه كان ذا صلة بملوك كوش فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين ، وعلى الرغم من أنه وجد مع تماثيل « حاروا » فى مكان واحد فإن الأثرى « مسبرو » لم يقرنه به ، ولكن الواقع أن كل من « حاروا » و « اريجاديجان » يعد من عهد واحد ومعاصرين لما بينهما من تشابه من جهة الفن ، هذا فضلاً عن أنه يوجد تشابه فى الجسم وعلى ذلك فهما من أصل سودانى واحد . ولا بد أن الفتح الكوش لمصر قد جاب معه إلى « طيبة » — وهذا أمر طبعى — عدداً عظيماً من مواطنى الحكم الجدد ولذلك نرجح أن كلا منهما من أصل سودانى . ويلفت النظر أن اسم « حاروا » لا يوجد كثيراً فى أسماء الأعلام المصرية ، ومع ذلك يمكننا أن نذكر أربعة أشخاص بهذا الاسم عاشوا فى نفس الوقت الذى عاش فيه « حاروا »^(٢) .

وقبر « حاروا » هذا معروف تماماً فى « طيبة » غير أنه مهشم ، وقد عثر « لجران » على بعض تماثيل فى خبيثة الكرنك لم تنشر ومجموع التماثيل التى وجدت له حتى الآن سبعة وقد نشرها الأستاذ « جن » (Gunn) وعلق عليها كل من الأستاذ « كوتر » والأثرى « ريدر » . وسنحاول هنا أن نصف هذه التماثيل بصورة موجزة وترجم نقوشها ثم تقدم لمحة عن أهميتها وبخاصة أنها من عصر ضامض لا يعرف القارئ العادى بوجه عام عنه إلا القليل وإن كانت الكشوف الحديثة قد أظهرت كثيراً مما يلقى الضوء على هذا العهد^(٣) .

(١) راجع Melanges Maspero, A Sudanese of the Saite Period, p. 373

(٢) راجع B.I.O.F.A., XXXV, p. 145

(٣) راجع Caire, Journal D'Entree Nr. 3786

(١) التمثال الأول : محفوظ بالمتحف المصرى وهو يمثل « حاروا » قاعدا وهو مصنوع من الحجر الأخضر الصخرى المتحول وارتفاعه ٥٤ سنتيمترا ورأسه مكسور وهو يمثل « حاروا » بجسم ضخم كما هى الحال فى تماثيله الأخرى . وقد حاول المثال أن يجعل عياه صورة ناطقة طبق الأصل . ويلاحظ أن الأنف قد كسر أما الشفتان فدلالتان ومن المحتمل أن ذلك يرجع إلى فقد الأسنان ، ويسود على الوجه طابع الهدوء وملاح الشفقة مما يتفق مع صفاته التى ذكرت فى المتن الذى نقش على التمثال .

المتن : نجد على جانبي صدر التمثال صورة للاله « أوزير » ومعها الكلمات التالية : « المدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية » . هذا ونقش على الجزء الأعلى من الذراع : يد الإله المرحومة « امردس » . ونقش على الكتاب الذى يحمله ما يأتى : يا « أوزير » الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسفير الوحيد المحبوب ، والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية وقريب الملك الحقيقى المحبوب المبرأ « حاروا » قربان يقدمه الملك ليمحك فى كل أما كنك وفى كل مراتبك ولتمتع بنفس الحياة بعد الموت ولتصير روحا ويصير قلبك شابا مغمورا بالطعام ولتمتع بالنبيذ ولتأخذ من اللحوم كل ما ترغب ولتصير منعا فى السماء وقويا على الأرض ولتعبد « رع » بين المبجلين لديه وليكون لك فك ولسانك اللذان يرشدانك والرياح الأربعة لأنفك ولتأخذ الأشكال (التى تروق فى عينك) ولتكون طائشا بالسحر مع « أنوبس » ومع « أوزير » ومع « الجبانة الغربية » .

ونقش على ظهر التمثال متن مهشم تبقى منه ما يأتى : « ... آلاف ... آلاف ... آلاف من النسيج والعطور .. (الأشياء) التى ينشر بها الإله لأجل روح الأمير الوراثى والحاكم « حاروا » .

ونقش على أسفل العمود الذى يرتكز عليه التمثال ما يأتى : « الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسفير الوحيد المحبوب والصديق الحميم

المحبوب من سيده ومن فضله الملك على أقرانه ، ومن يشق الطريق والمنعم عليه وعظيم العطاء وأشرف الشرفاء والموظف على رأس الموظفين ومن يصنع الملك لكلامه في اليوم الذي يقاد اليه فيه المديرون ، ومدير القصر المبرأ « حاروا » .

(٢) التمثال الثاني : يوجد في المتحف المصري وهو بدون رأس وقد مثل قاعداً وهو مصنوع من الجرانيت الرمادي وارتفاعه ٤٤ سنتيمتراً ووتر عليه في خبيثة الكرك (١) وهاك المتون التي نقشت عليه :

المتن المنقوش على البردية المخطوية أمام « حاروا » : الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحري والسفير الوحيد المحبوب والمدير العظيم لبيت زوج الإله المبرأ « حاروا » يقول : إن من سيد يده إلى (٩) بقربان يقدمه الملك ، وإن من يدهو لروحي بسبب شفقة قلبي سيكون أسن إبده ، وأكثر الناس تبيلا في مقاطعته وذلك لأنني رب المحبة وإنسان حبه عظيم ، ورجل أخلاق وموهوب بالركة وصائد صيد عظيم من الطيور البرية والسماك ، ورجل مبسور جداً يطعم فقراء مقاطعته . ولقد قضيت الشيخوخة . . . في وإني لم أخلص المجرم . وإني في حظوة كبيرة عند الملك ، ومكنتي بارزة في بيت سيدتي . وإني لم أغتب أحداً آخر ولم أضرفاقل خير ، وقد علمني قلبي أن أكون لطيفاً وقادني إلى الفضيلة وقد تكلمت الصدق وعمات الحق ، وإني أعلم يوم الوصول (أي يعلم يوم الوصول إلى عالم الآخرة حيث يحاسب هناك) . وإني لم أفعل شيئاً سيئاً وليس لي ذنب أمام الآلهة وعندما يكون الانسان قد عمل (طيباً) فإن الناس يعمل له (طيباً) ومن . . . ما هو قديم فهو باق (٩) المبعجل عند رب السماء المبرأ « حاروا » .

المنقوش التي على السطح العلوي للقاعدة : المكرم عند « يد الإله » المبرأة « أمردس » وحظيها الحقبى الذي اختارته ، والذي يعمل ما تريده يومياً ،

والذى يشق طريقه إليها ، وبذلك فإنه مبجل ، والذى يفعل له ما هو حق دون معارضة حضرتها ، وبذلك تصبح سعيدة بما ترغب فيه ؛ وأنه رفيق حقيقى لفك من قيد وإخراج من قد غمر في حضرة سيده ، وأنه واحد يتكلم طيباً ويبلغ حقاً وأن لذته الرئيسية أن يجعل مدن « آمون » ممكنة . وأنه مبجل عند رب السماء المبرأ « حاروا » سيد الاحترام ابن المبرأ القاضى « بديموت » .

ونقش حول القاعدة : قربان يقدمه الملك للآلهة « موت » ربة السماء وعين رع التى فى وجهه . ليقدم مئونة جنازية لروح قريب الملك « حاروا » المبجل حقاً ابن المبرأ القاضى « بديموت » سيد التبجيل من أنجبته ربة البيت المبرأة « نست ورثت » ، قربان يقدمه الملك للاله « خنسو » الواحد العظيم الخارج من المحيط الأزلى لأجل أن يمنح النسيم العليل من ريح الشمال الذى يخرج منه لأن « حاروا » والمبجل حقاً . . الخ .

(٣) التمثال الثالث : محفوظ بالمتحف المصرى ^(١) . وهذا التمثال بدون رأس وقد مثل « حاروا » قاعداً وهو مصنوع من الجرانيت الأسود وارتفاعه ٦٣ سنتيمتراً شرطليه فى خبيثة الكرنك وقد نقش على كتفه الأيمن طغراء غير أنها محيت وعلى كتفه الأيسر نقش طغراء « امردس » .

النقش الذى على البردية المطوية : المبجل عند « آمون » رب تيجان الأرضين والأمير الوراثنى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية والمسيطر على كل وظائفها المقدسة . . المبرأ « حاروا » يقول « أنتم يا أيها الكهنة والكهنة آباء الآلهة والكهنة المرتلون والكهنة المؤقتون لمعبد « آمون » وكل الذين يدخلون فى معبد « آمون » ليقيموا شعائر صالحة إن إلهكم الفاهر سيعيش لكم وسيثبتكم لنفسه (؟) على حسب ما تقولون ، قرباناً

يقدمه الملك من خبز وجعة وثيران وأوز وكل شئ طيب طاهر مما يعيش منه الإله لأجل . . « حاروا » ولروحه ، إن حبي حلو في قلوبكم ، ومديحي معكم فقدّموا قرباناً لي لأنني المحبوب من سيده والحظي عند الإله ، وإنني شريف تماماً مجهز بمدائح ، وإنسان محبوب من مدينته وممدوح في مقاطعته رحيم بالعظيم (؟) وإنسان يتكلم جميلاً ويقرر كل حسن . . . طيب . وإن نفس فمك مفيد للصامت . وهو ليس بالشئ الذي يصير به الإنسان متعباً وأن من يحيي ذكرى المبرأ « حاروا » فإنه يكون مؤدياً ما يحبه « آمون » رب السماء .

النقش الذي على ظهر التمثال : « قربان يقدمه الملك لآمون رب الأرضين الذي يخرق السماء كل يوم باستمرار ليقدّم خبزاً وجعة وثيراناً وأوزاً وكل شئ طيب وطاهر مما يخرج يومياً على مائدته في عيد الشهر وعيد نصف الشهر وكل يوم عيد سرمدياً لروح من هو في خطوة « آمون » رب السماء وقريب الملك الحقيقي والمحبوب سيده والممدوح من سيده والذي يفعل ما يحبونه يومياً المدير العظيم لبيت يد الإله « حاروا » بن المبرأ « نست ورثت » .

(٤) التمثال الرابع^(١) : لم يبق من هذا التمثال إلا جذعه وهو مصنوع من الجرانيت الأسود وارتفاعه ٥٣ سنتيمتراً عثر عليه في « طيبة » وعلى الرغم من تهشيم الاسم فإن كل الدلائل توحى بأنه للمدير العظيم للبيت « حاروا » . وقد نقش على قميصه من أسفل : « المقرب عند الملك والأمير الوراثة والحاكم وقريب الملك الحقيقي ومحبوه والذي يعمل ما يرغب فيه » . ونقش على الظهر : « . . الإله العظيم رب « العرابة » ليته يمنحه مثونة جنازية من خبز وجعة وثيران وكتان ونسيج وعطور وكل الأشياء الطيبة مما يعيش منه الإله رب الأرض المقدسة ، ليته يمنح دفناً جميلاً في الجبانة الغربية الطيبة العظيمة بمثابة رجل مبجل » .

(١) راجع Cairo Cat. Gen. No. 902

(٥) التمثال الخامس^(١) : يبلغ ارتفاع هذا التمثال حوالى ١,٧٥ مترًا وهو مصنوع من الجرانيت الأخضر أو الديوريت ولا يعرف المصدر الذى أتى منه ، ويشاهد فيه أن « حاروا » يرتدى ثوبا بكين قصيرين وهو يجلس بصورة غير عادية ظهره متجه نحو لوحة منقوشة ممسكا بصورتى إلهتين وهما « حتحور » و « تهنوت » ومن المحتمل أن « امردس » قد مثلت فى صورتى هاتين الإلهتين ، وبخاصة عندما نعلم أن اسمها قد نقش بين صورتى هاتين الإلهتين هذا إلى أن كلا منهما يلبس الصل الملكى . ويدل منظر التمثال الجانبي على أن صاحبه رخنو سمين ، غير أن ثوبا يغطى جسمه حتى الرقبة ، وبذلك غطى طبقات الشمع التى نشاهدها فى تماثيله التى فى متحف القاهرة ، ووجه هذا التمثال أعرض من وجه التمثال رقم واحد^(٢) ولكن نشاهد فيه طول الرأس وفرطحته غير مألوفين .

التقوش : نقش على الصدر بين صورتى الإلهتين ما يأتى : « يد الإله المبرأة » امردس . ونقش على الجانب الأيمن من القاعدة : « عمله الحظى » حاروا « لأجل الخادم (يقصد نفسه) الذى ليس ببعيد من سيده » .

وعلى الجانب الأيسر من القاعدة نقش : عمله الحظى « حاروا » ابن « بديموت » . ونقش على اللوحة التى خلف التمثال ما يأتى : « يابد الإله يا « امردس » المبرأة إن أخذك « إزيس » تأتى إليك فرحة بحبك وإنها تشاهدك وإنها تصد (؟) قدميك وإنها تحميك من الفرق وإنها تمنحك الهواء لأنفك حتى تعيش وإنها تفتح حنجرتك ، وإليك لن تموتى أبدا يأتها المتعبدة الإلهية يا « امردس » ابنة الملك « كشتا » المبرأة » .

(٦) التمثال السادس : يوجد هذا التمثال بمتحف اللوفر^(٣) وهو مصنوع

(١) راجع British Mus. Stat. Nr. 32555

(٢) راجع Cairo Mus. No 37386

(٣) راجع Louvre Nr. A. 84

من الديوريت وارتفاعه ستون سنتيمتراً عثر عليه في « طيبة » وهو من التماثيل التي على هيئة حزمة ويظهر عليه علامات الترهل ووجهه من طراز أوجه تماثيل العصر الصاوي التقليدية ومتون هذا التمثال بينها وبين متون التمثال السابع أوجه شبه كبيرة .

(٧) التمثال السابع : محفوظ الآن بمتحف « برلين »^(١) وهو من الجرانيت الأسود ويبلغ ارتفاعه ٠,٤٨٧ متراً ومن طراز التماثيل الشائعة في هذا العهد أى مثل في صورة رجل قاعدا القرفصاء وملفوفاً في ملابسه ولا يظهر من جسمه إلا الرأس .

النقوش : وهالك ما جاء على التمثال السادس من نقوش فعلى الكتف الأيمن : « زوج الإله ويد الإله » امردس » المبرأة والنقش المقابل لذلك على التمثال السابع « يد الإله » امردس » المبرأة .

ونقش على الجزء الأمامي من التمثال السادس ما يأتي : « الأمير الوراثي والحاكم ، قريب الملك والصدیق الحميم لسيدته خارج أرضها ، وحافظ تاج متعبدة الإله وكاهن « أنوبيس » المحنط لزوج الإله وكاهن يد الإله المرحومة « امردس » في بيت زوجها والمشرف على بيت الروح لكهنة الروح وكاهن « أوزير » معطى الحياة ، والذي يدخل أولاً ويخرج آخرأ ، ومن تتحدث إليه سيدته عندما تكون وحدها ، ورئيس الخدم (سنرم عش) للمتعبدة الإلهية « حاروا » المبرأ يقول : « إن كل من يدخل ليعمل قرابين وليؤدي خدمة كاهن الشهر ، فإن الإله الفاتح سيعيش لك وإنك ستكون طاهرأ له على حسب ما ستقول قربان ، يقدمه الملك ، ألف من الخبز والجمعة والفظائر والثيران بعد أن يكون الإله قد أخذ كفايته لقريب الملك « حاروا » ولروحه لأنى شريف طيب على بمدائحهم ، وإنسان تعرف الأرضان فضائله ، وإنى لست قابساً ، فإنى منجى الغريق ومراقبة لمن في الهاوية والمبجل « حاروا » المرحوم » .

النقش الذى على الجانب الأيمن من التمثال السادس : « من يبجله الملك

والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية المحبوب حقاً وقريب الملك والمشرف على خدام المتعبدة الإلهية لآمون « حاروا » المرحوم يقول : « أنتم يا أيها الكهنة والكهنة آباء الآلهة والكهنة المرتلون إن كل واحد منكم سيمر بهذا التمثال — ذلك الروح الذى فى « طيبه » (٩) والإله الفاهر الذى يشرف على حريمه سيعيش من أجلكم على حسب ما تقولون : ألفا من الخبز وألفا من الجمعة وألفا من الفطائر وكل الأشياء الطيبة لأجل روح المبجل المرحوم « حاروا » لأننى شريف وينبغى على الإنسان أن يعمل له شيئاً ، وإنى قوى القلب حتى نهاية الحياة ، وإنى لإنسان محبوب من مدينته وممدوح من مقاطعته ورحيم القلب لمدنه . ولقد عملت ما تحبه الناس وكل ما تمدحه الآلهة . وإنى لإنسان مبجل حقاً ، لا عيب فيه ، يعطى الجوعان خبزاً والعريان لباساً ، ويقضى على الألم ويزيل المصيبة ، ويدفن المبجلين ويساعد المسن ويقضى حزن المعوز ولقد عملت هذه الأشياء عالماً بوزنها ، لبت المكافأة عليها تكون عند الآخرين هى البقاء فى فم الناس دون أن تبنى أدياً والذكرى الحسنة بعد مرور السنين وأن يكون نفسى فى أفواهكم مفيداً للصامت (أى المتوفى) ولا يكلف شيئاً من متاعكم . »

وعلى الجهة اليسرى : « الأمير الوراثة والحاكم المبجل عند سيدته وصاحب الخطوة عند سيدته حلوا الفم حسن الكلام للكبير والصغير والذى يقدم النصيحة للنجل عند ما يكون حظه سيئاً ، والذى يقوم شاهده ليتكلم (٩) رحيم اليد مطعماً كل الناس ، ومرضياً من لاشئ عنده بما ينقصه ، قريب الملك ورئيس خدم المتعبدة الإلهية « حاروا » ابن الكاتب « بديموت » يقول : إنى أتحدث إليكم يا من تأتون فى المستقبل بوصفكم مخلوقات جدد فى ملايين السنين . إن سيدتى قد جعلتنى عظيماً عندما كنت صبياً صغيراً وقد رفعت مكانتى عندما كنت طفلاً وقد أرسلنى الملك فى بعوث وأنا شاب . وهور سيد الأرضين ميزنى ، وكل بعث أرسلنى فيه جلالته أنجزته تماماً ، ولم أقل كذباً قط عنها ، وإنى لم أسرق أحداً وإنى

لم أرتكب ذنبا ولمنى لم أذم أحدا أمامهم وقد ذهبت إلى الحضرة لأفك المغلول
ولأخلص الرجل الفاضل وأعطيت من لا شئ عنده أشياء وأغنيت اليتيم في مدينتي
لتبقى روحي بسبب رحمة قلبي .

النقوش التي على ظهر التمثال : قربان يقدمه الملك « لآمون رع »
وللاهة « موت » ربة السماء وللاله « خنسو نفر حشب » ليقدما قربانا جنازيا
وكل أشياء طيبة وطاهرة مما يعيش عليها الإله في الأعياد الشهرية ونصف الشهرية
وكل عيد لروح المبجل عند آلهة « طيبة » وصاحب الخطوات ، ومن حبه منتشر
ومن نعمائه سببت حبه ، ومن أعطى المحتاج طعاما وفارغ اليد مثونة ، والمحروم
ملاذ ، رئيس خدم المتعبدة الإلهية المبرأ « حاروا » .

نقوش التمثال السابع : لا تختلف نصوص هذا التمثال كثيراً عن نقوش التمثال
السادس وهالك الترجمة :

على الكتف اليميني : الكاهنة يد الإله « امردس » المبرأة .

على الكتف اليسرى : الكاهنة يد الإله ربة الأرضين « امردس » المبرأة .

على الجزء الأمامي : الأمير الوراثي والحاكم حامل خاتم الوجه البحري قريب
الملك الحقيقي ومحبوبه وحافظ تاج الزوجة الإلهية ، ومن هو عند قدمي الملك
في الحرم الملكي وكاهن « أنوبيس » المحنط التابع لزوج الإله « امردس » المبرأ
وكاهن بيت روحها والمشرف على خدم بيت الروح وكاهن « أوزير » معطي الحياة
والمدير العظيم للبيت « حاروا » ابن الكاهن « بديموت » المبرأ يقول : « أتم ياها
الكهنة والكهنة آباء الآلهة والكهنة المطهرون والكهنة المرتلون وكل الذين يدخلون
معبد « آمون » صاحب « الكرنك » ليقيموا الشعائر الصالحة لعمل القربان وللقيام
بخدمة الكهانة الشهرية ، إن الإله الفاهر سيعيش من أجلكم وإنكم ستكونون مطهرين
له ، وإنه سيجعلكم ثابتين في حظوته طالما تقولون قربانا يقدمه الملك : ألف

من الخبز والجمعة والفظائر والذيران وأواني المرمر والملابس والبخور والعطور وكل شى جميل طاهر ، وستقولون ذلك بعد أن يكون الإله قد أخذ كفايته منها ، لأجل قريب الملك « حاروا » ولأجل روحه لأنى شريف طيب مزين بالمدائح ، وإنسان تعرف الأرضان فضائله وإنى لست قاسياً بل إنى عاتمة نجاة للغريق وسلم لمن فى الدوامه وإنسان يتكلم فى صالح المصائب وينقذ اليأس ويساعد المظلوم بكلماته الممتازة عند الملك « حاروا » .

النقوش التى على الجانب الأيمن : المبجل عند الملك والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية والكاهن المحنط « لأنوبيس » التابع لزوج الإله وقريب الملك الحقيقى ومحبوبه ورئيس عمال الجبانة للمتعبدة الإلهية « لآمون » « حاروا » يقول : يأيها الكهنة والكهنة أباء الإله والكاهن المطهر والكهنة المؤقتون لكل معبد « آمون » إن كل واحد سيمر بهذا التمثال . فإن ذلك الروح الذى فى « طيبة » وذلك الإله الفانر الذى يشرف على حريمه سيعيش من أجلكم طالما تقولون ألفاً من الخبز والجمعة والفظائر وكل الأشياء الطيبة لأجل روح المبجل عند يد الإله قريب الملك « حاروا » المبرأ : صاحب الشرف ! لأنى شريف ويعمل له الإنسان أشياء وإنى رجل فاضل جداً وكامل فى حياته ، وإنى محبوب مدينته وممدوح مقاطعته وشفيق على مدنه ، ولقد عملت ما يحبه الناس وما تمدحه الآلهة ، وكنت إنساناً مبجلًا لا عيب فيه وأعطيت الجائع خبزاً والعريان كساء ، وإنى إنسان يقضى على الألم ويزيل المصائب ويدفن المبجلين وينجد المسن ويكشف الضر عن البائس وظل للطفل ومساعد للأرمل ويمنح الوظيفة لمن فى مهده . ولقد فعلت هذه الأشياء طالما بأهميتها (أى وزنت أهميتها) والمكافأة عليها من رب الأشياء وهو البقاء فى فم الناس دون نسيان أبداً وذكرى حسنة فى السنين المقبلة . إن نفس أفواهكم مفيد للصامت (المتوفى) ولا يكلف شيئاً من أملاككم (٩٩) دع الخبز لسيدة القرابين والطعام

لإلههم وتنعيم الروح وهو مجرد ذكر اسمه . وأنه المبجل عند سيده المبرأ « حاروا »
لم يرتح من العمل في المعبد والذي ... المعبد ... الذي يجنى . وأن روح الرجل
المنعم تذكر لأعماله الطيبة في المعبد .

على الجانب الأيسر من التمثال : الأمير الوراثي والحاكم المبجل عند سيده
والمحفوظ عند سيدته حلو الفم شهى الكلام ، شفيق على الكبار والصغار ، ومن
يقدم النصيحة لتجبل عند ما يكون حظه سيئاً ، ومن شهادته يقفون لينكلموا (٩) رحيم
اليد ، وممّون كل الناس ، ومن يرضى من لاشئ عنده بما يحتاج إليه ، تشريفاتي يد
الإله وقريب الملك « حاروا » يقول : « إني أتحدث إليكم يا من ستأتون في المستقبل
مخلوقات مستحدثة في ملايين السنين . إن سيدتي قد جعلتني عظيماً وأنا لم أزل ولداً
صغيراً ، ورفعت مكائتي وأنا لا أزال طفلاً وأرسلني الملوك في بعوث وأنا شاب .
وكنت مميزاً في القصر وكل بعث أرسلني فيه جلالته نفذته تماماً ولم أخبر كذباً عنه .
ولا يوجد إنسان سرقته ولم أرتكب خطيئة ، ولم أغترب واحداً أمامهما وذهبت
في الحضرة لأفك من في الأغلال وأخلص الرجل الفاضل . وقد أعطيت أشياء لمن
لا شئ عنده بسبب إنعامي ولأجل أن تبقى روحي لشفقة قلبي : « حاروا » .

النقش الذي على ظهر التمثال : قربان يقدمه الملك للإله « متو » رب
« طيبة » يمنع طعاماً جنازياً من الخبز والحنة والفطير والثيران والدجاج وأواني
المرمر والنسيج والبخور والزيوت وكل الأشياء الطيبة التي يعيش منها الإله والتي
تقدمها السماء وتخرجها الأرض ويأتي بها النيل من مائدة رب الأبدية في أعياد الشهر
ونصف الشهر وعيد « تحوت » وفي كل عيد وكل يوم لروح من هو مبجل عند
« متو » رب « طيبة » قريب الملك الحقيقي ومحبوه « حاروا » .

التمثال الثامن^(١) : يبلغ ارتفاعه أربعين سنتيمتراً وهو مصنوع من حجر الشيست

الأخضر والتمثال ملفوف في صباة وقاعد القرفصاء ويشبه في شكله التمثال السادس الذى تحدثنا عنه فيما سبق .

النقوش : نقش على مقدمة التمثال المتن التالى : « ياها المشرف العظيم على . . . والأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى السميع الوحيد المحبوب وحارس تاج يد الإله وقريب الملك « حاروا » اقلب نفسك على جانبك الأيسر ، وضع نفسك على جانبك الأيمن ، فإن الإله « جب » (إله الأرض) قد فتح لك عينيك ، وإن الإله « أنويس » قد مدركبتيك لك ، وإن قلبك الذى من أمك فتح لك ، وهى قلبك الخاص بجسمك ، وإن روحك يذهب إلى السماء وجسمك فى الأرض ، وإنك تدخل على الإله دون أن تطرد ، وإنك تخرج دون أن تبعد ، وإن « حور » قد تعرف على والده فيك وإنه قد عدل بين الآلهة ، والإله « سيا » يذكر عند الإله « شو » (؟) وفضائلك تعظمك ، ليت لجسمك خبزا ولحنجرتك ماء ، ولأنفك هواء نقيا . أنت يا من يبجله « آمون » رب السماء والمتعبدة الإلهية « امردس » ، والذى يعمل ما ترغب فيه سيدته حتى يشق طريقه إلى سيدته ، والشفيق حقا ومن لا عيب فيه « حاروا » صاحب التبجيل .

ونقش على الجانب الأيمن : المبجل عند إله مدينته والممدوح لدى سيدته المبرا « حاروا » والمقرب يقول « إنى أتكلم اليكم أتم يا أحياء كلكم وكل من سياتى بعد إلى الوجود . إنى أحذرکم بشدة . تذكروا روحى عندما تمر السنون فإنى صديق حقيقى لفك المغلول وفم المحتاج بسبب استقامته عندما يكون سئى الحظ (؟) وإنى طعام المحروم ومثونة المحتاج وإنى إنسان طيب للذين ينعمون باستذكاره ، وإنسان مجيئه مرغوب فيه بالنسبة لكل عمل مستحب . ولقد خلصت المغرق ، وإنى نيل طال فله طيبة تملأ الأرض وإنى قمح فاجر لمدينتى وقد حميت المسن وأعطيت الأرملة المنح ، ومددت يدي لمن حزنه عميق ، وإن من يذكر روحى سيذكر فى المستقبل ومن لا يذكرها سيموت ، بواسطة المقرب حقا المبرا

« حاروا » صاحب الشرف الذى أنجبته ربة البيت « نست ورثت » .

ما نقش على الجانب الأيسر : « الأمير الوراثى والحاكم . . . المبجل لدى « آمون » رب السماء « حاروا » يقول : « أتم يا كل الناس (؟) الذين يدخلون والذين يخرجون مارين بى كل يوم أعطونى حياة من هواء نطقكم (؟) أعطونى أشياءكم كما ساعدتكم بأشياء . . . بالسعادة . . . أنا . . . هذا المكان ، وعلى ذلك فإن هؤلاء الذين فيها سيتسلمون السرور ، والكهنة صلوا للاله من أجل : والكهنة المرتلون احتفلوا بطيبتى وكل رجل من بينهم يقود (؟) . . . الكهنة المؤقتون للعابد يقتسمون أشياء (؟) والمسنون فى عيد فى صحبة الشباب . . . شهد ، وكل فم مفعم بالاحتفال بروح ، سخرى اليد ورحيم القلب ، وإنى أطعمت الجائع وكسوت العريان ، وأسكت الضحك فى حضرة كل متظلم ، وإنى سبقت بشكاياته ، وأزلت مصيبة المظلوم ، وإن مكانة الطيبة ليس مضرا لأنها ستفيدك فى السنين المقبلة » . (أن أى المكافأة على الشئ الطيب لا يضر بل سيشفع فيما بعد) .

النقوش التى على ظهر التمثال : (الأسطر الأربعة الأولى قد فقدت) : (قربان يقدمه الملك ؟ . . .) ألف من . . . ألف من البخور والعطور والنف من كل شئ طيب وطاهر مما يعيش منه الإله . . . وستقول طبقاً لذلك إنى أريك . . . بعد أن يكون الإله قد أخذ كفايته منه ، لأجل روح من هو مبجل عند إله هذه المدينة المبرأ « حاروا » صاحب الشرف ، وذلك لإنى حقاً رجل مبجل خال من الشر مخفى اليد . . . وإن البقاء فى الذكرى لأفيد للروح أكثر من القربان (أى القربان الذى تقدم لها) والمكافأة منى هو ما سأفعله لكم . وإن من لا يقول . . . وأنه مبجل عند « آمون » رب السماء : « حاروا » الذى وضعته « نست ورثت » .

هذا وقد وجد للدير العظيم للبيت « حاروا » بعض تماثيل مجيبة فى « المدمود » بعيداً عن قبره وقد كتب عليها الفصل السادس من كتاب الموتى كالمعتاد .^(١)

تعليق : هذه هي متون تماثيل « حاروا » ومنها يمكن أن نستخلص شيئاً عن حياته وأخلاقه . وعلى أية حال تظهر أمامنا عدة نقط صغيرة يمكن أن نذكرها عنه وعن عصره ، فالوظائف التي شغلها « حاروا » معظمها وظائف إدارية وليس من بينها وظائف دينية إلا وظيفتا الكاهن المحنط لزوج الإله وكاهن الإله « أوزير » ويظهر أن « حاروا » لم يشغل وظيفة ما من وظائف كهنة « آمون » ، ومن الجائز جداً أن وظائف الكهانة كانت في عشيرة أو طبقة خاصة كما ذكر ذلك « هردوت » عن هذا العصر^(١) ، ولذلك لم يكن في مقدور « حاروا » على الرغم من مركزه ونفوذه الإداري أن يكون له نصيب فيها . وتدل النقوش أن والد « حاروا » كان مجرد كاتب لأن لقبه الآخر الذي كان يحمله وهو لقب « قاض » ليس إلا لقب شرف وحسب وبخاصة عندما كان يتمتع به والد رجل من كبار موظفي الدولة ، وهو يكاد يقابل في عهدنا فلان بن الشيخ فلان أو ابن المحترم فلان .

وتدل العلاقة الوثيقة التي تربط « حاروا » بشئون المتعبدة الإلهية وكذلك شغله وظيفة المشرف على الحرم هذا إلى عدم وجود ولد له ينحدر اسمه ، ومن الجائز أنه كان خصياً ، وإن لم يكن لدينا سبب يقطع بصحة ذلك ، لأن المصريين القدامى لم يكونوا على ما يظهر يستعملون الخصيان في منازلهم على الرغم من أن بعض الكتاب كان يعتقد أن عزيز مصر الذي اشترى يوسف كان خصياً كما ذكر الكاتب « توماس مان » في روايته المشهورة (Joseph the Provider) وكذلك قد أشير إلى ذلك في القرآن من ظرف خفى عندما قال العزيز لزوجته « أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً » .

ولم تكن وظائف « حاروا » بالنسبة للملكة والحريم توجب على الإنسان أن يكون أعزب ، فنجد مثلاً أن « شيشنق » الذي كان يحمل لقب المدير العظيم لبيت المتعبدة

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٤٨٢ الخ .

الإلهية كان ابن رجل يدعى « بدينيت » الذى كان بدوره يحمل نفس الوظيفة^(١) ،
وفضلاً عن ذلك كان « وسرحات » الذى عاش فى عهد الفرعون « أمنحتب الثالث »
يحمل لقب المشرف على الحرم الملكى وكان له زوجة تدعى « مأياً^(٢) » . والواقع أن عدم
ذكر والد « حاروا » لا يعنى أى شئ قط وإن ذلك قد يكون أمراً شاذاً وليس بالقاعدة
فى الحالة التى نحن بصدددها . أما موضوع وجود لحية له أو انعدامها فى تماثيله فى
هذا العهد فكان يتوقف على ذوق الحفار ومزاجه . وأخيراً فإن ما فى تماثيل
« حاروا » من خصائص جسمية غريبة قد ترجع فى أغلب الظن إلى تقدمه فى السن
لأى سبب آخر ، وبخاصة إذا راعينا سجلاته الطويلة . وقبر « حاروا » فى طيبة
الغربية (رقم ٣٧) وهو من أكبر المقابر فى هذه الجهة ، وقد كشف عن جزء منه
وجدرانه غاية فى الجمال غير أنها أصبحت فى حالة يرثى لها من الخراب وتحتاج إلى
درس طويل ليتمكن الإنسان من استخلاص شئ من نقوشه وبعضها على ما يظهر
يشبه التى على تماثيله .

(١) . راجع A.S., VI, p. 131

(٢) . راجع A.S., IV, p. 178

المدير العظيم للبيت أخامون رو

وغيره من المديرين العظام لبيت المتعبدة الإلهية في هذا العهد

عثر لهذا العظيم على سبعة تماثيل نقش على اثنين منها اسم « امردس » مع اسم « شبنوبت الثانية » التي كانت تحكم « طيبة » وقته ، وبالإضافة لذلك نجد أن « أخامون رو » قد ذكر على الأقل معه اسم ملك من الملوك الذين عاصرهم وهو « تانوتامون » ، يضاف إلى ذلك بعض آثار لها علاقة به نخص بالذكر منها بعض قطع عثر عليها في الكرنك وقبره وتمثال أحد أجداده المسمى « باكنبتاح » وستحدث عنها بعد التحدث على تماثيله ، هذا ونعرف من المديرين العظام لبيت المتعبدة الإلهية الذين عاصروا « نيتوكريس » ثلاثة وهم « إبا » و « پابس » و « بادى حورنسو » وقد أصبح « إبا » المدير العظيم في السنة السادسة والعشرين من حكم « بسمتيك » وفي هذا الوقت كانت « شبنوبت » قد ماتت ، غير أننا لا نعرف إذا كان تنصيبه يتفق مع تولى « نيتوكريس » الحكم أم لا ، ومن المحتمل أن « نيتوكريس » كانت في الحكم فعلا منذ بضع سنين ، وفي هذه الحالة يكون لها مدير عظيم آخر ليبتها .

أما مدير البيت العظيم « پابس » فعلى أغلب الظن كان خلف « إبا » لأنه يكرر في قبره الوظائف التي شغلها في عهد كل من « نيتوكريس » و « بسمتيك » في حين أن « شبنوبت » لم تظهر في نقوشه إلا في حالات النسب بوصفها أم « نيتوكريس » المتوفاه ، ولكن « إبا » من جهة أخرى كان في خدمة « شبنوبت الثانية » قبل أن يكون موظفا في بلاط « نيتوكريس » لأنه يذكر لنا أنه كان ممن شاهدوا أسرار يد الإله « شبنوبت » كما كان صاحب حظوة عند المتعبدة الإلهية « شبنوبت » المبرأة^(١) . وستحدث عن هؤلاء المديرين كل في مكانه .

« باديجورنسو » : كان « باديجورنسو » ثالث ثلاثة المديرين العظام للبيت في عهد « نيتو كريس^(١) » ولدينا كذلك من عهد المتعبدة الإلهية « عنخنس نفر أب رع » مديران عظيمان لبيتها وهما « بادى نيت » ثم « شيشنق » وكان الأول والد الثانى . وعهد خدمة « شيشنق » طويل ، ولدينا له وثائق يعتمد عليها تدل على أنه قد تسلم مهام وظيفته في عهد الملك « أبريز^(٢) » وظل يمارس عمله حتى عهد الملك « بسمتيك الثالث^(٣) » فنجد في لوحة التبنى للمتعبدة « عنخنس نفرت إب رع » أنه قد مثل عليها هذه المتعبدة والملك « أبريز » و « شيشنق^(٤) » وكذلك نجد في منظر « بالكرنك » هذه المتعبدة الإلهية و « شيشنق^(٥) » ممثلين ، أما والد « باديت » فلا نعلم عنه إلا القليل وقبره في « طيبة » (Thebes No 197) وقد نسب هذا القبر كل من الأستاذ « جاردنر » والأثرى « ويجول » إلى عهد « بسمتيك الثانى^(٦) » وهذا التاريخ خاطئ في رأى « جرفت » إذ ينسب القبر إلى عهد « أحس الثانى^(٧) » ، هذا وقد أخطأ نفس « جرفت » في قوله إنه لا توجد آثار من عهد المتعبدة الإلهية « عنخنس نفر أب رع » قبل عهد « أماسيس » (أحس الثانى) إذ قد نسي أهم أثر في عهدها وأعنى بذلك لوحة التبنى^(٨) . ومنها نعلم أن هذه الأميرة قد أصبحت زوج الإله في السنة الرابعة من عهد « أبريز » وأنه في عهد هذا الملك أصبح « شيشنق » المدير العظيم لبيتها ، وعلى ذلك كانت المدة التى شغل فيها والده وظيفة المدير العظيم للبيت قصيرة ، ومن ذلك نفهم أن التاريخ الذى وضعه « جرفت » لمقبرة « بادى نيت » غير مقبول ، هذا ولا يفوتنا

(١) راجع Darassy, Stat. de Divinités Nr. 38372, Rec. des Cones Funeraires Mem. Miss. Fr. Arch. Tom. VIII N. 218

(٢) « جمع إب رع » و « أح أب رع » راجع L.R. III, p. 104

(٣) راجع A.S., V, p. 84

(٤) راجع L.D. III, p. 274 (o)

(٥) راجع A.S., VI, p. 131

(٦) راجع Gardiner and Weigall, Topographical Catalogue

(٧) راجع J.E.A. Vol. III p. 196

(٨) راجع A.S., V, p. 84

أن نذكر هنا أن التاريخ الذى وضعه كل من « جاردنر » و « ويجول » لذلك أى عهد « بسمتيك » غير صحيح بالنسبة للمدير العظيم للبيت « شيشنق » .

وعلى أية حال نعرف مواقع خمس مقابر من ثمان المقابر الخاصة بالمديرين العظام لبيت المتعبدات الإلهيات والقبر الذى لم يكشف عنه بعد هو قبر « بادى — حور — نسو » .

وتدل شواهد الأحوال على أن قبر « أخامون رو » — وقد عرف حديثاً — مخرب ، غير أن مالدينا من تماثيل له محفوظة تحمل نقوشاً هامة تمكننا من أن نستعرض هنا حياته بشئ من التفصيل ، والواقع أن نقوشه تقدم لنا معلومات غاية فى الأهمية مما يضيف لنا معلومات كثيرة تنقصنا عن العهد الكوشى .

وسنحاول فيما يلى وصف تماثيله السبعة وقرنها بتمائيل « حاروا » من حيث الشكل والمتون :

(١) وجد « لآخامون رو » تمثال فى مدينة « هابو » فى أثناء البعثة التى قام بها « هلشر »^(١) وهو يمثل قاعداً القرفصاء فى صورة لفة وهو مصنوع من الجرانيت الرمادى وارتفاعه ثلاثون سنتيمتراً وهشم جزء كبير من جسمه .

وعلى الرغم من ذلك نشاهد فيه الخصائص التى تميز التماثيل التى صنعت فى هيئة لفة (بقجة) فى هذا العصر وما قبله بقليل وهى التى نشاهدها بوضوح على هيئة مكعب قد أخفل فيه نحت كل جزء من أجزاء الجسم فنجد مثلاً أن الرقبة فى التمثال لا وجود لها وترتكز ذقنه مباشرة على جسمه المكعب وظهر التمثال وجانباه قد مثلت على صورة مربعات منحنية انحناء بسيطاً جداً . وقد مثل جزء من اليد اليمنى يكفى للدلالة على أن اليدين قد مثلتا بصورة حقيقية جداً فى حين أن الذراعين لم يمثلا قط .

(٢) والتمثال الثانى محفوظ بمتحف « شيكاغو »^(١) بأمريكا الشمالية وهذا التمثال كسابقه على هيئة لفة وهو صغير الحجم ويبلغ ارتفاعه ثمانية وعشرين سنتيمتراً وجسمه مهشم كالسابق وهو يشبه فى كثير من الوجوه وبخاصة فى الشعر المستعار والأذنين ، ونقش عليه كذلك طغراء « أمردس » و « شبنوبت » كما فى التمثال السابق أما الوجه فقد أصلح بعد تهشيمه .

(٣) التمثال الثالث : موجود « بمتحف اللوفر »^(٢) . وقد مثل فى صورة لفة أو بقعة كذلك وصنع من الجرانيت الأسود المعرق ويبلغ ارتفاعه ٤٤ سنتيمتراً . عثر عليه فى « طيبة » وأسلوب صناعته يختلف كثيراً عن تمثال « شيكاغو » إذ نلاحظ فيه الرأس مرفوعاً وبذلك أصبح كل من الرقبة والذقن ظاهراً من الشكل المكعب الذى صور فيه الجسم . هذا وتبرز الذراعان والقدمان من المكعب أيضاً ، هذا إلى تفاصيل فى شكل الظهر والجانبين ، والشعر المستعار مخطط ومسبل خلف الأذنين والوجه عريض تبدو عليه السمكة .

(٤) التمثال الرابع : موجود بمتحف « اللوفر »^(٣) وقد مثل واقفاً وهو مصنوع من الجرانيت الأسود وارتفاعه ستة وأربعون سنتيمتراً وشعره المستعار ناعم مرسل ويرتدى ثوباً طويلاً ونقش على صدره العريان متن وكذلك على العمود الخلقى الذى يرتكز عليه التمثال وعلى ثلاثة من جوانبه نقوش .

(٥) والتمثال الخامس : محفوظ بالمتحف المصرى وهو مصنوع من الجرانيت الرمادى وارتفاعه خمسون سنتيمتراً عثر عليه فى خبيثة « الكرنك » ويشبه وصفه تمثال

(١) راجع Chicago Natural History Museum Nr. 31717 Pl. X.

(٢) راجع Louvre A. 85

(٣) راجع Louvre, E. 13106

(٤) راجع - Caire Journal D'Entree, Nr. 37346 - Cachette Karnak No. 471

« حاروا » الذي تحدثنا عنه فيما سبق^(١) وقد مثل جالساً القرفصاء في صورة غير منظمة حيث نجد الساق اليمنى قد مثلت محاذية الأرض في حين أن الساق اليسرى قد مثلت واقفة .
و يلحظ أن « آخامون رو » كان أصلع مثل « حاروا » ويلبس قميصاً قصيراً يغطي ركبتيه ومغطى بالنقوش ودون على ذراعه اليسرى طغراء المتعبدة الإلهية « شبنوبت » وعلى ذراعه اليسرى طغراء الملك « تانوتا مون^(٢) » .

(٦) التمثال السادس^(٣) : موجود بالمتحف المصري وهو ممثل في هيئة لفة وقد صنع من الجرانيت الرمادي وعثر عليه في خيئة « الكرنك » ، وارتفاعه واحد وخمسون سنتيمتراً وهو يشبه تمثال « اللوفر » السالف الذكر^(٤) .

(٧) التمثال السابع^(٥) : محفوظ كذلك بالمتحف المصري وهو ممثل كذلك على هيئة لفة مكعبة ومصنوع من الجرانيت الرمادي وارتفاعه خمسون سنتيمتراً عثر عليه في خيئة « الكرنك » ونقش على واجهته خمسة أسطر كما نقش على ظهره متنان .

ومجموعة التماثيل السبعة التي تتألف منها تماثيل « آخامون رو » تشبه مجموعة تماثيل « حاروا » وتماثيل « آخامون رو » تشبه كثيراً تماثيل « بتأمونوفيس » صاحب المقبرة الضخمة رقم ٣٨ في مقابر « طيبة » والمعتقد أن حياة « بتأمونوفيس » هذا تقع في السنين الأخيرة من عهد الأسرة الخامسة والعشرين والجزء المبكر من الأسرة السادسة والعشرين^(٦) . وقرن تماثيل هؤلاء الشخصيات الثلاث يفصح لنا عن معلومات هامة عن فن هذا العصر ، ويمكن القول هنا أن كلا منهم قد استعمل

(١) راجع Y. 37386

(٢) راجع A.S. VII, 190 ; Rec. Trav. XXVII, p. 80

(٣) راجع Cairo Journal D'Entree, Nr. 3932I

(٤) راجع Louvre A. 85

(٥) راجع Cairo Journal D'Entree No. 37872

(٦) راجع A.S. Tom. XXXVII p. 219 and Anthes, A.Z. LXXIII, p. 25 ; A.Z. LXXIV, p. 2

في صنع تماثيله الأوضاع الثلاثة التي كانت شائعة في هذا العهد على وجه عام وهي تحت التمثال على هيئة لفة أو على هيئة كاتب جالس القرفصاء بقميص قصير وبدون شعر مستعار ، وأخيراً رسم التمثال واقفاً بشعره المستعار التقليدي وثوبه الطويل .
ويلاحظ أن كلا من « حاروا » و « آخامون رو » قد مثل في وضع الكاتب العادي بدلاً من الوضع الجالس القرفصاء غير المنظم الذي كان شائعاً في تلك الفترة .

ونجد فضلاً عن الروابط الفنية في أسلوب الصناعة التي نجدها بين تماثيل « حاروا » و « آخامون رو » روابط أخرى من جهة استعارة المتون وتشابهها . فنجد مثلاً في التمثال رقم واحد أن المتن الذي نقش على الجزء الأمامي منه هو صورة مطابقة تماماً للنقوش التي دوت على الجزء الأمامي من تمثال « برلين » رقم ٧ ، على أن هذا المتن هو الوحيد الذي وجد في نقوش كل من هذين المديرين العظميين لبيت المتعبدة الإلهية ، وكذلك نجد أن المتن الذي على الجانب الأيمن لتمثال « آخامون رو » رقم واحد هو نفس النقش الذي على الجانب الأيسر لتمثال « حاروا » رقم ٧ وكذلك على التمثال رقم ٦

وهاك ترجمة النقوش التي دوت على تماثيل « آخامون رو » :

(١) التمثال رقم (١) :

على الكتف اليمنى : يد الإله « امردس » .

على الكتف اليسرى : المتعبدة الإلهية « شبنوبت » .

على الجزء الأمامي : (مهشم ونقل من تمثال « حاروا ») يقول : يا أيها الكهنة والكهنة آباء الآلهة ، والكهنة المطهرون وكل الذين يذهبون إلى معبد « آمون » بالكرك ليقدموا بالشعائر الدينية وليقدموا قرباناً وليقوموا بالخدمة الشهرية إن الإله الفاهر سيجعلكم تبغون في حظوته طاملاً تقولون : « قرباناً يقدمه الملك :

ألف من الخبز والجمعة والفظائر والثيران والدجاج وأواني المرمر والملابس والبخور والعطور وكل شئ طيب طاهر — ستقولون ذلك — بعد أن يكون الإله قد أخذ منه كفايته . لأجل سمير الملك « آخامون رو » ولأجل روحه لأنى شريف مجهز بكراماته وإنسان تعرف الأرضان فضائله وماجا للنفس وعوامة نجاة للغريق وسلم لمن في الهاوية .

على الجانب الأيمن : (مهشم ونقل بعضه عن تمثال « حاروا ») :
(١) سمير الملك الحقيقي (٢) . . . يقول إنى أتحدث إليكم أنتم الذين ستأتون في المستقبل بمثابة مخلوقات جديدة في ملايين السنين ، إن سيدتى قد جعلتنى عظيما عندما كنت ولداً صغيراً ورفعت من درجتى عندما كنت لا أزال طفلاً ، وأرسلنى الملك فى بعوث وأنا شاب وميزنى « حور » رب القصر وكل بعث أرسلنى فيه أنجزته تماماً .

على الجانب الأيسر : النقوش هنا ليست موحدة مع نقوش « حاروا » ومهشمة وعلى أية حال لا تزال توجد بعض صيغ مشهورة وهى : (١) . . . ليته يمنح المشاركة فى القربان الذى يوضع على مائدة السيد (٣) . . . اتباع (٤) . . . الأرواح المنعمة (٥) . . . الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد (٦) . . . والذى يدخل أولا ويخرج آخر (٧) والموظف الذى على رأس الناس ، ورئيس خدم الجبانة (٨) للتعبد الإلهية . والعظيم فى وظائفه والكبير فى درجته . . .

وعلى ظهر التمثال : « قربان يقدمه الملك « لآمون رع » المشرف على حريمه وعلى الآلهة الذين يسكنون فى . . . (٢) ألف من الخبز والجمعة والفظائر والثيران والدجاج وأواني المرمر والملابس والبخور والعطور وكل شئ جميل طاهر مما يعيش منه الإله . . . (٣) رئيس خدام الجبانة لزوج الإله « آخامون رو » بن . . .

(٢) التمثال الثانى :

على الكتف اليمنى : يد الإله « امردس » .

على الكتف اليسرى : المتعبدة الإلهية « شبنوبت » العائشة .

على الجزء الأمامى من التمثال : (فقد الجزء الأول والآخر من النقوش ولم يبق إلا أجزاء ومن خمسة أسطر) : (١) ... ثيران ودجاج وأوان من المرمر وملابس ... (٢) ... حاكم ... (٣) ... لسيدته (٤) ... المدير العظيم لبيت زوج الإله (٥) ... وضعته السيدة ... » .

ونقش على ظهر التمثال : (١) إله المدينة للأمير الوراثنى والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ... (٢) الصديق المخلص الذى يحبه المدير العظيم لبيت زوج الإله ... (٣) وقد وضع خلفه وأمامه » .

(٣) التمثال الثالث :

نقش فى الجزء المقدم من التمثال : « من فى حظوة يد الإله « امردس » المرحومة والتشريفاتى وسمير الملك « اخآمون رو » ذو الشرف يقول : يأيتها الأحياء الذين على الأرض والكهنة المطهرون العظام والكهنة خدام الإله وكل إنسان يمر على أنكم ستبقون على الأرض وستعطون وظائفكم أولادكم إذا قلم : قربانا يقدمه الملك ، ألفا من الخبز والجمعة والثيران والأوز وكل شئ جميل طاهر حلومما يعيش عليه الإله لروح التشريفاتى زوج الإله « شبنوبت » العائشة « اخآمون رو » ، وان نفس الحياة مفيد للروح المنعمة ولن يصبح الإنسان متعباً به والإنسان شفيق القلب يكون الإله شفيقاً عليه وأن الذى يفعل الخير يفعل له الخير والعمل الصالح أثرباق » .

على ظهر التمثال : قربان يقدمه الملك « لآمون رع » رب « الكرنك » لأجل أن يمنح ألفاً من الخبز والجمعة والثيران والدجاج وأوانى المرمر والملابس

والبخور والعطور وألفاً من كل شئ طيب طاهر لروح المبجل وصاحب الملك
وتشريفاتي زوج الإله « آخامون رو » المبرأ الذي أنجبته « مرمى خنسو »
المرحومة .

(٤) التمثال الرابع :

النقش الذى على قميصه : « من فى حظوة « خنسو » فى « طيبة نفرحتب »
المدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية وصديق الملك « آخامون رو » .

النقش الذى على عمود ظهر التمثال من اليمين : « قربان يقدمه الملك
« لآمون » رب السماء ليتك تمنح المشاركة فى القربان اليومى على مائدتك للمدير العظيم
لبيت المتعبدة الإلهية وليت الشمس تضىء على وجهه « آخامون رو » المبرأ » .

على العمود من الجهة اليسرى : « قربان يقدمه الملك « لمنتو »
رب « طيبة » ليتك تمنح شم رائحة المدير القصر للتعبد الإلهية « آخامون رو »
المبرأ بن كاهن « آمون » فى « الكرنك » « بانب إرى » المبرأ » .

على ظهر العمود : « قربان يقدمه الملك للاله « خنسو » فى « طيبة نفرحتب »
لأجل أن يعمل له كل قربان المأكولات اللازمة فى كل عيد أى لأجل روح مدير
القصر للتعبد الإلهية « آخامون رو » .

« قربان يقدمه الملك للاله « خنسو وتتحى » (لقب للاله « خنسو ») لأجل
أن يمنح الخروج من القبر ورؤية الشمس عند الفجر للأمير الوراثى والحاكم والمدير
العظيم لبيت المتعبدة الإلهية « آخامون رو » .

« قربان يقدمه الملك « لخنسو با — أر — سخر نفر » (منجز مشروعه الطيب —
لقب للاله « خنسو »^(١)) ليخترق السماء فى سلام : سمير الملك « آخامون رو » بن كاهن
« آمون » « بالكرك » « بانب إرى » .

(٥) التمثال الخامس^(١) :

إن أهم ما يلفت النظر في متون هذا التمثال هو وضع اسم الزوجة الإلهية « شبنوبت » واسم الملك « تانوتآمون » جنباً إلى جنب على الجزء الأعلى من ذراعى التمثال . والنقوش التى على قميص التمثال تعدد لنا ألقاب « آخآمون رو » وترجو من الأحياء أن يقرءوا صيغة القربان عند المرور على قبره وهذا الرجاء موجه لطبقات الكهنة المختلفين الذين يقومون بأحفال القربان فى معبد « آمون » . كما جاء على تمثال « حاروا » والتمثال الأخرى « لآخآمون رو » نفسه . أما المتنان اللذان على عمود التمثال فتكررت ألقابه فىهما وقد أضيف للألقاب التى ذكرت على مقدمة التمثال لقب السمير الحقيقى للملك ، كما أضيف اسم والده « بانب إرى » على مقدمة التمثال وظهوره .

التمثال السادس^(٢) : تحتوى متون هذا التمثال على اسم « آخآمون رو » وألقابه ومناقبه المعروفة وكذلك على اسم والده ووظيفته .

هالك النقوش التى عليه :

نقش على مقدمته أربعة أسطر جاء فيها : المقرب من آمون سيد السماء ، الشريف والأمير وحامل خاتم الملك والسمير الوحيد والعزيز ، ورئيس خدام المتعبدة الإلهية « آخآمون رو » المرحوم ابن كاهن آمون فى الكرنك « بكيرى » .

ونقش على العمود الذى خلف التمثال ما يأتى :

المقرب لدى الملك ، الشريف والأمير الذى يعمل ما يحبه سيده خلال كل يوم والمدير العظيم للبيت للتعبد الإلهية « آخآمون رو » المرحوم ابن كاهن آمون فى الكرنك « بكيرى » .

(١) راجع Cairo J. 37346

(٢) راجع Cairo, No., 37321

(٧) التمثال السابع^(١) : نقش على مقدمة هذا التمثال صلوات «لآمون رع» ليمنح القربات التي تخرج على مائدة الإله في أيام الأعياد للمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية والمدير لكل الوظائف المقدسة ورئيس خدام الجبانة للمتعبدة الإلهية المسمى «أخامون رو» المبرأ . وقائمة الألقاب التي على ظهر التمثال تنتهى باسم والده وليس فيها من جديد .

هذا ولم نجد لقب «المدير لكل الوظائف المقدسة» الذي كان يحمله «أخامون رو» على هذا التمثال في تماثيله الأخرى ، وهذا اللقب كان يحمله كذلك «حاروا» سابقه على تماثله رقم ٣

وهالك ترجمة النقوش التي على هذا التمثال :

على مقدمة التمثال نقش خمسة أسطر جاء فيها : قربان لآمون رع سيد تيجان الأرضين ، لبتة يعطى كل ما يخرج على مائدة القربان الخاصة بسيد الأبدية في عيد الشهر وعيد نصف الشهر وعيد «واج» وعيد «تمحوت» وفي كل عيد لكل يوم للمدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية ، والمدير لكل وظيفة إلهية ، ورئيس خدام المتعبدة الإلهية «أخامون رو» .

ونقش على العمود الذي خلف التمثال سطران جاء فيهما : «المقرب من آمون سيد السماء ، الشريف والأمير والسفير الوحيد ، والعزيز ، والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية والمعروف لدى الملك «أخامون رو» ابن كاهن آمون «بكبرى» .

(٨) حوض من الجرانيت^(٢) : كتب اسم «أخامون رو» كذلك على حوض من الجرانيت الوردى محفوظ بمتحف القاهرة ، عثر عليه في عام ١٨٩٧ م . في مدينة «هابو» . وقد زينت إحدى واجهتيه الكبيرتين بطغراءين كبيرتين تعلوهما علامة

(١) راجع Caire JE., Nr. 37872

(٢) راجع Caire J.E., 31885

السماء ، وكذلك زينت واجهته الضيقتان بمناظر ونقوش محفورة حفرأ غائرأ ، هذا إلى أن الجزء الأعلى حوالى هذا الحوض قد حل بالنقوش .

والطغراء التى على اليمين باسم « أوزير » رب الحياة والذى يشرف على الغرب ، والطغراء التى على اليسار لأوزير الذى يسكن فى « يات حمى » (أى مدينة هابو) . ويوجد أمام كل طغراء من الطغراء مائة قربان خفيفة وإناءين للظهور يندفع منهما ماء يتلقاه فى كفيه شخص راجع .

وقد نقش فوق الشخص الذى على اليمين العبارة التالية : « مدير البيت العظيم للتعبد الإلهية » أخامون رو ، ابن كاهن آمون فى الكرنك « بكيرى » .

وفوق الشخص الذى على اليسار : « الشريف ، الأمير والسفير الوحيد والمدير العظيم لبيت المتعبد الإلهية ، والمعروفة حقيقته لدى الملك ، حبيبها » أخامون رو .

وكتب على الجهة الصغيرة من اليمين من جهة واجهة الحوض الكبيرة ما يأتى : « عبادة سيده ، الكاهن العظيم للتعبد الإلهية ، المعروفة للملك حقيقة » أخامون رو (ابن) كاهن آمون « بكيرى » .

وعلى اليمين نقش : المتعبد الإلهية أو الزوجة الإلهية سيدة الأرضين « شنبوت » المحبوبة من الآلهة الذين فى الجبابة .

وعلى الجهة اليسرى من الوجه الكبير نقش مهشم يشبه السابق ، ثم يأتى بعد التهشم : « المتعبد الإلهية سيدة الأرضين « أمردس » محبوبة « أوزير » الذى يشرف على الغرب سيد العرابة » .

وحول الحوض نقش مهشم جاء فيه ذكر المتوفى وألقابه ويدل النقش على أنه تقليد لمتون الأهرام ومتون توايت الدولة الوسطى مما يشير إلى بداية عصر النهضة التى ازدهرت فى خلال الأسرة السادسة والعشرين .

(٩) ووجد اسم هذا المدير العظيم كذلك على قطع حجر مستعملة ثانية في أسس الردهة الأمامية لمعبد الكرنك « لآمون رع — متو » بالكرنك الشمالى ، وهذه الأحجار كانت في الأصل من مقصورة منذورة الإله « أوزير باده عنخ » (أوزير سيد الأبدية) من المتعبدة الإلهية « شبنوبت الثانية » و « أمردس الصغيرة (ابنة تهرقا) وعلى هذه القطع تقرأ ألقاب « آخامون رو » واسم والده « بكيرى » ^(١) .

(١٠) مقبرة « آخامون رو » : ظلت مقبرة هذا المدير العظيم مجهولة إلى أن تعرّف عليها الأثريان « باجيه » و « اكلان » في جبانة العسايف وتقع مباشرة في الشمال الشرقي من مقبرة « حاروا » السالف الذكر (رقم ٣٧) ، وقد وجد بين النقوش التي في هذه المقبرة اسم صاحبها وألقابه ^(٢) ، ومن بينها لقب « مدير كل وظيفة إلهية للتعبد الإلهية » و « مدير القصر للتعبد الإلهية » .

(١١) تمثال جد « آخامون رو » المسمى « باكنتاح » ^(٣) : وقد عثر عليه في خبيثة الكراك وطوله ٣٦ سم ، مترا وهو من الجرانيت الرمادى المبرقش ونقوشه محووة بمحض الشئ .

وقد مثل « با كنتاح » جد « آخامون رو » قاعداً على كرسي ظهره منخفض جداً . وقد مثل في الصورة الشعائرية التي يمثل بها « أوزير » وهي الهيثة التي مثل بها كثير من تماثيل هذا العصر ونخص بالذكر منها تمثال « متوهمات » المحفوظ بمتحف برلين ، وكل هذه التماثيل من طراز الدولة الوسطى كما أشار بذلك الأثرى « أفرى » .

والنقوش التي على هذا التمثال هي : (على مقدمة القميص) : قربان لآمون رع رب عرشى الأرضين ليمنع قربانا من خبزوجة وحيوانات وطيور لروح كاهن آمون ، رئيس كتبة الحريم . وعلى قدمي التمثال من الجهة اليمنى جاء : « انه والده كاهن

(١) راجع J.N.E.S., Vol. XIII, July, 1945, p. 159 ff

(٢) راجع Ibid, p. 161

(٣) راجع Ibid, p. 162 ; J.E. de Caire, 37866

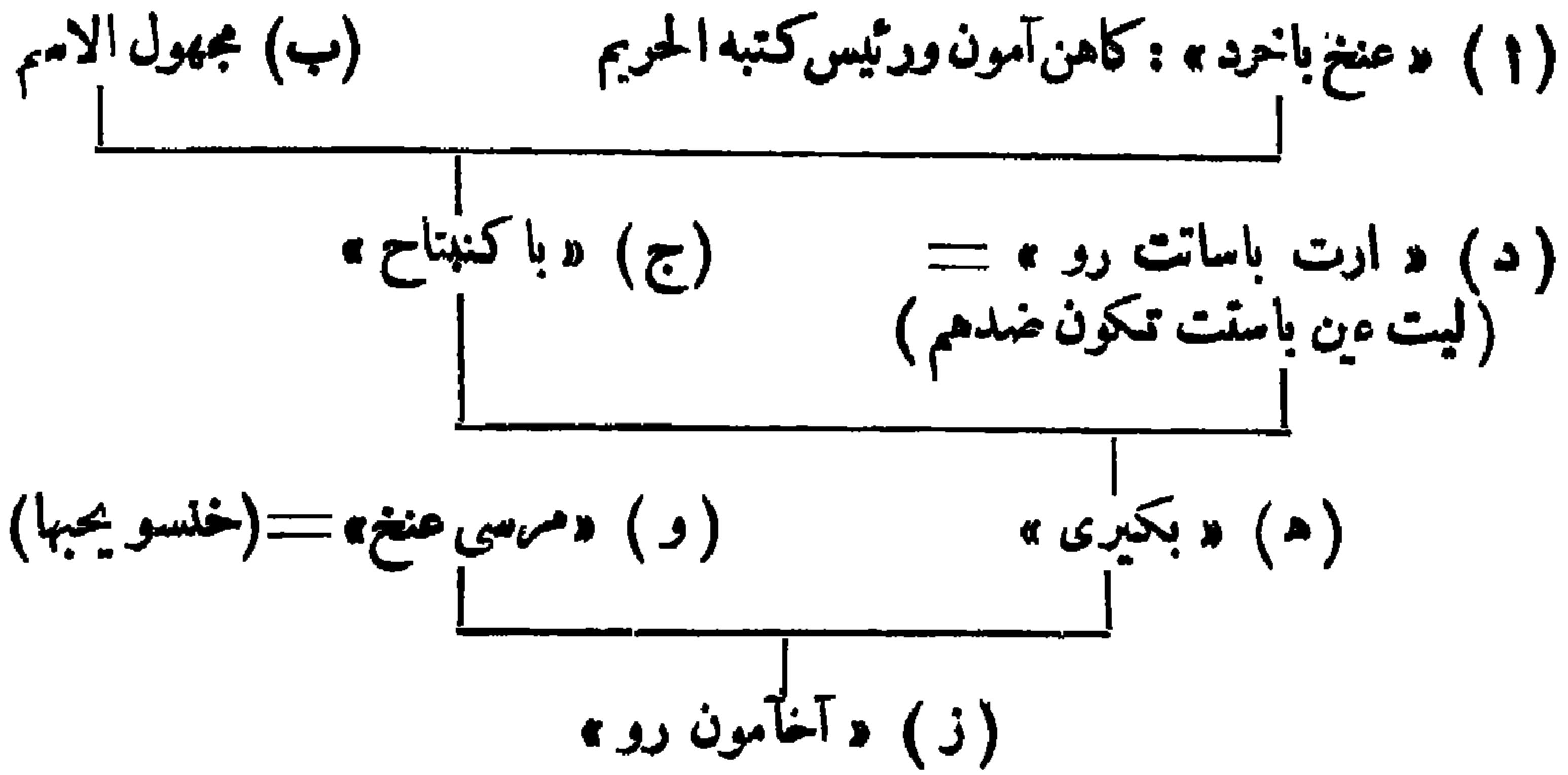
آمون في الكرنك ، رئيس كتبة الحرم ، كاهن « ماعت » ابنة « رع » (المسمى)
« بكيرى » وهو الذى عمله له (أى التمثال) لأجل أن يحى اسمه في المدينة .
وعلى الجهة اليسرى : « إنه ابنه البكر من ظهوره ، الذى يحبه صاحب كل متاعه ،
كاهن « آمون » ورئيس كتبة الحرم ، كاهن ماعت ابنة رع ، « بكيرى »
والذى أعجب السيدة « أرب باسات أرو » لقد عمله لأجل أن يحى اسمه .

وعلى عمود ظهر التمثال جاء : يا إله المدينة المحلى لكاهن آمون رع ، رئيس كتبة
الحريم ، وكاهن ماعت ابنة رع ، « باكنتاح » المرحوم ابن كاهن آمون ، رئيس
كتبة الحرم « عنخ بانرد » إيته يوضع خلفه في حين أن روحه تكون أمامه ،
إنه تابع لمدينة « عين شمس » .

ونقش حول قاعدة التمثال ما يأتى من جهة اليسار : « قربان يقدم لمتوسيد
« طيبة » ، إيته يعطى كل شئ كامل ونقى وممتع ، وأن تكون له قربات كل يوم
وأن يخرج عند سماع الصوت (أى المتوفى) عند ما ينادى لروح كاهن آمون
« باكنتاح » المرحوم » .

وعلى الجهة اليمنى : « قربان يقدم لآمون سيد عروش الأرضين ، إيته يعمل
حتى يتسلم الخبز « سنو » في القاعة العظمى للآله « جب » في حضرة أرباب عين شمس
لأجل روح كاهن آمون رئيس كتبة الحرم ، وكاهن ماعت ابنة رع ، « باكنتاح »
المرحوم » .

وتدل شواهد الأحوال على أن « بكيرى » الذى ذكر على تمثال « باكنتاح »
هو والد « أخامون رو » الذى ذكر على آثار هذا الأخير ، وعلى ذلك فإن قراءة هذا
الاسم « يانب أرى » كما جاء في بعض البحوث خاطئة . ويمكن الآن وضع سلسلة
نسب « أخامون رو » كما يأتى :



والظاهر أنه لا يمكن أن ينسب « بكيرى » إلى أصل كوشى وذلك لأن أجداده من حيث الأسماء مصريون ، وعلى حسب هذه القائمة يمكن أن نجعل « عنخ باخرد » معاصراً لأمر « شيشنق » الطيبية . ولابد أنه كان قد عاش في بداية عهد المتعبدة الإلهية « شبنوبت » الأولى ، وكان هو نفسه ، وكذلك أخلافه ، يعدون من بين ^(٢) الطيبين القدامى الذين كانوا يناصرون الفاتحين الكوشيين . وقد كان في مقدورهم أن يتوارثوا من الأب لابن لقبى كاهن « آمون » ورئيس كتبة الحريم لمدة ثلاثة أجيال ، وفي الجيل الأخير صار أحد أفراد هذه الأسرة أعظم موظف في خدمة المتعبدة الإلهية الكوشية . والواقع أن « أخامون رو » (ليت عين آمون تكون خدعم) يقدم لنا باسمه شاهداً على تعبد لآله الطيبى ، وهو يحمل سلسلة من الألقاب الحقيقية وألقاب الشرف ونعوت المدح التى تبرزه بأنه من أعظم الشخصيات في عهد الأميرة الخامسة والعشرين بوصفه خلف « حاروا » السالف الذكر . وألقابه : الشريف والحاكم ، ومدير خزانة الملك ، والسفير الوحيد ، والمحبوب وكذلك المعروف للملك حقاً ومحبو به ، التى نجدها مكررة كلها أو بعضها على تماثله من الألقاب والنعوت التى يرجع عهدها إلى الدولة القديمة . ولما كانت هذه الألقاب والنعوت مستعملة في نقوش « حاروا » فلا بد أنها كانت تقليدية في الألقاب الساوية .

واللقب الرئيسى والمميز « لأخآمون رو » هو المدير العظيم للتعبدية الإلهية أو زوج الإله . هذا يدل لقبه « المدير العظيم للتعبدية الإلهية لأملاك » آمون « على أن هذه الأميرة أى المتعبدية الإلهية كان لها ارتباط بإدارة أملاك هذا الإله . وهذه الوظيفة الهامة يظهر أنها كانت تشمل وظيفة « رئيس خدم المتعبدية الإلهية » وهى وظيفة كان يحملها كذلك « حاروا » . أما لقب « تشريفاتى الزوجة الإلهية » وهو لقب على ما يظهر ثانوى بالنسبة له فلم يوجد إلا على تمثال واحد وربما كان قد صنعه فى أول حياته ، ومع ذلك فإننا نجد على غرار سلفه « حاروا » قد لقب « رئيس التشريفاتية » .

وفضلا عن ذلك نجد أن « أخآمون رو » حمل نعوتا يظهر أنها شرح لألقابه لا ألقابا بالمعنى الحقيقى ، مثال ذلك أنه كان يلقب « مدير كل الوظائف الإلهية للتعبدية الإلهية » وهذا اللقب كان يحمله سلفه « حاروا » . وهذا اللقب يوجد أيضا فى مقابر بعض الشخصيات الطيبة مع بعض التغيير فكان مثلاً يحمله « متو محات » « وأبا » وكذلك كان يلقب « أخآمون رو » مدير قصر المتعبدية الإلهية .

ولابد أن نلفت النظر هنا إلى ما ذكره « أخآمون رو » من وصفه لنفسه من التقرب للآلهة ، فقد كان مقربا من آلهة طيبة وبخاصة آمون صاحب الكرنك ومن الإله « خنسو » فى طيبة ، وكذلك كان مقربا من الملك ، وأخيراً من يد الإله « امردس » المرحومة . وكان بوصفه وزيراً للتعبدية الإلهية « شبنوبت » يظهر بطبيعة الحال ولاءه لذكرى أم سيدته وهى التى كانت ، كما تدل شواهد الأحوال ، مشتركة معها فى الحكم سابقا .

وكما تؤكد الوثائق السالفة نعرف أن « أخآمون رو » كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالملك « تانوتآمون » كما نعرف أنه واحد من المعاصرين للجزء الثانى من عهد حكم المتعبدية الإلهية « شبنوبت » ابنة الملك « بيعنخى » . هذا ونجد على بعض التماثيل أن « امردس » المتوفاة و « شبنوبت » العائشة مذكورتان معا (٢ و ٣)

وإذا كنا نجد أن « أخامون رو » قد اكتفى بذكر « شبنوبت » على بعض آثاره الأخرى، (مثل التمثال رقم واحد والحوض) دون أن يحدد إذا كانت على قيد الحياة أو ميتة فإن ذلك يرجع إلى أننا وجدنا اسمه على المبنى الذى فى الكرنك الشمالى ، ويفهم من النقش الذى وجد فيه أنه كان مصاحباً « شبنوبت » التى كانت مشتركة معها وقتئذ « امردس » بنت الملك « تهرقا » .

وهكذا نجد أنه فى حين كان « حاروا » المدير العظيم للبيت لأمردس الأولى ابنة « كشتا » و « شبنوبت » ابنة الملك « بيعنخى » فإن « أخامون رو » كان بدوره المدير العظيم للأخيرة التى كانت تشاركها « امردس الثانية » ابنة « تهرقا » ، ونحن نعلم من جهة أخرى أن « حاروا » قد عاش بعد وفاة « امردس الأولى » وذلك لأنه كان كاهناً لأمردس المتوفاة فى بيت روحها ورئيس كهنة الروح ، وبهذه الصفة اعتنى بالمقصورة الجنازية الخاصة بهذه الأميرة فى مدينة هابو ، وذلك بعد أن سهر على تجهيز دفنها بوصفه الكاهن المحنط لأنوبيس للزوجة الإلهية .

ونفهم على أية حال أن الوظائف التى كان يحملها « أخامون رو » قد وصل إليها بعد « امردس الأولى » .

والواقع أن مجموع هذه الدلائل توحى إلينا بأن نضع زمن ذروة مجد « أخامون رو » حوالى عام ٦٦٣ ق . م . وفى هذا العهد كان مشتركاً فى بناء السياسة الثقافية والجنازية للتعبدات الإلهيات فى كل من الكرنك ومدينة هابو ، ومن ثم نراه قائماً بوظائفه كما نشاهد ذلك على جدران مقصورة « أوزير بادد عنخ » وهو على ما يظهر كان ضمن كهنتها كما كانت الحالة مع سلفه « حاروا » ، وذلك مع الفارق أن « أخامون رو » فى الحالة الراهنة بالنسبة للوثائق التى فى متناولنا على الأقل لم يكن يتمتع بأى لقب جنازى . وكل ما نعلمه أنه كان يعرف بأنه المقرب من « أمردس الأولى » . وإذا كان الحوض الذى ينسب إليه يبرهن على نشاطه الجنازى فى مدينة « هابو »

فإنه على الرغم من ذلك يجوز لنا أن نظن أنه لم يكن لديه الميزة بأن يبقى في وظيفته حتى موت « شبنوبت » .

على أن قبره الذى أهمل أو بعبارة أصح الذى لم يكن قد تم عند وفاته يمكن — بما فيه من دلائل نقص — أن يضئ لنا السبيل عن نهاية مجال حياته . فقد يجوز أنه في آخر حياته قد غضب عليه !! ولا يمكننا بما لدينا من معلومات حتى الآن أن نحدد بالضبط التاريخ أو الأحوال التى تسلم فيها خلفه وظيفته ، هذا إذا فرضنا أنه كان هناك فرد بعينه قد خلعه وهو لا يزال على قيد الحياة . ويجب ألا يغرب عن بالنا أنه في وقت الانتقال الذى يقع بين غزوة الآشوريين التى قاموا بها على « تانوتامون » الكوشى حوالى عام ٦٦٣ ق . م . وبين استيلاء « بسمتيك » الساوى على إمارة طيبة حوالى عام ٦٥٦ ق . م . كانت السلطة فى صعيد مصر لا تزال باقية فى يد « منتوحات » الكاهن الرابع لآمون وأمير المدينة . وقد يكون من الممكن أنه فى عام ٦٥٦ ق . م . قد تراجع « آخامون رو » مع « تانوتامون » بوصفه أحد موظفيه إلى بلاد كوش . أو لم يكن قد سار بحماس كاف فى ركاب « منتوحات » الذى انضم إلى الأسرة الجديدة وصار من مناصريها .

ومما لا جدال فيه أنه عندما حضر « سماتو تفنخت » مبعوث الملك « بسمتيك الأول » لينصب المتعبدة الإلهية الجديدة « نيتوكريس » متعبدة إلهية ، وعندما قام « منتوحات » وزوده بالتبرعات لتعيين هذه الزوجة الإلهية الجديدة ، لم تدل شواهد الأحوال على وجود مدير بيت عظيم فى طيبة . وعلى أية حال فإن المصادر الحالية التى فى متناولنا يظهر أنها تكشف عن أخلاف « لأخامون رو » من بين الأشراف الطيبين .

تعليق على محتويات نقوش هذه التماثيل وأشكالها :

إن أهمية نقوش تماثيل « آخامون رو » لا تبرز قيمتها الحقيقية وأهميتها إلا عندما تقرأ بنقوش حياة كبار رجال هذا العصر الذين من هذا الصنف .

وننتظر بطبيعة الحال أن تكون نقوش تراجم رجال العصر المتأخر قد وضعت على طراز مقرر من قبل ، ولكن ما هي هذه الطرز السابقة ؟ ولأجل أن نصل إلى ذلك يجب علينا أن نفحص الجمل الرئيسية التي جاءت في المتون التي ترجمناها هنا .

فأول ما يلاحظ هنا الجمل التي يوجهها المتوفى سواء أكان « حاروا » أم « آخامون رو » ملتجئاً إلى الأحياء لتقديم قربان والصلوات له ولروحه وبخاصة للكهنة خدام الإله والكهنة آباء الإله والكهنة المطهرين والكهنة المرتلين وكل الذين يذهبون إلى معبد « آمون » في الذكرى لتأدية الشعائر الصالحة ولتقديم قربان والقيام بأداء خدمة الكاهن الشهرية . وهذه الصورة من التضرع والالتجاء — أى مخاطبة موظفى المعبد — قد تطورت في عهد الدولة الحديثة عندما أصبح من المعتاد عند كبار الموظفين أن يضعوا تماثيلهم ولوحاتهم في المعابد حتى يمكن بذلك اشتراكهم في الأحفال .

والواقع أن عادة وضع التماثيل الخاصة بكبار الموظفين ورجال الدين في المعبد قد بدأت بوصفها ميزة يمنحها الملك خادماً أميناً يريد أن يكافئه ويظهر حبه له أمام الآلهة . والظاهر أن أقدم متن مدون من هذا النوع يشير إلى ذلك وهو المرسوم الملكي الذى أصدره الفرعون لحماية تماثيل الوزير « إدو »^(١) . وتدل نقوش الدولة الوسطى على أن حكام المقاطعات العظام كانوا يقومون بمثل هذا العمل لأنفسهم^(٢) وكذلك نجد على قطع من تمثال من عصر الفترة الأخيرة من عهد الدولة الوسطى أنهم يتحدثون عن ذلك ويعدونه ميزة منحهم إياها سيدهم^(٣) . وكان حق الملك لا يزال بارزاً في ذلك في باكورة الأسرة الثامنة عشرة^(٤) ولكن بعد ذلك سارت هذه العادة دون الإشارة إلى الإرادة الملكية .

(١) راجع Urk. I, 304-306, First Intermediate Period.

(٢) راجع Griffith, Suit Pl. VI, 273 and Pl. VII, 290 (Hepdjefy), Newberry Beni Hassan

I, Pl. XXV, 83-84=Urk. VII,; 29,13 Khnumhotep II,

(٣) راجع Mariette, Karnak Pl. VII: f.p.q,r,s., of Maspero, Etudes de Mylologie, I,53-81.

(٤) راجع Urk. IV, 45-46

وقبل ذلك العهد كان أمثال هذا التضرع ينقش على جدران المقابر واللوحات التذكارية وكان في استطاعة الماربها رؤيتها وقراءتها وكان التضرع على الرغم من أنه كان موجهاً في غالب الأحيان لطبقات معينة من الناس مثل الكتبة والكهنة فإنه كان في الأصل موجهاً لكل الناس الذين يعيشون على الأرض عامة . ويلاحظ أنه في عهد الدولة الحديثة وعهد الدولة البوبستية من بعدها كان المتوفى يوجه خطابه بالتفصيل لطوائف الكهنة الذين يتألف منهم موظفو المعبد ، وهذا النوع من التضرع هو الذي نجده في نقوش تماثيل كل من « حاروا » و « آخامون رو » . وعلى أية حال نلاحظ أن التفصيل في توجيه الخطاب للكهنة وبخاصة الإشارة إلى واجباتهم المنومة يظهر أنه كان من الأشياء المستجدة في هذا العصر المتأخر وبخاصة العبارة التالية : « لتأدية الشعائر الصالحة وأعمال القربان والإقامة خدمة الكاهن الشهرية ، وهذه الأمور يظهر أنها تجديد حدث في العصر المتأخر ، وبالاختصار نجد أن التضرع للأحياء الذي كان ينادى به كل من « حاروا » و « آخامون رو » هو من طراز وضع أساسه في الدولة الحديثة ثم تطور بعدها .

هذا ونجد في نقوش « آخامون رو » صلوات لاله « آمون رع » رب « الكرنك » ولآلهة « طيبة » الآخرين لينتحوا المتوفى نصيباً من قربات المعبد التي تقدم لهم . والصيغة التي كانت موضوعة لذلك هي في الواقع صيغة قديمة تطورت في عهد الدولة الحديثة والقصد منها أنها تذكرنا بالغرض الذي من أجله وضع تماثيل الكاهن أو الموظفين العظيم في المعبد . هذا ونجد « لآخامون رو » ملتمسات أخرى فيطلب مثلاً شمس عبير المر ، وكذلك يطلب أن يرى الشمس عند الفجر ، وأن يخرق السماء في سلام ، وهذه رغبات تقليدية قد سبقت عصر الدولة الحديثة ، أما الصلاة للاله المحلي للمدينة فكان الغرض منها طلب حمايته للأهلين منذ الدولة الحديثة كما كانت منتشرة جداً في العصور المتأخرة .

ومن ثم نفهم أن صلوات « آخامون رو » كانت تحتوي جزئياً على عناصر

شائعة في كل العصور ومنها جزء صيغ في عهد الدولة الحديثة ثم استعمل بكثرة في العهد المتأخر .

العبارات التي يمدح بها الموظف نفسه ونعوته :

من الأمور التي امتاز بها الموظف المصري في كل عصور تاريخه تأليفه جملا خاصة تنطوي كل ألفاظها على عقود مدح وثناء على نفسه وما قام به من أعمال عظيمة سواء أكانت أعمالا مادية أم خافية ، فنجد هنا مثلا أن « آخامون رو » يقول « إني شريف (سمح) طيب محل بمدائحه ومراتب شرفه » ، وبلغت النظر هنا أن الكلمة الدالة على لفظة « الشريف » لها معنى مزدوج فقد تعني أحد أشرف البلاط أو تعني « روحا منعمة » وهذان المعنيان تجدهما في عهد الدولة الوسطى وليكنهما يوجدان أكثر في عهد الدولة الحديثة ثم تطورتا أكثر في العهد المتأخر .

وقد يشير هذا اللفظ للحياة الدنيا أو للحياة الآخرة . ولدينا كذلك التعبيرات : « الذي يدخل أولا ويخرج آخرأ » و « الموظف الذي على رأس قومه » ، و « العظيم في وظائفه » و « الكبير في مرتبته » فنجد كلا من هذه العبارات الثلاث في المتون والتراجم الخاصة بالدولة الوسطى وكلها قد استعملت في الدولة الحديثة والعصر المتأخر .

ولدينا تعابير أخرى مثل « ملجأ اليأس » و « عوامة الفريق » و « سلم من في الهاوية » . وهذه التعابير نجدها في نقوش كل من « حاروا » و « آخامون رو » . ويلاحظ أنها استعارات غير عادية تسترعى الأنظار حتى أنها تكاد تكون خاصة بهذا العصر إذ لم يسبق لها مثيل في العصور السالفة غير أنها تم عما كان عليه أهل هذا العهد من بؤس وشقاء .

هذا وقد نقل « آخامون رو » بعض تعابير تقليدية عن الدولة الوسطى مثال ذلك : « إن سيدتي قد جعلتني عظيما عندما كنت ولدا صغيرا ورفعت درجتي

عندما كنت فطياً « وهذه عبارات تقليدية نجد أمثالها في نقوش الكاتب الملكي « خنومحتب » في نقوش « بنى حسن » وفي نقوش « نف إبي » « بأسبوت^(١) » .

ومن التعابير التي نقلت إلى العهد الذي نحن بصدد أن « حور سيد القصر ميزنى » وهذه العبارة لها نظائر في الدولة الوسطى^(٢) والمقصود بكلمة « حور » هنا الملك .

وكذلك نجد التعبير « وكل بعث أرسلنى فيه جلالته قد نفذته تماماً » . وقد كان من أحب الأمور عند الموظفين العظام أن يوصفوا بأنهم قد نفذوا كل بعث أرسلهم فيه الملك^(٣) .

وهذا قليل من كثير من الملاحظات التي يمكن الإدلاء بها عن محتويات هذه المتون والتماثيل التي نقشت عليها ، غير أن كل هذا لا يغير من النتيجة التي نستخلصها من درس الجمل الرئيسية التي وردت في هذه النقوش، إذ الواقع أن متون « آخامون رو » تحتوي على مادة تقليدية من التي كانت تستعمل في عهد الدولة الوسطى والدولة الحديثة ونجد كثيراً منها قد أخذ شكله النهائي في عهد الدولة الحديثة ؛ ومن ثم نفهم أن وظيفة الدولة الحديثة كانت مزدوجة فقد حملت للقرون التالية مادة أخذتها عن الدولة الوسطى وكذلك نقلت صيغاً من صنعها ، وقد كان نشاط كتاب العصور المتأخرة ينحصر كثيراً في الاختيار من هذه المواد واستعمالها بطريقة منظمة ملائمة . هذا مع إضافة بعض العبارات الجديدة أو صيغ مبتدعة ألفت من القديم والحديث معاً .

غير أن ما تكشفنا لنا عنه متون « آخامون رو » يمكن معرفة أصولها عند قرنها بأية مجموعة من المجاميع التي يمكن قرنها بها من النقوش الهيروغليفية المتأخرة . والواقع أن هذه المتون في حقيقتها — إذا استثنينا بعض مقتبسات من متون الأهرام

(١) راجع Newberry, BeniHassan, I, Pl. XLI, e (Tomb 13); Griffith, Sint Pl. XI, 13; Br.,

A.R., I, p. 395 note

(٢) راجع Hierog. Insc. Berlin I, 146 No. 8808 ; Urk. VII, 62 Sint.

(٣) راجع Urk. I, 134

وبعض مصطلحات قديمة أخرى — لا تخرج عن كونها تقليداً للغة الدولة الوسطى والدولة الحديثة وقد ظهر ذلك منذ الأسرة الواحدة والعشرين حتى السادسة والعشرين وبعبارة أخرى نجد أنه عندما كانت تستعمل متون الأهرام في هذا العصر كانت تنقل حرفياً دون أى تغيير يذكر ، ولكن نجد من جهة أخرى أن كلام متون الدولتين الوسطى والحديثة كانت تقتبس مع بعض تعديل ثم تستعمل في كتابات القوم . ومما تجدر ملاحظته أن المصادر اللغوية من الدولة الحديثة هي في الواقع مأخوذة عن تعابير الدولة الوسطى بعد تحوير فيها وبخاصة في تراجم عظماء الرجال الذين نقشت على تماثيلهم وفي مقابرهم في كل من العهد اللوحي والعهد الكوشي ثم في العهد الساوي . وقد كانت اللغة الفصحى مستعملة دائماً ولم تشب باللغة المتأخرة ، وذلك أنه بعد القرون التي سادها الاضطراب في عهد تمزق الدولة كانت المواضيع الإنشائية والأدبية سائرة سيرها الطبيعي كالعادة آخذة في النمو دون توقف ولم يكن ذلك قاصراً على اللغة العامية التي كانت ذات نضارة وقوة لا توجد في النقوش الهيروغليفية التقليدية . بل كذلك في اللغة الرسمية .

حقاً إن هذه اللغة الرسمية كانت قد أصبحت مصطنعة إلى أقصى حد ، إذ كان ينقصها التجديد والسهولة عند معالجتها للمواضيع كما كنا نجد ذلك عند معالجة الكتاب لغة الدولة الحديثة والاقتراس منها فنجد أن التعابير قد زاد حصرها وتكرارها بل كذلك زاد الميل إلى نقلها حرفياً من المتون السابقة لعصرها . غير أن منشآت الكتاب على وجه عام كانت حكيمة ومناسبة فلم تكن مجرد نقل عبارات قديمة بل على العكس نلاحظ فيها حسن الاختيار الذي كان يؤدي إلى غرض خاص .

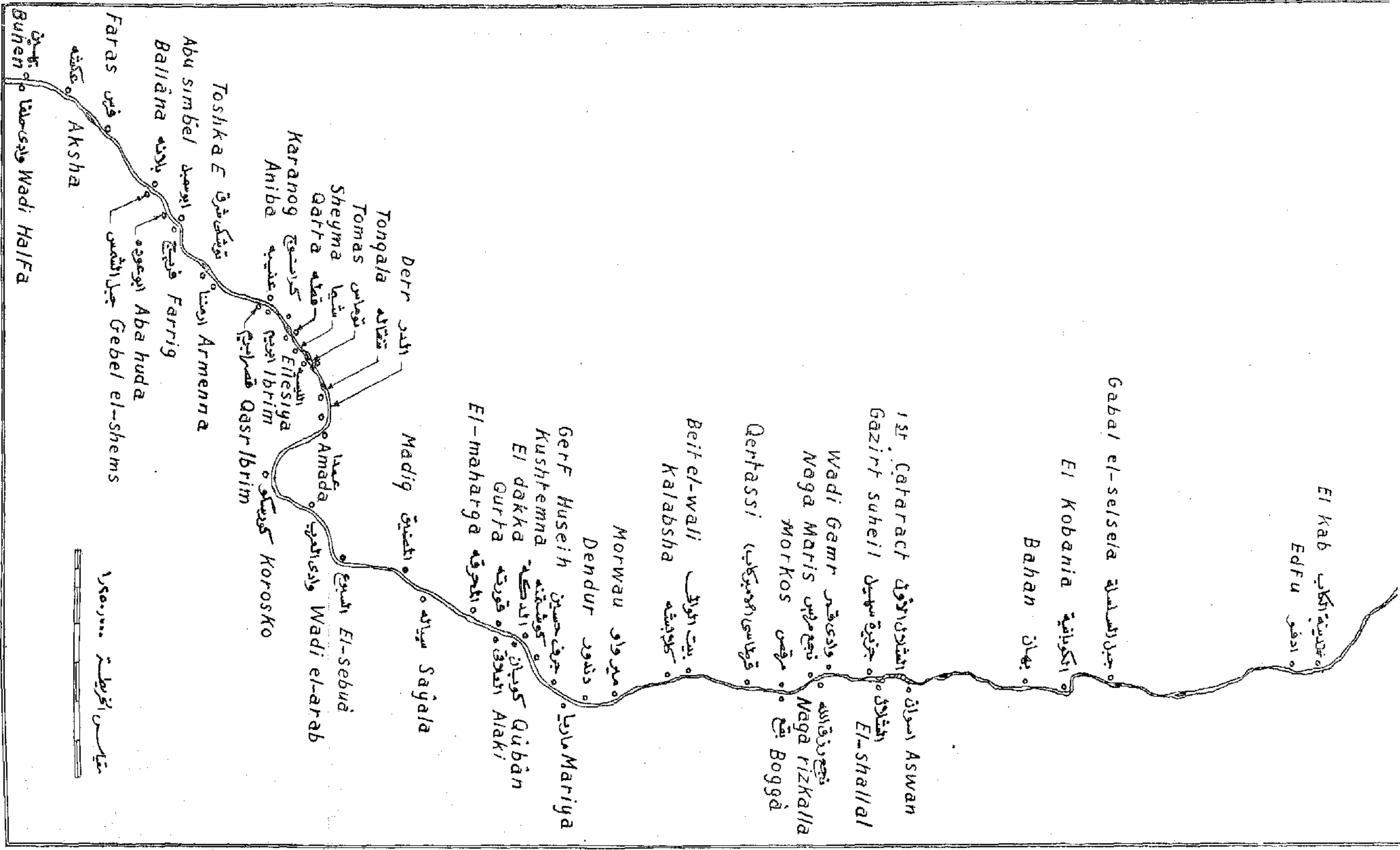
ومن المفهوم أنه منذ زمن بعيد كانت المدنية الساوية أو عصر النهضة غير مقصود منه الرجوع إلى الدولة القديمة ومدنيتها غير أن هذا الفهم غالباً ما غطت عليه الميول البارزة الدالة على الرجوع للقديم في عهد الأسرة الخامسة والعشرين كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، ثم أصبح ذلك الميل أكثر وضوحاً وانتشاراً في عهد الأسرة السادسة والعشرين

ولكن نريد أن نوضح هنا دون الدخول في مناقشة المقتبسات القديمة في العهد الساوى
وهى ظاهرة يجب أن تفحص تماما وتعطى عناية أكثر مما أعطيت من قبل ،
ففى تراجم حياة رجال هذا العصر تكاد تكون العلاقات والتأثيرات التى يقال
إنها صبغت بها عن الدولة القديمة ، لا تذكر فى حين نجد أن اعتماد كتاب العهد
الساوى على أساليب مدنية عهدى الدولة الوسطى والحديثة كان عظيما ، وانه كان
تياراً لم ينقطع معينه دون الرجوع إلى الزمن العتيق وتقليده تقليداً أعمى كما ظن البعض
حتى زمن قريب جداً .

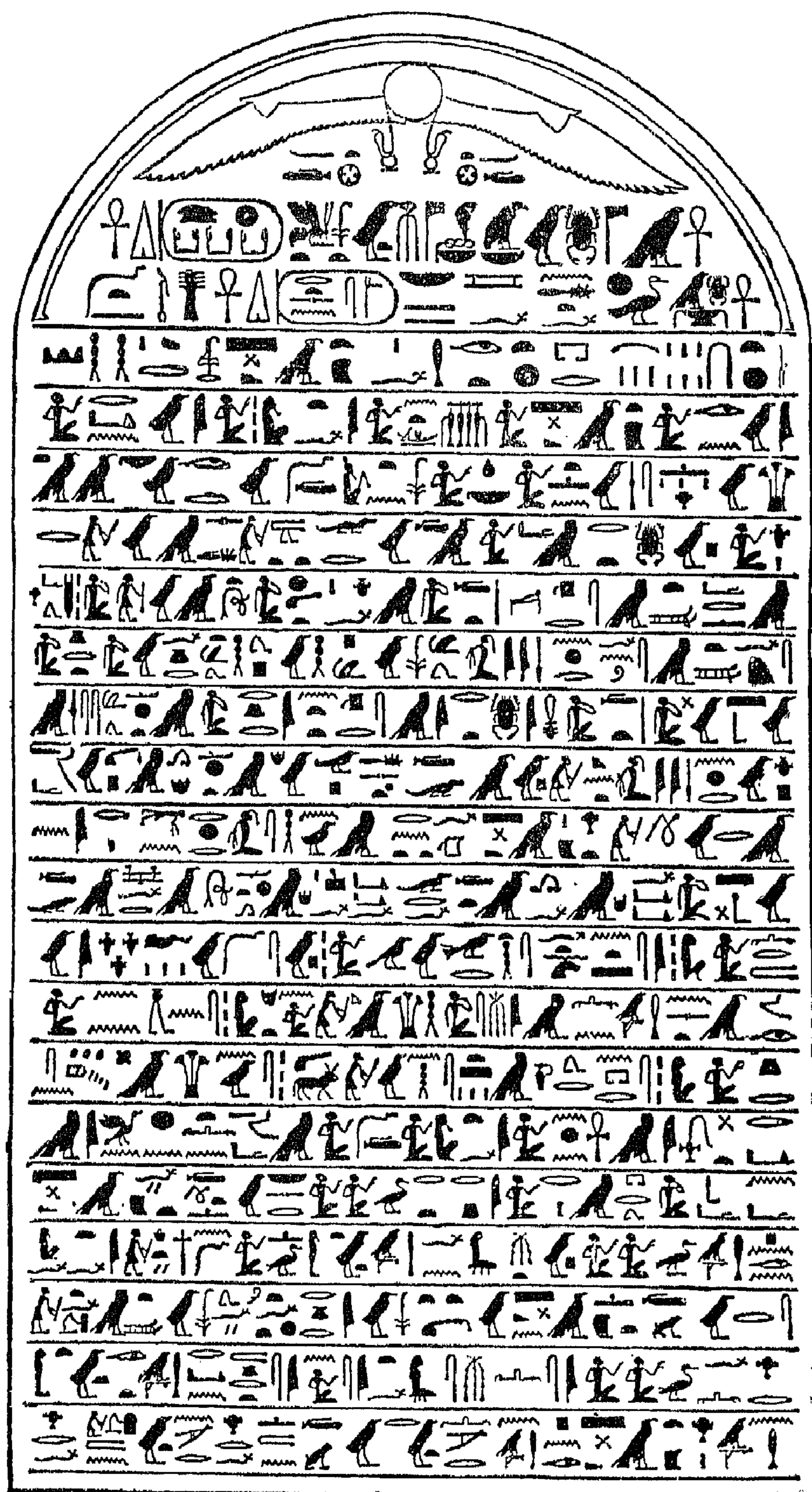
وستناول الكلام إن شاء الله عن فن النحت فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين
وما بعدها فى الجزء التالى من تاريخ العهد الكوشى الذى يتبدى بالملك « بيمنخى » .

فهرس الأشكال الإيضاحية والخرائط

رقم الصفحة	صورة رقم	
٥٥١	١	خريطة بلاد النوبة السفلى .
٥٥٣	٢	لوحة الحدود للملك « سنوسرت الثالث » .
٥٥٥	٣	مقبرة « كرمه » رقم (٣) .
٥٥٧	٤	مستودع كرمة
٥٥٩	٥	الإله ددون يقدم قلادة للملك « تحتمس الثالث » .
٥٦١	٦	سنوسرت الثالث مؤلفاً في مركب الشمس .
٥٦٣	٧	تحتمس الثالث يتعبد للإله سنوسرت الثالث .
٥٦٥	٨	منظر معبد أمنحتب الثالث في صلب .
٥٦٧	٩	أمنحتب الثالث يتعبد لتمثاله في صورة الإله خونسو في معبد « صلب » .
٥٦٩	١٠	كروكي لمداخل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين في جبانة « الكورو » .
٥٧١	١١	تمثال « حاروا » رقم (١) .
٥٧٣	١٢	تمثال « اريجاديجان » .
٥٧٥	١٣	التمثال الخامس لمدير البيت العظيم « حاروا » .
٥٧٧	١٤	تمثال آخامون رو (رقم ٣) .
٥٧٩	١٥	تمثال « با كنبتاح » .
٥٨١	١٦	خريطة بلاد « كوش » .



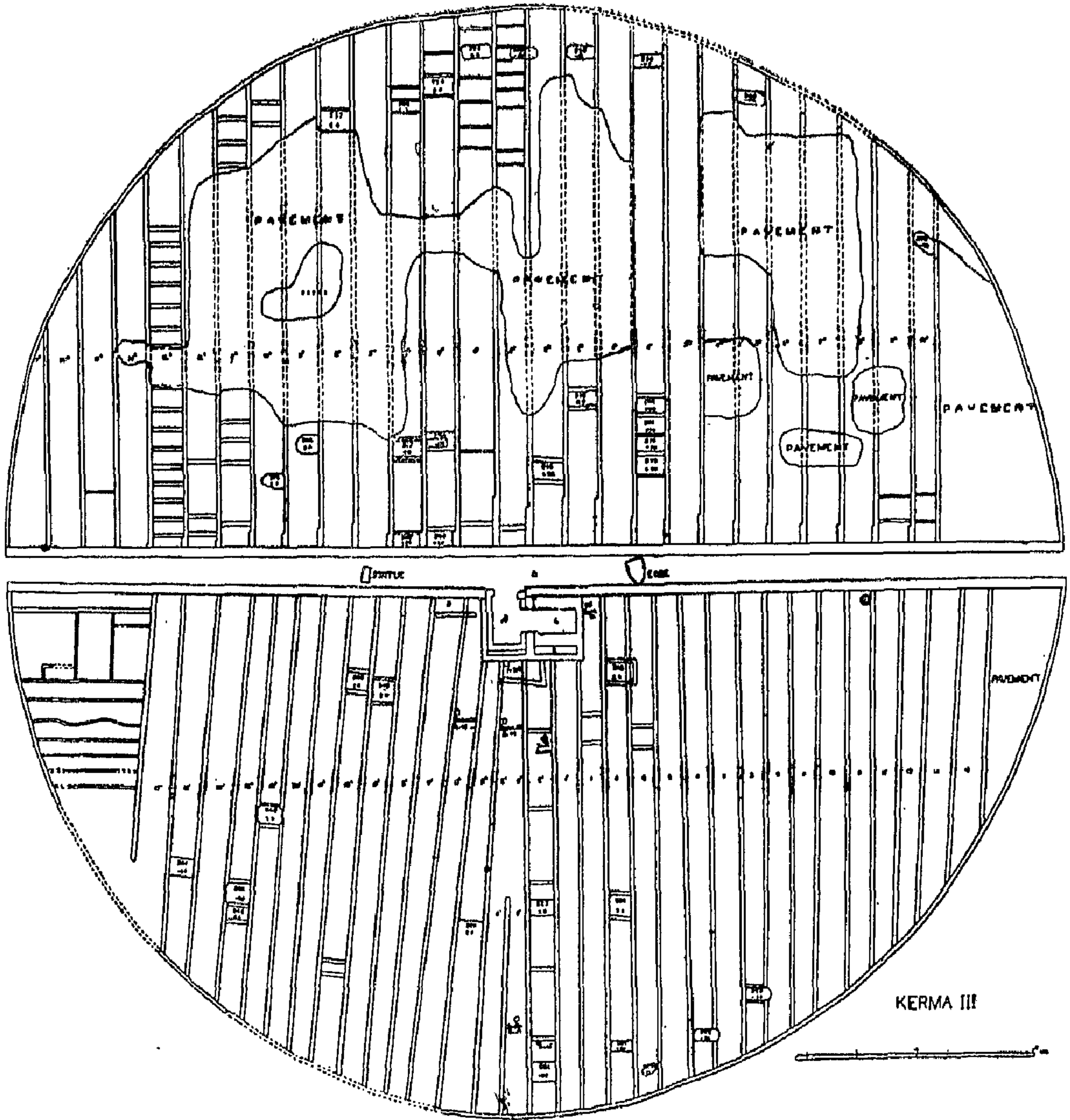
[صورة رقم ٢]



لوحة الحدود للملك « سنوسرت الثالث »

(انظر صفحة ١٤٤ و صفحة ١٥١)

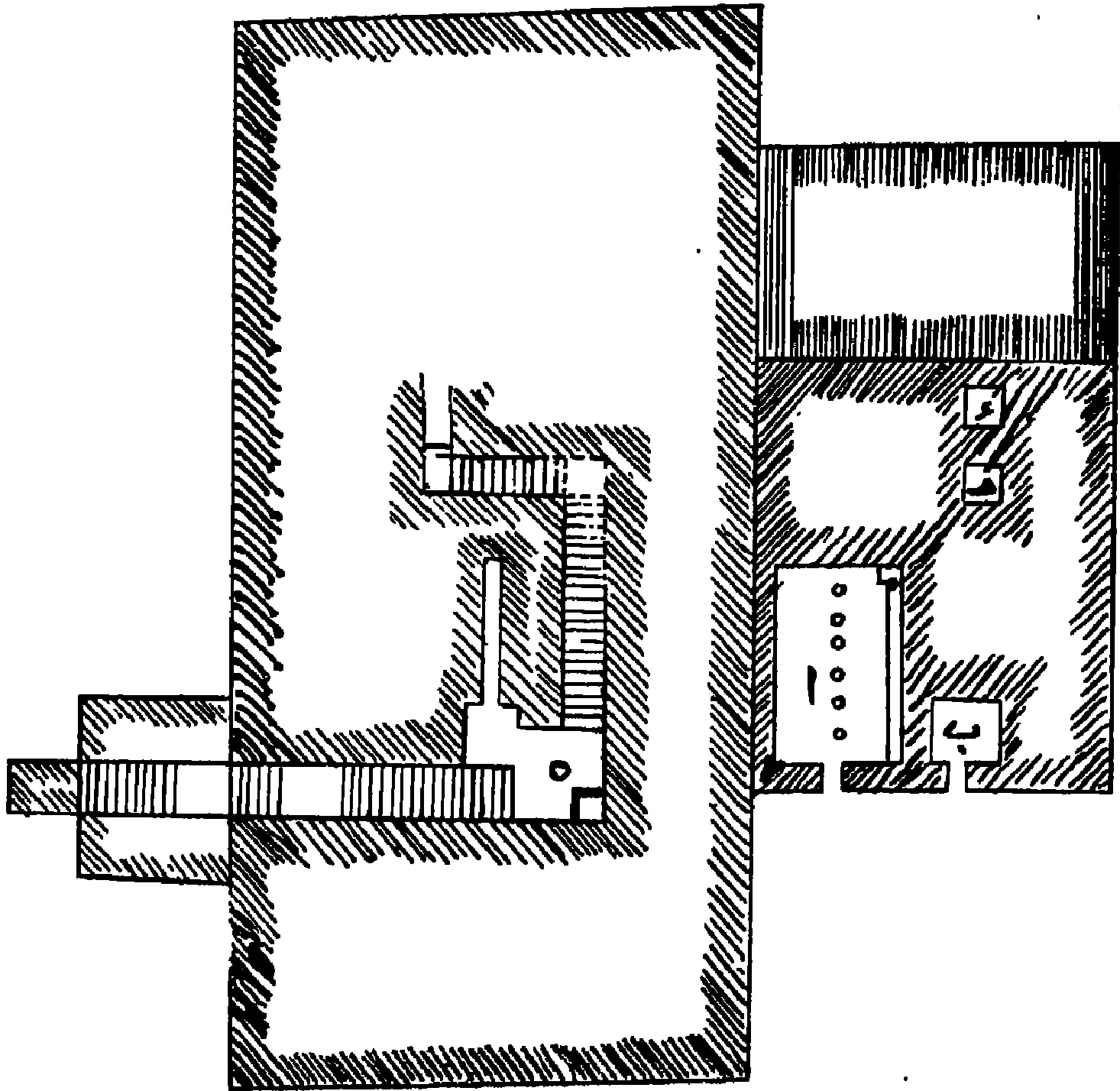
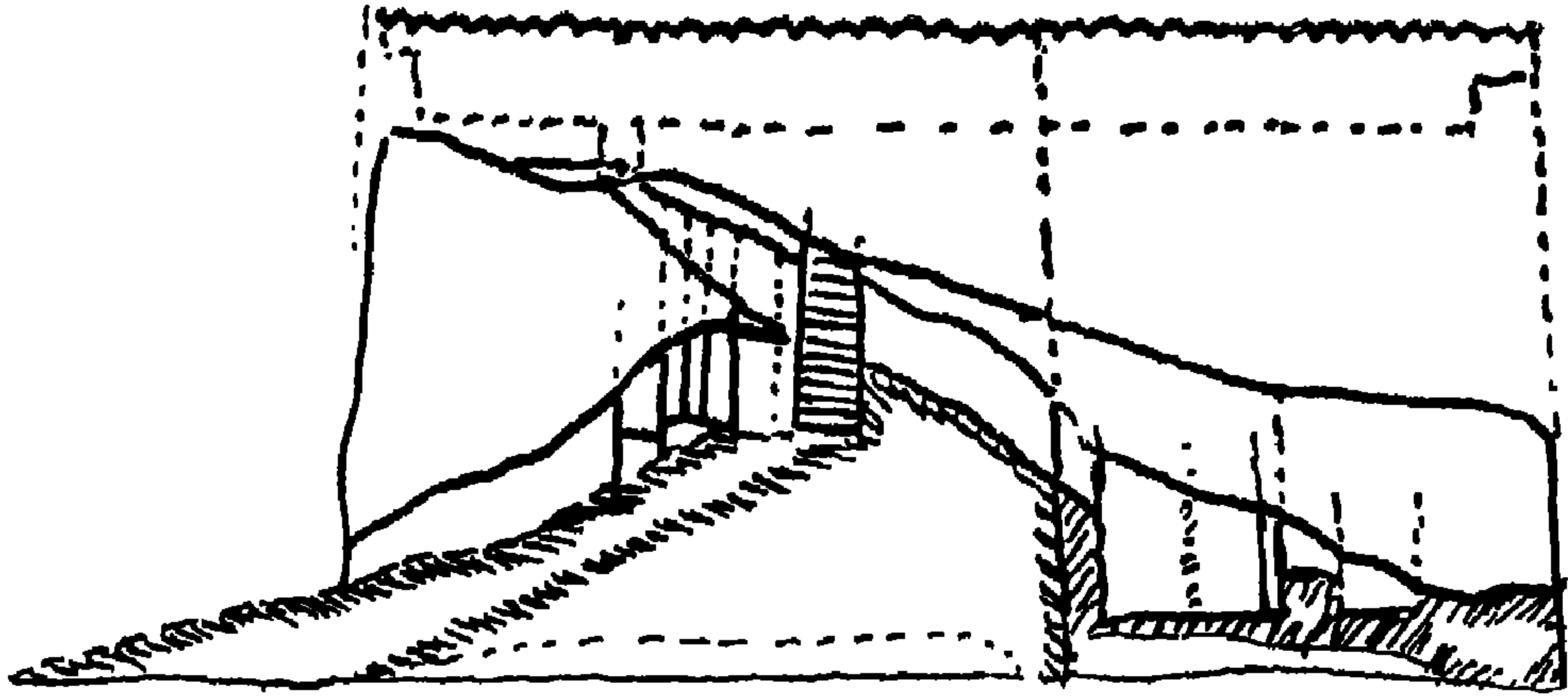
[صورة رقم ۳]



مقبرة كرمة رقم (۳)

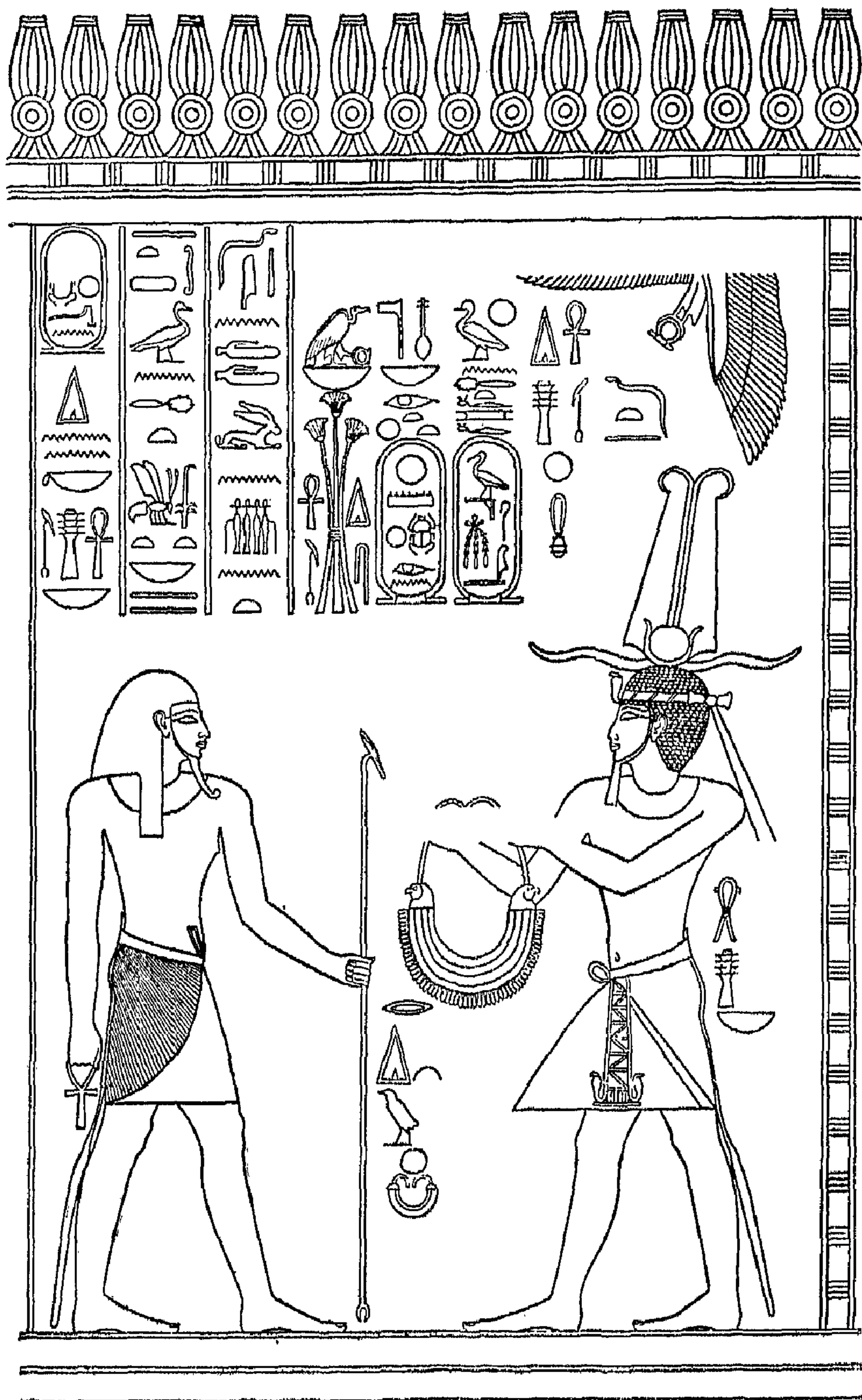
(أنظر صفحة ۱۸۲)

[صورة رقم ٤]



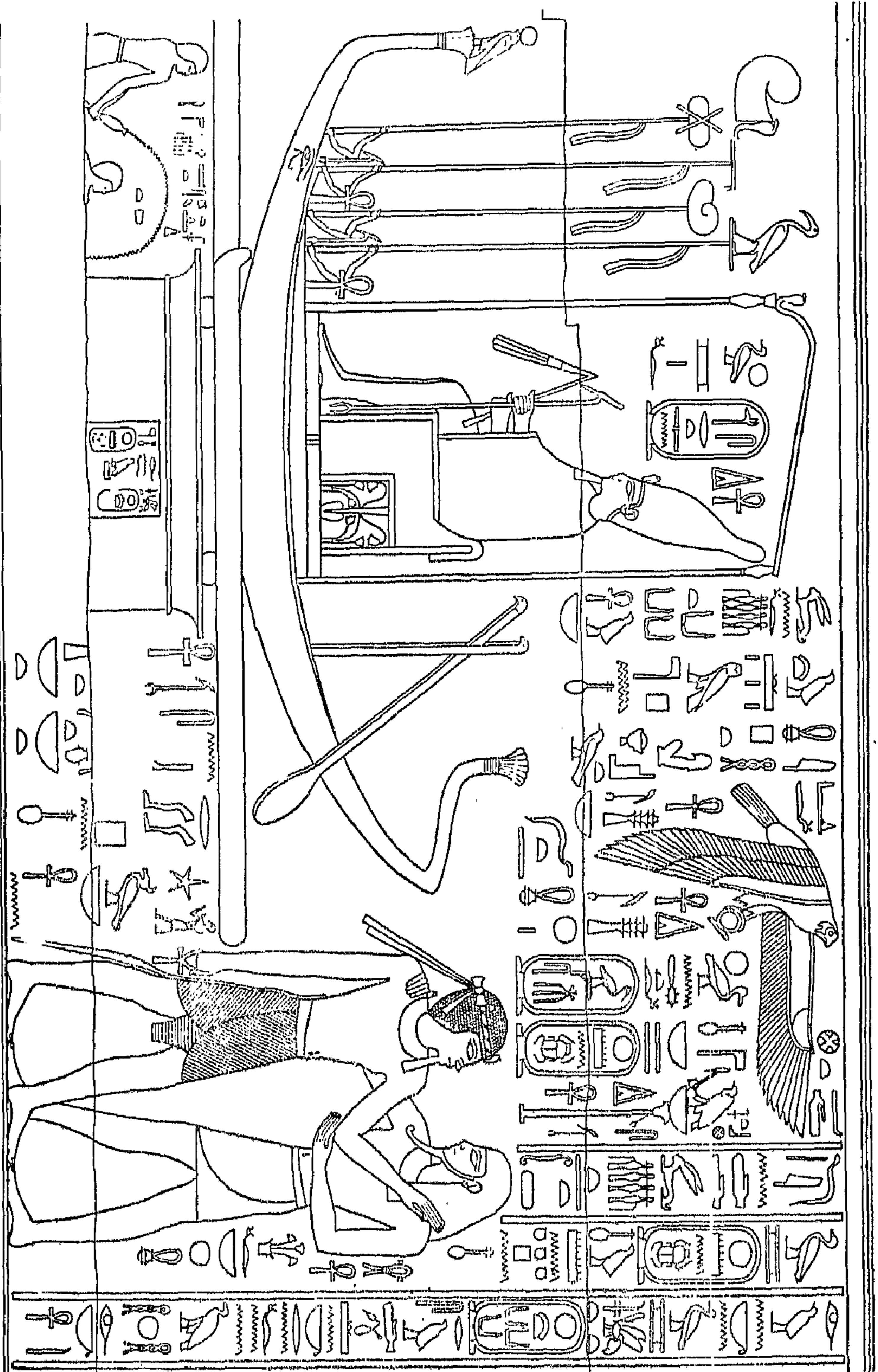
مستودع كرمه
(أفقر صفحة ١٩٢)

[صورة رقم ٥]



الإله ددون يقدم قلادة للملك تحتمس الثالث
(انظر صفحة ٣٩٩)

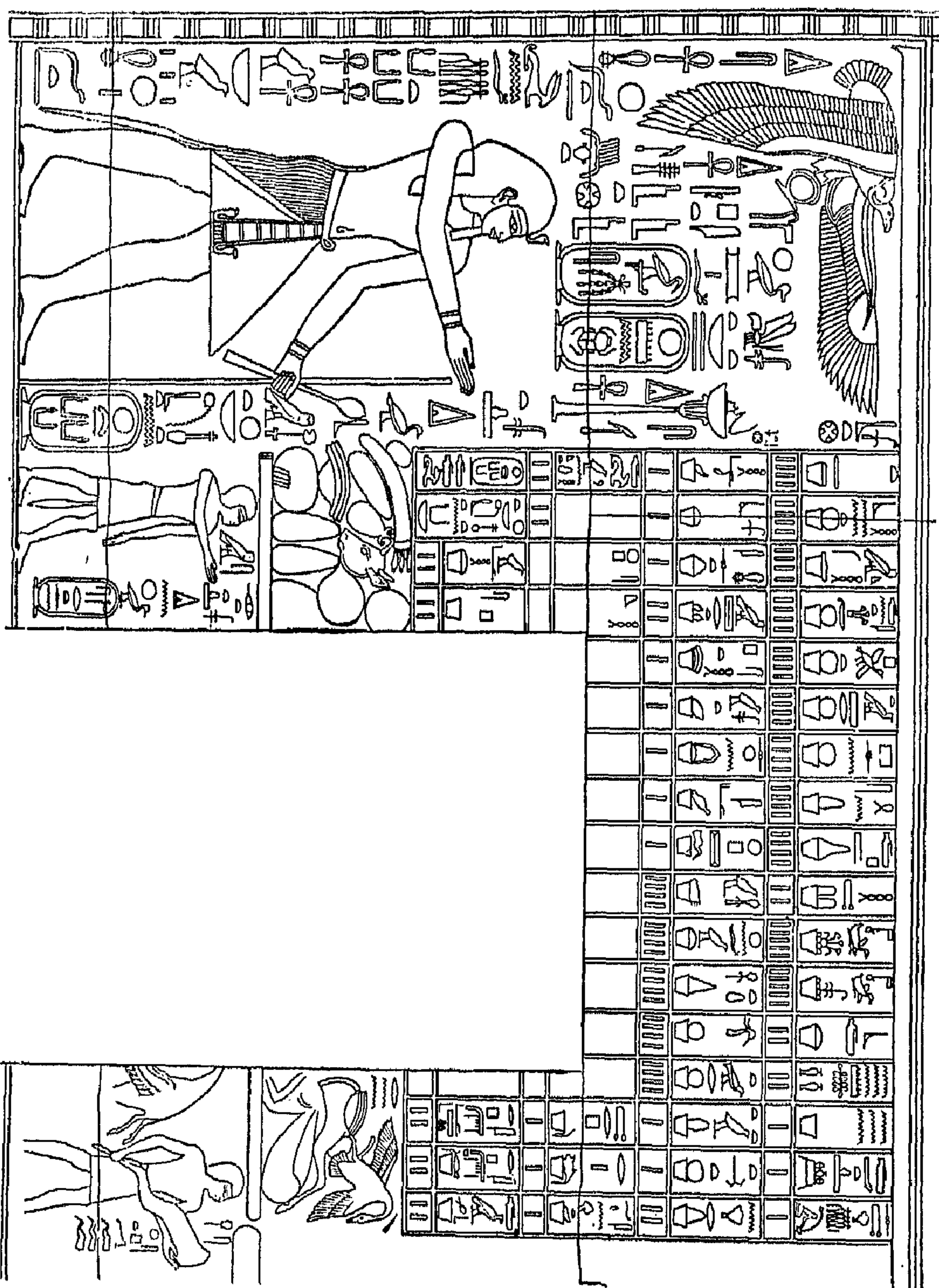
[صورة رقم ٦]



سنوسرت الثالث مؤلفا في مركب الشمس

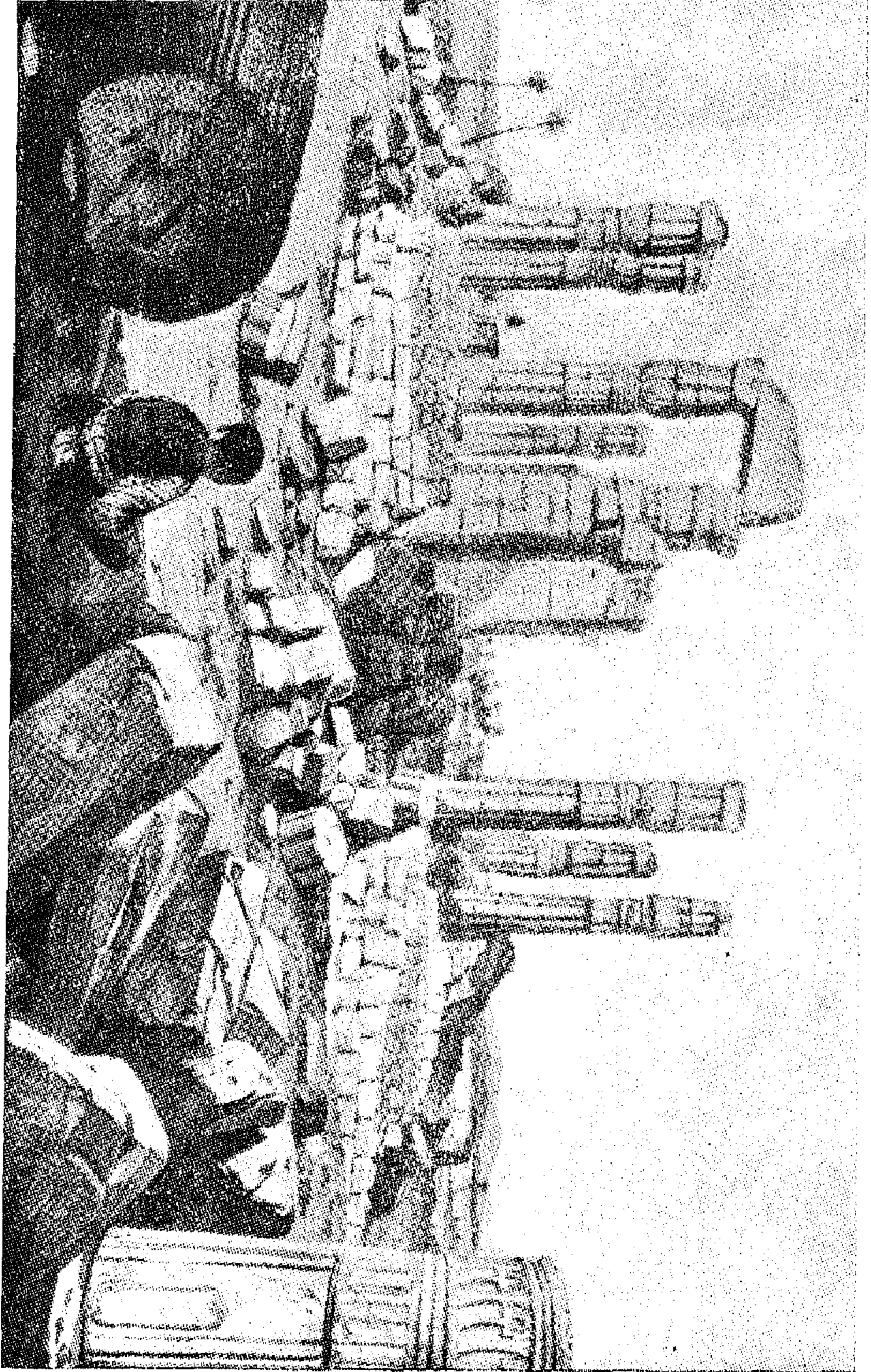
(انظر صفحة ١٢٤)

[صورة رقم ٧]



تختتم الثالث بتعبد الآلهة سنوسرت الثالث
(انظر صفحة ١٤٣ و صفحة ١٥١)

[صورة رقم ٨]

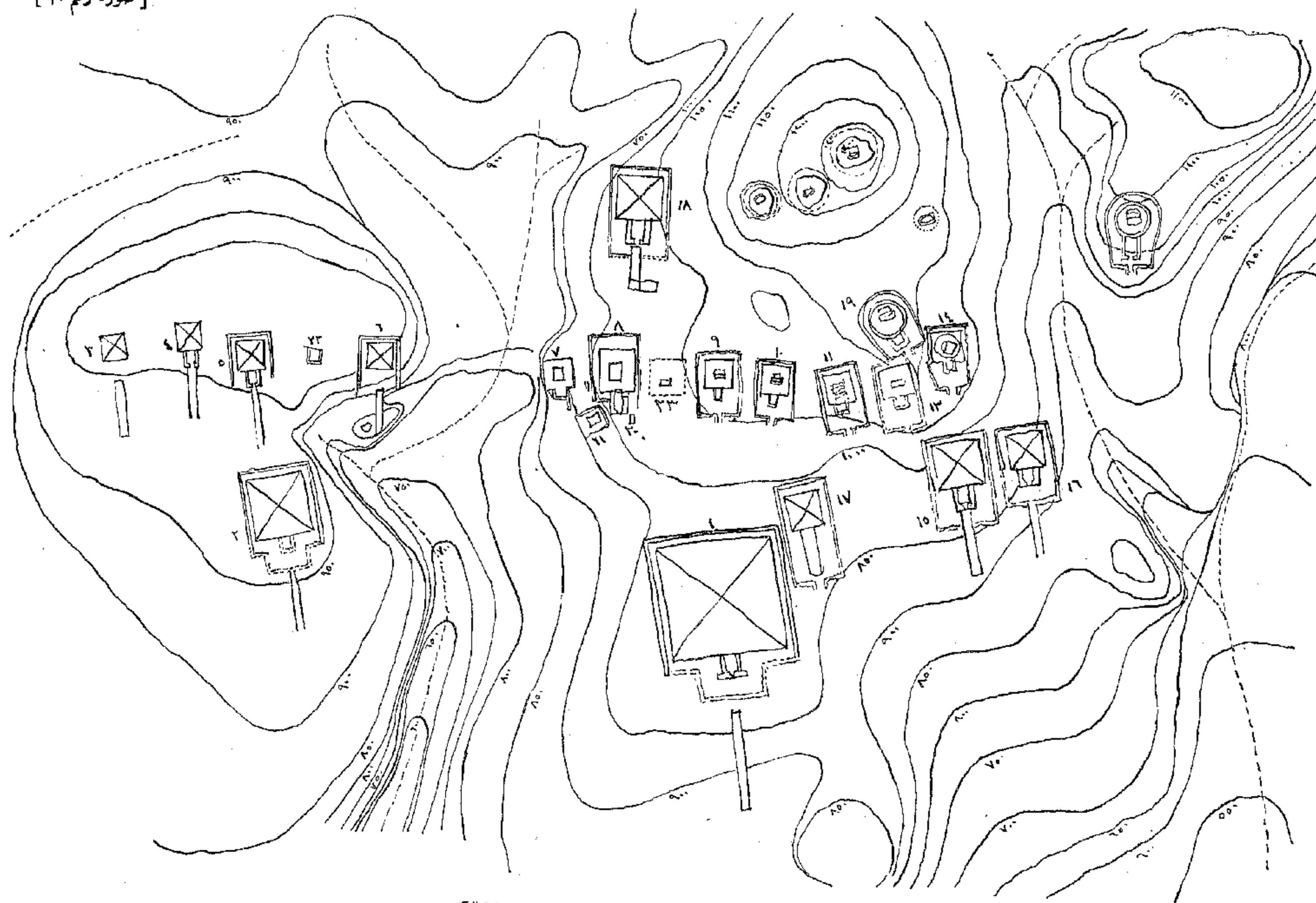


منظر مبدأ أمحتب الثالث في صلب
(أنظر صفحة ٤٥١)

[صورة رقم ٩]



أمحتب الثالث يتعبد لتمثاله في صورة الإله خونسو في معبد « صلب »
(أنظر صفحة ٤٠١)



كروكى لمدافن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين في جبانة الكورو
(انظر صفحة ٤٥٥)

[صورة رقم ١١]



تمثال حاروا (رقم ١)
(أنظر صفحة ٥٠٨ و صفحة ٥١٠)

[صورة رقم ١٢]



تمثال اريجاديجان
(أنظر صفحة ٥٠٩)

[صورة رقم ١٣]



التمثال الخامس لمدير البيت العظيم « حاروا »

(أنظر صفحة ٥١٤)

[صورة رقم ١٤]



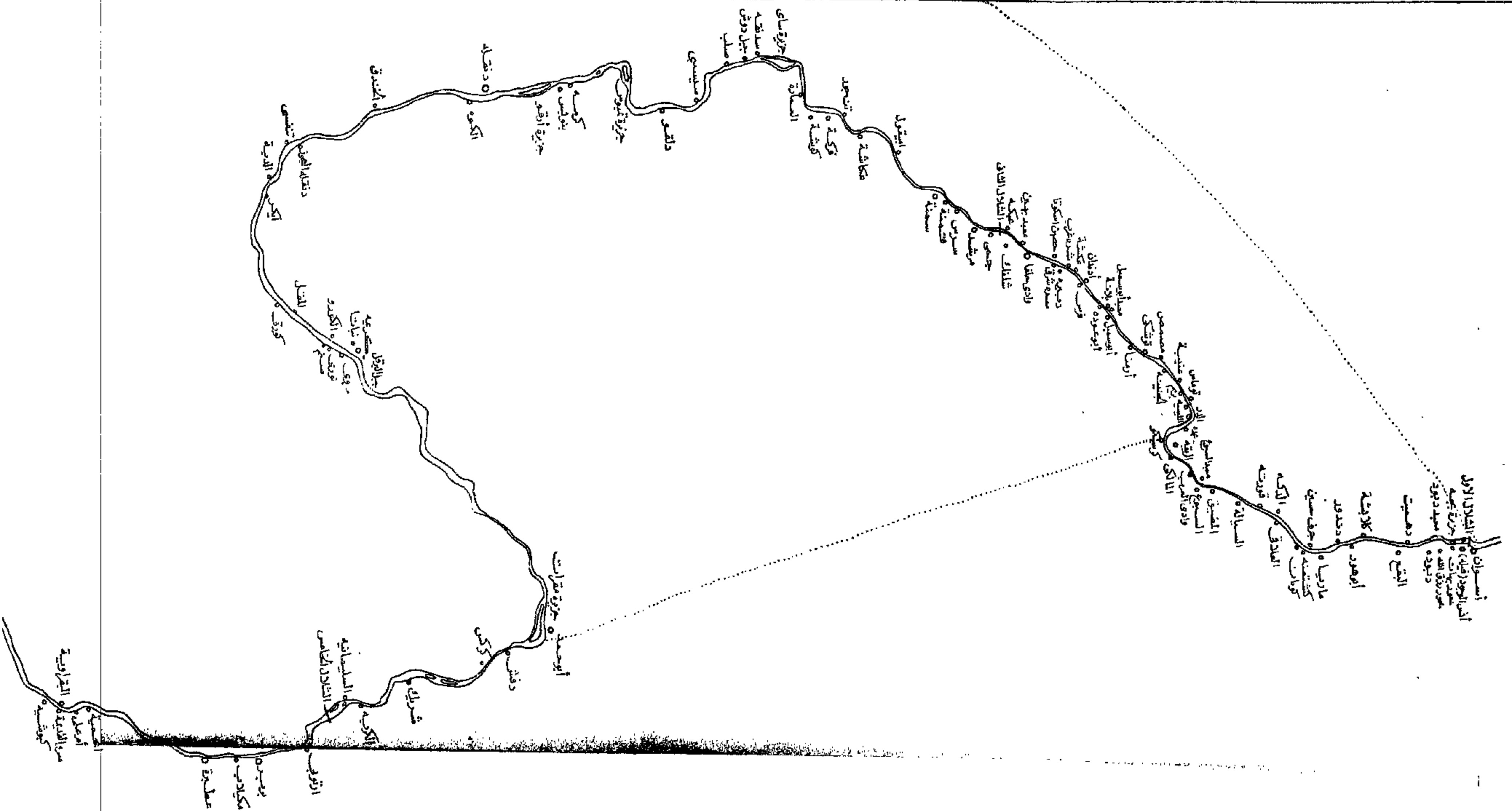
تمثال آخامون رو (رقم ٣)
(أنظر صفحة ٥٢٧)

تمثال باكتشاج
(أنظر صفحة ٥٢٧)

[صورة رقم ١٥]



تمثال باكنبتاح
(أنظر صفحة ٥٣٦)



فهرس الموضوعات

علاقة بلاد النوبة (كوش) بمصر منذ أقدم العصور حتى نهاية الفتح الكوشى

صفحة	
١	مقدمة
	عصر ما قبل التاريخ فى بلاد النوبة السفلى المجموعة الثقافية ١ A
٢	والمجموعة ب B
٨	بدء الخلاف فى حضارة القطرين
٩	المجموعة الثقافية A رقم (١)
١١	المجموعة الثقافية A رقم (٢) وتقابل فى التاريخ المصرى العصر الأسرى المبكر
١٢	علاقة مصر ببلاد النوبة فى العصر الطينى
١٨	ثقافة المجموعة B فى بلاد النوبة
١٩	علاقة مصر ببلاد النوبة فى عهد ثقافة المجموعة B
٢٤	نيسوخو
٢٤	مرخوف
٢٥	ترجمة حياته
٢٦	الجملة الأولى إلى بلاد يام
٢٧	الجملة الثانية
٢٧	الجملة الثالثة إلى إقليم يام
٢٨	خطاب الملك بيبى الثانى لمرخوف
٢٩	بيبى نخت
٣٠	صنبى
٣٢	ونى أو أون
٣٢	قوش ون
٤٤	الأعمال التى يقوم بها القزم

صفحة	
٥٢	طرق المواصلات بين مصر وبلاد النوبة
٥٨	المعاملات التجارية
٥٩	حاصلات بلاد النوبة
٦١	الأجبار
٦٢	الخشب
٦٥	الذهب
٦٦	٥ العلاقات الودية بين مصر وبلاد النوبة في عهد الدولة القديمة
٧٥	العصر النوبي المتوسط الأول — المجموعة الثقافية C
٧٧	— أسماء بلاد النوبة والسودان
٨٣	الأماكن التي وجدت فيها آثار ثقافة مجموعة C
٨٧	٦ العلاقة بين مصر وبلاد النوبة في العهد المتوسط الأول
١٠٦	٧ العصر النوبي المتوسط الثاني
١٠٨	٨ علاقة مصر ببلاد النوبة في عهد الدولة الوسطى
١٠٩	الأسرة الحادية عشر
١١٦	فتح مصر لبلاد النوبة على يد ملوك الأسرة الثانية عشرة
١١٨	الملك أمنمحات الأول وحملاته على النوبة
١٢٢	سنوسرت الأول وبلاد النوبة
١٢٢	محاجر صحراء النوبة الغربية
١٢٣	بعوثه إلى وادي الهودى
١٢٣	نص لوحة « متوحش »
١٢٤	لوحة قائد الجيش « أنتف »
١٢٤	لوحة رئيس الخزانة « أنتف أفر »
١٢٦	لوحة حور
١٣١	الحملة الكبرى التي أرسلها سنوسرت الأول لفتح بلاد النوبة العليا
١٣٣	عهد أمنمحات الثاني حين اشتراكه مع سنوسرت الأول
١٣٥	حملات سنوسرت للبحث عن الذهب
١٣٨	سنوسرت الثالث وعلاقاته ببلاد النوبة
١٤١	الحملة الثانية
١٤٢	الحملة الثالثة
١٤٣	آلهة بلاد النوبة العليا وتآليه « سنوسرت الثالث »
١٤٤	نص لوحة الحبرود الخالدة
١٤٦	آخر حملاته إلى السودان

صفحة	
١٥٠	أمنحات الثالث
١٥٣	الحاميات المصرية في بلاد السودان للمحافظة على طرق التجارة
١٦٢	مواقع مناجم الذهب في الصحراء وإقامة الحصون لحمايتها
١٦٣	النحاس
١٧٣	علاقة مصر بالسودان في عهد الدولة الوسطى
١٨٠	ثقافة كرمة
١٩٢	المستودع التجارى الذى أقيم في كرمة
١١٢	العصر المتوسط النوبى الثالث (عصر الهكسوس)
٢١٢	العصر النوبى الرابع الذى يقابل نهاية عصر الهكسوس وبداية الأسرة الثامنة عشرة
٢١٥	حكم الهكسوس في مصر والسودان — مقدمة
٢٤٤	العلاقات بين العصر المتوسط الثانى في مصر وبلاد النوبة
٢٧٣	الدولة الحديثة — العلاقات السياسية بين مصر وبلاد النوبة — أحسن الأول
٢٧٨	أمنحتب الأول
٢٧٩	تحتسب الأول
٢٨٤	تحتسب الثانى
٢٨٥	حتشبسوت
٢٨٧	تحتسب الثالث
٢٨٩	أمنحتب الثانى
٢٩٠	تحتسب الرابع
٢٩٣	أمنحتب الثالث
٢٩٧	أمنحتب الرابع — أخناتون
٢٩٩	حور محب
٣٠٤	وعمسيس الأول
٣٠٤	سيتى الأول
٣٠٦	وعمسيس الثانى
٣٠٩	الملك « مرنبتاح »
٣١٠	وعمسيس الثالث
٣١٣	حكومة نائب الملك في السودان في عهد الدولة الحديثة — مقدمة
٣١٤	تواب الملك في الأسرة الثامنة عشرة — نائب الملك « ثورى »
٣٢٠	ابن الملك « سنى »
٣٢٤	ابن الملك « أنبنى »

٤٢٣	وارات
٤٢٥	الحبوب
٤٢٥	أمرى الحروب
٤٢٦	كوش
٤٢٧	وارات
٤٢٩	قائمة بالغنائم التي غنمها جلالة في أبيهت
٤٣٢	اختلاط النوبيين بالمصريين في عهد الدولة الحديثة
٤٤٠	الجنود النوبيون
٤٤٥	علاقات بلاد النوبة بسياسة مصر الداخلية
	الفتح السوداني لمصر — نظرة عامة في تاريخ الكشف الأثرية عن أصل
٤٥٢	ملوك الأسرة الخامسة والعشرين
٤٥٥	الجبانة الملكية في « الكور »
٤٧٦	« آارا »
٤٧٧	« كشتا »
٤٧٧	الملك « بيعنخي »
٤٧٨	أزواج « بيعنخي »
٤٧٨	أولاد « بيعنخي »
٤٧٩	الملك « شبكا »
٤٨٠	أولاده
٤٨٠	الملك « شبتاكا »
٤٨٠	أولاده الذكور
٤٨٠	الملك « تهرقا »
٤٨١	الملك « تانوتامون »
٤٨٢	نظرة عامة عن الحالة الدولية في هذا العهد
٤٩٣	ملوك الأسرة الخامسة والعشرين — الأسرة الكوشية — الملك « كشتا »
٤٩٦	أسرة « كشتا »
٤٩٦	« آبار »
٤٩٦	« خنسا »
٤٩٧	الملكة « بكسار »
٤٩٧	المتعبدة الإلهية « امردس »

صفحة	
٥٠٤	العلاقة بين السياسة والدين في الدولة في أثناء تلك الفترة — مقدمة
٥٠٤	الزوجة الإلهية أو المتعبدة الإلهية أو يد الإله
٥٠٨	مدير البيت العظيم « حاروا »
٥١٠	التمثال الأول — المتن
٥١١	التمثال الثاني — النقوش التي على السطح العلوي للقاعدة
٥١٢	التمثال الثاني — نقش حول القاعدة
٥١٢	التمثال الثالث — النقش الذي على البردية المطوية
٥١٣	التمثال الثالث — النقش الذي على ظهر التمثال
٥١٣	التمثال الرابع
٥١٤	التمثال الخامس — النقوش
٥١٤	التمثال السادس
٥١٥	التمثال السابع — النقوش
٥١٩	التمثال الثامن
٥٢٠	التمثال الثامن — النقوش
	المدير العظيم للبيت أخامون وروغره من المديرين العظام لبيت المتعبدة الإلهية في هذا العهد
٥٢٤	باديخورنسو
٥٢٥	تمثال أخامون ورو الأول
٥٢٦	» » الثاني
٥٢٧	» » الثالث
٥٢٧	» » الرابع
٥٢٧	» » الخامس
٥٢٨	» » السادس
٥٢٨	» » السابع
٥٢٩	ترجمة النقوش التي دؤنت على تماثيل « أخامون ورو »
٥٢٩	(١) التمثال رقم (١)
٥٣١	(٢) التمثال الثاني
٥٣١	(٣) التمثال الثالث
٥٣٢	(٤) التمثال الرابع
٥٣٣	(٥) التمثال الخامس
٥٣٣	(٦) التمثال السادس
٥٣٤	(٧) التمثال السابع

صفحة	
٥٣٥	(٨) حوض من الجرانيت
٥٣٦	(٩) قطع حجر مستعملة ثانية في أسس الردهة الأمامية لمعبد الكرنك
٥٣٦	(١٠) مقبرة آخامون رو
٥٣٦	(١١) تمثال جد آخامون رو المسمى « با كنبتاح »
٥٤١	تعليق على محتويات نقوش هذه التماثيل وأشكالها
٥٤٤	العبارات التي يمدح بها الموظف نفسه ونعوته

فهرس

أسماء الأعلام والبلدان والآلهة

حرف (أ)

أبوفيس : ١٩٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٣
 أبوهور : ١٠٠ — ١٠١
 أبلي : ١٩٨
 أبليس : ٣٨٧
 أبسينيا : ٧٧
 أبشاي : ٢٢١
 اتخباسكن : ٤٦٢
 أتريب : ٤٧٥
 أتلانرسا : ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩
 أتوبزوت : ١٥٣
 آتون : ٢٩٧ ، ٣٠١
 أتيو : ٢٣٢
 أثرو : ٤١٨
 أثيوبيا : ٧٧ — ٧٩ ، ١٤٥ ، ٣٢٤
 أجا ثارخيدس : ١٦٣
 أجرتون : ٢٨٥
 أحسن الأول : ١٧٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨
 ٢٥٦ ، ٢٧٣ — ٢٧٧ ، ٣١٤ ، ٣١٧
 ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٧٠
 أحسن الثاني : ٥٢٥
 أحسن بن أباتا : ٧٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢
 ٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ —
 ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٢٦
 أحسن أنتف : ٢٦٢

أبا : ٥٠٦ ، ٥٢٤ ، ٥٣٩
 أبا خنان : ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠
 أبار : ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٩٦
 أبانا : ٢٧٤ ، ٢٤٢ ، ٧٨
 أبا هودا = أبو عودة : ٤٠٠
 أباوتر : ٤٢
 أبراهيم باشا : ١٠٨
 أبريز : ١٦ ، ٥٠٧ ، ٥٢٥
 أبريم : أنظر جزيرة أبريم
 أبسيل : ١٦٣
 أبشك : ١٥٧ ، ٤٠٠
 ابن هداد : ٤٨٣
 أبهات — محاجر : ٣٦ ، ٦٢ ، ٢٧٥
 ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٣٣ ، ٤٢٨
 أبو : ١٤ ، ١٥٤
 أبوت : ١٠٠
 أبو حمد : ٥٥
 أبور : ٨٨
 أبورواش : ٤٦١
 أبو سمبل : ٦٢ ، ١٢٢ ، ١٤٣ ، ١٥٧
 ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٤٠
 ٣٤٨ ، ٣٥٠ — ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٩٤ —
 ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤١١ ، ٤٣٠
 أبو صير الملق : ٢٢١ ، ٢٢٣

أرمزت : ٢٦٨٠١٢٣٠١٠٩٠٥٥
 أرميني : ٢٦٢
 أري : ٣١٠٢٦٠٢٤
 اريجاديجانن : ٥٠٨
 أزييس : ٥١٤٠٥٠٠٠٠٤٨٦٠١٧
 أستنخيت : ٤٨٠
 أسسي : ٢٩—٢٨٠٢٠—١٩
 الأسكندر : ٤٩٥
 اسنا : ٣٧٢٠٢٦٨
 اسوان : ٤٣٠٠٢١٠٩٠٦—٥٠١
 ٤٦٦٠٦٢—٦١٠٥٦—٥٤٠٤٥
 ٠١١٢٠١٠٩٠٩٧٠٨١٠٧٩٠٧٧
 ٠١٣٤٠١٣٢٠١٢٥٠١٢٠—١١٩
 ١٤٢٠١٣٦
 آسيا : ١١٣٠٨٨٠٨٠٠٧٣٠٥—
 ٠٢٤١٠٢٢٨—٢٢٧٠٢١٥٠١١٤
 ٤٢٨٠٤١٩٠٣٠٥٠٢٧٥٠٢٤٣
 أسيس (أست) : ٢٢٩—٢٢٨٠٢٢٠
 أسيوط : ٠١٣٠٠١٠٩٠١٠٤—١٠٣
 ٠٢١٤٠٢١٢٠٢٠٤٠٢٠٠٠١٩٠
 ٥٤٥٠٢٤٢
 أشتار — عشترت : ٢٣١
 أشمي داجان : ٢١٧
 أشنونا : ٢١٧
 اشور : ٤٨٣٠٤٧٦٠٤٥٤٠٢١٧
 آشور بانيبال : ٤٧٦
 أطفيع : ٣٥—٣٤
 أعج حتب : ٢٧٦
 أفري : ٥٣٦
 أفريقيا : ٢٤١٠٤
 أفريكانوس : ٤٧٤
 أفنيون : ٣٥٤
 أقب : ٢٤

أحمس باتشا : ٣١٨٠٣١٦٠٣١٥
 أحمس بن قاييب : ٣٧٠
 أحمس ثوري : ٣١٨٠٣١٦٠٣١٥
 أحمس ساتنيت : ٣١٨—٣١٥
 أحمس نبخت : ٢٧٩٠٢٧٧
 أحمس نفرتاري : ١١١
 أحي : ٢٤
 آخاب : ٤٩١٠٤٨٣
 آخامون رو : ٥٢٦٠٥٢٤٠٥٠٨
 ٥٤٥—٥٢٨
 آخر نفرت : ١٤٩٠١٤٦
 أخناتون : ٣٣٦٠٣٣٣٠٢٩٩—٢٩٧
 ٤٨٢٠٤٣٣٠٣٣٨
 أدفو : ١٧٥٠١٦٢٠٥٥٠٢٢٠١٦
 ٠٣٨٦٠٣٧٣٠٣٧٢٠٢٦١٠١٨٢
 ٤٤١٠٤٠٩
 أدو : ٣٤٠
 أدو : ٥٤٢٠٢٦٠
 ادوارد مير : ٢٧٤٠١١٨٠٩٩٠٥٠
 ٣٧١٠٣٦٣٠٣٠١
 أديموكو : ٤٣
 أراتوتسين : ٥٠١
 أرب باسات رو : ٥٣٨٠٥٣٧
 أرتي : ٤٨٠—٤٦٩
 أرث : ٣٠٠٢٨—٢٧٠٢٤٠٢١—
 ٠٤٨—٤٥٠٤٠—٣٧٠٣٤٠٣١
 ٩٠٠٧٠—٦٦٠٦٣٠٦٠
 أرث : ٦٩٠٢٧
 أرض القوس : ٧٩
 أرم : ٣٠٥٠٢٩٥—٢٩٤٠٢٩٢٠٢٩٢
 ٤٢٨٠٤٢١٠٤١٠٠٣٠٩
 أرمان : ٤٩٧٠٧٩
 أرمنا : ٢١١

أقته : ٢٩٨
 الأقصر : ٥٤ — ٥٥ ، ٢٣١ ، ٤٠٩ —
 ٥٠٣ ، ٤١٠
 أقن : ١٤١ ، ١٥٤ — ١٥٦ ، ١٦٨ ،
 ١٧٢
 أكتيا : ٢٩٨ ، ٣٨٦
 إكسيوس : ٢١٩
 إكشة : ٤٠٠ ، ٣٩٤ ، ٣٥٥
 إكور : ٣٨٧ ، ٢٨٠ ، ١٦٤ ، ١٦١ ، ٧٤
 ألارا : ٤٦٧ ، ٤٧٧ — ٤٩٢ ، ٤٧٨ —
 ٤٩٣
 ألاخ : ٢١٨
 ألفتين : ١٤ — ١٧ ، ٢٠ ، ٣٧ ، ٤٧
 ١٢٧ ، ٩٦ ، ٨٨ ، ٧١ — ٦٦ ، ٥٢
 ٢٠٧ ، ١٧٥ ، ١٥٨ — ١٤٠ ، ١٣٠
 ٢٣٧ ، ٢٥٨ انخ
 ألم : ٢٩٢
 ألمانيا : ٣٤٦
 أماسيس : ٥٢٥
 امانيا ستبارقا : ٤٦٣
 أماو : ٢٨
 أم بناردى : ٤٠٩
 أمبوس : ٤١٠
 أمبوكول — (خور) : ١٨
 أمتالقا : ٤٩٤
 أم ثورة : ١٦٢
 أمحتب : ٣٥ ، ١٧
 أم جرايات : ١٦٢ — ١٦٣
 أمدا : أنظر عمدا
 أم درمان : ١٨١
 أمد وجود (= طائر) : ٢٢٥
 أم روس : ٥٥
 أمرى — عالم أثرى : ١٦ ، ٩١ ، ١٦٤ ،

٤٤٨ — ٤٤٧ ، ٣٩٦ ، ٣٨٨
 أمحتب الأول : ٢٧٧ ، ٢٣٨ — ٢٧٨ ،
 ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣١٩ — ٣٢١ ،
 ٣٧١ ، ٣٧٠
 أمحتب الثانى : ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩
 ٣٢٩ ، ٢٩٠ — ٣٣٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٣
 ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٣٥ ،
 ٤٤٢
 أمحتب الثالث : ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٩٣
 ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩
 ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥٢
 ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠١ —
 ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤٢٥ ، ٤٤٢ ، ٥٢٣
 أمحتب الرابع : ٢٩٧ ، ٣٣٦ — ٣٣٧
 أمحتب — ابن الملك : ١١١ ، ١٦٣
 ٢٩٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠
 ٤٤٩ ، ٤٥٠
 أمردس الأولى : ٤٧٠ — ٤٧٣ ، ٤٩٥ —
 ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥١٧ ، ٥٢٤ ، ٥٢٧
 ٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٥ ، ٥٣٩ — ٥٤٠
 أمردس الثانية : ٥٠١ ، ٧٠٥ ، ٥٤٠
 أمنايت : ٣٣٧ ، ٣٤١ — ٣٧٧ ، ٣٥٠
 ٣٧٨
 أمنايات الأول : ٣٩ ، ٤٦ ، ١١٥ —
 ١٢٢ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧
 أمنايات الثانى : ١٢٠ ، ١٣٣ — ١٣٨
 ١٧٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
 أمنايات الثالث : ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٥٠ —
 ١٥٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٤٨ — ٢٤٩
 أمنايات الرابع : ١٥٠ — ١٥١ ، ٢٠٣
 ٢٠٨ — ٢٠٩
 أمنايات (الموظف) : ٣٨١
 أممس : ٣٥٥ ، ٤١١

بتاح سكر : ٢٤ - ٢٥٦، ٢٦
 بتاح ور : ٥٠
 بتامونوفيس : ٥٢٨
 بقرى : ٢٢٥، ٢٤٢، ٣٢٧، ٣٥٨
 البجراوية : ٤٥٣
 بجه : انظر بيجه
 البحر الأحمر : ٣، ١٢، ١٤، ٦٥، ٧٣
 ٧٦، ٨٢، ١٥٨، ١٦٢
 البحر الكسبي : ٢٢٦
 البدارى : ٥، ٦، ٢١٤
 بدج : ٣٢٤، ٣٢٨
 بدو باست الأول : ٣٦٧
 بديموت : ٥١٢، ٥١٤، ٥١٦
 براميه : ١٦٢
 بربر : ٥٦، ٧٠
 برحتحور رسيت : ٣٢
 برستد : ١٣، ٥٠، ٢٧٤، ٢٩١، ٢٩٦
 ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١١، ٣٢١ - ٣٢٦
 ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٦٧
 ٤٩٤
 برسنييت : ٩٦
 برقل : انظر جبل برقل
 برکش : ٣٩، ٨٢، ٣٢٤
 برلين : ٣٢٧، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٨٠
 ٥١٥، ٥٢٩، ٥٣٦
 برنتون - عالم أثرى : ٥
 بروى خز : ١٧٢
 نسمتيك الأول : ٤٧٦، ٥٠٢، ٥٠٦ -
 ٥٠٧، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٤١
 نسمتيك الثانى : ٥٠٧، ٥٢٥
 نسمتيك الثالث : ٥٠٧، ٥٢٥
 بسوسنس : ٤٩١، ٤٩٨
 البشاريين : ٧٦

أيون سقى : ٣٦٦
 أيونى : ١٢٣، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٤٨
 ٣٧٣، ٣٤٩

حرف (ب)

بابس : ٥٢٤
 باب كلبشه : ١٧٨، ٣٩٥
 بابل : ٢١٧ - ٢١٨، ٤٨٣، ٤٨٨
 باتنا : ٣١٦
 باجيه : ٥٣٦
 باح وسم : ٢٥٦ - ٢٥٧
 باحبرى : ٣٧٢ - ٣٧٣
 باديباست : ٤٧٣
 بادی حورنسو : ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦
 بادی نيت : ٥٢٣، ٥٢٥
 باريز : ٣٣٥، ٣٤٢
 باسم الأول : ٣٤٠ - ٣٤٣، ٤٤٣
 باسم الثانى : ٣٥٠ - ٣٥١
 باسم الثالث : ٣٦٠ - ٣٦١
 باشند باست : ٣٦٧، ٤٧٣، ٤٩٢
 با كنبتاح : ٥٢٤، ٥٣٦ - ٥٣٨
 باكى : ١٥٤، ١٥٧، ١٦٤، ٣٥٤، ٣٩٩
 بامى : ٤٧٣
 بانب أرى : ٥٣٢ - ٥٣٣، ٥٣٧
 بانحسى : ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٤، ٣٨٠
 ٤١٤، ٤٣٦، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٥٠
 باوانرد : ٣٥٤
 باوردد : ٢٨ - ٢٩
 باورسب : ٣٤٢
 باى : ٣٥٧
 بيلم : ٢١٨ - ٢١٩
 ببلوص : ٢١٥، ٢١٧ - ٢٤٥
 بينم : ٢١٨ - ٢١٩

بورخاردت : ٥٩ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ١٥٣ ،
٤١٧ ، ١٦٦
بورسودان : ٥٣
بوريان : ٣٢٤
بوريفاج — عالم آثرى : ١٤
بوزنر : ١١٥
بوستون : ٤٨١ ، ٤٩٦ — ٤٩٧
بوصير : ٢٥٥ ، ٢٥٦ — ٢٥٦
بوكوريس : ٤٧٦
بولاق : ٢٤٦ ، ٤٨
بولهول : ٢٩٢ ، ٢٣٤
بولونى : ٣٠٢
بوجارتل ، مس : ٣
بون : ٣٤٦
بياثما : ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٧ — ٤٧٨ ،
٤٩٦ — ٤٩٩
بياى : ٤٤٧
بليى الاول : ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ٤٥ — ٤٦ ،
٦٦ — ٦٧ ، ٨٨ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٩٦
بليى الثانى : ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٨ — ٣٠ ، ٥٧ ،
٦٧ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٦
بليى عنخ : ٦٧
بليى نخت : ٢٣ ، ٢٩ ، ٦٠ ، ٧٢ — ٧٣ ،
٨٩ — ٩٠
بيت بلث : ٢٤٢
بيت الوالى : ٣٠٦ — ٣٠٧ ، ٣١١ ،
٣٤٤ — ٣٥٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥
بيجه : ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ،
٢٧٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ،
٣٨٧
بشرا بوجيل : ٥٥
برايجات : ١٦٢ — ١٦٣
بيعنخى ، الملك : ٤٥١ ، ٤٥٤ — ٤٧١ ،

البطالة : ١٧
بطن الحجر : ١٥٥
بعل : ٢٣١
بغداد : ٢٣٠
البقارة — قبيلة : ٧٥
البقع : ١٧٨ ، ٣٩٦ ، ٤٤٣
بكاستر : ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٧ — ٤٧٨ ،
٤٩٦ — ٤٩٧
بكت : ٤١٣
بكنرف : ٤١٨
بكبرى : ٥٣٣ — ٥٣٨
البلايش : ٢١٤ ، ٢٦٧ — ٢٦٨
بلاص : ١١٤ — ١١٥ ، ٢٦٧
بلم : ١٥٨ ، ١٧
بلزوني : ٣٥٠
بليت : ٤٩٤
بلت — (بلاد) : ٢٨ — ٢٩ ، ٤١ ،
٤٤ ، ٥٤ — ٥٥ ، ٢٩٦ ، ٤٠٦ ،
٤١٠ — ٤١١ ، ٤١٧
بنتاوسرت : ٢٧٨
بن نجا : ٢٩٠
بنوت : ١٦٠ ، ٣٩٦
بنها : ٤٧٥
بنون : ٢٢٠ ، ٢٢٩ — ٢٣٠
بنى حسن : ١١٨ ، ١٣٤ ، ٢٢٠ ، ٥٤٥
بنى مزار : ٢٤٢
بهنسى : ٣٠
بين : ٧٠٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ،
١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٥ — ١٧٦ ، ٢٤٢ —
٢٥١ ، ٢٥٥ — ٢٦٤ ، ٢٧٦ ، ٣٠٤ ، أخ
بوسطه : ٢٩٥ ، ٣٦٩ ، ٣٨٦
بوقو : ١٢٨

٣١٤ — ٣٢٠ ، ٣١٦ — ٣٢١ ، ٣٧٢ ، ٣٢١
 ٤٤٥ ، ٣٩٠ ، ٣٨١
 تحتس الثاني : ٢٥٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ —
 ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٠٩ ، ٢٨٥
 ٤٤٥
 تحتس الثالث : ٣٨ ، ٤٩ ، ١١١ ،
 ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ٢٦٣ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٧ — ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ،
 ٣٠٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ — ٣٣٠ ، ٣٣٧ ،
 ٣٧٢ — ٣٧٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٥٠٣
 تحتس الرابع : ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣ ،
 ٣٠٩ ، ٣٢٩ — ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٧٣ ،
 ٣٩١ ، ٤٤٢
 تحتس — ابن الملك : ٢٩٧ ، ٣٣٦ —
 ٣٣٧
 تحت رسو : ٣٨١ ، ٤٠١
 تحنو : ١١٠
 تحوت : ٢٥ ، ٢٨٦ ، ٣٥٦ ، ٤٤٧ ،
 ٥١٩ ، ٥٣٤
 تحوتحتب : ٣٨١
 ترس أو « تررس » : ٢٧ ، ٥٢ ، ٦٨
 ترك : ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٨٤
 تروجلوديت : ٨١ — ٨٣
 تريبوليتانيا : ٧١
 تشوب : ٢٣١
 تفنخت : ٤٧٦
 تفنوت : ٥١٤
 تكاهاتاماتي : ٤٧٩
 تكاو : ٥٠٧
 قل الشيخ موسى : ١٠٩
 قل العجول : ٢٢٥

٤٧٤ — ٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٤٩٣ — ٤٩٧ ،
 ٥٠٠ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠
 عيحنخي — ابن الملك : ٣٦٤ ، ٣٦٥ —
 ٣٦٩
 ين مواست : ٤٤٨
 بينوزم الأول : ٣٦٦ ، ٤٩٨
 بينوزم الثاني : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦
 بيو : ٢٢
 بيوي : ٢٣٩ ، ٢٤١

حرف (ت)

تا أخو : ٢٨
 تابكنامون : ٤٤٩ ، ٤٧٩
 تابيري : ٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ،
 ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٩٣
 تاتحب : ٥٠٠
 تاتبعت : ٢٨٠
 تاخلت : ٧٩
 تاستي : ١٥ ، ٧٩ — ٨١ ، ١١٧ ، ١٢٨ ،
 ١٣٠ ، ١٣٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٧٩ —
 ٣٨٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٩
 تا كيلوت الأول : ٤٦٦
 تا كيلوت الثالث : ٤٧٣
 تالميس : ٣٩٥
 تاتر : ٤٢
 تانوتامون : ٤٥٤ ، ٤٦٢ — ٤٦٥ ،
 ٤٦٨ — ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ —
 ٤٨١ ، ٥٠٦ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨ ، ٥٣٣ ،
 ٥٣٩ ، ٥٤١
 تمانيس : ٢٣١ ، ٣٦٦ ، ٤٨٤
 تائيت : ٣١٨ ، ٣٧٠
 تحتس الأول : ٨٠ ، ١٤٠ ، ١٦٦ ،
 ٢٥٩ ، ٢٧٩ — ٢٨٤ ، ٢٨٧ — ٢٨٨

تومبوس : ٢٧٩، ١٨٠ — ٢٨٨، ٢٨٣
٣٢٥ — ٣٢٨، ٣٣٤، ٤٠٥، ٤١٦
تي : ٣٩١، ٢٨٧، ٢٨٦، ٤٤
تيتي : ٣١٥، ٢٣٩، ٣٢، ٢٠ — ٣١٧
تيتي عن : ٢٧٥
تيتي عنخ : ٢٤
تيسبس : ٤٠٦

حرف (ث)

ثاراي : ٣٩٢
ثاروا : ١٦
ثاوتي : ٢٢
ثي أو ثيثي : ٧٣، ٢٣
ثر : ٣١
ثماو : ١١٤، ١١٣، ١١٢
ثني : ٤٤٢، ٤٣٣
ثو (الأدفاوي) : ٢٦٠
ثوري : ٢٥٧، ٢٧٦، ٢٧٨ — ٣١٤
٣٩٧، ٣٩٢، ٣٧٩، ٣٧٠، ٣٢٢

حرف (ج)

جاردنر : ٤٥، ٤٩ — ٥١، ٧١، ٨٢
١٤٧، ١٥٧، ١٦١، ٢٣٦، ٢٤١
٥٢٦، ٥٢٥، ٢٦٠
الجلا : ٢٩٢
جان يويوت : ٤٠
جب : ١٢٦، ٥٢١
جبل امام : ٤٠
جبل برقل : ٢٨٧، ٢٨١ — ٢٩٠
٣٧٠، ٣٦٦، ٣٣٩، ٣٣٧، ٢٩٧
— ٤١٨، ٤١٠، ٤٠٩، ٣٩١، ٣٩٠
٤١٩، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٥، ٤٧٩
٤٩٤، ٤٩٢، ٤٨١

تل العمارنة : ٢٧٥، ١٩٧، ١٠٣، ٥١
٢٩٨ — ٢٩٩، ٤١٩، ٤١٢، ٣٤٠
٤٣٦، ٤٣٥، ٤٣٤، ٤٣٣
تل الفرعة : ٢٤٢
تل اليهودية : ٢٢١، ٢١٦، ٢٢٣ — ٢٢٣
٢٥٠ — ٢٤٨، ٢٢٧
نحو : ٦٨، ٣٤، ٢٧ — ٨١، ٧٦، ٧١
٨٩، ٤١٥
تنشاع : ٢٧٥
تنسا : ٤٩٨
تجور : ٢٧٩، ١٦٦ — ٢٨٠
تهرقا : ١٤٦، ٣٩١، ٤٥٤، ٤٥٦
٤٦٢ — ٤٦٨، ٤٦٩ — ٤٧٤، ٤٦٩
٤٧٥، ٤٧٨ — ٤٨٠، ٤٩٣، ٤٩٥
٥٤٠، ٥٠٧، ٥٠٦، ٥٠١، ٤٩٦
توت عنخ آمون : ١١١، ١٦٠، ٢٩٩
٣٠١ — ٣٠٢، ٣٣٨ — ٣٤١
٣٨٩ — ٣٨٨، ٣٨١، ٣٧٣، ٣٧١
٤٤٦، ٤٣٨، ٤٣٤، ٤١٩، ٤٠٢
توتيبايوس أو تيبايوس : ٢٢٨، ٢٢٠
تورجني سيف زودر برج : ٤٠، ١٠٠
١١٥، ١٣٤، ٢٠٣، ٢١٥، ٢١٩
٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٩، ٣١٣
٣١٨
تورس : ٣٢٠
تورين : ٢٤٤، ٢٢٩، ٢١٨، ٤١١
توسرت : ٤٤٨
توشكي : ١٩، ٢٠، ٦١، ٦٢، ١١٩
١٢٠، ١٣٧، ١٤٣، ١٥١، ١٧٦
١٧٧، ٢١١، ٢٧٤، ٢٧٦، ٣٨٢
٤٠١، ٣٩٦
توماس : ٣٩، ٢٤، ٢٠ — ٤٦، ٤٠
٣٩٦، ٧١، ٤٧

جفري ميلهام : ١٦١
 جم آتون : ٢٩٧ ، ٣٩١
 جمساي : ٧
 جن : ٢٣٦ ، ٥٠٨ ، ٢٦٠
 جناري : ٢١١
 جناوي شما : ١٣٤
 جنيف : ١٤٦
 جوتليه : ٩٩ ، ٥٠ — ١٠٠ ، ٢٥٧ ،
 ٣١٣ — ٣١٤ ، ٣٢١ — ٣٢٥ ، ٣٣١ ،
 ٣٤١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٢٥٦ ، ٣٦٢ —
 ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٩٣ ،
 ٣٩٧ ، ٤٤٣ ، ٤٧٧ ، ٤٩٤ ، ٤٩٧
 جورسس : ٢٩٢
 الجزيرة : ٢٢٦ ، ٤٦١
 جيميه : ٤٤٣ ، ٣٤٢ ، ٥٠٠

حرف (ح)

حابي : ٢٤
 حاتياي : ٣٤٩
 حاروا : ٥٠٧ — ٥٢٢ ، ٥٢٦ — ٥٣٠ ،
 ٥٣٣ — ٥٤٢ ، ٥٤٠ — ٥٤٤
 حاصنخف الادفاوي : ٢٦٠
 حامت : ٢٠
 حانبو = اقوام الشمال : ١٢٦
 حناني : (انظر زفاي حمي)
 الحيشة : ٧٧ ، ٥٥
 حتي : ١٢٤
 حتحور — الهه : ٢٨ ، ١١١ ، ١٣٧ ،
 ١٥٧ ، ٣٢٩ ، ٤٠٠ ، ٤١١ ، ٤٨٩ ،
 ٥١٤ ، ٤٩٣
 حتشيسوت : ٢٣٢ ، ٢٨٣ — ٢٨٧ ،
 ٣١٤ — ٣٢٦ ، ٣٥٧ — ٣٦٣ ، ٣٨٨

جبل تاجوج : ٢٨٦
 جبل حوا : ٢٩٥ ، ٢٩٦
 جبل دوشه : ٣٩٨ ، ٤٠١
 جبل السلسلة : ١٥٤
 جبل خنت حن نفر : ٤٠٩
 جبل الشمس : ٣٤٠ — ٣٤٣ ، ٤٠٠ —
 ٤٠١
 جبل فطيرة : ٥٤
 الجباين : ١٠٩ — ١١٠ ، ٢٣٠ ، ٢٥٣ ،
 ٣٧٢
 جبيل : ١٦٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٥
 جدار المنحط : ١٠٩
 جرجا : ٥٥
 جرف حسين ، معبد وبلدة : ١٠ ، ١٨٤ ،
 ١٠٦ ، ١١٩ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٣٥٣ —
 ٣٥٤ ، ٣٩٤ — ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٣
 جرفث : ٢٠١ ، ٣٨٨ ، ٤٠٠ ، ٥٢٥
 جزيرة ارقو : ١٣٣ ، ٥٥ ، ١٨٠ ، ١٩٢ ،
 ١٩٨ ، ٢٤٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ — ٢٨٩ ،
 ٤٢٢
 جزيرة ابريم : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٣٢٦ ،
 ٣٣٠ ، ٣٩٤ ، ٤٠٤
 جزيرة بيجه : انظر بيجه
 جزيرة الرأس : ١٥٧
 جزيرة ساي : ٥٥ ، ٢٧٧ — ٢٨٠ ،
 ٢٨٣ ، ٣٥٢ ، ٣٩٠
 جزيرة سهيل : ١٧ ، ٢٠٠ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
 ٢٨٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ —
 ٣٤١ ، ٣٥٧ ، ٣٦٦
 جزيرة الفيلة : ١٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ١١٩ ،
 ١٣٤ ، ٢٩٣ — ٢٩٦ ، ٣٠٨ ، ٣٤٢ ،
 ٣٥٥ ، ٣٥٧
 جزيرة هيس : ٢١

حور : ١٦ ، ٢٦ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ١٢٦ —
 الخ ١٥٧ ، ١٣٠
 حور أختي : ١٦
 حور جرج تاوی ف : ١٠١ ، ١٠٠
 حور حزت : ١٠٩
 حور خع باو سخم رع خوتاوی امنحات
 سبکحتب : ٢٤٤
 حور خوتاوی رع : ٢٤٤ — ٢٤٥
 حورددوی خبرو : ٢٤٥
 حورسات : ٢٧٦
 حورسبد : ٢٥٦ ، ٤٤٧
 حورسعنخ اب تاوی : انظر متوحتب
 الثالث
 حور مأخت : ٤٨٠
 حور محب : ٢٣١ ، ٢٢٩ ، ٣٠٠ —
 ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٩٩
 ٤٣٦ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ — ٤٤٦ ، ٤٥٠ ،
 ٤٨٥
 حور مری تاوی : ٢٤٥
 حور معام : ١١٤
 حور مینی : ٣٧٠ ، ٣٨٤
 حورنخت نب نب نفر : انظر إنتف
 الثالث
 حورواح عنخ : انظر إنتف الثاني
 حوروازتای : ٢١
 حوری الأول : ٣٥٦ — ٣٥٩ ، ٣٨٦ ،
 ٤٤٨
 حوری الثاني : ٣٥٨ — ٣٦١ ، ٣٨٦ —
 ٣٨٧ ، ٤٤٩
 حوری أمنحتب : ٣٣١
 الحورین : ٢١٧
 حومت حریت : ٢٩٦

٤٠٦ ، ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٢٥ ،
 ٤٣٣ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٥٠٠
 حنوب — محاجر مرمر : ٣٦ — ٣٧ ،
 ٤٨ ، ٥٤ ، ١٠٤ ، ١١٢
 حخ : ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٥
 حرخوف : ٢٣ — ٣١ ، ٣٩ — ٤٠ ،
 ٤٤ — ٤٧ ، ٦٠ ، ٦٨ — ٧٢
 حرست : ٤١٤
 حرسفیس : ٤٩٠
 حرشف : ٤٩٠
 حرور : ١٢٥
 حریت : ٣٨
 حریحور : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٤٥٠ ،
 ٤٨٤
 حسمن : ١٣٧
 الحصایة : ٢٦٨
 حقا اب : ١٣٨
 حقانخت : ٣٤٨ ، ٣٤٩
 حقا نفر : ١٦٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢
 حقا وخاسوت : ٢٢٠ — ٢٢١
 حلقا : انظر وادی حلقا
 حاجت : ٤١٤
 حم با آتون : ٢٩٧
 حماد — الدكتور : ٢٤١
 الحمامات : ٤١١
 حمن : ٢٩١
 حمتحب : ٢٤
 حمورابی : ٢١٧
 حنت تاوی : ٤٩٨
 حنتی : ٢٤
 حننو : ١٢٥ — ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٧
 حنی : ٢٤ ، ٣٢٣

حونی : ١٥

حوی : ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠١ —

٣٨٢ ، ٣٧٨ — ٣٧٧ ، ٣٧٠ ، ٣٤٠

٤١٣ ، ٤١٢ ، ٤٠٢ ، ٣٩١ ، ٣٨٨

٤٢٤ ، ٤٢٢ ، ٤١٨

حیرام : ٤٨٣

حرف (خ)

خابور : ٢٢٤ ، ٢٢٣

خارو : ٣٠٩

خالیبوت : ٤٧٨

خامودی : ٢٢٩

خایا = خای = خییا : ٣٤٠

خبر کارع : ١٢٣ — ١٢٦ ، ١٢٨

خرب نب : ٣٩٣

الخراطوم : ٢٥٥ ، ٧٧ — ٢٩٠ ، ٢٦٠

٤٩٣ ، ٤٥٣

الخزام : ٢٦٧

خسف أوتیو : ١٧٢ ، ١٥٤

خسف مزراو : ١٦١ ، ١٥٤ ، ٤٧

خسیت : ٤٠٩ ، ٤٠٦

خغ سخم : ١٦ ، ١٥

خغ عنخف : ١٨٢

خغ کاورع : ١٣٧ ، ١٣٩ — ١٤٢ ،

٢٥٦ ، ١٤٦

خعمحات : ٤٢٥

خغ مماعت : ٤٠٢ ، ٣٩١

خغ نفرع سبکحتب : ٢٤٦

خغ نفرع = هرم مرزوع جمیل

عند ما يظهر : ٣٦ — ٣٧

خخی : ٤٠٢

خفرع : ١٢٢

الخليفة التعايشی : ٥٢

خنث حن نفر : ٣٧٥ ، ٨٣ ، ٧٩ ، ٧٨

٤٣٣ ، ٣٠٨ ، ٢٨١ ، ٢٧٩ ، ٢٧٦

خنسا : ٤٩٦ ، ٤٧٨ ، ٤٦٨ ، ٤٦٣

خنسو : ٥٣٢ ، ٥١٧ ، ٥١٢ ، ٤٩٩ ، ٤٠٣

خنمت : ٤١٥ ، ٤١٤

خنم رع : ٩٦

خنوم = خنوم رع : ١٣٠ ، ٢١ ، ١٧

٣٨٩ ، ٣٨٧ ، ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٤٢

٤٢٥

خنوم حتب : ٥٤٥ ، ١١٨ ، ١٠١ ، ٢٤

خنی : ١٥٤

خور دهمیت : ١٣٤ ، ٩٦

خوفو : ٢٠٩ ، ١٩ ، ١٣

خوی : ٢٣

خیان : ٢٥٣ ، ٢٣٠ — ٢٢٩ ، ٢٢٤

خیتا : ٤٨٣ ، ٤٨٢ ، ٤٢٥ ، ٣١١

خیتی الأول : ١١٢ ، ٩٨

حرف (د)

دابی : ١٥٤

دارسی : ٤٤١ — ٤٤٠ ، ٣٤٧ ، ٤٠

دارفور : ٥٥

داود : ٤٨٣

داير خاست کيد نکالو : ١٥٣

داینارقی : ١٥٤

دبود : ٣٩٦ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٠

ددفرع : ١٩

ددکارع : ٤٧٥

ددوموس : ٢٢٩ ، ٢٢٨

ددو = بوسیر : ٢٥

ددون — إله النوبة : ١٤٣ ، ٨٠ ، ١٨

٣٩٩ ، ٢٩١ ، ٢٨٥ ، ١٤٦

حرف (ر)

راس شمره : ٢٢٥٠٢١٥
 الرتنو : ٣٠٩
 رجبعام : ٤٩١
 رخبحتوف : ٣٥٦
 رخ مى رع : ٤١١٠٣٨٧٠٣٨٢٠٣٧٣
 ٤١٥ — ٤١٧
 ردی سبك : ١٣٤
 الرديسيه : ٣٨٦٠٣٧٣٠٣٤٤٠٣٠٥
 رزق الله : ١٠
 رس : ٥٠
 رشب : ٤٠١٠٢٣١٠١٤٤
 رع = رع حور أختي : ٨٧٠٢٥
 ٢٠٦٠١٩٨٠١٢٦ — ١٢٣٠٩٦
 ٢٣٥ — ٢٣٦٠٢٤٥٠٢٣٦
 رعمسيس الأول : ٣٤٠٠٣٠٤٠٢٣١
 ٤٥٠
 رعمسيس الثاني : ٢٣١٠١٤٣٠٧٨
 ٣٣٩٠٣١١ — ٣٠٦٠٣٠٣٠٢٤١
 ٣٩٧ — ٣٩٤٠٣٧٣٠٣٥٧٠٣٥٥
 ٤٨٢٠٤٣٠٠٤١٠٠٤٠٩٠٤٠٣
 ٤٩٠
 رعمسيس الثالث : ٣١٠٠٣٠٣٠٢٢٤ —
 ٣٩٢٠٣٨٢٠٣٦١ — ٣٥٧٠٣١٢
 ٤٤٩٠٤٤٨٠٤٢٩٠٤١٠٠٤٠٩
 ٤٨٨
 رعمسيس الرابع : ٤٤٨٠٣٦١٠٣٦٠
 ٤٤٩
 رعمسيس الخامس : ٣٨٧٠٣٦١
 رعمسيس السادس : ٣٦٢٠٣٦١٠١٦٠
 ٣٩٧
 رعمسيس السابع : ٣٦١

الدر : ٣١١٠٣٠٧٠٣٠٦٠٢٦٢٠٤٧
 ٣٩٨٠٣٩٧٠٣٩٥٠٣٩٤
 دراهيت : ١٦٢
 دراو : ٢٦٨٠٧٠٠٥٥ — ٥٤
 درب الأربعين : ٥٥
 درمتيو : ١٥٤
 دروتيو : ١٥٤
 درى : ١٨٢
 دريتون : ١٠٠
 دشاشة : ٢٢١
 دفوفه : ١٩٥٠١٨٨٠١٨٠٠١٢٠
 ٢٠٧٠٢٠٦٠١٩٦
 الدكة : ١٠٦٠٩٠٠٨٦٠٨٥٠٨٣٠١٠
 ٣٨٨٠٢١١٠١٦٠٠١٥٩٠١٥٧
 دجو : ٥٣
 دمر اب تاوى : ٩٥
 دمشق : ٤٨٣
 دندرة : ١١٠
 دنقله : ١٠٨٠٧٧٠٧٥٠٥٧ — ٥٣
 ٤٧١٠٢١٣٠١٨١ — ١٨٠٠١٥٦
 دهنام ، دوس : ٥٠٥٠٤٦٦
 دهشور : ١٦٤٠٦٧
 دهميت : ١٣٣٠١١٢٠١٠
 دود كاشوينوس : ١٧
 دوسو : ٢٢٤
 دى بك : ٢٣٧
 ديدور : ١٤٤
 ديدى : ٤١٥
 الدير : ٢٦٨
 الدير البحرى : ٢٨٥٠١٤٥٠١١٠
 ٤٠٦٠٣٣٦ — ٣٣٥٠٣٢٩
 ديوصرع : ٤١٦

حرف (ز)

زانی : ١١٣
 زاهی : ١١٣
 زد فرع (أو «رع زد ف») : ٤٦١، ١٢٢
 زد کارع : ٤٨٠، ١٩
 زد یومس : ٢١
 زسر کارع : ٢٧٨
 زفای جمعی : (أو «جزای») : ١٣٠،
 ١٣٦، ١٤١، ١٨٢، ١٩٠، ١٩٦
 ١٩٨، ٢٠٠ — ٢٠٦
 زمری لیم : ٢١٧
 زمی : ٩٧ — ٩٩، ١١٠، ١١٤
 زوسر : ١٧، ١٩٧
 زووعب : ٤٠٩، ٤١٠، ٤٥٢
 زیته : ١٤، ٤٨، ٥٠، ٦٢، ٧٨، ٨٢
 ١١٥، ٢٧٤ — ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٤ —
 ٢٨٥، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٧١ — ٣٧٣
 ٤١٩، ٤٢٥، ٤٤٢، ٤٤٥

حرف (س)

سا ازیس : ٣٦١
 سایی : ٢٤
 سانت : ١٤٠، ٣٢٩، ٣٩٨، ٤٩٥
 سات ثنی : ١٢٧ — ١٢٨
 ساتی = سوتی : ١٨٣ — ١٨٤
 ساتیس : ١٢٨، ١٣٠
 ساحتحور : ١٣٦، ١٦٣
 ساحورع : ١٩، ٢٠
 ساست : ١٤٦، ١٤٩
 ساقیة العبد : ٥٥
 سالتیس : ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٠
 سالیه : ٢٣٢

رعمسیس الثامن : ٣٦١

رعمسیس التاسع : ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٦

٣٦٧، ٣٨٠، ٣٨١

رعمسیس العاشر : ٣٦٣، ٣٨٨

رعمسیس الحادی عشر : ٣١٢، ٣٦٢

٣٦٣ — ٣٦٥، ٤١٦، ٤٣٨، ٤٤٣

٤٤٩، ٤٥٠، ٤٨٤

رع نب بحتی : ٢٧٦

رع نفرکا : ١٩٦

رکة : ٢٢٧

رمت : ٨١

رم سن : ٢١٧

الرمسیوم : ٤٧، ٣٢٧

رن سذب : ٢٤٤

رنی : ٤٢٤

رنوت : ٣٥٣

روتی : ٣٣٧

رومة : ٣٢٩

ریدر : ٩٦، ١١٢، ١١٤، ١٣٤، ٥٠٨

ریزنر : ٦٧، ٢٦١ — ٩١، ٧٠ — ٩٢

١١٨، ١٢٠، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٦

١٥٠، ١٥٥، ١٦٥، ١٦٨، ١٨٠ —

١٨٦، ١٩٣، ١٩٥ — ٢١٠، ٢٥٩

٢٨١، ٢٨٧ — ٢٩٠، ٣١٣، ٣٨٤

٤٠٥، ٤٤٠ — ٤٤٢، ٤٥٢، ٤٥٤

٤٥٧، ٤٦٦، ٤٧٣ — ٤٧٩، ٤٩٠

٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٧، ٥٠٥

ریفه : ٢١٤، ٢٦٧ — ٢٦٩

الریفه : ٢٦٢، ٢٦٤ — ٢٦٦، ٢٩٣

سثو : ٣٩٠٢٧ — ٤٠٠٤٧٠٤٦٠٤٠

٧٠ — ٦٨

سجوسنقى : ٩٦

سختب لب رع : ١١٩

سختب تايغ : ٤٧٥

سختب ثرو : ٤٠٢

سنا : ٢١٩

سغن رع : ٢٤٨٠١٩٨

سغنمت : ٣٩٢

سغنم خع كاوع : ١٥٣

سغنم رع خوتاوى : ٢١٠ — ٢٠٩

سغنم رع وازخمو سبكساف : ٢٦١

سدمنت : ٢٢٣٠٢٢١

سدنجا : ٢٩٥٠٢٩٧٠٣٩٠٠٣٩١

٤٠١

سرجون الثانى : ٤٥٤

سرنبوت : ١٢٧ — ١٣٠

سره : ٣٥٥٠٣٨١٠٣٨٩٠٤٠١

سره غرب : ١٥٤٠٤٧٠١٦١

سسبى : ٣٩٠٠٢٩٧

سغنخ تاوى : ٩٩

سغنخ كارع : ٢٣٨٠٩٩

سقارة : ٢٤٠

سقين رع : ٢٣٦٠٢٣٥

السلسلة : ١٤٠٣٠٤٠٣٠٧٠٣٢٦

٣٢٧

سليان : ٤٩١٠٤٨٣

سماتو تفنخت : ٥٤١

سماخا ستيو : ٣٩١

سمبريت : ٥٠٢

سمزرد : ١٥٤

السامرة : ٤٩١٠٤٨٣

ساو : ٥٤

سايس : ٤٩٤٠٣٦٠٠٢٦٨

سبا : ٥٢٠

سبتاح : ٣٥٦ — ٤٤٦٠٣٦٣٠٣٥٩

٤٤٨

سبدر : ٢٥٦ — ٢٦٠

سبك : ١٢٥

سبك أختب : ١٠١

سبكختب : ٢١٦ — ٢٥٣٠٢١٩

سبك خو : ١٧٦

سبكخت : ٢٠٢

سبك نفور رع : ١٥١ — ١٥٠٠٣٧

سبى : ٥٨٠٣٢٠٣٠٠٢٣ — ٧٢٠٦٠

١٤٣٠٧٣ —

السبوع : أنظر وادى السبوع

سبيجابر : ٣٨٠

ست = إله : ٢٣١٠٢٣٥

ست بعل : ٢٣٢

سترابون : ٥٠١

ستمويا : ٣٠٨

ستنخت : ٣٥٧ — ٣٥٨

سقى : ١٥ — ٨٠٠١٦ — ٨٣

ستيتيو : ٨٠

ستيندورف — عالم أثرى : ٧ — ٨

١٨٨٠١٨٧٠١٨٥٠٩٠٠٧٨٠٧٥

٣٧٦٠٣٥٨٠٢٤٩٠٢٤٨٠١٩٠

٣٨٥٠٣٨٤

ستيو : ٨١ — ٨٠

ستيو أونوت : ٨١

سثاو : ٣٥١ — ٣٧٣٠٣٥٥

سواكن : ٥٥
 سوخ : ٢٣١ — ٢٣٥، ٢٣٢
 سوريا : ٢٢٤ — ٢٢١، ٢١٨، ٢١٥، ٧
 ٢٥٠ — ٢٥١، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣٤٥
 ٤٢٧ — ٤٢٨
 سوزستريس : ١٤٥ — ١٤٤، ٣٨
 سومر : ١٨٤
 سوهاج : ٥٥
 السويد : ٢٢٢
 السبالة : ٢١١، ١١، ١٠
 سيبار : ٢٢٧
 سیتی الأول : ٤٩، ٢٣١، ٢٢٦، ٨١
 ٣٠٤ — ٣٠٦، ٣١١، ٣٤٥
 ٣٤٩، ٣٥٨ — ٣٥٩، ٣٧٣، ٣٨٦
 ٤٨٨، ٣٩٢، ٣٨٨
 سیتی الثاني : ٣٥٨، ٣٥٥
 سیتی — ابن الملك : ٣٥٦ — ٣٥٧، ٣٧٨
 ٤٤٦ — ٤٤٨
 سیتی مرنبتاح : ٣٩٢، ٣٥٨
 سيجا : ١٦٢
 سيف زودر برج : انظر تورجني سيف
 زودر برج
 سميتو : ١٥١
 سیناء : ٨٢، ٤٥ — ٨٣، ١٣٦

حرف (ش)

شابت : ٢٧٨
 شارف — طالم أثرى : ٥
 شاروهين : ٢٣٠، ٢٤٢
 شاسحرت : ١٦
 شاسيتا : ٣٣٠
 شبتاكا : ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦١ — ٤٦٥

سمنة : ٤٧، ٨٠، ٩٦، ١٠٩، ١٣٩ — ١٥٦
 ١٦٥ — ١٧٧، ١٨٠، ١٩٣، ٢١٠
 ٢٤٤ — ٢٤٧، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٨
 ٢٨٤، ٢٩٤، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٣٣
 ٣٦٢، ٣٧١، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٩ —
 ٤٠١، ٤٢٥، ٤٢٨
 سنار : ٥٤ — ٧٠، ٥٥
 سن إيج : ٤٢٥
 سنبت : ٢٠٧، ٢٠٥
 سلب حا إشتف : ١٢٥
 سلبو : ١٣٧
 سلبو : ١١٨، ١١٠
 سنخت : ٤٦
 سترم عش : ٥١٥
 سنفرع : ٤٧٤
 سنفرو : ١٧ — ١٨، ٣٥، ٦٠، ١١٧
 ١٥٨
 سنكاسكين : ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٧٤
 سنوت : ١٥٤، ٢٨٥، ٢٨٦
 سنوسرت الأول : ٧١، ٩٢، ١١٥
 ١١٩ — ١٤١، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٤
 ١٦٧، ١٧٤، ١٧٦، ١٩٦، ١٩٨
 ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٤٦، ٢٥٣
 سنوسرت الثاني : ١٣٦ — ١٣٨، ١٦٤
 ٢٦٣
 سنوسرت الثالث : ٥٠، ١٣٤، ١٣٨ —
 ١٥٠، ١٥٥، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٤
 ١٩٤، ٢٠٩، ٢١٠، ٣٩٠، ٣٩٣
 ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١
 سنوهيت : ٧١، ١٢٢، ١٧٤، ٢٦١
 سني : ٣٢٠ — ٣٢٣
 سهرتاوی انتف الأول : انظر انتف
 الأول

شليفس : ٢٥٢
شم اب : ٢٠٧
شماسي أداد الأول : ٢١٧
شماسي : ٢٤
شميليون : ٣٤٧، ٣٤٠
شمسو سعنخ : ١٢٦
شمع خاستيو : ٢٨٨
شندي : ٤١٧، ٥٤
شو : ٥٢٠
شيشنق الأول : ٣٦٨—٣٦٧، ٣٦٥
شيشنق الأول : ٤٦٦، ٤٧٠—٤٧١، ٤٩٠—٤٩٢
٥٢٤—٥٣٨
شيشنق الثاني : ٣٦٦—٣٦٧
شيشنق الثالث : ٣٦٧، ٤٩٢
شيشنق الرابع : ٤٧٣
شيشي : ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٥٨، ٢٦٩
شيفر : ٣٠٠، ٢٧٤، ٥٠
شيكافو : ٥٢٧

حرف (ص)

الصحراء الشرقية : ٧٥، ٦٥
الصحراء الغربية : ٢٩٢، ٢٦٤، ٦٩
صالب : ٣٩٩، ٣٩١، ٢٩٧، ٢٩٥، ٥٥
٤٠٢، ٤٠١
صنم : ٤٨١
صور : ٤٨٣
صولات : ٣٥٠
الصومال : ٤

حرف (ط)

طرابلس : ٧١
طرة : ٣٣

٤٦٨—٤٧٨، ٤٧٥، ٤٧٤، ٤٦٩
٤٨١
شبكة : ٤٥٤، ٤٦٠—٤٦٨، ٤٧٤
٥٠٦، ٤٩٦، ٤٨٠
شبنوبت الأولى : ٤٧٠—٤٧١
٤٩٧—٥٢٧، ٥٠٧، ٥٠٥، ٥٠٢
٥٣٩، ٥٣٣، ٥٣١، ٥٢٩
شبنوبت الثانية : ٤٩٧، ٥٠٥، ٥٠٣
٥٤٠—٥٣٩، ٥٣٦، ٥٢٤، ٥٠٨
شدم خنسو : ٣٨٠
شسمت : ٤١٥
ششي : ١٩٨
شط الرجال : ١١٢
شفرية : ٢٤١
شفينفورت : ٤٣، ٤١
الشلال الأول : ٤—٩، ١٤—٢٢
٣٧، ٤٦، ٦٢—٦٣، ٧٥، ٩٨
١١٨، ١٢٧—١٣٠، ١٣٩—١٤٣
٢٥٣—١٦٦، ١٥٩—١٧٣، ٢١١
١١٣، ٢٦٦، ٢٦٩، الخ
الشلال الثاني : ٤٦، ٤٠، ٧٦، ٤٠٢—٥٢
٧٥—١٥٩، ١٥٦، ١٥٤، ٨٠
١٦٥—١٧٩، ١٨٠، ١٩٣
٢٤٢—٢٥٤، الخ
الشلال الثالث : ٧٧—٧٨، ١٣١
١٧٣، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٧
الشلال الرابع : ٧٧، ١٥٣، ٢٨٧—
٢٩٠، ٢٩٦، ٣٧٥، ٤٠٣، ٤٣١
٤٨٢، ٤٥٢
الشلال الخامس : ٤٥٢
شلفك : ١٥٤، ١٥٦، ١٦٧، ١٧٢
٣٨٩، ٢٤٧

عمدا : ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٧٧ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٩٣ ،
 ٤٠١ ، ٣٩٦
 عمري : ٤٨٣
 عموا : ٤٠٩ — ٤١٠
 عنات : ٢٣١
 عنات حر : ٢١٨ — ٢١٩
 عنخ باخرد : ٥٣٧ — ٥٣٨
 عنخت نيتي : ٧٣
 عنخ حور : ٥٠٠
 عنخنس نفراب رع : ٥٠٠ — ٥٠١
 ٥٢٥ ، ٥٠٧
 عنقت : ١٣٠ ، ١٣٩ ، ٣٩٨
 عنييه : ١١ ، ٧٤ ، ٨٤ — ٨٥ ، ٩٠ ، ١٠٦
 ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٥٧ — ١٦٤ ، ١٧٣
 ١٧٩ ، ٢٤٧ — ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦
 ٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ الخ
 عين شمس : ٤١٩

حرف (غ)

الغزال : ١١٨

حرف (ف)

فاري ، الكسندر : ٣٣٥
 الفحل : ٢٥٧
 فوث — طالم آثري : ١ ، ٨ ، ١١ ، ٧٤ —
 ٧٥ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ١٦٤ ، ٢١٣ ، ٢٤٧
 ٣٩٤ ، ٣٩٦
 فرص : ١١ ، ٤٧ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ١٥٤
 ١٦١ ، ١٦٩ ، ٢١١ ، ٣٠١ ، ٣٥٥
 ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ —
 ٤٠٢
 فرمان : ٣٥٨ ، ٣٦١ — ٣٦٣

طود : ١٠٢
 طيبة : ٩٧ ، ٩١ ، ٥١ — ١٠٢ ، ٩٨ —
 ١٠٦ ، ١١٢ — ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٥٣ ،
 ١٦٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ — ٢٣٧ ، ٢٤٢ ،
 ٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠ — ٢٩٢ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣ —
 ٣٥٤ الخ
 طينه : ٨٨

حرف (ع)

عا : ٣١
 طابد : ٢٤٠
 طاقن رع : ٢٣٥
 طامو : ٨١
 طاناني = عتي : ٢١٨
 طاوو : ٢٤
 طاوس رع : ٢٢٩ — ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨
 العبادية : ٧١ ، ٧٦ ، ٨٢
 عبادية : ٢١٤
 عت تن : ٣٥٤
 العجيل : ٢٥٧
 عحا : ١٥
 العراية المدفونة : ١٤ ، ١٥ ، ٢٧ ، ٣٢ ،
 ٧٨ — ٧٩ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٧٥ ،
 ٢١٤ ، ٢٥٥ — ٢٥٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ،
 ٣٠٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٩٢ ، ٤٢٠ ،
 ٤٣٠ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٥١٣
 المساسيف : ٥٣٦
 عطبرة : ٢٩٥ ، ٧٥
 عقبه : ٥٣
 العلاقي : أنظروا دي العلاقي
 العارة غرب : ٣٠٤ ، ٣٠٨ — ٣٠٩ ،
 ٣٨٩ ، ٣٥٨

حرف (ك)

كا : ٢٥٦ ، ٢٥٧
 الكاب : ١٥ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ٥١ ، ١١٧ ،
 ١٨٩ ، ٢٠٢ ، ٢٦٨ ، ٣٣٩ ، ٣٧٢ ،
 ٣٧٣ ، ٣٨٤ ، ٤٢٤
 كاتاويف : ٤٧٥
 كار : ٢٢ ، ٢٧٨
 كاراتيت : ٥٠٢
 كراي : ٢٩٠ ، ٢٩٢ — ٢٩٤ ، ٣٠٨ ،
 ٣٧٠ ، ٤١٠
 كارع كا : ٩٩
 كارنفون : ٢٤١
 كارنفروي : ٢٤٩
 كاسقا : ٤٧٧ ، ٤٧٨
 الكاسيين : ٢١٧
 كاش : ٧٧ — ٧٩
 كالقين : ٣٥٤
 كاماع : ٣٥٨ — ٣٥٩
 كاموس : ٤٩ — ٥٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ،
 ٢٣٥ — ٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ — ٢٦٠ ،
 ٢٧٠ — ٢٧٤
 كانت خعمواست : ٤٧٥
 كاوا = الكوة : ٣٤ ، ١٩٨ ، ٢٨١ ،
 ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٩١ ، ٤٩٣
 كاي : ١٠٥
 كبجوح : ٢٩٤
 كتشنر : ١٠٤
 كرتوس : ٢٢ ، ٢٢٩
 كردفان : ٤١ ، ٥٥ ، ٧٥
 كرسكو : ٣٩ — ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ١١٩ —
 ١٢٠
 كرمان دفوفه : ١٨٠

فلادلفيا : ٢٥٦

فلسطين : ٧ ، ٢٢٢ — ٢٢٥ ، ٢٣٠ —

٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،

٢٩٨

فلورنسا : ٣٢٧

فنديه : ١٠٠

فيدمان : ٣٢٦

فيل : ٣١٧ ، ٣٤٢

الفيhle : انظر جزيرة الفيhle

فيثيقيا : ٤٨٣

فيينا : ٣٣٤

حرف (ق)

قادش : ٣١١

قالهاتا : ٤٦٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ،

القاهرة : ٣٣٤ ، ٣٢٨ ، ٤

قاو : ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،

قرنة غرب : ٨٣ ، ١٠٦ ، ٢١١ ،

قرنة مرعي : ٢٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩ ،

٣٩٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠

قصر أبريم : انظر جزيرة أبريم

القصر والصيد : ٢٢

القصير : ١٣ ، ٥٤ ، ٦٥

قطنا : ٢١٧

قفط : ١٣ ، ٥٤ ، ٩٥ — ٩٧ ، ١٣٥ ،

١٦٢ ، ٤٠٨ — ٤١٠ ، ٤٢٠ ، ٤٣٤

قمة : ١٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧١ ، ١٧٦ ،

٣٢١ — ٣٢٢ ، ٣٨٩ ، ٣٩٩

قنا : ٥٤ ، ٦٥ ، ١٦٢

قوص : ٢٣٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،

٢٧٤

القوصية : ٢٣٧

القيس : ٢٤٢

٣٩٩، ٣٩٦، ٣٨٧ — ٣٨٦، ٣٤٩
 الكوبانية الجنوبية : ١٥٤، ١٣٧، ٩ :
 ٤٠٧، ٢٦٦، ١٦٠
 الكوبانية الشمالية : ٢١٠، ٩٨، ٩١، ٨٣ :
 كورتى : ٥٥
 الكورو : ٤٥٣ — ٤٧٧، ٤٧٥ — ٤٨١ :
 ٤٩٧، ٤٩٦، ٤٩٣
 كوش : ٧٩، ٧٨، ٧٠، ٥٢، ١ :
 كوشه : ٥٣
 كوم امبو : ٤١٠
 كيس : ٣٩٨، ٣٧٢، ٩٣، ٥٠، ١٦ :
 ٤٠٠
 كينوبوليس (هارتارى) : ٤٥٠
 حرف (ل)
 لارسا : ٢١٧
 اللاهون : ١٦٤، ٥٠ :
 لبسيوس : ٣٢٤، ٣١٥، ١٨٠، ٩٩ :
 ٣٥٤ — ٣٥٢، ٣٤٢
 لبنان : ٦٥، ٦٣ :
 لييب حبشى : ٢٤١
 لجران : ٥٠٠، ٤٩٨، ٤٩٧، ٣٦٧ :
 ٥٠٩
 اللشت : ٢٤٦
 لكلان : ٥٣٦
 لوبيا : ٣٤٥، ٣١٠، ٣٠٥ :
 لوثر — مارتين : ٤٨٦
 اللوفر : انظر متحف اللوفر
 لوريه — طالم أثرى : ١٤
 الليسيه : ٣٣٩، ٣٣٧، ٣٢٦، ١٤٣ :
 ٤٠١
 ليونز : ٣٩

الكرمل = بلاد أنف الغزال : ٣٥
 كرمه : ٩٢، ٩٠، ٧٧، ٧٥، ٥٥، ٤١ :
 ١٣٦، ١٣٣، ١٣١ — ١٢٠، ١٠٩ :
 ١٥٥، ١٥٢، ١٤٨، ١٤١، ١٣٩ :
 ١٧٩، ١٦٨، ١٦٦، ١٥٩، ١٥٦ :
 ٢٣٢، ٢٣٠، ٢٢٨، ٢٢٣، ٢١٩ :
 ٢٧٠، ٢٦٧، ٢٥٨، ٢٥٥ — ٢٤٤ :
 ٢٨١ — ٢٨٢، ٣١٨، ٣٩٠، ٤١٢ :
 ٤١٣
 الكرك : ٢٦٧، ٢٤٢ — ٢٤١، ٣٨ :
 ٣١٠، ٣٠٦ — ٣٠٥، ٢٨٨، ٢٧٣ :
 ٣٦٧، ٣٦٦، ٣٤٥، ٣٢١ :
 كروان — طالم أثرى : ١٦٤، ٩١، ١٦ :
 ٣٩٦، ٣٨٨، ٢٧، ٢٦٩ :
 كريت : ٤٤٠، ٤٣٦، ٢٣٠، ١٩٧ :
 كريمة : ٤٥٢ :
 كشتا : ٤٥٥ — ٤٥٤، ٣٦٨ — ٣٦٧ :
 ٤٦٨ — ٤٦٦، ٤٦٣، ٤٦١، ٤٥٨ :
 ٤٩٩، ٤٩٧ — ٤٩٢، ٤٧٩ — ٤٧٠ :
 ٥٤٠، ٥١٤، ٥٠٦، ٥٠٥، ٥٠٠ :
 كشتمنه : ٣٩٦، ٨٣ :
 كلبشه : انظر باب كلبشه
 كلديا : ٤٨٣ :
 كم (٩) : ٤٢ :
 كسيت : ١١١ :
 كن : ٢٠١ :
 كنوسوس : ٢٩٤، ٢٩٢، ٢٩٠، ٢٣٠ :
 ٤٣٦
 كوبان : ١٥١، ١٣٣ — ١٣٢، ٧٤، ١٠ :
 ١٧١، ١٦٤، ١٦١، ١٦٠، ١٥٧ :
 ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٤٧، ٢١٣ — ٢١١ :
 ٣٤٥، ٢٩٨، ٢٩٤، ٢٧٦، ٢٦٩ :

حرف (م)

مانحر : ٦٨٠٥٢
 ماريه : ٢١٧٠١١٩
 ماسأهورتا : ٣٦٦٠٣٦٥
 ماعت : ٨٧ الخ
 ماعت إب رع : ٢٢٩٠٢٢٨٠١٩٨
 ٢٥٨
 ماعت رع : ٤٩٦٠٤٩٣
 ماعت كارع موتحب : ٤٩٨
 ماك إيفر : ٣٨٩٠٢٦٤٠٢٤٨
 مان ، توماس : ٥٢٢
 المانجياتو — مملكة : ٤١
 مانيتون : ٢١٩ — ٢٢١ ، ٢٢٨ —
 ٤٧٦٠٤٧٤٠٣٢٩٠٢٢٩
 ماوستا : ٤٩٠
 مايا : ٥٢٣
 ماي حبري : ٤٤٢٠٤٤١٠٤٤٠
 ماير : انظر إدوارد ماير
 متحف اللوفر : ٣٠٢٠٣٠٠٠١٦
 ٤٥٢٨٠٥٢٧٠٥١٤٠٣٤٠
 المجاي : ٨٩
 مچا : ٨٢٠٦٦٠٦٣٠٥٠٠٤٧٠٤٥
 ٣٩٩٠٢٧٥٠١٢٨
 محمد علي : ١٠٨٠٧١٠٧٠٠٥٨
 محو : ٤٣٣
 مخو : ٥٩٠٥١٠٣١٠٣٠
 المدمود : ٥٢١٠٢٦١٠٤٨
 مراقاشاتي : ٤٣٩
 مرجيس : ١٦٥٠١٥٤٠١٤٩٠١٤٧
 ١٧١٠١٦٧
 مرحتب رع : ٢١٩
 مرعجر : ١٤٣

مرصي خنسو : ٥٣٢
 مرصي عنخ : ٥٣٨
 مرشد : ١٦٧٠١٥٤
 مرقص — بلدة : ١٠
 مرزوع : ٢١ — ٣٥٠٢٦ — ٤٥٠٤٠ —
 ١٩٦٠٦٨ — ٦٢٠٤٧
 مرنبتاح : ٣٠٨ — ٤٢٥٠٣٥٥٠٣١٠
 ٤٩٠ — ٤٤٤
 مرقفورع : ٢١٩
 مرو — أمير : ٣١
 مروى : ٧٧٠٥٥ — ١٩٨٠١٣٣٠٧٨
 ٤٦٤٠٤٥٣ — ٤٥٢٠٣٧٧٠٢٩٠
 ٥٠٥٠٥٠٢٠٥٠١٠٤٨١
 مري (مس) طالة أثرية : ٦٤
 مري إب رع : ٩٨
 مريت رع : ٤٣٢
 مريس — بلدة : ٢١١٠١٠
 مري موسى : ٣٣٢٠٣٢٧٠٢٩٤ —
 ٣٧٧٠٣٧٤ — ٣٧٣٠٣٣٨
 مزا (انظر مچا) : ٤٧٠٤٥ — ٥١
 ١٢٨٠٨٢٠٦٣
 مزاي واح إب : ٤٨
 المزوي : ٣٧٠٣٤ — ٤٧٠٣٨ — ٥١
 ٦٦ — ١١٠٠١٠٥٠٨٩٠٨٢٠٦٧
 ٣٠٩٠١١٨٠١١٦
 مس : ٣٨٦
 مسبرو : ٤٩٥٠٣٥٩٠٣٤١ — ٤٩٦
 ٥٠٨
 مستجدة : ٢٦٧ — ٢٧١
 مس — سوى : ٣٥٦٠٣٥٥
 مسوبوتاميا : ٢٢٥٠٢٢٣٠٢١٧
 ٤٨٣٠٣٢٧
 مصحص : ٣٩٦٠٢٦٦

المهدي : ١٠٤،٥٢
موت : ٥١٧،٥١٢،٤٩٩،٤٠٣،٣١١
مودنجر : ١٧٨
موريه : ٣٤٢،٣٣٠،٥١
ميت غمر : ٢٥٧
مين — إله : ٤٢،١٣
ميننا : ٨٧،٨٠،٩،٨
ميو : ٤٢١،٤١٠،٢٩٢،٢٨٥

حرف (ن)

نابلي : ٣٥٠
نافيل : ٣٢٨،٢٨٥،١١١،١١٠
نباتا : ٢٩٥—٢٨٩،٢٨١،٢٧٨،٧٨
٣٩١،٣٧٧،٣٦٨—٣٦٧،٣٣٩
٤٥٤—٤٥١،٤١٨،٣٩٩،٣٩٢
٤٨٩،٤٧٤—٤٧٢،٤٦٩،٤٦٧
٥٠٥
نبا مون : ٤٣٤،٥١
نب تبيت محب : ٥٠٠
نبتى : ١٣،٦
نب حبت رع : ١٤٥،١١٤—١١٣
نب خبرورع : ٤٠٢
نب خيش رع : ٢٤٠،٢٣٥
نب ماعت رع تحت : ٤٠١،٢٦٩—
٤٥٠،٤٠٢
نب ترو : ٣٥١
نبوحرى : ٢٨٦
نبي : ٣٩٢
نجم حمادى : ١١
نحرر : ٣٦١
نحرى : ١٠٥
نحسيو : ١١١،١٠٥،٨٩،٨١—٨٠
١١٨

المضيق : ١٠٢—١٠٠،٧١
معا : ١١٣
المعازة : ٧٥
معام : ١٦٠، ١٥٨—١٥٧، ١٥٤
٤٠١،٣٩٩،٣٨٢—٣٧٩، ٣٣٤
المعصرة : ٢٥٧
مليور : ٣٤٨
ملوفا : ٤٣٦—٤٣٥
منات : ٤٩٣
متو : ٥١٩،٥٠٣،٤٠٣،١٣١،١٢٣
٥٣٢ الخ
متوحتب الأول : ١٠٢،٩٩،٨٠
١٣٤،١٣١،١٢٤،١٠٥
متوحتب الثانى : ١١٤،١١٠،١٠٩
متوحتب الثالث : ١١٢،١٠٢
متوحتب الرابع : ١٢٣، ١١٦
١٢٦، ١٢٥
متوخرخيشفس : ٤٣٧
متوحمات : ٥٤١، ٥٣٩، ٥٣٦
متونسو : ١٢٤
منقيو : ٢٧٥
منعات خوفو : ١١٨
من خبررع سنب : ٣٦٥، ٣٢٩—
٣٦٦، ٤٠٦، ٤١٩، ٤٧٥
٤٨٩، ٤٨٠
منديان : ٣٤٢
من عنخ نفركارع : ٣٢
منف : ٥٧، ٥٢، ٣٢، ٢٧، ٢٢
٨٧—٨٨، ٩٥، ٢٢٠، ٢٣٦
٤٣٤، ٣٠٤، ٣٠١، ٢٩٩
من ماعت رع : ٣٩٢،٣٨٦
منوس : ٣٥١
المنيا : ١١٨

نور شمبتون : ٨٠
 نوری : ٤٣٥ ، ٤٣٠ ، ٤١٩ ، ٣٦٧
 ٤٤٧٣ ، ٤٦٩ — ٤٦١ ، ٤٥٦ — ٤٥٣
 ٤٩٣ ، ٤٨٠ ، ٤٧٩
 نوزی حورانی : ٢٢٤ — ٢٢٣
 نوفر : ٢٣
 نیام نیام : ٤٣
 نیتو کریس : ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠١
 ٥٤١ ، ٥٢٥ — ٥٢٤
 نیقی : ٢٤١
 نیسوخیو : ٣٩ ، ٢٤ ، ٢٣
 نیسو منتیو : ١٧٦
 نیشی : ٢٤١
 النيل الأبيض : ٧٧
 النيل الأزرق : ٧٧ ، ٧٥
 نی ماعت رع : ٢٠٦
 نینوه : ٤٥٤
 نیوبری — عالم اثری : ٢١٣ ، ١٦
 ٣٢٨ ، ٢١٩

حرف (هـ)

هابو : ٤١٠ ، ٣٩٢ ، ٣١٢ — ٣١٠
 ٥٤٠ ، ٥٣٥ — ٥٣٤ ، ٤٩٩
 هارفرد : ٤٩١ ، ٤٥٣
 هاریس : ٣٩٢ ، ٣٣٥ ، ٣١٢ — ٣١١
 ٤١٥
 هازور : ٢٢٦
 هاندوة : ٧٦
 هریبط : ٤٠٣
 هردوت : ٥٢٢ ، ١٤٥
 هرمان : ٤٤٣
 الهکسوس : ٢٠٢ — ١٩٨ ، ٤٩ ، ٢
 ٢٤٣ — ٢١٩ ، ٢١٥ — ٢١٠

نهن : ٢٤٠
 نخت : ١٣٧
 نخی : ٣٧١ ، ٣٢٩ — ٣٢٥ ، ٣٢٢ — ٣٧٣
 نخب : ٣٢ ، ٢٩ ، ٢٦ — ٢٥
 نخبه : ٣٧٢ ، ٣٣٩ ، ٢٢٥ ، ١٢٨
 نخت : ٤٣٥
 نختمین : ٤٤٣
 نخن : ٣٤ — ٣٣ ، ٢٩ ، ٢٦ — ٢٥
 ٣٧٠ ، ١٧٧ ، ١٥١ ، ١٢٨ ، ١١٧
 ٣٧٤
 نخت : ٣١٠
 نرج : ٢٥٩ — ٢٥٨ ، ٢٥٦
 نستاسن : ٤٩٣ ، ٤٥٦
 نست ورثت : ٥٢١ ، ٥١٣ ، ٥١٢
 نسخسو : ٣٦٥ ، ٣٦٤
 نسوت تاوی : ٤١٠ ، ٣٧٠
 نفرت : ١١٧
 نفرتخب : ٢٤٥ ، ٢١٩ — ٢١٦ — ٢٤٥
 ٢٥٣ ، ٢٤٩ ، ٢٤٦
 نفرحور : ٣٥٧
 نفروع سبکخب : ٢٤٥
 نفروهو : ١١٧ ، ١١٦
 نفركارع : ٤٧٥ ، ٢٩ — ٢٨
 نفرو کیکشتا : ٤٧٨
 نفرو یسی : ٢٤١ ، ٢٣٩
 نقاده : ١٤٧ — ٥
 قطانب : ١٠٠ ، ٤٢
 نمروت : ٤٩٠
 نیمو : ٤٢١
 نهر الرین : ٣٤٦
 نهر الفرات : ٢١٨
 النهرین : ٢٩٣ ، ٢٩٠

حرف (ى)

يات جى (= مدينة هابو) : ٥٣٥
 ياريم ليم : ٢١٧
 يام : ٢٦ — ٣٤٠٢٨ — ٤٥٠٤٠ — ٤٤٨
 ٨٩٠٧١ — ٦٦٠٦٣٠٦٠
 ياخذ : ٢١٨٠٢١٧
 ياناس : ٢٢٩٠٢٢٠
 ياقن خامو : ٢١٧
 يريحا : ٢٤٠
 يعقوب أيل : ٢٥٨٠٢٢٩٠٢٢٨
 ينكر : ٧٦ — ٧٥٠٤٠٠١٥٠٨٠٥٠١
 ٧٩ — ٩١٠٨٣ — ٩١٠٩٨٠٩٤
 ١٠٣ — ١١٦٠١٨٨٠١١٧
 ١٩٤ — ١٩٩٠٢٠٧٠٢١١٠٢١٣
 ٢٤٨ — ٢٥٩٠٢٥٠ — ٢٦٩٠٢٦٤
 ٤٣٥٠٤١٢٠٢٨٥٠٢٨٤٠٢٧٠
 يهوذا : ٤٩١٠٤٨٣
 يوزيب : ٤٧٤
 يوسف : ٥٢٢
 يويو واوا : ٤٩٠٠٤٧٤٠٤٧٠

وسرسات : ٣٢٩ — ٤٤٢٠٣٨٣٠٣٤٠
 وسرماعت رع ستين رع : ٣٤٤ —
 ٤٧٤ — ٤٧٣٠٣٤٥
 وشع شتى : ٢٦١
 وعف خسوت : ١٥٤
 الولايات المتحدة : ٢٢٢
 ولف : ٧٩
 ولكفسون : ٤٤
 ولى : ٢٦٤
 وناس : ٤٢٢٠٦١٠٢١
 ونتاوات : ٣٦٢٠٣٦١
 وننفر : ٣٣٥
 ونى : ٣٨ — ٣٧٠٣٥ — ٣٢٠٢٣
 ٤٥ — ٦٢٠٤٦ — ٦٦٠٧٠٠١٢٤ —
 ١٣٩٠١٢٥
 ويجول : ٢١٣٠١٥٨٠١١٢٠٤٧
 ٥٢٦ — ٥٢٥٠٣٥٢
 وينريت : ٢١٣

المصادر الافرنجية

١ - مختصر أسماء الدوريات الافرنجية :

A.J.S.L. == The American Journal of Semitic Languages and Literatures, Chicago and New York.

Ancient Egypt, London.

A.S. == Annales du Service des Antiquites de L'Egypte, Caire.

A.S.N. Bull. == Survey Department, Archaeological Survey of Nubia, Cairo

A.Z. == Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde, Leipzig.

Bull. Boston M.F.A. == Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston.

Bull. Inst. Fr. == Bulletin de l'Institut Français d'Archeologie Orientale, Caire.

Chronique d'Egypte, Brüssel.

The Egyptian Expedition Metropolitan Museum = The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York.

J.E.A. == Journal of Egyptian Archaeology, London.

Journal Asiatique.

Kemi, Revue de Philologie et d'Archeologie, Egyptienne et Coptes. Paris.

L.A.A.A. == Annals of Archaeology and Anthropology issued by the Institute of Archeology, University of Liverpool, Liverpool.

Mélanges Maspero, i.e. Mem. Inst. Fr.

Mem. Inst Fr. == Mémoires publiés par les Membres de l'Institut Français d'Archeologie Orientale, Caire.

Mem. Miss. Fr. == Mémoires publiés par les Membres de la Mission Française du Caire,

(Ministre de l'Instruction Publique et des Beux Arts).

Mitt. D. Inst. == Mitteilungen des Deutschen Instituts für Ägyptische Altertumskunde in Kairo, Berlin.

O.L.Z. == Orientalische Literaturzeitung Monatsschrift für die Wissenschaft von ganzen Orient, Leipzig.

P.S.B.A. == Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, London.

- Rec. Trav.** == Recueil des Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes, Paris.
- Rev. de l'Egypte Anc.** == Revue de l'Egypte Ancienne, Paris,
- Revue d'Egyptologie**, Paris.
- Revue Egyptologique**, Paris.
- Sphinx**, Revue Critique Embrassant le Domaine Entier de l'Egyptologie⁺ Upsala.
- Sudan Notes and Records**, Khartoum.
- Z.D.M.G.** == Zeitschrift der Deutschen Morgenladischen Gesellschaft, Leipzig.

٢ - المراجع الافرنجية :

- Albright, W. F.**, The Archæology of Palestine and the Bible.
- . The Excavation of Tell Beit Mirsim, 1 A: The Bronze Age Pottery of the Fourth Campaign, Yale University, 1933.
- Anthes, R.**, Die Felseninschriften von Hatnub, Leipzig, 1928.
- Avedief, V.**, The Origin and Development of Trade and Cultural Relations of Ancient Egypt with Neighbouring Countries (Papers presented by the Soviet Delegation at the 23rd International Congress of Orientalism, 1954).
- Bates, O.**, The Eastern Libyans, London, 1914.
- Baumgartel, Elise J.**, The Culture of Prehistoric Egypt, Oxford, 1927.
- Blackman, A. M.**, The Temple of Derr, Cairo, 1913.
- Blankenhorn, M.**, Aegypten, Heidelberg, 1921.
- Borchardt, L.**, Altägyptische Festungen an der Zweiten Nilchnelle, Leipzig, 1923.
- Boreux, O.**, Etudes de Nautique Egyptienne. L'art de la Navigation en Egypte jusqu'a la fin de l'Ancien Empire, (Memo. Inst. Fr. 50).
- Breasted, J. H.**, Ancient Records of Egypt. Historical Documents from the Earliest Times to the Persian Conquest, I-IV, Chicago, 1906; V, Chicago, 1909.
- British Museum**, A Guide to the Egyptian Galleries, Sculptures, etc., 1909.
- . Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae, I-VII vols., 1911.
- Brugsch, H. K.**, Thesaurus Inscriptionum Aegyptiacarum. Altaegyptische Inschriften gesammelt verglichen, ubertragen, erklart und Autographiert von H. Brugsch Abteilung I-VI, Leipzig, 1883 ff.

- Brunner-Traut, E.**, *Der Tanz im Alten Ägypten*, 1938.
- Brunton, G.**, *Mostagedda and the Tasian Cultures* (British Museum Exploration to Middle Egypt 1st. and 2nd years 1928, 1929), London, 1931.,
— , *Qau and Badari III*, London 1930.
- Brunton C., and Caton-Thompson, G.**, *The Badarian Civilisation and Predynastic Remains near Badari*, 1928.
- Budge, E. A. W.**, *The Egyptian Sudan, Its History and Monuments in 2 vols.*, London 1907.
- Burckhardt. J. L.**, *Travels in Nubia*, London, 1819.
- Carnarvon, G.E.S.M.A. and Carter, H.**, *Five Explorations at Thebes, A Record of Work done 1907-1911*, London, 1912.
- Carter, H., and Mace, A.E.**, *The Tomb of Tut Ankh Amun discovered by the late Earl of Carnarvon and Howard Carter 4*, London, 1930.
- Carter, H. and Newberry, P.E.**, *The Tomb of Thutmosis IV*, Westminster, 1904.
- Davies, N. De G.**, *The Rock Tombs of Sheikh Said*, London, 1901.
— , *The Tomb of Huy, Viceroy of Nubia in the Reign of Tut Ankh Amun*, London, 1926.
— , *Tomb of Ken-Amun at Thebes*, 2 vols., New York, 1930.
— , *Tomb of Neferhoteb at Thebes*, 2 vols. New York, 1933.
— , *The Tombs of two Officials of Thutmosis the fourth*, London, 1923.
— , *The Rock Tombs of El Amarna, I—VI*, London, 1903-1908
- Davis Th. M. and Maspero, G. u. a.**, *The Tomb of Siptah, the Monkey Tomb and the Gold Tomb*, London, 1908.
- Drioton, E., and Vandier, G.**, *L'Egypte*, Paris, 1938.
- Dunbar, G. H. Sarra**, *The Rock Pictures of Lower Nubia*.
- Dunham, Dows**, *The Royal Cemeteries of Kush, El Kurru*, Cambridge, 1950.
- Emery, W. B., and Kirwan, L.R.**, *The Excavations and Survey between Wadi Es Sebua and Adindan, 1929-1931*, Cairo, 1935.
- Engberg, S. M.** *The Hyksos reconsidered*, Obicago, 1939.
- Erichsen, W.**, *Papyrus Harris I*, Brüssel, 1933.

- Ermann, A.**, Aegypten und Aegyptischen Leben im Altertum Neu bearb. von H. Ranke., Tübingen, 1923.
- Evans A.**, The Palace of Minos at Knossos, I-II Vols., London, 1921 ff.
- Firth, C. M.**, The Archaeological Survey of Nubia Report for 1908-1915, Cairo, 1915. Report for 1909-1910, Cairo, 1915. Report for 1910-1911, Cairo, 1927.
- Firth, C. M. and Quibell, J. E.**, The Step Pyramid, Cairo, 1936.
- Fritzler, K.**, Steinbrüche und Bergwerke im Ptolemäischen und Römischen Ägypten. Ein Beitrag zur Antiken Wirtschaftsgeschichte Diss., Leipzig, 1910.
- Gardiner, A. H.**, Egyptian Grammar, Oxford, 1927.
- , Ancient Egyptian Onomastica, Oxford, 1947.
- , The Inscription of Mess, Leipzig, 1905.
- , Late Egyptian Miscellanies, Cairo, 1914.
- , The Admonitions of an Egyptian Sage from a Hieratic, Papyrus in Lieder, Leipzig, 1909.
- Garstang, G.**, Moroe, The City of the Ethiopian, Oxford, 1911.
- , La Livres des Rois d'Egypte, I-III Vols.
- , Precis de L'Histoire de l'Egypte, Caire, 1932.
- , La Temple d'Amada, Caire, 1926-1926.
- , La Temple de Kalabchah, Caire, 1911-1927.
- , Dictionnaire des Nom Geographiques contenus dans les Textes Hieroglyphiques. Caire, 1925.
- Griffith F. Ll.**, The Oxford Excavations in Nubia.
- Helck, H. W.**, Der Einfluss der Militärführer in der 18 Agyptischen Dynastie, Leipzig, 1939.
- Hieratische Papyrus aus den Königlichen Museen zu Berlin**, Leipzig, 1911.
- Hölscher, W.**, Libyer und Ägypter, Glückstadt-Hamburg, New York, 1937.
- Jaquier, G.**, Le Monument Funéraire de Pepi II, Caire 1939.
- Junker, H.**, Der Nubische Ursprung der Sogenannten Tell el Jahudiye Vasen, Wien 1921.
- , Das Erste Auftreten der Neger in der Geschichte, Wien, 1925.

Junker, H., Bericht über von der Akademie der Wissenschaften in Wien auf gemeinsame Kosten mit Dr. Wilhelm Pelizaeus Unternommenen, Grabungen auf dem Friedhof des Alten Reiches bei den Pyramiden von Giza, Wien, Leipzig, 1934.

— , Bericht über die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf den Friedhofen von Ermenne (Nubien) im Winter 1911-1912, Wien, 1925.

— , Ditto Ditto von Kubanieh Nord im Winter 1910,-1911, Wien 1919.

— , Ditto Ditto Ditto von El Kubanieh Süd im Winter 1910-1911, Wien, 1919.

— , Ditto Ditto von Toschke (Nubien) im Winter 1911-1912, Wien, Leipzig, 1926.

— , Giza, Vorbericht, 1913, Wien, 1927.

— , The first Appearance of the Negroes in History.

— , **and Delaporte, L.**, Die Völker des Antiken Orients. Die Ägypter, von H. Junker, Freiburg, 1933.

Kees, H., Totenglauben und Jenseitsvorstellungen der Alten Ägypter, Grundlagen und Entwicklung bis zum Ende des Mittleren Reiches, Leipzig, 1926.

— , Beiträge zur Altägyptischen Provinzialverwaltung und der Geschichte des Feudalismus, 1932.

— , Herihor und die Aufrichtung des Thebanischen Gottesstaates Gottingen, 1936.

— , Kultlegende und Urgeschichte Grundsätzliche Bemerkungen zum Horusmythus von Edfu, 1930.

— , Beiträge zur Geschichte des Vezirats im Alten Reich. Die Chronologie der Vezire unter König Phiope II, Gottingen, 1940.

Knight, F., Nile and Jordan, 1921.

Kortenbeutel, H., Der Ägyptische Süd-und Osthandel in der Politik der Ptolemäer und Römischen Kaiser, Berlin, 1931.

Lange, H. O. and Schäfer, H., Grab-und Denksteine des Mittleren Reichs., Berlin 1902-1925.

Lepsius, C. R., Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien, Berlin, 1894.

Lieblein, Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique, Christiania, 1871.

Loat, L., Gurob, London, 1905.

Lucas, A., Ancient Egyptian Materials and Industries 2nd rev. Ed. London, 1934.

Macadam, M. F. Laming, The Temple of Kaw, I-II Vols., London, 1949.

Maciver, D. R. and Woolley, C. L., Buhen, 2 Vols., Philadelphia, 1911.

— , Areika, Oxford, 1909.

Macmichael, H. A., A History of the Arabs in the Sudan, 2 Vols., Cambridge, 1922.

Mariette, Catalogue General des Monuments d'Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville, I-II, Paris, 1880.

— , Monuments Divers Recueilles en Egypte et en Nubie. Paris, 1889.

Maspero, Melanges d'Archeologie Egyptien.

Meyer, Ed., Geschichte des Altertums. Stuttgart, Berlin, 1921.

Möller, G., Hieratische Lesestücke für den Akademischen Gebrauch, I-III, Leipzig, 1910.

Montet, Byblos et L'Egypte.

— Les Reliques de L'Art Syrien.

Moret, A., L'Egypte Pharaonique, Paris, 1932.

De Morgan, J., Catalogue de Monuments et Inscriptions de L'Egypte Antique, 1^{er} sér. Haute Egypte, Wien, 1894.

Muller, M. W., Die Felsengräben der Fürsten von Elephantine, 1940.

— Die Liebespoesie der Alten Ägypter, Leipzig 1899.

Murray, M. H., Saqqara Mastabas, London, 1905.

Naville, E., The XIth Dynasty Temple at Dier El-Bahari, I-III Vols. London, 1907, 1910, 1913.

— Bubastis (1887-1889), London, 1891.

Newberry, P.E., The Set Rebellion of the IInd Dynasty, 1922.

— Egyptian Antiquities, Scarabs, London, 1906.

Otto, H., Studien zur Keramik der Mittleren Bronzezeit in Palastine, 1938

Peet, T. E., and Loat, W. S. L., The Cemeteries of Abydos, I-III Vols.

Pendlebury, J. D. S. Aegyptiaca, a Catalogue of Egyptian Objects in the Aegean Area, Cambridge, 1930.

Petrie, W. M. Fl., Prehistoric Egypt, London 1920.

Petrie, W.M. Fl., Six Temples at Thebes, 1896, London, 1897.

— Diospolis Parva, the Cemeteries of Abadiyeh and Hu.,
1898-99 London, 1901.

— Gizeh and Rifeh, London, 1907.

— A Season in Egypt, 1887, London, 1888.

— A History of Egypt, London, 1894.

— Royal Tombs of the 1st Dynasty, London, 1900.

— Royal Tombs of the Earliest Dynasties, London, 1901.

— Qurnah, London, 1909.

Petri, W. M. Fe., and Duncan, J. G., Hyksos and Israelite Cities,
London, 1906.

Piehl, K., Inscriptions Hieroglyphique recueillies en Europe et en Egypte,
Stockholm, 1884.

Pirenne, J., Histoire des Institutions et du Droit privé de l'Ancienne
Egypte, Brussel, 1932-1935.

Plyte, W., and Rossi, F., Papyrus de Turin, Leiden, 1869-76.

Porter and Moss. Topographical Bibliography of Ancient Egyptian
Inscriptions, Texts, Reliefs, and Paintings, I-V Vols., Oxford, 1921-1937.

Posner G., Princes et Pays d'Asie et de Nubie, Brussel, 1940.

Quibell, J. E. and Green, F. W., Hierakonpolis, London, 1902.

Reisner, G. A , Excavations at Kerma, I-III, IV-V, U.S.A., 1923.

— The Archaeological Survey of Nubia. Report for 1927, 1908,
Cairo, 1910.

Roeder, G., Der Felsentempel von Bet El-Wali, Cairo, 1938.

— Debod bis Bab-Kalabsche, I-II, Caire, 1911.

— Der Tempel von Dakke, I-III Cairo, 1930.

Rowe, A., Catalogue of Egyptian Scarabs in the Palestine Arch. Museum.

Save-Soderbergh, Torgny, Egypten und Nubien, 1941.

Schafer, H., Urkunden der Alten Athiopenkonige, Leipzig, 1905.

— Kriegerauswanderungen unter Psammatik und Sölderaufstand
unter Apries. Leipzig, 1904.

Sjoqvist, E , Problems of the late Cypriote Bronze Age, Stockholm, 1940..

Seligman C. G., Egypt and Negro Africa, London, 1934.

- Sethe, K.**, Die Thronwirren unter den Nachfolgern Königs Thutmosis I, ihr Verlauf und ihre Bedeutung., Leipzig, 1896.
- Die Achtung Feindlicher Fürsten Völker und Dinge auf Altägyptischen Tongefäßscherben des Mittleren Reiches, Berlin, 1926.
- Die Altägyptischen Pyramidentexte, nach den Papierabdrücken und Photographique des Berliner Museums, Leipzig, 1908 ff.
- Die Bau- und Denkmale des alten Ägypten und ihre Namen 1933.
- Urgeschichte und älteste Religion der Ägypten, Leipzig, 1930.
- Ägyptische Lesestücke zum Gebrauch im Akademischen Unterricht Texte des Mittleren Reiches, Leipzig, 1929.
- Urkunden des alten Reichs, Leipzig, 1932 ff.
- Steindorff, G.**, Aniba. Vorläufiger Bericht über die Ergebnisse der in den Jahren 1912-1914 und 1930-1931 I-II Vols. 1935, 1937.
- Stock, J.**, Studien zur Geschichte und Archäologie der 13 bis 17 Dynastie Ägypten, 1942.
- Wainwright, G. A.**, Balabish, London, 1920.
- Weigall, A. E. P.**, A Report on the Antiquities of Lower Nubia, Oxford, 1907.
- Weill, R.**, Les Décrets Royaux de l'Ancien Empire Egyptien, Paris, 1912.
- La Fin du Moyen Empire Egyptien., Paris, 1918.
- Wiedemann, A.**, Ägyptische Geschichte, Goth. 1884.
- and **Portner**, Ägyptische Grabsteine. und Denksteine aus Verschiedenen Sammlungen.
- Wilkinson, J. G.**, Manners and Customs of the Ancient Egyptians, 3 Vols. London 1837.
- Williams, C. R.**, Gold and Silver Jewelry and Related Objects, New York, 1923.
- Winlock, H. E.**, The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947.
- Wolf, W.**, Die Kultische Rolle des Zwerges in Alten Ägypten (Anthropos 33).
- Wreszinski, W.**, Atlas zur Altaegyptischen Kulturgeschichte, 2 Bände, Leipzig, 1914.

كتب للمؤلف

بالعربية :

- (١) مصر القديمة : الجزء الأول في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الالهنامى .
- (٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدينة مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الالهنامى .
- (٣) مصر القديمة : الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية ولوبيا .
- (٤) مصر القديمة : الجزء الرابع فى عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية .
- (٥) مصر القديمة : الجزء الخامس فى السيادة العالمية والتوحيد ويبحث فى علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليها وأول عقيدة للتوحيد بالله .
- (٦) مصر القديمة : الجزء السادس فى عصر رعمسيس الثانى وقيام الإمبراطورية الثانية .
- (٧) مصر القديمة : الجزء السابع فى عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث .
- (٨) مصر القديمة : الجزء الثامن فى نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة الحديثة فى طيبة (الأسرة الواحدة والعشرين) .
- (٩) مصر القديمة : الجزء التاسع فى نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الآثيوبى ولحظة فى تاريخ العبرانيين .
- (١٠) مصر القديمة : الجزء العاشر فى تاريخ بلاد النوبة إلى أول عصر « بيعنخى » .
- (١١) جغرافية مصر القديمة (محلاة باحدى وأربعين خريطة) .
- (١٢) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .
- (١٣) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .

- (١٤) تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر بالاشتراك مع عمر الاسكندري .
- (١٥) تاريخ أوروبا الحديثة وحضارتها : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندري .
- (١٦) صفوة تاريخ مصر والدول العربية : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندري والشيخ أحمد الاسكندري .
- (١٧) تاريخ دولة المماليك في مصر : (تعريب) بالاشتراك مع محمود عابدين .
- (١٨) ديانة قدماء المصريين : (تعريب) .
- (١٩) صفحة من تاريخ محمد علي : (تعريب) بالاشتراك مع طه السباعي .

بالفرنسية :

- (1) "Hymnes Religieuses du Moyen Empire" : 199 pages (1923, Cairo).
- (2) "Le Poème dit de Pentaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh" . 162 plates. Université Egyptienne, Faculté des Lettres. (1929, Caire).
- (3) Le Sphinx à la lumière des fouilles récentes.

بالإنجليزية :

- (1) "Excavations at Giza", Vol. I, (1929-1930); 119 pages, 81 Plates, 187 Illustrations in the text, Plan (Oxford, 1932).
- (2) "Excavations at Giza", Vol. II, (1930-1931); 225 pages, 83 Plates 251 Illustrations in the text, 2 Plans (Cairo, 1936).
- (3) "Excavations at Giza", Vol. III, (1931-1932); 229 pages, 71 Plates. 227 Illustrations in the text, 2 Plans (Cairo, 1941).
- (4) "Excavations at Giza", Vol. IV, (1932-1933); 218 pages, 62 plates, 159 illustrations in the text, 3 plans (Fourth Pyramid) (Cairo 1943).
- (5) "Excavations at Giza", Vol. V, (1933-1934); 325 pages. 79 plates (3 coloured), 169 Illustrations in the text, 2 Plans (Cairo, 1944).
- (6) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part I, "The Solar Boats : (1934-1935) (Cairo, 1947).
- (7) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part II. The "Offering-list in the Old Kingdom", 504 pages, 174 Plates, and numerous Illustrations in the text (Cairo, 1948).
- (8) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part III, a Description of the Mastabas and their Contents (1934-1935).
- (9) "Excavations at Giza", Vol. VII, (1935-1936).
- (10) "Excavations at Giza", Vol. VIII, "The Great Sphinx and its Secrets" (1936-1937), (Cairo, 1954).
- (11) The Sphinx, Its history in the light of Recent Excavations.

تم طبع هذا الكتاب بمطبعة جامعة
القاهرة في غرة رمضان سنة ١٣٧٤
الموافق ٢٣ أبريل سنة ١٩٥٥ م
محمد زكي خليل
مدير مطبعة جامعة القاهرة



Bibliotheca Alexandrina



0417650